الشعر الجاهلي
في ضوء نظرية باري ـ لورد
نظرة جديدة

دراسة
د. عادل سليمان جمال

جامعة أريزونا

نظرية باري ـ لورد عن الشعر المَرْوِيّ

في خلال الثلاثين عاما الماضية استطاع الأستاذان مِلْمان بارِي وألبرت لُورْد أن يهتديا إلى الأساليب الفنية (Techniques) للشعر المَرْوِيّ التي يستخدمها الشاعر الراوي في نظم الأشعار. بدأ بارِي أولا [1] بتطبيق فكرة الـ formula ـ وهي مجموعة من الكلمات تُستخدَم في بحر مُعَيّن لتُعطِي معنىً محددا ـ على شعر هوميروس وانتهى إلى ان هوميروس كان شاعرا راويا. ولمّا لاقى رأيه هذا قبولا من المهتمين بالدارسات الأدبية، اتجه إلى دراسة شعر ملحمي مرويّ معاصر، وهو الذي تناقله المنشدون الأميون في يوغوسلافيا وأضافوا إليه. وكان بـاري يأمـل بدراسـة هذا الشعر الحيّ أن يستكشف الأسلوب الذي يتبعه المنشد في نظمه للشعر. فقام هو ولُورْد بتسجيل هذا الشعر على آلات تسجيل، وعكفا على دراسته وتحليله، وضمَّنا مـا انتهيا إليـه في كتابهـا المشهـور «المُنْشِدون القُصّـاص»[2]. وتتلخص نظريتهمـا في أن الشعر المروي مُبايِن للشعر المكتوب متميِّز عنه. فالشاعر الكاتب ـ في أي عصر عاش وفي أي حضارة نشأ ـ يُديم النظر في معانيه ويتعهد بالصقل ألفاظَه قبل ان يُخرِج شعره للناس، وهو يفعل ذلك في غيبة عن قارئيه وبعيدا عن سامعيه. أما الشاعر الراوي فعلى نقيض ذلك، فهو ينظم الأشعار خلال إلقائه، أي يرتجل (imporovise) دون إعداد سابق، ويتم ذلك في سرعة ومهارة حتى لاينصرف عنه جمهور السامعين. ويُسْعِده على إنجاز هذا العمل اعتماده على مَخْزُون هائل من كلمات معيَّنة وعبارات محددة (formulas) يؤلِّف بينها في سرعة البرق، جاعلا منها أبياتا من الشعر، فالوحدة اللغوية عنده إذن ليست مطلَقَ الكلمات، وإنما هي هذه الكلمات المعينة والعبارات المحدَّدة (formulas). وهذه الكلمات والعبارات قد زِيد فيها وعُدِّلَت، ونُقِّحت وأُحكِمت خلال قرون من استعمال متّصل لم ينقطع، ومحاولة دَءُوب لم تَفتر حتى تهيّأت منها مجموعة ضخمة تزوِّد الشاعر الراوي بمَدَد غير محدود.

هذه النظرية قد طُبِّقت بنجاح على الآداب القديمة وآداب العصور الوسطى. فوجد المؤلفان أن الأشعار التي تتكرر فيها كثيرا كلماتٌ بأعيانها وعباراتٌ بذاتها هي أشعار مرتَجلة (Orally Composed)، بينما الأشعار التي ينعدم فيها مثل هذا التكرار أو يكاد هي أشعار مكتوبة، وبمعنى آخر فان الشعر المرويّ يعتمد على هذه الكلمات والعبارات الثابتة، في حين أن الشعر المكتوب لايستند إلى ذلك أصلا. وليس للشعر الذي يُحْفَظ شِفاها نصٌ ثابت محدَّد، حتى يُدوَّن، أما قبل ذلك فمضمونه يتنقل من فم إلى

فم، وفي كل مرة يُرْوَى يدخله تغييرٌ وتبديل ويطرأ عليه زيادةٌ ونقصان، بل قد يُصاغ كله صياغة جديدة من أوله إلى آخره. فالشاعر الراوي إذن يخلق مادته خَلْقا جديدا عند كل إنشاد، لايعتمد على ما حَفِظه لفُحُول المنشدين. بل لا يستعين بما نَظَمه هو في مرات سابقة، ومن ثم فَمَحْفُوظ الشاعر يجب أن يُستبعَدَ كلية عند النظر في كيفية نظمه للشعر. فإن كان ذلك كذلك، فما هو الأسلوب الفني (Technique) الذي يصطنعه الشاعر الراوي في تأليف الشعر؟.

جواب ذلك أنه يعتمد على امتلاك ناصية عدد هائل من المعاني والأفكار والمواقف وأسماء الأعلام، ومَخْزُون لايَنْفَد من كلمات معينة وعبارات محددة (formulas).

ويبدأ الشاعر الناشئ بالاستعانة بذلك كله حتى تزداد خِبْرته وتستوي مَلَكَته، ويستتبع ذلك أن فُحُول الشعراء يكونون أكثر مهارة وأَمْكَن فناً من الشعراء الشُّبان مع أن الفريقين جميعا يستمدّان من مَعِين واحد.

ولما كان المنشد يعتمد على مادة يتداولها غيرهُ من شعراء عصره، انتهت إليهم جميعا من أجيالهم السابقة كان لزاما أن تكون لغته شعريةً متخصصة يغلب عليها الجُمود والسُّطحية، تخلُو من اللهجات، وتفهمها الجماعات التي تُظِلّها ثقافة واحدة، دون اعتبار للمكان الذي تقيم فيه أو القبيلة التي تنتمي إليها. ولما كانت هذه اللغة الشعرية تَتكوّن أساسا من كلمات محدَّدة وعبارات ثابتة (formulas) موروثة تُستعمَل في إطار بحُور معينة، أدّى ذلك إلى أن تكون أشدَّ محافظة من لغة الحديث المحليّة التي تعيش معها جنبا إلى جنب. وقد تتسرب بعض اللهجات المحليّة إلى اللغة الشعرية إذا لاءم إيقاعُها بحرا ما، وتصبح جزءا منها بالرغم من أن هذه اللهجة قد تختفي تماما ويتوقّف استعمالُها كلغة للتخاطب، ومن ثم فاللغة الشعرية تضمّ كلمات قديمة (archaism)، يُسْتَغْلَق فَهْمُها حتى على المنشد وسامعيه.

هذه هي خلاصة نظرية باري ـ لُورْد عن الشعر المروي، بذل صاحباها جهدا شاقا لإثباتها، متّخذيْن من الشعراء الغنائيين في يوغوسلافيا مجالا لبحثهما

وقد أفاد مؤرخو الأدب من هذه النظرية وطبقوها على أشعار أمم مختلفة بنجاح كبير، كالشعر الأنجلو ـ ساكسوني(٣)، والشعر الانجليزي(٤)، والشعر الفرنسي(٥)، والشعر اليوناني(٦)، والشعر العبري(٧)، وغيره(٨).

دفعت هذه النظرية ـ خاصة عندما طُبِّقت بنجاح على الآداب القديمة وآداب العصور الوسطى ـ بعض الباحثين الأمريكيين المهتمين بالدراسات العربية إلى النظر إلى الشعر الجاهلي في ضوئها. فكتب الدكتور جيمس مُنْرو مقالة بعنوان (Oral Composition in Pre — Islamic Poetry) نشرها في العدد الثالث Journal of Arabic Literature سنة ١٩٧٠، ثم كتب الدكتور مايكل زوِنْلَرْ كتاباً كاملا نشرته جامعة أُهايُو ١٩٧٨، تناول فيه بالتفصيل الشعر الجاهلي في ضوء نظرية لُورْد، وأكدّ ما انتهىٰ إليه الدكتور منرو، أنّ الشعر الجاهلي ـ مثل شعر هوميروس ـ شعر مرويّ.

وسأحاول في الصفحات التالية أن ألخص ما انتهىٰ إليه هذان الباحثان وما استعانا به من دراسات أخرى، خاصة ما كتبه سارجنت ـ وسوف أتكيُّ خاصة على ما كتبه الباحثُ الأول.

وأرجو أن يثير هذا البحث ردود فعل لدى الدارسين العرب، فيناقشوا ما جاء فيه.

الشعر الجاهلي شعر مَرْوِيّ

١ ـ الأدلة الخارجية:

كان الشعراء الجاهليون أُمّيين، وغَنِيٌ عن البيان أن علماء العصر العباسي جمعوا الشعر ـ عندما نشأت حركة التدوين ـ من رواة البادية. وبالرغم من ثقافة هؤلاء العلماء وسعة اطّلاعهم فقد غابت عنهم هذه الحقيقة البالغة، وهي أن الشعر الجاهلي شعر مرويّ، كما خفيَت عليهم الأساليب الفنية (techniques) لهذا الشعر. استفرغوا جهدَهم في تحقيق الأشعار وتوثيقها، وبدلا من أن يسألوا أنفسهم عن مبعث اختلاف أبياتها عددا وترتيبا وروايةً، اساءوا الظن بالرواة، وجَرحوا بعضَهم ورفضوا أنْ يأخذوا عنهم.

وفي القرن الثامن والتاسع الميلاديين قويَت الحركة الشعوبية المعاديَة للعرب. وعاب أصحابها على البدو اعتمادَهم على القِسِيّ في خطابتهم وإنشادهم، واستعمالهم للعِصيّ تأكيدا لعباراتهم، وتجسيدا لإيقاع أشعارهم. غير أن أمر الاستعانة

بالعِصِيّ عظيم الدلالة إذا عرفنا أنه كان شائعا في الجاهلية بين الشعراء والحكماء.

وهذه الوسائل التي تساعد على تجسيد الإيقاع لها دور فعّال في عملية تأليف الشعر المرويّ. وقد لاحظ لُورْد أن المنشد اليوغوسلافي إذا نُزِعَت منه آلته الموسيقية، يفقِد قدرتَه على النظم وتأتي أبياتُه مضطربة، نِصْفها منثور لايتلاءم مع بحر القصيدة[٩].

ومن حسن الحظ أن الشعوبيين سجّلوا لنا هذه الظاهرة عندما سخروا من أتيان العرب اليها. وقد تصدّى الجاحظ للرد على الشعوبية، مدافعا عن العرب، وفي معرض كلامه نراه يفرق تفريقا واضحا بين نظم الشعر المعتمد على الرَّوِيّة والتفكير ثم الكتابة، وبين تأليف الشعر الصادر عن العَفْوِيّة والارتجال، يقول: (إلا أنّ كل كلام للفرس، وكل معنىً للعجم، فإنما هو عن طُول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطُول خَلْوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكُتب، وحكاية الثاني عِلْمَ الأوّل، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثِمار تلك الفِكَر عند آخرهم. وكلّ شيْ للعرب فإنما هو بديهةٌ وارتجال، وكأنه إلْهام، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابَدة، ولا إجالةُ فِكْر ولا استعانة، وإنما هو أنْ يصرِف وَهْمَه إلى الكلام، وإلى رَجز يوم الخِصام، أو حين يَمْتَح على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المُناقَلة، أو عند صِراع أو في حرب، فما هو إلاّ أنْ يصرِف وَهْمَهُ إلى جُمْلة المَذْهب، وإلى العَمُود الذي أليه يقصد، فتأتيه المعاني أرْسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انْثيالا، ثم لايُقيّده على نفسه، ولا يَدْرُسُه أحد من وَلَده. وكانوا أمّيّين لايكتبون، ومَطبُوعين لا يَتكلّفون، وكان الكلامُ الجَيِّد عندهم أظْهَر وأكثَر، وهم عليه اقدر، وله أقْهر، وكلُّ واحد في نفسه أنْطَق، ومَكانهُ من البيان أرْفَع، وخُطباؤهم للكلام أوْجَد، والكلامُ عليهم أسْهَل، وهو عليهم أيْسَر مِن أنْ يفتقروا إلى تَحفُّظ، ويحتاجوا إلى تَدارُس. وليس هم كَمَن حَفِظ عِلْمَ غيره، واحتذَى على كلام مَن كان قبلَه، فلم يحفظوا إلا ما عَلِق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتّصل بعقولهم من غير تكلُّف ولا قَصْد ولا تَحفُّظ ولا طَلَب. وإنّ شيئا هذا الذي في أيدينا جزءٌ منه؛ لَبالمِقدار الذي يَعْلَمه إلاّ مَن أحاط بقَطْر السحاب وعدد التراب[١٠]).

ولحسن حظّ الباحثين المُحْدثين فإن طريقة نَظْم الشعر الجاهلي المعتمدة على الارتجال لازالت - بعدَ خمسة عشر قرنا من عصر امرئ القيس - حيّةً لم تُمت. غير أنها لم تَنل من اهتمام الدارسين إلا شيئاً يسيرا، ويرجع ذلك ألى وَهْم تَرَدّى فيه الدارسون، حيث آمنوا بأنّ الأدب الحق هو الشعر الجاهلي القديم، وأما الشعر الشعبيّ المُباين لتقاليد الشعر الجاهلي، فهو - وإن كان نوعا أدبيا - لا يَرْقَى إلى مرتبة الشعر الجاهلي، وغير جدير بالدراسة الجادة. ولكن بُمضيّ الوقت بدأ مفهومُ الشعر في التغير، وابتعد شيئاً فشيئا عن التقاليد القديمة. ولاشك أن ماكتبه سارجَنْت يعبّر عن هذه النظرة الجديدة التي طال توقعها، قال: آن لنا - في القرن العشرين - أن نأخذ الشعر الجاهليّ والأموي إلى الجزيرة العربية لدراسته وشرحه[١١] لنرى ما هي النتائج التي يُقدِّمها مثل هذا المنهج، الذي يجب أن نَتوخّى الحذر في تطبيقه. ومن المحتمل أن نظفر لكثير من الأشعار بشروح أدقّ وأوفى من تلك التي توصل إليها النحاة في العصر العباسي[١٢].

والملاحظات التي سجلها العلماء عن الجزيرة العربية لاتؤيّد كلامَ الجاحظ فحسب، بل توضح الطريقة التي يتّبعها الشاعر العربي في تأليف الشعر المروي. وبالرغم من أن العلماء الذين قاموا بأبحاث ميدانية في الجزيرة العربية كانوا غير مُلِمِّين بنظرية باري - لورد، فإنّ ملاحظتهم الكثيرة تتفق مع هذه النظرية في كل نواحيها. ويعتقد هؤلاء العلماء أن الأشعار التي جمعت حتى الآن من وسط الجزيرة العربية وشمالها وجنوبها تنتمي من الناحية الفنية إلى الشعر الجاهلي[١٣]، فهي - من ناحية - تستخدم نفسَ البحور القديمة، وهي - من ناحية أخرى لاتختلف في لغتها عن لغة الشعر الجاهلي إلا بمقدار ما دخل اللغة من تطور خلال القرون الخمسة عشر الماضية[١٤] ولغة هذه الأشعار تخلو من اللهجات القَبَلية ويفهمها جميع سكان الجزيرة حتى الأميون منهم[١٥]، وغالبية الشعراء الذين يستعملون هذه اللغة الموحَّدة لايعرفون القراءة والكتابة، ويعبّرون عن عملية نَظْم الشعر - كما كان الشأن في القديم - بقولهم «قلتُ قصيدة» ولايقولون أبدا «كتبت قصيدة»[١٦]، ويرتجلون الشعر ارتجالا، ونادرا ما يُقيّدونه، وأنما يحفظ أصدقاء الشاعر أجزاءاً منه. وإذا كُتِب فيكون ذلك من صدور الحافظين، وبذا تكون الكتابة قد حلّت مكان الراوي[١٧]. وهؤلاء الشعراء الأميون لادراية لهم بعلم العروض، ولكنّ لديهم إحساسٌ غريزيّ بالإيقاع. وقد لاحظ الدارسون أنه

عند كتابة الشعر من الإملاء حيث يسوده البُطء. فإن الشاعر العربي ـ وكذلك أيضا اليوغوسلافي كما ذكر باري ولُورْد ـ يفقد قدرته الفنية على نظم الشعر، فيضطرب الإيقاعُ ويختلّ الوزن، وعادة تختفي هذه الأخطاء بعد التدوين[18]. وأفكار هذا الشعر وعباراته وصُوره تقليدية مستمدة من مَعين واحد[19]. كما لاحظ الدارسون أيضا أن الشاعر إذا اتُّهم بسرقة أشعار غيره ـ وذلك شئ كثير الحدوث ـ فإنه يدافع عن نفسه دفاعا مُبْهَما[20]. فالسرقات الشعرية ألصق بالأدب المرويّ الذي يستمد من الوجدان الجماعي، ولا يعترف بملكية الأدب لكاتب ما. ولغة هذا الشعر تتألف من كلمات معينة وعبارات ثابتة (formulas)[21]. وبعض الموضوعات الجديدة التي طرأت عليه يمكن تحديد تاريخها، فموضوع «شُرْب القهوة» مثلا لابد أن يكون حديثا فهو غير معروف في الأدب القديم[22].

وخلال تناقل الأشعار يدخلها غيرُ قليل من التغيير في كلماتها وعدد أبياتها وترتيبها[23]، ومن ثم لا يستطيع أيّ شخصين يحفظان قصيدة ما أن ينشداها بتطابق تام، بل إن الشاعر نفسه يغير في قصيدته عند أنشادها في كل مرة، وإذا وُوجِه بالروايات المختلفة للقصيدة لايستطيع لها تعليلا، وقُصارَى ما يمكن أن يقول إنها جميع جيدة[24]. وهذا يقود إلى نتيجة هامة، وهي أن **«النص الأصلي» لقصيدة ما لا وجود له، وأن محاولة تعقّبه ضَرْب من العبث[25]. لأن الشعراء أنفسهم** غالبا ما ينسون ما نظموه، **وكثيرا ما يضطرون إلى إنهاء قصائدهم قبل تمامها عندما يحسون بملَل سامعيهم وضجرهم، ولهذا تختلف نهاية القصيدة في كل مرة تُنْشَد فيها، بينما تكاد بدايتُها تتماثل، ويسودها الاستقرار[26].**

ويحلو للشعراء أن يستخدموا نوادر الكلمات تَشَبُّها باستعمال «الغريب» في الشعر القديم. وبعض هذه الكلمات مُعْرِقة في القِدَم، أو لهجاتٌ محليةٌ صارت جزءً من اللغة الشعرية مع الزمن، واستغلق فهمُها على الشاعر نفسه، غير أن مَهَره

٢ ـ الأدلة الداخلية:

يعتمد الشعر ـ إلى حد ما ـ على ضرب من التكرار. غير أن الشعر المروي في أي عصر وفي كل أمة ـ بما في ذلك الشعر الجاهلي ـ تزداد فيه نسبة هذا التكرار زيادة كبيرة. وهذا التكرار له أشكال أربعة:

١ ـ كلمات مُعَيّنة وعبارات ثابتة (Formula Proper).

٢ ـ جمل بأكملها قد تكوّن مصراعا (Formulaic system).

٣ ـ كلمات متجانسة الايقاع (Structural Formulas).

٤ ـ ألفاظ تقليدية شائعة (Conventional vocabulary). **ويجب أن** نلاحظ ـ تحاشيا للوقوع في الخطأ ـ أن الأساليب الفنية للشعر المروي ليست أداة آلية جامدة تجعل من الشاعر عقلا آليا، بل أداة مَرِنة طَوْعَ الفنان المُبدع. وأشكال التكرار الأربعة بتداخلة، ولايمكن تحديد كل منها إلا على وجه التقريب، فهناك بعض الأمثلة التي تلائم أكثر من ضرب من ضروب التكرار. ومن ثم يجب اعتبار هذا التقسيم وسيلة نسبية تسهّل التفريق بين أشكال التكرار.

١ ـ الكلمات المعينة والعبارات الثابتة:

هذه الكلمات والعبارات ـ حسب تعريف لورد ـ ثابتة لا تتغير، يتراوح عددها بين كلمتين وثلاث كلمات وقد تزيد حتى تكون شطرا كاملا. ومن أمثلة ذلك:

عفتِ الديارُ

معلقة لبيد[31]، البيت: ١

عفت الديار

ديوان امرئ القيس[32]، ص: ١٤٤، بيت: ١٠

لِمَنْ طَلَلٌ

ديوان زهير[33]، ص: ٩٩، بيت: ١

لمن طلل

ديوان لبيد[34]، ص: ١٢٧، بيت: ١

بالجَلْهَتَيْنِ

معلقة لبيد، البيت: ٦

فوَقَفْتُ فيها

المفضليات، ص: ٨٢٧، البيت: ٦

فوقفتُ فيها

ديوان عنترة، ص: ٤٥، بيت: ٦

ذِكْرَى حَبِيبِ

معلقة امرئ القيس، البيت: ١

ذِكْرى حبيب

ديوان امرئ القيس، ص: ١٢١، بيت: ١

ذِكْري حبيب

المفضليات، ص: ٥٤٦، البيت: ٦

وحانٌ مِن الحَيّ الجميع

المفضليات ص: ٦٠٢، البيت: ١

وحان من الحي الجميع

المفضليات ص: ٨٨٩، البيت: ١

وقد أغتدِي والطيرُ في وكناتها

ديوان امرئ القيس، ص: ١٩٦، بيت: ١

وقد أغتدي والطير في وكناتها

ديوان امرئ القيس، ص: ١٣٨، بيت: ١٥

وقد أغتدي والطير في وكناتها

ديوان امرئ القيس، ص: ١٥٤، بيت: ٤٧

وقد أغتدي والطير في وكناتها

ديوان علقمة[٣٧]، ص: ١٠٤، بيت: ١٩

إذا قامتاتضوّع المِسْكُ مِنْها

معلقة امرئ القيس، بيت: ٨

إذا قامتاتضوع المسك منها

ديوان امرئ القيس، ص: ١٢٤، بيت: ٧

وُقُوفا بهاصَحْبي على صحبي عليّ مَطِيَّهم

يقولُونَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ

معلقة امرئ القيس، بيت: ٥

وقوفا بهاصحبي على مطيهم

يقولون لاتهلك أسى وتجلد

معلقة طرفة، بيت: ٢

ب ـ عبارات كاملة قد تكوّن مصراعا:

اذا زاد الخلاف اليسير الموجود في المثلين الأخيرين نتج عنه هذا النوع من العبارات[٣٨] فهي مجموعة كبيرة من الكلمات المختلفة تربط بينها كلمة ـ على الأقل ـ متشابهة فيها جميعا، وتستعمل في بحر واحد. وهذا النوع من التكرار إذن يَنْجم عن إحلال كلمة محلّ أخرى. وتحتوي لغة التخاطب على مجموعات كثيرة من الكلمات المتجانسة تخضع لقواعد نحوية، أما لغة الشعر المروي فهي تضم عددا أقل من مثل هذه المجموعات، ولابد لها أن توافق بحرا من بحور الشعر. والشاعر الراوي المقتدر لايقنع بنَقْل هذه الكلمات المعينة والعبارات الثابتة في كل مرة كما هي دون تغيير. فلو فعل لنفذ ما يختزنه منها ولعجز عن التعبير عما يريد، ومن ثم فقد مَرِن على أن يحلّ كلمة لها نفس الإيقاع محلّ أخرى، وهذا يؤدي إلى خلق نوع جديد من الكلمات والعبارات مشتقّ من النوع الأول «الكلمات المعينة والعبارات الثابتة» ويمكن تمييزه وردّه إلى النوع الأول عن طريق وجود كلمات متشابهة تماما داخل نفس البحر، بل في موقع التفعيلة من البحر (أي التفعيلة الأولى أو الثانية أو الثالثة في الشطر الأول أو الثاني)، وأحياناً يصعب التمييز بينهما، ومن أمثلة هذا النوع:

ياعَمْرُو — المفضليات، ص: ٣٢١، بيت: ٣

يابُؤس — ديوان امرئ القيس، ص: ١٢١، بيت: ١

ياذاتَ — المفضليات، ص: ٨٨٦، بيت: ١

بالدار — ديوان زهير، ص: ٩٧، بيت: ٢

لاالدارُ — ديوان زهير، ص: ٩٧، بيت: ٢

أوْدى الشبابُ الذي

المفضليات، ص: ٢٢٦، بيت: ٣

إنَّ الشبابَ الذي

المفضليات، ص: ٨٤٨، بيت: ٥

هو الجوادُ الذي

ديوان زهير، ص: ٩٧، بيت: ١٣

لولا الهُمامُ الذي

ديوان النابغة، ص: ١٦، بيت: ٩

عَفَتِ الديارُ — معلقة لبيد، بيت: ١

عفت الديار — ديوان امرئ القيس، ص: ١٤٤، بيت: ١٠

أَسَلُ الدِّيارَ

ديوان عنترة، ص: ٤١، بيت: ٢

نَبْكِي الديارَ

ديوان امرئ القيس، ص: ١٥٧، بيت: ٤

هل بالديارِ

المفضليات، ص: ٤٨٥، بيت: ١

لِمَن الديارُ

ديوان زهير، ص: ٨١، بيت: ١

لِمَن الديارُ

المفضليات، ص: ١٩٠، بيت: ١

لَمن الديّارُ

المفضليات، ص: ٢٦٣، بيت: ١

لِمَن الديارُ عَفَوْنَ بالجَزْع

المفضليات، ص: ٨٢٦، بيت: ١

لَمن الديارُ غَشِيتُها بالأَنْعُم

المفضليات، ص: ٦٧٧، بيت: ١

ألا يادِيارَ الحَيِّ

المفضليات، ص: ٥٢٠، بيت: ١

غَشِيتَ ديارَ الحَيِّ

امرئ القيس، ص: ١٢١، بيت: ١

غَشِيتُ ديارَ الحَيِّ

لبيد، ص: ٢١٢، بيت: ١

تَبِيتُ إماءُ الحَيِّ

ديوان طرفه، ص: ٦٦، بيت: ٥

وجالَتْ عَذارى الحَيِّ

ديوان طرفة، ص: ٦٦، بيت: ٧

وقال العَذارَى

ديوان زهير، ص: ٩١، بيت: ٣

كَمَشْيِ العذارَى في المُلاء المُهَدّبِ

ديوان علقمة، ص: ١٠٥، بيت: ٣٢

كمشي العَذارَى في الملاء المهدب

ديوان امرئ القيس، ص: ١١٨، بيت: ٤٤

عَذارَى دُوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

معلقة امرئ القيس، بيت: ٥٨

رَواهِبُ عِيدٍ في مُلاءٍ مُهَدَّبِ

ديوان امرئ القيس، ص: ١١٨، بيت: ٤٣

وظَلَّ نِساءُ الحَيِّ

المفضليات، ص: ٣١٨، بيت: ١٣

يظَلُّ نساءُ الحَيِّ

ديوان طرفة، ص: ٧١، بيت: ٣

لَعَمْري لنِعْمَ الحَيّ

ديوان النابغة، ص: ٨، بيت: ٥

لعمري لنعْم الحيّ

معلقة زهير، بيت: ٣٣

وحان مِن الحيِّ الجَميع

المفضليات، ص: ٦٠٢، بيت: ١

جـ ـ كلمات متجانسة الإيقاع:

إذا حلَّت كلمة من عبارة ما محلَّ أخرى في عبارة ثانية وَكثُر هذا الإحلال كثرة مفرطةً، وخلت العبارتان من كلمة متماثلة في كلتيهما تربط بينهما، لَقِيلَ إنَّ ذلك أبعد ما يكون عن مفهوم «الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas). غير أننا كثيرا ما نجد عبارتين تخلوان من هذه الكلمة المشتركة، ولكن يمكن استخدام كلٍّ منهما على زنة تفعيلة[40] ما وفي إطار قاعدة نحوية واحدة[41]. مثل هذه العبارات يطلق عليها «كلمات متجانسة الإيقاع (Structural Formulas)»[42]. ولما كانت اللغة العربية تعتمد أساسا على الاشتقاق فقد شاعت فيها بوفرة «الكلمات المتجانسة الإيقاع» وإذا اسْتُخدِمَن هذه الكلمات المتجانسة في سياق نحوي واحد لنَجَم عن ذلك ما يُسَمَّى بـ (Structural Formulas)، كلمات متجانسة الإيقاع:

عَفت الديارُ

معلقة لبيد، البيت: ١

عفت الديار

ديوان امرئ القيس، ص: ١٤٤، البيت: ١٠

لَعِبَ الزمانُ

ديوان زهير، ص: ٨١، البيت: ٢

طَرَقَ الخيالُ

المفضليات، ص: ٥١٥، البيت: ١

زَعْم الغُداف
ديوان النابغة، ص: ٩، البيت: ٣
زَعْم الهُمام
ديوان النابغة، ص: ١٠، البيت: ٢٢
حانَ الرحيلُ
ديوان النابغة، ص: ٩، البيت: ٥
كَذِبَ العَتيقُ
ديوان عنترة، ص: ٣٥، البيت: ٣
سَقَطَ النَصيفُ
ديوان النابغة، ص: ١٠، البيت: ١٧

على ظَهْرِ أرضٍ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٢١، البيت: ٦
على ظَهْرِ بازٍ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٤٢، البيت: ٢٤
على ظَهْرِ ساطٍ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٤٢، البيت: ٢٣
على ظهرِ مَحْبُوكٍ
ديوان زهير، ص: ٩٢، البيت: ٢١
على فَرْجِ مَحْرُومٍ
ديوان زهير، ص: ٧٩، البيت: ١٠
على كلِّ مَقْصُوصٍ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٣٠، البيت: ٤٨
إلى كُلِّ مَحْبُوكٍ
ديوان لبيد، ص: ١٩٧، البيت: ٢٦
إلى جِذْرِ مَدْلُوكٍ
ديوان زهير، ص: ٧٩، البيت: ١٤

وبيتٍ يَفُوحُ المِسْكُ في حَجراتِهِ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٤١، البيت: ١٤
وبيت يفوح المسك من حجراته
ديوان امرئ القيس، ص: ٢٠٦، البيت: ١
تَرَى بَعَرَ الأرامِ في عَرَصاتِها
معلقة امرئ القيس، البيت: ٣

تَبِيافاً تَزِلُّ الطيرُ عن قُذُفاتِهِ
ديوان امرئ القيس، ص: ١٣١، البيت: ٦٠
تَزِلُّ الوُعُولُ العُصْمُ عن قُذُفاتِهِ
ديوان النابغة، ص: ١٢، البيت: ١٥
عَليهِنَّ المَجاسِدُ والبُرودُ
المفضليات، ص: ٤٦١، البيت: ٦
عليهن المجاسد والحريرُ
المفضليات، ص: ٨٣٥، البيت: ٢٠
بها تَربُو الخواصِرُ والسَّنامُ
المفضليات، ص: ٦٥٤، البيت: ١٩
ذَكَرتُ به الفوارِسَ والنَّدامَى
ديوان لبيد، ص: ١٢٣، البيت: ٣
فيُمْنٌ فالقَوادِمُ فالحِساءُ
ديوان زهير، ص: ٧٥، البيت: ١

٤ ـ كلمات تقليدية شائعة:

يمتلىء الشعر الجاهلي بكلمات معينة، وأُخر تعود في اشتقاقها إلى أصل واحد يستخدمها الشعراء كثيرا ليعبروا بها عن صور تقليدية وأفكار معينة، ومن الصعب أحيانا أن تتوافر أمثلة من هذه الكلمات مستخدَمةً داخل نفس الوزن الشعري، حتى يَصِحّ أن نسميها Formulaic، وأحيانا أخرى قد تُستعمَل كلمةٌ ما مع مجموعة معينة من الكلمات في بحر ما من بحور الشعر، ثم تظهر نفس هذه الكلمة ولكن في سياق مجموعة أخرى من الكلمات وفي بحر مباين تماما للبحر الذي اسْتُخدِمت فيه الكلمةُ من قبل. وكثرة دوران مثل هذه الكلمات وارتباطها دائما بأداء معانٍ متشابهة يُوحِيّ بأنّ انتظامها في Formulaic Construction أمر قريب الاحتمال.

عندما قام العلماء بتحليل شعر هوميروس كانت أمامهم مادة غزيرة قِوامها سبعة وعشرون ألف بيت، أما الشعر الجاهلي فهو شديد القِلّة، محدود التّنوع. ولم يتيسر للدراسة سوى خمسة آلاف بيت، ولو أتيح لها أكثر من ذلك لكانت نسبة الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) أكثر وأظهر، ولأمكن سَلْك كثير من الكلمات في إطار نوع جديد من الـ Formulas. ولكن لما

كانت طبيعة هذا النوع من الكلمات لم تتحدد بوضوح بعد فسوف تُذكر فيما يلي كنوع مستقل قائم بذاته:

بِمنىً تأبّد

(كامل) معلقة لبيد، البيت: ١

تأبّد

(وافر) ديوان النابغة، ٢٠، البيت: ٣

فوقفتُ أسألُها

(كامل) معلقة لبيد، البيت: ١٠

فوقفتِ فيها كي أُسائلَها

(كامل) المفضليات: ٨٢٧، البيت: ٦

وقفتُ أسائلُها ناقتي

(متقارب) المفضليات: ٣٥٥، البيت: ٣

بِسِقْطِ اللّوى

(طويل) معلقة امرئ القيس، البيت: ١

فَسال اللّوى لهُ

(طويل) معلقة امرئ القيس: ١٣٨، البيت: ٥

بَيْنَ اللّوى فَصَريمَةٍ

(طويل) ديوان امرئ القيس: ١٢٥، البيت: ١١

بالصَّريمَةِ فاللّوى

(طويل) المفضليات: ٤٢٢، البيت: ٣

بالشَّرْبَةِ فاللّوى

(طويل) ديوان زهير: ٨٣، البيت: ٩

سارتْ ثلاثاً مِن اللّوى

(طويل) ديوان زهير: ٨٠، البيت: ٢٩

بمُنْعَرجِ اللّوى

(طويل) المفضليات: ٢٣، البيت: ٦

ومن الأمثلة السابقة يتضح أن (الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) في الشعر المرويّ لاعلاقة لها بتفعيلات العروض التي أوجدها الخليل بن أحمد، فليست كل منها على زنة تفعيلة محددة، لأن الشاعر الراوي لاعلم له بتقطيع الشعر. ولكنه حين يضم هذه الكلمات وتلك العبارات بعضها إلى بعض مُراعيا في ذلك الإيقاعَ تتكوّن لديه أبياتٌ من الشعر، فمثلا كثيرا ما يحتوي البحر البسيط على اثنتين من الـ Structural Formulas (أي الكلمات المتجانسة الإيقاع) هما:

(١)

غُلْبٌ سَواجِدُ

ديوان لبيد: ٥٦، البيت: ٧

خَلْفَ المَضاربِ

ديوان النابغة: ١٤، البيت: ٥

سُودُر الذَّوائبِ

ديوان لبيد: ٥٥، البيت: ٤

(٢)

مَحْمودٌ مَصارِعُهُ

ديوان لبيد: ٥٨، البيت: ٢١

مَنْكُوباً ذوابُرها

ديوان زهير: ٨٥، البيت: ١٨

مَرْفُوعاً نَصائِبُهُ

المفضليات: ٨٤٨، البيت: ٧

ومزج هذين النوعين يؤدّي إلى خَلْق مِصراع من البسيط:

شِيبِ المبارِكِ مَدْرُوسٍ مَدافِعُهُ

المفضليات: ٢٤٢، البيت: ٢٨

وكذلك تتردد في البحر الكامل ثلاثة نماذج من الـ Formulas ترددا واسعا، هي:

(١)

عَفَتِ الدِّيارُ

ديوان امرئ القيس: ١٤٤، البيت: ١٠

أَسَلِ الديارَ

ديوان عنترة: ٤١، البيت: ٢

نَبْكِي الديارَ

ديوان امرئ القيس: ١٥٧، البيت: ٤

(٢)

أرْضِها وسمائِها

المفضليات: ٤٧٩، البيت: ٤

حَيِّها ونسائِها

المفضليات: ٤٨٠، البيت: ٥

كَهْلُها وَوليدُها

المفضليات: ٣١١، البيت: ٢٧

(٣)

غـلـلاً تـقـطّـع

المفضليات: ٥٥، البيت: ٨

جُـرْد تـكـدَّس

المفضليات: ٧١٩، البيت: ٩

هـضـب تُـقـضَـرُ

المفضليات: ٢٢٣، البيت: ٣٨

وبتعديل طفيف لهذه النماذج الثلاثة استطاع لبيد أن ينظم البيت الأول من معلقته

عفتِ الديارُ مَحلُّها فمقامُها بمِنىً تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها

١ ٢ ٣ ٢

ويجب أن نتنبه إلى أن (الكلمات المعينة والعبارات الثابتة ـ Formulas) ليست قاصرة في اللغة العربية على الصفات والنعوت، بل هي أوسع من ذلك مدى، فتشمل كل شيْ في العربية: الأسماء والأفعال والحروف. وهي تكثر (أي الـ Formula) في شعر بعض الشعراء دون البعض الآخر، وقد وجد لُورْد ـ أثناء دراسته للشعر اليوغوسلافي المرويّ ـ أنه بالرغم من توفّر (الكلمات والعبارات ـ Formulas) وشيوعها، فإنّ الشاعر لا يحيط بها جميعا ولا يستخدمها كلها[٣]. كما أثبت منتديز بدلا من دراسته للشعر الغنائي في أسبانيا أن عدد الـFormulas وتنوعها في الشعر يختلف من منطقة إلى أخرى، ومن ثم فإنّ الشعر المرويّ يعكس الخصائص المحلية والمكانية والقَبَلية ويبين عن أسلوب ناظمه. ودراسته (الكلمات والعبارات (Formulas) في الشعر الجاهلي تؤكد هذه النظرية وتدعمها. وقد قسّم فون جرنباوم الشعراء الجاهليين إلى ست مدارس واتخذ الأسلوب والمعنى واللغة أساسا لهذا التقسيم[٤]. والتشابه الذي أظهره بين أسلوبيْ امرئ القيس وعلقمة، وهما من أوائل الجاهليين (ولد كلاهما سنة ٥٠٠م) يتضح الآن ويتأكد تماما في ضوء نظرية الـ Formula. كما أن بعض متأخري شعراء الجاهلية كالنابغة وزهير ولبيد قد استعملوا نفس (الكلمات والعبارات ـ Formulas) وقد تتيح لنا الدراسة المنظمة (للكلمات والعبارات — Formulas) في العصر الجاهلي أن نحل مشكلة ترتيب الشعراء في مدارس حسب أزمانهم.

ولو فرضنا أن جميع المنشدين لايستخدمون (كلمات وعبارات ـ Formulas) واحدة، فمن الممكن إدراج هذه «الكلمات والعبارات» المختلفة في نوع من الـ (Formulas) أعم وأشمل، تتكشف لنا من خلاله العلاقات الدقيقة بينها، وانتماؤها إلى أصل أدبي واحد. وأكثر هذه «الكلمات والعبارات» وضوحا وثباتا تلك التي تعبر عن معان مطروقة في الشعر، وهي ـ أي الكلمات والعبارات ـ تظهر في أوائل القصيدة لأن الشاعر قد لايتاح له أن ينشدها إلى آخرها بسبب ملل المستمعين أو انصرافهم. وكل قسم من أقسام القصيدة العربية يختص (بكلمات وعبارات Formulas)، فلِقسم «النَّسيب» مثلا كلماتهُ، ولقسم «الرحيل» عباراتهُ، وهكذا، ولكم من الممكن سَلْك ذلك كله في مجموعات ضخمة من الكلمات والعبارات تعود في أصولها إلى اشتقاق واحد، ومن ثم فإن إحلال كلمة محلّ أخرى شيْ جوهري للشاعر الراوي لأن ذلك يتيح له أن يستخدم قدرته الفنية بطريقة خلّاقة بدلا من أن يعتمد أساسا على ما اختزنه في ذاكرته.

واستعمال الكلمات المعينة والعبارات الثابتة Formulaic Process في الشعر الجاهلي لايشيع فقط في البيت أو شطره، بل في التفعيلة نفسها أيضا، لأن الشاعر إذا استخدم كلمات ذات إيقاع معين أعاد تكرارها في المصراع التالي، وهكذا نجد أسماء وأفعالا وأدوات وعبارات كاملة تُستعمل في المصراع الأول ثم تتكرر بأعيانها في أول المصراع الثاني، كما يتضح من الأمثلة التالية:

فلَمْ أرَ مَعْشَراً أَسَروا هَـدِياً ولَمْ أرَ جـارَ بَيْتٍ يُسْتَبـاءُ
وجارُ البيتِ والرجلُ المنادِي

(ديوان زهير، ص: ٧٨، ب: ٥٢، ٥٣)

وقـد غَـدَوْتُ عـلى قِـرْني يُـشَـيِّـعُـني
وقـد عَـلَوْتُ قُـتُـودَ الـرحْـلِ يَسْفَعُني

(ديوان علقمة، ص: ١١٣، ب: ٤٤، ٤٥)

منعتَ الليثَ من أكْلِ ابنِ حُجْرٍ وكاد الليثُ يُودِي بابنِ حُجْرِ
مَنَعْتَ وأنتَ ذو مَنٍّ ونُعْمَى

[٥] (ديوان امرئ القيس، ص: ١٣٢، ب: ١-٢)

مُجَاوَرَةَ بني شَمَجَى بن جَرْم
وبَقْنها بنو شَمَجي بن جرم
(ديوان امرئ القيس، ص: ١٤٣، ب: ٢، ٣)

زَعَمَ الغُدافُ بأَنَّ فاها باردٌ
زعم الغُداف ولم أَذُقْهُ أنهُ
زعم الغداف ولم أذقه أنه
(ديوان النابغة ص: ١٠، ب: ٢٢، ٢٣، ٢٤)

من المعروف أن كل بيت في القصيدة ينتهي بنفس القافية، ولكن الصلة الموسيقية بين نهاية البيت وبداية الذي يليه تكاد تنعدم في الشعر الجاهلي، لذا يربط الشاعر بين أبياته بحروف العطف، أو بتكرار كلمة جاءت في بيت سابق. وهذه سمة من سمات الشعر المرويّ، كما لاحظ لورْد[١٦].

ولكن كيف استطاع الشاعر الجاهلي أن يمتلك هذا المخزون الهائل من الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) ويستخدمه بأقتدار في بحور الشعر كلها؟ هل لكل بحر من هذه البحور كلمات معينة وعبارات ثابتة لا تُستخدَم ألا فيه؟ أم أن هذه الكلمات والعبارات سابقة في الوجود على زمان البحور؟ يبدو أن الفرض الثاني أقرب إلى الإحتمال، فترتيب الكلمات والعبارات ترتيبا معينا ينتج عنه نشوء بحر من البحور.

وقد اختار الدكتور منرو أربعة من أكثر بحور الشعر دوراناً في العصر الجاهلي وهي الطويل والكامل والوافر والبسيط، ثم أخذ من كل بحر عبارات معينة، وقابلها على عدد ضخم من الأبيات على نفس البحور، فوجدها متشابهة (Formulas)، كما يتضح من الأمثلة التالية:

أَرْضِها وسَمائِها
الكامل (المفضليات: ٤٧٩، ب: ٤)

بَدْؤُها وعِيادُها
الطويل (المفضليات: ٧٤٨، ب: ٢٠)

بالجَلْهَتَيْن
الكامل (معلقة لبيد، ب: ٦)

بالجَلْهَتَيْن
الطويل (ديوان لبيد: ١٩٦، ب: ٧)

ذِكْرَى حَبِيبٍ
الطويل (معلقة امرئ القيس، ب: ١)

ذِكْرَى حَبِيبٍ
البسيط (ديوان امرئ القيس: ١٢١، ب: ١١)

وَقَفْتُ بها
المتقارب (المفضليات: ٨٣٧، ب: ٣)

وَقَفْتُ بها
الوافر (ديوان النابغة: ٣٠، ب: ٣)

وبتعديل طفيف في هذه العبارات يَصْلُح استعمالُها في بحر مختلف، فالعبارة الأخيرة مثلا «وقفت بها» إذا أُضيفت لها «فاء» في أولها، وأشبعت «الكسرة» في «بها» لتصبح «فيها»، دخلت في بحر الكامل:

فَوَقَفْتُ فِيها
الكامل (المفضليات: ٨٢٧، ب: ٦)

فَوَقَفْتُ فِيها
الكامل (معلقة عنترة، ب: ٣)

ومن هنا قد يصح الاستنتاج أن ترتيب الكلمات والعبارات (Formulas) هو الذي يحدّد البحر. ومن الملاحظ أن هناك كلمات بأعيانها تتكرر كثيرا في بحور بذاتها، وهذه الظاهرة من العلاقات المميزة للشعر المرويّ، فقد لاحظ باري أن هوميروس يستعمل بكثرة كلمات مترادفة في بحور معينة، بينما يستخدم مترادفات أخرى في بحور مختلفة[١٧]. وهذا يعني أن استعمال المترادفات لم يكن لمجرد التأثير، ولكن كان لغرض محدد. وغنيّ عن البيان أنّ الشعر الجاهلي يزخر بالمترادفات، ولو أنعمنا النظر في هذه المترادفات لوجدناها تدور كثيرا في بحور معينة دون اخرى، فمثلا كلمة «طَلَل» ومترادفها «دِمَن» تقعان كثيرا في البحر الطويل والبحر الوافر، بينما تجيء كلمة «الديار» في البحر الكامل:

لِمَنْ طَلَلٌ
الوافر (ديوان زهير: ٩٩، ب: ١)

لمن طلل
الوافر (ديوان لبيد: ١٢٣، ب: ١)

لمن طلل
الطويل (ديوان زهير: ٩١، ب: ٥)

لِمَنْ دِمَنٌ
الطويل (المفضليات: ٥٥٩، ب: ١)

لِمَن الديارُ
الكامل (ديوان امرئ القيس: ١٥٧، ب: ١)

لمن الديار
الكامل (ديوان زهير: ٨١، ب: ١)

لمن الديار
الكامل (المفضليات: ١٩٠، ب: ١)

لمن الديار
الكامل (المفضليات: ٢٦٣، ب: ١)

ولما كانت الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) سابقة في الظهور على البحور، يمكن تعديلُها أحيانا باستعمال المترادفات لتناسب بحرا ما. ومما لاخلاف فيه أن هذه الكلمات والعبارات مختزنة في ذهن الشاعر قبل أن ينظم بيت شعر، وبمساعدة الإيقاع يسلكها في نَسَق معين يتولّد عنه بحر من بحور الشعر. فأذا صح هذا الكلام، أمكن تفسير اضطراب الأوزان في الشعر العربي تفسيرا أبسط مما قدمه العروضيون ولنأخذ مثالا ببحر الكامل، فكل تفعيلة فيه تبدأ أما بمقطعين قصيرين، أو بمقطع واحد طويل. ويشيع في البحر الكامل التركيب التالي: فِعْل + أداة التعريف + اسم على هذه الصورة:

ه ـ ه ـ ال ه ـ ه ـ ـ ه ـ ـ، مثل

لَعِبَ الزمانُ (ديوان زهير: ٨١، ب: ٢)
طَرَقَ الخيالُ (المفضليات: ٥١٥، ب: ١)

ولما كان المفرد المذكر للغائب في الفعل الماضي الأجوف هو ه ـ ـ ه ـ، لا ه ـ ه ـ ه ـ كالفعلين في المثالين السابقين، فكثيرا ما يحل الفعل الأجوف محلّ الفعل الصحيح، مثل:

حانَ الرَّحيلُ (ديوان النابغة: ٩، ب: ٥)

وإحلال كلمة محل أخرى تساويها أو تقاربها في نفس السياق النحوي أمر شائع في اللغة العربية، وهذا يؤدّي بدوره إلى خَلْق كلمات وعبارات (Formulas) تتميز باضطرابات عروضية بسيطة لايستطيع الشاعر الراوي أنْ يتلافاها، فلا وقت لديه لمراجعة شعره وصقله.

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون قد تنبّه إلى الأساليب الفنية التي يستخدمها الشاعر الراوي، قال:

ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه. ولايرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية. وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصور ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعله البنّاء في القالب أو النسّاج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه... وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء، وإنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبّع التراكيب في شعر العرب، لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر[١٨].

فابن خلدون يرى أن الأسلوب الشعري لاعلاقة له بالنحو أو البلاغة أو العروض، وهي العلوم الثلاثة التي كان للشاعر العربي أن يحيط بها. وإنما الأسلوب الشعري هو اقتدار الشاعر على استدعاء الكلمات والعبارات (Formulas) وإحلال إحداها محل الأخرى.

«تحليل إحصائي للشعر الجاهلي»

لما كان جَمع كل الشعر الجاهلي أمرا بالغ الصعوبة، فقد اكتفى الدارسون بشعر الشعراء الستة الذين نَشَر ألْوَرْد ديوانهم: النابغة، عنترة، طرفة، زهير، علقمة، امرؤ القيس، ثم ديوان لبيد وكتاب المفضليات. ورَأوْا أن هذا الاختيار ملائم، لأنه

يشمل قرنا من الزمان أو يزيد: من بداية القرن السادس حتى أوائل القرن السابع. ولكن ـ على هذه الملاءمة ـ أعربوا عن خشيتهم أن التحليل الإحصائي لن يكون دقيقا أو مُبينا لأن عدد الأبيات التي اعتمدوا عليها قليل بالقياس مثلا إلى شعر هوميروس. وبينما استطاعوا عرض عشرة أبيات من البحر الطويل كنموذج على ٢٥٢٠ بيتا من نفس البحر، فإنهم لم يتمكنوا إلاّ من مقابلة عشرة أبيات من الكامل على [١١٥٧] بيتاً فقط من نفس الوزن، هي كل ما وجدوه، وبالتالي كانت نسبة الكلمات والعبارات (Formulas) في كلا البحرين ٨٩,٨٦٪ و٨٢,١٢٪ على الترتيب، ولو كانت الأبيات المتاحة في البحر الكامل أكثر لكانت النسبة أعلى. والتحليل الإحصائي كما يلي:

١ ـ أُخِذ نموذج من شعر امرئ القيس ولبيد وزهير والنابغة من البحر الطويل والبسيط والكامل والوافر. واختيرت هذه البحور بالذات لأنها أكثر استعمالا في الشعر الجاهلي من غيرها، فقد وجدتْ الباحثة ماري بتْسون أن البحر الطويل يشكّل نسبة ٥٠,٤١٪ من مجموع الشعر الجاهلي، بينما يمثل الكامل ١٧,٥٣٪، أما البسيط والوافر فيمثلان ٧٧ ,٢٤٪[٤٩].

٢ ـ قُوبلت الأبيات العشرة الأولى من معلقة لبيد على [١١٥٧] بيتاً من البحر الكامل، جُمعت من ديوان لبيد نفسه، ومن أشعار النابغة وعنترة وعلقمة وطَرفة وزهير وامرئ القيس، ومن أشعار شعراء آخرين عاشوا في نفس الفترة. كانت نتيجة هذه المقابلة أن ٨٢,٨١٪ من شعر لبيد ـ الذي أُخِذ كنموذج ـ تشيع فيه كلمات معينة وعبارات ثابتة (Formulas).

٣ ـ عُورضت الأبيات العشرة الأولى من معلقة امرئ القيس بـ ٢٥٢٠ بيتا من نفس البحر، أُخِذت من ديوان امرئ القيس ومن دواوين الشعراء الستة، ومن أشعار سائر الشعراء الجاهليين. أوضحت هذه المعارضة أن ٨٩,٨٦٪ من أبيات امرئ القيس تحتوي على كلمات معينة وعبارات ثابتة (Formulas).

٤ ـ قُورِنَت الأبيات العشرة الأولى من القصيدة رقم: ١٨ في ديوان زهير بثمانمئة بيت من نفس البحر الوافر، تضم كل شعر زهير ـ الذي على هذا الوزن ـ وأشعار الستة الجاهليين وغيرهم أسفرت هذه المقارنة أن ٩٢,٥٩٪ من شعر زهير ـ الذي أُخِذ كنموذج ـ يتضمن كلمات معينة وعبارات ثابتة (Formulas).

٥ ـ ضُوهِيَت الأبيات العشرة الأولى من القصيدة الخامسة في ديوان لبيد، وهي من البحر البسيط بـ ٦٤٦ بيتا من نفس البحر، تتضمن كل شعر لبيد الذي جاء على هذا الوزن، وشعر الشعراء الستة الجاهليين، وغيرهم. أوضحت هذه المضاهاة أن ٨٥,٦٢٪ من شعر لبيد المضاهي هو كلمات معينة وعبارات ثابتة (Formulas).

يعتقد بعض الدارسين أن الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) ما هي إلا شيْ مفروض على الشاعر، تُمْليه عليه طبيعة البحر، أي أن البحر هو الذي يحدد هذه الكلمات والعبارات. ولو صح هذا، لكانت نسبة الكلمات والعبارات التي تجئ في شعر الشاعر الراوي (أي الأمّي) والشاعر الكاتب (الذي يعرف القراءة والكتابة) واحدةً. أما إذا قَبِلنا النظرية التي تقول إن الشاعر الراوي يستعمل كلمات معينة وعبارات ثابتة ليخلق بحراً من البحور، بينما الشاعر الكاتب يستعمل كلمات ـ يأتي بها هو ـ في بحور موجودة فِعْلاً، اذا قبلنا هذه النظرية وجدنا أن نسبة شيوع الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) أعلى بكثير بين الشعراء الأميين منها بين الشعراء بين الشعراء الكاتبين.

ولاثبات هذا الغرض أخذ الدارسون الابيات العشرة الاولى من معلقة امرئ القيس وقارنوها بـ ٥٧٤ بيتاً ـ على نفس الوزن ـ من الشعر الجاهلي، فوجدوا أن نسبة الكلمات المعينة والعبارات الثابتة فيها هي ٣٣,٢٤٪، ثم قارنوا هذه الأبيات العشرة نفسها بـ ٣٤٨ بيتا من شعر أبي نؤاس والمتنبي وابن زيدون والبارودي ـ وكلهم شعراء كاتبون ـ فوجدوا أن نسبة الكلمات والعبارات (Formulas) هي ٩,٢٢٪ فقط.

ثم اتبعوا نفس الطريقة في البحر الكامل، فعارضوا الأبيات العشرة الاولى من معلقة لبيد بـ ٢٩٩ بيتا من الشعر الجاهلي من نفس الوزن، فأستبان لهم أن نسبة الكلمات والعبارات (Formulas) هي ٣١,٣٢٪، بينما لم تتجاوز هذه النسبة ٩,٦٤٪ من شعر الشعراء الكاتبين المذكورين قَبْلُ.

بلغت نسبة الكلمات والعبارات التي فُحِصَت هنا ٨٧,٥٤٪ وانطبقت على ٩٥,٣٨٪ من الشعر الجاهلي. ولو نظرنا إلى هذه الكلمات والعبارات التي استعملت في البحر الكامل لوجدنا نسبتها هي ٣١,٣٢٪ من الشعر الجاهلي كله، ولكنها لاتشكل إلا ٩,٦٤٪ من شعر الشعراء الكاتبين. ومن ثم

يمكن القول إن الشاعر الأمّي الجاهلي يستعمل الكلمات والعبارات (Formulas) ثلاثة أضعاف استعمال الشاعر الكاتب لها.

* * *

والكلمات والعبارات (Formulas) التي استعملها الشاعر الجاهلي مستمدة من تراث تكاتفت أجيال على خلقه بحيث أصبح مَعِينهُ طَوْعَ الشعراء، وليس الأمر كذلك مع الشعراء الكاتبين، أيْ أن الشاعر الجاهلي يعتمد على وسائل فنية جماعية قد هُيِّئَت وأُعِدّت له، لا على كلمات يستمدها من ذات نفسه. ولاشك أن عدم تميز الشاعر الجاهلي عن غيره في أسلوبه وخصائصه. على عكس ما نجد عند أبي نؤاس والمتنبي مثلا - يدل على هذا المصدر الجماعي الذي استقى منه الجميع، وهذا بدوره سمة بارزة من سمات الشعر المرويّ.

ومن هنا يمكن القول بأن الشعراء الجاهليين كانوا رواة، يعتمدون على هذا المخزون الهائل من الكلمات والعبارات (Formulas)، ويرتجلون أشعارهم خلال وقت الإنشاد، لا أنهم يحفظون أشعاراً بعينها يردّدونها كما هي، على عكس شاعر العصر العباسي الكاتب الذي من خلال مراعاته الدقيقة لقواعد النحو والعروض والبلاغة استطاع أن يخلق لنفسه أسلوبا متميزا وخصائص متفردة. وفي حين استعمل الشعراء الجاهليون بحرية نفس الكلمات والعبارات لأنها ليست ملكاً لأحد وانما حقٌ مُشاع للجميع، وجد الشاعر العباسي الكاتبُ نفسَه أمام نقّاد يتهمونه بالسرقة إنْ أجتلب كلمة أو عبارة أو فكرة من شاعر آخر. ويجب أن نفسّر الكلمات المتجانسة الإيقاع (Structural Formulas) التي تشيع في شعر الشعراء الكاتبين بأنها تقليد واع أو غير واع لأدبهم الموروث، أعْداهم على استعمالها حِفْظُهم ومدارستهم لذلك الأدب.

وكان بعض النقاد يرون أن الأصالة الحقّة في الشاعر تكمنُ في مقدرته على تجديد أو إضافة لصورة من صور الشعر القديم، وطالبوا الشاعر أن يتمسك بشكل القصيدة الجاهلية وبالموضوعات التي عالجتها، ولكن كان عليه ان يعبر عن ذلك بكلمات وعبارات مغايرة لما يقلده وإلا اتهموه بالسرقة. ولهذا اجتهد الشاعر العباسي الكاتب في أن يستمد لغته وعباراته من نفسه، ويتحاشى ما أنهاه إليه الجاهليون. والمعروف أن أباتمام والمتنبي قد جدّدا في أشعارِهما والمعروف أيضا أنهما قد أتيا في هذه الأشعار بما استهجنه النُقاد كقول المتنبي في ختام مديحه لهارون الأوراجي:

لو لَمْ تكُنْ من ذا الورى اللّذ منْك هُو عقِمتْ بمولِد نسْلِها حوّاءُ

والبيت من الكامل، وشطره الأول وَعْر خشِن، لايحتوي على أيه كلمات أو عبارات (Formulas) مستمدة من العصر الجاهلي، أما شطره الثاني فيحتوي على واحدة فقط «نسلها» جاءت في معلقة لبيد، أعادت للبيت سلاسته. وقد ساعدت هذه الكلمة - لأنها مستمدة من تراث قد جُرِّب وقبل - على أن تحفظ توازن البيت وتَعْدل كِفّة الخشونة في الشطر الأول. ولما هجر الشعراء استعمال صيغ الشعر المرويّ فيما بعد نظراً لشيوع الكتابة، واتجاههم إلى الخلق والابتكار، أصبح لكل منهم أسلوبه المتميز.

وبما أن الشعراء المحدثين لم يستوعبوا الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) التي استعملها الجاهليون، وبما أنهم جددوا وابتكروا وأوجدوا لأنفسهم أسلوبا متميزا، يحق لنا أن نقول إن الشعر الجاهلي صحيح، ولم يكن في مقدور هؤلاء الشعراء الكاتبين أن يزيفوه.

والشعر المرويّ في كل الآداب ليس له «نصّ» ثابت، فالشاعر عند كل إنشاد يدخل تعديلات قد تقل أو تكثر على القصيدة. والقصيدة نفسها يطرأ نوع من التغيير على مدى الزمن المتطاول وتبعا لتغيّر ثقافة الأمة عبر هذا الزمن، ولكنها - رغم هذا التغيير - تحتفظ بجوهرها وموضوعاتها الأساسية، فمثلا في الشعر الملحمي، تبقى «العُقْدة» كما هي مهما تبدلت أجزاء الملحمة. والشعر الأنجلو - ساكسوني السيمي يستعمل نفس الكلمات والعبارات (Formulas) التي استخدمها الشعر الأنجلو - ساكسوني الوثني قبل المسيحية، ولكن المسيحية هذبت من هذه الكلمات والعبارات بما يتمشى مع عقيدتها، ولذا نرى في قصيدة بيوُلْف Beowulf التي أُلِّفت قبل ظهور المسيحية، عناصر مسيحية واضحة. ونرى في الشعر القصصي الأسباني المسيحي الذي يتناقله اليهود في المغرب آثارا واضحة لتخليصه من السمات المسيحية. هذه المرونة لِتَقَبُّل كل جديد مع الاحتفاظ بالجوهر والأصل القديم سمة بارزة من سمات الشعر المرويّ. وعلى هذا

الضوء يمكن القول إن الأمر كان كذلك في الشعر الجاهلي، ومن ثم يمكن تفسير لماذا يشيع فيه ذكر «الله» والقسم به، ولماذا يحتوي على عبارات تكاد تكون آية قرآنية بنصّها. فالشعر الجاهلي قد استوعب عناصر إسلامية خلال القرون الاسلامية الأولى ليتخلص من العناصر الوثنية.

خاتمة

لم تُطبّق نظرية باري ـ لُورْد حتى الآن بصورة عامة إلا على الشعر الملحمي، أي الأشعار الطويلة ذات الطابع القصصي. ولعل طول القصائد المفرط هو الذي جعل ظهور أسلوب «الكلمات والعبارات ـ (Formulas)» أمرا ضروريا، فاعتماد الشاعر على الذاكرة وحفظه للقصيدة كاملة أمر لا يكاد يكون. ولكن الشعر الجاهلي شعر غير قصصي. وإنما هو في جملته شعر غنائي وَصْفِيّ، تتراوح طول قصائده بين بضعة أبيات إلى مائة بيت أو ما يقاربها. فالشعر الجاهلي ـ مثل الشعر القصصي الأوروبي وأغاني تودا الهندية ـ قليل عدد الأبيات بحيث يسهل حفظها، ومن ثم فإن أمر الاعتماد على الذاكرة في حفظه وتداوله يبدو أمرا مقبولا غير مدفوع. ومن ثم فلا بد من تعديل طفيف في نظرية باري ـ لُورْد فيما يختص بتطبيقها على الشعر الجاهلي.

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الشعر الجاهلي شعر مرويّ، يحتوي على نسبة عالية من الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) ولايعني اختلاف الروايات واختلاف ترتيب الأبيات في النسخ المختلفة للديوان الواحد أن ذلك الاختلاف ناشئ عن تغيير وتبديل في الكلمات والعبارات (Formulas)، كما أشرنا عن الشعر الملحمي. فهذا الأمر في الشعر الجاهلي يدل على استقرار في «النصوص» لايعرفه الشعر الملحمي الطويل. وهذه الظاهرة ـ أي ظاهرة الاستقرار ـ يرى لُورْد أنها تميّز الشعر الملحمي القصير الذي يُغَنِّيه القصاص دواماً. في هذه الحالة يحفظ المنشدُ الشعرَ، ولكن هذا الحفظ غير مقصود لذاته، ولايكون إلا بعد اللجوء الى الوسيلة الفنية لتأليف الشعر المرويّ، أي اللجوء إلى الارتجال اعتمادا على الكلمات والعبارات السابقة الوجود (Formulas). فالحفظ والارتجال للأشعار القصيرة ليسا شيئين متناقضين، بل هما متلازمان يتمان بطريقة واعية حتى يستقر «النص» في ذهن الشاعر. وسواء كان الحفظ أو لم يكن، فالذي يجب أن نضعه نصب أعيننا هو أن الارتجال المعتمد على الكلمات والعبارات (Formulas) هو الطريقة الوحيدة المتاحة للشاعر الأميّ بغضّ النظر عن نوع هذا الشعر (قصصي ـ غنائي ـ وصفي .. الخ) والشكل الذي يتخذه. فمثلا لاحظ الدارسون أن الشعر الأسباني في العصور الوسطى سواء ملحميا أو قصصيا أو غنائيا استخدم كله نفس الكلمات والعبارات (Formulas). ولكن لما انقرضت طبقة الشعراء المحترفين الذين أجادوا فن الارتجال، مات معهم الشعر الملحمي، بينما استمر الشعر القصصي والغنائي نظرا لقصر قصائده التي يسهل حفظها في الذاكرة.

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الشعر العربي، فهناك الرواة الذين صانوا الشعر عن طريق حفظهم له، ولكن كان ذلك في مرحلة تالية لمرحلة خُلِقَ فيها هذا الشعر بالطريقة التي حاولت هذه الدراسة إثباتها هنا. وبعض هؤلاء الرواة لم يكونوا رواة فقط، بل كانوا شعراء مبتدئين، روَوْا شعر شاعر للتلمذة عليه، فلما استكملوا الأداة واستحكم فنّهم أصبحوا شعراء مشهورين كما نعرف عن كعب بن زهير. ونرى أن الشاعر خلال فترة التلمذة هذه يكتسب الكلمات المعينة والعبارات الثابتة (Formulas) التي سيستعملها فيما بعد.

وبناء على ما قُدّم هنا يكون الشعر الجاهلي صحيحا غير منحول، ولكنه لم يصل إلينا بالصورة التي كان عليها عندما نظمه الشعراء، وإنما على صورة قريبة دخلها تغيير وتبديل نتيجة للرواية، ومحاولة نزع العناصر الوثنية منه. لذلك يجب أن ندرس الروايات المختلفة لأي قصيدة على ضوء تاريخ ظهور هذه الراويات، وحسب التنقيح الذي أدخله صانعو الدواوين. وإذا اتضح أن هذه الاختلافات نتيجة لأختلاف المصادر التي استقى منها صانعو الدواوين، فيجب أن نقبل هذه الاختلافات على أنها كلها صحيحة، لأن البحث عن «نص أصلي» في الشعر المرويّ جهد ضائع لا مُحصّل وراءه.

وبعد، فهذه خلاصة النظرة الجديدة إلى الشعر الجاهلي، عرضتها كما هي. ولم أتدخل فيها، ولي ردّ مُفصّل إن شاء الله في القريب. وآمل أن يتصدى لها الدارسون بالبحث والنقد.

المصادر والهوامش

(1) Milman Pary, l'Epithete traditionelle dans Homere (Paris, 1928); Les formules et la metrique d'Homere (Paris, 1928); (Studies in the Epic Technique of Oral Verse — Making I: Homer au Homeric Style), Harvard Studies in Classical Philology, XLI (1930), PP. 74—147; (Studies in the Epic Technique of Oral Verse — Making II: the Homeric Language as the Language of Oral verse), HSCP, XLIII (1932).

(2) The Singer of Tales (Cambridge, Mass. 1964).

(3) Donald K. Fry (ed). The Beowulf Poet:A Collection of Critical Essays, (Englewood Cliffs, N.J), 1968.

(4) James H.Jones. (Commonylace Memorization in the Oral Tradition of the English and Scottish Popular Ballads,) Journal of Americon.

(5) Joseph Duggan. (Formulas in the Conronnement de Louis,) Romania, 1966, PP. 315 — 344, Tatiana Fotitch, (The Chanson de Geste in the Light of Recent investigation of balkan Epic Poetry,) Linguistic and literary Studies in Honor of Helmut A. Hatefeld, ed. A.S.Grisafulli, (Washington D.C) 1964.

(6) W.E.Meleod, (Oral Bards at Delphi) Transcations of the American Philological Association, Xcll, 1961, PP.317-325— James A.Notopoulos. (The Homeric Hymins as Oral poetry.) American Journal of philology, LXXXIII, 1962, PP. 334 — 368; Joseph A.Russo, (The Structural Formula in Homeric Verse.) Yale Classical Studies, XX: Homeric Studies, ed G. S. Kirk (New Haven), 1966, PP. 219 — 240.

(7) William Whallon, (Formulaic Poetry in the Old Testament,) Comparative literature, XV, 1963, PP. 1 — 14; (Old testament poetry and Heroic Epic,) Comparative Literature, XVIII, 1966, 113 — 131.

(8) انظر مثلا: James Ross, (Formulas Composition in Gaelic Oral Literature, Modern Philology LVII, 1959, PP. 1 — 12.

9) The singer of tales PP.126 — 127

(١٠) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٣ : ٢٨ - ٢٩ (تحقيق عبدالسلام هارون، ط. ثانية ١٩٦٠)

(١١) يعني سارجنت أن تدرس الشعر الجاهلي في ضوء ما ينظم الآن في الجزيرة العربية، حيث أن الطريقة التي نظم بها الشعر الجاهلي لم تتغير حتى الآن.

(12) R.B.Serjeant, South Arabian Poetry: I,Prose and Poetry from Hadaramawt (London, 1951), P.3.

(13) Serjeant, Ibid, PP.3,8,13,57; Albert Socin, Diwan aus Central — Arbaien, Abhandlungen der philologisch —historischen Classe der Koniglich sachsischen Gesellschaft der Wissenschaft, XIX (Leipzig 1901), P.46.

(14) Serjeant, op. cit, PP. 76 — 85; Socin, OP. citl, P.48.

(15) serjeant, Op. cit, P.8.

(16) Alois Musil. The Manners and customs of the Rwala Bedouins (New York, 1928), PP.283—284.

(17) Blachere, Histoire de la literature Arab des Origines a la Fin du Xv siecle de J.C. (Paris), 1952, vol.1, PP. 92—93.

(18) Serjeant, op. cit. Pp. 12, 76.

(19) Ibid. P.8.

(20) Musil, Op. Cit. P. 284.

(21) Serjeant, Op. cit. p. 26.

ويعطي الدكتور جيمس منرو مثالا لتأكيد ما ذهب إليه سارجنت، فيقول أن كثيرا من القصائد الحديثة في الجزيرة العربية تبدأ بهذه العبارة: «ياراكبا».

(22) Serjeant, op. cit., P.13.

(23) Musil, OP. cit., P.284, serjeant, OP. PP. X, XI.

(24) Musil, Op. cit., p. 284.

(25) Ibid., P. 284.

(26) Socin, OP. cit., P.6.

(27) Musil, OP. cit., P. 284; Serjeant, OP. cit., P.X.

(28) Musil, OP. cit., P. 283;Blachere OP. cit.. vol.2, P.357.

(29) l ord, OP. cit., P.37.

٣) يقول جيمس منرو - تدعيما لهذا الرأي - أن الطريقة الغربية التي كان البدو ينهون بها أشعارهم قد تنبه إليها ابن رشيق وعابها ونال منها، قال: (ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها، والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة). انظر العمدة (١ : ٢٤٠، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، ط. رابعة - لبنان ١٩٧٢. أقول: وابن رشيق لم يعد ذلك عيبا. بل قال:

(كل ذلك رغبة في أخذ العفو، وإسقاط الكلفة، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عند شدة المطر «كأن السباع . . .» فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات، وهي أفضلها).

(٣١) شرح القصائد السبع لابن الأنباري - تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف ١٩٦٣.

(٣٢) ديوان امرئ القيس (ضمن العقد الثمين)، تحقيق ألورد، لندن ١٨٧٠.

(٣٣) ديوان زهير (ضمن العقد الثمين).

(٣٤) ديوان لبيد - دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٣٥) المفضليات - تحقيق ليال، اكسفورد ١٩٢١

(٣٦) ديوان عنترة (ضمن العقد الثمين). (٣٧) ديوان علقمة (ضمن العقد الثمين).

(٣٨) ديوان النابغة (ضمن العقد الثمين).

(٣٩) Lord, OP. cit., P. 35.

(٤٠) داخل أي بحر من بحور الشعر.

(٤١) فتكون كلتاهما فاعلا أو مفعولا أو منادى.. الخ.

(42) Nagler. Op. cit., Russo, p. cit.

(43) Lord. OP. cit., PP. 49 — 50, 63 — 65.

(٤٤) دراسات في الأدب العربي (ص: ١٨٣)، ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت.

(٤٥) انظر لهذين البيتين خاصة ديوان امرئ القيس ص: ١٤٣، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة.

(46) The Singers of Tales, oP. cit. P. 54.

(47) M. Parry, (Studies I) HSCP, XLI, 1930.

(٤٨) مقدمة ابن خلدون، ٤: ١٢٩٠ - ١٢٩٣، تحقيق علي عبدالواحد وافي. لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢.

(49) Mary Catherine Bateson, Structural Coninuity in Poetry: A Linguistic Study of Five Pre — Lslamic Arabic Odes (Paris, 1970), P.30.

* * *

في الشعريّة العربية

قراءة جديدة لـ (عيار الشعر) ـ لابن طباطبا

طراد الكبيسي

أهمية الكتاب :ـ

تأتي أهمية كتاب (عيار الشعر) لأبن طباطبا، على صِغر حجمهِ من جهتين:

الأولى: أنه حاول أن يؤسس للشعر «عياراً» ـ قياساً ـ يُميّز به الشعر من اللاشعر، من جهة. والشعر من حيث كونه شعراً من جهة ثانية. وهذا مهم وجديد في تاريخ النظرية الشعرية العربية. وأول تأسيس (للشعرية) بوصفها (علم موضوعه الشعر). كما قال ياكوبسن. أي إبراز السمات التي تجعل من خطاب ما شعريّاً، وتلك التي تُصنّفه في درجات أدنى من الشعر الكامل، أو (المعنى البارع في المعرض الحَسَن) حسب تعبير ابن طباطبا.

الثانية: إنَّ ابن طباطبا الذي ظهر كتابه في الوقت نفسه، تقريباً، الذي ظهرت فيه كُتب أُخرى تُعنى بالشعر. كالشعر والشعراء لأبن قتيبة، وكتاب البديع، وطبقات الشعراء لأبن المعتز، وقواعد الشعر لثعلب، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر. تميَّز ابنُ طباطبا عن سواه، في أنه كان يميل الى تغليب تذوّقه الخاص. أي الى تجربته الشخصية في كتابة الشعر. ورغم أنها لم تكن تجربة كبيرة، الّا أنها، مع ذلك، دلّته دون شك، على كثير من أسرار عمل الشعر ومعاناته. ويظهر هذا في اختياره للنصوص حين الأستشهاد بها، أو الحكم بالمفاضلة بينها. الخ. وهو هنا يلتقي مع كثير من النقاد ـ الشعراء كأبن المعتز وأبي تمام في إختياراته ـ وكتاب (الشعرية) المعاصرين مثل أدونيس، وياكوبسن، وما كليش... وبسبب نفسه، لم يكن ابن طباطبا معنياً بمنهج في التأليف والتبويب. فكان أن جاء كتابه أشْبَهُ بمقالة استطرادية في النقد، كان عتمده فيها على صفاء التذوّق الفني دون سواه، الى حد كبير، كما قال د. إحسان عباس[1].

تعريف الشعر :ـ يعرّف ابن طباطبا الشعر بأنه: «كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خُصّ به من نظم...» وهنا نقف عند الخاصّتين: «كلام منظوم.» و «بائن عن المنثور». وفي الأولى نجد ابن طباطبا لايشذُّ عن جميع مَنْ جعلوا «النظم» شرطاً من شروط الشعر. فهم إلّا الجرجاني الذي قدّم عليه «النظم» الذي هو عبارةٌ عن توخّي معاني النحو في معاني الكلم. واللّهم إلا ابن خلدون الذي رفض حدّ الشعر بالموزون المقفّى، وحدّهُ بالكلام البليغ المبنيّ على الأستعارة. واللّهم إلّا القرطاجني والسجلماسي اللذَيْنِ ذهبا الى أنّ «التخييل» هو جوهر العمل الشعري. ولكنّ هؤلاء جميعاً لم يُسْقِطوا الوزن من شروط الشعر، كليًّا، فما تحقّق فيه الوزن مع الخصائص الشعرية الأخرى فهو شعر. وما خلا من الوزن ـ مع تحقّق تلك الخصائص فهو (قول شعري) بتعبير ابن رشد. وابن طباطبا يلتقي معهم في حالتين:

الأولى: أن معرفة النظم ليست شرطاً إلّا لمن لم يصحّ ذوقه وطبعه: (فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج الى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه. .) (ص ٣ - ٤).

والثانية: أنه لم يَعُدَّ من الشعر ماتوفر فيه الوزنُ دون توفر الخصائص الشعرية الأخرى. حيث قال: (والشعر هو ما إنْ عريَ من معنى بديع، لم يَعْرَ من حسن الديباجة. وما خالف هذا فليس بشعر.) (ص ١٧).

أما الخاصيَّة الثانية للشعر، وهو أنه (بائن عن المنثور فأبن طباطبا يتفق فيها مع الكثير ممن وضعوا النثر الكامل في طرف، والشعر الكامل في الطرف الآخر المضاد. وبين القطبين تتقاسم الأنماط اللغوية الأخرى، حظوظها من الشعرية. فهو عندما يصف بعض (الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني، الحسنة الوصف، السلسة العبارة) بأنها: (التي قد خرجت خروج النثر سهولةً وإنتظاماً. . .) (ص ٤٨ - ٤٩) فهو إنّما يصف الشعر بالنثر. ولكن أيَّ نثر؟.

إذا أخذنا بالأسئلة التي أستشهد بها ابن طباطبا، كقول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومَنْ يعش ... ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

أو كقول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجّعُ ... والدهر ليس بمُعْتب من يجْزَعُ

نجد ابن طباطبا، يلتقي مع جان كوهن الذي أسمى مثل هذا الشعر بالقصيدة الدلالية التي لاتعتمد إلّا على الدلالة من جانب اللغة. . [3] وهذا القصيد أخرجه حازم القرطاجني من خانة الشعر، ووضعه في خانة النثر - وان كان موزوناً مقفًى - مثله مثل «النظم» في الأخلاقيات والمواعظ والقضايا العلمية كألفية ابن مالك في النحو. . [4].

أما اذا أخذنا قول ابن طباطبا كتوصيف نظري، نجده يلتقي مع عدد من مُتذوّقي المداخلة بين النثر والشعر، في الشعر. أي تداخل السمات بما يُحقق للشعر، شعريَّة أعلى. جاء في (الأمتاع والمؤانسة): «أحسن الكلام مارقّ لفظه، ولَطُف معناه، وتلألأ رونقه. وقامت صورته بين نظم كأنه نثرٌ. ونثرٍ كأنه نظمٌ. .» [5].

وقال ابو الهلال العسكري في (الصناعتين): «والمنظوم الجيّد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته وسهولته واستوائه وقلّة ضروراته. .» [1].

وهنا نشعر، مع ياكوبسن، بأن تحديد حدود الشعر باتت بالغة الصعوبة حقاً. لاسيما وأنّ الكثير من السمات التي تُعَدّ خاصة بالشعر، كالجناسات والصور والمجازات والأدوات التنغيمية الأخرى، باتت تشارك فيها فنون لفظية أخرى [2] بما في ذلك كلام الناس العادي. ويخصر هنا قول أبي العتاهية، المشهور: (أكثر الناس يتكلّمون بالشعر وهم لايعلمون، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلّهم.) [3].

مذاهبُ العرب في الشعر: يرى ابن طباطبا أن سبيل الشاعر الى الشعر هو (الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر.) ولانظن، أنَّ في الدعوة هذه، أمراً غريباً. فللعرب كأمة. مثل غيرهم من الأمم، ظروفهم وأخلاقهم وأرضهم وسماؤهم، وأساليبهم في التفكير والتعبير. ولابد للشاعر من الوقوف عليها، بل هو مُلزم بالوقوف عليها لأنه مشاركٌ ومُتخلّقٌ بها. . والأهم من هذا، حتى لايجئ كلام الشاعر سخيفَ اللفظ والمعاني، ومُتفاوتٌ في النسج. . (بل يكون كالسبيكة المُفرغة، والوشي المنمنم والعقد المنظم، واللباس الرائق، فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه. . الخ).

فمن مذاهب العرب، مثلاً، التشبيه. والتشبيه غرضه في الأساس، تقريب ماهو غير عياني، بما هو عياني، ومن هنا كانت أوصافهم لاتعدو ما رأوْه من (صحونهم البوادي، وسقوفهم السماء) وحسب فصول الزمان على إختلافها. . (وكلٌ متولّد من وقت نشوئه، وفي حال نموّه الى حال إنتهائه) (ص ١٠) فأذا (تأمّلت أشعار العرب، وفتّشت جميع تشبيهاتها، وجدتها على ضروب مختلفة تنفرج أنواعها، فبعضها أحسن من بعض، وبعضها ألطف من بعض، فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض، بل يكون كل شبهٍ بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبهُ مثله مشبهاً به صورة ومعنى. وربما أشْبهَ الشئُ الشئَ صورةً وخالفَهُ معنىً، وربّما أشبهه معنىً وخالفه صورةً، وربما قاربه وداناه أو شامَّهُ. وأشبهه مجازاً لاحقيقةً.) (ص ١١). أي أنك لن تجد تشبيهاً مهما بولغ في إستغرابه وشذوذه إلّا وله أصل ومعنى لأنّ العرب «أدقّ طَبْعاً من أنْ يلفظوا بكلام لا معنىً تحته.

وربما خفيَ عليك مذهبهم في سِنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم، فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم، ولا تفهم مثلها إلاّ سماعاً.» (ص ١١)

واذا علمنا أنَّ التشبيه من جنس التخييل والمحاكاة ـ كما يعّده الفارابي وابن سينا والقرطاجني. وأنّه مثل الأستعارة والكناية وكلّ ما يُحمل على المجاز فيه اتساع وعدولٌ باللفظ عن المعنى الظاهر ـ كما قال الجرجاني ـ يتبيّن لنا أنَّ ابن طباطبا مثل غيره من النقاد يجعل الأنحراف في استخدام اللغة الشعرية عن طريق الأستخدام العادي، هو جوهر الشعر. وهذا يتضح في التقسيمات التي يوردها للشعر: (فمن الأشعار المحكمة الوصف، المستوفاة المعاني، السلسة الألفاظ، قول سحيم عبدبني الحسحاس، وهو يُجسِّد واحدة من سنن العرب التي تقول: إذا أحبَّ الرجلُ منهم إمرأةً وأحبّتْهُ، فلم يشقَّ بُرقعها، ولم تَشُقَّ هي رداءه، فأنَّ حُبَّها يفسد، وإذا فعلاهُ دام أمرهما. وفي ذلك قال سحيم:

فكم قد شَقَقْنا من رداءٍ مُحبَّر ... ومن بُرْقعٍ عن طِفْلةٍ غيرِ عانسِ
إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبُرْدِ مثله ... دواليك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

ومن الأشعار المتفاوتة النسيج قول النابغة الجعدي:

وشمولٍ قهوةٍ باكرتها
في التباشير من الصبح الأول

يُريد: في التباشير الأول من الصبح.

أما الأشعار الغثّة المتكلفة النسج، فيُوردُ لها مَثَلا قصيدة طويلة للأعشى مطلعها:

بانتْ سعادُ وأمسى حَبْلُها إنقطعا
وأحتلَّت الغَمْرَ فالجدين فالفرعا

وهناك أصناف أُخرى من الشعر: (الحسن اللفظ، الواهي المعنى) (الصحيح المعنى، الرثّ الصياغة) (الرديّ النسج) (المُحْكم النسج) أما (المعنى الصحيح البارعُ الحَسَنُ، الذي قد أبرز في أحسن معرض، وأبهى كسوة، وأرق لفظ، فقول مسلم بن الوليد):

وإنّي وإسماعيل بعد فراقهِ ... لكالغمد يوم الرَّوع زايله النصْلُ
فأن أغشَ قوماً بَعْدَهُ أوْ أزورهُمْ ... فكالوحش يُدنيها من الأنس المَحْلُ

القصيدة والرسالة: ـ

لاحظنا أنَّ من مذاهب العرب في تأسيس الشعر، ما سُميَ بحُسن التخلُّص في القصيدة من غرض الى آخر. وقد ظنّ بعض الباحثين أنَّ ابن طباطبا عندما نصح الشاعر بأنْ (يسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم وتصرّفهم في مكاتباتهم، فإنَّ للشعر فصولاً كفصول الرسائل..) (ص٦) أن ابن طباطبا قد (محا الفروق بين القصيدة والرسالة النثرية في البناء والتدرج وإتصال الأفكار.)(٩). والحقيقة ان ابن طباطبا لم يمحُ الفروق، فهي موجودة ولايمكن لأبن طباطبا ألاّ يراها. ولكن ابن طباطبا ـ كما يبدو لي ـ نظر للمسألة من جهتين:

الأولى: أنه يتحدث عن بناء القصيدة بمصطلح عصره (الشعر صناعة) الذي يستنطق سمات القصيدة كما هي من مبتداها لغاية أيامه. وقول العتّابي، بأن (الشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول) (ص ٧١) يأخذ الجنسين: (الرسائل، والشعر) من منظور ما ينطوي كل جنس منهما على سمات الآخر. لأنه يتحدث في البلاغة التي تعني (الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب) كما قال الجرجاني. وبرأي الفارابي وابن سينا والقرطاجني، أن الأقوال الخطابية اذا انطوت على بعض السّمات الشعرية فهي أقوال شعرية، وخاصة الرسائل ذات البنية الكلية.

الجهة الثانية: ـ وهي سند للأولى: فان ابن طباطبا رفض تأسيس الشعر على (تأسيس فصول الرسائل القائمة بنفسها..) وشرط (أنْ تكون القصيدة كلّها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معانٍ، وصواب تأليف..) (ص١٢٦) وهو في هذا ينتهي الى ما انتهى إليه الجرجاني إذ قال: (لانظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلّق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض. وتُجعل هذه بسبب من تلك.)(١٠). والى ما انتهى إليه البنائيون المحدثون في القول بالشعر الكامل الذي تكوّن مجموع العلاقات المتبادلة لعناصر العمل الشعري، بنية هذا العمل.

مأزق الحداثة في الشعر:

«عيار الشعر» واحد من الكتب الكثيرة والمهمة التي جاءت نتيجة طرح مفهوم الحداثة في الشعر والذي خلق بلبلة، تجسّدت في المعارك التي دارت حول ابي تمام والبحتري، والمتنبي وخصومه. وقبل هؤلاء، بين مَنْ سُمّوا بالشعراء المولّدين

(المحدثين) كبشار ومسلم بن الوليد وأبي نواس، وبين علماء اللغة والادب والبلاغة كابن الأعرابي والأصمعي وأبي عمرو ابن العلاء . . . الخ.

يعتقد ابن طباطبا أن (محنةَ) الشعراء المحدثين أشدّ منها على مَنْ كان قبلهم، لأنهم قد سُبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة. فأنْ أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربي عليها لم يتلق بالقبول، وكان كالمطروح المملول. (ص ٨ ـ ٩). وهذه محنة من جهتين: من جهة النقاد (القرّاء) ومن جهة الشعراء. فالنقاد (وخاصة العلماء منهم) اعتقدوا أن القدماء قد ذهبوا بكل شيْ ولم يتركوا بقيّة لمستزيد. والشعراء أنفسهم. خامرهم هذا الشك. «كما يُفهم من مطلع **قصيدة عنترة: (هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم) أن عنترة أعتقد هذا** المُعتقد، لأنه كان يَعُدّ نفسه مُحْدَثاً ـ كما قال ابن سلاّم. وما تزال هذه المشكلة (الحداثة) قائمة منذ القديم حتى اليوم. وفي كل ثقافة ومكان. فما هي العلّة في رأي ابن طباطبا ونقاد عصره، وحسبما يُستشفّ من المعركة التي دارت بين النقد حول أبي تمام والبحتري؟

العِلَّةُ. هي: **إعتقاد دعاة القدامى** أنَّ أشعار المحدثين لاتصدر عن طبع صحيح، أي عفوي وسليقي، كما كانت تصدر أشعار القدماء. فهؤلاء (سبيلهم في منظومهم سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه) (ص ٩). أي أن أشعار المحدثين تصدر عن (تكلّف) عن طبع مازجته الصناعة، وربما غلبت الصناعةُ، الطبعَ. كما قيل عن أبي تمام وجرى تمييز البحتري عليه بالطّبْع. والصناعة ـ أيّة صناعة ـ في الشعر أو في غيره من الصناعات، تتطلب (ثقافة) **دون شك.** أي أن يمتلك الشاعرُ خزيناً من الحِرفيَّة التي يحيلها الى حرفيَّة مخصوصة، تعينه على التميّز عن القدماء وعن أبناء جيله. ويقدم ابن طباطبا للشاعر المُحْدَث في هذا الباب، نصيحة مهمة وخطيرة يسندها بحكاية خالد بن عبدالله القسري تخصّ الخطابة، تتشابه والرواية التي قصّها أبونواس عن نفسه.

ينصح ابن طباطبا، الشاعر المُحْدَث (في عصره): (بألاّ يُغير على معاني الشعر فيودعها شعره. ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها مايتناول، ويتوهم أن تغييره للالفاظ والأوزان مما يستر سرقته، أو يُوجب له فضيله، بل يديمُ النظر في الأشعار التي قد إخترناها لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصيرُ موادُ لطبعه، ويذوب لسانه بألفاظها، فأذا جاش فكره بالشعر أدّى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الاشعار فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن. وكما قد اغترف من وادٍ قد مدَّتْهُ سيولٌ جارية من شعاب مختلفة، وكطيب تركَّبَ من أخلاط من الطيب كثيرة فيستغرب عيانه، ويغمض مُسْتَبْطنه، ويذهب في ذلك الى مايحكى عن خالد بن عبدالله القسري فأنه قال: «حفَّظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها، فتناسيتها، فلم أُرِدْ بعد ذلك شيئاً من الكلام إلاّ سهل عليَّ».

فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه، وتهذيباً لطبعه، وتلقيحاً لذهنه، ومادة لفصاحته، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته.» (ص ١٠).

أما رواية أبي نؤاس المماثلة لرواية خالدبن عبدالله القسري، فهي.

أستأذن أبو نؤاس، خَلَفاً في نظم الشعر. فقال له: لا آذن لك في عمل الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب. مابين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة. فغاب عنه مدّة وحضر إليه. فقال أبونؤاس: قد حفظتها. فقال: انشدها فأنشده أكثرها في عدة أيام. ثم سأله أنْ يأذن له في نظم الشعر. فقال له:

لا آذن لك إلاّ أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها.

فقال له: هذا أمر يصعب عليَّ. فأنني قد أتْقَنْتُ حفظهاً.

فقال له: لا آذن لك إلا أنْ تنساها. فذهب أبو نؤاس الى بعض الديرة وخلا بنفسه، حتى نسيها. ثم حضر فقال: قد نسيتها حتى كأنْ لم أكن قد حفظتها قطّ. فقال له: الآن أنظم الشعر[١].

والعبارة ـ الدلالة في قصة أبي نواس وقصة خالد القسري. هي أن الشاعر، والخطيب كذلك، يخوض عمله كصانع أتقن حرْفته. لكنه كمبدع في الوقت نفسه، يقضي على صيغة سابقة ليبدع أُخرى مستعملاً المادة نفسها[٢]. مثله في ذلك مثل (الصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتها بأحسن مما كانا عليه).

إذن فمحنة المحدثين تكمن في مايُسمىٰ حديثاً (بالتناص) (وستعثر في أشعار المولَّدين (المحدثين) بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، ولبسوها على من بعدهم، وتكثروا بأبداعها فسلمت لهم عند إدعائها، للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها. .) (ص ٨) وهذا هو الحَقُّ الوحيد المعترف به لهم (للمحدثين) أي التناص بأبداع، فبدون إبداع لن يُسلَّم لهم بأدعاء شيْ.

مثل قول دعبل الخزاعي:

لاتعجبي ياسَلْمَ من رَجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

أخذه من قول الحسين بن مطير:

كلّ يوم بأقحوانٍ جديدٍ تضحك الأرضُ من بكاءِ السماءِ

للشاعر في هذا حِيَلٌ - والشعر (كلام عن حيلة. .) كما قال الفارابي، يسلكها بحيث يخفي (التناص) بأكبر قدرٍ من الأخفاء. (ويكون بذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتها بأحسن مما كانا عليه. وكالصبّاغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة.) (ص ٧٨).

عمارة القصيدة:

كيف تبنىٰ القصيدة في رأي ابن طباطبا؟.

قال: (فاذا أراد . الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً. وأعدَّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوا في التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول فيه. فأذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، واعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه. بل يُعلّق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت مابينه وبين ما قبله؛ فأذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وفّق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكاً جامعاً لما تشتت منها. ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته فيستقصي إنتقاده ويرم ما وَهَىٰ منه. .) وهكذا يُبدِّل ويُغير وينقل في الألفاظ والقوافي والأشعار، (ويكون كالنسّاج الحاذق الذي يُفوِّفُه وشْيَهُ بأحسن التفويف ويُسدِّه ويُنيِّره، ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه. وكالنقّاش الرفيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه. وكناظم الجوهر الذي يؤلّف بين النفيس منها والثمين الرائق. . وكذلك الشاعر لايؤسس شعره على خليط من الألفاظ والكلام والمخاطبات. .

«ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرّفهم في مكاتباتهم. فأنَّ للشعر فصولاً كفصول الرسائل. .) (ص ٥ - ٦).

وأول ما يتبادر الى الذهن من «نصّ» ابن طباطبا الذي حاولنا إختصاره قدر البيان - كأنَّنا به، بنّاء يقيم بيتاً من آجّر أو لَبِنٍ. . أو نسّاجٌ ينسج درّاعة من الصوف أو القطن. . لافرق! أو نقّاشٌ يضع الأصباغ على الجدران في احسن تقويم! وليس بشاعر. ولا يتحدث عن شعر. ويتضح هذا الخلل في فهم ابن طباطبا لـ«عمارة» القصيدة، عندما نسمع الجرجاني يُبطل هذا التصوّر ويقيم غيره. . قال: (من حيث أنَّ الألفاظ اذا كانت أوعية للمعاني فأنها لامحالة تتبع المعاني في موقعها. فأذا وجب لمعنى أن يكون أوّلاً في النطق وجب اللفظ الدالُّ عليه أن يكون مثله أولاً في النطق. فأما أن تتصوّر في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب. . أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لأن تجيِّ بالألفاظ على نسقها. فباطلٌ من الظن. . وَوهْمٌ يُتخيل الى مَنْ لايُوفي النظر حقَّه»[١٣].

ولسنا ندري اذا كان فهم ابن طباطبا لبناء القصيدة، ينصبُّ على الشعر المحدث، أم على الشعر القديم، أم الأثنين معاً! ذاك أن (السُّنن المستدلةُ منها) مذاهبُ العرب في تأسيس الشعر، لاتتفق مع هذا، وابن طباطبا نفسه يؤكد هذا عندما يقول: (أن سبيل العرب في منظومهم، هو سبيلهم في منثور كلامهم الذي لامشقة عليهم فيه) (ص٩) وأن (مَنْ صح طبعه وذوقه لم يحتج الى الأستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه) (ص٣). إذنْ، من أين جاء ابن طباطبا بهذه البُدْعة في بناء القصيدة؟ هل أعتمد تجربته هو في عمل القصيدة، وهو «لم يكن من الفحول في الشعر، وكان أقرب الى أوساطهم وشعره يُعَدُّ من شعر العلماء»أم ان ابن طباطبا أستقى نظريّته في عمل القصيدة من مصادر أخرى؟ ويبدو من استقراء تقسيمات ابن طباطبا للنصوص التي إستشهد بها وإختارها ومايز بينها: (الأشعار المحكمة) (الأبيات المتفاوتة النسج) (الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها) (الأشعار الغثّة النسج) (الشعر القاصر

عن الغايات) (الشعر الرديّ النسج) (الشعر المحكم النسج).. الخ. أنَّ ابن طباطبا يرى أن تكون العملية الشعرية (عملية عقلية واعية تمام الوعي)[11] وأنّ العدل ـ أو الاعتدال ـ هو الذي يخلق الجمال المؤثر في الفهم، وأن طريق العرب ـ كما فهمها هو من النصوص التي تتميّز بالانحياز الكبير الى الجانب العقلي على التخييل، هو الذي أوحىٰ له بذلك. حيث قال: (ومع هذا فان مَنْ كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الأسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركّبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء. وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً، إلّا ماقد إحتمل الكذب فيه في حكم الشعر: من الأغراق في الوصف، والأفراط في التشبيه. وكان مجرى ما يُوردونه منه مجرى القصص الحق، والمخاطبات بالصدق، فيحابون بما يثابون، أو يثابون بما يحابون) (ص ٩).

ومع هذا، فان إستقراء نصوص الجاهليين والأسلاميين لاتطَّرد مع فهم ابن طباطبا، ولا يطَّرد هذا الفهم مع ما قاله هو نفسه: من أن سبيلهم في منظومهم، هو سبيلهم في منثورهم الذي لامشقة عليهم فيه.

لكن ابن طباطبا، مع ذلك، منسجم مع نفسه في إعتبار العقل هو الذي يُحدِّد عنصر القيمة في الشعر. لأن العقل هو الذي يقبل أو يرفض. فالعقل «عيار» وبالتالي فأن الفهم الثاقب هو الذي يُحدِّد تقبّل الشعر أو رفضه. ومن هنا فان كلَّ مفهوم، مقبولٌ عند ابن طباطبا. وكلُّ ما هو غير مفهوم، فهو إغراق وغلّو. وبالتالي فهو يتجافىٰ ومبدأ اللّذة الذي يؤكد عليه ابن طباطبا، في عِلّة حسن الشعر: (وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قَبِله وإصطفاه فهو وافٍ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص.) (ص١٤). أما نوعَ اللّذة التي يُولِّدها الشعر، فهي الأخرى مرتبطة بمبدأ الأعتدال: (وعلّة كلّ حسن مقبول، الأعتدال. كما أن علّة كلّ قبيح منفيّ، الأضطراب..) (ص١٥). وكل هذا لايكون إلّا بتوافر العناصر العقلية أو الحسيَّة أو الأثنين معاً. وهذه لاتتوافر إلّا بتناسب وإنسجام عناصر الشعر: (إعتدال الوزن، وصواب المعنى. وحسن الألفاظ) حتى يخرج غير متفاوت النسج، كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم والعقد المنظم، واللباس الرائق فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كألتذاذ السمع بمونق لفظه..). (وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميّز الأضداد، ولزوم العدل وإيثار الحسن، وإجتناب القبيح، ووضع الأشياء مواضعها.) (ص٤ ـ ٥).

واذا كان مبدأ الأعتدال يناسب الحدّ الوسط من الناس. أي الأغلبية. إلا أن ابن طباطبا لايفترض في متذوقي الشعر، مستوى واحد. بل هناك تمايز بينهم لأسباب مختلفة، وبالتالي فأن تذوّقهم مختلف، والأشعار مختلفة في تفاضلها، ومن ثمّ في تقييم المتلقي لها. قال:

«والشعر على تحصيل جنسه ومعرفة إسمه متشابه الجملة، متفاوت التفصيل، مختلف كأختلاف الناس في صورهم، وأصواتهم، وعقولهم، وحظوظهم وشمائلهم، وأخلاقهم. فهم متفاضلون في هذه المعاني، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس، ومواقعها من إختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم. وإختيارهم لما يستحسنونه منها ولكل إختيارٌ يُؤثرهُ، وهوىً يتبعه، وبغية لايستبدل بها، ولا يُؤثر سواها.» (ص ٧)

خاتمة:ـ

إن قاريء (عيار الشعر) يكتشف ـ دون شك ـ أن هناك تضييقاً في الرؤية الشعرية في بعض أحكام ابن طباطبا. وهذه حسب تقديرنا، ترجع الى عاملين:

الأول: أن ابن طباطبا اعتمد تذوّقه الخاص للشعر، الى حّدٍ كبير، والتذوّق الخاص نتيجة تجربة، أو قراءة، أو مزاج. ليس كافياً وحده لأن نُحكِّمه في المسائل الفنية، لأنه يخلق تعميمات، والتعميمات، غالباً، جائرة في التصوّر النقدي. فالأبداع الفني، طريقةُ الفردانية وليس حاصل جمع «الفردانيّات» الذي أطلق عليه ابن طباطبا ونقاد آخرون كالآمدي في «الموازنة» وابن الأعربي، مثلاً، مصطلح «طريقة العرب» أو «مذاهب العرب» أو «سنن العرب» في كتابة الشعر، والتي كثيراً ما أحالوا إليها، أحكامهم النقدية، حيث أُخضعت هذه أيضاً للتذوق الخاص، أو التقدير الخاص. وإلاّ مَنْ قال بأنَّ للعرب، طريقة واحدة في الكتابة؟ وكيف يتأتىّ لشاعر أن يخرق «سنن العرب» في الكلام، اذا لم تكن هذه السنن نفسها تسمح بمثل هذا الخَرْق!.

العامل الثاني: هو ما يمكن أن نسميه بالعامل العقلي. ونقصد به تحكيم العقل أو «الفهم الثاقب» في الشعر. «فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص». وقد قاد هذا، لأن ينفرد ابن طباطبا في موقفه من بين جميع النقاد، في مسألة الصدق والكذب في الشعر. حيث أنه شدَّد على أهمية وضرورة الصدق. وإقران الصدق (الحقّ) بالجمال: (والفهم يأنُس من الكلام بالعدل الصواب الحق.. ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل) (ص١٤).

واذا كنا نفهم موقف ابن طباطبا الذي عاش في فترة تموج بالتيارات الفكرية والفلسفية والأخلاقية، وقد تأثر بها في منحاه هذا دون شك، إلّا أننا لانفهم كيف يمكنه أن يحكم العقل أو الفهم في الأيقاع، والصور الناتجة عن الأستعارات والتشبيهات البعيدة والمجازات التي تقلب صور الحقيقة أو تنحرف باللغة عن طريق استخدامها العادي المألوف، خاصة وأنَّ الفترة التي شهدها ابن طباطبا (توفي ٣٢٢هـ) قد شهدت «ثورة» شعرية كبيرة في الأساليب وطرق التعبير الشعري، كما شهدت بدايات تأسيس وتأصيل الشعرية العربية.

ومع ذلك، فأن فضل ابن طباطبا يظل كبيراً:

١ ـ فهو، في (عيار الشعر) يُعَدّ من أوائل المؤسسين لنظرية (الشعرية) العربية. ومهما اختلفنا أو إتفقنا مع مقومات هذه النظري، لاينفي كونها «نظرية».

٢ ـ ولعل تأكيد ابن طباطبا على البنية الكليّة للقصيدة (أن تكون كلّها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معانٍ، وصواب تأليف. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء النظم، لاتناقض في معانيها، ولا وَهْيٌ في مبانيها، ولا تكلّف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها مُتعلّقاً بها مفتقراً إليها.) (ص ١٢٦-١٢٧).

أقول لعلّ هذا الوصف لبنية القصيدة، يضع ابن طباطبا في مصاف النقاد التالين له.. بل يضعه في عداد دعاة البنائية الحديثة. ولكن مشكلة ابن طباطبا أنه لم يستطع تصوّر ولادة البُنى اللغوية ـ مادة وشكلاً ـ ولا ولادة وحدة القصيدة هذه، مرّة واحدة. وليست ولادة (بالتقسيط!) وبالفصل بين المعنى والصورة. على نحو ما حكى الجرجاني، وكما جاء في سياق هذا البحث.

٣ ـ ثم أنَّ ابن طباطبا في كونه مؤسس نظرية (شعرية) لم يُقِمْ نظريته على (عيار) التذوق الخالص ـ كما ذهب جُلّ الذين كتبوا عنه[15]. بل جعل للعقل (الفهم الثاقب) حظاً وافراً، رغم أن هذا الفهم كان (عياره): «مذاهبُ العرب» أو سننهم في كتابة الشعر. كما فهمها. وهو ما سوف نلاحظه لدى نقاد آخرين مجايلين له كقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) حيث جعلوا للعقل نصيباً وافراً من المعيارية. وتلك ضرورة العصر ـ كما نعتقد ـ وإتساع تأثير التيار العقلي.

على أيّة حال، يظل (عيار الشعر) رغم تناقضاته، وعدم نجاحه في حل كثير من مشكلات الشعر.. محاولة لإقامة مفهوم للشعر. (فالعيار هو المقياس الذي يُحدّد القيمة على أساس من الخصائص النوعية الملازمة لصورة الشيْ وكيفية إدراكه في آن)[16]. وهو ذو صلة، بالعلم من جهة، وبالشعرية التي هي علم موضوعه الشعر، من جهة ثانية.

الأشارات

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ـ د. احسان عباس.
(٢) دلائل الأعجاز: ص٣٣٦.
(٣) بنية اللغة الشعرية: ص١١.
(٤) المنهاج: ص٧٢.
(٥) التوحيدي: ٢/ ١٤٦.
(٦) العسكري: ص ١٦٥.
(٧) قضايا الشعرية: ص ١٠ ـ ١١.
(٨) الأغاني: ٤/ ٣٩. (٩) د. احسان عباس: المصدر نفسه: ص ١٣٧.
(١٠) دلائل الأعجاز: ص٩٨.
(١١) عن كتاب: (الكتابة والتناسخ) لعبد الفتاح كيليطو: ص٢٠.
(١٢) نفسه: ص٢٢. (١٣) دلائل الأعجاز: ص ٩٦ ـ ٩٧.
(١٤) د. احسان عباس: المصدر نفسه: ص١٤٥.
(١٥) مثل د. احسان عباس. ود. جابر عصفور في (مفهوم الشعر).
(١٦) مفهوم الشعر د. جابر عصفور: ص٢٠.
(*) هذا وقد أشرنا الى أرقام صفحات المقتبسات من كتاب (عيار الشعر) في مواضعها. يرجى ملاحظة ذلك.

الاصول الاكدية لعدد من المفردات والمصطلحات المندائية

دراسة
د. صبيح مذلول السهيري
جامعة بغداد ـ كلية اللغات

يتفق الباحثون على ان اللغة المندائية(١) لهجة شرقية من لهجات اللغة الارامية. وكما اظهرت البحوث والدراسات في النصوص المندائية ان هناك علاقة قوية بين لغة التلمود واللغة المندائية وبخاصة في ملامح اللغتين النحوية، بل يرى بعضهم ان اللغة المندائية ليست إلا شكلاً متأخراً من لغة التلمود(٢). ولاشك ان هذه العلاقة بين اللغتين تعود الى كونهما متجاورتين جغرافياً؛ اذ ان لغة التلمود البابلي كانت تستعمل في بابل السفلى(٣).

وتعد اللغة المندائية من أنقى اللهجات الارامية، وذلك لان نصوصها كتبت اصلاً بالمندائية بخلاف لغات «سامية» اخرى كتب كثير من نصوصها القديمة كترجمات لنصوص كتبت بلغات اخرى(٤) كآرامية الترگوم وسريانية البشيطا. كما انها لم تختلط بعناصر عربية ويعزو كثيرون ذلك الى حرصها الشديد على الموروث الديني والحفاظ عليه من التمزق والخشية من الاندماج في التيارات القوية المحيطة بها باعتبار ان الادب المندائي أدب ذو طابع ديني. وبسبب هذا كله فقد تمكنت المندائية من الحفاظ على كثير من الاصول الارامية الى درجة يمكننا معها القول بان المندائية تمثل الارامية في بابل افضل مما تمثله لغة التلمود(٥).

بدأ اهتمام الباحثين باللغة المندائية بعد نشر نولدكه كتابه (القواعد المندائية) في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، ثم توالت بحوث ودراسات المستشرقين في هذا الحقل.

اما عن علاقة المندائية بالاكدية فذلك بسبب التجاور الجغرافي والاندماج والتعامل التجاري والثقافي والعيش لمدة طويلة في منطقة واحدة وسيادة الحضارة الاكدية على المنطقة الجنوبية من العراق خاصة وهي المنطقة التي عاش فيها المندائيون في العصور القديمة وما زالوا يعيشون فيها الى يومنا هذا.

ونتيجة لهذا كله فقد انتقل العديد من الالفاظ الاكدية الى اللهجات الارامية المختلفة ـ ومن ضمنها اللغة المندائية ـ التي كانت تشارك الاكدية في الرقعة الجغرافية. وهذا لايعني انه لم تكن هناك تأثيرات لغوية اخرى من غير الاكدية اثرت في المندائية كالعربية التي بدأ تأثيرها يظهر في النصوص المتأخرة(٦).

ومعظم الكلمات الاكدية التي دخلت اللغة المندائية تتصل بالدرجة الاولى بعلم الفلك والعبادات وبعض الالفاظ الحضارية الاخرى المتعلقة بالحياة اليومية.

اما فيما يتعلق بالفلك عامة فان المندائيين حافظوا على الاسماء الاكدية للكواكب. ولكن بالنسبة لأسماء البروج فان

المندائية لم تأخذها كلها من الاكدية بل اخذت اربعة منها فقط[٧].

وتجدر الاشارة هنا الى اننا قد نورد بعض المفردات السومرية الاصل والتي دخلت اللغة المندائية عن طريق الاكدية، وسنشير الى ذلك في مواضعها.

وقد اهتم عدد من الباحثين الغربيين بالتأثيرات اللغوية الحضارية الاكدية في لغات المنطقة بشكل عام والمندائية بشكل خاص ودرسوها وافاضوا البحث فيها، ومنهم: تيودور نولدكه، مارك ليدز بارسكي، هاينرش تسمرن، ڤالتر باومگارتنر، الليدي دراور، مانفريد ديترش، رودولف ماسوخ، وكورت رودولف وغيرهم.

وقد قمنا، عند إجراء هذه الدراسة، بجمع عدد من الالفاظ من مصادرها المختلفة ثم مناقشتها موضوعياً ومقارنتها مع مثيلاتها ان كانت موجودة في لغات جزيرة العرب الاخرى، كما اثبتنا الاشكال والصيغ المختلفة لنطقها ان وردت باكثر من صيغة، وأشرت أحياناً الى اماكن ورودها في النصوص المندائية.

ومن خلال الدراسة نستطيع ان نقول: ان هناك دلائل لغوية ساعدت على الاشارة الى تأثير مفردات اكدية معينة على اللغة المندائية واهم هذه الدلائل ورود المفردات في المندائية بدون ألف الإطلاق الذي وظيفته اصلاً التعريف في الارامية، مما يشير الى أصل غير آرامي للمفردة في اللغة المندائية. ثم انفراد اللغة المندائية من بين سائر اللهجات الارامية بالتماثل الصوتي مع المفردة الاكدية والاتفاق في المعنى معها، بينما تختلف صيغة المفردة أو لايرد معناها الاكدي في اللهجات الارامية الاخرى. هذا بالاضافة الى الاسماء والمصطلحات العلمية والحضارية كأسماء الاشهر والآلهه وغير ذلك مما تظهر بشكل جلي اصوله الاكدية.

وفيما يلي الكلمات المتأثرة بالاكدية مرتبة حسب الحروف الهجائية والتي من شأنها ان تساعد على معرفة تاريخ اللغة المندائية وتكشف جانباً من تطورها.

آب

اسم الشهر السابع في التقويم المندائي (دراور، الصابئة المندائيون ص١٤٤)[٨] ويقال له: اول گيطا أي اول الصيف. من الاكدية آبو وهو الشهر الخامس في السنة البابلية (قاموس AHW ص٨)[٩]. والكلمة في الارامية والسريانية والعبرية والعربية: آب. ويذكر انه الشهر الخامس في التقويم اليهودي (قاموس جاسترو ص٢)[١٠].

آمبُيا، آنبيا، آمبوبا

وردت هذه الصيغ للكلمة المندائية وحسب التسلسل في (القاموس المنادئي ص٢١[١١]، ديترش ص٢٩٣[١٢]، تسمرن ص٢٩)[١٣] بمعنى إنبوب، مزمار، ناي - وهي من الاكدية: إبّوبو، إنبُوبو، إمبُوبو (ديترش نفس المصدر) بنفس المعنى - والكلمة موجودة في الارامية والسريانية: أبّوبا والعربية انبوب وفي اللاتينية ambubaja (AHW ص١٨٠).

أَرْدِكلا

بمعنى المعمار، رئيس البنائين، وتقابلها في الاكدية أَرْدْ إيكَلّي او وَرَد إيكلي ومعناها خادم القصر (CAD (A) 2 11)[١٤] وفي العصر البابلي المتأخر جاءت بمعنى المعمار والبناء (طه باقر ص٣٩)[١٥]. والكلمة في الارامية والسريانية أَرْدِكلا، أرديكلا، وترد الكلمة كثيراً في كتابات الحظر[١٦]. وكذلك دخلت الكلمة في العربية باكثر من صيغة: أردخلا، أردخل، أَردخيل، اردكلا (طه باقر ص٣٨).

آريا

أسد، ومن الابراج برجد الاسد. من الاكدية آرو (رودولف ص٢٠٧ هامش ٢)[١٧]، والكلمة موجودة في كثير من لغات جزيرة العرب، ففي الارامية والسريانية: أَرْيا وجمعها أرياواتا، وفي العبرية آرْيِه (القاموس المندائي ص٣٧).

آرَقبا ࡀࡓࡒࡁࡀ

(رودولف ص٢٠٧) أرَّقبا، وهي صيغة استثنائية من الصيغة الاولىٰ (القاموس المندائي ص٣٩)، وتعني في المندائية: العقرب وبرج العقرب. وهي من الاكدية: أقرَبو[١٨] (رودولف نفس المصدر، AHW ص٦٢)، والكلمة موجودة في الارامية اليهودية: عَقْرَبْا، وفي العبرية عَقْراب، والسريانية عِقْرَبا (موسوعة بروكلمان ٥٤٤ب)[١٩]، والعربية عقرب. اما في الحبشية فوردت الصيغتان: الاولىٰ عَقْراب، والثانية كالمندائية عَرْقَب (رودولف نفس المصدر).

أشگندا ࡀࡔࡂࡀࡍࡃࡀ

(شگندا عند رودولف ص٢٠١) بمعنىٰ المساعد، المرسل، والشخص الذي يساعد الكاهن في الطقوس. وهي من الاكدية أشگندو ومن السومرية:
اش - گن - دا (AHW ص٨٠، القاموس المندائي ص٤٠).
والكلمة موجودة في السريانية: ايزگندا، ايزگدّا بالادغام (موسوعة بروكلمان السريانية ص٩٦).
وفي الارامية اليهودية: ايزگد، إيزگدّا (قاموس براون ص٦٣٠)[٢٠].

أتنا[٢١] ࡀࡕࡍࡀ

وردت هذه الصيغة فقط في (القاموس المندائي ص٤٢) واوردها رودولف (ص٢١١) بالكسر ايضاً، وتعني شبكة أو عين الشبكة او سلكها او شيئاً متعلقاً بها. وردت هذه الكلمة في الاكدية إتّنو مشددة وإتّنو[٢٢] (القاموس المندائي ص٤٢) اما رودولف (نفس المصدر) و (AHW ص٤٠٣) فقد ذكرا الصيغة الاولىٰ فقط وبنفس المعنىٰ للكلمة المندائية. ووردت أتّنا في النص المندائي في (كتاب يحيىٰ ٢ص ١٥٣ هامش٢) كما أشار الىٰ ذلك باومگارتنر (ص٣٤٥)[٢٣].

ويذهب تسمرن (ص١٥) الىٰ القول انه يمكن ان تكون الكلمة المندائية إتانا أو عيتانا وتعني شيئاً متعلقاً بالشبكة او تقابل الكلمة العبرية أيْطون (سفر الامثال ١٦/٧)، وفي الارامية اليهودية أطونا بمعنىٰ سلك، حبل.

لاباطلا[٢٤] ࡋࡀ ࡁࡀࡈࡋࡀ

ينفرد باومگارتنر (ص٣٤٦) في ذكر هذه الصيغة بمعنىٰ دائب، متواصل، بلا مُستَقر وفي الاكدية لابَطْلو < لا + بَطْلو.
استعمال اسم الفاعل بهذا الشكل يطابق استعماله في الاكدية تماماً ولايرد إلا في المندائية، والاصل (جذر الفعل) بَطَل آرامي مشترك وهو موجود في العربية ايضاً. ويشير باومگارتنر (نفس المصدر) الىٰ وجودها في النص المندائي في كتاب:
(MJJ 88. P. 164)

بيَل[٢٥] ࡁࡉࡋ

الكوكب المشتري من الاكدية: بَيلو، وهو إسم إله بابلي (AHW ص١١٨)، واللفظة موجودة في العبرية والسريانية وارامية الحظر: بَل (الكتابة ٢٤). كما أن كلمة بل[٢٦] بمعناها الآخر تعني السيد (ديترش ص٢٩٤) ويرىٰ انها مأخوذة من الكلمة الاكدية بيلو (انظر ايضاً AHW ص١١٨). وتقابلها في الارامية: بَعْلا، والسريانية: بعلا، والعبرية بَعَل، والعربية بَعْل.

گُفنا ࡂࡐࡍࡀ

وفي الاكدية گَپْنو او گُپْنو (الصيغة الثانية وردت في العصر البابلي المتأخر انظر AHW ص٢٨١) ففي المندائية والاكدية تعني جذع الشجرة (شجرة الكرمة؟) او الأصل أو الجذر. أما في السريانية والارامية اليهودية گوفنا وفي العبرية گِفِن والعربية جَفْن بمعنىٰ عنب او كرم (القاموس المندائي ص٨٤).

ولكن يرىٰ (روزنتال ص٢٠٠)[٢٧] أن كلمة گفنو بمعنىٰ الكرمة او الدوالي او العنب تختلف عن الكلمة الاكدية گُپْنو بمعنىٰ الجذر او جذع الشجرة.

هَللتا

وتعني الغسل، التطهير، او الماء الذي يُغسل به إناء أو غيره لغرض التطهير. ويرىٰ ليذبارسكي في (الليتورجيا المندائية ص٢٣ هامش٢)[٢٨] ان الكلمة الاكدية تليلتو تطابق الكلمة المندائية إشتقاقاً ومعنىً[٢٩] (انظر ايضاً AHW ص١٣٤٤).

زابا | ٥ **والجمع زابْيا**

وتعني لبا ومگارتنر (ص٣٤٥) كاهن او مرتبة كهنوتية[٣٠].

ووردت الكلمة بصيغة الجمع زَبْيا[٣١] في كتاب ليدزبارسكي (الليتورجيا المندائية ص٢٢ هامش ٥)[٣٢].

ويرىٰ تسمرن[٣٣] إنها من الاكدية زَبّو[٣٤] وهي درجة كهنوتية. ويشتقها نولدكه (القاموس المندائي ص١٥٦) من دِبْحا:

ذبائح، قرابين. وأنا أميل الىٰ ان هذه الكلمة مشتقة من الاصل المشترك (ز ب ح = د ب ح)، ومع سقوط الحاء اصبحت الكلمة زابا، ولما كان يشترط في الشخص الذي يقوم بالذبح ان يكون رجلاً تقياً ليكون ذبحه حلالاً تطورت المفردة بعد ذلك لتكون صفة لدرجة كهنوتية واصبح زابا = حلالي.

زَبْنيتا | ٥

(زبنيتا، زِبْنْتا، زِبنيأتا ـ القاموس المندائي ص١٥٦، ورودولف ص٢١١) بمعنىٰ الميزان، وهي من الاكدية: زَبانيتو (بفتح الزاي وكسرها) بنفس المعنىٰ (AHW ١٥٢٣).

ووردت الكلمة المندائية في كتاب يحيىٰ ٨٥ : ٨[٣٥].

سَليلين لِزبانياتون (يغشون موازينهم)، كما وردت ايضاً في كتاب التنجيم ٢٢ : ١١[٣٦].

ولعل اصل الكلمة من مادة (زبن) الموجودة في الارامية بمعنىٰ إشترىٰ وبصيغة پَعِّل: باع (تسمرن ص١٦). ومن ذلك في عربيتنا: الزبون.

كَنا[٣٧]

(القاموس المندائي ص١٩٨)، كَنّا (رودولف ص٢١١) بمعنىٰ وعاء، إناء الخزن، او قد تعني ايضاً الرف او الحامل (تسمرن ص٣٣) وهي من الاكدية كَنو. وقد تكون الكلمة مأخوذة من السومرية كَن بنفس المعنىٰ للكلمة المندائية (AHW ص٤٣٧). ولعلها دخلت العبرية كِن (بالفتح والكسر)، والارامية كَنّا بمعنىٰ رف. وفي العربية كِنّ وتجمع علىٰ أكنان.

كيوان

زحل، نجمة السبت (القاموس المندائي ص٢١٢)، من الاكدية كيوانو، كيمانو (Borger ص٣٢٧)[٣٨] والكلمة في السريانية كيوان، كِوان، كيأوان (بروكلمان ٣٢٢ ب)، ويذكر ان هذه اللفظة والفاظاً اخرىٰ من اسماء اخذتها المندائية إما كلياً او جزئياً من الاكدية.

كِرْصا **(قِرْصا)**

واصلها من الفعل (قرص) وهو اصل مشترك في لغات جزيرة العرب بمعنىٰ عضّ، قطع ووضعتها دراور في حرف الكاف في (القاموس المندائي ص٢١٦) وهي مستعملة في المندائية في المصطلح (آكل كِرْصا) للغشاش او المفتري او المخبر. (أكالو كَرصِيَ)[٣٩] وهذا المصطلح الاكدي المركب من الكلمتين نفسيهما له نفس المعنىٰ للمصطلح المندائي. (انظر AHW ص٤٤٧).

وورد المصطلح في النص المندائي (ألف واثنا عشر سؤالاً ٣٧٧/١١)[٤٠]، والمصطلح نفسه بهذا المعنىٰ موجود في الارامية والسريانية (آخِل قرصِي).

لِيت

(دِلْبَت)

كوكب الزهرة (ڤينوس). من الاكدية دِلْبَت (تسمرن ص٦١ و Borger ص٥٥) ويبدو ان بعضهم وَهِمَ فظن ان الدال أداة وصل وهي في الحقيقة من اصل الكلمة (ديترش ص٢٩٩). وترد الكلمة في الكنزا اليمنىٰ ٢٤٤ : ٢٣[٤١].

«بابا دلبت كوكبا» (باب الكوكب دلبت).

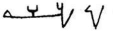
مَكْتا

من الاكدية مَكوتو[٤٢] (مَكّوتو[٤٣]، مكوا[٤٤]) بمعنىٰ نوعاً خاصاً من القوارب (مسطح القاعدة) او عوّامة، طوّافة، وهي دخيلة في الاكدية من السومرية مَكّوتو (ديترش ص٢٩٩ و AHW ص٥٩٠). والكلمة موجودة ايضاً في الارامية اليهودية والسريانية ماكوتا (تسمرن ص٣٢).

مَلْوشا ٥

وتعني علامة البروج، وهو الاسم الفلكي الذي يمنح

للشخص المندائي عند الولادة، ويستعمل في الاغراض الدينية كالطقوس مثلا (القاموس المندائي ص٢٤٤). ويذهب نولدكه في (القواعد المندائية ص٢٨) الى إنها قد تكون مأخوذة من السومرية عن طريق الاكدية بصيغة Mul (a) maš (انظر Borger ص٩٤ و AHW ص٦٢٨ و ص٦٧٠)، ودخلت السريانية ايضاً ملواشا بنفس المعنى.

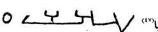
نِنْذبا 

وتعني قربان، ضحية، تقديم. هكذا حرّكها بالكسر رودولف (ص٢١١). اما عند باومگارتنر (ص٣٤٥) فوردت مفتوحة نَنْذبا. وذكرت بصيغة الجمع فقط في (القاموس المندائي ص٢٨٤) نَنْدبيا بالفتح ايضاً، استناداً الى ورودها في (الكنزا ص١٢١ هامش٣) في النص الاتي:-

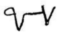
«ونرمي بكَوه نَندبيا» أي ونطرح في داخله قرابينَ وفي الاكدية نِنْدَبو (يذكر AHW ص٧٩٠ أنها كلمة دخيلة من السومرية) بنفس المعنى. واصل الكلمة في الاكدية نِدْبو بمعنى قدّم. وهذا الاصل موجود ايضاً في العبرية والارامية (ندب). واظن الاصل العربي الذي يناظر ذلك مادة (نَدَبَ) بمعنى حثّ ووجه للأمر، والندب ايضاً أثر الجرح[٤٥].

نبو[٤٦] 

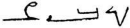
كوكب عطارد من الاكدية نَبو (نابو يوردها رودولف ص٢٠٧ و AHW ص٧٧٤)، وهي موجودة في السريانية نْبو والعبرية نِبو nebū/nebō.

نْمبيا، نَمْبيا[٤٧] 

بمعنى رثاء، نواح ومفردها نُمْبا (ديترش ص٣٠٠). ووردت في (الكنزا ص٢٠ هامش٦) فيما نصه: «أو لاقالا نمبيا» (ولاصوت نواح). وفي موقع آخر وفي نفس المصدر (ص٢٨ هامش١١) مايلي: «نمبيا أو بكتا» أي نواح وبكاء، وهي مستعارة من الاكدية نُبُو (وديترش ص٣٠٠ وتسمرن ص٦٧[٤٨]، اما AHW ص٨٠٠ يوردها بصيغة نُبو) بمعنى نواح.

نونا[٤٩] 

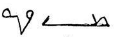
وتعني السمك، الحوت، وبرج الحوت فلكياً. وهي من الاكدية نونو (القاموس المندائي ص٢٩٤ ورودولف ص٢٠٧ و AHW ص٨٠٣) وهي كلمة سامية شائعة. موجودة في الارامية والسريانية: نونا، والعربية والعبرية الحديثة نون (قاموس براون ص٦٣٠) بالمعنى نفسه[٥٠].

نيريگ 

نعريگ يوردها بهذه الصيغة (القاموس المندائي ص٢٩٩) بمعنى مارس (المريخ)، والكلمة مأخوذة من الاكدية: نِرْ گَلو (نفس المصدر اعلاه)، نِرگال (رودولف ص٢٠٧. انظر ايضاً القاموس الميثيولوجي ص١٠٩[٥١])، إسم إله في اكثر من مكان من البقعة السامية، ففي الفينيقية والعبرية نرگال، وفي آرامية الحظر نِرگال (نرگول) اما في السريانية فكالفظ المندائي نيريگ (بروكلمان ٤٤٩ : ٦).

سين 

(سيرا رودولف ص٢٠٧) بمعنى قمر، من الاكدية سين (AHW ص١٠٤٦)، او ربما تكون شيرو التي تناظرها في السريانية سْهرا وفي الارامية اليهودية سَهَرا[٥٢]، وربما دخلت هذه الكلمة سين: الاله القمر في العربية الجنوبية (تسمرن ص٦٩).

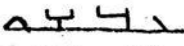
سيفا 

عمود الباب، عتبة الباب. والجمع سيفيا[٥٣]. من الاكدية سِپّو (AHW Sibbu ص١٠٤٩) (ديترش ص٣٠٠ وتسمرن ص٣١)[٥٤] بنفس المعنى. والكلمة موجودة في الارامية سِپا، سيپا (سِپّا سيپّا مشددة AHW نفس المصدر اعلاه)، وايضاً في العبرية سَف وجمعها سْپيم، وفي الاضافة لضمير الجمع المتصل: سِپام (براون ص١٨٦) وفي الفينيقية: SP.

سِنْكُرا[٥٥] 

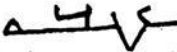
وتعني بالنسبة لباومگارتنر (ص٣٤٥) سمكة، اما تسمرن (ص ٥٢) فيكتبها بهذه الصيغة سِنْكُورا وتعني اسماً لنوع من انواع السمك. وفي الاكدية زِنْگُرّو وتعني ايضا اسماً لنوع من

انواع السمك (تسمرن نفس المصدر. انـظر ايضـاً AHW ص١٠٤٧).

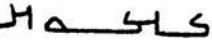
عُرْبا 

شجرة الغَرَب. من الاكدية أوربَتو (باومگارتنر ص٣٤٧، القاموس المندائي ص٣٤٦، AHW ص١٤٢٨) بنفس المعنى. والاصل مشترك والكلمة موجودة في العبرية والعبرية الحديثة: عَرابا، والارامية اليهودية: عَرْبا (قاموس جاسترو ص١١١١)، والسريانية عَرْبتا والعربية: غَرَب.

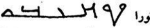
نجد ان هذه الكلمة في الاكدية والمندائية مضمومة الاول، اما في الارامية اليهودية والسريانية فهي مفتوحة الاول.

عُكرا  (إكورا)[٥٦]

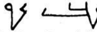
بمعنى معبد، مذبح والكلمة دخيلة من السومرية إ - كور (تسمرن ص٦٨، ديترش ص٣٠١) عن طريق الاكدية: إكُرّو[٥٧] (باومگارتنر ص٣٤٧ و AHW ص١٩٦) بنفس المعنى والكلمة موجودة ايضاً في الارامية اليهودية والمصرية إگورا (إيگورا) بنفس المعنى (تسمرن ص٦٨، القاموس المندائي ص٣٤٩ وقاموس جاسترو ص١٢) كما ترد في الكتابات الطلسمية اليهودية[٥٨].

غمت 

متى، عندما، لمّا؟ من الاكدية إمّاتي (ديترش ص٣٠١) (إمّتي AHW ص٦٣٢) بمعنى متى والتي اصلها: إنْ ماتي (القاموس المندائي ص٣٥٢) وسقطت الكسرة الاخيرة في المندائية، إلا إنها لم تحرك الكلمة بصوت عِلّه كما يجب في المندائية، وبهذا فالكلمة المندائية طابقت الكلمة الاكدية لفظاً. والكلمة موجودة في ارامية التلمود أيْمت والصيغة الاقدم أيماتاي، والسريانية أمتاي < اي + ماتاي، والعبرية ماتاي والعربي: متى.

فاتورا 

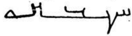
منضدة، طبق (وصينية تستعمل للطعام الطقسي). من الاكدية پشّورو < من الممكن من السومرية بنشور (تسمرن ص٣٣ وانظر ايضاً AHW ص٨٤٥). وهي في الارامية التلمودية والسريانية: فاثورا ودخلت العربية فاثور.

فِرْكا 

بمعنى مذبح والجمع فِركيا (القاموس المندائي ص٣٧٩)، صنم كما في (الكنزا ٢٤ / ٢٠):

«فِركيا دطينا (اصنام الطين)

وهي من الاكدية پَرَكّو بمعنى مذبح (اصنام المذبح AHW ص٨٢٧) والكلمة موجودة في السريانية فِرَكّا[٥٩].

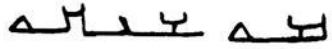
صُرْتا 

بمعنى صورة، شكل او خط يرسم حول إنسان او شيئ (في الطلاسم. ويطلق ايضاً على المرأة قبا طهارتها من الولادة (القاموس المندائي ص٣٩١). وهي من الاكدية صُرْتو أو اوصُرْتو (باومگارتنر ص٣٤٦). اما تسمرن (ص٢٧) فيذكر فقط اوصُرْتو والتي تعني خط الدائرة (وردت في AHW ص١٤٤٠ اوصُرْتو بمعنى تخطيط، مخطط) وهو المعنى الذي تشترك فيه مع المندائية (باومگارتنر نفس المصدر اعلاه، ودراور: كتاب التنجيم ص١٢٧ هامش٥).

وهذا الاصل موجود في الارامية اليهودية والسريانية والعبرية بمعنى: صورة، شكل كما في العربية ايضاً. ولايرد في هذه اللغات بمعنى: خط الدائرة.

صِليفا[٦٠] 

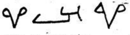
بمعنى مضروب، جريح، مُدَمّر، وهي من الاكدية صلاپو (AHW ص١٠٧٦). وهذا الاصل موجود في الارامية اليهودية أصْليف، والسريانية صَلِّف بمعنى جرح. أما في العربية فالأصل (ص ل ف) يفيد معنى الشدة وقلة الخير واظهار الاذى بالقول كالتكلم بما يُكره.

قبوتا 

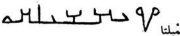
يوردها رودولف (ص٢١١) بهذه الصورة، وفي (القاموس المندائي ص٣٩٨ وديترش ص٣٠٣) قَبْتا وتعني التابوت، الصندوق. وفي الاكدية قَبوتو بمعنى كأس (AHW ص٨٩٠ بالاضافة الى معنى آخر حظيرة، اسطبل)[٦١] ويذكر ديترش (نفس المصدر) انها في الاوغاريتية والعبرية ق ب ع ت بمعنى الكأس او القدح. وفي السريانية ق و ب ع أ. وفي العربية ق ب ع أ بمعنى

كأس الزهرة.

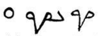
اما الكلمة السريانية ق أب وت أ فهي مشتقة من الاغريقية او اليونانية ولاعلاقة لها بالكلمة آنفة الذكر.

شَمِش 

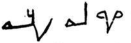
شمس، من الاكدية شَمشو (AHW ص١١٥٨) (شَمَش: الاله الشمس، القاموس المندائي ص٤٤٣)، والكلمة مشتركة في لغات جزيرة العرب كالارامية شِمشا والعبرية شِمِش والعربية شمسٌ.

شُمْبُلتا، شُمْبِلتا، شِمْبِلتا 

وردت هذه الصيغ في القاموس المندائي (ص٤٥٥) بمعنى سنبلة، وهي كلمة مشتركة في لغات جزيرة العرب، ففي الاكدية شُبُلتو (رودولف ص٢٠٧ و AHW ص١٢٥٨)، شُبُلْتو (ديترش ص٣٠٤)، وفي الارامية اليهودية شوبَلْتا[١٢]، وفي السريانية شِبِّلْتا والعبرية شِبُّلِت، والاوغاريتية ش ب ل ت، وفي العربية سنبلة.

شُشا[١٣] 

šuša هكذا عند دراور (القاموس المندائي ص٤٥٧)، اما نولدكه في (القواعد المندائية ص٢٨ هامش٢) وتسمرن (ص٦٥) فترد الكلمة المندائية بهذه الصيغة: šoša، وتعني في المندائية «الجزء الثاني عشر من الساعة» إلا اني اظنها تعني السدس مطلقاً، وهي من الاكدية شُشُو: سُدسَ الثلاثمائة وستين = ٦٠ (تسمرن ص٦٥ وبارمكارتنر ص٣٤٥ و AHW ص١٢٨٩).

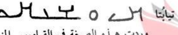
شَلَندا، اَشْلَندا 

وردت هاتان الصيغتان في القاموس المندائي (ص٤٦٧).

ويذكر رودولف (ص٢٨) صيغة شَلَندا فقط، بمعنى جثة.

والكلمة في الاكدية بالميم شَلَمْدو (AHW ص١١٤٣) او بالتاء شَلَمْتو[١٤] بالمعنى نفسه.

وللكلمة المندائية صيغة اخرى هي شَلْدا (ديترش ص٣٠٣)[١٥] وتقابلها في الارامية والسريانية شِلْدا (القاموس المندائي ص٣٦٩)، وفي العبرية الوسيطة شِلِدْ (بامكارتنر ص٣٤٦)[١٦].

تيابُتا 

وردت هذه الصيغة في القاموس المندائي (ص٤٨٤) ورودولف (ص٢٨ هامش٤) بمعنى غزو. وفي الاكدية تِبوتو (AHW ص١٣٥٦) بالمعنى نفسه. وتذكر دراور في كتاب التنجيم (ص١٣٦ هامش٣) ان الكلمة تِبْيا قد تكون الاصل، وان تِبُتو بمعنى الغزو مشتقة منها أو محمولة عليها.

الهوامش والمصادر

١ - في تفسير لفظة المندائية واصولها اللغوية انظر: تاجية المراني/ مفاهيم صابئية مندائية/ بغداد ١٩٨١ ص٥٥.

٢ - نولدكه: القواعد المندائية Theodor, Nöldeke, Mandäische Grammatik, Halle 1875, P.XXVI.

٣ - نولدكه: نفس المصدر السابق.

٤ - L. Gray, Interoduction to Semitic Commparative Linguisics, Amsterdam 1971, P. 5.

٥ - نولدكه: نفس المصدر السابق.

٦ - رودولف (ص٢٧) Kurt Rudolph, Die Mandäer I: Prolegomena, Göttingen 1960.

٧ - حول هذا الموضوع انظر: رودولف نفس المصدر (ص٢٠٧).

٨ - الليدي دراور/ الصابئة المندائيون/ ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي/ بغداد ١٩٦٩.

٩ - Von Soden. Akkadische Hand Wörterbuch/ Wiesbaden 1958 ff. AHW

١٠ - قاموس جاسترو: M. Jastrow, Dictionary of the Targumim Talmud Babli Yerushalmi and Midrashic Literature, New York, 1971.

١١ - القاموس المندائي يشير الى الصيغة الاولى والثانية: E.S. Drower, R. Macuch: Amandaic Dictionary, Oxford 1963.

١٢ - ديترش يذكر الصيغة الاولى فقط M. Dietrich: Zum Mandäischen Wortschatz, B/O XXIV No. 5/6 Sept. Nov. 1967 P. 290—305.

١٣ - تسمرن: H. Zimmern: Akkadische Fremdwörter als Beweis für babylonischen Kultureinfluss, Leipzig 1917.

١٤ - CAD = قاموس شيكاغو الاشوري Chicago Assyrian Dictionary 1968.

١٥ - طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٠.

١٦ - مجلة سومر حـ ٢ م سنة ١٩٥١ ص١٧٢، كتابات الحظر، الكتابة رقم ١.

١٧ - قاموس فون زودن AHW ص٢٤٧ يوردها بمعنى نسر.

١٨ - يذكر طه باقر نفس المصدر (ص١١٥)، أن الاصل في الاكدية عقربو بالعين، ومعلوم ان رسم العين غير مرسوم في الخط المسماري. كما يشير الى مرادف آخر في

البابلية زُقاقيبو.

١٩ - بروكلمان: الموسوعة السريانية، Brockelmann, C. Lexicion Syriacum, Halis 1928.

٢٠ - قاموس براون: F.Brown, Heberew and English Lexicon of the Old Testament, Oxford, 1972.

٢١ - يورد القاموس المندائي ص٤٢ صيغة اخرى للكلمة المندائية عُتنا.

٢٢ - يكتب تسمرن (ص١٥) هذه الصيغة للكلمة الاكدية إتانو.

٢٣ - باومگارتنر W. Baumgartner: Zur Mandäerfrage in HUCA XXIII, 1950/51 P. 41—71 (332—357).

٢٤ - وهذه الصيغة مركبة من لا + باطلا، يبدو ان طريقة خلق مفردات بهذه الطريقة كانت مستعملة في المندائية والاكدية، مثل لاطابا المركبة من لا + طابا التي تعني غير جيد وتقابلها في الاكدية لاطابو < لا + طابو بالمعنى نفسه (ديترش ص٢٩٨).

٢٥ - يورد القاموس المندائي الكلمة بهذه الصيغة bil. اما رودولف (ص٢٠٧): bél.

٢٦ - بيلا صيغة اخرى لنفس الكلمة وبنفس المعنى.

٢٧ - حسب باومگارتنر (ص٣٤٦).

٢٨ - ليدزبارسكي: الليتورجيا المندائية M. Lidznarski: Mandäische Liturgien, Berin 1920.

٢٩ - ولكن من الواضح ان التماثل الصوتي مفقود بين اللفظتين الاكدية والمندائية.

٣٠ - ويذكر ديترش (ص٢٩٦) انها تساوي صابا = المعمدان.

٣١ - الالف التي ترسم في آخر الكلمة المجموعة لاتنطق عادة في المندائية الحديثة.

٣٢ - زُبيا هكذا وردت في النص اعلاه، إلا انها ايضاً وردت بالضم والكسر زُبِّيا، زِبّيا في القاموس المندائي (ص١٥٦).

٣٣ - لم اجد هذه الكلمة عند تسمرن وقد اشار الى هذا المصدر القاموس المندائي (ص١٥٦). ويعتقد ليدزبارسكي ان زُبّيا لها علاقة بالكلمة الاشورية زَبّو. انظر: دراور، كتاب الصلاة ص١١ هامش٦.
E.S.Drower, The Cononical, Prayerbook of the Mand., Leiden 1959.

٣٤ - وردت في القاموس الاشوري صيغة اخرى للكلمة الاكدية Sappu بمعنى: درجة كهنوتية (CAD (Z) ص٧).

٣٥ - كتاب يحيى: M.Lidzarski, Das Johannesbuch d. Mandäer, 2Teile, Giesen 1905 U. 1915.

٣٦ - كتاب التنجيم: E.S.Drower, Book of Zodiac (Sfar Malwašia) London 1949.

٣٧ - گنا: تطلق هذه الكلمة في بعض المواضع على «النشمثا» وتقابلها في العربية «النفس».

٣٨ - (Borger) : Rykle Borger, Assyrisch — babylonische Zeichenliste, 1978.

٣٩ - والمصطلح الاكدي عند تسمرن (ص٢٥) كرصي آكالو.

٤٠ - دراور: E.S.Drower, the Alf Trisar Sulalia, Berlin 1960.

٤١ - ليدزبارسكي: الكنزا M. Lidzbariski: Ginza, das Buch d. Mandäer, Göttinen 1925.

٤٢ - تسمرن (ص٣٢).

٤٣ - ديترش (ص٢٩٩) يورد هذه الصيغة.

٤٤ - القاموس المندائي (ص٢٤٢) يذكر هذه الصيغة.

٤٥ - انظر مادة (ندب) في لسان العرب.

٤٦ - ينفرد القاموس المندائي (ص٢٨٧) بالاشارة الى صيغة اخرى للكلمة المندائية وهي: عُنبو.

٤٧ - وردت الصيغتان للكلمة المندائية في القاموس المندائي (ص٢٩٤).

٤٨ - كما يضيف تسمرن صيغة اخرى للكلمة الاكدية وهي: نُمْبو.

٤٩ - رودولف (ص٢٠٧). ويوردها القاموس المندائي (ص٢٩٤) بصيغة نُنا.

٥٠ - ولم يشر الى هذا المعنى في العبرية إلا (براون)، فيما نعلم. اما الاخرون فلم يشيروا إلّا الى استعمالها في العبرية كأسم علم في سفر الأيام الاول ٧: ٢٧.

٥١ - القاموس الميثولوجي: Wörterbuch d. Mythologie, I. Lieferung, Stuttgart.

٥٢ - ويذكر رودولف (ص٢٠٧) شهرونيم في العبرية.

٥٣ - ومن المعلوم انها تنطق (بالباء) اللاتينية Sipa

٥٤ - ويرى تسمرن (ص٣١) انها ربما تكون دخيلة من السومرية Zig, Zib.

٥٥ - لم ترد هذه الكلمة في القاموس المندائي.

٥٦ - هذه الصيغة للكلمة المندائية وردت عند تسمرن (ص٦٨) ولعلها اقرب الى الاصل الاكدي.

٥٧ - وعند رودولف (ص٢٨): إكْرو بتشديد الكاف لا الراء.

٥٨ - انظر: J.A.Montgomery, Aramaic in Contation Text, Philadelphia 1913.

٥٩ - انظر: القاموس السرياني/ لويس كوستاس، قاموس سرياني - عربي، المطبعة الكاثوليكية بيروت. اما تسمرن (ص٦٨) يوردها بهذه الصيغة فِركّا.

٦٠ - صيغة اسم المفعول من وزن فِعّل للجذر صرلف (بالفاء) إلا ان ديترش (ص٣٠٢) يصنفها تحت صرلب (بالباء).

٦١ - اما بالنسبة لباومگارتنر (ص٣٤٥) فتعني الكلمة المندائية حجرة خشبية، اما الاكدية فتعني له اصطبل، وهذا المعنى ورد ايضاً في AHW ص٨٩٠.

٦٢ - وعند رودولف (ص٢٠٧) صيغة اخرى بالكسر شِبِلْتا.

٦٣ - اما المعنى الثاني لـ شُشا: شراب، فهو كما في السريانية شوشا والارامية شوشا فقد تكون دخيلة من الاكدية شوشو وهو شراب يستحضر من الشعير (القاموس المندائي ص٤٥٧).

٦٤ - يذكر رودولف (ص٢٨) هذه الصيغة فقط. اما تسمرن (ص٤٨) يذكر صيغة اخرى للكلمة الاكدية وهي شَلْمو.

٦٥ - كما يشير ديترش في المصدر اعلاه (ص٣٠٤) الى صيغة اخرى: شلاودا. ويذكر تسمرن (ص٤٨) صيغة اخرى للكلمة المندائية: شِلْندا.

٦٦ - يذكر تسمرن (ص٤٨) صيغة اخرى للكلمة العبرية: شلم ويشير الى المصدر (سفر نحميا ١/ ١٢).

الغزالي من الاكاديمية الانسايكلوبيدية الى تماسك المواقف النقدية في المواقع المنهجية

ـ دراسة فهرسية : تحليل وإعادة تركيب واستنتاج ـ

مدني صالح

كلية الاداب / جامعة بغداد

إذا كان الإنصاف بالأكاديمية لايكون إلّا على قدر النقد والتدقيق في التحليل والتعليل وحب الحكمة ومعرفة المعلول بالعلة والعلة بالمعلول، وإذا كان الإتصاف بالانسايكلوبيدية لايكون إلّا على قدر الإنفتاح والموسوعية والإحاطة والشمول، فإن الغزالي قد احتل ـ ولايزال يحتل ـ منزلة أكاديمية انسايكلوبيدية لم تكن قط لأحد غيره في جميع عصور الثقافة العربية حتى هذه الساعة من تاريخ الفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف والإشراق . . ذلك بأنه فقيه متكلم فيلسوف متصوف إشراقي ومنهجي نقدي لا أكبر منه في النقد المنهجي والمنهج النقدي بين أفلاطون وديكارت وبأنه :

أولاً : أكبر الفقهاء في علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف وفي الإشراق : فلا أكبر منه بين الفقهاء في علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف وفي الإشراق، ولا أكبر منه في الفقه بين المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة والإشراقيين .

ثانياً : أكبر المتكلمين في الفقه وفي الفلسفة وفي التصوف وفي الإشراق : فلا أكبر منه بين المتكلمين في الفقه وفي الفلسفة وفي التصوف وفي الإشراق، ولا أكبر منه في علم الكلام بين الفقهاء والفلاسفة والمتصوفة والإشراقيين .

ثالثاً : أكبر الفلاسفة في الفقه وفي علم الكلام وفي التصوف وفي الإشراق : فلا أكبر منه بين الفلاسفة في الفقه وفي علم الكلام وفي التصوف ، وفي الإشراق، ولا أكبر منه في الفلسفة بين الفقهاء والمتكلمين . والمتصوفة والإشراقيين .

رابعاً ـ أكبر المتصوفة في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة وفي الإشراق: فلا أكبر بين المتصوفة في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة وفي الإشراق، ولا أكبر منه في التصوف بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والإشراقيين .

خامساً ـ أكبر الإشراقيين في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف : فلا أكبر منه بين الإشراقيين في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف، ولا أكبر منه في الإشراق بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والمتصوفة . .

أجل . . ذلك هو سرُّ أكاديمية الغزالي الإنسايكلوبيدية وإنسايكلوبيديته الأكاديمية فهو :

أولاً ـ فقيه أكبر في علم الكلام من أبي حنيفة ومن مالك ومن الشافعي ومن أحمد بن حنبل ومن الفقهاء المجتهدين الآخرين : فجميع هؤلاء فقهاء لم يؤلفوا شيئاً منهجياً مستقلاً في علم الكلام لا على سنة الأشاعرة ولا على سنة المعتزلة ولا على سنة أيّ من المتكلمين الآخرين من أهل الخوض في العقائد وفي الفرق بين الفرَق وبين المتخلفين في النحل وفي الملل وفي المذاهب وفي الدين

رغم أن المسائل الكلامية مبثوثة في فقه هؤلاء جميعاً عند ملتقى أحكام العقيدة بأحكام التشريع : فالدين عقيدة وأحكام وعبادات . . وهو فقيه لا أعظم منه في علم الكلام بين الفقهاء لا في الموقع ولا في الموقف، ولا في التأليف الذي له فيه كتاب «مقاصد الفلاسفة» وكتاب «المستظهري في الرد على الباطنية» وكتاب «حجة الحق» وكتاب «قواصم الباطنية» وكتاب «الإقتصاد في الإعتقاد» وكتاب «الرسالة القدسية» في قواعد العقائد وكتاب «المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «مآخذ الخلاف» وكتاب «لباب النظر» تحصين المآخذ وكتاب «المبادىء والغايات» وكتاب «الدرج المرقوم» وكتاب «القسطاس المستقيم» وكتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة وكتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» .

وهو ثانياً - فقيه أكبر في الفلاسفة من «أبي حنيفة» ومن «مالك» ومن «الشافعي» ومن «أحمد بن حنبل» ومن الفقهاء المجتهدين الآخرين : فجميع هؤلاء فقهاء لم يؤلفوا شيئاً منهجياً مستقلاً في أيٍّ من فروع الفلسفة لا على سنة أرسطو وأفلاطون وقدماء اليونانيين، ولا على سنة المتأخرين منهم، ولا على سنة الرومان الذين كانوا قد ورثوا الفلسفة اليونانية إبّان ازدهار هؤلاء الفقهاء المجتهدين وانتشار مذاهبهم في جميع أنحاء الدولة العربية قبل قيام الكندي والفارابي إلى توطيد أركان الدرس الفلسفي والتأليف في الفلسفة بين المسلمين . . وهو فقيه إمام في الفقه ومجتهد حجة في الفقهاء وناقد مبدع في جميع فروع الفلسفة . . وله من التأليف الفلسفي النقدي الرصين كتاب «تهافت الفلاسفة» الكتاب النقدي الخطير الذي جمع بين إنسايكلوبيدية الغزالي وأكاديميته ولم يكن أرقى منه في النقد الفلسفي بين العصور القديمة من جهة الفلسفة اليونانية وبين العصور الوسطى حتى طلائع الفلسفة الحديثة . . وهو بهذا فقيه يتفوق على جميع الفقهاء في التأليف الفلسفي المحكم والنقد الفلسفي الرصين عند مفترق طرق الحكمة والشريعة : الذي هو مفترق طرق العقل والنقل : الذي هو مفترق طرق المنطق والوحي : الذي هو مفترق طرق الفيلسوف والنبي : الذي هو مفترق طرق مناهج الفلسفة ومناهج الدين : الذي هو - في قصة الشك عنده - مفترق طرق أحكام النظر النقدي المنهجي وأحكام اليقين المذهبي الديني التقليدي الموروث : الأمر الذي كان منه الغزالي المنهجي النقدي تحولاته الخطيرة من الفقه الى علم الكلام، ومن علم الكلام إلى الفلسفة، ومن الفلسفة إلى التصوف والإشراق : التحولات التي هي في النظر النقدي الفلسفي، تحولات في نظرية المعرفة ومراتبها ودرجات اليقين بالرأي بناءً على الرؤية بعين الرأس، فإلى اليقين بالرأي بناءً على الرؤية بعين العقل، فإلى اليقين بالرأي بناءً على الرؤية بعين القلب الذي هو منهج السادة الصوفية كما يصّرح في كتابه «المنقذ من الضلال» الذي هو كتاب في الفلسفة من جهة نظرية المعرفة ومن جهة الشك المنهجي ومن جهة الطريقة والمنهج في الفصل بين الفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف بعض من بعض فلا يختلط بالتداخل أو يتداخل بالخلط نظر أصناف الطالبين وهم الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة والمتصوفة . . .

وله في الفلسفة إضافة إلى كتاب «تهافت الفلاسفة» وكتاب «المنقذ من الظلال» كتب منهجية نقدية منها كتاب «معيار العلم» وكتاب «محك النظر» وكتاب «ميزان العمل» وكلها في المنطق وانتهاج النقد وسيلة إلى تبّين الطريق إلى المنهج الديكارتي قبل ديكارت وإلى تبّين المنهج إلى الطريقة البيكونية قبل فرنسيس بيكون وله من عيون الكتب التي لك أن تحسبها من الفلسفة كما لك أن تعدها من علم الكلام كتاب «الاقتصاد في الإعتقاد» وكتاب «مقاصد الفلاسفة» وكتاب «جواب مفصل الخلاف» فإنها الكتب التي يجمع بينها أنها فلسفية من الجهة النظرية العامة لكنها كلامية عقائدية من جهة التطبيق . .

وهو ثالثاً - فقيه أكبر في التصوف والإشراق من أبي حنيفة ومن «مالك» ومن «الشافعي» ومن «أحمد بن حنبل» ومن الفقهاء المجتهدين جميعاً ذلك أنه فقيه من الدرجة الأولى ومتصوف من الطراز الأول . . والجمع بين الفقه والتصوف من أصعب مايكون . . ذلك بأن الفقه محكوم بقدسية النصوص وبوجوب المحافظة وملازمة التقليد وبمخافة الخروج على مصادر التشريع . . أما التصوف فتجريب شخصي ذاتي يبدؤه المتصوفة إلّا من عند حد نهايات تخوم تقديس النص وحرفية التفسير وملازمة التقليد . . لكنّ الغزالي قد جمع بين الفقه والتصوف جميعاً مما أكسبه منزلةً لم تكن قطّ لغيره على الأعراف بين الفقه والتصوف : فهو فقيه يعترف له الفقهاء بالمنزلة الفقهية

ولاينكرون منه التصوف، وهو متصوف يعترف له المتصوفة بالمنزلة الصوفية ولاينكرون منه الفقه . .

وهو رابعاً - متكلم أكبر في الفقه من الأشاعرة ومن المعتزلة ومن جميع المتكلمين فجميع هؤلاء متكلمون لم يؤلفوا تأليفاً منهجياً مستقلاً في الفقه رغم أنهم كانوا قد توسّعوا بمباحث في صلب مسألة الإلزام الديني وشروط التكليف . . ومن هذه المباحث مسائل الحرية والجبر والقدر والإختيار . . وهو متكلم وفقيه إمام حجة مجتهد في الفروع وفي الأصول وله من التأليف الفقهي . . كتاب «التعليق في فروع المذهب» وكتاب «التحول في الأصول» وكتاب «البسيط في الفروع» وكتاب «الوسيط» وكتاب «الوجيز» وكتاب «خلاصة المختصر» وكتاب «شفاء العليل في القياس والتعليل» وكتاب «غاية الفور في دراية الدور» وكتاب «بداية الهداية» وكتاب «إحياء علوم الدين» وكتاب «جواهر القرآن» وكتاب «تفسير ياقوت التأويل» وكتاب «الكشف والتبيين» وكتاب «تلبيس إبليس» وكتاب «غور الدور في السمألة السريجية» وكتاب «تهذيب الأصول» وكتاب «حقيقة القولين» وكتاب «أساس القياس» وكتاب «حقيقة القرآن» وكتاب «المستصفى في علم الأصول» . .

وهو خامساً - متكلم أكبر في الفلسفة من الأشاعرة ومن المعتزلة ومن المتكلمين الآخرين : فجميع هؤلاء متكلمون لم يؤلفوا تأليفاً منهجياً مستقلاً في الفلسفة لا على سنة ابن سينا والفارابي، ولا على سنة أرسطو وأفلاطون إبّان ازدهار علم الكلام إزاء ثقافات كثيرة كانت الفلسفة اليونانية أكثرها تداخلاً في مناهج المتكلمين . وله من التأليف الفلسفي مكتبة فلسفية متكاملة في الخماسي الفلسفي الكبير : «المنقذ من الضلال» «ومعيار العلم» «والإقتصاد في الإعتقاد» «ومقاصد الفلاسفة» «وتهافت الفلاسفة» . .

وهو سادساً - متكلم أكبر في التصوف وفي الإشراق من الأشاعرة ومن المعتزلة ومن المتكلمين الآخرين : فجميع هؤلاء متكلمون لم يتعاطوا التصوف لا في الممارسة والسلوك ولا في التأليف . . وله في التصوف مكاشفة وكشف مع أهل المشاهدة وله تأليف منه كتاب «مشكاة الأنوار» وكتاب «المعارف العقلية» «والرسالة اللدنية» «والشذرات التهذيبية» المبثوثة في فصول كتاب «إحياء علوم الدين» وكتاب «جواهر القرآن» وكتاب «ميزان العمل» .

وهو سابعاً - فيلسوف أكبر في الفقه من «الكندي» ومن «الفارابي» ومن «ابن سينا» ومن «ابن باجة» ومن «ابن طفيل» ومن «ابن رشد» : فجميع هؤلاء فلاسفة لم يؤلفوا شيئاً في الفقه . . وهو فقيه ملأ الفقه تأليفاً في الفروع وفي الأصول . . [وراجع مؤلفاته الفقهية المذكورة في الفقرة [وهو : رابعاً - متكلم اكبر في الفقه الخ . .)]

وهو ثامناً - فيلسوف أكبر في علم الكلام من «الكندي» ومن «الفارابي» ومن «ابن سينا» ومن «ابن باجة» ومن «ابن طفيل» ومن «ابن رشد» فجميع هؤلاء فلاسفة لم يؤلفوا تأليفاً منهجياً مستقلاً في علم الكلام . . وهو فيلسوف ملأ دنيا الكلام تأليفاً . . [وراجع مؤلفاته الكلامية في الفقرة (وهو : خامساً - فيلسوف أكبر في الفلسفة . . إلخ . . .)]

وهو تاسعا - فيلسوف أكبر في التصوف والإشراق من «الكندي» ومن «الفارابي» ومن «ابن سينا» ومن «ابن باجة» ومن «ابن طفيل» ومن «ابن رشد» . . فجميع هؤلاء فلاسفة لم يؤلفوا تأليفاً منهجياً مستقلاً في التصوف . وهو فيلسوف له من التأليف في التصوف ومن الممارسة السلوكية فيه مايؤهل الآخرين بالحديث عن طريقة غزالية في التصوف . . والتصوف عند الغزالي من الشائع في التداول بين الدارسين في المحاضرة وفي الكتب وفي الدوريات وفي جميع المباحث الفلسفية عند ملتقى التصوف بنظرية المعرفة وعند ملتقى التصوف بالتربية وبالأخلاق . . [وراجع مؤلفاته في التصوف في الفقرة (وهو : سادساً متكلم أكبر في التصوف والخ . .)]

وهو : عاشراً - متصوف إشراقي أكبر في الفقه من «الجنيد» ومن «الحلاج» ومن «الشبلي» ومن «البسطامي» ومن «ابن العربي» ومن المتصوفة الآخرين : فجميع هؤلاء متصوفة لايقبل الفقهاء بشيء منهم لا في العقيدة ولا في السلوك . . والغزالي متصوف يحتل بالفقه منزلة الصدارة الفقهية التي استحق بها لقب حجة الإسلام . . وله في الفقه من التأليف في الأصول وفي الفروع مايجعله في الصف الأول من صفوف الفقه الشافعي . . [وراجع مؤلفاته الفقهية في الفقرة (وهو : رابعاً متكلم أكبر في الفقه الخ . .)] . .

وهو : في الحادية عشرة - متصوف إشراقي أكبر في علم الكلام من «الجنيد» ومن «الحلاج» ومن الشبلي» ومن «البسطامي» ومن «ابن العربي» ومن المتصوفة الآخرين فجميع هؤلاء متصوفة لم يؤلفوا شيئاً منهجياً مستقلاً في علم الكلام ولا يفي لهم علم الكلام بمرام في العقيدة كما لايفي لهم الفقه بمرام في السلوك . .

وهو متكلم معدود على رأس الأشاعرة في علم الكلام وله من التأليف في علم الكلام ماصار به وبمؤلفاته الفقهية حجة إسلام لاينازعه بين المتصوفة أحد في اللقب . . [وراجع مؤلفاته الكلامية في الفقرة (فهو : أولاً ـ فقيه أكبر في علم الكلام والخ . .)] . .

وهو : في الثانية عشرة ـ متصوف إشراقي أكبر في الفلسفة من «الجنيد» ومن الحلاج ومن الشبلي ومن البسطامي ومن ابن العربي ومن المتصوفة الآخرين فجميع هؤلاء متصوفة لم يؤلفوا شيئاً منهجياً مستقلاً في الفلسفة . . وهو متصوف قد ملأ الدنيا فلسفة وملأ الفلسفة شكاً ومنهجاً ونقداً . . [وراجع مؤلفاته الفلسفية في الفقرة (وهو ثانياً ـ فقيه أكبر في الفلسفة والخ . .)] . .

لكنك لاتستطيع أن تقول أنه كان فقيهاً أكبر الفقهاء في الفقه . . ذلك لأنه ـ وهو شافعي في التمذهب الفقهي ـ ليس أكبر من الإمام الشافعي في الفقه . ولا تستطيع أن تقول أنه كان متكلماً أكبر المتكلمين في علم الكلام . . ذلك لأنه ـ وهو أشعري في التمذهب الكلامي ـ ليس أكبر من الإمام الأشعري في علم الكلام . . ولا تستطيع أن تقول انه كان فيلسوفاً أكبر من ابن سينا في الفلسفة كما لاتستطع أن تقول انه كان متصوفاً أكبر من الحلاج في التصوف . .

فهو إذن لا أكبر الفقهاء في الفقه، ولا أكبر المتكلمين في علم الكلام، ولا أكبر الفلاسفة في الفلسفة، ولا أكبر المتصوفة في التصوف . . وانه ليس من البناة المؤسسين لا في الفقه ولا في علم الكلام ولا في الفلسفة ولا في التصوف . . لكنك اذا صرفت مواقعه ومواقفه وكتبه كلها بعضاً إلى بعض موضوعاً وطريقةً ومنهجاً يتبين لك أنه لم يؤلف شيئاً من مؤلفاته في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف إلا على طريق النقد والطريقة والمنهج وأنه من البناة المؤسسين في الطريقة وفي المنهج وانه المؤسس الأول ـ في القرون الوسطى ـ للشك المنهجي ونظرية المعرفة والمعرفة النقدية بين «أرسطو» وأفلاطون من جهة العهد الفلسفي القديم وبين «فرنسيس بيكون» «ورنيه ديكارت» من جهة عهود الفلسفة الحديثة . وتلك هي الآن بداية نظرتنا النقدية إلى الغزالي فهرسياً ـ قيد التدقيق وإعادة النظر ـ مستنتجين من ظاهر أمر التبويب المطابق لواقع حال أمر التحليل أن الغزالي لم يكن قط إلّا منهجياً خطيراً لا أخطر منه في الثقافة الفلسفية داخل دائرة نظرية المعرفة في العصر الوسيط وانه فلسف الفقه فروعاً وأصولاً وفلسف مناهج البحث في الفروع وفي الأصول، وفلسف علم الكلام فبين مداه وحدود المنطق فيه أزاء قيود النص والتنزيل والتقليد، وفلسف الفلسفة بموضعتها منهجياً بين التصوف والدين من جهته فقيهاً أكبر من الفقهاء جميعاً في علم الكلام وفي الفلسفة وفي التصوف، ومن جهته متكلماً أكبر من علماء الكلام جميعاً في الفقه وفي الفلسفة وفي التصوف، ومن جهته فيلسوفاً أكبر من الفلاسفة جميعاً في الفقه وفي علم الكلام وفي التصوف، ومن جهته متصوفاً أكبر من المتصوفة جميعاً في الفقه وفي علم الكلام وفي الفلسفة . . وتلك منزلة منهجية عظمى فعلاً بالفعل وبالإجراء بالسلوك وبالعمل لا بالنظر وبالرأي كلاماً وبالكلام رأياً وتسطيراً لكلام في الكتب وهذا مالم يكن قط إلّا لقليل من الفلاسفة البناة في الطريقة وفي المنهج . . وهذا من الحظ العظيم الذي لم يكن في تاريخ الفلسفة إلّا لعظماء منهم فيثاغور ومنهم سقراط ومنهم أفلاطون . . ذلك بأن المطابقة تامة بين سيرة الغزالي الثقافية الذاتية وبين الذي يصفه من حال الطريقة الصحيحة والمنهج السليم في طلب المعارف واليقين إرتقاء في معارج الفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف : من الفقه والشريعة والفقهاء والعوام وظاهر الدين في العقيدة وفي الأحكام وفي العبادات وفي الطقوس وفي التقاليد والعادات إلى علم الكلام واصطناع المنطق للدفاع عن العقيدة وتحصينها للدفاع بتحصينها عن الفقه والشريعة والفقهاء والعوام وظاهر الدين في العقيدة وفي الأحكام وفي العبادات وفي الطقوس وفي التقاليد والعادات . .

لكن علم الكلام لم يكن ليفي بمرام الغزالي إذ انتقل منه إلى الفلسفة وانحلت عنه بفعل النظر النقدي رابطة التقليد . .

لكن النظر العقلي المنطقي المفلسف الذي كان قد أخرج الغزالي من المعتقد الكلامي باسلوب المتكلمين لم يكن قادراً على استرداد اليقين الذي لم يسترده إلّا بتعطيل الأقيسة المنطقية والإستدلال المنطقي والنظر العقلي المفلسف بمنطق الفلاسفة جميعهم الهيين وطبيعيين ودهريين . . وكل هذا من جهة السيرة الثقافية الذاتية الشخصية فعلاً وعملاً وإجراءً (كما يذكرها لنا في كتابه المنقذ وكما تذكر المصادر الأخرى) : من الفقه والأصول إلى علم الكلام، ومن علم الكلام إلى الفلسفة، ومن الفلسفة إلى التصوف . أما من جهة مطابقة هذه السيرةالثقافية التربوية الذاتية للطريقة المنهجية الفلسفية والشك المنهجي ونظرية المعرفة فإن الغزالي قد مرّ بأربعة أدوار متداخلة في دوائر متعاقبة مختلفة في التربية تطابقها أربع طرق مختلفة في المعرفة على النحو التالي من ترتيب التطابق بين الدور والدائرة والطريقة والإنجاز :

الدور والدائرة	الطريقة	الإنجاز
دائرة اليقين القائم على التصديق بالرأي القائم على الرؤية بعين السمع في دور الفقيه . .	التصديق والإيمان بالوحي وبالنبوة وبالقرآن واتباع التقليد والتواتر والإجماع والقياس الفقهي لتأكيد صحة التواتر والإجماع . .	«التعليق في فروع المذهب» و«البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» و«خلاصة المختصر» و«غاية الغور» و«بداية الهداية» و«جواهر القرآن» و«إحياء علوم الدين» و«تهذيب الأصول» و«المنخول في الأصول» و«شفاء العليل في القياس والتعليل» و«الدرة الفاخرة» و«الاستدراج».
دائرة اليقين القائم على التصديق بالرأي القائم على الرؤية بعين الرأس في دور المتكلم . .	الواقعية الساذجة والتصديق بظاهر الحس وبظاهر العقل واتباع المنطق وانشاء علم الكلام للدفاع عن ظاهر الحس وظاهر العقل وظاهر الشرع في العقيدة وفي الأحكام وفي العبادات . .	«الاقتصاد في الاعتقاد» و«مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة» و«الرسالة القدسية» و«المقصد الاسنى» و«تحصين المآخذ» و«المستظهري» و«فيصل التفرقة» و«حجة الحق» و«قواصم الباطنية» و«مآخذ الخلاف» و«لباب النظر» و«المبادئ والغايات» . .
دائرة اليقين القائم على التصديق بالرأي القائم على الرؤية بعين العقل في دور الفيلسوف	الواقعية النقدية بأن حقائق الموضوع قد لاتكون كما تبدو بظاهر الحس بظاهر العقل ولمطابقة الموروث	«معيار العلم» و«المنقذ من الضلال» و«ميزان العمل» و«القسطاس المستقيم» و«تهافت الفلاسفة» و«مقاصد الفلاسفة» و«الاقتصاد في الإعتقاد»
دائرة اليقين القائم على التصديق بالرأي القائم على الرؤية بعين القلب في دور المتصوف	تعطل الطرق جميعاً إلّا طريقة الكشف والحضور والمشاهدة والرؤية بعين القلب	«مشكاة الأنوار» و«النفخ والتسوية» و«المعارف العقلية» و«الرسالة اللدنية» والشذرات التهذيبية المبثوثة في ثنايا «أحياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» و«ميزان العمل» و«المقصد الأسنى»

ولايكون الغزالي في ضوء هذه النظرة إلا منهجياً تاماً كاملاً متكاملاً : أربع دوائر معرفة في أربعة أصناف من أصناف الطالبين في أربعة طرق منهجية في أربعة إنجازات : لا تتعاقب إلا متداخلة في وحدة التكامل المنهجي :

إنجاز فقهي : بطريقة الإيمان والتصديق داخل دائرة الرؤية بعين السمع في دور الفقيه . .

إنجاز كلامي : بطريقة الواقعية الساذجة داخل دائرة الرؤية بعين الرأس في دور المتكلم . .

إنجاز فلسفي : بطريقة الواقعية النقدية داخل دائرة الرؤية بعين العقل في دور الفيلسوف . .

إنجاز صوفي : بطريقة النقدية الحدسية داخل دائرة الرؤية بعين القلب في دور المتصوف . .

لكن الغزالي لم يقسم الناس والآراء أزاء هـذا التصنيف الرباعي إلا تقسيماً ثلاثياً . . فالناس عنده في كتابه «القسطاس المستقيم» ثلاثة أصناف :

١ ـ عوام وهم أهل السلامة والبله . .

٢ ـ خواص وهم أهل الذكاء والبصيرة . .

٣ ـ أهل الجدل . .

والرأي عنده في كتابه «ميزان العمل» ثلاثة أصناف :

١ ـ رأي يشارك فيه الجمهور

٢ ـ رأي بحسب مايخاطب به كل سائل ومسترشد . .

٣ ـ ورأي بين الإنسان وبين نفسه لايطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده . .

وإذا ماصرفنا هذه التقسيمات الثلاثية إلى التصنيف الرباعي نجد أن الغزالي يتماسك في موقفه النقدي أحسن مايكون التماسك النقدي في الموقع المنهجي على نحو مايلي من التلخيص والشارح للإستنتاج . .

أولاً : الإنجاز الفقهي وهو رأي يشارك فيه الجمهور وهم العوام أهل السلامة . . .

ثانياً : الإنجاز المنطقي في الفلسفة وعلم الكلام وهو رأي بحسب مايخاطب به كل سائل ومسترشد من أهل الجدل . .

ثالثاً : الإنجاز الصوتي وهو رأي بين الإنسان وبين نفسه لايطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده من الخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة . .

وهذا إستنتاج يطابق تصريح الغزالي في كتابه «ميزان العمل» بشأن ما قد نطلق عليه اليوم في تعبيرنا المعاصر اسم الإنتماء أو الإلتزام أو التمذهب فإن المذهب عنده إسم مشترك لثلاث مراتب هي اسماء لثلاثة جوانب هي :

الأولى : ماتتعصب له في المباهات والمناظرات . .

الثانية : مانتباداله سراً في التعليمات والإرشادات . .

الثالثة : مانعتقده مما ينكشف لنا من الأمر ويظل سراً بين المرء ونفسه . .

والأولى تطابق الإنجاز الفقهي . . والثانية تطابق الإنجاز الفلسفي الكلامي . . والثالثة تطابق الإنجاز الصوفي . .

ذلك هو أدب التمذهب عند الغزالي وذلك هو تماسكه النقدي في الموقع المنهجي الذي لم يحتل إلا بالأسباب التي كان قد احتل بها منزلته الأكاديمية الإنسايكلوبيدية على نحو ماذكرنا في بداية هذه الدراسة الفهرسية التي قد لايطابقها وصف كما قد طابقها العنوان : الغزالي من الأكاديمية الإنسايكلوبيدية إلى تماسك المواقف النقدية في المواقع المنهجية : تحليل وإعادة تركيب واستنتاج . . وانها دراسة فهرسية نقدية تختلف كلاً وجزءاً وجملة وتفصيلاً ومن الأساس عن جميع الدراسات(*) التي اهتمت بالغزالي فهرسياً من جهة التوثيق وضبط التسلسل في تاريخ التأليف . . الذي هو منهج الدارس المؤرخ في الفلسفة لا منهج الدارس الناقد فيها من جهة «التحليل» و «التركيب» و «الاستخراج» و «الاستنتاج» و «الأدوار» و «الدوائر» و «الطريقة» و «الإنجاز» و «الموقف» و «الموقع» : المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة النقدية تكملة لمنهج المؤرخين .

(*) ـ التي من أواخرها وأخصّ اهمها كتاب عبدالرحمن بدوي «مؤلفات الغزالي» الذي هو على شاكلتها في الطريقة وفي المنهج : دراسة فهرسية لتوثيق التأليف وضبط تسلسل التأليف تاريخياً . .

الخط والريازة
في
العمارة العربية ـ الاسلامية

دراسة
محمود حمندي
دار المنصور للعمارة / بغداد

بدأ الاسلام في الجزيرة العربية بسيطا في كل أساليب الحياة مبتعداً عن الترف المغالى فيه.

والهدف في ذلك هو انصراف الانسان لعبادة ربه والاستكانة الى فكره وعقله. ولم تكن بمستثناة عن ذلك مع ان الاسلام بدأ من فكرة التمدن بدلالة تغيير اسم يثرب الى المدينة. ولقد انتهج النبي محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده بساطة العيش رغم ثراء بعضهم واكتفوا من الناحية المعمارية بتشييد اماكن العبادة والبيوت البسيطة البدائية.

لقد اقيم اول مسجد في المدينة المنورة في عهد الرسول الكريم وكان مؤلفا من ساحة مربعة ملحقة بداره تحيط بها جدران من الحجر والطين ويغطى جزء منها بالسعف المكسو بالطين والمستند على جذوع النخيل. وحين انتقلت الفتوحات الاسلامية الى خارج الحجاز اقيمت اولى الجوامع الاصيلة في البصرة والكوفة والقدس (المسجد الاقصى) والفسطاط والقيروان في الاعوام ١٤، ١٧، ١٧، ٢١، ٥٠ هجرية على التوالي.

عندما انتقلت الخلافة الى الامويين اختلفت نظرة الحكام تجاه البساطة واتجهت نحو البذخ والترف وتشييد العمائر الضخمة ومنها المساجد الكبيرة الفاخرة والقصور والمساكن المترفة مستخدمين بذلك عمالا ماهرين محليين ومن مختلف الاقطار التي وصل اليها الاسلام. من بين المساجد العريقة في ذلك العهد مسجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى وكلاهما في القدس والمسجد الاموي بدمشق وجامع عقبة في القيروان وجامع الزيتونة في تونس.

تميزت هذه المساجد بكتابة الآيات القرآنية والفسيفساء الفخم على الجدران والقبب وتميزت العمائر الاخرى بالزخارف الجصية والنقش على الحجر والخشب. وقد استعمل الامويون زخارف معمارية كانت معروفة في سوريا قبل الاسلام مستخدمين الاكساء الارضي والجداري بالفسيفساء. اما تحلية الجدران بالزخارف الجصية فكانت زخرفة جديدة لم تكن معروفة من قبل.

ومع ان الامويين كانوا قد استخدموا زخرفة قيل انها مستمدة من الساسانيين الفرس او من البيزنطيين والرومان الا ان الوقائع التاريخية تشير الى ان العمارة العراقية القديمة هي التي اوجدت الزخرف في المباني على شكل شرفات علوية فوق الزقورات مغطاة بالفخار المطلي بالمينا والنقوش البارزة.

كما استعمل الصدف واللازورد الازرق والعاج والأبنوس والنحاس والفضة والذهب في صناعة الأثاث والتغليف الخشبي والزخرف البنائي. كما نقشت في الزخارف زهرة اللوتس وبراعمها واشواك الصنوبر والمراوح النخيلية وزهرة اللؤلؤ والاشكال الهندسية كالمعينات والمثلثات والنجوم المثمنة.

بهذا العرض المبسط للفنون العربية الاسلامية في العمارة يتبادر الى الاذهان استفهام اساسي: هل هنالك ظاهرة لفن عربي - اسلامي يتسم بحضارة المنطقة شموليا؟.

قد تبدو الاجابة على مثل هذا السؤال امرا صعبا لعدة اسباب:

الاول: هو ان التقاليد الفنية تمتد زمنيا الى حقبة طويلة ابتداء من فترة القرن الاول الهجري التي تعتبر من العصور القديمة (السابع الميلادي) - مرورا بالقرن الثاني عشر من الهجرة وحتى اوائل القرن الثالث عشر حينما دخلت الاعمال الفنية في مضمار المقابلة مع المفاهيم الاوربية.

الثاني: هو انها تمتد مكانيا من اسبانيا ومراكش غربا حتى اواسط آسيا وشبه جزيرة الهند وربما حتى استراليا شرقا.

الثالث: هو انها تشتمل على اعمال ذات محاور حضارية متعددة، واغلبها ذات طبيعة خاصة. وقد برزت هذه في القرنين الثالث والرابع الهجريين عندما بدأت الدولة الاسلامية بالانقسام الى عدة وحدات سياسية.

الرابع: هو ان الدولة الاسلامية عند اتحادها أو انقسامها تضمنت خمسة مفاصل عرقية هي العربية والفارسية والتركية والبربرية والهندية.

الخامس: هو عدم وجود توجه اساسي نحو الفنون في العالم الاسلامي ككل. مع ذلك فان النتاج الفني كان امرا فطريا وطبيعيا بحكم الانتاج التجاري للامور الحياتية بالنسبة لعامة الناس. اما بالنسبة للفعاليات الدينية والحكومية والعسكرية والقضائية والادبية والتجارية فقد كانت في موقع اعلى من التقدير والعناية.

للاسباب المذكورة اعلاه، وقد يصبح لغيرها ايضا، لم تصبح الفنون الاسلامية عامل ربط ثابت للحضارة العربية - الاسلامية مما جعلها عديمة التشابه حتى في الريازة التي طغت على الاعمال الفنية الاسلامية. وللمثال على ذلك فان شكل المنائر وتزييناتها تنم عن موقعها وحتى عن زمن انشائها وان الزخرفيات تختلف من بلد الى آخر وربما من مدينة او قرية لاخرى وحتى من قرن لآخر.

غير ان مجموع هذه التعددية ساعد على خلق فن رفيع ذي سمة عالمية موحدة. وهذه التعددية شملت تصميم الفناءات الداخلية ذات الحدائق البسيطة والنافورات، وغرضها الديني - عدا اغراضها المعمارية والمناخية - هو التقليل من النجاسات التي تحملها الاقدام. وتصميم الأواوين المزخرفة جزئيا والتي يدخلها القادمون بعد خلع انعلتهم ثم الى دواخل مرمرية غنية الزخرف مفروشة بالسجاد والبسط المحيوكة بالنقوش.

ان هذا التدرج الزخرفي من البساطة الخارجية الى الثراء الداخلي يستهدف في جوهره الفصل بين الدنس الخارجي والنظافة المقدسة في الداخل.

في القرن الثالث الهجري ظهرت في العراق لاول مرة اشكال هندسية تجريدية ثلاثية الابعاد من خطوط منحنية او زاوية منحوتة على الحجر والجص والخشب ثم انتقلت الى مصر وايران واسيا الوسطى. ثم تحورت ايضا الى اشكال حيوانات ونجوم واشكال هندسية متقاطعة او سداسية.

هنالك ثلاثة ظروف متفاعلة يمكن تمييزها في تقوية الوحدة الاسلامية.

الاول هو قوة الدين الاسلامي نفسه كاساس للمدنيّة كلها. ان الدين بحد ذاته لم يؤثر على الفن من خلال مبادئه. بل أثر عليه من خلال خلق اساليب حياتيه ومواقف عامة صارت مقبولة عالميا. كان هنالك حس بالانتماء الى «الامة» بصفتها مجتمعاً اسلامياً متحداً، وكان هنالك هدف تجسده الشعائر الدينية والمعتقدات. ولقد قوّى الايمان الراسخ بالرسالة القرآنية اعمدة الدين الاسلامي التي أثرت بشكل مباشر على العمارة الدينية والاستخدام الاسمى للغة العربية التي انزل القرآن بها حروفها الكتابية كوسيلة

للكشف المقدسي عن الصور المرافقة للتسامي الروحي والمعالجة الريازية للخط والزخرف في آن واحد.

اما الظرف الثاني فهو ان الاسلام اوجد وحدة بين الدين والدولة مما جعله ذا توافق عام بين المعتقد والممارسة.

كما ان البلاد العربية التي هي جوهر ارضية دنيا الاسلام كونت جزءاً أساسياً لوحدة سياسية وحضارية في العالم.

وقد أثر هذا التراث على الفنون بشكل محدود، وفي الغالب بصورة غير مباشرة، ولكنه خلق جواً نفسياً وولّد نزعات مبشرة لاتجاهات عامة في الفنون.

هذه العوامل تثير في النفوس ظرفا ثالثا هو الحركة الفائقة للمدنية الاسلامية التي تعمل على تسوية الفنون.

فبالاضافة الى البدو الرحّل، هنالك في الاوساط العربية الاسلامية مجموعات صغيرة او كبيرة، حاكمة او تاجرة كثيرة الحركة وتخلق اجواءاً جديدة في المناطق التي تصل اليها. وهكذا حُكمت اسبانيا وايران والهند وغربي آسيا من قبل العرب الذين بدأوا بالاسلام ونشروه، فازدهرت بنشره الفنون الى درجة عالية وتقاربت شكلا ومضمونا وتحضرا بسبب التفاعل بين التأثيرات المحلية والاساليب الداخلة. مثال على الحركة بين الشرق الاسلامي وغربه هو تجهيز الجامع الكبير في القيروان بالفخار الصقيل من بغداد عام ٢٤٨ هـ لأن بغداد كانت شهيرة بصنع واستخدام الآجر المفخور وزخرفته مستنبطا من العراق القديم قبل الاسلام. كما اتسم جامع احمد ابن طولون في القاهرة بتقنيات وتزيينات عراقية مستمدة من سامراء. وادخلت صناعة الحرير الى اسبانيا من سوريا، وشيدت سمرقند من قبل تيمورلنك بعمالة سورية وتركية. واقيم الجامع الكبير في قرطبة بطابع مغربي وسوري، ونحتت الاخشاب للمنابر والابواب والأطر بنقوش وزخرفة فنية سامية ومنها قطعة خشبية مزخرفة يدويا وجدت في مدينة تكريت بالعراق تعود الى العصر العباسي (القرن الثاني الهجري) وهي محفوظة في المتحف العراقي ببغداد. وباب خشبية مزخرفة من سامراء محفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك.

اما الخط العربي فهو اكثر اشكال الفنون انتشارا في السمة الاسلامية وقد أسمىٰ بالمرور الزمني رمزاً وحدويا. لقد ظهر هذا الخط في مختلف الريازة والفنون منذ اوائل الدعوة الاسلامية حتى الان وانتشر في مختلف الدول التي حكمها الاسلام بما فيها المناطق غير العربية كاسبانيا والهند وايران وسمرقند. لقد بدء بريازة الخط العربي بطرائق بسيطة ولكنه تطور منذ القرن الثالث الهجري ليكون زخرفاً جميلا ومعقدا.

اين تكمن فكرة الخط في الريازة؟.

انها تنبع من طبيعة حياة النبي محمد (ﷺ) ومن رسالته العظمى في الحياة. ما كان محمد (ﷺ) الا بشرا مثل غيره ولكنه كان رسولا من عند الله عز وجل الى الخلق كافة دون ان يقوم بمعجزات تبهر الأبصار. اما معجزته الحقيقية فهي القرآن الكريم وبلاغته المتناهية الذي قرأه وهو الأمي الصادق الأمين. القرآن اذن هو معجزة محمد، والقرآن هو سنة الحياة لدى المسلمين ودخلت آياته الكريمة في صلب السيرة الذاتية للافراد.

سيرة الافراد في الاسلام هي العلم الذي يبدأ بالقراءة والكتابة قال سبحانه وتعالى:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق● خلق الانسان من علق●
اقرأ وربك الاكرم● الذي علم بالقلم● علم الانسان مالم يعلم﴾

من اتساع تداول القرآن الكريم كتابيا، انتعش الخط العربي وتطورت صناعة الكتاب المنقوش وخاصة في المصاحف التي كان يكتبها ابرع الخطاطين واحسن المزخرفين بماء الذهب.

وقد اشتهر في البداية اسلوبان من الخط العربي هما الكوفي المنسوب الى مدينة الكوفة بالعراق والمتميز بحروفه المستقيمة والمتعامدة وتلاه النسخي ذو الحروف المقوسة اللينة.

اما بالنسبة الى الصروح الاسلامية فقد ظهرت الكتابة عليها منذ بداية الفتح الاسلامي كما في مسجد قبة الصخرة

بالقدس الشريف الذي شيده الخليفة عبدالملك عام ٧٢ هـ. كرمز لسمو الاسلام ومعتقداته الوحدوية، وصرح تذكارى لدحر البيزنطيين والفرس وتذكار لموقع اسراء محمد نحو السماء. ثم توالت الكتابات التي كان اغلبها بالخط الكوفي في معظم الابنية الاسلامية في مختلف الاقطار. ولكي تتحلى الكتابات بالزخرف والنقوش ملأت الفراغات باشكال نحتية للورود والطيور والملامح المزركشة.

من الواضح جدا ان غالبية المسلمين في الاقطار غير العربية تلت القرآن نطقا من غير فهم وسطّرت الكتابات العربية على عمائرها من غير ان تقدر على استيعابها. والسبب في ذلك هو ان الخط العربي وخاصة الكوفي منه ـ اصبح رمزا للدين الاسلامي موجها نحو الخالق الباري وليس للمخلوق، اضافة الى كونه، في الأصل، موئلا للتعاليم الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم.

المساجد والريازة:

كانت المساجد، ولاتزال، محور الحياة الدينية في العالم الاسلامي. لقد اقيم اول مسجد من قبل النبي في المدينة المنورة وكان من البساطة بحيث لم يتجاوز قاعة لاقامة الصلاة وموقعا يجتمع فيه النبي الكريم باتباعه من المسلمين. على هذا النمط المبسط اقيمت مساجد اخرى في مختلف الاقطار العربية وغير العربية من التي خضعت للاسلام ولاقت قبولا حسنا. بعد ذلك ظهرت مساجد تتسم بطابع محلي كما في تركيا وايران والهند وكشمير والصين وقد كسيت بزخارف تعود في اغلب اصولها الى عهود ما قبل الاسلام. غير ان اول مسجد تميز بالاتجاه المكاني هو مسجد الكوفة الذي وجهت قبلته نحو الكعبة المشرفة.

ولكي يتعرف الناس موقعيا على الجهة الصحيحة للقبلة اثناء اداء الصلاة، اوجد المحراب الذي لايتجاوز كونه مقصورة صغيرة في جدار موقعه باتجاه الكعبة. فاذا ما قابلها المصلون كانت وجهتهم الصحيحة نحو مكة المكرمة وبالذات نحو الكعبة المشرفة.

هذا المحراب الذي أمسى رمزا للصلاة وموقعا وجهويا يذكّر الناس بعبادة الله تسامىٰ في مكانته الدينية فتبارى الناس الى تفخيمه والتركيز على شكله من خلال تسطير آيات قرآنية تنم عن الرمز الوجهوي للصلاة التي هي احدى اعمدة الدين الحنيف وتضفي عليه سمة الكبر. ولكي تحاط الكتابات بأطر جميلة فقد زخرف من حولها بنقوش موشاة بالحجر والالوان التعبيرية. وهكذا توسع حجم المحراب بأطره الموشاة بالآيات القرآنية والزخرف ليكون مرئيا حتى في قاعات الصلاة الواسعة. اضافة الى الزخارف فقد جرت العادة في بعض المساجد لوضع مصباح زجاجي يتدلى من سقف المحراب امتثالا للآية الكريمة:

﴿الله نور السموات والارض● مثل نوره كمشكاة فيها مصباح● المصباح في زجاجة● الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة● زيتونة لاشرقية ولا غربية● يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار● نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء● ويضرب الأمثال للناس● والله بكل شيئٍ عليم﴾

ان الهيكل العام للمحراب متشابه في فكرته في كل المساجد.

غير ان الزخرف نفسه يختلف من بلد لآخر ومن زمن لآخر ومن مواد متباينة. كما ظهرت بعض المحاريب المشيدة من الرخام المنحوت كما في محراب جامع الخاصكي المنسوب الى العصر العباسي في القرن الثاني الهجري والمحفوظ حاليا في المتحف العراقي.

يوضع الى جانب المحراب عادة منبر لجلوس خطيب المسجد ويصنع على الأغلب من الخشب المزخرف او المحشو بالنقوش النباتية. وان اول منبر عرف في التاريخ العربي الإسلامي هو منبر جامع القيروان.

اللون والبيئة:

مع ان الدين الاسلامي يمتد بين البحرين الاطلسي والصيني فان هنالك سمات سائدة في رقعته. هنالك الكثير من الأصقاع القاحلة ذات اللون الداكن والخالية من الملامح المثيرة. العناصر الرئيسية في كل تلك البقاع هي الصحراء والجبال الجرداء والمشاهد اللامتناهية منها. تلك المناطق تتميز بشمسها الساطعة نهاراً وبرودتها القارصة ليلا. لقد عمل انسان هذه البقاع على التعايش مع الطبيعة فأنشأ مستوطناته وقراه بسمات

خارجية رتيبة من مواد سائدة محليا كالطابوق الطيني المجفف بالشمس للمساكن والمفخور بالنار للمنشآت الاكثر تعلقا بالمجتمع. وتبقى المواد على حالها من غير تلوين الا ما كان منها في شمال افريقيا حيث تطلى بالبياض، وما كان متعلقا بالدين فقد كسي بالفخار الملون كالقباب والمنائر.

ان هذه الرتابة باللون في الاصقاع المحيطة وفي التنظيم الحضري يتطلب نوعا من الترويح النفسي. وقد اوجد ذلك من خلال استعمال اللون في الحاجيات اليومية كالسجاد والملابس والاواني المعدنية والفخارية ودواخل الابنية. وما كان بالمقدور استعمال اللون بالاكساء الاعتباطي بل كان لابد له ان يكون ضمن نسق ملائم. فكان الزخرف التلويني هذا المتنفس النفسي ومنه انبثق الفخار المزجج الذي انتشر في مصر والعراق وسوريا وانتقل منها الى الهند واسبانيا وايطاليا.

في القرن الخامس الهجري تطورت صناعة الزجاج الملون وتقطيعاته الهندسية فانتشر الزخرف به كثيراً في سوريا ومصر ثم انتقل منه الى فناني البندقية الذين اشتهروا بصناعته.

اما الابنية الدينية فانها الوحيدة تقريبا التي دخلت اليها الالوان من خلال القباب والفنائر والمداخل في اقسامها الخارجية والداخلية وعليه فانها اصبحت دلائل ومعلمات يميز بها الناس المواقع.

لقد اعتبر الزخرف جزءا من العمارة وخاصة في المناسبات الاجتماعية. وحينما لاتكون العمائر المرادة مزخرفة فقد يلجأ الى اكساء الجدران والارضيات بسجاد وبسط مزخرفة ذات الوان جذابة. بهذا أصبحت الزخرفة القماشية أردية للأبنية مقبولة في جميع الاوساط العربية والاسلامية.

علاوة على ذلك اصبح الزخرف عاملاً أساسياً في الأبنية حتى ان السرادقات الخيمية صارت تتسم بالآيات القرآنية والشعر والزخرف الكثيف. وهي حالة منتشرة في أكثر البلدان العربية والاسلامية وخاصة مصر.

ان المعروف عن الحفر والزخرفة الاسلامية انها كانت مرتبطة بالنقوش الحجرية والجصية الموجودة على المباني الأموية والعباسية. في العصر العباسي تبلور طراز خاص من الزخارف الجصية في سامراء هو اقرب الى الطبيعة، ثم ابتعد بالتدريج ليصل الى التجريد الكامل. ثم انتقل نمط سامراء الى مصر في مسجد احمد بن طولون بينما زخرفت تيجان اعمدة القصور العربية في الاندلس بزخارف تحفيرية نباتية دقيقة على الرخام كما هي في مسجد قرطبة وقصر الحمراء بغرناطة.

لقد قسم تطوير العناصر الزخرفية في العهد الاسلامي الى اربع مراحل اساسية هي:-

المرحلة الاولى:- من القرن الاول الى القرن الثالث الهجري وهي مرحلة تأثر الزخارف الاسلامية بالفنون المحلية للاقطار التي وجدت فيها.

المرحلة الثانية:- من القرن الثالث الى القرن السابع الهجري وهي مرحلة تكوين الشخصية المتميزة للفن الاسلامي مع بقاء بعض التأثيرات المحلية.

المرحلة الثالثة:- من القرن السابع الى القرن التاسع الهجري وهي مرحلة تبادل العناصر والاساليب الزخرفية بسبب الغزو المغولي وتوالي الهجرات بين البلدان الاسلامية.

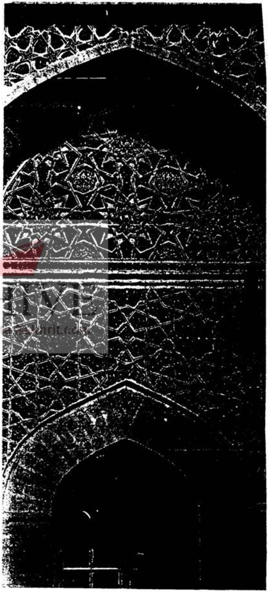
المرحلة الرابعة:- من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر الهجري وهي مرحلة اعادة الازدهار وزيادة العناصر الطبيعية في الزخرف ثم بدء التدهور بسبب شيوع النفوذ الاوربي والسيطرة الاستعمارية واستبداد الحكام.

في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر الذي دخلنا فيه قبل عدة سنوات بدأ الوعي بالعمارة العربية الاسلامية الاصيلة وعناصرها الاساسية يتأصل في النفوس ويتألق ثانية وهو امر يبشر بالخير في العودة الى عمارة تستجيب الى متطلبات الانسان في منطقته وزمانه.

* * *

المراجع

١) الفن الاسلامي - ابو صالح الالفي/ دار المعارف - لبنان.
٢) فنون الشرق الاوسط - نعمت اسماعيل علام/ دار المعارف - مصر.
3/Islamic Art— David Talbot Rice— London.
4/ The World of Islam — Bernard Lewis— London.



زخارف في المدرسة المستنصرية - بغداد



المسجد الاقصى - القدس

جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري

دراسة
د. نافع توفيق العبود
كلية الاداب / جامعة بغداد

اصل السلاجقة ودخولهم العراق:

نرى من المناسب ان نعرض - بايجاز - في هذا البحث، الى التعريف بالسلاجقة وظهور نفوذهم السياسي في المشرق، ومن ثم توسعهم ودخولهم العراق في سنة ٤٤٧هـ.

عرف السلاجقة بهذا الاسم، نسبة الى سلجوق بن تُقاق احد رؤساء الاتراك الغزّ الذين كانوا يقطنون بلاد ما وراء النهر، في مكان يبعد عن بخارى بعشرين فرسخاً. ولم يكن السلاجقة من الأمم العريقة في الحضارة والسياسة، بل كانوا وبُداةً لاعلم لهم باخبار الملوك ومآثرهم»[1] وكان عددهم يُجِلُّ عن الحصر والاحصاء[2].

بدأ نفوذ هؤلاء السلاجقة السياسي يظهر سريعاً منذ أيام زعيمهم تُقاق والد سلجوق، فانقادوا الى طاعته، فاعتضد بهم وتقوّى أمره، فصارت له كلمة عليا بين الأتراك الغزّية، حتى اننا نراه يعارض رأي ملكهم (بَيْغُو) في غزو العالم الاسلامي ويثنيه عن عزمه بعد مشادة وقعت بينهما[3].

أنجب تُقاق ابنه سلجوق، فنشأ الابن واشتد عوده، فكان عالي الهمة، حسن التدبير، فتمكن بعلوهمته وطموحه من التقرب الى ملك الترك الذي اسند اليه مهمة قيادة الجيش، فاستطاع بسياسته من استمالة عدد من رجال الدولة اليه، فَحَذَّرتْه زوجة الملك وحرّضت زوجها على قتله بعد ان اخذ امره يزداد علواً.[4]

ولما علم سلجوق بالتدبير السيِّئ على حياته، فتحول «من دار الحرب الى دار السلام»، فاسلم وحسن اسلامه، وصار على رأس جماعة تؤيده وتطيعه. وقرر الاقامة بمن معه من اصحابه في نواحي جَنْد القريبة من بخارى، وهناك وجد امامه متسعاً للجهاد ضد الكفار، فصار يشن غارات متصلة على كفار الترك، وكان ملك هؤلاء يأخذ الخراج من المسلمين الموجودين في تلك الديار، وتمكن سلجوق من طرد عمال الملك منها وصفت للمسلمين[5].

وهكذا علت كلمة سلجوق في بلاد ما وراء النهر، وتنبه السامانيون الى أمره، فاستنجدوا به لمساعدتهم على رد ما اخذ الترك من بلادهم، ولم يتردد سلجوق في اسداء المساعدة لهم، فأمدهم بابنه ارسلان الذي سيره على راس جيش استرد ما اخذه الاتراك.

توفي سلجوق بجند بعد ان بلغ من العمر عتياً، وخلّف ثلاثة اولاد، تقلبت بهم الاحوال - مما لا مجال لذكره تفصيلاً في هذا البحث - غير ان الذي يهمنا ان زعامة السلاجقة لم تخرج عن

عائلة سلجوق، بل ظلت في اعقابه، الذين لم يتوانوا في مد نفوذهم والتوسع على حساب القوى المجاورة لهم، فما كاد الثلث الاول من القرن الخامس الهجري ينقضي حتى استولوا، وبخاصة ايام سلطانهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق، على خراسان وجرجان ومكران وبلاد الديلم وغيرها من اقاليم المشرق الاسلامي(٦). ولاشك فان استيلاءهم على هذه الاقاليم الواسعة، كان بعد منازعات طويلة وحروب متواصلة، خاضوا غمارها مع القوى الاخرى وفي مقدمتها الغزنويين الذين حاولوا الحد من تزايد نفوذهم، ولكن من غير جدوى(٧).

وازاء هذا التوسع السلجوقي الذي شارف ممتلكات الخلافة العباسية، قرر الخليفة القائم بامر الله، الاتصال بالسلطان طغرلبك السلجوقي لمساعدته في ابعاد التسلط البويهي الغاشم الذي أنّت الخلافة من وقعه طويلاً. وكان النفوذ البويهي الدخيل يسير بخطى سريعة نحو التداعي بسبب ما كان يلقاه من مقاومة عربية في العراق(٨)، وليس ادل على ذلك من ضعف أمر آخر حكام البويهيين، وهو الملك الرحيم، وعلو كلمة القائد التركي أبي الحارث البساسيري، الذي راح يلوّح باستدعاء المستنصر بالله الفاطمي، وكان قد خطب له فعلاً(٩). لأسباب سياسية معروفة.

لقد لبّى السلطان السلجوقي طغرلبك طلب الخليفة القائم واظهر العبودية والطاعة له، وبعد قليل أمر الخليفة المذكور بذكر اسم طغرلبك في الخطبة ونقشه على السكة قبل اسم السلطان البويهي الملك الرحيم. وذلك في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ. ثم ارسل طغرلبك رسولاً يستأذن الخليفة في دخول بغداد فاذن له فدخلها لخمس بقين من الشهر المذكور، فلما بلغ النهروان خرج موكب كبير لاستقباله ضم الوزير رئيس الرؤساء والقضاة والنقباء والاشراف واعيان الدولة(١٠). وبدخول السلطان طغرل بغداد، اصبح العراق تحت الحكم السلجوقي.

وفي سنة ٤٥٠هـ، تمرد البساسيري القائد التركي في العراق وقطع الخطبة عن الخليفة العباسي وخطب للفاطمي بمصر، ثم نقل الخليفة القائم بامر الله الى حديثة عانة. وكتب الخليفة الى طغرلبك يستدعيه الى بغداد لينصره على البساسيري، فعاد طغرلبك الى العراق وقتل البساسيري في السنة المذكورة(١١).

سياستهم الجائرة في العراق:

ابدى السلاجقة الدخلاء سياسة خرقاء لاتختلف في نهجها عن سياسته سالفيهم البويهيين، فمع انهم ابدوا بادئ الامر احترامهم للخلفاء واعادوا للخلافة العباسية شيئاً من هيبتها، الا انهم سرعان ماعادوا واستأثروا بالسلطة الفعلية، وجردوا الخلفاء من سلطاتهم الدنيوية، وخصصوا لهم اقطاعات مقررة يديرها عمال على رأسهم الوزير وكاتب الانشاء، كما كانت الحال في ايام بني بويه. ولم يبق للخلفاء العباسيين سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة.

كان التسلط السلجوقي ثقيلاً على الخلافة بعد ان صار لهم الأمر والنهي، فلم تحسّ الرعية في زمانهم راحة او أمناً لكثرة المنازعات والحروب بين سلاطينهم على الملك، وكانت هذه الحروب تطحن بعضهم بعضاً فيئن الناس من وقعها أنيناً، فتأخر العراق في زمانهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وقاسى الناس من الجور والعسف ضروباً من النكبات والمآسي، فكثيراً ما كان جنودهم ينهبون القرى والضياع وغيرها، ويطلقون ايديهم في اموال الناس ومساكنهم، يضاف الى هذا اشتطاطهم في زيادة الضرائب والمكوس التي اثقلت كواهل الناس(١٢).

وبسبب سياستهم وتصرفاتهم السيئة هذه، اهملت الزراعة وحدث جفاف الانهار، وانعدام الغلات وقلة الاقوات، وتفشي الجهل والامراض وشيوع الشلل والاضطراب في مرافق الحياة العامة المختلفة(١٣).

ومع ان بعض سلاطين السلاّجقة تصاهروا مع الخلفاء العباسيين، الا ان هذه المصاهرات لم تحل دون قيام صراع مستمر بين الخلفاء وسلاطينهم، لأن السلاطين يريدون من الخليفة الا يدخّل نفسه في غير امور الدين(١٤)، وان يبقى موظف يتلقى الاوامر من سلطان السلاجقة. وعلى هذا الاساس كان في بغداد ابان السيطرة السلجوقية الغاشمة سلطتان: سلطة الخليفة العباسي التي كانت ضعيفة واهية، وسلطة السلطان السلجوقي، وهي القوة الحقيقية المؤثرة.

ويمكن تصور العلاقة بين الخليفة وسلاطين السلاجقة من قول العماد الاصفهاني «وكان اهون ما عندهم (سلاطين

السلاجقة) خلاف الخليفة وعناده، وتمردهم عليه بان يحصل مرادهم لامرائه. . . ولهم مطالب من الديوان العزيز لايفي بها خواصه، ومغارم تلحقه منهم، يتعسر منها خلاصه. . . والحرم من جناياتهم خائف، والشرف لهاباتهم عائف، وشريعة الشريعة مكدرة، والدماء والفروج مستباحة مهدرة، والخليفة يغضي ويغضب، ويعتب ولايعتب، ويقدر عليه ولايقدر ويغدر به وهو على العهد لايغدر»[١٥].

وكان الخليفة المغلوب على أمره، لايتحرج من الخطبة ببغداد لسلطانين سلجوقيين في وقت واحد، وعلى وزير الخليفة ان ينال رضى السلطان والآ عزل، وكما يعزل السلطان وزير الخليفة متى شاء، وكذلك له ان يأمر الخليفة باسناد وزارته الى من يحب ويرتضي تبعاً لهواه.

ونتيجة لهذا كله، صار اصحاب السلطان ورجالاته هم المتنفذون فعلياً، وليس لأحد ان يقف في وجوههم، وصارت اوامر الخليفة ونواهيه حبراً على ورق.

الخليفة المسترشد بالله يستهل سياسة التحرر من السلاجقة:

وازاء الحال التي آلت اليها أمور الخلافة من استلاب السلاجقة لسلطانها الدنيوي، فان سلطة الخليفة المعنوية وشرعية حكمه كبيرة، وبخاصة في نفوس اولئك البعيدين عن بغداد، الذين ظلوا ينظرون الى مقام الخليفة باحترام باعتباره خليفة المسلمين أي الرئيس الأعلى لهم[١٦]، وان كانت دولته قد باتت قليلة البلاد.

ومن هنا نجد الخلافة العباسية ترفض استسلامها لعوامل الوهن والضعف وتهب مدافعة عن كيانها وحرمتها، واسترداد سلطانها المسلوب، حتى قُدّر لها ان تنهض من كبوتها وتناضل لتوكيد مكانتها في النفوس، وكان سلطانها الروحي من امضى الاسلحة التي استخدمتها في سبيل نيل الاستقلال والتحرر من الهيمنة السلجوقية الاجنبية.

ولهذا شهد العصر السلجوقي محاولات جادة وصادقة لانهاض الخلافة واعادة هيبتها، بالتحرر من ربقة السيطرة السلجوقية، والحصول على الاستقلال، واهم هذه المحاولات، محاولة الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ) التي اودت بحياته بعد ان دوّخ السلاجقة واضعف من شأنهم، وجعل من حياته سياجاً حمى به كرامة الخلافة، ورسم بدمه طريقاً لخلفائه من بعده.

لقد قامت الوحشة بين الخليفة المسترشد والسلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه، فعزم الخليفة على تحرير الخلافة، فخرج في سنة ٥٢٩هـ على رأس جيش يقوده بنفسه لمحاربة مسعود الذي كان في همذان، وخرج مع الخليفة أيضاً، أعيان دولته منهم الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبيّ وقاضي القضاة وصاحب المخزن والخطباء والفقهاء وغيرهم. . واسفرت المعركة التي دارت في العاشر من رمضان من السنة المذكورة، عن هزيمة عسكر الخلافة واسر الخليفة نفسه مع اكابر دولته، ثم دس مسعود جماعة من الباطنية فقتلوه غدراً وخسة، ولما بلغ ذلك الى بغداد، ثار جماعة من عامتها، ومنعوا الخطبة لمسعود، ثم خرجوا الى الاسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون كما خرجت النساء حاسرات في الاسواق يلطمن، واقتتل اصحاب الشحنة وعامة بغداد، فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلاً[١٧].

الخليفة الراشد بالله يواصل مناوأة النفوذ السلجوقي:

لابد لنا أن ننوه بالدور الذي قام به هذا الخليفة في مقارعة السلاجقة، وغذّه السير على نهج سياسة والده المسترشد بالله لتحرير الخلافة ونيل الاستقلال الناجز، وابعاد اي نفوذ سلجوقي عنها.

كان الراشد ولياً للعهد، فلما قتل ابوه جددت البيعة له في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ، وكتب السلطان مسعود الى شحنة بغداد بالبيعة له، وحضر بيعته واحد وعشرون من اولاد الخلفاء[١٨].

لم يكن السلطان مسعود اسعد حظاً مع الراشد بالله من ابيه المسترشد، كما ان الراشد نفسه لم يكن بمستوى الاحداث التي تحيط بالخلافة، ويبدو ان السلاجقة قدروا ذلك فيه[١٩].

وضع الخليفة الراشد لنفسه سياسة تقوم على مناوأة السلاجقة وابعادهم، وقامت سياسته على الاخذ بثأر والده اولاً،

وثل سلطنة مسعود السلجوقي ثانياً، ولتحقيق هذين الهدفين، فانه اتفق مع داود بن السلطان محمود (اخو مسعود) ومع كثير من امراء الاطراف على مقاومة مسعود وخلعه، الا انه لم يوفق الى وضع خطة سياسية وعسكرية يستهدي بها، كما انه لم يتمكن من التوفيق بين رغبات من اجتمع حوله ومصلحة الخلافة، إذ ما ان بلغ السلطان مسعود ما اعتزم عليه الخليفة الراشد واعوانه، حتى فارق همذان واقبل مسرعاً صوب بغداد، فلما شارفها أمر بحصارها فحوصرت لامتناع الخليفة واعوانه بها، وسرعان ما اختلفت كلمة الامراء الذين حالفوا الخليفة وتفرقوا عنه، تاركين بغداد، وكان من بين حلفاء الخليفة واكبرهم شأناً عماد الدين زنكي وداود بن السلطان محمود وغيرهما، فانهم جميعاً تفرقت كلمتهم وخذلوا الخليفة[20].

وازاء هذا الموقف المتحرج، اثبت الخليفة الراشد ومن معه عجزهم في الدفاع عن حاضرة الخلافة، بل انهم وضعوا انفسهم في حصار اختاروه بارادتهم حينما اطبقت عليهم قوات مسعود السلجوقي، كما انهم اخطأوا عسكرياً حينما سدوا بعض ابواب السور لئلا يهرب بعض الجيش الذي كان معهم، اعتقاداً منهم بانه ينضم الى السلطان السلجوقي[21]. وكان من نتيجة ذلك ان ثبطت عزيمة الامراء، كما عملت وسائل مسعود على تفرقة كلمتهم، في حين آثر الخليفة الاحتماء بزنكي، وارتحل الى الموصل، ولكنه لم يستقر بها، لانحراف زنكي عنه بتأثير مسعود، فخرج من الموصل هائماً على وجهه في قلة من اصحابه حتى استقر به المقام في اصبهان حيث لقي حتفه على يد جماعة من الباطنية، وذلك في سنة ٥٣٢هـ، ولا يستبعد ان يكون وراء قتله خطة مسعودية[22].

الخليفة المقتفي واستكمال تحرير العراق من السلاجقة:

تسنم الخلافة بعد الراشد عمه المقتفي لامر الله، وذكر ان السلطان مسعود لم يبايعه بالخلافة حتى شرط عليه الا يكون معه خيل ولا آلة سفر الا ما يحتاجه لركوب نفسه لاغير[23]، لابقائه ضعيفاً مجرداً من القوة والسلطان، حتى لايعيد مع السلاجقة ما فعله المسترشد، وابنه الراشد. واكثر من هذا فقد تطاول السلطان مسعود على جميع ما كان في دار الخلافة من مركوب واثاث وذهب وفضة. ثم انه ضيق على الناس وفرض عليهم اموالاً كبيرة، وحملهم ما يطيقون وما لايطيقون.

ومع هذه الاجراءات التعسفية التي ابداها السلطان السلجوقي، فان الخليفة المقتفي لامر الله لم يستكن ازاء اجراءات السلاجقة وتماديهم بحق الخلافة وازدرائهم لها، بل انه ظل يتحين الظروف المواتية للايقاع بهم والتخلص منهم، متوسلاً بسلطانه الروحي وشرعية خلافته للحد من تجاوزهم وفرضهم الأموال على الخلافة والناس معاً، فكتب الى السلطان مسعود قائلاً له:

«ما اعجب من امرك!! انك تعلم ان المسترشد سار اليك بامواله، فجرى ما جرى وعاد اصحابه عراة، وولي الراشد ففعل ما فعل، ثم رحل واخذ ما بقي من الأموال، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فاخذته جميعاً... واخذت التركات والجوالي، فمن اي وجه نقيم لك هذا المال؟ وما بقي الا ان نخرج من الدار ونسلمها لك، فاني عاهدت الله ان لاآخذ من المسلمين حبّة واحدة ظلماً»[24].

قصد الخليفة المقتفي بكتابه هذا إلفات نظر مسعود الى العجز المالي الذي تعانيه خزينة الدولة، جراء الاحداث التي ارتكبها السلاجقة بحق الخلافة، واستحواذهم على الكثير من اموالها واموال الناس، وأكدّ له انه - كخليفة - سوف لايحمّل الرعية اكثر من الشئ الذي تحمله ظلماً اشباعاً لرغبة مسعود واسرته السلجوقية.

وتريث الخليفة في الاقدام على الدخول في نزاع مباشر مع السلطان مسعود، لئلا يضطر الى اتخاذ موقف ليس في صالحه، فاستغل مصاهرته للسلطان مسعود وارسل عمالاً الى بعض البلاد دون مشاورة وزيره ابن طرّاد الزينبي الذي كان امره نافذاً في دولتي الخلافة والسلاجقة، فلما انزعج الوزير من ذلك، تخلّى السلطان عنه، لأنه آثر الحرص على ارضاء صهره الخليفة بدلاً من ارضاء الوزير المذكور. فتخلص الخليفة بذلك من عين من عيون السلطان عليه[25]. كما استغلّ تسوية النزاع بين السلطان مسعود وعماد الدين زنكي صاحب الموصل، فارسل رسولاً الى زنكي وأقره على ولايته، واستثنى من إقطاعه منطقة (صريفين) في بغداد ليضمن وقوفه الى جانبه في حالة نزاعه المرتقب مع مسعود، الذي كان يدبر له ويتحين الفرصة المواتية للتخلص منه ومن

السلاجقة.

واستمر المقتفي لأمر الله يرقب الأحداث، حتىٰ اذا ما عاود السلاجقة انقساماتهم ونزاعاتهم التقليدية بسبب السلطنة، سعىٰ لاسترجاع شيءٌ من حقوق الخلافة المغتصبة وهيبتها المسلوبة، وصادف ذلك تململ الأتابكة والأمراء ضد السلطان مسعود متخذين من أبناء محمود ستاراً يحتمون به، ودخل جماعة منهم بغداد في سنة ٥٤٣هـ، بحجة تأييد محمد شاه بن محمود، ولكنهم اساءوا التصرف مع الناس لغلظة طباعهم ووعورة اخلاقهم، فضجّ الناس من تصرفاتهم وضاقوا بها ذرعاً، وحينذاك كتب الخليفة الى مسعود يبيّن له اضطراب الحال وهروب الشحنة وامير الحاج الى تكريت ومحاصرة العسكر لبغداد. فلما وقف مسعود على ذلك، كتب الى الخليفة المقتفي يأذن له ان يجنّد عسكراً ويحتاط لنفسه وللمسلمين[٢٦].

وهنا وجد الخليفة المقتفي ان الفرصة مواتية امامه لاعداد جيش خلافي يحفظ للخلافة حرمتها وللدولة كرامتها، بل وليعمل علىٰ تحرير العراق كله من السيطرة السلجوقية، وهذا ماكان قد عزم عليه، إذ باشر على إثر ذلك الإذن بتجنيد الجند وتحصين بغداد بالخنادق، ودعا الناس للدفاع عن ارواحهم وأموالهم، وفي الوقت نفسه ارسل الىٰ الأمراء الخارجين يدعوهم الىٰ الهدوء والسكينة، فاستجاب له الكثيرون، ورتب الولاة في الولايات[٢٧].

وبعد هذه الاجراءات، عمد الى اعادة هيبة الوزارة، فاستوزر وزيراً قوياً، وهو ابو المظفر عون الدين بن هبيرة الذي كان «من خيار الوزراء وعلمائهم»[٢٨]، وكانت له يدٌ قوية وحيل مرضية في قمع السلجوقية[٢٩]. وقد شدّ هذا الوزير العربي الوفي على يد سيده الخليفة المقتفي التي شمرّها لتحرير الخلافة من نير السلاجقة واستبدادهم.

ومع اطمئنان الخليفة الى قوته المتنامية في بغداد، فإنه ارجأ قطع صلته بالسلطان مسعود السلجوقي الى حين انتظاراً للفرصة المناسبة، مع انه علىٰ دراية بضعف مسعود واضطراب امور سلطنته بسبب تمرد الأمراء عليه، ولعل المقتفي كان قد ادرك ان مسعوداً لايمثل القوة الحقيقية للسلاجقة، وعمه سنجر (سلطان المشرق) على قيد الحياة، لذلك استمر محتفظاً بصداقة مسعود ظاهراً، متخذاً إيّاه ستاراً يقي به الخلافة من السلاجقة الآخرين الطامعين، فضلاً عن عدم اطمئنانه الى الأمراء الذين جاهروا بعدائهم لمسعود.

وفي سنة ٥٤٧هـ مات السلطان مسعود «وماتت معه سعادة البيت السلجوقي ولم تقم له بعد راية يُعتدّ بها أو يلتفت اليها»[٣٠] ولما بلغ خبر موته الى الخليفة المقتفي لأمر الله قال «لاصبر علىٰ الضيم بعد اليوم ولا قوام مع هول هؤلاء القوم»[٣١]. وجدد نشاطه لاستكمال سيادة الخلافة وتعزيز مكانتها في النفوس، فاستولىٰ على مخلفات الشحنة الذي هرب الىٰ تكريت، وقبض على ما كان في دار السلطان، ثم جمع الرجال والعساكر فقوي امره، واستطاع ان يبسط نفوذه على واسط والحلة، ويوطد استقلال العراق شيئاً فشيئاً.

ثم تشجع المقتفي لامر الله على ملاحقة السلاجقة واستئصال شأفتهم وطردهم نهائياً من العراق وتحريره منهم، وبخاصة حينما بلغته انباء هزيمة اقوامهم، وهو السلطان سنجر الذي اندحر امام الغز الاتراك عندما خرج لمحاربتهم حيث اسروه في سنة ٥٤٨هـ[٣٢]، فارسل الخليفة جيشاً الى تكريت، ثم سار بنفسه اليها وحاصرها، ولم تجد محاولات السلاجقة اليائسة في فرض محمد بن محمود سلطاناً ليعود الى التحكم بامور الخلافة، كما كان يفعل سالفوه، وذهبت محاولاتهم سدى في هذا الاتجاه، فحينما زحفوا الى بغداد لتحقيق مأربهم الخبيث، تصدت لهم جيوش الخلافة فهزمتهم عند نهر بَكْمزا قرب بعقوبا[٣٣].

ولم يكف الخليفة المقتفي عن ملاحقة محمد بن محمود السلجوقي الذي جمّع حوله معظم امرائه. وكان ينادي بالسلطنة لنفسه، حتى انه تجرّأ فسار على رأس عساكره من همذان صوب بغداد فحاصرها في سنة ٥٥١هـ، فلجأ الخليفة الى احباط محاولته عن طريق بث الفرقة بين امراء محمد بن محمود، فأغرىٰ بعضهم ببعض فثبطت عزيمتهم وتفرق شملهم، ونجح الخليفة في مسعاه، ولم يقو محمد السلجوقي على مواصلة الحصار الذي ضربه على بغداد مدة اكثر من ثلاثة اشهر، بسبب صمود جيش الخلافة والناس صموداً رائعاً، فاضطر الى الانسحاب خائباً[٣٤]، فحافظ العراق علىٰ استقلاله وتحرر من الهيمنة السلجوقية الدخيلة التي ناءت بثقلها عليه مدة قرن من الزمان، ولم يعد للسلاجقة أي نفوذ عليه ولم تدنس اقدامهم ارضه الطاهرة بعد ذلك التاريخ.

انتعاش الخلافة:

لابد من القول ان الخلافة العباسية رغم استعادتها هيبتها واستقلالها، بتحررها من السلاجقة الدخلاء، بفضل السياسة التي استهلها المسترشد بالله وتابعه فيها ابنه الراشد، ثم المقتفي لامر الله، الاّ ان الخلافة لم تبدِ نشاطاً اكثر في تقوية نفوذها وسلطانها على ما كانت عليه سالفاً. ذلك ان المستنجد بالله (٥٥٥ ـ ٥٦٦هـ) رغم سيرته العادلة مع الرعية، فانه آثر العزلة حتى عن افراد اسرته، واهمل ادارة البلاد ومراقبة العمال. وظل على هذه السياسة حتىٰ سنة ٥٦٦هـ، حيث لقي مصرعه وهو مريض على يد احد كبار المماليك واستاذ الدار عضد الدين أبي الفرج رئيس الرؤساء[٣٥]، الأمر الذي يدلل على عجزه في تسيير امور الدولة وسوء اختياره للمحيطين به.

لقد بايع قاتلا المستنجد ابنه ابا محمد الحسن بالخلافة ولقباه (المستضئ بامر الله) وشرطا عليه ان يكون استاذ الدار عضد الدين وابنه كمال الدين استاذ الدار والمملوك قطب الدين قايماز أمير العسكر، فنزل عند ارادتهم واجابهم على ذلك[٣٦].

كان المستضئ ليناً متديناً، وفي زمانه قطعت خطبة العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر من قبل صلاح الدين الايوبي وذلك في سنة ٥٦٧هـ وخطب له بمصر. وعمّ الفرح والجذل بغداد وعظمت هيبة الخلافة[٣٧]، غير ان المستضئ رغم حسن سيرته في الرعية الذين كانوا «معه في امن عام واحسان شامل وطمأنينة وسكون»، فانه احتجب عن اكثر الناس، وبلغ من اعتزاله ان دار الخلافة حوصرت ذات مرة واغلقت ابوابها، وهو لايعرف عن ذلك شيئاً[٣٨].

الخليفة الناصر لدين الله والقضاء على سلاجقة همذان:

توفي المستضئ بامر الله سنة ٥٧٥هـ، وخلفه ابنه الناصرلدين الله الذي دامت خلافته سبع واربعين سنة. ويعد هذا الخليفة اقوىٰ خليفة عباسي منذ بدأ تدخل الأتراك في امور الدولة، لانه أعاد للخلافة هيبتها وحشمتها، وقمع الوزراء والأمراء المتمردين والمخالفين، فارتفعت كلمته وارادته وكان شجاعاً جريئاً.

ظن الخليفة الناصرلدين الله انه يستطيع النهوض بدولته والعمل على توسيع رقعتها، عندما شعر بضعف بقايا السلاجقة وانقسام دولتهم، فعمل علىٰ قطع دابر سلاطينهم[٣٩]، فلما ارسل السلطان طغرل بن ارسلان في سنة ٥٨٣هـ الى بغداد يطلب ان يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة ليسكنها إذا جاء بغداد، انكر عليه الناصرلدين الله الأمر غاية الانكار، ورد رسوله بغير جواب، وأمر بنقض دار السلطنة، فهدّمت الى الارض وعفّي اثرها[٤٠]، لإنه لايريد ان يعيد مأساة التسلط السلجوقي علىٰ الخلافة من جديد، وجاء نقضُه لدار السلطنة التي تعدّ آخر رمز متبق من رموز السلاجقة، بمثابة القضاء النهائي على كل أمل للسلاجقة في العودة الى بغداد.

ثم أتبع الخليفة الناصر عمله بنقض دار السلطنة، بارسال وزيره جلال الدين أبي المظفر عبيد الله في سنة ٥٨٤هـ، بجيش كبير أعدّه لمحاربة السلطان طغرل السلجوقي. فالتقىٰ الجانبان قرب همذان، فكانت الغلبة لعسكر السلطان وهزيمة عسكر الخليفة[٤١].

ولكن هذا لم يثن عزم الخليفة الناصر لدين الله، بل جهز جيشه مرة ثانية في نفس السنة، وجعل المقدم عليه مجاهد الدين خالص الخالص، فانضم الى (قزل ارسلان) أتابك اذربيجان الذي طمع هو الآخر في السلطنة وحارب السلطان طغرل وسجنه في قلعة دزمار قرب تبريز، الا ان طغرل تمكن ان يهرب من السجن، فاستعاد نفوذه في همذان والري[٤٢]، فارجأ الخليفة محاربته في التخلص منه الى حين.

وهكذا اظهر الناصرلدين الله مقدرة كبيرة بتسييره لجيش الخلافة اكثر من مرة وخلال عام واحد لمحاربة السلاجقة، وليبرهن لهم ان المبادرة باتت في يد الخلافة التي تبدي اصراراً عنيداً علىٰ محاربتهم وملاحقتهم في آخر معقل متبق لهم بهمذان، وانها عقدت العزم على استئصال شأفتهم.

ومع ان الناصرلدين الله أرجأ محاربة السلاجقة الى وقت يختاره ويقدره مناسباً، فانه لم يتوان في توسيع رقعة الدولة العباسية، فملك قلعة تكريت في سنة ٥٨٥هـ، وتسلّم حديثة عانه بعد عام من التاريخ المذكور، وملك الأحواز سنة ٥٩٠هـ، ثم ارسل جيشاً سيطر على بلاد الري واصبهان وهمذان وغيرهما، مستغلاً ضعف الدولة السلجوقية، ووقوفها على شفا الانهيار.

وأخيراً ارتأى الخليفة الناصرلدين الله، الاتصال بالخوارزميين الذين ظهر نفوذهم بقوة في المشرق واستولوا على الكثير من ممتلكات السلاجقة، وظهر خطرهم على مقربة من سلطنة طغرل، فقرر الخليفة الاستعانة بهم للقضاء على السلطان المذكور، وهنا قرر خوارزم شاه علاء الدين تكش اجابة الخليفة الى طلبه، فسار على رأس جيشه للقاء سلطان السلاجقة، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة بالقرب من الري في سنة ٥٩٠هـ[١٣]، وحمل طغرل بنفسه وسط عسكر الخوارزميين، فاحاطوا به وألقوه عن فرسه وقتلوه، وقيل ان ابن عمه (قتلغ اينابخ) هو الذي قام بقتله وقطع رأسه[١٤]، وحمله الى خوارزم شاه علاء الدين تكش الذي انفذه الى بغداد حيث علق بباب النوبي أياماً[١٥]. فسرّ الخليفة الناصر بذلك غاية السرور، وسيّر الخلع السلطانية الى خوارزم شاه تكش مع وزيره مؤيد الدين ابن القصاب.

وهكذا عمل الخليفة الناصرلدين الله على انهاء السلاجقة في همذان، عن طريق خفيّ، هو الاستعانة عليهم بالخوارزميين الذين كانوا ألدّ أعدائهم. ومع اننا نرى اتفاق مصلحة الخلافة والخوارزميين في القضاء على السلطنة السلجوقية، الا ان ذلك الاتفاق لم يدم وقتاً طويلاً، فبينما اعتقد الخليفة الناصر أنه بلغ غايته بتخلصه من السلاجقة، وتصور ان بامكانه اقامة ملك شاسع على أنقاضهم، الا انه اساء التقدير، إذ سرعان ما تكشفت له الحقيقة المرة، وهي ان للخوارزميين مطامع في املاكه، وانهم لايقلّون خطراً على الخلافة من السلاجقة، وتجلى ذلك الخطر عند اخذ سلاطين الخوارزميين يطلبون اقامة الخطبة لهم من على منابر بغداد، وذكر اسمائهم الى جانب اسم الخليفة[١٦]، فأبى الخليفة الناصر عليهم ذلك وانكره غاية الانكار، لانه لايريد ان يعيد ذكر أي أعجمي الى جانب اسم الخليفة العربي، ومن هنا اشتد الخلاف بين الجانبين - مما لاسبيل لذكره في هذا البحث - وهذا في تقديرنا يفسر لنا السبب الذي جعل الخوارزميين لايعملون على تقوية مركز الخلافة بعد تخلصها من السلاجقة نهائياً، فكان ان اعقب ذلك استمرار العداء بين الجانبين، حتى لاح خطر المغول المتوحشين في الافق، فابتدأ بتحطيم الدولة الخوارزمية، ثم سار في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فاجتاح بغداد وازال الخلافة العباسية، فحلت بذلك اكبر كارثة اصابت العالم الاسلامي.

المصادر والهوامش

(١) النظام العروضي السمرقندي، جهار مقالة (المقالات الاربعة) الترجمة العربية: ٣٢.
(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تح محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٤٨: ٤/١٥٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (دار صادر، بيروت، ٦٥-١٩٦٦: ٩/٤٧٣.
(٤) المصدر نفسه: ٩/٤٧٤.
(٥) المصدر نفسه: ٩/٤٧٤.
(٦) الدكتور حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣-١٩٦٧: ٤/٥.
(٧) الكرديزي، زين الأخبار (الترجمة العربية) تعريب محمد بن تاويت، فاس ١٩٧٢: ٢/١٠١، ١١٩-١٢١.
(٨) للتفاصيل عن هذا ينظر:
طالب جاسم حسن، المقاومة العربية للتسلط البويهي في العراق والجزيرة الفراتية.
(رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة - بغداد ١٩٨٦): ص١٤٩ فما بعد.
(٩) ابن الاثير، الكامل: ٩/٦٤٠-٦٤٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٩/٦١٠.
(١١) المصدر نفسه. ٩/٦٤٩.
(١٢) عبد الكريم توفيق العبود، الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦: ٢١.
(١٣) المرجع نفسه: ٢١-٢٢.
(١٤) ابن الاثير، الكامل: ١١/٤٢.
(١٥) عماد الدين محمد بن محمد الاصبهاني، تاريخ دولة آل سلجوق: اختصر اصل الكتاب الفتح بن علي البنداري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨: ٢١٦.
(١٦) ابن الطقطقي، الفخري في الآدب السلطانية والدول الاسلامية، بيروت ١٩٦٦: ٣٢.
(١٧) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥٩: ١٠/٤٦. ابن الاثير، الكامل: ١١/٢٦.
(١٨) ابن الجوزي، المنتظم: ١٠/٥٠. ابن الاثير، الكامل: ١١/٢٦.
(١٩) د. محمد صالح داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير: مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧١: ٥٣.
(٢٠) ابن الجوزي، المنتظم: ١٠/٥٥.

(٢١) القزاز، الحياة السياسية في العراق: ٥٤.
(٢٢) العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق: ١٦٧. ابن دحية، النبراس في تاريخ بني العباس، مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٦، ١٥٢.
(٢٣) ابن الجوزي، المنتظم: ١٠/٦١.
(٢٤) ن. م.: ١٠/٦٦.
(٢٥) ن. م.: ١٠/٨٥.
(٢٦) ن. م: ١٠/١٣١.
(٢٧) العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق: ٢١٧.
(٢٨) السيوطي، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ٢/١٩٩.
(٢٩) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية: ٣١٢.
(٣٠) ابن الاثير، الكامل: ١١/١٦٠.
(٣١) العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق: ٢١٦.
(٣٢) ابن الاثير، الكامل: ١١/١٨٠.
(٣٣) ن. م.: ١١/١٩٤-١٩٥.
(٣٤) ن. م.: ١١/٢١٢-٢١٥.
القزاز، الحياة السياسية في العراق: ٦١.
(٣٥) ابن الاثير، الكامل: ١١/٣٦٠. ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٧٥: ٢/٢٦٥-٢٦٧.
(٣٦) ابن الاثير الكامل: ١١/٢٦. ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر: دار الكتاب اللبناني: بيروت، ٥/٦٨.
(٣٧) عبدالكريم توفيق العبود، الشعر العربي في العراق: ٢٤.
(٣٨) ابن الجوزي، المنتظم: ١٠/٢٥٠-٢٥١. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تح محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥١: ١/١٣٧-١٣٨.
(٣٩) ابن الكازروني ظهير الدين مختصر التاريخ من اول التاريخ الى منتهى دولة العباس، تح د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة بغداد، ١٩٧٠: ٢٤٥. الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ط٢، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤، ٢٨١.
(٤٠) ابن الاثير، الكامل: ١١/٥٦٠. الذهبي، دول الاسلام ط٣، حيدر آباد الدكن ١٣٦٥هـ، ٢/٢٤٥.
(٤١) الحسيني صدر الدين بن ناصر، اخبار الدولة السلجوقية تح: محمد اقبال لاهور ١٩٣٣: ١٧٧. ابن الاثير، الكامل: ١٢/٢٤-٢٥.
(٤٢) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية: ١٩٠.
(٤٣) الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، ترجمة د. ابراهيم امين الشواربي وزميليه، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ٥١٢-٥١٣.
(٤٤) ن. م: ٥١٣-٥١٤. ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب، تح د. مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٣-١٩٦٧: ٤/ق٢: ١٠٠٧.
(٤٥) ابن الاثير، الكامل: ١٢/١٠٨.
باب النوبي: احد ابواب دار الخلافة وكانت فيه العتبة التي يقبلها الرسل والأمراء والملوك ورؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد.
ينظر:
(الدكتور مصطفى جواد، والدكتور أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد، ١٩٥٨، ١٥٨.
(٤٦) الدكتور نافع العبود، الدولة الخوارزمية: مطبعة الجامعة، بغداد ١٩٧٨، ٨٠-٨١.

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



كتاب الفخري في الاداب السلطانية لابن الطقطقى

دراسة تحليلية و مقارنة

بمقدمة ابن خلدون وكتاب الامير لمكيافلي

دراسة

د . ناجي التكريتي

كلية الاداب/ جامعة بغداد

ابن الطقطقى كاتب مؤرخ من القرن السابع الهجري، يقدمه صاحب كتاب الاعلام كما يلي: محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، ابو جعفر، المعروف بابن الطقطقى (٦٦٠ - ٧٠٩هـ = ١٢٦٢ - ١٣٠٩م) مؤرخ بحاث ناقد، من اهل الموصل، خلف اباه سنة ٦٧٢هـ في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان.* زار مراغة سنة ٦٩٦هـ، وعاد الى الموصل، فالف فيها سنة ٧٠١هـ كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، وقدمه الى واليها فخرالدين عيسى بن ابراهيم، ولعله توفي بها(١).

اما كتابه الفخري في الآداب السلطانية، فله - برأيي - اهمية خاصة، لاسيما الجزء الاول منه، لانه يتناول السياسة المدنية وسلوك الملوك وتدبير الملك، ولانه اثر فيمن اتى بعده من الكتاب والمؤرخين، وكما ساتناوله واتتبعه في بحثي هذا.

يحتوي الكتاب على مقدمة وفصلين يذكر في المقدمة فضل العلم والكتاب والفصل الاول مخصص للسياسة المدنية وهو ما سنوليه امر المناقشة والتحليل والاهتمام، لان الفصل الثاني فصل تأريخي يحكي عن تأريخ الدولة الاسلامية بدءاً بالخلفاء الراشدين وحتى سقوط بغداد وهو فصل مختصر بالنسبة لكتب السير والتأريخ في هذا المجال وليس فيه جديد.

محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقى يؤكد على ان العلم فضيلة، يزيد في تأكيده ان الطريق القويم لسيرة الملوك هو النظر في العلوم والاقبال على الكتب، ويستشهد بقول الله تعالى: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» وبالحديث الشريف: «ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم»(٢).

ابن الطقطقى يتبع في كتابه منهجاً استقرائياً في تتبع الاحداث السابقة من التأريخ الاسلامي ليقدمها الى الحاكم كي يكون على علم ودراية في معالجة الامور. بعد ان يؤكد ان العلم يزين الملوك اكثر مما يزين العامة، لان الملك اذا صار عالماً يمكنه ان يؤثر في الناس ويصلح امورهم. ومن الصدف الجميلة ان ابن الطقطقى يأتي بجملة طريفة تقول: (اذا كان الملك عالماً صار العالم ملكاً(٣)، وتلك لعمرى تشبه مقولة افلاطون المشهورة التي تقول ان الدولة تصلح اذا حكمها الفلاسفة، او اذا تفلسف الملوك(٤). ويحز في نفس ابن الطقطقى على ما يبدو لان بعض الوزراء في بعض الاحيان ممن بيدهم مقاليد الامور لايودون تعليم الملوك كما ينبغي لئلا يكونوا فطنين عارفين ببواطن الامور. ويضرب المؤلف مثلاً فيقول: ان الوزراء كانوا قديماً يكرهون ان يقف الملوك على شئ من السير والتواريخ خوفاً ان يتفطن الملوك الى اشياء لايحب الوزراء ان يتفطن لها الملوك. وذلك ان المكتفي طلب من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع

---

* ربما سيفسر لنا هذا الزواج جانباً من شخصية ابن الطقطقى وحقده على العرب وتزلفه للغزاة والدخلاء. «المورد»

بمطالعتها زمانه، فتقدم الوزير الى خواصه بتحصيل ذلك وعرض الكتب عليه قبل حملها الى الخليفة، ولما جلب هؤلاء كتباً تحكي وقائع الملوك واخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الاموال غضب الوزير وقال والله انكم اشد الناس عداوة لي، انا قلت لكم حصّلوا له كتباً يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري، فقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ويوجده الطريق الى استخراج المال، ويعرفه خراب البلاد من عمارتها، ردّوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه واشعار تطربه[٥].

هذه الحكاية الطريفة ترينا كيف ان الخليفة معزول حتى عن الكتب التي يقرؤها ويتعلم منها النفع والمعرفة. يأتي الكاتب بمثل آخر مشابه، وهو كيف ان الوزير المتمكن في الحكم اذا مات الخليفة يبايع شخصاً ضعيفاً ربما يختاره طفلاً غريراً كي يبقى نافذ الراي في الدولة، والخليفة له تابع وخاضع، ويتجنب ما استطاع ان يبايع رجلاً قوياً لئلا يطلع على اسراره ويحاسبه على املاكه ومباذله[٦].

يعطي ابن الطقطقى مثالاً على الملك الذي يجمع بين قراءة الاشعار المطربة والحكايات الملهية وكتب التاريخ والسير هو بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل حينذاك[٧]. بعد هذا يذكر عن سبب تأليفه هذا الكتاب، ويقول انه كانه في طريقه الى تبريز، مر بالموصل وحضر مجالس صاحب الموصل فخرالدين عيسى بن ابراهيم، ويعرفه بانه افضل الملوك واعظمهم واكرم الحكام واحلمهم، ويستشهد بالشعر مادحاً لعدله وكرمه واعتداله بين الاسراف والبخل، دون ان يذكر حادثة عملية واحدة تبين لنا مدى عدله او كرمه او شجاعته او اعتداله او قوة عقله او غزارة علمه. المهم بعد هذا ان المؤلف يذكر انه ذكر اسمه في مجلس الملك هذا فاستدعاه واكرمه، ولذا يقول: ورايت ان اخدم حضرته بتأليف هذا الكتاب، ليكون تذكرة له وتذكرة لي عنده[٨].

ابن الطقطقى يذكر انه تكلم في الكتاب هذا عن احوال الدول وامور الملك، وذكر فيه ما استظرفه من احوال الملوك الفضلاء، واستقرأ من سير الخلفاء والوزراء[٩] انه يخص في ذلك الفصل الاول، وهو مدار بحثنا، فيشير الى انه تكلم عن الامور السلطانية والسياسات الملكية، وما هي صفات الملك وميزاته عن الآخرين، وما يجب ان يكون عليه وما يجب عليه ان يتجنبه من الخصال، وما يجب له على رعيته، وما يجب لهم عليه[١٠] الجميل فيه انه يذكر في مقدمة الكتاب، انه قد التزم امرين في تأليف الكتاب، اولهما السير مع الحق والنطق بالعدل وترك سلطان الهوى، والثاني التعبير بعبارات واضحة كي يتم الانتفاع بها[١١].

الكتاب كتب خصيصاً للملك لينتفع به في حكمه بعد ان يقرأه فيطلع على الاحداث السابقة وسياسة الملوك فيها ومعالجة الوزراء للقضايا، ولذا فان مؤلفه يقرر ان الكتاب يحتاج اليه من يسوس الجمهور ويدبر الامور. ان ملك مدينة صغيرة في حاجة اليه كحاجة الملك العام الطاعة، كذلك يحتاجه الى جانب الملوك الوزراء والسفراء ومن يجالس الملوك ويذاكرهم في امر الرعية وقضايا السياسة والسير، ويناقشهم في اخبار الممالك السالفة وما جرى من اخبار[١٢]. يبالغ ابن الطقطقى في مدح كتابه هذا ويقول انه انفع من كثير من الكتب التي يتداوله الناس في عصره ويفتتنون في قراءتها، ومن الكتب التي يذكرها ويفضل كتابه عليها كتاب الحماسة، وكتابي المقامات الحريرية والبديعية[١٣] ان من حق المؤلف ان يمدح كتابه، ولكننا نرى انه قد أخطأ المقارنة لان كتاب الحماسة في الشعر ينتفع به الاديب والشاعر ومحب الادب، وكذلك المقامات فتتميز بأسلوبها القصصي الجديد وبلاغتها الساحرة، فهذه كتب ادب لايجوز لابن الطقطقى ان يقارن كتابه السياسي - التأريخي هذا بتلك الكتب الادبية. لعله أقرب الى الصواب عندما يقول: إن من اعتراه ريب فليتأمل الكتب المصنفة في هذا الفن، فلعله لايرى فيها كتاباً اجمع للمعنى الذي قصد به من هذا الكتاب[١٤].

وقبل ان استطرد في تحليل آراء ابن الطقطقى في الدولة والملوك، وما هي وسائل الملوك الناجعة في سياسة الدولة، لابد ان اشير الى وجود تشابهات كثيرة في الاسلوب والمضمون، بين كتاب الفخري لابن الطقطقى وبين كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك لابن ابي الربيع، والذي عاش في القرن السابع الهجري، وهي الفترة ذاتها، التي كتب فيها ابن الطقطقى كتاب الفخري[١٥]. ولا اشك في ان ابن الطقطقى قرأه واطلع عليه، ولكن لاادري سبب تجاهله له وعدم ذكره.

يفتتح ابن الطقطقى الفصل الاول المخصص للامور السلطانية والسياسات الملكية - والذي هو مجال بحثنا - فيقول ان الفصل ليس مخصصاً في اصل المُلك وحقيقته ولايخوض في مذاهب اصحاب الآراء في الامامة، وانما الفصل مقتن للسياسات والآداب التي ينتفع بها الحاكم في سياسة الرعية وتحصين المملكة، وفي اصلاح الاخلاق والسيرة[١٦]. يبدو ان المؤلف لايريد ان يحشر نفسه في اجتهادات المتكلمين عن الامام الصالح للملك، ومن هو الاحق بالخلافة. ان الكتاب اشبه

بالنصائح والتوجيهات للسلطان ليكون عادلاً في ملكه وسيرته، لاسيما وان المؤلف كتب كتابه هذا في ظل الدولة الا يلخانية حين لا أثر لوجود الخلفاء والخلافة.

يشترط المؤلف في الملك الفاضل ان تكون فيه خصال حميدة، واهم الخصال التي يذكرها العقل، لان العقل اصل الفضائل وبه تساس الدول والملل، وكذلك العدل، لان به تستغزر الاموال وتعمر الاعمال وتستصلح الرجال، والعلم الذي هو ثمرة العقل وبه يستبصر الملك فيما يأتيه ويأمن الزلل في احكامه. كذلك الخوف من الله، لان الملك ! برأيه - متىٰ خاف الله أمنه عباد الله. والعفو عن الذنوب وحسن الصفح عن الهفوات، لان الملك بهذه الخصلة يستميل القلوب وتصلح النيات. الكرم كذلك من الخصال التي تستحب في الملوك، لان الملك في الكرم يستميل القلوب ويحصل على النصائح من العلماء ويستخدم الاشراف. الهيبة، ويعني ان يكون الملك مهيباً كي يحفظ نظام المملكة ويُحرس من اطماع الرعية. كذلك يذكر المؤلف - صفة حسن السياسية كفضيلة اساسية للملك، لانه بها يحقن الدماء ويحفظ الاموال ويمنع الشرور - ويقمع المفسدين ويقضي على الفتنة والاضطراب. والوفاء بالعهد صفة اساسية للملك، لانه بهذه الفضيلة يسكن القلوب ويطمئن النفوس، وان الرعية تثور به. والخصلة الاخيرة التي يرتأيها ابن الطقطقى في الملك، وان يكون له اطلاع واسع على غوامض احوال المملكة ودقائق امور الرعية ومجازاة المحسن على احسانه والمسئ على اساءته[16].

لاشك ان هذه الفضائل العشر التي يريدها ابن الطقطقى ان تتوفر في الملك اساسية وضرورية، ولاسيما الفضائل الثلاث الاول، واعني بها فضائل العقل والعلم والعدل، فهي لعمري فضائل مهمه في الذي يتولىٰ امور السلطة وسياسة الممالك. الذي استغرب منه ان ابن الطقطقى يصيب حيناً ويخطئ حيناً آخر عندما يأتي بالامثلة والشروح المستفيضة مدللاً صحة راية باخبار الملوك العملية وتعاقب الدول، فهو بعد ان يذكر صفة العدل - مثلاً، يضرب لنا مثلاً عن افضلية السلطان العادل فيقول: «ولما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة»[17] اعتراضي هنا ان يستعمل مؤرخ وكاتب في فلسفة التأريخ وسياسة الدول كلمة «فتح» - بغداد، بدلاً من سقوط بغداد، أو تخريب هولاكو لبغداد، والمؤلف كغيره من المؤرخين وكتاب السير والتأريخ، يعلم علم اليقين ان كلمة «فتح» تستعمل فقط لفتح المسلمين للبدان، لا غرب فاتك مثل هولاكو. بعد هذا يذكر المؤلف وفي الصفحة ذاتها، ان هولاكو بعد دخوله بغداد استفتىٰ العلماء: ايهما افضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر؟ وبعد ان جمع هولاكو العلماء في المستنصرية ووقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب، ولكن احد العلماء واسمه رضي الدين علي بن طاووس عندما راى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده[18] لاشك ان ابن الطقطقى يغالط نفسه وينسف فضيلة العدل من اساسها، ننظر الى هذه المسألة من شقين متوازيين لنرىٰ تهافت مثل ابن الطقطقى. الشق الاول ان المؤلف يعرف جيداً عدم جواز تأمير الكافر على المسلم في اية حال من الاحوال، والشق الثاني ان ابن الطقطقى يذكر في الصفحات الاخيرة من كتابه وبعد ان دخل جيش هولاكو بغداد: «جرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه»[19] كيف اذن يوحي للقارئ من بعده ان هولاكو ملك عادل؟ لاأشك ان الروح الشعوبية تتقمص جسد ابن الطقطقى هذا، لاسيما وانه يدري جيداً ان هولاكو قتل افاضل علماء بغداد، ويبدو من الاسم الذي يذكره وهو رضي الدين علي ابن طاووس انه ليس من العلماء الكبار في بغداد والا قتله هولاكو كغيره، كما ان اسمه واستمالته للتوقيع والتأييد على ان هولاكو اكثر عدالة من المستعصم، توحي بفارسيته وشعوبيته. لم يذكر لنا التأريخ ان المستعصم كان حاكماً ظالماً، وانما جاء عهده في دور انحطاط سياسي وتراكم عصور دولة يمتد الى تأريخها الى اكثر من خمسة قرون من الزمان، ثم كيف يجوز لفقيه او عالم أو مؤرخ ان يجيز تسمية هولاكو بالسلطان العادل؟

العلم الذي يريده ابن الطقطقى في الملوك، هو ليس التبحر في غوامض العلوم والاغراق في طلبها، وانما المراد من العلم في الملك ان يناقش ارباب العلم والمعرفة في المجالس[20] انه يريد من الملك ان يكون مستنيراً له تصور عام في امور السياسة وطريقة جباية الضرائب، واجلال العدل في الدولة، اما الملك الفاضل الذي يطلبه مؤلف كتاب الفخري، فلا شك ان رئيس الدولة الفاضل قد ناقش شروطه فلاسفة الاسلام وافاضوا في البحث فيه منذ الفارابي وحتى ابن ابي الربيع صاحب كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك. يعطى ابن الطقطقى بعض

الامثلة على سير بعض الملوك والوزراء مستشهداً بتأريخ الدولة الاسلامية. يفرق ابن الطقطقى بعد ذلك في فقرة خاصة بين ملوك الفرس وملوك العرب وملوك المغول، فيقول ان ملوك الفرس كانت علومهم الحكم والوصايا والهندسة، وملوك الاسلام كانت علومهم علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتواريخ، والدولة المغولية علومها علم الحساب وحصر الدخل والخرج لضبط المملكة وعلم الطب لحفظ الابدان وعلم النجوم لاختيار الاوقات[٢١]. لاشك ان ابن الطقطقى في حكمه هذا اما ان يكون متحاملاً حاقداً على العرب والمسلمين او انه جاهل بتأريخ العلوم عند العرب وتشجيع الملوك والوزراء العلماء والاطباء والمهندسين والفلكيين.

هل ينسى ابن الطقطقى ان خالد بن يزيد الاموي اشتغل بالكيمياء وطلب ترجمة كتب العلوم؟ وابو جعفر المنصور الذي امر بترجمة كتب الطب؟ ومن هو اكثر حكمة وتشجيعاً للعلوم والترجمة في تأريخ الملوك من المأمون. ودار الحكمة اشهر من ان نشير اليها في هذا البحث. ملوك العرب على اختلاف عصورهم شجعوا العلوم ودراستها وامروا بترجمة كتب الفلسفة واقاموا المراصد الفلكية وشقوا الترع والأنهار وأمروا ببناء السدود وهذه كلها تحتاج الى معرفة ناضجة بعلوم الهندسة.

استوقفتني اشارة جاءت في ذكر ابن الطقطقى في فضيلة الخوف من الله بالنسبة للملوك، ان امير المؤمنين علياً بن ابي طالب رضي الله عنه استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه، فدعاه مراراً فلم يجبه، فدخل عليه رجل، وقال: ياامير المؤمنين انه بالباب واقف، وهو يسمع صوتك ولايكلمك، فلما حضر العبد عنده، قال: اما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما منعك من اجابتي؟ قال العبد: امنت عقوبتك، قال علي عليه السلام: الحمدلله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه[٢٢] الحقيقة ان هذه القصة المفتعلة تسئ الى سيدنا علي (ع) اكثر مما تمجد ذكره، فان مما لاشك فيه ان امير المؤمنين اشتهر بالشجاعة والفروسية والزهد والحلم وصفات كثيرة لاحصر لها، ولكن هل من المعقول ان علياً وهو خليفة رسول الله وابن عمه الذي تهابه الاقران والفرسان، يمتنع انسان عن اجابة ندائه؟ اظن ان مثل هذه القصة ربما تتناقلها العامة وليس من الجدير بمؤرخ سياسة وادب ان يسطرها وكأنها حقيقة واقعة.

يناقش ابن الطقطقى فضيلة العفو عن الذنوب وحسن الصفح عن الهفوات فيجيد بذلك اجادة تامة لاسيما وهو يأتي بالامثلة والخطب والاشعار واستقراء الاحداث[٢٣]. انه يعتبر ان فضيلة العفو، عند الملوك من اكبر الخصال، لان بها تستمال القلوب وتصلح النيات. لاشك - برأيي - ان الكاتب مصيب في رايه هذا، لاسيما وهو يبدأ الامثلة بالاستشهاد بقوله تعالى: «وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم». ان ابن الطقطقى لا ينسى ان يرد على الذين يرون ان الحقد خصلة محمودة في الملك، مثل بزر جمهر الذي يقول ان الملك يجب ان يكون احقد من جمل. يناظره صاحب كتاب الفخري معارضاً فيقول: كيف يقال كذلك، والملك متى كان حقوداً فسدت نيته لرعيته، فمقتهم وقلت شفقته عليهم، ومتى أحسوا بذلك تغيرت نياتهم له وفسدت بواطنهم. ان الملك الذي يريد ان يديم ملكه، لايمكن له بلوغ اغراضه الا بصفاء قلوب رعيته، وان الملك الحقود لايكسب سوى تنغيص عيشه وتبغيض رعيته اليه وانحياشهم منه. ابن الطقطقى يضيف أيضاً ان الناس مركبون على الخطأ مجبولون على تشمير الطباع، وما أكثر ما تصدر منهم موجات الحقد، فلا يزال الملك طول دهره يعاني من الغيظ والحقد عليهم ما ينغص عليه لذته، ويشغله عن كثير من مهام مملكته، وما اكثر ما راينا الرعية او الجند قد وثبوا على ملوكهم فسلبوهم رداء المملكة بل رداء الحياة[٢٤].

بعد هذا الرأي الاخلاقي السديد الذي يطلبه ابن الطقطقى من الملوك في العفو والصفح ونحذر من الحقد خوفاً من ثورة الشعب. يأتي بعد ذلك بالامثلة فيخلط بين الامور وتشتبه عليه الاحداث. ليته اقتصر بابداء الرأي دون ذكر المثال، لانه افسد بذلك - ربما دون قصد - المثال مااراده في نصيحة الملوك بالالتزام بفضيلة الصفح والعفو عند المقدرة. بعد ان يذكر ابن الطقطقى كيف ان الرعية او الجند وثبوا على ملوكهم فسلبوهم رداء المملكة بل رداء الحياة، يضيف قائلاً: «ابتدئ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وثب عليه ابو لؤلؤة فقتله ثم ثنّ بعثمان ابن عفان رضي الله عنه وانظر كيف اجتمع عليه رعيته من كل جانب فحاصروه في داره اياماً، ثم دخلوا عليه فقتلوه والمصحف في حجره، ثم ثلّث بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، وقد ضربه عبدالرحمن بن ملجم بسيفه فقتله. هذا في الصدر الاول والناس ناس والدين دين، ثم تنقل دولة فدولة واياماً فاياماً، الى اواسط دولة بني العباس، فانظر منذ عهد المتوكل الى عهد المقتفي ما

جرى على واحد واحد من الخلفاء من القتل والخلع والنهب، بسبب تغير نيات جنده ورعيته، فهذا سمل وذاك قتل والآخر عزل، ثم اسرح طرفك في الدولتين البويهية والسلجوقية تر من هذا الباب عجباً»[٢٥] لاشك ان ابن الطقطقى قد خلط بين الامور او قد اختلطت عليه الامور، والا لم يذكر احد قبله قط ان الخلفاء الراشدين الذين ذكرهم او احدهم قد قتل بسبب حقده او بسبب حقد الرعية عليه، وكذلك اغلب خلفاء بني العباس الذي اشار اليهم، فانما السبب او الاسباب هي المداخلات السياسية والانشقاقات الفئوية، وتدخل الفرس والموالي والاتراك في جسد الدولة.

عند ذكر خصلة الكرم في الملك، ينسى ابن الطقطقى ان كتابه يؤرخ لملوك العرب والمسلمين، فيعطي مثلاً على كرم الملك، بالملك او كتاي بن جنكيز خان ويصفه بالملك العادل و الملك الذي طغى كرمه على جميع كرام الملوك[٢٦]، دون أن يذكر حالة واحدة ترينا كرم هذا الملك الاعجمي.

الشيُ الذي اود ان اقوله بعد هذا، ان صاحب الفخري قد اجاد بذكر الخصال العشر التي يجب ان يتحلى بها الملوك. انه بعد ذلك يستطرد فيقول ان على الملك الا يستبد برايه بل ان يشاور في الملمات خواص الناس وعقلاءهم، ومن يتفرس فيه الذكاء والعقل وجودة الراي وصحة التمييز ومعرفة الامور، يستشهد بذلك بقول الله تعالى: «وشاورهم في الامر»، ثم يذكر ان رسول الله (ﷺ) كان يشاور اصحابه دائماً. ينتهي ابن الطقطقى بعد ذلك الى راي: ان الخطأ مع المشورة اصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد[٢٧].

من الامور اللطيفة التي ينتبه اليها إبن الطقطقى، المقولة التي تقول: ان الناس على دين ملوكهم. ان الناس دائماً يقلدون ملوكهم في الزي واللباس والآداب، والناس تترك ماهو مستهجن عند الملوك. أن هذه حقيقة تنطبق في كل زمان ومكان، اذ ان العامة تقلد دائماً كبار القوم وارباب السلطان. الشيُ الذي الاحظه ولابد ان اشير اليه هنا، ان ابن الطقطقى كمؤرخ عندما يذكر ملوك العرب ودولة الاسلام يمر ازاء ذلك مرور الكرام، اما الآخر وهو يشير الى عادة تقليد الناس لملوكهم، فعندما يذكر كيف ان الناس غيروا زيّهم وبدأوا يقلدون ازياء ملوك دولة المغول، اقول انه ما ان ذكر حكم دولة المغول حتى اردف متزلفاً:

اسبغ الله احسانها وأعلى شأنها»[٢٨]. اعتقد انه لاحاجة للمؤرخ الموضوعي ان ينزلق الى مثل هذه المزالق، فكيف به اذا ما عرف ان هذه الدولة محتلة غازية غريبة عن اهل البلاد؟.

يذكر الكاتب بعد ذلك سبع خصال ذميمة لاتليق بالملوك وعليهم تجنبها، ويبدو ان صاحب الفخري قد استعارها من ابن المقفع[٢٩] الخصلة الاولى الذميمة او الرذيلة التي يجب ان يتجنبها الملك، هي رذيلة الغضب، لان الملك له القدرة وليس هو بحاجة الى الغضب. الثانية الا يكذب لانه لايقدر احد على الزامه بغير ما يريد: الثالثة البخل فليس له عذر للخوف من الفقر، الرابعة الحقد، ولانه قادر على رد الاساءة: الخامسة الخلف، فلا موجب هناك يحمله على اليمين، لان الناس تصدقه، السادسة الحدة، لان ربما صدر عنه فعلاً يندم عليه حين لاينفع الندم. السابعة الضجر والسأم والملل، وكل ذلك من أضرّ الامور وافسدها لحاله.

يرى ابن الطقطقى ان الملك على رعيته حقوقاً، وان لهم عليه حقوقاً، فاما الحقوق التي تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة، وهي الاصل الذي ينتظم به صلاح امور الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القوي، والقسمة بالحق[٣٠] كلام جميل وحقيقي، اذ لابد ان يكون الانسجام والتفاهم بين رئيس الدولة وشعبه، ولكن ابن الطقطقى بعد هذا لايستطيع ان يخفي صبغته المغولية، اذ يردف مستشهداً:

«لم ينقل في تاريخ ولا تضمنت سيرة من السير ان دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها مارزقته هذه الدولة القاهرة المغولية، فان طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم ترزقها دولة من الدول»[٣١] يضرب بعدها الامثلة من التأريخ الاسلامي، ويتجاوز فترة حكم الخلفاء الراشدين، لانهم كما يقول كانوا يعيشون بقبس النبوة ونوره. حياتهم بسيطة وحكمهم عادل. ينتقل بعد ذلك الى ضرب مثل من الدولة الاموية فيقول ان بني هاشم في المدينة كانوا لايأبهون بالدولة الاموية. والدولة العباسية، على الرغم من ان مدتها تجاوزت خمسمائة سنة، وعلى الرغم من قوة الخلفاء في العصر الاول كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم، لكن دولتهم لاتخلو من ضعف ووهن، مثل امتناع الروم عليهم وقيام الحروب بينهم وبين ملوك الروم. وكذلك من اسباب الوهن في دولتهم خروج الخوارج في كل

وقت. وخروج العلويون على المنصور. ما جرىٰ للمعتصم مع اهل عمّورية مشهور، وخروج الزنج على الموفق بن المتوكل، أما المتأخرون من خلفاء بني العباس فقد اقتصروا في آخر الامر على مملكة العراق فحسب»[٣٢].

وقد يكون ما ذكره ابن الطقطقىٰ في تأريخ الدولة الاسلامية فيه شيْ من الصحة، لان دولة مترامية الاطراف من الاندلس الى الصين، تضم اقواماً مختلفة من البشر في اللون واللغة والعنصر، فلا عجب اذن اذا ظهر معارض هنا او حدثت ثورة هناك. ان مثل هذا الامر يحدث في اية دولة كبيرة تتعدد اصول شعوبها وتتباعد في المكان، سواء في العصور القديمة أو الحديثة. الشيْ الذي يحاسب عليه ابن الطقطقىٰ أنه يصف دولة المغول بانها الدولة الوحيدة في التأريخ، التي حظيت بطاعة جندها ورعاياها كما لم تحظ مثل ذلك اية دولة من الدول انما نعلم ان الحقيقة تقول غير ذلك، فاذا كان المغول قد اسسوا دولتهم بالبطش والقسوة وهدم المدن واستباحة الشعوب، فان الشعوب لم تستكن لهم، وان الرعية لم تمحضهم الطاعة كما يحلو لابن الطقطقى ان يقول متباهياً.

اننا نعلم جيداً ان السلطان قطز قد رد المغول مدحورين في موقعة عين جالوت، وان جيوش الظاهر بيبرس قد وصلت الى قرب هيت، وهي تطارد فلول التتار، كما ان الانقضاض على جيوش المغول كان يحدث بين فترة واخرى في ربوع الشام. هذا خارج نطاق حكم المغول في العراق، اما في العراق وفي بغداد بالذات عاصمة المملكة فقد كان الوضع اسوأ من ذلك بكثير، فقد ازدادت الفتن والاضطرابات والقلاقل، وانحدرت الحالة الى درجة كبيرة من الفوضىٰ في ايام اباقا خان خان نفسه ابن هولاكو ٦٦٣هـ - ٦٨١هـ[٣٣]. كما إن الشطار والعيارين خلقوا الفتن والاضطرابات واقلقوا الراحة العامة وعكروا صفو الامن[٣٤]، وقد كثر الاعتداء على الناس الآمنين وسلبهم في هذه الفترة بالذات، بسبب نزوع القبائل البدوية الى النهب والسلب[٣٥]. وقد نهب الشطار الدكاكين والدور في بغداد، وصاحب ذلك القتل والفوضىٰ، وكان ذلك سنة ٦٩٠هـ.[٣٦].

كما يذكر ابن الطقطقى ان من الحقوق الواجبة للملك على الرعية، التعظيم والتفخيم لشأنه في الظاهر، وتعويد النفس ذلك ورياضتها بحيث تصير ملكة مستقرة. وتربية الاولاد على ذلك وتأديبهم به ليتربىٰ هذا المعنىٰ معهم[٣٧]. هذا لاشك كلام معقول اريد به حق، ولكن ابن الطقطقىٰ ما ان يذكر الملك المغول في عصره حتى يقول متزلفاً: «وان سلطان هذا العصر ثبت الله قواعد دولته وبسط في الخافقين ظل مَعْدلته»[٣٨] وعندما يأتي ذكر الدولة المغولية الوثنية يقول بخنوع ظاهر:
«الحضرة السلطانية أعلى الله في الدنيا كلمتها وفي الآخرة درجتها»[٣٩].

كذلك من الحقوق الواجبة للملك على رعيته النصيحة، ويأتي ابن الطقطقىٰ بالحديث الشريف مستشهداً: «الدين النصيحة» قيل لمن يارسول الله، قال: «لله ولرسوله ولجماعة المسلمين». كذلك يوحي ابن الطقطقىٰ ترك اغتياب الملك[٤٠].

في الوقت ذاته يذكر صاحب الفخري ثلاثة حقوق واجبة للرعية على الملك. اولها حماية ساحة المملكة وسد الثغور وتحصين الاطراف وأمن السوابل وقمع الدعّار، فهذه حقوق تلزم السلطان تجري مجرىٰ الفروض الواجبة، وبهذه الامور تجب طاعته على رعيته[٤١] وثانيها فان على الملك الرفق بالرغبة والصبر على ما يصدر من هفواتهم، وقد قال رسول الله (ﷺ): «ماكان الرفق في شيْ الا زانه»[٤٢] والحق الثالث للرعية على الملك ان يردع قويهم عن ضعيفهم، وانصاف ذليلهم من عزيزهم، واقامة الحدود فيهم، واقرار حقوقهم، واغاثة ملهوفهم، واجابة مستصرخهم، والتسوية في الحكم بين الابعد منهم والاقرب، وبين الاذل والاعز[٤٣].

يستطرد ابن الطقطقى فيما تبقىٰ من الفصل الاول بذكر النصائح والوصايا للملوك: وان هذه النصائح او الوصايا تمزج بين ارشاد الملوك في طرق سياسة الدولة وبين القيام بواجبهم نحو شعبهم، وفي الوقت ذاته مراعاة حقوقهم نحو انفسهم والتفكير في امر منزلتهم في دنياهم. يبدأ وصاياه بتذكير الملك ابن الطقطقىٰ بان عليه ان يشكر الله ويذكره ويتحدث بنعمته، لانه قد اصطفاه من دون سائر الخلق لهذه المرتبة العلية. ان على الملك ان يذكر الله دائماً وبصورة سرية لايعلم بها الا الله، لان تلك حالة تقيه مصارع السوء، وهي في كل الاحوال مقبولة عند جميع الناس لاسيما الحكماء منهم. ان على الملك ان تكون له دعوات يناجي بها ربه، ويذكر ابن الطقطقىٰ مقطوعة ادبية لطيفة خاصة بالدعاء الملكي يقول انها من ابداعه وانشائه، ولابأس ان اذكرها بالنص: «اللهم اني ابرأ اليك من حولي وقوتي، والجأ الى حولك

وقوتك، احمدك على ان أوجدتني من العدم، وفضلتني على كثير من الامم، وجعلت في يدي زمام خلقك، واستخلفتني على ارضك، اللهم فخذ بيدي في المضايق، واكشف لي وجوه الحقائق، ووفقني لما تحب، واعصمني من الزلل ولا تسلب عني ستر احسانك، وقني مصارع السوء واكفني كيد الحساد وشماتة الاضداد والطف بي في سائر متصرفاتي، واكفني من جميع جهاتي، ياارحم الراحمين»[٤٤].

ويرى ابن الطقطقى انه يحسن بالملك اكرام الفضلاء من الرعية ووجوب اختصاصهم بالبر[٤٥]. ومما يكره للملك مخالطة الانذال والسوقة والجهال، لان الملك اذا ما سمع الالفاظ الساقطة ومعانيها المرذولة تحط من همته وتضع من منزلته ويزري ذلك بالملك. ان الملك جدير بمخالطة الاشراف ومعاشرة الافاضل من الرجال، لان ذلك يعلي همة الملك ويذكي قلبه ويبسط لسانه. يعطي ابن الطقطقى بعد ذلك بعض الامثلة التي يستشهد بها على ان اكثر الملوك وربما كلهم يدخلون اليهم عوام الرعية ويعاشرونهم ويستخدمونهم، وان في ذلك مضرة لهم، ولاسيما اذا ما وصل احد من هؤلاء الى التدخل بامر المملكة فيسيئ الى المملكة والملك[٤٦].

وينبغي على الملك الفاضل الذي يريد ان يكمل فضله، ان يكون عالي الهمة رحيب الصدر، محباً للرياسة معداً لها اسبابها، غير مخلد الى التنعم ولاجانح الى الترف ولا منهمك في اللذات. يورد بعد ذلك ابن الطقطقى بعض الامثلة والاشعار من الادب العربي يوحي للملك بان عليه ان يكون عالي الهمة كبير النفس. اننا نتفق مع ابن الطقطقى في هذا، لان مثل هذا يجب عليه ان يكون الملك ويمثل هذا الادب يجب ان تتأدب الملوك، الشيئ الذي يعارض عليه ابن الطقطقى ولا نتفق عليه باية حال من الاحوال انه يغري الملك في توسيع مملكته[٤٧]، هذا لاشك ظلم واجحاف للملك لانه يوصيه بظلم الآخرين، وهذا في الوقت ذاته اعتداء على ارض وممتلكات الآخرين. ربما يعطي العذر لابن الطقطقى لو كتب كتابه هذا وسطر وصاياه هذه في زمن الخلفاء المسلمين، لانه وقتذاك ينشد نشر الاسلام وبث الرسالة الاسلامية، فكيف به وهو يعيش في ظل دولة مغولية معتدية، ويحيا تحت ظل ملوك وثنيين ليس همهم الا هدم المدن على ساكنيها، وليس لهم هدف الا ذبح الشعوب وقتلها وتشريدها؟.

يشير صاحب الفخري، ان فضيلة الملك تكمل عندما تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة فيكون اختياره للرجال اختياراً فاصلاً. ان اختيار الملك لرجاله مهم بالنسبة له كرئيس دولة وبالنسبة لابناء الشعب باعتبار ان رجال الملك هم مساعدوه واعوانه. ولذا فعلى الملك التأني في الاختيار وعدم التسرع لان عواقب ذلك ستكون حسنة او سيئة، عليه وعلى المجتمع. ان على الملك ان يختبر فضائل الرجل الذي يريد ان يصطفيه ويدرس عيوبه ويوازن بينها، ويرى مدى صلاحية ذلك الرجل ليكون من خواصه المقربين[٤٨].

وينصح ابن الطقطقى الملوك بعدم المبالغة والانهماك في حب النساء، لان ذلك حسب رايه يشغل الملوك عن واجبهم الاساسي بممارسة عملهم في ادارة شؤون الدولة. ان الملك - برايه - او الوزير اذا شغف بامرأة وكرس لها وقته، يخصص جل وقته لها ويصد عن تدبير المملكة حتى يظهر فيها الخلل، وتفسد مصالح الدولة ويتطرق اليها النقص وتدب في اوصالها سبل الضعف والفساد[٤٩].

يرى ابن الطقطقى ان الملك لرعيته كالطبيب للمريض[٥٠]، وهذا وصف سبقه اليه الكثير من فلاسفة اليونان والاسلام، اذ ان منهم من يشبه الملك بالنسبة لرعيته كالطبيب للمريض، ومنهم من يشبه الملك بالنسبة للرعية كرب الدار لاهل داره[٥١]، المهم ان الكاتب هنا يشبه رئيس الدولة بالطبيب، وعليه ان يعرف مزاج رعيته حسب أصنافهم ومدى سعة ثقافتهم. الافاضل من الناس مثلاً يساسون بمكارم الاخلاق والاشاد اللطيف، والاوساد يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام يساسون بالرهبة والزامهم الجدد المستقيم، وقسرهم على الحق الصريح، ابن الطقطقى يوصي الملك بان يتهدد من يكفي في تأديبه بالاعراض والتقطيب، ولا ينبغي للملك ان يحبس من يكفي في تهذيبه التهديد، والا يضرب من يكفي في تأديبه الحبس، والا يقتل بالسيف من يكفي في تهذيبه ضرب العصا.

المهم ان على الملك ان يدرك صلاح امر الرعية بالطريقة التي يعالج بها الامور، وان يعطي العلاج المناسب للحالة المناسبة، وأن يكتفي بحالة العقاب التي تصلح من شأن الفرد والرعية، وهذا بلا ادنى شك يحتاج من الملك الى لطف حدس وصحة تمييز وصفاء خاطر ويقظة تامة وفطانة كاملة، فيتبين له اختلاف الاخلاق في الناس وتباين الامزجة والطباع.

ويحذر ابن الطقطقى الملك من التسرع في القتل وازهاق النفوس، لأن الحياة واحدة في الدنيا، لذا فعلى الملك ان يتأنى كثيراً ويتروى ويتثبت وتقوم عنده الادلة كاملة على وجوب القتل. وحتى اذا وقع القتل على احد من الرعية، فلا داعي للتمثيل بالمقتول. يضرب ابن الطقطقى مثلاً بسيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه، بعد ان ضربه ابن ملجم، اذ جمع اولاده واوصى ان يضرب بالسيف ضربة واحد دون ان يمثل به[٣٢].

يشير ابن الطقطقى الى فوائد التأني والتثبت في القتل، الأمن من الندم حيث لايجدي الندم، ويقول ان افاضل الملوك والخلفاء كانوا يستعملون هذه الخصلة، ولا يسرعون الى قتل رجل معروف مشهور خوفاً من ان يحتاجوا اليه بعد ذلك، ولذا كانوا يحبسونه في دورهم، حتى اذا احتاجوا اليه اخرجوه مكرماً وقد تأدب في الوقت ذاته وتهذّب. كذلك بعض الملوك من هو معجب بنفسه، ويحب ان ينتشر عنه حديث صرامة قاهرة فيستهين بالقتل ويبادر اليه، وغرضه اثبات الهيبة واقامة السياسة. ان ابن الطقطقى يرى في ذلك خطراً على الملك نفسه، لان الصواب ان يكون كارهاً للقتل صادفاً عنه مهما امكن، حتى تدعو اليه ضرورة ليس فيها حيلة، فحينئذ يقدم عليه بنفس قوية وجنان ثابت، لان قتل واحد اصلح من تركه حتى يحتاج الى قتل خمسة، وقتل خمسة خير من تركهم حتى يدب فسادهم، فتنتهي الحاجة الى قتل مائة[٣٣] واذا اراد الملك انزال العقوبات، فان على الملك الكامل ان ينعم النظر في ذلك ايضاً، لان اصناف العقوبات موكل الى نظر الملك الفاضل، وبحسب ما تقتضيه الحالة التي من اجلها يريد انزال العقوبة، لا من اجل ان يشفي غيظ صدره. يعترف صاحب الفخري بعد ذلك، الى ان هذا مقام صعب لايرتقي اليه احد الا من اخذ التوفيق بيده[٣٤].

ويكره للملك الانهماك في اللذات وسماع الاغاني، ويأتي ابن الطقطقى بثلاثة امثلة[٣٥] على ملوك سقطوا، وينسى الكثيرين ممن كانوا يقضون الليالي في اللهو والمجون: الملوك الذين يذكرهم ابن الطقطقى هم جلال الدين بن خوارزم شاه، الذي قضى عليه المغول، والامين الذي كان الفرس سبباً في اندحاره وقتله، والخليفة المستعصم الذي انتهت على يديه الدولة العباسية. سقوط الدول ليس متوافقاً على انهماك الملك في اللهو فقط، وانما هناك عوامل عديدة تفعل فعلها، مثل الفساد الداخلي المستشري في جسد الدولة، والغزو الخارجي ومدى قوته، ابن الطقطقى كاتب من كتاب الدولة المغولية وداعية من دعاتها، ولذا فلا يعتمد على حكمه بوضع المسؤولية كاملة على المستعصم. فهو يقول ان المستعصم آخر الخلفاء كان شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الاغاني، لايكاد مجلسه يخلو من ذلك (ساعة واحدة)! وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات، لايراعون له صلاحاً[٣٦]. المبالغة واضحة في حكم المؤلف على المستعصم والتحامل بيّن، لاسيما وانه في الوقت ذاته يمتدح الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي[٣٧]، على سلوكه وادبه، مع اننا نعلم جيداً ان المستعصم ليس كما يصفه المؤرخون الذين باعوا انفسهم وقلمهم لملوك الدولة الا يلخانية مثل ابن الطقطقى وانما كان رجل ورع وتقوى؛ وان السبب الرئيس في سقوط الدولة العباسية على يديه، هو خيانة الوزير ابن العلقمي ومكاتبته لهولاكو وتسريح الجيش العباسي وفتح ابواب بغداد امام الجيش الغازي، وخداع الخليفة نفسه واركان الدولة والعلماء والفقهاء بوجوب حضور دعوة هولاكو خارج اسوار بغداد للمصالحة، مع انه يعلم ان هولاكو بيت قتلهم جميعاً. وماذا يقول ابن الطقطقى عن اخلاق الوزير العلقمي، الذي ارتضى لنفسه بعد ان كان وزيراً لدولة عريقة مسلمة، ان ينحدر الى وزير بائس في دولة وثنية ظالمة معتدية. ان بعض المصادر تشير الى ضعف الخليفة المستعصم[٣٨]، ولكن مع ذلك فان المصادر التأريخية تذكر ان المستعصم مجرد ان سمع بتحرك المغول في الشرق، فانه اعد العدة ووزع السلاح على القادرين على حمله، واستنفر اهل المدن والاعراب من البدو الساكنين في الارياف والبوادي على ضرورة الاستعداد لمحاربة المغول، ووضع المنجنيق على الاسوار ورتب العسكر لحماية بغداد[٣٩].

يوصي ابن الطقطقى بعد ذلك الملك، بوجوب مجازاة الاحسان بمثله وعلى الاساءة بمثلها، لتكون رعيته دائماً راجين لبره خائفين من سطوته[٤٠] ويعطي صاحب الفخري الكثير من الامثلة ويورد الكثير من الاشعار، يبين فيها ان على الملك الفاضل ان يفخر بفضائله التي يتميز بها والآداب التي استفادها والادوات التي استجادها، ولايليق ان يفخر بامجاد الآباء والاجداد[٤١]. ويأتي بمثل يقول: ان المملكة تحرس بالسيف وتدبر بالقلم، وكل منها مكمل للآخر بالنسبة لازدهار الدولة وحمايتها، كما انه يضيف الى ذلك، ان المملكة تخصب بالسخاء وتعمر بالعدل وتثبت بالعقل وتحرس بالشجاعة وتساس بالرياسة[٤٢]، كما يأتي

ابن الطقطقى بالامثلة الكثيرة، ناصحاً الملوك على الانتفاع من الصديق والعدو، الصديق نفعه معروف، ولكن الملك الحازم من يستميل اعداءه ويلاطفهم ويحسن اليهم حتى تزول عداوتهم حتى يأمن شرهم[٦٣] واستطيع القول ان الفكرة افلاطونية ذكرها افلاطون على لسان سقراط، الذي كان يرى ان العدالة ليست نفع الصديق ومضرة العدو، وانما هي نفع الصديق والعدو معاً، وبذلك نكون قد زدنا في محبة الصديق، وفي الوقت ذاته تجنبنا شر العدو او ربما كسبناه الى جانبنا وجعلنا منه صديقاً ايضاً[٦٤].

ومما يرويه ابن الطقطقى، انه لا يليق بالملك الكامل الافاضة في مجلسه في وصف الطعام والنساء لئلا يشارك بذلك العامة، لان العامة قد قنعوا من عيشهم باليسير واقتصروا عليه وتركوا الامور الكبار، فاذا ارادوا ان يفيضوا في حديث لم يكن لهم الا وصف انواع الاطعمة ووصف اصناف الطعام. يروي بعد ذلك ان على الملك الا يوسع على جنده فيستغنوا عنه ولا يُضيّق عليهم فيضجروا منه، بل على الملك ان يعطيهم عطاءاً قصداً ويمنعهم منعاً جميلاً، وان يوسع عليهم في الرجاء ولا يوسع عليهم في العطاء[٦٥] ولا ينسى ابن الطقطقى بعد ذلك ان يشير الى ان رئيس الدولة، ينبغي ان يكون مطبوعاً على المعرفة، مجبولاً فيه صحة التمييز، مكتسباً للعلم بما جرى في الدنيا من تصاريف الدهور وتنقل الدول، عارفاً بمداراة الاعداء، كتوماً لسره، لان قطب السياسة عليه يدور، وان يستمد لعقله من عقول العقلاء، فان العقل الفرد لايقوم بنفسه وينبغي ان يكون ذا روية عند اشتباه الآراء، وعزيمة عند اختلاف الاهواء[٦٦].

الحزم عند ابن الطقطقى هو الاصل الذي يبنى عليه في تحصين المملكة. يستشهد بعد ذلك بالامثلة التي تؤيد رايه، فيذكر ان أحزم الملوك من ملك جده هزله، وقهر رايه هواه. ان الملك الحازم من يتفقد عيوب نفسه ومعالجتها، وان أحزم الملوك من تقدّم باحكام الامر قبل نزول حاجته، وتدارك المهم الخطر قبل وقوعه[٦٧].

حفظ السر فضيلة، ولذا يجب على الملك الفاضل امعان النظر في امر الاسرار وصونها، وحراستها من الافشاء والذياع، فكم من مملكة خربت، وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد. ان حفظ السر وكتمانه من افضل ما اعتنى به الانسان، وقد جاء في الحديث الشريف: «من كتم سره ملك امره».

يذكر ابن الطقطقى انه ما اعتنت دولة بتحصين الاسرار والمبالغة في حفظها كالدولة العباسية، فان لها من هذا الباب عجائب، وكم من نعمة ازالوها من اربابها، ونفس ازهقوها بسبب كلمة منقولة او حكاية مقولة. ويستطرد صاحب الفخري بعد ذلك بذكر القصص والاشعار والحكايات التي تؤيد رأيه في فضيلة حفظ السر ومزاياه[٦٨].

ومن الامور التي يجب على الملك تدقيق فيها والتأني في تأملها، حديث السعايات والنمائم. كم من ساع او نمام قد شفى غيظه بايقاع مسكين بين يدي ملك قاهر في تهمة هو بريْ منها، ثم اشتبه الامر على الحاكم فاهلك الرجل البريْ بغير ذنب، ثم لما علم الحال ندم حين لا ينفع الندم. في هذه الحالة يعم الضرر لثلاثة الساعي والمسعي اليه والمسعي به، ولذا فقد جاء في القران الكريم «ياايها الذي آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»، ومما جاء في الحديث الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن الينا عورة اخيه المسلم»[٦٩].

ومن الامور المهمة للملك حسن نظره في ارسال الرسل، لان بالرسول يستدل على حال المرسل. ويجب ان يكون في الرسول خصال، منها العقل ليميز به الامر المستقيم من المعوج، والامانة والعفاف لئلا يخون مرسله. يذكر بعد ذلك ابن الطقطقى الكثير من الحكم والاشعار والقصص والحكايات، منها ما ينصح بوجوب حفظ الامانة والرسالة، ومنها ذكر وقائع يخون فيها الرسل رسالتهم وينحرفون عن الطريق الحق[٧٠].

ويرى ابن الطقطقى ان مما يزين الملك اصطناع العوارف الى اشراف رعيته، فبذلك تميل اعناقهم اليه، ويدخلون بذلك في زمرة خدمه وحاشيته، وان افاضل الملوك يلحظون هذا المعنى، فيفضلون دائماً على اشراف رعيتهم انواع الافضال، ليسترقوهم بذلك[٧١].

تعود اهمية كتاب ابن خلدون المعنون بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، اقول تعود اهمية الكتاب لمقدمته التي اشتهر بها ابن خلدون كفيلسوف تاريخ ومنشئ علم الاجتماع.

الذي يلفت النظر ان التشابه بين كتاب الفخري في الآداب السلطانية وبين كتاب ابن خلدون. ابن الطقطقى قسم كتابه الى قسمين الجزء الاول منه تحدث عن سياسة الملك واحوال

الملوك واوصافهم وواجباتهم تجاه انفسهم شعوبهم، والجزء الثاني الذي هو القسم الاكبر، كتب ابن الطقطقى تأريخ الدولة الاسلامية منذ زمن الخلفاء الراشدين وحتى سقوط بغداد. ابن خلدون فعل الشئ نفسه، اذ انه في حقيقة امره كتب كتاباً في تأريخ الملة الاسلامية قدمه بمقدمة واسعة. الفرق بين الكتابين ان كتاب ابن الطقطقى مختصر سواء في جزئه الاول او الذي هو عبارة عن دراسة الامور السلطانية، او القسم الثاني وهو الاوسع. الذي تتبع فيه سير الخلفاء ووزراءهم، بينما كتاب ابن خلدون ضخم وواسع ومفصل ومتشعب، لاسيما المقدمة التي اشتهر بها المؤلف وخلد.

ليس من السهل اطلاق الحكم على ان ابن خلدون قد قرأ كتاب الفخري، لان لاتوجد متشابهات تشير الى وقوع الحافر على الحافر كما يقولون، ولكننا نعلم ان ابن خلدون قاضي اطلع على كتب التراث السابق عليه وقرأ التأريخ قبل ان يكتب كتابه الشهير. ابن خلدون يقول: ان في التأريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال، وتشد اليه الركائب والرحال(٧٢) ويقول في مكان آخر انه طالع كتب القوم وسبر غور الامس واليوم(٧٣) ويشير ابن خلدون الى ان فن التأريخ جم الفوائد شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على احوال الماضي من الامم في اخلاقهم، والانبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم(٧٤)

ابن خلدون يستشهد بالقرآن الكريم في كثير من الصفحات عندما يريد ان يسند رايه، كذلك نجده يذكر الامثلة عن الملوك والخلفاء عندما يحاول التحدث عن قضية من القضايا، وكذلك فعل ابن الطقطقى كما رأينا. ابن خلدون مثلاً يدافع عن الرشيد وعن المأمون عندما يتهمهما بعض المؤرخين بانهما من اصحاب الخلاعة والمجون، بينما يؤكد ابن خلدون انهما صاحبا ورع وتقوى(٧٥) يعطي ابن خلدون رايه في الطبيعة البشرية فيقول ان الناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة، وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولامتنافسين في اهلها(٧٦). المعنى نفسه نجده عند ابن الطقطقى، وان اختلف الاسلوب، فابن الطقطقى يقول في ذلك: الناس مركبون على الخطأ، مجبولون على تشمير الطباع(٧٧).

يعطي ابن خلدون في مكان آخر اهمية كبيرة للمال في تدبير وتثبيت سياسة الدول، فهو يقول: ان الملك لايتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت امره ونهيه، ولاقوام للشريعة الا بالملك ولاعز للملك الا بالرجال، ولاقوام للرجال الا بالمال(٧٨).

يعزز ابن خلدون رايه بضرب الامثلة من حياة الملوك السابقين على عصره. الشئ ذاته تناوله ابن الطقطقى، وذهب المذهب ذاته في اثر الملك وقوة الدولة، ولا ينسى كذلك عن ضرب عدة امثلة من حياة الخلفاء المسلمين من امثال ابي جعفر المنصور والمستعين والمعتز، وما جرى لهم بسبب المال من قوة وثبات امر بالنسبة للمنصور، او خلع وقتل بالنسبة للمستعين والمعتز من خلفاء الدولة العباسية(٧٩).

قرأنا في صفحة سابقة من كتاب الفخري ان ابن الطقطقى يوصي الملك بسياسة رعيته وتفقد احوالهم، واكرام الافاضل منهم وتأديب الضالين، حتى انه يشبه الملك بالنسبة لرعيته كالطبيب للمريض(٨٠) وهذا ابن خلدون يقول ان رأس كل اصلاح هو افتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولاتملكه(٨١). كذلك يعطي ابن الطقطقى اهمية للعدل في اقامة الدول واعمار الاحوال واستصلاح الرجال في اماكن كثيرة مختلفة من كتابه معززة بالامثلة والوقائع(٨٢) ابن خلدون هو الآخر يعطي اهمية كبرى لفضيلة العدل الذي بها قوام العالم، كما يقول(٨٣).

أشرت في صفحة سابقة كيف ان ابن الطقطقى ذكر ان الناس يقلدون ملوكهم فاذا احب الملك شيئاً احبه الناس، واذا ابغض شيئاً ابغضه الناس. . . الخ(٨٤). استوقفني الامر ذاته وانا اقرأ مقدمة ابن خلدون متفحصاً ودارساً، ان ابن خلدون يخصص الفصل الثالث والعشرون من الباب الثاني للشئ ذاته، تحت عنوان: في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده. يشرح ابن خلدون رايه في ذلك فيقول ان السبب في ذلك ان النفس ابداً تعتقد ان الكمال في من غلبها وانقادت اليه، وأما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي، انما هو لكمال الغالب، فاذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء. المهم هنا ان ابن ابن خلدون ينهي الفصل بكلمات تشابه كلمات ابن الطقطقى، في المعنى والبنى، فابن خلدون يقول ما هذا نصه: «وتأمل في هذا سر قولهم، العامة على دين الملك، فانه من بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به الاعتقاد الكمال

فيه اعتقاد الابناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم»[٨٥].

ويحذر ابن الطقطقىٰ الملوك من اللهو والترف والانهماك في اللذات وترك مصالح الدولة، ويعطي الامثلة على بعض ملوك الدولة الاسلامية من المتأخرين الذين ملكوا في عصور التأخر والتدهور[٨٦] ابن خلدون هو الآخر يخصص فصلاً كاملاً عن علاقة الملك بالترف، فيقول ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها، كثر رياشها ونعمتها، فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته، ويذهبون الى آتباع من قبلهم في عوائدهم واحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية[٨٧].

ابن الطقطقىٰ ينصح الملوك بعدم القسوة مع رعيتهم، بل على الملك ان يسوس الافاضل من الناس بمكارم الاخلاق والاوساط بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام بالزام الجَدَد المستقيم وقسرهم على الحق الصريح. ابن الطقطقىٰ يضيف قائلا: لاينبغي للملك ان يتهدد من يكفي في تاديبه الاعراض والتقطيب، ولا ينبغي ان يحبس من يكفي في تأديبه التهديد، ولاينبغي ان يضرب من يكفي في تأديبه الحبس، ولا ان يقتل بالسيف من يكفي في تأديبه ضرب العصا[٨٨] ابن خلدون يخصص الفصل الرابع والعشرين من الباب الثاني، في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر، ومما جاء في الفصل على لسان ابن خلدون، ان الملك اذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات، منقباً عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة، فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم واخلاقهم، واذا كان رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم، استناموا اليه واشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة اعدائه، فاستقام الامر من كل جانب[٨٩].

يذهب ابن الطقطقىٰ الى ان المملكة تحرس بالسيف وتدبر بالقلم، ولكنه لم يقرر هو نفسه ايهما اجدى للملك واكثر نفعاً وفي اي وقت، وانما يسترشد برأي غيره دون ان يعطي الراي القاطع. انه يضيف مستطرداً: واختلفوا في السيف والقلم ايهما افضل واولىٰ بالتقديم، فقوم يرون ان يكون القلم غالباً للسيف، واحتجوا على مذهبهم لأن السيف يحفظ القلم، فهو يجري معه مجرى الحارس والخادم، وقوم يرون ان يكون السيف هو الغالب، واحتجوا بان القلم يخدم السيف لانه يحصّل لاصحاب السيوف ازراقهم فهو كالخادم له، وقوم قالوا هما سواء ولا غنى لاحدهما عن الآخر[٩٠] ابن خلدون يخصص فصلاً كاملاً تحت عنوان: في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول.

ويذهب الى القول الى ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بها على امره. ابن خلدون يقرر ان الحاجة الى السيف اكثر من القلم في بداية تاسيس الدولة، وان القلم في تلك الحال خادم منفذ للحكم السلطاني، وكذلك الحال في آخر الدولة حين تضعف عصبيته، فتحتاج الدولة الى الاستظهار بارباب السيوف، وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها، فيكون للسيف في هذه الاوقات مزية على القلم. اما في وسط الدولة فيشير ابن خلدون الى ان صاحب الدولة يستغني بعض الشئ عن السيف، لانه قد تمهد امره، ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام، والقلم هو المعين له في ذلك، فتعظم الحاجة الى تصريفه، وتكون السيوف مهملة في مضاجع انجادها، الا اذا أنابت نائبة او دعيت الى سد الثغور، ومما سوى ذلك فلا حاجة اليها، فتكون ارباب الاقلام اوسع جاهاً واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة، واقرب من السلطان مجلساً[٩١].

توجد تشابهات في الرأي، ومطابقات في اللغة، والاصطلاحات، واستعمال العبارات نفسها، فتلفت النظر، وتجعل الباحث يجزم الى ان مكيافلي قد اطلع على كتاب الفخري في الآداب السلطانية في صورة من الصور وقرأه في ترجمة لاتينية، او لغة اوربية اخرى، او ربما قرئ له بلغته العربية ـ ان لم يكن يحسنها ـ وفسرت له قضاياه ومراميه السياسية.

يبدأ مكيافلي الفصل الاول من كتابه بالعبارة التالية: لاتخرج جميع الحكومات والممالك، التي حكمت الجنس البشري في الماضي او التي تتولىٰ حكمه الآن، عن ان تكون في احد شكلين، اما الشكل الجمهوري او الشكل الملكي[٩٢]. وهذا يشابه الى حد بعيد، قول ابن الطقطقىٰ عندما يبدأ كتابه معرفاً: اما الكلام على اصل الملك وحقيقته، وانقسامه الى رياسات دينية ودنيوية، من خلافة وسلطنة، وامارة وولاية، وما كان من ذلك على وجه الشرع ومالم يكن[٩٣] يقرر ابن الطقطقىٰ بعد ذلك ان كتابه هذا ليس مخصصاً للخوض في الحديث عن هذا الجانب، وانما هو موضوع للسياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث

تحت رحمته. على الامير دائماً ان يكافئ المتفوقين من ابناء بلده، وان يكون ميالاً الى ذوي الكفاءة والجدارة وان يفضل المقتدرين، ويكرم النابغين في كل فن، وان يشجع في الوقت نفسه مواطنيه على المضي في اعمالهم، سواء في حقول التجارة او الزراعة او اية مهنة يمتهنها الناس. على الامير ان يقدم المكافآت لكل من يعمل في هذه الحقول، ولكل من يسعى بمختلف السبل لتحسين مدينته او دولته. على الامير ان يهتم بجميع فئات الشعب، وان يقدم لهم مثلاً على انسانيته وجوده، محتفظاً دائماً بجلال منصبه ووقار مكانته(١٠٢).

يعطي مكيافلي اهمية خاصة لاختيار وزراء الامير، فهم برايه اما ان يكونوا لائقين، او لايتفقون مع فطانة الامير وحسن تبصره بالامور. يذهب مكيافلي بعد هذا الى القول ان كيفما يكون الامير يكون وزراءه، فعندما يكون الوزراء اكفاء مخلصين، يتأكد الانسان من حكمة الامير، لانه استطاع تمييز هذه الكفاءة، والاحتفاظ بهذا الاخلاص، اما اذا كانوا على النقيض من ذلك، ففي وسع الانسان دائماً ان يأخذ فكرة سيئة عن الامير نفسه، لان الخطيئة الاولى التي يقترفها تكون في اساءة اختياره. يذكر مكيافلي طريقة مهمة في تمكن الامير من معرفة وزيره، وهي برايه طريقة لاتخطئ ابداً، ذلك ان الوزير النافع من يفكر في الامير، اكثر مما يستهدف مصالحه الخاصة ومنافعه. على الامير في الوقت ذاته، لكي يحتفظ بولاء وزيره واخلاصه، ان يفكر به ويكرمه ويعطف عليه، حتى لايطمع بثروات جديدة، وعندما تسود مثل هذه العلاقة بين الامراء ووزرائهم، فان في وسع كل فريق منهم ان يعتمد على الفريق الآخر، اما اذا كان الوضع على النقيض من ذلك فان النتيجة تكون مضرة لهذا الجانب او ذاك(١٠٣).

يتعرض مكيافلي لمناقشة جوهرية في كيفية الاعراض عن المنافقين الذين طالما تغصى بهم بلاطات الامراء والملوك. ان مكيافلي ينصح الامير بان يختار لمجلسه حكماء الرجال، ويسمح لهؤلاء وحدهم بالحرية في الحديث اليه ومجابهته بالحقائق، على ان تقتصر هذه الحرية على المواضيع التي يسألهم عنها، ولاتتعداها على الامير بعد ان يستمع الى آراء الحكماء من الرجال، ان يدرس الموضوع جيداً على ضوء آراء مستشاريه، ويتخذ قراراته بعد ذلك، حتى تكون آراءه صائبة، وينال التقدير والاحترام. على الامير ان يقبل النصيحة دائماً، ولكن عندما ما يريد هو، لاعندما يريد الآخرون. المهم ان عليه الا يشجع مطلقاً المحاولات لاسداء النصيحة اليه الا اذا طلبها. وعلى الامير ان يحسن الاصغاء الى الحقائق التي تسدد علسه عندما يسأل عنها، وان المشورة الحكيمة حينما جاءت، يجب ان تكون خاضعة لحكمة الامير وتبصره(١٠٤).

الشيئ الذي يلفت النظر حقاً ان ابن الطقطقى قد تطرق الى الموضوع نفسه، وتكاد ان تكون الجمل متطابقة في المبنى، مع العلم ان المعنى واحد في الكتابين. ابن الطقطقى يقول: من الامور التي يجب تدقيق الفكر فيها، والتثبيت التام والتأني في تأملها حديث السعايات والنمائم. ويقول في مكان آخر، ان ما يكمل فضيلة الملك ان تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة، فيكون اختيار الرجال اختياراً فاضلاً(١٠٥).

ينصح مكيافلي الامير الذي يريد ان يقيم دولة ويبعث الازدهار فيها، فعليه ان يحصنها بالقوانين الصالحة والاسلحة القوية والاصدقاء الطيبين. ان على الامير بعد ذلك الاعتماد على نفسه في الاحتفاظ بممتلكاته، لا ان يكون متواكلاً، لانه اضاع امارته فعليه ان يلوم نفسه لا ان يلوم الحظ، ولا ان يلوم الآخرين. ان على الامير ان يثور بنفسه اولاً ويعتمد عليها قبل ثقته بالآخرين من الاعوان او ابناء الشعب(١٠٦). كذلك نقرأ في كتاب الفخري لابن الطقطقى، ان من الحقوق الواجبة للرعية على الملك حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الاطراف. كذلك ينصح بحسن السياسة واختيار الرجال(١٠٧).

ويشير ابن الطقطقى صراحة الى ان المملكة تحرس بالسيف وتدبر بالقلم(١٠٨).

يخصص مكيافلي فصلاً خاصاً، يعالج فيه اثر القدر في الشؤون الانسانية وطرق مقاومته، فيذهب الى ان الكثيرين يعتقدون ان الاحداث الدنيوية يسيطر عليها القضاء والقدر، ويتحكم فيها الله، وان ليس في وسع البشر عن طريق الحكمة والتبصر تغييرها او تبديلها. مكيافلي يقول، مع انني اميل احياناً الى مشاركة اولئك الناس رايهم، لكني مع ذلك اعتقد ان ليس في وسعنا تجاهل ارادتنا تمام التجاهل. كذلك يقول، وفي رايي، ان من الحق ان يعزو الانسان الى القدر التحكم في نصف اعمالنا، وانه ترك النصف الآخر، او ما يقرب منه لنا لنتحكم فيه بانفسنا، مكيافلي يشبه القدر بالنهر العنيف المندفع الذي يغرق عند هيجانه السهول ويقتلع الاشجار والابنية، ولذا ففي وسع الناس اتخاذ الاحتياطات باقامة السدود والحواجز والارصفة لاتقاء الخطر، ان

القدر اذن يبسط قوته عندما تنعدم الاجراءات لمقاومته، بعد هذا يقول مكيافلي ان الامير الذي يركن كلياً على القدر يحطمه القدر. ان الانسان السعيد من تتفق طريقة اجراءاته مع مقتضيات الزمن. يختتم مكيافلي حديثه بالقول ان الحظ يتبدل، اما الناس فيبقون ثابتين على اساليبهم، وانهم ينجحون طالما ان اساليبهم تتوافق مع الظروف، وعندما تتعارض الاساليب مع الظروف، فان الفشل سيكون من نصيبهم[109] لابد بعد هذا ان نتطرق الى ابن الطقطقى في هذا المجال الذي يقول: الدنيا دول، فما كان فيها لك اتاك على ضعفك، وما كان فيها عليك لم تدفعه بقوتك، لكن ابن الطقطقى مع ذلك لايغفل امر الحيطة والتفريق بين الخير والشر[110].

وارى من الضروري ان اشير في نهاية البحث، الى ان كلا من ابن الطقطقى او مكيافلي، ما ان يأتي اي منهما بحكمة او نصيحة او وصية او تحذير، حتى يذكر بعد ذلك مثلاً من التأريخ يؤيد رايه فيه، او ربما يستطرد، فيشير الى مجموعة من الامثال المؤيدة لقوله من التأريخ القريب او البعيد. ابن الطقطقى بطبيعة الحال، مادته سير الخلفاء والملوك في الدول الاسلامية المتعاقبة منذ زمن الخلفاء الراشدين وحتى زمنه في اواخر القرن السابع الهجري، بينما مكيافلي يضرب الامثال من دول المدن الايطالية المعاصرة له، او ربما يرجع الى تأريخ الرومان واليونان. ان هذا التشابه بين الكتابين يجعل الباحث يتدبر الامر، ويذهب الى ان ذلك ليس من الصدف، وانما مكيافلي قد اطلع على كتاب الفخري بصورة من الصور.

الهوامش والمصادر

١ ـ الزركلي: الاعلام الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩، جـ ٧ ص١٧٤. ٢ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، مطبعة المعارف بمصر، د. ت، ص١. ٣ ـ الفخري ص٣. ٤ ـ جمهورية افلاطون ـ الكتاب السادس. ٥ ـ الفخري ص٣. ٦ ـ الفخري ص٤. ٧ ـ الفخري ص٤ ـ ٨. ٨ ـ الفخري ص ٩. ٩ ـ الفخري ص٩. ١٠ ـ الفخري ص٩. ١١ ـ الفخري ص١٠. ١٢ ـ الفخري ص١٠. ١٣ ـ الفخري ص١١. ١٤ ـ الفخري ص١٢. ١٥ ـ انظر: دكتور ناجي التكريتي: الفلسفة السياسية عند ابن ابي الربيع بغداد، ١٩٨٧ ص١٦٤-٢١٩. ١٦ ـ الفخري ص١٣ ـ ٢١. ١٧ ـ الفخري ص ١٣. ١٨ ـ الفخري ص١٣. ١٩ ـ الفخري ص ٢٩٤. ٢٠ ـ الفخري ص ١٤. ٢١ ـ الفخري ص ١٥. ٢٢ ـ الفخري ص ١٥ ـ ١٦. ٢٣ ـ الفخري ص ١٦ ـ ١٨. ٢٤ ـ الفخري ص ١٧. ٢٥ ـ الفخري ص ١٧ ـ ١٨. ٢٦ ـ الفخري ص ١٩. ٢٧ ـ الفخري ص٢٠ ـ ٢١. ٢٨ ـ الفخري ص٢١. ٢٩ ـ الفخري ص ٢٢-٢٣. وانظر: ابن المقفع: الادب الكبير والادب الصغير (الادب الكبير) بيروت، ١٩٦٠ ص٧٧ ـ ٧٨. ٣٠ ـ الفخري ص٢٣. ٣١ ـ الفخري ص٢٣. ٣٢ ـ الفخري ص ٢٣-٢٧ ٣٣ ـ بلقيس عبد الله: اتجاهات الشعر العربي في العراق ٦٥٦ ـ ٨٠٠هـ رسالة دكتوراه، حزيران ١٩٨٣، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، مخطوطة في مكتبة القسم، ص١٨. ٣٤ ـ المصدر نفسه ص٢٩. ٣٥ ـ المصدر نفسه ص٣٠. ٣٦ ـ المصدر نفسه ص٣٤. ٣٧ ـ الفخري ص ٢٧. ٣٨ ـ الفخري ص ٢٧. ٣٩ ـ الفخري ص٢٨. ٤٠ ـ الفخري ص٢٨. ٤١ ـ الفخري ص ٢٨-٢٩. ٤٢ ـ الفخري ص٢٩. ٤٣ ـ الفخري ص٣٠. ٤٤ ـ الفخري ص٣٠. ٤٥ ـ الفخري ص٣١. ٤٦ ـ الفخري ص ٣١-٣٣. ٤٧ ـ الفخري ص٣٣. ٤٨ ـ الفخري ص ٣٣ ـ ٣٤. ٤٩ ـ الفخري ص ٣٤ ـ ٣٥. ٥٠ ـ الفخري ص ٣٥ ـ ٣٦. ٥١ ـ انظر: افلاطون: كتاب الجمهورية، الفقرة ٣٤٢. ارسطو: الاخلاق النيقوماخية، الكتاب الثامن ـ الفقرة العاشرة، الفارابي: الفصول المدني تحقيق دنلوب، كامبرج، ١٩٦١ ص ١١٧-١١٨. يحيى بن عدي: تهذيب الاخلاق دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، بيروت، ١٩٧٨، ص٢٥٥. ٥٢ ـ الفخري ص ٣٦. ٥٣ ـ الفخري ص ٣٧. ٥٤ ـ الفخري ص ٣٨. ٥٥ ـ الفخري ص ٣٨-٤٢. ٥٦ ـ الفخري ص ٤٠. ٥٧ ـ الفخري ص ٤١. ٥٨ ـ محمد صالح القزاز: الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير النجف، ١٩٧١، ص٣٠٩. ٥٩ ـ بدري محمد فهد: تأريخ العراق في العصر العباسي الأخير بغداد ١٩٧٣، ص٩١. ٦٠ ـ الفخري ص ٤٢. ٦١ ـ الفخري ص ٣٢ ـ ٤٣. ٦٢ ـ الفخري ص ٤٤. ٦٣ ـ الفخري ص ٤٤ ـ ٥٩. ٦٤ ـ افلاطون: كتاب الجمهورية ـ الكتاب الاول. ٦٥ ـ الفخري ص ٤٩. ٦٦ ـ الفخري ص ٤٩ ـ ٥٠. ٦٧ ـ الفخري ص ٥٠ ـ ٥١. ٦٨ ـ الفخري ص ٥١ ـ ٥٥. ٦٩ ـ الفخري ص٥٥. ٧٠ ـ الفخري ص ٥٩ ـ ٦١. ٧١ ـ الفخري ص ٦١ ـ ٦٢. ٧٢ ـ ابن خلدون: المقدمة مطبعة الكشاف بيروت، دون تاريخ، ص٣. ٧٣ ـ المقدمة ص ٥. ٧٤ ـ المقدمة ص٩. ٧٥ ـ المقدمة ص ١٧، ١٩. ٧٦ ـ المقدمة ص ٣٥، ٢٧٨. ٧٧ ـ الفخري ص ١٧. ٧٨ ـ المقدمة ص ٣٩. ٧٩ ـ الفخري ص ٤٩، ٢١٤، ٢١٥. ٨٠ ـ الفخري ص ٣٥. ٨١ ـ المقدمة ص ٣٩. ٨٢ ـ الفخري ص ١٣ ـ ٢١، ٤٢ ـ ٤٣ ٨٣ ـ المقدمة ص٣٩. ٨٤ ـ الفخري ص ٢١ ـ ٢٢. ٨٥ ـ المقدمة ص ١٤٧. ٨٦ ـ الفخري ص ٣٩ ـ ٤٠. ٨٧ ـ المقدمة ص ١٦٧. ٨٨ ـ الفخري ص ٣٥. ٨٩ ـ المقدمة ص ١٨٨ ـ ١٨٩. ٩٠ ـ الفخري ص ٤٤. ٩١ ـ المقدمة ص ٢٥٧. ٩٢ ـ مكيافلي: كتاب الامير دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧. ٩٣ ـ ابن الطقطقى: كتاب الفخري ص ١٣. ٩٤ ـ الامير ص ١٣٥ ـ ١٣٧، انظر كتاب الفخري ص ٣١ ـ ٢٠. ٩٥ ـ الامير ص ١٣٨ ـ ١٤١. ٩٦ ـ الامير ص ١٤٢ ـ ١٤٦. ٩٧ ـ الفخري ص ٥٧. ٩٨ ـ الامير ص ١٤٧ ـ ١٥١. ٩٩ ـ الفخري ص ١٩. ١٠٠ ـ الامير ص ١٥٢ ـ ١٦٦، انظر كتاب الفخري ص ١٧ـ ٣٥. ١٠١ ـ الامير ص ١٦٧ ـ ١٧٣، وانظر الفخري ص ٣٣. ١٠٢ ـ الامير ص ١٧٤ ـ ١٧٩. الفخري ص ٢٩ ـ ٣٥. ١٠٣ ـ الامير ص ١٨٠ ـ ١٨٢. الفخري ص٣٣ ـ ٣٤. ١٠٤ ـ الامير ص ١٨٣ ـ ١٨٦. ١٠٥ ـ الفخري ص ٢٨، ٣١، ٣٣، ٥٥ ـ ٥٩. ١٠٦ ـ الامير ص ١٨٧ ـ ١٨٩. ١٠٧ ـ الفخري ص ٢٨ ـ ٢٩، ٣١، ٣٥. ١٠٨ ـ الفخري ص ٤٤. ١٠٩ ـ الامير ص ١٩٠ ـ ١٩٤. ١١٠ ـ الفخري ص ٤٤ ـ ٤٥.

الجانب العلمي
في كتاب الحيوان للجاحظ

دراسة
د. جليل ابو الحب

مديرية وقاية المزروعات / الجمهورية العراقية

يطمح المرء أن يطبّق على ما أورده الجاحظ عن الحيوانات في كتابه المنهج العلمي الحديث في الدراسات الحياتية وكذلك الطريقة العلمية في تقديم وعرض نتائج البحث العلمي اليوم. الاّ إن هذا الطموح يُحمّل المؤلف فوق طاقة العصر والجيل الذي عاش فيه الجاحظ وكتب كتابه. ومع ذلك فإنني سوف أحاول أن أقدم:

١ ـ النهج العلمي الحديث في دراسات علوم الحياة.

٢ ـ طريقة كتابة وتقديم نتائج البحث العلمي.

وبعد ذلك مقارنة نهج الجاحظ في علم الحيوان وكتابة وعرض معلوماته في كتابه «الحيوان».

أولاً: النهج العلمي الحديث:

يسير النهج العلمي حسب خطة دقيقة ومضبوطة وهي بأختصار تستخدم الملاحظة والتفسير والتنظير ثم التجربة. وفيمايلي تعريف مبسط بهذه الخطوات الاربعة:

١ ـ الملاحظات (Observations):

وهي القاعدة الاساسية في كل التفكير العلمي، يجب ان تكون الملاحظة مباشرة ودقيقة نزيهة وغير متحيّزة باتجاه اي نظرة مسبقة بالنسبة للمعلومات والنتائج المستقاة من دون ان يتأثر الباحث بآراء مسبقة. الملاحظة الدقيقة تظهر صحتها عندما يتفق عدة اشخاص على نفس الملاحظات وان لم يصلوا بالضرورة الى نفس الاستنتاجات.

٢ ـ التفسير او التعليل (Interpretation)

هنا يحتاج الباحث ان يقدم توضيحاً او تفسيراً للنتائج الملحوظة وعليه بالتالي ان يضع فرضية مؤقتة وتكون عادة عامة واوسع من النتائج التي أوحت بها الملاحظات. يبقى التفسير والفرضية مؤقتة حتى تثبت قيمتها او تنفيها الملاحظة المستمرة. قد يضع الباحث الفرضية منذ البدء وعليه ان يكون واضحاً بذلك.

٣ ـ الحدس او التوقّع (Predication)

يدعو المنهج العلمي الى التخمين او التوقع الذي يتوصل له الباحث من الفرضية وعلى اساس هذه التخمينات والتوقعات يخطط ويقوم ببعض التجارب لأختبار الفرضية موضوعة البحث. إذا أثبتت التجارب التوقعات فان الفرضية تقوى وتترسخ. وان لم تثبتها التجارب فعلى الباحث ان يحوّرها او يهملها كلياً. ان الاستنتاجات التي تؤيدها الملاحظة والتجارب تهيئ برهاناً لصحة وقيمة الفرضية الاصلية.

٤ ـ التجريب (Experimentation):

يخطط الباحث ويصمم ويقوم بالتجارب لإختبار التخمينات والاستقراءات التي توصل لها من فرضية معينة. فالتجارب تُجرى للإجابة عن سؤال ما ونجاح التجارب او فشلها يعتمد على دقة ووضوح وضع السؤال وعلى تصميم التجربة للإجابة عليه. كل تجربة يجب ان يرافقها تجربة مقارنة تخضع جميع العوامل الاّ ذلك الذي يتحرى الباحث عنه. اي إن تجربة

المعاملة وتجربة المقارنة متشابهتان الى اقصى حد يمكن بالنسبة للعامل المطلوب الاجابة عليه. يجب ان تكون التجربة قابلة للإعادة والتكرار من قبل جميع العلماء الذين يستعملون نفس الجهاز للبحث والتجربة. اذا أثبتت التجارب صحة الفرضية فانها ترقى الى مصاف النظريات والتي تحتاج الى المزيد من التجارب ووضع التخمينات والتوقعات، كلما كانت النظرية أقرب الى الصحة. والنظرية التي تثبتها وتؤيدها التجارب الكافية وتسندها جميع الحقائق المتوفرة تصبح بالأخير قانوناً. في هذا المنهج العلمي كل قول لايؤيده البرهان العلمي مشكوك فيه. الاشاعات والتطيّرات والبرهان الجدلي. الخ كلها غير علمية.

لنعد الآن ونتحرى في كتاب الحيوان ونرى حظ الجاحظ من هذا المنهج العلمي في دراسات علم الحيوان:

١ ـ الملاحظة:

ان حظ الجاحظ من الملاحظات العميقة الاستقرائية العلمية وافر وخصب وقد امتاز بما سجله من ملاحظات دقيقة في سلوك وطباع وعادات الحيوانات. في الحقيقة إنه نفسه يقول ان أحد مصادره في كتابه هي الملاحظة المباشرة بالذات. والكتاب مملوء بالمشاهدات والملاحظات الشخصية التي قام بها الجاحظ نفسه واثبتها بالكتاب. كما إنه استعان بملاحظات ومشاهدات غيره ممن يثبت لديه امانتهم العلمية وتستقر اليهم نفسه ويتأكد من سداد هو: رأيهم وحصافتهم ونزاهتهم من الكذب وهو لايتردد ان ينتقد تلك الملاحظات اذا كانت غير معقولة او مقبولة ولا يقبل بها العقل. وفيما يلي بعض ما اورده من الملاحظات ـ وهي كثيرة كما أسلفنا ـ ولكن للتدليل على ماذهبنا اليه: ففي حالة الاخصاء والمخصيين (الجزء الاول)، لاحظ من جملة ما لاحظ:

ا ـ كيف ان عظم الحيوان المخصي ـ ومنها الانسان ـ يدق ويطول ويعرض ويعوّج مثل اعوجاج الاصابع في اليد والالتواء في اصابع القدم.

ب ـ كيف ان اللحم يسترخي ويصبح رخصاً، لدناً، رطباً، وليناً، بعد ان كان عضلاً صلباً.

ج ـ وكيف ان الجلد يصبح أملساً وصافياً في اللون ورقيقاً وان الشعر، اذا حدث الاخصاء بعد ظهوره، يتساقط وانه لاينمو اذا حدث الاخصاء قبل ظهوره.

د ـ وكيف ان الصوت ونبراته يتغيّر.

ومما اورده في كتابه من ملاحظات عن صفات القرود وقُربها من الانسان يسترعي النظر. فهناك شبه ظاهر القرد بظاهر الانسان ويظهر ذلك في طرفه وتغميض عينيه وضحكه وشكل كفه واصابعه وكيفية رفعها ووضعها وكيف يتناول فيها. وقد سجل لنا ملاحظاته عن تكوين بيض الطيور وعدد مرات الوضع والحضن وبناء العش ورعاية الصغار بل حتى إنه لاحظ الهجين من الحمام وجمعها بين صفات الوالدين المتباعدين وكذلك ذكر الامراض التي تصيب الحمام.

هذا بعض من كثير من مشاهدات وملاحظات الجاحظ العجيبة في سلوك الحيوان وهيئته وتركيبه الخارجي يسجلها بدقة. وقد أورد الكثير من المعلومات المتفرعة والمتشابكة المتشعّبة لأنه كان عالماً دقيق الملاحظة عميق التفكير ونزيهاً في تثبيت مشاهداته وملاحظاته ويثبت ملاحظات ومشاهدات غيره من العلماء مثل ارسطو وان لم يثق بها او يقرها ولكنه يحتفظ بحق نقدها. لقد جلبت صفات الحيوانات ومظاهرها الخارجية وعلاقاتها مع بعضها وتصرفاتها وحركاتها وطبائعها وتكاثرها بل وحتى فوائدها كل هذه جلبت انتباهه وراح يلاحظها أدق الملاحظة ويثابر على ذلك ويستفسر ويسأل من غيره عن تلك الحيوانات التي لم تتواجد في محيطه.

٢ ـ التفسير والتعليل:

لم يفت الجاحظ ان يسجل التفسير والتعليل لبعض المظاهر التي لاحظها وشاهدها عن الحيوانات وقد يكون في هذا الامر قد جاء بأصاله وعمق تفكير متناه.

هناك امثلة كثيرة (وكثيرة جداً) في كتاب الحيوان من التفسيرات التي يضعها الجاحظ للملاحظات التي سجلها. وقد يكون كافياً ان أعدد قليلاً من هذه الامثلة للتدليل على ما أقول. من هذه الامثلة نراه قد لاحظ النمل الصغار وكيفية تجمعه على نفايات الغذاء ومتبقياته وبعد ان يسجل مشاهداته نراه يضع التفسير فيقول عن النمل «ربما اكل الانسان الجراد وبعض ما يشبه الجراد، فيسقط من يده الواحدة او صدر الواحدة وليس يرى بقربه (نملة) ولاله (بالنمل) عهد في ذلك المنزل، فلا يلبث ان تصل (نملة) قاصدة تلك الجرادة فترومها وتحاول قلبها ونقلها وجرها، فإذا اعجزتها بعد ان بلغت منحدراً مضت الى جحرها راجعة، فلا يلبث ذلك الانسان ان يراها قد اقبلت وخلفها

كالخيط الاسود الممدود حتى يتعاون عليها (الجرادة) فيحملها. فاول ذلك صدق الشم مما لايشم الانسن الجائع ثم بُعد الهمة والجراة على نقل شئ في وزن جسمها مائة مرة واكثر» فهو يفسر ملاحظاته عن عمل النمل وتجمعه على الغذاء وحمله الى جحره بشدة حاسة الشم وكذلك باستمرار العمل والكد.

ومثل آخر عن تفسير الملاحظات يورده عن الطيور المهاجرة «التي خرجت تقطع الصحارى والبراري الجزائر والفيافي والبحار حتى تصير الينا في كل عام. فان قلت انها ليست تخرج الينا على ولاهداية ولا دلالة ولاعلى امارة وعلامة وانما هربت من الثلوج لبرد الشديد. وعلمت انها تحتاج الى الطعام وان الثلج قد ألبس ذلك الطعام فخرجت هاربة فلا تزال في هروبها الى ان تصادف ارضاً خصبة دافئة فتقيم عند ادنى ما تجده».

وخذ يومئذ هذا يقدّم العلم هذا التفسير على أنه أحد اسباب هجرة الطيور.

ومثل آخر هو تفسيره للألوان المختلفة التي تظهر بها قملة الرأس وقد لاحظ أن الوانها تختلف ثم فسر ذلك بانه يعتمد على لون الشعر في الرأس، فهو يقول «القملة في رأس الاسود الشعر سوداء فاذا كانت في رأس الخضب بالحمرة كانت حمراء».

ومثل رابع هو تعليله سقوط مطر من الضفادع وسمك الشبوط «واما الذي زعم انهم أمطروا الشبوط، فانه لما ظن ان الضفادع التي تصاب بعقب المطر بحيث لاماء ولا وحل ولا عين ولا شريعة فإنهم ربما رأوها وسط الدّو والدهماء والصّمان - ولم يشك انها كانت في السحاب وعلم إنهاتكون في الانهار ومنابع المياه وليس ذلك من الذكر والانثى، قاس على ذلك الظن السمك ثم جسر فجعل السمك شبوطاً».

فهو قد فسّر ملاحظة الناس عن نزول السمك بالمطر كما رأوا الضفادع بالمطر. وانهم ذهبوا الى ابعد من هذه المقارنة فقالوا ان السمك شبوط وهو يسخر من ذلك.

ومثل آخرجميل عن تعليله لملاحظات عن انتشار الذباب حيث يعزوه الى «عفن التربة وسخن الهواء».

وتفسيره لعدم ظهور الخفاش نهاراً ولا في حلكة الظلام - وان كان غير علمي بكليها - ولكنه يعطي تعليلاً عن كل حال «لايظهر في الظلمة لأنها تكون غامرة لضياء بصره، غالبة لمقدار شعاع ناظره، ولايظهر (الخفاش) نهارا لأن بصره لضعف ناظره يلتمع في شدة بياض النهار ولان الشئ المتلالئ ضار لعيون معروفة بحدة البصر ولأن شعاع الشمس بمخالفة مخرج اصوله وذهابه يكون رادعاً لشعاع ناظره ومفرغاً».

كان الشائع في ذلك الوقت ان العين ترى لأن النور يخرج منها ليسقط على الشئ المرئي وهذا طبعاً امر مغلوط بقي لكي يبرهن على خطئه عربي آخر - الحسن بن الهيثم - ليضع الفكرة الصحيحة القائلة ان النور من الشئ المرئي يسقط على شبكية العين فتتحسس به. هناك العشرات، بل المئات من الملاحظات الدقيقة والتوجهات النظيفة والتعليلات العلمية او غير العلمية في ابسط الامور وأدقها. وقد سجّل الجاحظ الكثير من الآراء والملاحظات التي أبداها غيره من الناس والعلماء سواء أكانت من العامة او الشعراء او الفلاسفة. والجميل عنده إنه لايقبل هذه الآراء والملاحظات على علاّتها بل يعقب عليها ان كانت صحيحة او غير صحيحة وقد يقترح المشاهدات والملاحظات أو بل وحتى التجارب للتثبت منها والتدليل على صحتها او خطئها.

٣ - الخطوة الثالثة في المنهج العلمي في علوم الحياة هي الحدس والتوقعات وصياغة الفرضيات اوحتى النظريات - بعد مرحلتي الملاحظة والتعليل، ان اقرب ما وجدته هذه المرحلة من المنهج العلمي عند الجاحظ هو اقتراحه ان يقوم باحث ما بمسح احصائي (او تجربة مشاهدات) لكي يبرهن او يدحض آراء العلماء الذين يقولون «ان عرق الخال أنزع من عرق العم وان نصيب الامهات في الاولاد اكثر». فالجاحظ يضع فرضية او تخمين «ان اكثر ما تلد الامهات الاناث» ولكي يبرهن على «حق ذلك من باطله» يقترح بأن يقوم الباحث بإحصاء سكان عشر دور عن يمين داره وعشر عن شماله وعشر من الخلف وعشر من الامام» لكي يظهر ايها اكثر، رجالهم ام نساؤهم.

وفي محل آخر يورد الملاحظات التالية: «يقول الناس إن في حمص طلسماً يمنع العقارب من أن تعيش فيها» هذا رأي لايقبله الجاحظ ويضع تخمين او فرضية وجود حيوان مضاد للعقرب فيمنعها من أن تعيش في هذا البلد (حمص) ولكنه مع الاسف لم يقم ببحث يؤيد هذه الفرضية كمافعل بالنسبة الى زعم الناس إن الأفاعي تكره ريح السذاب والشيح فلم يصدق هذا الزعم ولكي يتأكد من القول بنفسه فانه القى على راس الافاعي، وأنفها من

السذاب ماغمرها فلم يجد إن قول الناس صحيحاً وفي مثل آخر يفترض ان السواد والبياض (في حرة بني سليم في عالية نجد) وهما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ومن قرب وبعد الشمس وشدة حرّها ولينها، هذه فرضية علمية جميلة عن تأثير البيئة في لون البشرة ولكنها كانت تحتاج الى البرهان والتجربة والاحصاء لكي تثبت وهذا ما لم يقم به الجاحظ. لم يكن من السهل العثور في كتاب الحيوان على فرضيات او تخمينات وضعها الجاحظ ثم صمم تجربة ما للبرهنة عليها. نعم إنه لاحظ وشاهد وسجل هذه الملاحظات وأتى ببعض التفسير والتعليل ثم أجرى التجارب ولكن تجاربه كلها للمشاهدة والاطلاع، فأنه لم يضع فرضية ثم اجرى تجربة للبرهان على هذه الفرضية بل إنه قام بالتجارب لكي يشاهد فقط. فهو يسقي الحيوانات الخمر ليرصد نتائج ذلك لا لأنه وضع فرضية ان الحيوانات تتأثر بالكحول مثلما يتأثر الانسان مثلاً. وكذلك اجرى تجاربه على ذكر النعام لكي يشاهد إذا كان صحيحاً إنه قادر على ابتلاع الجمر والحجارة المحماة والحديد والزجاج والمسامير، فإنه لم يفترض وجود عضو او عملية فسلجية معينة يستعملها الظليم للحماية من مضار هذه العمليات. ان اكثر ما دفع الجاحظ الى بحوث المشاهدة Observational Research هو شكّه في كل خبر يصعب قبوله عقلياً اوانه بعيد عن الطبيعة ولذلك راح يقوم بالتحري بأن بالمشاهدات مثل التشريح وعمل الاحصائيات واعطاء المواد الكيمياوية لكي يتثبت من صحة او خطل تلك الاخبار. أنه كان وراء الحق والصدق في مشاهداته وفي نتائج الابحاث والتحريات التي أجراها كائناً ما كانت، مؤيدة للخبر الذي شك فيه او مؤيدة له. ولامانع لديه من الإستدلال ببحوث ومشاهدات غيره في سبيل التدليل على الخطأ والصواب إذا كان هذا الغير متمكناً وبركن اليه علمياً.

٤ ـ يقودنا هذا الى المرحلة الاخيرة من المنهج العلمي في علوم الحياة واقصد بها التجربة. وللجاحظ باع طويل ويد طولى في التجارب لا يكاد باحث ممن تكلم عن تراث الجاحظ الآ وأبرز هذه الحقيقة وهي بحد ذاتها تقدم كبير بالعلم ان يحاول الباحث ان يتأكد من المشاهدات والملاحظات والروايات باجراء بعض التجارب. تجارب الجاحظ وان كانت من نوع بحث وتجارب المشاهدات الآ انها تدل على اتجاه علمي في ذلك العصر السحيق بالنسبة للعلوم. والتجارب التي قام بها الجاحظ كثيرة وكثيرة جداً، اشير فيما يلي الى ما تمكنت العثور عليه بعجالتي في قراءة الكتاب الضخم الفخم:

١ ـ لقد قام بقطع طائفة من الاعضاء ليرى فيها اذا تعود فتنمو (عملية الإخلاف Regenaration).

٢ ـ اعطى الحيوانات ووضع الانواع المختلفة من السموم لمشاهدة تأثيرها عليها، السذاب على الحيات يبرهن على خطأ ملاحظات العامة بها أنها تكره ريحه.

٣ ـ ذبح الحيوانات وفتح بطونها وفتش في جوفها لمشاهدة الاحشاء وعلاقتها مع بعضها ومواضعها.

٤ ـ دفن بعض الحيوانات في بعض النباتات اولاً ثم اعادها لمحلات تكاثرها الاصلي ليعرف حركاتها.

٥ ـ تذوّق اجزاءاً من الحيوانات للتعرف على طعمها.

٦ ـ فتح رحم بعض الحيوانات لمعرفة عدد الجراء التي تحملها.

٧ ـ شاهد فعاليات الحيوانات المتضادة من عراك وتقاتل.

٨ ـ استعمل المواد الكيمياوية على الحيوانات ليتعرف على تأثيراتها عليها مثل الكحول والسذاب والشيح والكبريت.

٩ ـ أشار الى تجربة مقارنة بين توأمين أخصي أحدهم وترك الآخر لمشاهدة الفروق في التصرف والسلوك والذكاء، بين الاثنين المتشابهين إلاّ في الاخصاء.

١٠ ـ أشار الى تجربة حبس الكلب واستعمال السكين، لضحيه من وراء الباب لكي يتعرف على ذكاء الكلب.

وهناك لاشك الكثير من امثال هذه البحوث والتجارب التي قام هو بنفسه بها أو قام بها غيره. وانه لاينسى ان يكرر لبعض تجاربه مقارنة ومعاملة مثل تجربة إخصاء التوأمين كما انه قد يكرر التجربة للتأكد من النتائج كما جرى بالنسبة للتجربة التي جرت لمعرفة ذكاء الكلب.

هـذه مقارنة سريعة بين المنهج العلمي الحديث في الدراسات الحياتية والجانب العلمي في كتاب الحيوان وذلك لكي نتمكن من اعطاء الجاحظ حقه واصالته في هذا المنهج العلمي وكم تتمشى دراساته مع المنهج وكم يخالفها فيما أورده من اقوال وآراء وتجارب وتعليل وتفسير للملاحظات والمشاهدات

ثانياً: طريقة كتابة وتقديم نتائج البحث العلمي

ان استعراض الجانب العلمي في كتاب الحيوان لاتتم مالم

نتعرض الى الطريقة التي قدم وعرض بها الجاحظ معلوماته ونتائج ملاحظاته وتجاربه او ما نسميه في الوقت الحاضر «كتابة البحث العلمي». بالرغم من ان عرض الجاحظ لكتابه جاء بالاسلوب الصحافي اكثر منه في اسلوب الباحث العلمي، ولكن هنا ايضاً لم يكن الجاحظ بعيداً عن كتابة البحث العلمي الحديث. ان كتابة البحث العلمي الحديث تشمل بإيجاز:

١ ـ عنوان البحث
٢ ـ مقدمة في اسباب إجراء البحث
٣ ـ مراجعة المصادر والمراجع في البحوث المقاربة
٤ ـ عرض المواد والطريقة.
٥ ـ تقديم النتائج.
٦ ـ مناقشة النتائج ومقارنتها مع نتائج البحوث السابقة.
٧ ـ تقديم الشكر للمساعدين في اجراء البحث.
٨ ـ ثبت المصادر والمراجع.

فاذا رجعنا الى كتاب الحيوان، فاننا نجد إن هناك عنواناً واضحاً للكتاب، ولكن مع الاسف أضاع اسلوب الجاحظ الى حدّ كبير قيمة هذا العنوان ودلالته على محتويات الكتاب، بحيث جاء الكتاب ليس كتاب علم بل كتاب أدب ومنطق وفلسفة ودين وقومية وتاريخ وتربية، كل شيْ بالاضافة الى الحيوان والذي ضاعت المعلومات الخاصة به بين هذه الكتل من الحديث والشعر والقصص. فالجاحظ لم يوفق في حصر كتابه على المعلومات الخاصة بالحيوانات كما فعل الدميري (حياة الحيوان الكبرى) او القزويني (عجائب المخلوقات) او حتى أرسطو الذي سبقه بقرون. ان الحجة التي قدمها الجاحظ ـ وهو نفسه لم يكن قانعاً بها فراح يعتذر ـ في شدّ القارئ الى كتابه وليدفع عنه الملل فانها ليست مقنعة وان طريقة العرض ادت الى الفوضى والى بعثرة المعلومات الكثيرة والاصيلة والتي حفظها لنا من الاجيال السابقة بتدوينها.

ان مما يؤسف له أن يُحشى الجاحظ كتابه في امور بعيدة كل البعد عن منطوق العنوان «الحيوان» بحيث جعله يعطي الانطباع ـ في النظرات الاولى وقبل الدراسة المستمرة الدقيقة ـ من ان كتاب الحيوان هو عن كل شيْ ألاّ الحيوان، فإنك تقرأ الصفحات تلو الصفحات حتى تعثر على معلومات تخص الحيوان. لو بقي الجاحظ مع الحيوان لدلّل على عظمة علمية وقابلية فائقة ولحاز قصب السبق. انه ترك لنا ان نكشف عن هذه العبقرية بالطريقة الصعبة. تدل الكتب والمقالات التي تركها الجاحظ ووصلت لنا عن انه يكتب عن وفي كل شيْ. فهو فيلسوف واديب واجتماعي ونفساني وسياسي ومؤرخ وعالم بالحيوان وعالم بالنباتات وأنثروبولوجست وشاعر ومهندس وطبيب. ومجتهد صاحب مذهب في الدين، وانك تجد جميع هذه الشخصيات في كتاب الحيوان وعليك ان تكشف عن العالم في «الحيوان» وترى كم كان الجاحظ علمياً بالنسبة لعلم الحيوان كما نعرفه الآن. حتى في ديباجة الكتاب، لم يكن الجاحظ مثل غيره من المؤلفين العرب والمسلمين، فقد افتتح الكتاب ليس بالحمد لله والبسملة والدعاء لنفسه وطلب العفو... الخ. الطريقة التقليدية ـ بل بتوجيه الكلام الى شخص مخاطب ـ مجهول ـ والدعاء له. اما بالنسبة الى الاسباب التي أجرى الجاحظ من أجلها الدراسات وكتب الكتاب «هذا كتاب موعظة وتعريف وتفقه وتنبّه وادراك» وبالاضافة الى هذا فان الاستاذ صموئيل عبد الشهيد يعدد اسباباً اخرى لتأليف الكتاب منها إظهار حكمة الله العجيبة ـ وقد أشرنا لها آنفاً ـ وقدرة الجاحظ الباهرة ومنها الصراع الحاد بين البيئات المختلفة المعروفة في العراق وجعل من الحيوانات رموزاً لإبداء وجهة نظر كل فئة، ومنها حب الجاحظ للشهرة ولنشر علمه وثقافته بين الناس واخيراً تقليد العدد الوفير من المؤلفين العرب الذين وضعوا كتباً في الحيوان قبل الجاحظ. ان عنصر السبب في البحث والتأليف اذن متوفر في الكتابة سواء أكان واحداً من هذه الأسباب او الاسباب كلها مجتمعة. اما مراجعة المصادر والمراجع القديمة فان الجاحظ وان لم يعرضها بشكل مراجعة وبالصورة التي تظهر بها اليوم، فإنه والحق يقال قد كان اميناً فذكر مصادره ومراجعه لاسيما عندما يذكر حقيقة معيّنة.

لقد راجع ودرس الجاحظ مصادراً كثيرة مما يدل على جهوده الواسعة في هذا المضمار. فالقرآن الكريم والشعر العربي والادب العربي والفقه الاسلامي وكتب الحيوان اليونانية والفارسية والهندية والعربية التي سبقته، كلها جاء ذكرها في المتن. هذا بالاضافة الى الرواية المباشرة. مع ذلك فان الجاحظ مع الاسف اعتمد مصادراً غير علمية واستند عليها كثيراً وهي اشعار وأقوال وأمثال الاولين. فهذه مهما كانت مقدسة وعزيزة، إلاّ ان كثيراً منها وقد يكون اغلبها غير علمي ولايمكن الاعتماد عليه في محاججة ومناقشة عالم الحيوان بها، مثلما عمل الجاحظ مع آراء ارسطو. لقد قدم الجاحظ سبباً في اعتماده على الشعر والامثال، ولكنه غير مقنع بالنسبة للعلم، وهذا السبب هو «وان

كانوا (الاعراب) لم يعرفوا شكل ما أحتيج اليه منها (الحيوانات) من جهة العناية والغلاية. الخ. ولكن هذه الاجناس الكثيرة وما كان منها سبع او بهيمة او مشترك خلق فانما هي مبثوثة في بلاد الوحش من صحراء او واد وغائط أو غيضة أو رملة أو جبل وهي في منازلهم ومناشئهم فقد نزلوا كما ترى بينها واقاموا معها وهم ايضاً من بين الناس وحش أو أشباه وحش. وربما بل كثيراً ما يبتلون بالناب والمخلب وباللدغ واللسع والعض والأكل، فخرجت بهم الحاجة الى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل وحال المجني عليه والمقتول وكيف الطلب والهرب وكيف الداء والدواء لطول الحاجة لطول وقوع البصر مع مايتوارثون من المعرفة بالداء والدواء».

هو - الجاحظ - يعطي الفضل لمن قبله ممن كتب أو قال شيئاً عن الحيوان ولانتوقع ان يذكر المصدر بالاسم وتاريخ التأليف - كما هي الحالة الآن - بل ينقل الرواية عنه او اقوال المؤلف نفسه مباشرة بدون ذكر الكتب إلاّ اللّهم بالنسبة لأرسطو كما انه لم يختتم كتابه بثبت المصادر إذ ان هذه عادة وطريقة حديثة. وبالنسبة لذكر الطريقة والمواد المستعملة في التجارب ونتائجها فإنه يذكر المواد والطريقة والنتائج ولكن بطريقة مختصرة وبدائية، مثلاً «وتقتل (النمل) بأن يُصب في أفواه بيوتها القطران والكبريت الاصفر. ويُدس في أفواهها الشعر. وقد جربنا ذلك فوجدناه باطلاً». ففي هذا العرض المقتضب على ذكر الطريقة والمواد والنتائج للتجربة. فهو يستعمل النمل وبيوتها والقطران والكبريت الاصفر والشعر، ويصب ويضع هذه المواد في أفواه البيوت، ثم يذكر ان النتيجة كانت سالبة. وفي تجربة معرفة ذكاء الكلب، كان هناك الحيوان (الكلب) والبيت والباب والسكين وقطع اللحم والقصاب... ثم كانت هناك النتيجة. حين أحدّ صديق الجاحظ سكيناً بسكين ليقطع اللحم، حين عاد الطباخ من السوق ومعه اللحم، قلق الكلب ورام فتح الباب ولكنه حين فعل ذلك عند العشى، لم يحرك الكلب ساكناً.

ان ألطف ماجاء في كتاب الحيوان، بالاضافة الى ذكر الحيوانات وعاداتها وتاريخها الطبيعي ومااِلى ذلك، هو مناقشته اراء الأخرين والاعتراف بفضلهم اذا كانت تجاربه ومعلوماته تؤيد اقوالهم او نقدها - واحيانا بسخرية - اذا كانت لاتتفق مع التجربة والعقل والمنطق. فقد ناقش ارسطو وزرادشت وأقوال بعض العلماء العرب والمسلمين.

ان كتاب ارسطو عن الحيوان - بالرغم من قدمه - جاء اكثر تنظيماً وأحسن عرضاً وبدون حشو وهزل وشعر وادب... الخ فهو أنظم واكثر علمية من الجاحظ. ناقش الجاحظ قول ارسطو من ان ولد الفيل يخرج من بطن امه نابت الأسنان لطول مكثه في بطنها، وناقش قوله في أن ثوراً وثب، بعد ان أُخصي، على بقرة فاحبلها. وناقش قول ارسطو في أن العقاب عاق وجافي لأولاده وغير ذلك كثير من المناقشات التي ناقش بها ارسطو.

فحسب قول الاستاذ عبدالمنعم الخفاجي، اشار الجاحظ ١٦٨ مرة الى ارسطو. بعضها مخالفاً له وبعضها مكبراً له. وهو لايتورع من نقد الأخرين، نقداً لاذعاً. «ولو كانوا يروون الامور مع عللها وبرهاناتها خفت المؤونة ولكن اكثر الروايات مجردة وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الاخبار عن البرهان»، وفي محل آخر يقول «والصدور تضيق بالرد على اصحاب النظر، وتضيق بتصديق هذا الشكل». ويقول في محل ثالث «هل سمعت بحجة قط او بحيلة او بإضحوكة يبلغ مؤن هذا الاعتلال».

ولكنه في الوقت نفسه لايقلل من أهمية آراء الاخرين ويعتبرها ارثاً تتوارثه الاجيال والامم والبلدان. فهو يقول «وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحولت اداب الفرس فبعضها إزداد حسناً وبعضها ما إنتقص شيئاً. وقد نقلت هذه الكتب من امة الى امة ومن قرية الى قرية ومن لسان الى لسان حتى انتهت الينا وكنا آخر من ورثها ونظر فيها.»

اما بالنسبة للشكر فإنه يشيد في متن الكتاب بمن ساعده في الملاحظات او التجارب مثل النظام، وسهل بن هارون ومحمد بن الجهم ومربي الحمام والحوّائين والقوابل وغيرهم. انه يكون اكثر وضوحاً بالاشادة إذا كان المعنيّ من المعتزلة. غنيّ عن الذكر إن الجاحظ لم يضع ثبتاً بالمصادر التي رجع لها، ولكن أنّى له أن يقوم بذلك وقد عاش بعصر غير عصرنا واتبع نهجاً غير نهجنا.

وارجو ان أكون قد وفقت في المقارنة بين منهج الجاحظ في **دراساته للحيوان وطريقة كتابته للكتاب وبين الطرق الحديثة. لاضير على الجاحظ إذا كان قد قصّر في بعض هذه الجوانب، بل له كل التقدير والأحترام إنه كان رائداً وبالرغم من ان كتابه فقد كثيراً من قيمته العلمية بعد تقدم الزمن وظهور الطرق الحديثة في البحث والدراسة ولكنه لايزال رائداً في علم الحيوان بعد ان مضى على تأليفه ما يقرب من ١٢٠٠ سنة اوحواليها. واننا نفخر بهذا التراث.**

المصادر

١ ـ حميد موراني وعبدالحليم منتصر. ١٩٧٤
قراءات في تاريخ العلوم عند العرب. مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. جامعة الموصل. ص٧٨
٢ ـ عبد الحليم منتصر. ١٩٦٦
تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه. المكتبة العلمية. دار المعارف. مصر ص٢١٢ ـ ٢١٢
٣ ـ حكمت نجيب عبدالرحمن. ١٩٧٧
دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. جامعة الموصل. ص ٣٥٠ ـ ٣٥١
٤ ـ عمر فروخ. ١٩٧٠
تاريخ العلوم عند العرب. دار العلم للملايين. بيروت. ص٢٦٥ ـ ٢٦٨
٥ ـ قدري حافظ طوقان. ١٩٧٠
العلم مع الحياة. مكتبة المعارف. بيروت. ص ١٢٠ ـ ١٢٢
٦ ـ قدري حافظ طوقان. ١٩٦٠
العلوم عند العرب. مشروع الألف كتاب. مكتبة مصر. القاهرة. ص ٣٥ وص ١١٩.
٧ ـ محمد عبدالمنعم الخفاجي. ١٩٧٣
ابو عثمان الجاحظ. دار الكتاب اللبناني ص ١٧١ ـ ١٨١
٨ ـ صموئيل عبد الشهيد. ١٩٧٥
الروح العلمية عند الجاحظ. دار الكتاب اللبناني. بيروت، ٨٣ صفحة.
٩ ـ ارسطو طاليس. ١٩٧٨
اجزاء الحيوان. ترجمة يوحنا بن البطريق. حققه وشرحه وقدم له د. عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت. ٢٨٠ صفحة.
١٠ ـ ارسطو طاليس. ١٩٧٧
طباع الحيوان. ترجمة يوحنا بن البطريق. حققه وشرحه وقدمه له د. عبدالرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت الطبعة الاولى. صفحة ٥٦٣.
١١ ـ الجاحظ ابو عمرو. ١٩٦٨
كتاب الحيوان للجاحظ. حققه وقدم له فوزي عطوي. مكتبة محمد حسين النوري، دمشق ومكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، بيروت. ٧ اجزاء بمجلدين.
١٢ ـ عادل محمد علي ١٩٧٨.
الجاحظ وريادة البحث العلمي. ١ ـ النزع العلمي في كتاب الحيوان مجلة المورد، ٧ (٤): ٢٥ ـ ٣٣، بغداد.
٢ ـ وصف الحيوان بين ارسطو والجاحظ. المورد ٧ (٤): ٣٤ ـ ٤١.
١٣ ـ احمد عبد زيدان. ١٩٧٨
الحيوان عند الجاحظ. المورد، ٧ (٤): ٥٨ ـ ٧١ بغداد.
١٤ ـ عبدالسلام محمد هارون. بلاتاريخ
تهذيب الحيوان للجاحظ. جزء أول وثاني. سلسلة في الادب والنقد، ٤و٥، مكتبة نهضة مصر. الفجالة. مصر. ٣١٠ صفحة.

* * *

المنسوجات والسجاجيد العربية والاسلامية وأثرها في الفنون الاوربية

دراسة

د. صلاح حسين العبيدي
جامعة الانبار - كلية التربية للبنات

يمثل الفن العربي الاسلامي مصدرا هاما من مصادر التراث العربي. ويدخل ضمن هذا المصدر المخلفات الاثرية المختلفة التي تشمل التحف المنقولة مثل الخزف والمعادن والاخشاب والزجاج والنسيج وغيرها من التحف.

وقد استرعى هذا الفن اعجاب الاوروبيين في عصر النهضة مما شجعهم على ادخال ما تيسر في منشآتهم العمرانية وفنونهم الزخرفية.

ولكننا قبل ان نفصل القول في مدى تأثير الفن العربي في الفنون الاوربية نرى من الضروري ان نقف قليلا متسائلين كيف انتقل هذا الفن الى اوربا واستطاع ان يؤثر في فنونها ويأخذ مكانته بينها.

فمن المعروف ان الاوربيين قد عرفوا الفن العربي في العصور الوسطى ممثلا في التحف الفنية التي نقلوها من الشرق او نقلت اليهم، وعندما شاهد الفنانون الاوربيون هذه المنتجات اعجبوا بها وبزخارفها فأقبلوا على تقليدها وكان التقليد في بعض الاحيان صادقا.

وليس مثل هذا التبادل الفني غريبا في شيء، فقد اتصل الشرق الاسلامي باوربا في العصور الوسطى بواسطة التجار اولا والاندلس وجزيرة صقلية ثانياً وبفضل مشاهدات الحجاج المسيحيين وما كانوا يحملون معهم الى اوربا من التحف العربية ثالثا واخيرا بواسطة الحروب الصليبية.

اما التجارة فقد كانت هناك حركة تجارية نشيطة بين جمهوريات ايطاليا وبين الوطن العربي وكان من اثر ازدهار هذه التجارة ان اقبلت بعض المدن الايطالية مثل البندقية وحثوها على الاقتباس ما وسعهم الاقتباس من هذه الفنون.

اما الاندلس فقد ازدهرت فيها المدنية العربية الاسلامية واصبحت قرطبة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اكثر المدن في اوربا واعظمها مدنية. وكانت صقلية الاسلامية تابعة لولاية تونس وقد تمكن العرب من تطوير الحياة في صقلية فأزدهرت النهضة العلمية والفنية في الجزيرة.

اما الحروب الصليبية فقد كان لها نتائج خطيرة وهامة غير النتائج العسكرية والسياسية وهي النتائج الحضارية المتمثلة في الثقافة والفن، وكانت بعيدة المدى عميقة الأثر في اوربا كلها وقد استوقفت مظاهر الحضارة العربية انظار الاوربيين خصوصا واخذوا عن العرب الكثير من المعارف والفنون الصناعية فاحبوها وفضلوها على غيرها حتى اصبحت من علومهم ومعارفهم وفنونهم.

اما الحجاج المسيحيون فأن دورهم في نقل الفن العربي

الاسلامي في اوربا لايقل اهمية عن الطرق المتقدم ذكرها.

وقد كان هؤلاء الحجاج يعودون الى اوطانهم ومعهم الكثير من مصنوعات الشرق التي كان ينظر اليها الاوربيون بعين التقدير والاعجاب.

وهناك من الاسباب ما جعل الاوربيون يقبلون على المنتجات الفنية العربية، لقيمتها الجمالية الواضحة التي تتمثل في تناسقها وفخامتها وما تحفل به في كثير من الاحيان من غنى في الالوان، وهناك ميزة اخرى تتجلى في الدرجة العالية من الاتقان الفني الواضح في صنعه تلك القطع وهي درجة تفوق بمراحل اي شيء كان من الممكن ان ينتجه الغرب في تلك العصور ناهيك عن طرافتها الغريبة.[1]

وسنحاول في هذه الدراسة ان نبين اثر العرب في ميدان صناعة المنسوجات والسجاجيد في اوربا آملين ان نتناول بقية الفنون في ابحاث قادمة.

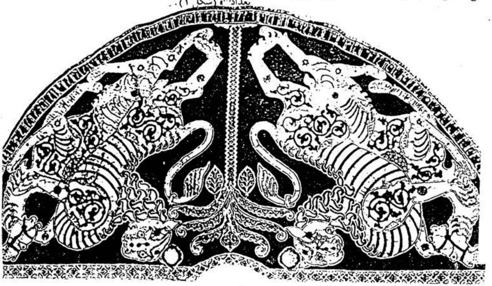
ففي ميدان صناعة المنسوجات كان التأثير في اوربا واضحا فقد غدت المنسوجات التي ابدعتها ايدى العرب موضع تقدير وتعريف في اوساط اوربا حتى اثارت دهشة عظيمة لدى الاوربيين واقبلوا عليها اقبالا منقطع النظير، وترك فيها اثرا لايمحى حتى صارت المنسوجات العربية تشكل القسم الاكبر من موجودات القطع الفنية المحفوظة في المتاحف والكنائس الغربية.

ولابد من القول ان ضخامة قطع النسيج التي جلبت الى الغرب لا تدعو الى الدهشة لأن صناعة النسيج كانت اكبر الصناعات عند العرب، بحيث كانت تقدم للناس كل ما يحتاجون اليه من ثياب وتقدم لهم كذلك اهم لوازم البيت، كالأغطية والمساند والوسائد والستر والخيام، ولما كانت قطع النسيج يسهل طيها فأنها لم تكن عسيرة النقل.

ومن مظاهر الاقبال على المنسوجات ما وجدناه في اعظم كنائس اوربا وهي تستخدمها لحفظ مخلفات القديسين المسيحيين وفي تغطية او تغليف مذابح الكنائس والابنية المقدسة او بردتها القساوسة وافراد الطبقة الراقية في المجتمع رجالا كانوا او نساء[2].

وما تزال متاحف اوربا وحتى يومنا هذا وفي بعض الكنائس مجموعة من هذه الاقمشة منها قطعة من الحرير من صناعة بغداد محفوظة في بيعة القديس (دير سان ايزيدور) في مدينة ليون بشمال اسبانيا يرجع تاريخها الى حوالي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادى) وهذه القطعة تتألف زخرفتها من دائرتين غير متكاملتين بسبب تمزق القطعة، ويزين الاطار الخارجي لكل دائرة كتابة بالخط الكوفي تقرأ في الشريط العلوى هكذا «البركة من الله واليمن» ونفس العبارة تقرأ ناقصة كلمة «اليمن».

اما نص الكتابة على الشريط السفلي فتقرأ «كما عمل في بغداد[3]» (شكل ١).



وفي مقابل هذه الاستعمالات الكنسية للانسجة الاسلامية، نجد مثالا لقطعة نسيج اخرى تتصف بمظهر اكثر فخامة ولها مغزى لايقل عن مغزى النسيج الكنسية يتمثل في التاريخ الدنيوي الطويل لعباءة الاحتفالات التي صنعت اول الامر للملك النورماندى «روجر الثاني» في بليرمو بصقلية واصبحت هذه العباءة بعد ذلك تلبس على اعتبار انها ثوب التتويج لأباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة حتى سنة ١٨٠٦م، وهذه العباءة تمثل ثوبا كبيرا نصف دائرى يحمل رسما مكررا مرتين لأسد يفترس جملا. ومطرزا تطريزاً جميلاً، وعلى اطرافه كتابة مذهبة طرزتها له اياد عربية[١] (شكل٢).

اياد عربية [١] (شكل٢).

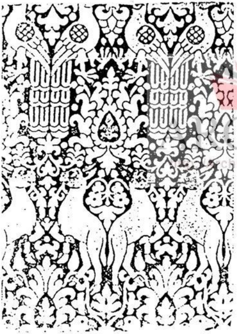


ويبدو ان شغف المصورين الاوربيين بنقوش هذه العباءة حتى ان المصور البريخت ديورد (Albrecht Duret) يصورها في احدى لوحاته التي تمثل شارلمان متدثراً بثوب التتويج هذا[٢].

وهناك مجموعة كبيرة خاصة من قطع النسيج تتكون من اردية حريرية طويلة كانت من ملابس النبلاء البولنديين في القرن الثاني عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) وهذه الاردية كانت تجلب بواسطة التجار البولنديين الذين كان لهم دور في تاريخ الفن البولندى ولم يلبث ان ادى ازدياد الطلب على هذا النوع من الاردية الى صنع نماذج منها في بولندا على هيئة ابسط دون ان تفقد طابعها الغريب، وظلت تصنع في تلك البلاد وتلبى حاجة السوق حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى[٦].

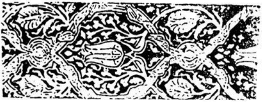
ومن قطع النسيج العربية التي وصلت الى اوربا القطعة المسماة «حجاب الخليفة هشام الثاني المؤيد» ٣٦٦ - ٤٠٣هـ/٩٧٦ - ١٠١٣م. والتي يمكن ان تكون جزءاً من ثوب قدم الى كنيسة سان استيان في بلدة «سان استنبان دى حرماج»[٧]

وفي متحف دسلدورف ديباج من صناعة ايطاليا في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) يضم زخارف من طيور وحيوانات متواجهة وبينها وريقات وزهور محورة عن الطبيعة تذكرنا بزخارف المنسوجات التي كانت تصنع في صقلية منذ القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)[٨] (شكل ٣).

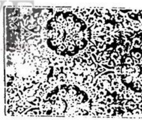


وبالأضافة الى ما تقدم ففي متحف المنسوجات بمدينة ليون بفرنسا نحمل من صناعة البندقية في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) تزينه زخرفة نباتية متأثرة الى حد كبير بالزخرفة التى استخدمها النساجون المسلمون في منتجاتهم

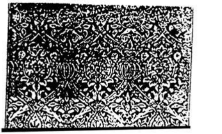
المختلفة[9] (شكل ٤).



اما متحف فكتوريا والبرت بلندن فيضم عدداً من المنسوجات الاوروبية نلمح فيها التأثير العربي الاسلامي نذكر منها مخملاً من الحرير من صناعة ايطاليا في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وتشهد الزخرفة في المخمل المذكور بالصلة الوثيقة بين المنسوجات الاسلامية والايطالية مما يؤكد على انتشار الزخارف الاسلامية في المنسوجات الحريرية الايطالية[10] (شكل ٥).



وفي المتحف المذكور مخمل اخر من الحرير نسج هذا المخمل على يد الفنان والاديب الانكليزي وليم موريس (١٨٣٤ - ١٨٩٦) في محاولة لاحياء المنسوجات الغالية التي كانت تنسج في المدن الايطالية وتركيا في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) (شكل ٦).



وفي بعض الاحيان كان ينظر الى المنسوجات العربية الاسلامية نظرة تبجيل ويتمثل لنا ذلك في اتخاذها لبعض انواع الملابس، نذكر منها غطاء الوجه المعروف بالنقاب، والواضح في نقاب القديسة آن (Anne) المحفوظ في زجاجة من صناعة البندقية يرجع تاريخها الى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) وموجودة في كنيسة سانت آن في مدينة آبت (Apt) جنوب فرنسا وهي تحمل كتابة عربية تتضمن شهادة الاسلام واسمي الخليفة الفاطمي المستعلي ٤٨٧ - ٤٩٥هـ/ ١٠٩٤ - ١١٠١م ووزيره الافضل وعليها ما يفيد انها صنعت في دمياط بمصر سنة ٤٨٩هـ - ٤٩٠هـ/١٠٩٦ - ١٠٩٧م[11] ومن الجائز جداً انها قد جلبت الى اوربا بواسطة نبلاء بلدة آبت او الاساقفة الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الاولى والذين كانوا يأخذون معهم لدى عودتهم الى بلادهم بعض الاشياء القيمة ليقدموها الى كنائس على سبيل الشكر بمناسبة عودتهم سالمين[12] او طلباً للذرية حيث كانت نساء اوربا يتبركن بها للغرض المذكور كما فعلت الملكة ان النمساوية في عام ١٦٦٠م.

ويبلغ من اهتمام القوم في اوربا بالمنسوجات الواردة من الشرق ان سموها في لغاتهم بأسماء المدن التي نُسجت فيها ثم اطلقوا الاسماء العربية الاصل على ما اخرجته ايديهم من منسوجات قلدوا بها تلك المنسوجات العربية.

فالمنسوجات التي كانت تعرف لديهم باسم (فستيان) قد اشتق اسمها من كلمة (الفسطاط) اولى العواصم العربية في مصر[14].

كما عرف لدى الاوربيين نوع آخر من المنسوجات الحريرية اشتهرت بانتاجه مدينة بغداد يعرف باسم (البغدادى) وقد عرّب الايطاليون هذا اللفظ بلد شينو بغداد من الاسم الايطالي بلد شواى بغداد او باسم بوداك[15].

وكانت محلة العتابية ببغداد معروفة في انتاج ما يسمى بـ (العتابى) الذي امتاز بلونه الابيض والاسود والاصفر وتجمع بين الخطوط المتوازية والمتعرجة وهو نوع من المنسوجات الحريرية، ووصلت شهرة هذا النسيج الى درجة ان انتشرت في عدد من المدن مثل مدينة المرية بالاندلس وقد قلده القوم باسبانيا وصار يعرف لدى الفرنسيين والايطاليين بأسم «تابس»[16].

واحتفظت المنسوجات البغدادية بسمعتها العالية خلال العصور الوسطى حين قدرها الملوك وكبار رجال الكنيسة حق قدرها.

وقد سجل المؤرخ ماتيوباريس الحفل الذى اقامه الملك هنرى الثالث في كاتدرائيه ويستمنستر، وكان مما كتبه في وصف هذا الحفل قوله «وجلس الملك على عرشه في عظمة وجلال مكتسيا بكسوة ذهبية من اثمن الاقمشة البغدادية المزركشة»[١٧].

وبرزت مدينة الموصل بانتاج نوع من المنسوجات يعرف بالموصلي او (الموسلين) وقد ذاع هذا النسيج واشتهر لدى الاوربيين باسم (موسلينا)[١٨].

والقباطي هو الاسم الذى اطلقه العرب على النسيج المصرى الذى عرفه الاوربيون باسم (التابستري) وقد اخذت اوربا تنتجه تحت اسماء اخرى مستعارة هي (جوبلان) و (ابيون)، والحقيقة ان (جوبلان) هو اسم لمصانع فرنسية اشتهرت بنسيج القباطي، اما نسيج الابيسون فقد اخذ اسمه من مدينة (بيسون) وقد اشتق من اسم تلك المدينة[١٩].

وكما كان يطلق على الاقمشة المستوردة من غرناطة اسم جريناديين وعرفت بهذا الاسم في الاسواق الاوربية.[٢٠].

والنسيج الدمشقي الذى يعرف عند الاوربيين بـ «الدمكس» اشتهرت بنسجه مدينة دمشق ومن الواضح ان اسم هذا النسيج قد اشتق من اسم تلك المدينة[٢١].

ومن الاقمشة التي اشتهر بها العرب قماش حريرى رقيق عرف بـ «التفت» ومن ثم انتقل الى مختلف اللغات الاوربية وصار يعرف بالألمانية «تفت» وفي الفرنسية «تفتس» وفي الانكليزية «تفتا»[٢٢].

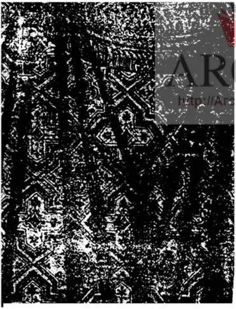
ومن المعروف انه كان للعرب فضل كبير في نشر صناعة المنسوجات الحريرية في ايطاليا في القرن الثالث الهجرى (التاسع عشر الميلادى) فقد نتج عن فتحهم لاسبانيا دخول صناعة المنسوجات الحريرية فأنتشرت في كثير من المدن الاسلامية مثل مرسيه واشبيلية وغرناطة وقرطبة ومالقة والمرية وغيرها.

كما عظم اقبال الاوربيين على الاقمشة القطنية الواردة اليهم من الشرق ولاسيما ما كان منها مزدانا بزخارف مطبوعة بالالوان الزاهية، وقد تطورت هذه الاقمشة فظهر النوع الذي عرف في باريس باسم Persienmes[٢٣].

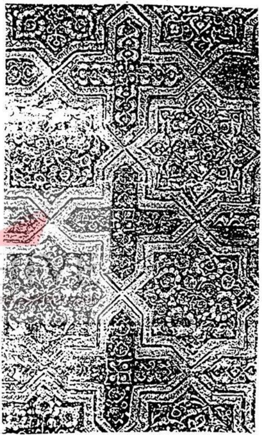
وقد امتد تأثير المنسوجات العربية وما يحليها من زخرفة بديعة الى المصورين والرسامين الاوربيين لذا وجدنا ان لوحات كبار المصورين الايطاليين تشتمل على نماذج من هذه المنسوجات العربية او المستوحاة منها.

وانا لنعثر على بعض الاقمشة التي كانت تستوردها ايطاليا في تلك العصور وسط الرسوم التي خططها وصورها كبار الرسامين الايطاليين نذكر من هؤلاء الرسام الشهير «جيوتو» فقد ضمن هذا الرسام بعض لوحاته نماذج من الاقمشة تحليها زخرفة مستمدة من طراز الاقمشة العربية كما يتضح ذلك في لوحة رسمها بين عامي ١٢٩٦ ـ ١٣٠٠م وهي تمثل رؤية البابا اينوتسنس الثالث، واللوحة محفوظة في الكنيسة العليا[٢٤].

ومن الرسامين الآخرين الرسام الايطالي (دونشيودي بودنينتزنيا) الذي تأثر هو الآخر بالمنسوجات العربية كما يتضح لنا ذلك في ستار العرش في لوحة ترجع الى حوالي سنة ١٣٨٥م. وقد صور فيها مريم البتول تحيط بها الملائكة وهي محفوظة في فلورنا[٢٥] (شكل ٧).



وبما يلاحظ ان الزخرفة التي تحلي قطعة النسيج المتدلي من العرش في هذا الشكل وجدنا ما يشابهها على الاثار العربية الاسلامية، نذكر منها قطعة من الخزف مؤرخة من سنة ١٢٦٢م محفوظة في متحف برلين (شكل ٨)



ولم يكن هذا التأثير مقصورا على المصورين الذين تقدم ذكرهم بل هناك مجموعة اخرى يظهر في رسومهم مثل هذا التاثير امثال «ميوداسينا» و «مايستر بامبينو» و «لاينو لوجادي».

اما السجاجيد فاننا نبحثها هنا بوصفها نوعا قائما بذاته كفن من فنون النسيج.

والسجاجيد العربية الاسلامية من التحف الفنية التي احبها الاوربيون لدقة صناعتها وجمال الوانها، كما تشهد بذلك سجلات القصر الملكي في اسبانيا في عهد الملك شارل الثاني عام ١٦٧٧م ومتحف غرناطة ومتحف فيينا كما حرصوا على اقتناء العديد منها، وامثلة لذلك ان «ايرل لايستر» Earl of Loicestor الذى كان مقربا من الملكة اليزابيث ترك عند موته ما لايقل عن ست واربعين سجادة اسلامية بعضها ذات حجم كبير جدا.[٣٦] كما تدل الوثائق التاريخية على ان الكاردينال «ولزى» احد رجال الكنيسة بأنكلترا على عهد الملك هنرى السابع وكبير وزرائه تمكن في سنة ١٥٢١م بمساعدة سفير البندقية من الحصول على ستين سجادة شرقية لتقديمها هدية الى ملك انجلترا. وكانت هذه الهدية من الامثلة الاولى لهذا النوع من الهدايا الدبلوماسية،[٣٧]

ولم يكتف القوم في اوربا باستيراد اجمل القطع الى السوق الاوربية، بل كانوا في بعض الاحيان يغيرون هيئة السجادة وحجمها وربما كان ذلك بناء على طلب خاص تلبية لرغبات اوربية محدودة وخاصة لاستعمالها مفارش للموائد، ولهذا السبب وجدنا ان صناع السجاد في العالم الاسلامي ينسجون سجاجيد مدورة او مربعة او على هيئة صليب.[٣٨]

وهناك مجموعة من السجاجيد تحمل في نسجها شعارات الاسر النبيلة ومن الواضح ان هذه السجاجيد انما عملت بناء على طلب خاص نذكر منها على سبيل المثال سجادة صنعت بناء على طلب من الاسقف اللاتيني لمدينة (Lwow البولندية بين سنتي ١٦١٤ - ١٦٣٣م)، في حين ان سيدا آخر ممن صنعت لهم تلك السجاجيد كان رئيسا لفئة من الحرفيين.[٣٩]

وقد تعلم الصناع الاوربيون من العرب نسيج السجاد ذى الوبر وكانوا يتبعون في اول الامر الطريقة الشرقية اليدوية، ولكنهم استخدموا في الازمنة المتأخرة طرقا ميكانيكية بحتة.[٣٠]

ولما كانت هناك كمية كبيرة متوافرة من هذه السجاجيد الشرقية الجميلة، فقد كان من المستحيل عمليا بالنسبة للسجاجيد الاوربية المصنوعة على منوالها ان تنجح في منافستها، وبالفعل فقد وجدت نماذج مقلدة.

وبلغ من اهتمام الاوربيين بالسجاجيد الشرقية انهم عملوا على الحصول على ترخيص لصناعة السجاجيد في انجلترا على غرار السجاجيد الاسلامية ففي سنة ١٦٠٤م منح هذا الترخيص لشخص يدعى السيد فورتيه (Fortier) وحصل على لقب «متعهد صناعة السجاجيد» للصاحب الجلالة[٣١].

وكان اشهر المؤسسات الغربية التي اخذت تنافس الشرق في هذه الصناعة مصنع السجاد (Savonnerie) الذي انشأه بيير - دي بونت (Pierre du pont) عام ١٦٠٥م، وكان طبيعيا ان يحاول هذا المصنع تقليد اشكال السجاجيد الاسلامية، ولكن على ما يبدو ان تلك المحاولات كانت قليلة الجدوى، الامر الذي جعلها اما ان تتوقف بعد وقت قصير، كما حدث لمصنع ويستمنستر الذي دام حوالي خمس سنوات من عام ١٧٥٠ - ١٧٥٥م او تحولت الى صناعة الطرز الغربية[٣٢] وربما يكون هذا راجعا الى المهارة اليدوية الجيدة للصناع العرب الذين لم يتمكن الاوربيون من رؤيتهم في مصانعهم للوقوف على اسرار هذه الصناعة عن كثب.

وفي بولندا انشأت جماعة عرفت بأسم " هتمان ستانسلاف كونيسبو - لسكي " مصانع في برودى كانت تنتج الاقمشة والسجاجيد.[٣٣]

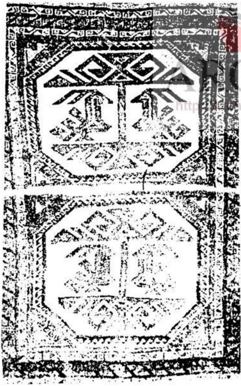
ولم تكن المصانع البولندية وحيدة في ذلك المضمار فخلال القرنين (الثاني عشر والثالث عشر الهجريين) (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) فقد اقبل الفلاحون في اسبانيا وايطاليا بل بروسيا الشرقية على صنع قطع من السجاجيد تتردد فيها اصداء لنماذج اصلية شرقية، وفي بعض الاحيان كان التقليد صادقا.[٣٤]

كما اخذت السجاجيد الشرقية طريقها الى لوحات كبار الفنانين الاوربيين في عصر النهضة وخاصة من فناني البندقية في القرن السادس عشر الميلادي حيث زينوا بها تلك اللوحات بانواع مختلفة من السجاجيد حيث تراها تحت اقدام القديسين او فوق ارضية الغرف او تفرش على الموائد والمقاعد او مبسوطة على الارض داخل الاماكن التي كانت تقام فيها الطقوس والصلوات او نراها مدلاة من النوافذ زينة زاهية تعرض على الناس في ايام الاعياد.[٣٥]

ففي لوحة للرسام (رونبز) نرى فيها شخصا واقفا فوق سجادة على الطراز العربي.

ويحتفظ متحف ركس بأمستردام بلوحة من عمل Bol نرى فيها مثالا آخر من هذه السجاجيد، كما نجد نماذج من السجاجيد الشرقية في صور هولباني فقد كان هذا الفنان شغوفا برسم نوع معين من السجاجيد العربية الاسلامية في لوحاته مما دعا مؤرخو الفن العربي الاسلامي الى اطلاق اسمه على هذا النوع من السجاجيد فصارت تعرف بسجاجيد هولباين.[٣٦]

كما نجد في تصاوير فلمنكي نماذج من السجاجيد الشرقية ويتضح لنا ذلك في لوحة رسمها في القرن (التاسع الهجرى) (الخامس عشر الميلادى) حيث ظهر فيها رسم سجادة من طراز السجاجيد الاسلامية ذات الاشكال الهندسية[٣٧] وجزء من سجادة شرقية قوقازية عثر عليها في كنيسة في وسط ايطاليا معروضة حالياً في متحف برلين وقد ظهرت صورتها في لوحة شهيرة من اللوحات الاوربية وصورة ثانية تمثل لوحة اوربية كانت في برلين للمصور رافالينودلماربو Raffaelino del نرى فيها صورة طنفسة (سجادة) شرقية مفروشة على الارض.[٣٨]



الهوامش والمصادر

١ ـ انتجهازون: اثر فنون الزخرفة والتصوير عند المسلمين على الفنون الاوربية تراث الاسلام (عالم المعرفة) الكويت حـ ٣ ص٩٨.

٢ ـ العبيدى، صلاح، الاثار العربية الاسلامية واثرها في الفنون الاوربية في عصر النهضة. مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد. العدد الثالث والعشرون (آب ١٩٧٨) ص٤٨٦.

٣ ـ حميد، عبد العزيز، والعبيدي صلاح، الفنون العربية الاسلامية. دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ص١٦٩.

٤ ـ هونكة، سيجرند، فضل العرب على اوربا ص٢٧٧. ٥ ـ انتجهاوزن، المصدر السابق ص١٠٦. ٦ ـ المصدر السابق ص١٠٧ ـ ١٠٨. ٧ ـ المصدر السابق ص ١٠٥. ٨ ـ حسن، زكي محمد، اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية مطبوعات كلية الآداب والعلوم (١٩٥٦) مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٦) ص٥٦٤ ٩ ـ المصدر السابق ص٥٦٤. ١٠ ـ المصدر السابق ص٥٦٤. ١١ ـ المصدر السابق ص٥٦٥. ١٢ ـ انتجهاوزن، المصدر السابق ص١٠٣ ـ ١٠٤. ١٣ ـ المصدر السابق ص ١٠٣ ـ ١٠٤. ١٤ ـ كرستي، الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الاوربية. تراث الاسلام حـ٢ ص ٦١. ١٥ ـ هونكة، المصدر السابق ص ٤٨٨. ١٦ ـ كرستي، المصدر السابق حـ٢ ص ٦١. ١٧ ـ كرمب وجاكوب، تراث العصور الوسطى. الناشر مؤسسة سجل العرب ص ٩٨ ـ ٩٩. ١٨ ـ كرستي، المصدر السابق حـ٢ ص ٦٢. ١٩ ـ العبيدى، صلاح، الاثار العربية الاسلامية ص ٤٩٠. ٢٠ ـ كرستي، المصدر السابق حـ٢ ص ٦٢. ٢١ ـ العبيدى، صلاح، المصدر السابق ص ٤٩٠. ٢٢ ـ هونكة، المصدر السابق ص ٤٨٠. ٢٣ ـ العبيدي، صلاح، المصدر السابق ص ٤٩٢. ٢٤ ـ المصدر السابق ص ٤٩٢. ٢٥ ـ كلية، بريجيتة: زخارف اسلامية في اللوحات الايطالية مجلة (فكر وفن) العدد ١٠ (١٩٦٧) ص ١٨. ٢٦ ـ انجهاوزن، المصدر السابق ص ١٠٩. ٢٧ ـ المصدر السابق ص ١٠٩ ـ ١١٠. ٢٨ ـ المصدر السابق ص ١١٠ ـ ١١١. ٢٩ ـ المصدر السابق ص ١١٠. ٣٠ ـ العبيدى، صلاح، اثر الفنون العربية ص ٥٠٤. ٣١ ـ انتجهاوزن: اثر الفنون ص ١١١. ٣٢ ـ المصدر السابق ص ١١١ ـ ١١٢. ٣٣ ـ المصدر السابق ص ١١٢. ٣٤ ـ المصدر ص ١١١ ـ ١١٢. ٣٥ ـ العبيدى، صلاح، اثر الفنون العربية ص ٥٠٤. ٣٦ ـ انتجهاوزن، الفنون والاثار (شكل ٨). ٣٧ ـ انتجاوزن، اثر فنون الزخرفة ص ٩٥. ٣٨ ـ المصدر السابق ص ٩٥

* * *

الشعراء السفراء
في
عصر ما قبل الاسلام

دراسة

احمد اسماعيل النعيمي

جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

تطلعنا المظان التاريخية والادبية القديمة منها والحديثة على حقيقة الاوضاع السياسية التي كانت سائدة في حياة العرب - قبل الاسلام - المتجسدة بغلبة النظام القبلي وانتشار القبائل العربية على ارض شبه الجزيرة، وهي في حل وترحال هنا وهناك لطبيعة الارض الصحراوية القاسية[١] بيد أن واقع الحال السياسي لم يقتصر على وجود تلك القبائل فحسب انما شهدت ارض العرب - ايضاً - ظهور امارات عربية مستقرة في بقاع معينة منها، واذا كانت كلمة المؤرخين غير مجمعة على تحديد تاريخ ظهورها، وعدد ملوكها وسني حكمهم، فانها متفقة على قيامها في اعقاب غياب مملكة (تدمر) عن مسرح الاحداث[٢] ونعني بتلك الامارات (الغساسنة) و (المناذرة) و (كنده)، اللواتي اتخذن من بلاد الشام والحيرة وشمالي نجد مواقع لها[٣]، ويبدو أن العلاقات السياسية بين القبائل والامارات العربية غدت متأثرة بفعل امبراطوريات ثلاث كانت قد احاطت بها من الناحية الجغرافية، وهي الساسانية والبيزنطينية والحبشية، اذ كان لها أثر في كثير من الاحداث المؤسفة التي شهدها العرب فضلاً عن اسهامها في ابقاء حالة التشتت - في الظاهر - الذي كانوا عليه[٤].

الا ان ما يهمنا الوصول اليه من هذا العرض الموجز للواقع السياسي، هو ان معظم القبائل العربية رغبة منها بالسلام والاستقرار، سعت جاهدة الى نبذ الخلافات والخصومات فيما بينها من جهة، والعمل على التقارب والاخاء بينها وبين تلك الامارات من جهة اخرى كما انها سعت الى احلال مبدأ الحوار وتحسين العلاقات مع الامبراطوريات في الوقت نفسه هادفة من وراء ذلك كله رعاية مصالحها، وتسييس امورها، وحل مشاكلها وحماية افرادها وتجارتها، وما الى ذلك من امور تخصها بهذا القدر او ذاك.

ولم يكن يتأتى كل ما تطمح اليه دون وسيلة تعمل عملها في هذا الاتجاه، ومن هنا شعرت القبائل العربية بضرورة اختيار (سفراء) لها تندبهم لهذا الغرض، ويبدو أنها لم تجد افضل من شعرائها للقيام بهذه المهمات وتحقيق تلك الغايات، واضعة نصب اعينها ان الشعر كان - حينئذ - سلاحاً من امضى الاسلحة، وان الشعراء انفسهم غدوا ابرز شخصية مؤثرة في مجرى الاحداث حتى «صاروا بمنزلة الحكام يقولون فيرضى قولهم ويحكمون فيمضي حكمهم»[٥] هذه النظرة لشخصية الشعراء،

والمكانة المتنفذة التي كانوا يحتلونها هي التي دفعت (خلف الاحمر) ان ينعتهم بقوله «السنة الزمان»[٦]، وهذا هو الاصل الذي تقتضيه طبيعة الفن في الحياة.

واذ نطمئن الى معطيات هذا الواقع، فلا عجب ان نجد الشعراء يقطعون بلاد العرب طولاً وعرضاً ينتجعون قصور الامراء، ويحضرون مجالس القبائل ويشهدون المواسم الادبية اولئك الذين يصح ان نطلق عليهم تسمية «الشعراء السفراء» بوصفها - اي السفارة - من اخطر وظائف الزعامة والقيادة «وهو وضع قد قضت به ظروف البيئة ودفعت اليه حاجة القبيلة الى قيادة معنوية»[٧].

وقبل الولوج في تفاصيل موضوع بحثنا هذا، يقتضي منا المقام ان نقف على وجه التحديد عند لفظة «السُفراء» في جانبها اللغوي، لنبين مدى تطابق معناها مع مدلولها الاصطلاحي الذي وضحناه في معرض حديثنا عن بواعث تلك الظاهرة.

ففي المعجمات وتحت مادة (سفر):

السَّفْرُ: قوم مسافرون، وسُفّار، والأسفار جماعة السَّفْر[٨]. وهو المعنى الذي عبر عنه عمرو بن أحمر الباهلي بقوله:

عوجوا فحيوا ايها السَّفْرُ ام كيف ينطقُ منزلٌ قَفْرُ[٩]

والسَّفْرُ ايضاً: قطعُ المسافةِ والجمع الاسفار[١٠].

ويقال سَفَرْتُ اسْفُرُ سُفوراً: خرجتُ الى السَّفر، فانا سافر وقوم سَفْرٌ مثل صاحب وصَحْب، وسُفّار مثل راكب وركّاب، وسافرت الى بلد كذا مُسافَرَةً وسِفاراً[١١]، قال حسان ابن ثابت في هذا المعنى:

لولا السِّفار وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لتركْتُها تحبو على العُرقُوبِ[١٢]

والمِسْفَرُ: الكثير الاسفار، والقوي على السَّفَر[١٣].

وسَفَر، بين القوم يَسْفِرُ ويَسْفُرُ سَفْراً وسَفارة، وسِفارة اصلحُ، فهو سفير[١٤].

والسفير: رسول بعض القوم الى قوم[١٥]، والماشي بينهم في الصلح[١٦]، ويقال المصلح بين القوم[١٧]، وهو الرسول والمصلح بين القوم[١٨]، والسَّفارة والسِّفارة (بالكسر والفتح) عمل السَّفير ومقامه[١٩]، ويجمع سفير على سفراء مثل عليم وعلماء[٢٠]. وحول معنى السفير والسفارة، يقول العجاج في ارجوزته:

«اشوس عن سفارة السَّفير»[٢١]

ولعلنا لانخطئ اذا قلنا ان المعنى اللغوي للسَّفارة او السفير قد جاء متطابقاً مع المعنى الاصطلاحي، انطلاقاً من حقيقة ان موافقة القبيلة على خروج احد سفرائها بمهمة، او على رأس وفودها وهم (جماعة السفر) مقترنة بامور عدة تبيناها من المدلول اللغوي نفسه، منها ان يكون (المسفر) مجرباً للسفر، معتاداً عليه، ملماً بطرقه وشعابه، فضلاً عن تحمله مشاقه، واستعداده لتجاوز اخطاره، والاهم من ذلك النظر الى اهليته، فيما اذا كان متمكناً من اساليب التعبير البليغة المؤثرة في متلقيه، بحيث يجعلهم يستميلون الى حاجاته ومتطلبات قومه، ويبدو ان تلك الشروط مجتمعة قد وجدتها القبائل في شعرائها، عند اختيارهم سفراء لها الى هذا المحفل او ذاك.

وقد يكون هناك معترض على استخدامنا مصطلح (السفراء) عنواناً لهذا البحث مفضلاً استخدام مصطلح (الوفادة) بدلاً منه! وردنا على هذا الاعتراض نلخصه بقولنا: ان بين (الوفادة والسِّفارة) علاقة خصوص وعموم، اذ جاء في لسان العرب «وفد يفِد وفادة اذا خرج الى ملك او أمير»[٢٢].

وهو معنى يستشف منه ان هذا (الخروج) لم يقترن بتمثيل القوم صراحة، او هو خروج لحاجة بعينها او دونها، من جانب آخر ان في لفظة «الوفادة» معنى يحتمل الجمع، اي ان الوافد غالبا ما يكون بمعية جماعة، قيل:

«اوفده عليه وهم الوفد والوفود»[٢٣]، خلاف لفظة «السِّفارة» المرجحة قيام شخص واحد بمهمة تمثيل الجماعة وجدانيا، ولايحول ذلك دون ان يكون على رأس (الوفد) في الوقت نفسه.

ولعل شيوع مفردة «السفير» في العصر الحديث مسوغ آخر اجاز لنا استخدامها، بغية تأكيد صلتها من الناحية التاريخية.

وفي ضوء هذه المفاهيم نخلي المكان للشاعر الذي هو هدف دراستنا في هذا البحث، وما يستتبع ذلك من رصد مكانته واثره في مجريات الاحداث، وما افرزته هذه (الوظيفة) من قصائد ومقطوعات وابيات شعرية ينبغي التعمق في دلالتها وفهمها بوصفها نتاجا شعريا وليد بواعث موضوعية يقوم بقيامها، وينتهي بانتهائها.

وعندما نبدأ بما هو متواتر في الاخبار عن عصر ما قبل الاسلام، بخاصة ما نحن بشأنه تطالعنا اخبار امرئ القيس،

لاسيما محاولاته في استرداد سلطان مملكة كندة المنهار، تلك المملكة العربية التي احتضنت بين ظهرانيها مجاميع من القبائل الشمالية والجنوبية مُشكلة بؤرة تجمع عربي اسهم في لم الشمل واحلال السلام والاستقرار تحت لوائها، ولادل على ذلك من نجاح مساعي احد ملوكها وهو «الحارث بن عمرو بن حجر» في ابرام الصلح بين (بكر وتغلب) بعد لجوء هاتين القبيلتين اليه لهذا الغرض[٢٤].

ويبدو ان صنيع ملوك كندة في جمع اشتات القبائل العربية لم يلق ارتياحا في نفس ملك الفرس «كسرى انو شروان» الذي عمد الى تأليب «المنذر بن ماء السماء» ملك الحيرة على امراء كندة من ابناء الحارث، لايقاع الشرور بينهم، وتفتيت وحدتهم، اذ تحدثنا المصادر ان «المنذر اغرى بين (شرحبيل وسلمة) حتى تحاربا، فقتل شرحبيل، فلما سمع سلمة بقتله، جزع وندم على أن المنذر انما اراد ان يقتل بعضهم بعضا»[٢٥].

ثم بمقتل «حجر» ابي امرئ القيس الشاعر، كانت بداية النهاية لزوال مملكة كندة عن مسرح الاحداث، وهو زوال لم يستسلم له امرؤ القيس اذ اتخذ من اسفاره التي قام بها الى عدد من القبائل العربية الجنوبية منها والشمالية[٢٦]، وسيلة لـ «توحيد من بقي من اتباع كندة تحت قيادته»[٢٧].

اما سفارته الى «قيصر القسطينية» وما رافقها من احداث اشهر من ان تعاد وتعرف، فيخيل الينا انها اقرب الى الاسطورة منها الى الواقع، وحسبنا ان مصدرها هو «ابن الكلبي» لنطمئن الى كونها مختلقة اصلاً[٢٨].

إلا ان ما يهمنا من هذا كله ان (سفارات) امرئ القيس لاتعنينا من الوجهة التاريخية، بقدر ما تعنينا كونها باعثا افرز نتاجا شعريا يختلف عما نظمه قبل قيامه بتلك السفارات، مستندين في تأكيد هذه الحقيقة الى استقراء احد الباحثين المحدثين الذي ذكر ان شعر امرئ القيس «يقسم قسمين واضحين: قسما نظمه قبل مقتل ابيه، وقسما نظمه بعد مقتله. اما القسم الاول فلا يعدو المعلقة، و المطولة الثانية (الاعم صباحا ايها الطلل البالي)»[٢٩]. مشيرا الى ان موضوعات هذا القسم هي «التشبيب، والغزل القصصي الصريح، ووصف الطبيعة المتحركة والطبيعة الصامتة»[٣٠].

ومن خلال استقرائنا لموضوعات القسم الثاني تبين انها تجسدت بـ (المديح، والهجاء، والفخر، والرثاء، والشكوى) مما لانظير لها في القسم الاول، الامر الذي يؤكد حقيقة اثر السفارات في شعر الشاعر. فالمديح اقترن باولئك الذين اجاروه، او قدموا له العون والمساعدة، ومن ابرزهم (المعلى وقومه بنو تيم) فقد نعتهم بلقب جميل لزمهم ردحا من الزمن اعترافا بفضلهم، وذلك ما نتأمله في مثل قوله:

كأني إذ نزلتُ على المُعَلّى   نزلتُ على البواذخ من شمام
اصدّ نشاص ذي القرنين حتى   تولى عارضُ الملك الهُمام
اقرّ حشا امرئ القيس بن حُجْرِ   بنو تيم مصابيحُ الظلام[٣١]

اما الهجاء فكان من الطبيعي ان يوجهه الى من تحمل مشاق السفر اليه، واحجم عن نصرته، فضلا عمن كان سببا في انهيار مملكته[٣٢].

وكان فخره بنفسه ونسبه حافزاً له نحو تحقيق طموحاته وآماله، وعزما على تجاوز كل مايعترض سبيله من صعاب، ويبدو ذلك واضحا في مثل قوله:

إني امرؤٌ من خير كِنْـ   ـدة لستُ من اشرارها
من خيرها نسباً إذا   تنتمي الى اخيارها
من خيرها خبراً إذا   صارت الى اخبارها[٣٣]

ويطالعنا رثاء امرئ القيس في صورة بكاء ونواح على ملوك حجر، وسيلة لتخفيف وطأة المعاناة التي يكابدها في فقده اياهم، وعجزه عن استرداد امجادهم، ضمن قوله:

ألا ياعين بكّي لي شنينا   وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوكاً من بني حجر بن عمرو   يُساقون العشية يقتلونا
تظلّ الطير عاكفة عليهم   وتنتزع الحواجب والعيونا[٣٤]

ثم كانت «شكواه» من الدهر وتقلباته، واستسلامه لحكمه، وهو حكم لاراد له، كما استسلم لقضائه اجداده من قبل، ويبدو ذلك واضحاً، في الصورة التي رسم ابعادها امرؤ القيس بقوله:

أرجي من صُروف الدهر لينا   ولم تغفل عن الصم الهضاب

واعلم أنني عما قليل
سأنشب في شبا ظُفر وناب
كما لاقىٰ ابي حجر وجدي
ولا أنسىٰ قتيلا بالكلاب[٣٥]

ولقد صدقت نبوءة الشاعر، حيث مات دون امنيته، اوينجح في استعادة مجد مملكته كنده المنهارة بعد سفارات كثيرة حالفه النجاح في جزء يسير، والفشل في الجزء الاعظم قطع خلالها مسافات طويلة، وتحمل اعباء لاينوء بحملها الا من كان يسعى لمجد مؤثل ناهيك عن اسلوب التعبير الشعري الذي لجأ اليه في سبيل تحقيق غايه السفارة الاخيرة في حياته.

واذا كان الفشل نصيب امرئ القيس فيما سعى اليه خلال سفاراته فان نقيضه كان لعلقمة بن عبده التميمي «وهو الذي يقال له علقمه الفحل»[٣٦] من سفاراته الى بلاط الغساسنة. وباعث تلك السفارة وملخص تفصيلاتها هما لما قتل الحارث بن ابي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء - وهو المنذر الاكبر وماء السماء امه - أسرَ جماعة من اصحابه، وكان فيمن أسر (شأسُ بن عَبَدَة) في تسعين رجلاً من بني تميم»[٣٧]، فما كان من بني تميم الا ان يوعزوا لشاعرهم (علقمة) بشد الرحال والتوجه في سفارة الى «بلاط الغساسنة» ايماناً منهم بالدور الذي يؤديه الشاعر في الازمات القبلية والاجتماعية، الامر الذي يعكس لنا مفهوم التفاعل بين الشاعر وقبيلته، وهو مفهوم قائم على اواصر القيم الاصيلة التي ترمز الى الشخصية الواحدة المتماسكة المؤمنة باهدافها في الحياة. كما كان (علقمة) - واي شاعر جاهلي - يرى ان من حق قبيلته عليه ان يقف عليها موهبته الشعرية، ويؤدي مهمته كاملة متى ما اقتضت الحاجة اليه.

وبالفعل استجاب علقمة لداعي الواجب، وسفر الى «الحارث بن ابي شمر الغساني» وما ان وطأت قدماه بلاط الملك حتىٰ القى على مسامعه قصيدته الذائعة الصيت التي مطلعها:

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

وهذه القصيدة مع قصيدتين اخريين هن اللواتي عدهن ابن سلام الجمحي «ثلاث روائع لايفوقهن شعر»[٣٨].

وقد بدأ علقمة قصيدته - كما هو واضح من مطلعها - بالغزل والنسيب، على عادة غالبية الشعراء الجاهليين من حيث التزامهم بذلك المنهج الفني الموروث وخلاصته: ان تبدأ القصيدة بذكر الاطلال والغزل ثم تخلص الى وصف الناقة وما يستتبعها من صراع مع كلاب صيد مدربه وحيوانات وحشية اخر ثمّ لوحة الغرض الرئيس كأن يكون مديحاً او رثاءاً او غيرهما من الاغراض الشعرية التقليدية المعروفة[٣٩].

إذ استغرقت لوحة المطلع الطللي الغزلي في بائية علقمة هذه (عشرة ابيات) واصفاً فيها بالسقيا، مع اعلانه خبرته بالنساء، وعزوفهن عن الشيوخ، وتعلقهن بالشباب والثراء ثم وصف ناقته (لوحة الرحلة) التي رحل بها الى الملك الغساني، مشبهاً اياها بالبقرة عارضاً مالاقاه خلال رحلته من صعوبات وقعت في (ثلاثة عشر بيتاً)، وافتتح لوحة الغرض (مديح الملك) بطلب العطاء من الملك، شاكياً اليه خيبته فيمن سواه من الملوك ثم نوه بمواقف استبسال الملك وجيشه في الحروب وما هم عليه من عدة القتال حتىٰ وصل الى غايته الرئيسة من هذه (المطولة) وهي أن يجعلها شفيعاً في اخيه لانقاذه من الاسر واطلاق سراح سائر بني تميم.

ومن اقدر الابيات على تجسيد غاية علقمة في هذه القصيدة قوله:

الى الحارث الوهاب عملت ناقتي
لكلكلها والقُصْرَ بين وجيبُ
اليك - ابيتَ اللعن - كان وَجيفها
بمشتبهات هَوْلُهُنَّ مهيبُ
هداني اليك الفرقدان ولاحبٌ
له فوق اصواء المتانِ عُلوبُ[٤٠]

فلما بلغ قوله:

وفي كل حيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمةٍ   فحقّ لشأس من نَداكَ ذَنوبُ[٤١]

فقال الحارث: نعم واذنبةٌ»[٤٢]، ولما ختم مطولته بقوله:

فلا تحْرِمَنِّيَ نائلاً عن جَنابَةٍ   فإنّي امرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَريبُ[٤٣]

امر الملك الغساني «باطلاق شأس اخيه، وجماعة اسرى بني تميم، ومن يسأل فيه او عرفه من غيرهم»[٤٤].

ويبدو لنا ان نجاح علقمة في سفارته لم يقتصر على هذه النتيجة فحسب، اذ لانجانب الصواب ان قلنا ان علقمة نجح ايضاً في توطيد العلاقة بين قبيلته (تميم) وبلاط الغساسنة، محولاً الخصومة الى ود، والنزاع الى وئام، وما الى ذلك من نتائج عادت بالنفع الى كلا الطرفين.

ومن هنا لانستغرب عندما نطالع اخبار تشير الى افراد القبائل لشعرائها اعز مكانة واحتفالها بنبوغهم ايما احتفال، وهذه الحقيقة أكدها اكثر من عالم، فقد أشار اليها ابن قتيبة بقوله «كان الغلام اذا بلغ فقال من الشعر هنئ به قومه واستبشرت به عشيرته، ورشحوه للمنافحة عنهم»(٤٥).

ويؤيد النهشلي رأي ابن قتيبة ويضيف اليه قوله «كان الشاعر في الجاهلية اذا نبغ في قبيلته ركبت العرب اليها فهنأتها.. وكانت العرب لاتهنئ إلا بفرس منتج او مولود ولد، او شاعر نبغ»(٤٦).

وكشف ابن رشيق عن مظهر ذلك الاحتفال الذي تقوم به القبيلة المتجندد «بصنع الاطعمة واجتماع النساء وهن يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس وتباشر الرجال والولدان»(٤٧).

اما سفارة طرفة بن العبد وخاله المتلمس الضبعي فهي تأتي لتؤكد حقيقة مكانة الشعراء في تغيير مجرى الاحداث التي تشهدها القبائل.. ويبدو باعثها شعور قبيلة هذين الشاعرين «بكر بن وائل بن ربيعة» التي كانت تدين بالولاء لملوك الحيرة(٤٨). بتحول ولاء ملك المناذرة «عمرو بن هند» عنها الى التغلبيين، وذلك بتنصيب هذا الملك عاملاً تغلبيا هو «عبد عند بن جرد بن جرى ابن جرده بن عمير التغلبي»(٤٩) على ديارها في البحرين لذلك اوعزت لطرفة والمتلمس بالقيام بسفارة الى بلاط المناذرة، كي ينقلا وجهة نظرها بشأن هذا العامل، ويكسبا ودّ الملك بصفها حتى ينصب عاملاً بكرياً بدلا عنه.

وبالفعل يلبي الشاعران رغبة قبيلتيهما، وينهضان بسفارتها الى بلاط المناذرة تلك السفارة التي جاءت اخبارها مبثوثة في بطون المصادر، ولعل اول من اشار اليها هو (ابن حبيب) في معرض تأكيده وجود طرفه والمتلمس في ذلك البلاط حيث يقول «وكان عمرو بن هند ـ مضرط الحجارة ـ اللخمي قد جعل طرفه والمتلمس في صحابه قابوس اخيه»(٥٠).

واكد ابن قتيبة ـ في معرض تناوله سيره المتلمس ـ ما اشار اليه ابن حبيب بقوله «وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد»(٥١).

ومن خلال الروايات التي تابعت احداث وجود الشاعرين طرفة والمتلمس في بلاط المناذرة ان فشلاً قد لحق بمهمتها، وهذا ما يستشف من الخبر الذي رواه ابن قتيبة مع تبيانه اسباب ذلك الفشل الذي عزاه الى (هجو الشاعرين للملك) مما حدا بالملك كما يقول ابن قتيبة ان «كتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين، اوهمهما انه امر لهما فيهما بجوائز، وكتب اليه يأمره بقتلهما»(٥٢).

ويحدثنا ابن حبيب عن تفاصيل قصة ذلك الهجاء بقوله:

«وقد كان طرفة هجا ابن عم له وصهراً يقال له (عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرشد) بقوله:

ولاعيب فيه غير أن قيل واحد ... وان له كشحا اذا قام هضما

وكان عبد عمرو نديماً لعمرو بن هند وجليساً وانيساً، فدخل معه الحمام، فلما تجرد نظر اليه عمرو فقال: ـ كأن ابن عمك كان يراك حين يقول:

«ولاعيب فيه غير....»

فغضب عبد عمرو وقال: ما قال فيك ايها الملك اشد، قال: وما هو، قال قوله:

وليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور(٥٣)

ويكمل ابن حبيب هذه الواقعة بقوله «فلما كان بعد ذلك بيسير قال لطرفة والمتلمس: اظنكما قد اشتقتما اهلكما فهل لكما في ان اكتب لكما الى عامل البحرين بصلة وجائزة؟ قالا: نعم، فكتب اليه بقتلهما، فاخذا كتابها ومضيا»(٥٤).

ومااتلت هذه الواقعة من احداث عرفت في كتب الادب بـ«صحيفة المتلمس» التي ضرب فيها المثل(٥٥).

ونظن ان تفاصيل قصة «صحيفة المتلمس» فيها من الخيال والاسطورة الشئ الكثير لعلة بسيطة هي اليس بامكان الملك قتل الشاعرين دون ان يلجأ الى مثل هذا الاسلوب الساذج الذي لاينطلي حتى على بسطاء الناس، ولاسيما اذا عرفنا ان عمرو بن هند قد وصف بانه «ملك جبار عظيم السلطان»(٥٦)!!.

كما لانسلم بالرواية التي تشير الى هجاء طرفة للملك وهو لايزال في بلاطه ونرجح ان هجاءه قد جاء وبعد اخفاق مسعيهما

في استمالة الملك لصفهما، وثنيه عن تغيير ذلك العامل التغلبي! وهما في طريق عودتهما الى منازل القبيلة، ونرجح ايضاً ان الملك سمع من ذلك الهجاء (بوساطة رواة الاشعار) الامر الذي جعل المتلمس يخشى عواقبه، ايماناً منه ان الملك سيأمر عامله بالقصاص منهما، مما اضطره ذلك ان يلجأ الى الغساسنة ناصحاً - في الوقت نفسه - ابن اخته طرفه، الا يرجع الى ديار قومه حتى لايلاقي المصير الذي أعدّ له، ولكنه يأبى المثول لهذه النصيحة.

وبالفعل تصدق ظنون (المتلمس) - إذ تروي لنا الاخبار - ان طرفة ما ان يصل الى ديار قومه حتى يلاقي حكم القتل به، امام تقاعس قبيلته عن نصرته، وهو في السادسة والعشرين من العمر[٥٧]، ولنا في آخر ما قاله وهو في حبسه ينتظر حكم الموت عليه، دليل على صحة الواقع المؤلم الذي عاشه الشاعر، والنتيجة التي جناها اثر ذلك الفشل الذي لحق به جراء سفارته مع خاله:

اسلمني قومي ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحهْ
كل خليل كنت خاللته لاترك الله له واضحهْ
كُلُّهُمُ اروغ من ثعلب ما اشبه الليلة بالبارحهْ

اما المتلمس الضبعي فقد ظل يعاني من غربته وهو في بلاط الغساسنة حيث لم تشفع له سفارته اليه، في لأم الجرح الذي اصابه في بلاط المناذرة. فما كان منه الا ان يرفع عقيرته حاضاً قومه على ترك ولائها لعمرو بن هند بقوله:-

كونوا كبكر كما كان او لكم ولا تكونوا كعبد القيس اذ قعدوا[٥٩]

ويظل المتلمس وفياً لقومه حتى «هلك ببصرى ولا عقب له»[٦٠].

ومن كل ما تقدم لايعني ان كل شاعر متى ما اوفد - من قبل قومه - بسفارة سيتحقق لها الغرض المنشود، من جهة، ومن جهة اخرى تؤكد لنا نهاية الشاعر طرفة بشكل خاص، وهروب المتلمس الى الغساسنة بصورة عامة، ان القبيلة غير ملزمة بنصرة شاعرها (او احد افرادها) في كل الاحوال. استناداً الى مبدأ «النصرة المتبادلة» المتعارف في النظام القبلي القائم على اصرة النسب. فثمة حوادث تؤكد خروج احد الطرفين عليه، على نحو ما وجدنا في نهاية طرفة المأساوية، على انه لاينبغي لنا ان نظن ان مثل هذه الحوادث ونعني بها التضحية بالفرد وإن كان شاعراً ايثاماً لمصلحة القبيلة، يمكن ان يشكل قاعدة عامة بقدر ما هي في حكم الاستثناء لاغير.

وتجئ سفارة النابغة الذبياني الى بلاطي المناذرة والغساسنة مشابهة لسفارة طرفة والمتلمس من نواحٍ معينة، ومختلفة في جوانب اخر:

فذبيان كما تؤكد المصادر التاريخية كانت تدين بالولاء او الامر لمملكة «كندة»، وبعد انهيار هذه المملكة وافول نجمها على يد المناذرة (كما مر بنا ذلك في معرض حديثنا عن سفارة امرئ القيس ولت وجهها نحو (الحيرة) شأنها شأن بقية القبائل النجدية[٦١] وتأكيداً لهذا الولاء اوفدت شاعرها بسفارة الى مملكة المناذرة، ليعبر عن وجهة نظرها في اقامة علاقات حسن جوار، ويسقط كل تصور يخالف هذا الاتجاه. فيمضي النابغة الذبياني الى ذلك البلاط الذي كان «يموج بالشعراء امثال اوس بن حجر التميمي، والمثقف العبدي، ولبيد بن ربيعة العامري»[٦٢] في عهد النعمان بن المنذر.

ويلاقي النابغة الذبياني فور وصوله اكراماً لم يشهده اي شاعر قبله إذ «سُرَّ النعمان بوفوده عليه، فقربه منه ونادمه، واجزل له في العطايا، حتى اصبح شاعره الفذ»[٦٣]، وكان النابغة بدوره يجزل على ملكه مدائح قل نظيرها في الشعر العربي.

وحسبنا ان نذكر ما رواه ابو الفرج عن تلك الحياة المترفة المنعمة التي كان يحياها النابغة في بلاط النعمان، حيث يقول «وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وابيه وجده، ولايستعمل غير ذلك»[٦٤]، وهو الحال الذي دفع ببعض المقربين من النعمان الى نعته بـ «صاحب النابغة»[٦٥].

بيد ان هذا النعيم وتلك المكانة المرموقة التي احتلها النابغة في قلب ملكه انقلبا رأساً على عقب، وعزى (ابن قتيبة) ذلك التحول في حياة النابغة الى «ان النعمان بُلّغ عنه شيئاً فنذر دمه»[٦٦] مضيفاً الى ذلك قوله «وقد اختلفوا في السبب الذي بلغه عنه فقال قوم ذكروا انه هجاه فقال: «ملك يلاعب».

وهجاه ايضاً فقال قصيدة فيها:

قَبحَ اللهُ ثم ثنّىٰ بلَعْنٍ وارثَ الصائغ الجبان الجهولا

ونقل ابن قتيبة من قال «إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة

وانما قاله على لسان قوم حسدوه».

ثم عرض لنا ابن قتيبة سبباً آخر لتلك الخصومة. ملخصاً اياه بقوله: «ويقال: كان السبب في مغادرته اياه ومصيره الى غسان ان النعمان قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لي في شعرك يا ابا أمامة، فقال قصيدته التي اولها:

«من آل مية رائحٌ او مغتدِ»[٦٧]

واشتملت بقية الابيات على وصف ما جن لزوج النعمان (المتجردة) «فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان «ما يستطيع ان يقول مثل هذا الشعر الا من جرب! فوقر ذلك في نفسه، وبلغ النابغة ذلك، فخافه فهرب الى غسان»[٦٨]، ومن المحدثين من رأى سبباً آخر دعاه الى مغادرة بلاط المناذرة والتوجه الى بلاط الغساسنة، وهو ان الغساسنة «اوقعوا بذبيان واحلافهم من بني اسد وقعة منكرة على اثر تعديهم على وادي اقر الخصيب»[٦٩]، مستنداً في رأيه الى تصريح النابغة بهذا الحادث ضمن قوله:

لقد نهيت بني ذبيان عن أُقُرٍ ... وعن تربُّعِهم في كل أصفار
وقلت ياقومُ إنّ الليثَ منقبضٌ ... على براثنه لوثبةِ الضاري[٧٠]

«ولم يجد النابغة بُداً من ان يسعى الى الغساسنة ويمدحهم، فنزل بعمرو بن الحارث الاصغر الغساني، ومدحه مدحاً رائعاً، كما مدح اخاه، واكبرا سفارته لديهما فعفوا عمن أسراه»[٧١]، ومن اروع ما قال من شعر المديح في الغساسنة قوله:

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب[٧٢]

على ان النابغة لم ينس وهو في قمة النجاح الذي حققه في سفارته لدى بلاط الغساسنة، النتائج غير المحمود عواقبها التي ستتعرض لها قبيلته (ذبيان) اثر غضب النعمان بن المنذر عليه بفعل الحساد اولاً، ومديحه للغساسنة (خصوم المناذرة) ثانياً، فبعث له بقصائد مديح مقترنة باعتذاريات رائعة، هادفاً من ورائها تبرئة ساحته مما وشى به الحساد الى النعمان وتحريضهم عليه، وتهدئة ثورة الغضب التي تملكت الملك النعمان، حتى لا يقدم على عمل يعرض حمى قبيلته للخطر، كما اراد من وراء ذلك المديح والاعتذار كسب ود الملك، والنزول بحضرته مجدداً.

وبالفعل تنجح محاولات النابغة، ويحل الصفاء بينه وبين النعمان بن المنذر إثر تلك الجفوة، فتتنفس - عندئذ - ذبيان الصعداء بعد نجاح سفيرها وشاعرها بمهمتيه وحظوته لدى البلاطين، ولا نبالغ اذا قلنا ان دالية النابغة (المعلقة) كان لها اعمق الاثر في رأب الصدع الذي كان قد وقع بين الشاعر والملك، مع بقية القصائد الاخرى في هذا الاتجاه، ومطلعها:

يادارَميةَ بالعلياء فالسندِ ... اقوتْ وطال عليها سالفُ الابدِ[٧٣]

فبعد اتمامه لوحتي التشبيب والرحلة، يدخل في غرض القصيدة (المديح والاعتذار) ليخاطب النعمان بقول يبدو انه وَقَرَ في نفس النعمان:

ما قلت من سيّءٍ مما أُتيتَ به ... اذن فلا رفعت سوطي اليّ يدي
إلا مقالةَ اقوامٍ شقيت بها ... كانت مقالتهم قَرْعاً على الكبدِ
انبئتُ أنّ ابا قابوسَ او عدني ... ولاقرارَ على زأرٍ من الأسدِ[٧٤]

وكان مديحه له ابلغ مما جاء في اعتذاره حيث يقول:

مهلاً فداءً لك الاقوامُ كلّهمُ ... ومـا أُثمِّرُ من مالٍ ومن وَلَدِ
لاتقذفنّي بُركنٍ لاكِفاءَ له ... وإن تأثّفك الاعداءُ بالرِّفَدِ[٧٥]

خاتماً اياها بقوله:

هاإن ذي عِذْرةٌ الا تكن نفعت ... فـان صاحبها مُشـارِكُ النكدِ[٧٦]

وقد اثارت سفارة النابغة الذبياني جملة من الاعتراضات عليها، والتشكيك في نيات اهدافها، اذ انكر القدامى ان تكون سفارتا النابغة الى بلاطي الغساسنة والمناذرة بدافع حاجة قبلية، كما اثاروا (ظاهرة التكسب) والصقوها بالنابغة بوجه خاص. منهم ابوعمرو بن العلاء الذي سئل عن مدائح واعتذارات النابغة «افمن مخافة النعمان بن المنذر امتدحه النابغة وأتاه بعد هربه ام لغير ذلك؟ فقال: لا، لعمر الله ما لمخافته فعل، إن كان لآمنا من ان يوجه النعمان له جيشاً، وما كانت عشيرته لتسلمه لاول وهله، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره»[٧٧]، وأبدا آبن

رشيق رأي ابي عمرو. حيث يقول: «حتىٰ نشأ النابغة الذبياني، فمدح الملوك وقبل الصِّلة علىٰ الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر، وكان قادراً علىٰ الامتناع منه بمن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك غسان، فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيماً، حتىٰ كان اكله وشربه في صحاف الذهب والفضة واوانيه من عطاء الملوك»[٧٨].

ويبدو ان ابا عمرو وابن رشيق قد وجدا ما يسوغ لهم اطلاق هذا الحكم ضد النابغة، من ذلك: مبالغته في المديح، قلة الاشارات في شعره الى حرب داحس والغبراء وعدم اشتراكه في وقائعها، اعتراف الشاعر نفسه باستلام «المائة المعكاء» وغيرها من العطايا والهبات. واكله في انية الفضة والذهب.

الا اننا نرىٰ خلاف ما ذهب اليه هذان العالمان الفاضلان. فمسألة المبالغة في المديح كانت غير محصورة بالنابغة فحسب، فمعظم الشعراء الجاهليين كانوا يلجأون الى مثل هذه المبالغات، وحسبنا شعر حسان بن ثابت في مديحه للغساسنة على سبيل المثال لا الحصر، اما عدم تطرق النابغة في شعره الى وقائع حرب داحس والغبراء، وعدم اشتراكه فيها، فراجع ذلك الى انشغاله بسفارته التي كان يسعىٰ من خلالها الى تجنب قبيلته غضبة النعمان وهي الحقيقة التي تضمنها قوله:

انبئت أنّ ابا قابوس اوعدني ولا قرار على زأرٍ من الأسد[٧٩]

والدليل علىٰ ذلك ان النابغة لم يتخل عن واجبه بوصفه شاعرا لقبيلة الذائد عن حماها باللسان واليد، فحال عودته من سفارتيه الى ديار قومه بعد «وقعة حسي» التي جرت بين قومه وبني عامر، «سأل بني ذبيان: ما قلتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم؟ فأنشدوه، فقال: افحشتم علىٰ الرجل وهو شريف لايقل له مثل ذلك، ولكني سأقول، ثم قال:

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلاً فإنّ مَظِنَّةَ الجَهلِ السِّبابُ

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقَّ عليه، وقال: ما هجاني احد حتىٰ هجاني النابغة جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيها جاهلاً وتهكم بي»[٨٠].

وحسبنا في هذه الواقعة ان نؤكد التزام النابغة بقبيلته متىٰ ما توافر له الظرف في تحقيق ما ترجوه منه.

وبشأن اعترافه بالهدايا والصلات، بوصفها مكافأة يجنيها علىٰ حسن تصرفه وسلوكه وروائع قصيده، وهو ان يعترف بها، فمعنىٰ ذلك انه انسان يقابل المعروف بالمعروف، ويشهد به، فماذا يملك الشاعر غير بضاعة الشعر، وهل يملك الملك غير «العصافير» يهبها لمن يستحقها؟.

اما قصة انية الفضة والذهب فهي تناسب مقام الملك (في كل زمان ومكان) كما انها تعطي بعداً معنوياً لذلك الملك ومقامه.

ومن هذا كله لانظن ان النابغة الذبياني كان تابعاً اجيراً في حاشية النعمان وغيره من الملوك عندما مدحه واعتذر له بما لحقه من تهم وهو بريئ منها «كبراءة الذئب من دم يوسف»!!.. لاننا نجده يقف بوجه الملك النعمان عندما حدثته نفسه بغزو احلاف قبيلة ذبيان (بني ضنة وبني حن) ويتعرض له بخوفه منعتهم ومنعة ديارهم، لايبالي بالخطر عندما يرسل لهم رسالة يبلغهما فيها نية النعمان وما يضمره من شر نحوهما تلخصها هذه الابيات:

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حُنٍّ ببرقةِ صادرِ
تجنب بني حُنٍّ فإن لقاءهم كريهٌ وإن لم تلق إلا بصابرِ
عِظامُ اللُّهى اولاد عذرة إنهم لها ميمٌ يستلهونها بالحناجرِ[٨١]

فهل بعد هذا كله - كما نظن - يصح ان نوجه اصابع الاتهام الى النابغة ونحكم عليه انه متكسب بالشعر، ونحن نعلم انه كان من اشراف بني ذبيان، ومن ساداتها!!.

واذا كان موقفنا مختلفاً مع علمائنا الافاضل في تقويمهم لشخصية النابغة الذبياني، واتهامه التكسب بالشعر، فاننا لانختلف معهم بشأن هذه الظاهرة التي نعتوا الاعشىٰ بها اذ قال عنه صاحب الاغاني «هو اول من سأل بشعره وانتجع به اقاصي البلاد»[٨٢] وهذه الحقيقة اكدها ايضاً صاحب العمدة حيث يقول «فلما جاء الاعشىٰ جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان. واكثر العلماء يقولون: انه اول من سأل بشعره»[٨٣].

ولعل حكم العلماء هذا علىٰ الاعشىٰ متأت من قرائن لايمكن التشكيك فيها، ابرزها:

اعتراف الاعشى نفسه انه كان (يسفر) الى اقاصي البلاد طمعاً بالمال لاغير وهذا الاعتراف ورد ضمن قوله:

وقد طفت للمال آفاقَهُ عُمانَ فحمصَ فأوريشَلِمْ[٨٤]

كذلك دراسة العلماء سيرة الشاعر التي كانت تشير في

جوانب منها الى ان الناس كانوا يعرفون مقدار شهيته للمال، وما كان يكسبه لممدوحيه (من علو المنزلة)، ولعل قصة (المحلّق) من اوضح الامثلة في هذا الاتجاه وخلاصتها ان «الاعشى كان يوافي سوق عكاظ في كل سنة، وكان المحلّق الكلابي مئناثاً (الذي اعتاد ان يلد الاناث) مُمْلقاً، فقالت له امرأته: يا ابا كلاب، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر فما رأيت أحداً اقتطعه الى نفسه الا واكسبه خيراً»[85].

وانصاع المحلّق لنصيحة زوجه، وسيق اليه فانزله ونحر له، واطعمه. وحين سأل الاعشى عن حاله وعياله، فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الاعشى: كفيت امرهن، واصبح لعكاظ ينشده قصيدته الذائعة الصيت والتي مطلعها:

ارقت ومـا هـذا السـهـاد المؤرق
وما بي من سقم وما بي معشق[86]

ثم تخلص الى مدح المحلق واطرائه في السخاء وكرم اخلاقه والناس يسمعون لاسيما قوله:

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
كما زان متن الهندواني رونقُ

نفى الذَّمَ عن آل المحلّق جفنة
كجابية السَّيْحِ العراقيِّ تفهقُ[87]

فما اتم قصيدته الا والناس ينسلون الى المحلقِ يهنئونه، والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته»[88].

ولعل اشتهاره بخصال مذمومة.. وسعيه الى تحقيق متطلبات هذه الخصال من خلال تكسبه بالشعر، دليل من الادلة التي تؤكد صحة رأي العلماء فيه، وحسبنا في هذه النقطة ان نلمح الى قصته مع قريش عندما هم بملاقاة الرسول (ﷺ) واشهاره الاسلام، وتراجعه من ثم بعد ان بينت له قريش شدة تمسكه بتلك الخلال التي يحرمها الاسلام ويمنعها عنه، واغرائها اياه بالمال[89].

من كل ما تقدم يتبين لنا ان الاعشى كان (سفيراً) لذاته، يمدح من يكرمه ويلبي رغباته، على نحو ما صنع في سفاراته الى «المنذر بن الاسود اللخمي»[90] وقيس بن معد يكرب»[91] وسلامة بن فائش»[92] و«عامر بن الطفيل»[93].

ويهجو من يتقاعس عن تحقيق حاجاته، ولا ينهض بضيافته على احسن وجه، سواء اكان ذلك عن قصد ام عن غير قصد على نحو ما ذاقه (علقمة من علاثة) من مرارة هجاء الاعشى، وهو لايدري ما الذي اغضب الاعشى؟[94].

بيد ان الذي يشفع للاعشى هو ان بروز المنفعة الذاتية في اشعاره التي افرزتها (سفاراته)، لم تحل دون وفاء الشاعر بالتزاماته القبلية، وتعلقه بانتمائه الى قبيلته التي ظلت محببة الى نفسه، وهو يلوذ بها بعد اسفاره، وكأنه يرد على تساؤل خفي عن سر تعلقه، وهذا ما صرح به في بعض اشعاره كقوله:-

ابا مِسْمَعٍ اني امرؤ من قبيلة
انّ لي مجداً موتها وحياتها[95]

كما لم يغفل التعبير عن احساسه القومي - وهو في غمرة رحلاته وتطوافه بلاطات الملوك وديار قبائل العرب - عندما وجد تجاوزات اجنبية على بعض الديار العربية هنا وهناك، ومن ذلك مديحه لـ (قيس بن معد يكرب) وهو يدعو قومه لمواجهة اعتداءات الفرس على الارض العربية ضمن قوله:

وكان دعا رهطه دعوة
هَلُمَّ الى امركم قد صُرِمْ

فموتوا كراماً باسيافكم
وَلَلْمَوْتُ يجشَمُهُ من جَشِمْ[96]

اما دوره في يوم «ذي قار» فهو لايحتاج الى اعادة، لان اشعاره في ذلك اليوم لاتخفى على كل ذي اطلاع على تاريخ الشعر العربي - قبل الاسلام - من انها كان لها اثرها في جمع كلمة العرب، والانتصار على الفرس المعتدين.

ومن هنا تبدو حياة الاعشى صورة نادرة من صور الموازنة القائمة بين طلب الغنى والتمسك بالانتماء القبلي والقومي.

واذا كان الاعشى بين هذا التأرجح المتوازن فثمة شاعر هو «لقيط بن يعمر الايادي»[97] ضحى بنفسه وبكل ما يتمتع به من جاه ومقام رفيع في سبيل قومه، وفاء لهم بعد تيقنه انهم وضعوا فيه ثقتهم، وولوه امرهم في تلك السفارة التي كانت وجهتها (بلاط الحيرة)، والمستفاد من المظان ان إياداً سكنت باديّ الامر في سروات تهامة[98]، لكنها تركت منازلها في منتصف القرن الثالث الميلادي، واتجهت طوائف وجماعات صوب الشمال، «فنزلوا السَّواد، وغلبوا على ما بين البحرين الى سنداد والخورنق»[99]، غير ان تحركات هذه القبيلة اثارت قلق الفرس، وتوجساتهم، لئلا تحد من اطماعهم في ارض العراق، مما الجأهم الى الدخول بمعركة مع الاياديين في موقعة كانت نتيجتها ان

هزمت إياد الفرس شر هزيمة، كثرت فيها الجماجم، حتى سميت بـ «دير الجماجم»(١٠٠) ففاظت هذه الهزيمة كسرى «فوجه اليهم بعد ذلك ستين الفاً في السلاح»(١٠١)، ويبدو ان لقيطاً عندما احس بأن محاولاته في ثني كسرى عن مهاجمة قومه، ذهبت ادراج الرياح عزم ان يقف وقفته المشهورة و «كان لقيط مختلفاً في الحيرة»(١٠٢).

وقيل: بل كان ينوي الكتابة في ديوان كسرى(١٠٣)، فراسل قومه منذراً اياهم بنيات كسرى واطماعه فيهم، ضمن اربعة ابيات شعرية مطلعها:ـ

سلام في الصحيفة من لقيط
الى من بالجزيرة من اياد(١٠٤)

وعندما شعر (لقيط) ان هذا الانذار الوجيز لم يأخذه قومه على محمل الجد، كتب لهم رسالة اخرى، تضمنتها قصيدته العينية التي استغرقت (اربعة وخمسين بيتاً) ومطلعها:

يادار عبلة من مُحتَلِّها الجرعا
هاجت لي الهم والاحزان والوجعا(١٠٥)

وفي بقية ابياتها ما تلهب الحماس، وتذكي الحمية، ويحمي وجدانهم من التأثر بعدة وعدد جيش الفرس، حاضا لهم على الوحدة والتماسك وما الى ذلك من معانٍ نحسّ في ثناياها الاحساس الصادق، والعاطفة الفياضة، نحو قومه من ان يصيبهم ضيم او هلكة، وهذا مانتأمله في بعض ابياته:

أبلغ إياداً وخلّل في سراتهم — اني ارى الرأي ان لم اعص قد نصعا
يالهف نفسي ان كانت اموركم — شتى واحكم امر الناس فاجتمعا
فاشفوا غليلي برأي منكم حسن — يضحي فؤادي له ريان قد نقعا
صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم — وجددوا للقسي النبل والشرّعا
ياقومُ ان لكم من عزّ اولكم — ارثا قد اشفقت ان يودي فينقطعا
ياقوم لاتأمنوا ان كنتم غُيُراً — على نسائكم كسرى وما جمعا
قوموا قياماً على امشاط أرجلكم — ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا(١٠٦)
فقلدوا امركم لله دركم — رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

وعندما وقعت رسالة لقيط (القصيدة المعنية) بيد كسرى عمد الى «قطع لسانه»(١٠٧) لانه وجده الصوت الذي حرك عصب الشهامة والحس على ما سيؤول اليه امرهم ان ظفر بهم كسرى، ثم ما لبث ان امر «بقتله»(١٠٨) بعد ان وجد فيه نواة قوة عربية تهدد اطماع الفرس في بلاد العرب.

وهكذا دفع لقيط حياته ثمناً من اجل شرف قبيلته وعزتها.

وهو موقف من اجل عموم القبائل العربية، والقيمة المهمة لمثل هذه الظواهر ان قيمة الشعر لايمكن تجردها من اثر العوامل الاجتماعية وحصرها في نطاق الموهبة الشعرية حسب.

وقد يستشف مما قدمناه ان القبائل تجيز لشعرائها ان يقوموا بمهام السفارة لوحدهم الى بلاطات الملوك، او الى اية جهة تقتضي الحاجة اليهم، ايماناً منها بقدرة شعرائها على التعبير عن وجهة نظرها، وتحقيقهم ما ترجوه من آمال، ولكن معطيات الواقع تشير الى ان ذلك لم يكن قاعدة مطردة، اذ نجد طائفة من القبائل ـ كما تروي المصادر ـ تضم مع «السفر» شعراءها في توجههم الى هذا الملك او ذاك، على نحو ما فعلته بكر وتغلب عندما اصطحبت شاعريها الكبيرين (الحارث بن حلزة) و (عمرو ابن كلثوم) في سفارتها الى عمرو بن هند (ملك المناذرة).

وخلاصة تفاصيل سفارة تلك القبيلتين «ان عمرو بن هند لما ملك، وكان جباراً عظيم السلطان، جمع بكراً وتغلب فاصلح بينهم، واخذ من الحيين رهناً: من كل حي مائة غلام، فكف بعضهم عن بعض، وكان اولئك الرُّهُنُ يكونون معه في مسيره، ويغزون معه، فاصابتهم سموم في بعض مسيرهم، فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر بن وائل:ـ اعطونا رايات ابنائنا، فإن ذلك لازم لكم، فأبت ذلك بكر»(١٠٩).

واثر ذلك اختصموا الى عمرو بن هند لحسم ما وقع بينها من خلاف في هذا الشأن بحضور شاعريها اللذين قاما بالنيابة عنها.

وتنقل الينا الاخبار ان الملك بدا منه التحيز اول الامر لبني تغلب بعد سماعه قصيدة شاعرهم (عمرو بن كلثوم) التي فخر فيها لتغلب على بكر، وهي التي اولها.

«الا هبي بصحنك فاصبحينا»

وبعد مساجلة بين الملك والنعمان بن ثعلبة اليشكري (رئيس وفد بكر) الذي اغاظه تحيز الملك لبني تغلب، وغضب الملك على رد النعمان الجارح، عن سؤال وجهه اليه، حتى همّ بالنعمان، لولا ان قام شاعر بكر (الحارث بن حلزة) فارتجل مطولته (المعلقة) المشهورة، ارتجالاً، وتوكأ على قوسه، فزعموا انه انتظم بها كفه، وهو لايشعر من الغضب، ومطلعها:

آذنتنا ببينها اسماء   رب ثاوٍ يمل منه الثواء[١١٠]

«وكان الحارث ابرص، وكان الملك لايملأ عينه من رجل به بلاءٌ، فانشده من وراء الستر، فلما سمعها استخفه الطرب، وحمله السرور على ان يرفع الحجاب، ثم اقعده على طعامه، وصيّره من سُماره»[١١١].

وما من شك ان استمالة عمرو بن هند الى جانب قبيلة الحارث لايأتي الا من امتلك قدرة فائقة في اساليب الكلام وموهبة شعرية متميزة دحضت ما اتهمتهم به تغلب وانكرت ان تؤخذ بذنب غيرها، وهذا ما نتأمله في قوله:

أنّ اخواننا الاراقم يغلو   ن علينا في قيلهم إحفاءُ
يخلطون البريء منا بذي الذنـ   ـب ولا ينفعُ الخليّ الخلاءُ
زعموا ان كُلّ من ضرب العَيـ   ـير موالٍ لنا وأنّا الولاءُ[١١٢]

كما لم يغفل الحارث عن ذكر ولاء بني بكر وصلة النسب التي تربطهم بهؤلاء الملوك مما كان له اثره في الخيار الملك لصفهم، والانتصار لهم. حيث يقول:

وولدنا عمرو بن امّ أناس   من قريب لما اتانا الحباءُ
مثلُها يُخرج النصيحة للقو   م فلاةً من دونها افلاءُ[١١٣]

فضلاً عن ايراده شواهد وادله بينت صواب موقفهم، وقوة حجتهم، ومن هذا كله يتأكد لنا ان وجود الشاعر في سفارة مع قومه او بمفرده لايعني تحقيقه النجاح في مهمته في كل الاحوال، لان هناك من ينافسه في مثل هذه المهمات فعليه ان يحتاط الامر ويهيء مستلزماته، وان يقنع متلقيه بالحجة والتاريخ والمنطق ان اراد الظفر بسفارته ـ على نحو ما صنع الحارث ـ.

إذ أن أي تقصير سيؤدي الى ما ادت اليه قصيدة عمرو بن كلثوم شاعر تغلب، الذي قصرها على الفخر والمباهاة والمبالغة المفرطة، مما كلفه اخفاق مسعى قبيلته عند ملك المناذرة.

مما يعني لنا ان اي فشل يلحق بمهمة الشاعر، ستجني قبيلته نتائجه لاحقاً، وهي حقيقة اكدها الجاحظ حين كشف لنا عن مضمون ذلك (العقد الاجتماعي) بين القبيلة وافرادها بقوله:

«والعرب اذا وجدت رجلاً من القبيلة قد اتى قبيحاً الزمت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل، وإن لم يكن ذلك الا بواحد منها»[١١٤].

وهذا ما نتج عن سفارة بكر وتغلب بالفعل، فالاولى نعمت ردحاً من الزمن برضا ملك المناذرة، والاخرى عاشت خلاف ذلك، فضلاً عما حصل من تطورات ادت الى قتل عمرو بن هند على يد الشاعر عمرو بن كلثوم في قصة معروفة[١١٥].

ويبدو ان حرص القبائل على ضم شعرائها مع افراد وفودها كان تقليداً متعارفاً عليه، اذ تنقل الينا الاخبار عن اصطحاب بني عامر شاعرهم لبيد بن ربيعة «وهو غلام مراهق»[١١٦] في سفارتهم الى بلاط النعمان بن المنذر، غايتها قضاء حاجة لهم عنده، وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده، ويتقدم على من سواه، وهو «من البرصان السادة، والفرسان القادة»[١١٧]. وقيل عنه ايضاً انه «كان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لايسلم منه احد ممن يفد على النعمان»[١١٨]، وعندما ذكر العامريون حاجتهم للنعمان اعترض الربيع في كلامهم، فما كان منهم الا ان يأذنوا لشاعرهم بهجائه، وقالوا له «انت والله صاحبه، وعمدوا اليه فحلقوا رأسه، وتركوا له ذؤابته، والبسوه حلة»[١١٩]، «وكانوا قبل ذلك قد بلوه بشتم تلك البقلة، وبعد ليلة قضاها (لبيد) ساهراً، وقد ركب رحلاً وهو يكدم وسطه حتى اصبح»[١٢٠]، وليقول في الربيع بن زياد ارجوزة (مرتجلة) من عدة ابيات على مسامع النعمان «وقد وضع الطعام بين يديه، وتقدم الربيع ليأكل معه على عادته»[١٢١] مطلعها:

يارُبَّ هيجاهي خير من دَعَه
مهلاً ابيت اللعن لاتأكل معه[١٢٢]

عند ذاك يفلح شاعر العامريين في تنفير النعمان من مجالسة الربيع بن زياد واقصائه عنه، وتقريبه قومه اليه، بعد ازوراره عنهم اول الامر، حتى ان الربيع ما ان شعر بعزوف الملك عنه، اراد الاعتذار الا ان النعمان بن المنذر بادره بالقول:ـ

قد قيل ما قيل إنْ حقا وإن كذبا
فما اعتذارك من قول اذا قيلا[١٢٣]

اما النتيجة المهمة التي تخرج بها من تفاصيل سفارة لبيد مع افراد قومه الى بلاط الحيرة، هي ان فن الهجاء كان له دوره الفاعل في مثل هذه المواقف الحرجة، اذ اتخذه الشعراء ـ دون

استثناء - صوتاً يهول على خصومهم، ويقطع دابر من يروم التطاول على حقوقهم، او الاستهانة باشرافهم وساداتهم.

ولذلك لم تبالغ العرب عندما قالت «طعن اللسان انفذ من طعن السنان»[124]، لان خشيتها من الهجاء متأتيه من ان يبقى ذكر ذلك في الاعقاب، اذ كان يكفي الشاعر ان يهدد بالهجاء ليرد له حق من حقوقه.

وعلى هذا الاساس لم يكن غرض الهجاء يتخذ دائماً مجرى الرد السريع، او التعبير عن الغضب المتدفق، وانما كان يصدر عن اناة وتدبر»[125] ليفعل فعله المطلوب في المهجوين.

وهكذا نخلص الى حقيقة اهمية الشاعر في العلاقات الاجتماعية القائمة اساساً على المنفعة القبلية، مما استحق ان يطلق عليه لقب «ضابط العلاقات العامة»[126] لاسيما انه اكثر جماعته وعياً، واقدرهم على التأثير في نفوس متلقيه «مثله في ذلك مثل شيخ القبيلة او فارسها، او كاهنها، او خطيبها، او حكيمها، فهؤلاء جميعاً انتدبوا لتمثيل القبيلة كلاً من موقعه»[127]. وربما اجتمع في الشاعر الواحد بعض هذه الصفات في آن، بيد ان (السفارة) ظلت اكثر تلاؤماً للشاعر من غيره، للاسباب التي عرضناها في مقدمة هذه الدراسة، كما ظهر لنا اثر اولئك الشعراء الذين - من خلال سفارتهم اسهموا في تأصيل كثير من القيم الاخلاقية والاجتماعية، وفي التمكين من خلق شعور قومي، وقد ذهب كثير من هؤلاء الشعراء ضحايا هذا النضال، فقتل طرفه ابن العبد وعاش المتلمس طريداً، وكذلك غير اولئك من الشعراء ممن غادروا الحيرة في سبيل هذه الغاية او سبيل غيرها»[128]، وهم كثيرون، ولكن عذرنا بعدم متابعة اخبارهم، ورصد نتاجهم الشعري، هو ضآلة الاخبار التي امدتنا بها المصادر عنهم، او الاشارات العابرة التي لاتعين الباحث على تكوين صورة واضحة المعالم عن سفارة هذا الشاعر او ذاك.

فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر ابن قتيبة في معرض تناوله سيرة حسان وشعره اشارة عابرة عن سفارته بقوله «وكان حسان يفد على ملوك غسان بالشام، وكان يمدحهم»[129]، ومثل هذا يقال في النابغة الجعدي[130] والاسود بن يعفر[131] والمثقب العبدي[132].

على اننا لاندعي في الوقت نفسه اننا استطعنا الاحاطة بشكل شمولي وواسع لمثل هذا النوع من الشعراء، فحسبنا ان تكون هذه الدراسة قد فسحت المجال لمن يتصدى للنصوص الشعرية (شرحاً وتحليلاً)، او يكمل ما يجده من نواقص فيها غفل عنها - صاحب الدراسة - دون قصد منه، وبذلك يقدم لنا خدمة جليلة للعلم والباحثين على السواء..

الهوامش والمصادر

(١) ينظر: معجم ما استعجم للبكري تح: مصطفى السقا، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٥، ١/٥ وما بعدها.

صفة جزيرة العرب، الهمداني، تح: محمد بن علي الاكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٤، ص ٥٨.

نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي، تح: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٨ ص١٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم. للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٧، ٣/١٥٥.

محاضرات في تاريخ العرب: د. صالح احمد العلي، مطابع جامعة الموصل ١٩٨١، ٥٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: دراسات في تاريخ العرب (الجزء الاول) د. السيد عبدالعزيز سالم، دار المعارف بمصر ١٩٦٨، ١/٢٧٤، ٣٠٣، ٤٠١.

(٤) المفصل في تاريخ العرب ٢/٦٢٦ وما بعدها.

(٥) كتاب الزينة في الكلمات العربية الاسلامية / لابي حاتم الرازي تح: حسين بن فيض الله الهمداني، مطابع دار الكتاب العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧، ١/٩٢.

(٦) خاص الخاص للثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦، ٧٦.

(٧) قيم جديدة للادب العربي - القديم والمعاصر، د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧٠: ٣٢.

(٨) العين للفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤، (سفر): ٧/٢٤٦.

(٩) شعر عمرو بن أحمر الباهلي تح: د. حسين عطوان، دار الحياة، دمشق، د. ت، ٨٦.

(١٠) الصحاح للجوهري تح: احمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، ط٢ بيروت، ١٩٧٩، (سفر).

(١١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ١٩٥٦، (سفر).

(١٢) شرح ديوان حسان بن ثابت، تح: عبدالرحمن البرقوقي، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٠، ١١٢.

(١٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مطبعة السعادة، مصر، د.ت (سفر).

(١٤) محيط المحيط (سفر).

(١٥) العين (سفر) ٧/ ٢٤٧.

(١٦) جمهرة اللغة لابن دريد، دار صادر، بيروت، ١٣٤٤هـ، (ر. س. ف).

(١٧) القاموس المحيط (سفر).

(١٨) اللسان (المادة نفسها).

(١٩) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ـ القاهرة، ط٣، ١٩٨٥، ١/ ٤٤٩.

(٢٠) جمهرة اللغة (ر. س. ف).

(٢١) ديوان العجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق، بيروت، ١٩٧١، ٢٢٤.

(٢٢) اللسان (سَفَرَ).

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) ينظر: دراسات في تاريخ العرب، ج١/ ص٤١٣، والعصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ٤٨.

(٢٥) ملوك كندة من بني آكل المرار: جونار اولندر، ترجمة د. عبدالجبار المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٤٧.

(٢٧) تنظر: تفاصيل سفارات امرئ القيس ومارافقها من احداث في كتاب الاغاني للاصفهاني طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٨: ٩/ ٩٥ وما بعدها.

(٢٨) تنظر تفاصيلها في الاغاني: ٩/ ٩٩.

(٢٩) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ٢٤٨.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢٥٨.

(٣١) ديوانه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٥٨، ق٢٤، ص١٤٠ـ١٤١. وتنظر مدائحه في. (٣٢) اخرين: ق١٢٥ ص١٤٣، ق٨٦، ض٣٤٤، ق٣٥/ ص١٩٧.

(٣٢) تنظر قصائد الديوان: ق١٩/ ص١٣٠، ق٤٥/ ص٢١٠، ق٥٥/ ص٢٥٦.

(٣٣) ديوانه: ق٦٤/ ص٢٧٧.

(٣٧) المصدر نفسه: ت٣٧/ ص٢٠٠، شنينا: الصب.

(٣٥) المصدر نفسه: ق١١/ ص٩٩ـ١٠٠.

(٣٦) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تح: محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤ ١/ ١٣٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة تح: احمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٨٢: ١/ ٢١٨.

(٣٧) العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني تح: محمد محيي الدين عبدالحميد دار الجيل ط٤، بيروت ١٩٧٢: ١/ ٥٧.

(٣٨) مطلع القصيدتين الاخريين اللتين اشار اليهما ابن سلام هما:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ... ولم يك حقا كل هذا التجنب

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... ام حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

ينظر طبقات فحول الشعراء: ١/ ١٣٩.

(٣٩) ينظر الحيوان للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٠: ٢/ ٢٠، الشعر والشعراء: ١/ ٧٤ـ٧٥، تاريخ الادب العربي قبل الاسلام. الدكتور نوري القيسي وزميليه، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ١٤٠ـ١٤٣.

(٤٠) ديوان علقمة الفحل. تحقيق لطفي الصقال، ودريه الخطيب، دار الكتاب العربي ط١، حلب ١٩٦٩، ٣٩ـ٤٠. الكلكل: الصدر، القصريين: ـ ضلعان قصيران تليان الخاصرتين، الوجيب، الاضطراب لشدة السير ـ الوجيف: سير سريع، المشتبهات: طرف يشبه بعضها بعضاً. اصواء المتان: المكان المرتفع الصلب المستوي، العلوب: الآثار.

(٤١) ديوان علقمة الفحل: ٤٨. الذَّنُوبُ: الدلو.

(٤٢) الشعر والشعراء: ١/ ٢٢٢.

(٤٣) ديوان علقمة الفحل (٤٨).

(٤٤) العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محي الدين عبدالحميد: ١/ ٥٧.

(٤٥) المسائل والاجوبة في الحديث واللغة (ط مصر ـ١٣٤٩) ص٨.

(٤٦) الممتع في علم الشعر وعمله للنهشلي. تحقيق منجي الكعبي. تونس، ١٩٧٧، ٢٥.

(٤٧) العمدة في محاسن الشعر: ١/ ٦٥.

(٤٩) كتاب اسماء من قتل من الشعراء (ضمن كتاب نوادر المخطوطات ـ المجموعة السادسة) تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر. القاهرة ١٩٥٤، ٢١٣.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢١٢.

(٥١) الشعر والشعراء: ١/ ١٨١.

(٥٢) المصدر نفسه: ١/ ١٧٩، ١٨١.

(٥٣) كتاب اسماء من قتل من الشعراء: ٢١٢.

(٥٤) المصدر نفسه: ٢١٣.

(٥٥) ينظر تفاصيلها في مجمع الامثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد دار القلم بيروت، د. ت: ١/ ٣٩٩ـ٤٠١.

(٥٧) هذا ما اكدته الخرنق اخت الشاعر طرفة بقولها:

عددنا لـه ستاً وعشرين حجـة ... فلما تـوفاها استـوى سيـداً ضخماً

اشعار النساء، للمرزباني. تحقيق د. سامي مكي العاني، وهلال ناجي. دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ١٧٠.

(٥٨) ديوان طرفة بن العبد. تحقيق كرم البستاني، المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت، د. ت، ١٥.

(٥٩) ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي. الشركة المصرية،

القاهرة، ١٩٧٠، ٢٠٤ .

(٦٠) الشعر والشعراء: ١٨٢/١ .

(٦١) ينظر ملوك كندة من بني اكل المرار، جونار اولندر، ترجمة د. عبدالجبار المطلبي ٧٠ وما بعدها: والجاهلية للدكتور يحيى الجبوري: ٥٥.

(٦٢) تاريخ الادب العربي ـ العصر الجاهلي ـ د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١٠، ١٩٦٠، ٢٦٩ .

(٦٣) المصدر نفسه: ٢٦٩ .

(٦٤) الاغاني (ط دار الكتب): ٢٩/١١، العمدة في محاسن الشعر ٨٠/١.

(٦٥) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، حمزة الاصفهاني، دار مكتبة الحياة، ط٣، بيروت، ١٩٦١، ٦٥ .

(٦٦) الشعر والشعراء: ١٦٥/١ .

(٦٧) المصدر نفسه: ١٦٦/١ .

(٦٨) المصدر نفسه: ١٦٦/١ .

(٦٩) تاريخ الادب العربي ـ العصر الجاهلي: ٢٧١ .

(٧٠) ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٧، ٧٥ .

(٧١) تاريخ الادب العربي ـ العصر الجاهلي: ٢٧١ .

(٧٢) ديوان النابغة الذبياني: ٤٢ .

(٧٣) المصدر نفسه ص١٤ .

(٧٤) المصدر نفسه: ص٢٥-٢٦ .

(٧٥) المصدر نفسه: ص٢٦ .

(٧٦) المصدر نفسه ص٢٨ .

(٧٧) الاغاني: ٢٩/١١ .

(٧٨) العمدة في محاسن الشعر: ٨٠/١ .

(٧٩) ديوان النابغة الذبياني ص٢٥ .

(٨٠) العمدة في محاسن الشعر: ١٧١/٢، في ديوان الشاعر (فان مظنة الجهل الشباب) ١٠٩ .

(٨١) ديوان النابغة الذبياني: ٩٨ . اللها: جمع لهوه من المال، واللهاميم: جمع لهموم وهو العظيم الخُلُق الواسع الصدر، يستلهونها: يبتلعونها .

(٨٢) الاغاني (ط دار الكتب): ١٠٩/١١ .

(٨٣) العمدة في محاسن الشعر: ٨١/١ .

(٨٤) ديوان الاعشى، تحقيق محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، ١٩٥٠، ق٤/ص٤١ .

(٨٥) الاغاني ط دار الكتب: ١٠٩/١١ .

(٨٦) ينظر العمدة في محاسن الشعر: ٤٩/١، والقصيدة في ديوان الشاعر: ق٣٣/ ص٢١٧-٢٢٥ .

(٨٧) ديوان الاعشى: ص٢٢٥ .

(٨٨) العمدة في محاسن الشعر: ٤٩/١ .

(٨٩) تنظر تفاصيل هذه القصة وما جرى فيها من حوار في الاغاني: ١٢٦/١١ .

(٩٠) ديوان الاعشى: ق١/ص٣ .

(٩١) المصدر نفسه ق٢/ص١٥، ق٣/ ص٢٧، ق٤/ ص٣٥ .

(٩٢) المصدر نفسه: ق٨/ ص٦٩، ق٣٥/ ص٢٣٣ .

(٩٣) المصدر نفسه: ق١٨/ ص١٣٩ .

(٩٤) تنظر تفاصيل قصة لقاء الاعشى بعلقمة، واسباب هجائه له في الاغاني: ١٢٠/١١-١٢١ .

(٩٥) ديوان الاعشى: ق١٠/ص٨٥ .

(٩٦) المصدر نفسه: ق٤/ص٤٣ .

(٩٧) تنظر ترجمته في الشعر والشعراء: ١٩٩/١-٢٠١، الأغاني: ١١/٢٠ وما بعدها .

(٩٨) ينظر معجم ما استعجم: ١٨/١ وما بعدها .

(٩٩) الشعر والشعراء: ١٩٩/١ .

(١٠٠) ينظر معجم البلدان (دير) ياقوت الحموي: ٥٠٣/٢-٥٠٤ .

(١٠١) الشعر والشعراء: ١٩٩/١ .

(١٠٢) المصدر نفسه: ١٩٩/١ .

(١٠٣) ينظر ديوان لقيط بن يعمر الايادي، تح: خليل العطية، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠، ٩ .

(١٠٤) المصدر نفسه: ق ٢٨/١ .

(١٠٥) المصدر نفسه: ق٢/ ص٣٠ .

(١٠٦) المصدر نفسه ق٢/٣٤-٤١ . الشرع: واحدها الشرع . وهو الوتر .

(١٠٧) مختارات شعراء العرب لابن الشجري، طبعة قديمة دون ذكر جهة الطبع وتاريخها: ٢ .

(١٠٨) معجم ما استعجم: ٧٥/١ .

(١٠٩) شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة: ٣٦٨-٣٦٩ .

(١١٠) المصدر نفسه: ٣٦٩-٣٧٠ .

(١١١) كتاب البرصان والعرجان، تحقيق عبدالسلام هارون: دار الطليعة، بيروت، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ٣٥ .

(١١٢) شرح القصائد العشر: ٣٧٨-٣٧٩ .

(١١٣) المصدر نفسه: ٤١٥ .

(١١٤) البخلاء، تحقيق طه الحاجري، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٦٣، ٢٣٤ .

(١١٥) تنظر تفاصيل تلك القصة في الشعر والشعراء: ٢٣٤/١، ٢٣٥ .

(١١٦) العمدة في محاسن الشعر: ٥١/١ .

(١١٧) البرصان والعرجان: ٧٩ .

(١١٨) العمدة في محاسن الشعر: ٥١/١ .

(١١٩) كان الشاعر اذا اراد الهجاء عمد الى هذا الزي الغريب غير المألوف، تنظر امالي المرتضى تح : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية : ١/ ١٨٩ .

(١٢٠) الاغاني (ط دار الكتب) ١٥/ ٣٦٣ وما بعدها .

(١٢١) العمدة في محاسن الشعر : ١٠/ ٥١ .

(١٢٢) ينظر :ـ البرصان والعرجان : ٨٠، والعمدة في محاسن الشعر : ١/ ٥١، والارجوزة (كاملة) في شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح : د. احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢، ٣٤٠-٣٤٣ .

(١٢٣) البرصان والعرجان : ٨٠ .

(١٢٤) المستقصى في امثال العرب؛ للزمخشري، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن، ط١، ١٩٦٢ : ٢/ ١٥١ .

(١٢٥) شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين : د. محمود الجادر، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٩، ٤٣٣ .

(١١٦) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠، ٢٣١ .

(١٢٧) القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام ـ احمد اسماعيل النعيمي رسالة ماجستير، المستنصرية /١٩٨٥ : ١٦٨ .

(١٢٨) تاريخ الشعر العربي حتى اواخر القرن الثالث الهجري. نجيب البهبيتي، مطبعة السنة المحمدية ط٢، القاهرة ١٩٦١، ٣٢ .

(١٢٩) الشعر والشعراء : ١/ ٣٠٥

(١٣٠) المصدر نفسه : ١/ ٢٩٠ .

(١٣١) ينظر الاغاني : ١٨/ ٦٧ .

(١٣٢) تنظر المفضليات للمفضل الضبي تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤. ق٢٨/ ص١٤٩ .

* * *

اعلام نساء الاندلس
مستلة من كتاب التكملة لابن الابار
(ت ٦٥٨هـ)

دراسة وتحقيق

د. منجد مصطفى بهجت

كلية الاداب ـ جامعة الموصل

تمهيد:

تعتمد هذه الدراسة على نص خطي لنسخة مخطوطة لم يسبق نشرها، من كتاب التكملة لكتاب الصلة لابي عبدالله بن الابار البلنسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ العالم الاديب، الذي يعد كتابه من أهم كتب تراجم الأندلس ولم يقدر لهذا الكتاب أن ينشر محققاً تحقيقاً علمياً الى يومنا هذا، وقد نشرت أجزاء متفرقة من الكتاب في اوقات مختلفة[1].

ولدى مراجعة هذه الطبعات لاحظنا أنها غير كاملة وان النسخة المخطوطة[2] تتضمن تراجم لم ترد في تلك النسخ، وقد جرت عادة الأندلسيين في كتب تراجمهم أن يجعلوا القسم الأخير منها خاصاً بالنساء ولدى الموازنة بين تراجم النساء في النسخ المطبوعة والنسخة المخطوطة لاحظنا أنها تختلف عنها من حيث عدد التراجم، والمعلومات التي وردت فيها، فقد تضمنت المخطوطة تراجم سبع وخمسين امرأة اندلسية بينما تضمنت طبعة ألاركون أربعاً وأربعين ترجمة[3]، اما طبعة (كوديرا) فلم تتضمن سوى سبع عشرة ترجمة[4].

ويبدو أن هذا القسم هو جزء منتقى أختير من الكتاب أو أنه مختصر لما جاء في المخطوطة ومما يدلنا على ذلك، عبارة جعلها المؤلف آخر الكتاب «انتهى المستملح من كتاب التكملة والحمد لله وحده» وقد لوحظ أن المعلومات التي وردت في طبعة كوديرا ليست مطابقة لما جاء في المخطوط، وتتضمن تراجم أحدى عشرة امرأة جاءت في المخطوطة: وأما التراجم الست[5] التي لم ترد في المخطوط، فقد وجدنا من المناسب إضافتها للتراجم الموجودة، كذلك وجدنا من المناسب ونحن بصدد إستكمال نسخة من تراجم النساء من هذا الكتاب، إضافة خمس[6] تراجم وردت في نسخة خطية في المكتبة الكتانية أشار اليها الدكتور محمد بن شريفة في تحقيقه للقسم الثامن من: كتاب الذيل والتكملة[7]، وبذلك يجتمع لدينا من الرجوع الى اصول الكتاب عدد كبير من تراجم النساء الأندلسيات لم يجتمع في اي مصدر آخر هو ثمان وستون ترجمة، تكررت ترجمة إحداهن، نقدم هذه الدراسة الموجزة بين يدي هذا المجموع.

لانستطيع أن نسجل منهجاً واضحاً للمؤلف في طريقة تناوله

هذه التراجم، كما لا يتضح منهجه في تسلسل عرض هذه التراجم، إذ لم يأخذ بحروف الهجاء في ترتيب أعلام النساء كما فعل في تراجم الرجال الى حد ما، ولاتدل المعلومات التي يوردها عن كل ترجمة على منهج معين، بقدر ما تدل على رغبة في جمع ما توفر لديه من معلومات عن أعلام النساء، على اختلاف طبقاتهن، وثقافتهن ونشاطاتهن، إذ لاتتضمن بعض التراجم قيمة علمية تتعلق بالمترجم لها، بقدر ما تشير الى وجه غريب او مفارقة في حياتها.

ويلاحظ أن سمة الإيجاز تصل الى حد أنْ يكتفي لترجمة بعضهن بأقلّ من سطر[8]، ولاتتجاوز أطول ترجمة عشرين سطراً، ولكن هذه التراجم تبقى على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها تفيد دارسي التاريخ والأدب الأندلسيين بمضامينها التي تسلط الضوء على الحياة السياسية من ناحية، والحياة الاجتماعية من ناحية ثانية، والحياة الثقافية والأدبية من ناحية ثالثة، وهذه المعلومات ضرورية للباحث المتخصص وقد لانجدها في كتب التاريخ العام أو في كتب الادب الأندلسي العامة.

إن الوقوف على هذا العدد الكبير من أعلام النساء يوضح دور المرأة في الحياة اليومية، ونشاطاتها المتعددة، وهو يؤكد الصّورة التي عكستها مؤلفات أندلسية في هذا المجال، ومنها كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف وقد قدمت دراسات كثيرة حول تصوير الكتاب لنشاطات المرأة الأندلسية[9]، فقد برزت المرأة مربية، ومدرسة، لأبناء الطبقة العليا، بحيث تربى ابن حزم نفسه على يديها، حفظ القرآن وأجاد الخط، وتذوق الشعر، «ومنهن كانت الطبيبة، والحَجامة، والسّراقة، والدّلالة، والماشطة، والنّائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة، والصّناع في الغزل والنسيج»[10].

ويلاحظ أن البحوث الحديثة تركّزت على دراسة عدد من أعلام النساء مثل ولادة بنت المستكفي التي اقترن اسمها بابن زيدون[11]، او دراسة حفصة الركونية التي اقترن اسمها بابن سعيد[12]، والأخيرة كانت تمثل ظاهرة[13].

وتتجلى قيمة النص الجديد الذي بين أيدينا، في أنه يتناول بالتعريف بعدد من نساء الأندلس المغمورات، ويبين أوجهاً جديدة من نشاطات المرأة الأندلسية ستتبين لنا في الدراسة، وفي بعض هذه الأوجه شئ من الطّرافة لانجد لها نظيراً في الحضارة المشرقية.

ومما يجعلنا نعنى بهذا النّص، قلّة عناية كتب التراجم الأندلسية بتراجم النساء، اذ لم يترجم بعضها لاكثر من ثلاث نساء، وبقي الرقم ضئيلا حتى في كتب التراجم الواسعة المشرقية او الاندلسية بحيث لم يتجاوز عدد تراجم النساء في كتاب وفيات الاعيان ست نساء، بما يؤلف ٠,٧٪ من مجموع تراجم الكتاب التي بلغت (٨٥٠) ترجمة، وكان عددهن في كتاب نفح الطيب، وهو أوسع موسوعة تاريخية أدبية عن الأندلس - أربعاً وعشرين امرأة، نستثني من كتب التراجم كتاب الذيل والتكملة الذي ترجم لـ خمس وخمسين امرأة[14].

ومن أوجه أهمية هذا النص أنّ ابن الأبار اعتمد في ايراد المعلومات على مصادر أكثرها مفقود وفي مقدمتها مجموع لأبي داود سليمان بن نجاح المقري (ت ٤٩٦هـ) في النساء، اعتمد عليه في مواضع كثيرة[15]. كذلك اعتمد على تاريخ ابن حيان الكبير[16]، واعتمد على الرازي[17] المؤرخ، وابن سالم[18] والسالمي[19]، وابن فرتون[20]، وابن سعيد[21]، وابي عامر بن مسلمة[22].

ومثل هذا التنوع في مصادر الكتاب جعل تراجم النساء متنوعة الى حد بعيد، حيث اجتمعت على عصور الأندلس بدأً بالقرن الثاني الهجري وانتهاءاً بالقرن السابع، وأكبر نسبة من هذه التراجم تتمثل في القرن الثالث والخامس حيث جاءت تراجم خمس عشرة لكل من القرنين، يليهما القرن السادس ترجم فيه لأربع عشرة امرأة، ثم القرن الرابع، عشر تراجم، والسابع ست تراجم، اما القرن الثاني فقد وصلت عنه ترجمتان فقط.

وواقع التراجم على امتداد عصور الأندلس المختلفة، يوضح أنّ دور المرأة ونشاطها لايقتصر على عصر الطوائف، بل يتجاوزه الى عصر المرابطين والموحدين، كذلك تلاحظ الدراسة أن عدداً كبيراً من النساء ينتسبن الى مدن الأندلس فضلاً عن قرطبة العاصمة، ومن تلك المدن التي أنجبت هؤلاء النساء، مرسية، ودانية، وبلنسية، واشبيلية، ووادي الحجارة، وأريولة وغيرها، وبعد هذا التعريف العام بقيمة المخطوط الذي قصدنا دراسته سنتناول مادته من خلال:

١ - النشاط الأدبي:

يتركز نشاط المرأة الأدبي في قول الشعر او روايته، وفي

اشتهار عدد منهن بكتابة الرسائل للملوك، حيث وصفن بالأدب والظرف، وتشير تراجمهن كذلك الى علمهن، واضطلاع عدد منهن بالعروض، وأوزان الشعر، مثل إشراق العروضية (توفيت بعد سنة ٤٤٣هـ)، وهي مولاة ابي المطرف عبدالرحمن بن غلبون القرطبي، حتى ان أباداود بن نجاح المقري أخذ عنها العروض، ومثل لبنى (ت ٣٧٦هـ) كاتبة الحكم المستنصر التي كانت عروضية.

ومن اعلام القرن الثالث الهجري حسانة بنت المخشي التي كانت شاعرة مطبوعة، ومدحت الأمير عبدالرحمن بن الحكم (الاوسط)، وقد ورثت قول الشعر عن أبيها ابي المخشي عاصم بن زيد، وكذلك قلم جارية عبدالرحمن بن الحكم البشكنسية الأصل التي كانت أديبة راوية الشعر، عالمة بضروب الآداب، وأنجبت إبان بن الوليد، وكان أديباً هو الآخر، وكانت ابنة الشاعر راوية لأبيها كما نجد ذلك مع عبدة بنت بشر ابن حبيب، وكذلك وصفت قمر البغدادية، بالفصاحة والبيان، وكانت لاتداني أدباً ورواية، وحفظاً، وتقول الشعر، وربما نسب الفضل للجارية حين تنجب أديباً شاعراً مثل فخر، وابنها بشر ابو الوليد، دون أن ينسب ذلك للأب الخليفة عبدالرحمن بن الحكم، ومنهن مهجة بنت ابن عبدالرزاق التي وصفها بأنها من طبقة نزهون القليعية.

وأشهر النساء اللائي ترجم لهن، واشتهرن بقول الشعر حفصة بنت الحاج الركوني (ت ٥٨٦هـ)، وعلى الرغم من أهمية أشعارها الغزلية التي لاتقل شأناً عن أشعار ولادة، وقد لهجت بها كتب التراجم الأخرى، فإن الأبيات التي ساقها ابن الأبار تتعلق بخطاب عبدالمؤمن بن علي تسأله صكاً:

ياسيد الناس يامن   يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس   يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه: «الحمد لله وحده»

وقد رأى أحد الدارسين انها تمثل ظاهرة فذة في تاريخ المرأة المسلمة، لا في الأندلس وحده، وإنما على امتداد دولة الاسلام وليس ذلك لثراء واسع، أو حسب رفيع «إنما يعود تقدير التاريخ لها، الى أنها امرأة ذات كلمة قوية، وبعض ما في شعرها من صراحة يمثل عن غيرها خطرا يودي بالحياة».

واما متعة جارية «زرياب المغني، فقد فضت يوماً لاعجاب عبدالرحمن بن الحكم، وأنه يتستر، فقالت مورية عنه، مغنية بالأبيات:-

يامن يغطي هواه   من ذا يغطي النهارا
قد كنت أملك قلبي   حتى علقت فطارا
ياويلتي أتراه   لي كان او مستعارا؟

وكان للأبيات عند عبدالرحمن مكانة حتى أنها حظيت عنده.

وكانت حمدة بنت زياد من شواعر القرن السادس الهجري، ذات مكانة في قول الشعر وقد نحت منحى حفصة، وقبلها ولادة، فنطقت عن لسان المحب، وصورت جمال المرأة الذي يسبي الألباب، ويهتك الحجاب، ويفشي الاسرار:

أباح الدمع أسراري بوادي   به للحسن آثار بوادي
ومن بين الظباء مهاة رمل   سبت لبي، وقد ملكت قيادي
لها لحظ ترقده لأمر   وذاك الأمر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها   رأيت البدر في جنح الدآدي[37]
كأن الصبح مات له شقيق   فمن حزن تسربل بالحداد

وممن سلك مسلكها وبالغ فيه نزهون بنت القليعي[38]، التي كانت صاحبة فكاهة ودعابة سريعة الجواب، حيث دخل الكتندي ووجدها تقرأ على الأعمى المخزومي فقال:

لو كنت تبصر من تجالسه

فقالت:

البدر يطلع من أزرته   والغصن يمرح في غلائله

وهذه الشنشنة معروفة عند الأندلسيات في الإدلاء بحسنهن، والعجب بجمالهن، وهي تدل على ثقة بالنفس، وفطنة في فن من فنون الشعر، سيعرف بالاجازة، بأن تقول الشاعر بيتاً او شطر بيت، ثم يطلب من آخر أن يجيزه، وقد حصل هذا لجاريتين في القرن الخامس الهجري مع ملكين عظيمين من ملوك الطوائف.

الاولى، غاية المنى، مثلت بين يدي صاحب المرية بن صمادح، فسألها عن أسمها، فقالت: غاية المنى، فقال لها: اجيزي:

سل هوى غاية المنى

فقالت:	من كسا جسمي الضنا
وأراني	متيماً سيقول اهوى: أنا

ويسوق ابن الأبار رواية ثانية لاختبار هذه الجارية، وأن الذي اختبرها هو ابن الفراء الخطيب، وليس ابن صمادح.

واما الثانية، فالعبادية حظية المعتضد بن عباد[1]، الذي كان مضرب الامثال في السطوة والقوة لكنها أرّقته ليلة، فسهر ثم خاطبها بقوله:

تنامُ ومدنفها يسهرُ	وتصبرُ عنه ولايصبر

فأجابته:

لئن دام هذا، وهذا به	سيهلك وجداً ولا يشعر

وقد تأخذ الاجازة صورة من صور المحاورة والمراسلة على نحو ما يتفق لهند[2] التي خاطبها ابوعامر محمد بن يحيى بن يتق (ت ٥٤٧هـ) يدعوها ليستمع الى عودها:

ياهندُ هل لكِ في زيارة فتية	نبذوا المحارم وشرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدَت فتذكروا	نغمات عودك في الثقيل الاول

فظهّرت رقعته بقولها:

ياسيداً حازَ العُلا عن سادةٍ	«شم الأنوف من الطراز الاول»
حسبي من الإسراع نحوك أنني	كنت الجواب مع الرسول المقبل

والتضمين واضح من بيت حسان بن ثابت الانصاري.

ومن الشواعر ذوات الصوت الجهير اللائي عكس شعرهن صورة عن الحياة الاجتماعية في القرن السادس الهجري، حين وقفن موقف المطالب بالحق، الشاهر سيفه لدفع الظلم، فقد رفعت الشلبية[3] شكواها على والي شلب ومتولي الخراج، وطرقت باب يعقوب المنصور ابي يوسف:

قد آن أنْ تبكي العيون الأبية	ولقد رأى أنّ الحجارة باكيةْ
ياقاصدَ المِصر الذي يُرجى به	إن قدّر الرّحمن رفع كراهيةْ
نادِ الأميرَ اذا وقفت ببابه	ياراعياً إنّ الرعية فانيةْ
شِلبٌ، كلا شِلبٍ وكانتْ جنّةً	فأعادها الطاغون ناراً حاميةْ

خافوا وما خافوا عقوبة ربهم	والله لاتخفى عليه خافيةْ

وجلي ولع الشلبية بالتجنيس في «شلب» المكررة وبين «حافوا» و «خافوا» واستخدامها الالفاظ القرآنية بالاقتباس مثل «نار حامية» و «لاتخفى عليه خافية».

وتطالب شاعرة أخرى رفع الحيف والضير، وتتوجه الى الخليفة الموحدي ابي محمد عبدالمؤمن ـ في القرن السادس ـ الذي عاشت فيه الشلبية المذكورة آنفاً، تصدع بالحق، وتنطق به، ليُؤمن على مالها ودارها، وتلك هي أسماء العامرية[4]، ولكن ابن الابار يكتفي من أبياتها في المناسبة التي ذكرناها، بمطلعها، وعلى الرّغم من قلة ما بين أيدينا من أشعار النساء، فإن الفكرة التي شاعت لدى جمهور الدارسين تقوم على أساس كثرتها، حتى روى أحد المحدثين أنه وجد في الأندلس ستون ألفاً من الشاعرات، وكان أغلبهن من غرناطة، وعرفن بالعربيات»[5].

اما الكاتبات فهن أقل من الشواعر، ومن كاتبات القرن الرابع الهجري، أميمة، والعبادية وكتمان ولبنى[6]، وكلهن من الجواري، أما رقية[7] فابنة الوزير تمام ابن عامر، وقد كتبت للامير المنذر بن محمد (٢٧٣ ـ ٢٧٥) وتأتي الإشارة الى كتابتهن دون أن يروى لنا أمثلة عنها وربما وردت الإشارة الى الخطاب الذي كتبته، كما حصل نظام[8] كاتبة هشام المؤيد التي كانت بليغة محبّرة للرسائل، وهي التي كتبت عنه تعزي عبدالملك المظفر بوفاة المنصور بن ابي عامر سنة ٣٩٢هـ.

وتقترن بالكتابة صفة لها، ذكرها ابن الابار في عدد من تراجم الكاتبات، وتلك هي جمال الخط وحسنه، فقد وصف خديجة[9] بقوله: «كانت حسنة الخط» وقالت في حبيبة[10] «جيدة الخط ضابطة لما كتبته»، واشتهرت البهاء[11]، بكتابة المصاحف ووقفها..

ولابد أن يكون للخط مقامه في أمة تعتز بالكتابة والتعلم، لاتجد محيصاً عنها وقد أحبت العلم وتعلقت به، حتى نهضت المرأة الى جانب الرجل في هذا المجال.

روى ابن ابي الفياض (ت ٤٥٩هـ) في تاريخه كما نقله لنا المراكشي، أنه كان بالربض الشرقي في قرطبة مائة وسبعون أمرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ثم يعلق المراكشي بقوله: هذا في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها، وكان فيها واحدٌ وعشرون ربضاً[12].

٢ ـ النشاط العلمي والثقافي:

يحسن بنا ونحن بصدد الحديث عن دور نساء الأندلس في النشاط الثقافي أن نسوق مقولة المستشرق الهولندي المتخصص بالدراسات الأندلسية «دوزي» ١٨٨٤ «أن كل فرد في الأندلس كان يعرف القراءة والكتابة» على حين كانت اوربة تتخبط في دياجير الجهالة، اذا استثنينا منها رجال الدين»(٥٠).

وهذه شهادة يعتز بها دارس الحضارة الأندلسية، لأنها تقدير لحقيقة خطيرة، من حيث أنها جاءت على لسان رجل من الأوربيين، ومما يؤكدها من الناحية التاريخية ما ذكره ابن عذاري (ت ٧١٢هـ) عن الحكم المستنصر وعنايته(٥١). وفيه دلالة على الزامية التعليم ومجانيته، وقد فهمت هذا المعنى المستشرقة زيغرد هونكة فقالت: «وهكذا جعلت اسبانيا التعليم للجميع مجانياً»(٥٢).

وأما دور المرأة في التعليم ـ من خلال التكملة ـ فانه يؤكد على انسجامهن مع هذا التوجه واندفاعهن في سبيل التعليم والتعلم. ومن الشيوخ الذين تلمذوا على النساء أبو داود المقري أخذ العروض عن اشراق، كذلك قرأ عليها النوادر للقالي والكامل للمبرد وكانت تحفظ الكتابين ظهرا، والصورة المعكوسة اكثر شيوعاً في الأندلس من هذه(٥٣).

ومنها ما حصل لأبي داود نفسه وكيف أن ابنة فايز(٥٤) القرطبي قصدته الى موطنه في بلنسية، وقرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، وكانت رحلتها العلمية متنوعة، فقد أخذت علم التفسير واللغة العربية، والشعر، عن أبيها فايز القرطبي، وعن زوجها ابي عبدالله بن عتاب أخذت الفقه والرقائق، ثم ضربت في الارض في رحلتين:

الاولى: داخل الاندلس لتأخذ علم القراءات عن أشهر قارئ في زمانها هو ابوعمرو الداني، فقصدته الى دانية فلما وصلت وجدته في مرض موته، وحضرت جنازته سنة ٤٤٤هـ ثم سألت عن أصحابه فذكر لها ابوداود البلنسي، فشدت رحلها الى بلنسية كما تقدم آنفاً.

واما رحلتها الثانية، فكانت مشرقية حيث رحلت الى الحج، وغير مستبعد أنها التقت بالعلماء في رحلتها، وفي طريق عودتها توفيت بمصر سنة اربعمائة وست وأربعين.

ومثلها ام الحسن(٥٦) بنت ابي لواء سليمان بن أصبغ التي سمعت وروت عن بقي بن مخلد وزعم بعض الرواة أن بقياً هو الذي سمع عليها، وكانت لها رحلتان الى الحج وتوفيت بمكة.

كذلك رحلت فاطمة(٥٨) بنت سعد الخير الى أصبهان وبغداد، وسمع منها عدد من العلماء فيهما، ثم حدثت بمصر، وتوفيت سنة ستمائة هجرية، وكذلك كان شأن صواب التي رحلت الى المشرق مع زوجها(٥٩).

وكما لاحظنا فإن أكثر العلوم المقصودة كانت تتصل بالعلوم الشرعية من تفسير وحديث وقراءات، وممن عرفن بالضرب الأخير، أسماء بنت ابي داود(٦٠)، وام شريح(٦١)، واما عابدة(٦٢) فقد عرفت بالحديث.

وكانت الثقافة العامة تتصل بمعرفتهن بالحكايات والأخبار، وأيام العرب، وحفظ الامثال والنسب، واعتمدن في ذلك على الثقافة المشرقية، وممن اتصفن بهذه الثقافة قلم(٦٣). جارية الأمير عبدالرحمن الاوسط، ونزهة الوهبية(٦٤) جارية الكاتب ابي عبدالله محمد بن وهب، وقد جاء في خبر بعضهن انها كانت تجول في بلاد الأندلس بالوعظ والتذكير ومنهن رشيدة(٦٥).

واما اللائي عرفن بالعلوم الاخرى غير الشرعية، فمنهن لبنى كاتبة(٦٦) الحكم المستنصر بالله التي كانت فضلاً عن أدبها وشعرها، بصيرة بالحساب، وقد امتازت بذلك حتى وصفها ابن الابار بقوله «لم يكن في قصرهم أنبل منها»، وكذلك امتازت جارية(٦٧) أخرى للحكم حيث تولى تعليمها التعديل وخدمة الاسطرلاب، الذي هو آلة تستخدم لرصد النجوم، واستخراج البرج الذي تكون الشمس فيه، ومعرفة أوقات الصلاة بمعرفة مغيب الشفق، وطلوع الفجر وغير ذلك.

ومن النشاطات الثقافية الأخرى ما يتصل بالأدب والظرف، حيث اشتهر عدد من اعلام نساء الاندلس بالغناء، ومنهن ابنتا زرياب علي بن نافع الذي ذاع صيته في الاندلس، وحمدونة(٦٨) التي تقدمت على علية(٦٩) أختها، وأما علية فقد طال عمرها، وحمل الناس عنها، وعرفت متعة جارية زرياب التي حفظت أحسن أغانيه وتقدم خبرها في أبياتها التي غنت بها لعبدالرحمن بن الحكم، ووصفت بالحذق والطبع في إنشاد الأشعار نزهة الوهبية، وكانت فضل المدينة(٧٠) صاحبة خطوة في

الأندلس لجودة غنائها، وقد اقترن ذكر مصابيح[٧١] جارية ابن قلهيل بابن عبدربه وذلك أنها أخذت عن زرياب، وكانت غاية في الاستحسان وقد أعجب بإنشادها ابن عبد ربه وأنشد في ذلك ابياتاً، ونسب الى قمر[٧٢] البغدادية جارية ابن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية، الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان.

ونلاحظ أن ابن الأبار يؤكد في تراجمه لنساء الاندلس على النشاطات الانسانية الاخرى، ويصف عدداً كبيراً منهن بالصلاح، والزهد، والورع[٧٣]، ومنهن ام الحسن[٧٤]، ومسعدة المحدثة[٧٥]، وقد نسب الى عدد منهن بناء المساجد والانفاق عليها، فقد وصفت الشفاء[٧٦] بكثرة أوقافها على المساجد، ونسب الى فخر[٧٧] مسجد رفيع على أمّهات المساجد، والى شعاع[٧٨] القرطبية، مسجد بربض الرصافة، واتخذت بعض النساء مساجد جوار بيوتهن ومنهن أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي التي لانعرف اسمها[٧٩].

وتأتي اوصاف عدد من أعلام نساء الأندلس مقرونة بأعمال الخير والصدقات ومد يد العون، ومنهن زينب بنت ابراهيم زوجة القائد المرابطي المشهور أبي الطاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين وقد خاطبها أبواسحق بقوله:

مشهورةٌ بالفضل قدماً والنهى والنّبل شهرة غُرةٍ في أدهم

وكانت الشفاء ممّن يعنى بالمرضى والضُعفاء، وهي التي عنيت بالأمير بن عبدالرحمن في صغره لوفاة أُمه.

كما لاحظ البحث أن العدد الجم من هؤلاء النساء لم يكن ممن أدركن الجاه والسلطان من بنات وزوجات الملوك، أو أن مكانة المرأة لم تقترن بالنسب والمحتد دائماً.

وفي الصفحات الآتية نقدم نص تراجم أعلام النساء، محققاً، وفق المنهج العلمي في التحقيق على نحو ما استطعنا اليه سبيلا.

هوامش المقدمة

(١) منها طبعة المستشرق الاسباني كوديرا جـ١ـ٢ ط روخس بجريط ١٨٨٧م، وقطعة نشرها الاركون وكونثاليث بالنثيا مدريد ١٩١٥، وقسم ثالث نشره الفريد بل وابن ابي شنب في الجزائر ١٩٢٠، كذلك نشر عزت العطار جزئين من الكتاب في القاهرة ١٩٥٦.

(٢) نسخة مصورة على المكروفلم عن المكتبة الأزهرية بالقاهرة تقع في ١٦١ ورقة، وهي القسم الثالث في المخطوط برقم ٤٥/٦٧٤٤ اباظة، وتراجم النساء في سبع ورقات «١٥٥ ـ ١٦١».

(٣) تبدأ بالترجمة المرقمة ٢٨٤٩ وتنتهي بـ ٢٨٩٢، وقد وجدت اشارة في مقدمة التحقيق الى ان المستشرق اعتمد في التحقيق على نسخة سليمان باشا ـ القاهرة.

(٤) تبدأ تراجمهن برقم ٢١١٣ وتنتهي ٢١٢.

(٥) تبدأ برقم ٥٨ وتنتهي بـ ٦٣.

(٦) تبدأ برقم ٦٤ وتنتهي بـ٦٧

(٧) لابد لي ـ في هذا المقام ـ أن اشكر الباحثة هدى شوكة بهنام حيث تفضلت عليّ بنسخة مصورة لتراجم النساء لهذا الكتاب، قبل ان أحصل على نسختي منه (ط اكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤).

(٨) تنظر ترجمة رقم ٥٦.

(٩) ينظر بحث المرأة في قرطبة من خلال طوق الحمامة للدكتور الطاهر أحمد مكي في كتابه دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص٢٣٩ ـ ٢٦٦ (مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٧) كذلك ما كتبه الدكتور احسان عباس عن (حال المرأة من خلال طوق الحمامة) في مقدمته لرسائل ابن حزم الاندلسي ١/ ٧٠ ـ ٧٣ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠)

(١٠) رسائل ابن حزم رسالة طوق الحمامة تحقيق د. احسان عباس ١/ ٧٢ والطوق (تحقيق الطاهر مكي ـ القاهرة ١٩٧٧) ص٥٨

(١١) كتبت كتب كثيرة عن ولادة ينظر العدد الخاص بمجلة الكتاب العراقية بالذكرى الالفية لميلاد ابن زيدون العددان ١١ ـ ١٢ بغداد سنة ١٩٧٥، والدراسة الموسعة في دراسات في الأدب الاندلسي ٢١٨ـ٢٣٢ د. احسان عباس وآخرون ـ ليبيا ١٩٧٦، والشرق: شفق الحرير الأبيض.

(١٢) تنظر عنها دراسة الدكتور الطاهر احمد مكي في دراسات أندلسية ٨٨ ـ ١٠٩ (ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠).

(١٣) كتبت رسائل جامعية عن المرأة ودورها الثقافي والادبي في الأندلس، نشير الى ما وقفنا عليه: رسالة دكتوراه محمد حسن ابراهيم عمري «المرأة في الشعر الاندلسي ـ جامعة الازهر ـ ١٩٧٨، ورسالة ماجستير هناء بديري بعنوان «ثقافة المرأة الاندلسية ـ جامعة القاهرة؟، ورسالة ماجستير سلمى سلمان علي، المرأة في الشعر الاندلسي في عهد الطوائف ـ الجامعة المستنصرية ١٩٨٦، ورسالة احلام فليح حسن، المرأة في الشعر الاندلسي عهد الخلافة ـ كلية البنات ـ بغداد ١٩٨٨، ورسالة قيد الانجاز بعنوان، المرأة العربية الاندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى سقوط الخلافة الاموية، فائزة احمد عباس، جامعة الموصل ١٩٨٩.

(١٤) ينظر ملحق رقم (٢) (١٥) تنظر تراجم رقم (١٦، ١٨، ١٩). (١٦) تنظر

تراجم رقم ١١، ١٢، ٢٢، ٢٣، ٢٧. (١٧) تنظر تراجم رقم ٢٢، ٢٧، ٢٨. (١٨) تنظر تراجم رقم ٣٦، ٥٧. (١٩) ترجمة رقم ٤٠. (٢٠) ترجمة رقم ٥٠، وترجمة ابن فرتون (ت ٦٦٠هـ) في جذوة الاقتباس ١ ١١٧-١١٩ ط دار المنصور - الرباط ١٩٧٤. (٢١) تنظر ترجمة رقم ٢٢. (٢٢) نص على كتابه (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح) رقم ١٧. (٢٣) تراجم رقم (١٠، ٥٦). (٢٤) ترجمتها رقم (١٦). (٢٥) ترجمتها رقم (٦٧). (٢٦) ترجمتها رقم (٤). (٢٧) ترجمتها رقم (٧). (٢٨) ترجمتها رقم (٢٣). (٢٩) ترجمتها رقم (٢٩). (٣٠) ترجمتها رقم (٩). (٣١) ترجمتها رقم (٣٤). (٣٢) ترجمتها رقم (٥٣). (٣٣) ترجمتها رقم (٣٢). (٣٤) دراسات اندلسية ص ٩٠. (٣٥) ترجمتها رقم ٢١. (٣٦) ترجمتها رقم ٣٣. (٣٧) جمع دأداء، وهي الليلة شديدة الظلمة. (٣٨) ترجمتها رقم ٥٣. (٣٩) ترجمتها رقم ٤٠. (٤٠) ترجمتها رقم ٣٨. (٤١) ترجمتها رقم (٥٥). (٤٢) ترجمتها رقم (٣١). (٤٣) ترجمتها رقم (٤٩). (٤٤) الشعر النسوي في الأندلس ص٤٠ محمد المنتصر الديسوني - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٨. (٤٥) التراجم: ١٣، ٢٠، ٦٦، ١٧. (٤٦) ترجمتها رقم (٢٨). (٤٧) ترجمتها رقم (١١). (٤٨) ترجمتها رقم (٣٥). (٤٩) ترجمتها رقم (٤١). (٥٠) ترجمتها رقم (٢٢).

(٥١) المعجب ٤٥٦ للمراكشي تحقيق محمد سعيد العريان - ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - القاهرة ١٩٦٣ بنظر الادب الاندلسي. د. منجد مصطفى بهجت دار الكتب - الموصل ١٩٨٨. (٥٢) الحضارة الاسلامية في الاندلس ٢٨، د. عبدالرحمن الحجي ط دار الارشاد بيروت ١٩٦٩، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الاسلامية ٢٦٧ كريم عجيل حسين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥.

(٥٣) البيان المغرب ٢/ ٢٤٠ (تحقيق كولان وبروفنسال ط دار الثقافة بيروت ١٩٨٠).

(٥٤) شمس العرب تسطع على الغرب ٣٩٤ (ط ٢ المكتب التجاري بيروت ١٩٦٩)، وينظر مقالنا المرأة والتعليم في الاندلس، مجلة الجامعة العدد ٥ ١٩٧٩ شباط.

(٥٥) تنظر ترجمة رقم ١٦. (٥٦) ترجمتها رقم ١٩. (٥٧) ترجمتها رقم ٢٧. (٥٨) ترجمتها رقم ٣٧. (٥٩) ترجمتها رقم ١٥. (٦٠) ترجمتها رقم ٤٢. (٦١) ترجمتها رقم ٤٣. (٦٢) ترجمتها رقم ٣. (٦٣) ترجمتها رقم ٧. (٦٤) ترجمتها رقم ١٧. (٦٥) ترجمتها رقم ٥٤. (٦٦) ترجمتها رقم ٦٧. (٦٧) ترجمتها رقم ٦٨. (٦٨) ترجمتها رقم ٢٤. (٦٩) ترجمتها رقم ٢٥. (٧٠) ترجمتها رقم ٦. (٧١) ترجمتها رقم ٢٦. (٧٢) ترجمتها رقم ٢٩. (٧٣) تنظر رقم ١٠، ١٥. (٧٤) ترجمتها رقم ٢٧. (٧٥) ترجمتها رقم ٥٧. (٧٦) ترجمتها رقم ٥. (٧٧) ترجمتها رقم ٩. (٧٨) ترجمتها رقم ٦٥. (٧٩) ترجمتها رقم ٢٧.

نص الكتاب

[١]
خلة

جارية معوية بن صالح الحضرمي، قاضي الأندلس[١]، وهبها له يوسف بن عبدالرحمن الفهري[٢]، فأولدها ثم استحقت عليه[٣]، في أيام عبدالرحمن[٤]، فاستفتى فيما يجب عليه فيها فرأى أخذ قيمتها. فقبل «منه»[٥] ذلك، فأخذ بفتواه لنفسه، وكانت خلة قبيحة. وكانت لها خادم فائقة الحسن تسمى «سعاد»[٦]، وكان الناس. يضربون بها المثل في ذلك الزمان، فيقولون: «شتان في البعد بين خلة وسعاد».

(١) ينظر في ترجمتها (ك) رقم ٢١١٣. معاوية بن صالح بن عثمان الحضرمي المعروف بحدير. من أهل الشام، دخل الاندلس قبل دخول عبدالرحمن بن معاوية وكان من جلة أهل العلم ورواة الحديث، وقيل إنه أول من دخل الأندلس بالحديث وأخباره مفصلة في قضاة قرطبة ص ١٥ - ٢١. بهذا تنتهي الترجمة في (ك)

(٢) يوسف الفهري. آخر ولاة الامويين بالاندلس توفي سنة ١٢٩هـ، وانتهى حكمه بدخول عبدالرحمن الداخل بعد وقعة المصارة سنة ١٣٨هـ وتوفي سنة ١٤٢هـ.

(٣) اراد بقوله: «استحقت عليه» ثبت لها على صاحبها، حق الحرية، لما رواه البيهقي عن ابن عمر انه قال: «أم الولد اعتقها ولدها، أي ثبت لها حق الحرية» وظاهر الأمر أن الوالي يوسف وهب الجارية من بيت المال، ولم تكن ملكاً له، ثم جاء عبدالرحمن فطالب بها. فدفع معاوية ثمنها.

(٤) هو عبد الرحمن بن معاوية الملقب بصقر قريش، أول امراء الاندلس توفيٌ سنة ١٣٨هـ وهو ابن ٢٥ سنة وتوفي سنة ١٧٢هـ.

(٥) الكلمة مطموسة في الاصل.

(٦) بياض في الاصل والزيادة من (أ).

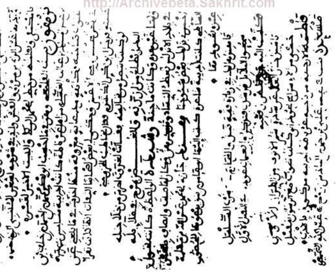
[٢]
حميدة

بنت معوية بن صالح، قاضي الأندلسي، تزوّجها زياد ابن عبدالرحمن اللخمي، شبطون[٧] ومنها ولد زياد[٨]، وخلة المذكورة آنفاً أحسبها أم حميدة هذه.

[٢] الاصل «عبدة» والتصحيح من (أ) رقم ٢٨٤٩.

(٧) زياد بن عبدالرحمن يكنى ابا عبدالله، فقيه أهل الأندلس وأول من أدخل للأندلس فقه مالك بن أنس، وكان على مذهب الاوزاعي توفي سنة ١٩٩ او ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ وكان رجلاً صالحاً، عرض عليه القضاء فلم يقبله تنظر ترجمته في





الورقة الأخيرة من مخطوط التكملة

ابن الفرضي رقم ٤٥٨ (ط القاهرة ١٩٦٦) الجذوة رقم ٤٣٩ (ط القاهرة ١٩٦٦) والبغية رقم ٧٥١ (ط القاهرة ١٩٦٧).

(٨) جاءت ترجمة لزياد بن محمد بن زياد شبطون (ت ٢٧٣هـ)، ينظر ابن الفرضي رقم ٤٦٠، الجذوة رقم ٤٤٠ والبغية رقم ٧٥٢.

[٣]

عابدة

المدينة ام ولد حبيب بن الوليد المرواني <الملقب>[٩] بدحون كانت جارية سوداء كالحة من رقيق المدينة [١٥٦/أ] تروى عن مالك بن انس[١٠]، وغيره من علماء المدينة فتحسن حديثاً كثيراً <والذي وهبها>[١١] لدحون في رحلته الى الحج محمد بن يزيد بن مسامة ابن عمه[١٢] فقدم بها الأندلس، وقد أعجب بعلمها وفهمها، واتخذها لفراشه. فولدت له بشر ابن حبيب[١٣]. ذكرها ابن حيان[١٤] عن عبادة بن ماء السماء عن اسحق بن مسلمة القيني[١٥].

[٣] ترجمتها في التكملة (أ) رقم ٢٨٥٠، نفح الطيب ٣/١٣٩ (المقري التلمساني، تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٦٨)، الدر المنثور ٣١٩، اعلام النساء ٣/١٩٩، عمر رضا كحالة، ط الهاشمية - دمشق ١٩٥٩. وقد تصحف الاسم في الدر المنثور الى «عائده».

(٩) كلمة مطموسة في الاصل وحبيب عالم محدث، زار المشرق للحج، درس بجامع قرطبة. عاش في عصر عبدالرحمن بن الحكم، وتوفي بعد المائتين ترجمته في التكملة ٢٧٧. المقتبس ٩٤، جمهرة انساب العرب ٨٩ - ٩٠ ابن حزم الأندلسي تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٨٢. النفح ٢/٥٠٣ (١٠) الاصل «انس بن مالك» والتصحيح من المقتبس ص٩٦ (ط دار الكتاب - بيروت). ومالك امام دار الهجرة (ت ١٧٩هـ).

(١١) بياض في الاصل والاضافة من النفح ٣/١٤٠.

(١٢) المقتبس ص٩٦.

(١٣) المعروف بالحبيبي من المشهورين بقرطبة وابنته عبدة ترجمتها رقم (٢٣) من هذا المجموع.

(١٤) المقتبس ص٩٦.

(١٥) الاصل «ابن مسلمة» والتصحيح في المقتبس ص٩٥ وترجمته في هامش ٢٥.

[٤]

حسانة

... بي المخشي، عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة ابن علقمة بن عدي بن زيد العبادي التميمي، كانت شاعرة مطبوعة. ومدحت الأمير عبدالرحمن بن حكم[١٦] ذكر ذلك ابن عيش ... سالمي، وفي خبرها عن ابن حيان.

[٤] ترجمتها في: الذيل والتكملة ٨/٢/٤٢٤، النفح ٤/١٦٧ - ١٦٨، الدر المنثور ٦٤ العاملي ط الاميرية - القاهرة ١٣١٢، شاعرات العرب، ٧٠، جمع وتحقيق عبدالبديع صقرط المكتب الاسلامي بيروت ١٩٦٧، اعلام النساء ١/٢٥٦-٢٥٧، وترجمة أبيها في المغرب ٢/١٢٣ ابن سعيد، تحقيق د. شوقي ضيف - القاهرة ١٩٦٧، الجذوة رقم ٩٥٣ البغية رقم ١٥٤٦، وفي النفح انها لما مات أبوها كتبت الى الحكم، وهي بكر لم تتزوج بعد، قصيدة مطلعها:

إني اليك أبا العاصي موجعةٌ ... ابا المخشي سقته السواكف الديَمْ

وهي في خمسة أبيات، استحسن الحكم شعرها، وأمر لها باجراء مرتب، وكتب الى عامله بالبيرة، فجهزها بجهاز حسن، وقد وفدت على ابنه عبدالرحمن (٢٠٦-٢٣٨هـ) وانشدته قصيدة مطلعها:

اني الى ذي الندى والمجدسارت ركائبي ... على شحط تصلى بنار الهواجر

وهي في ستة أبيات، تشكو فيها عامله بالبيرة، فاكرمها واحسن وفادتها، فانصرفت وبعثت له قصيدة مطلعها:

أبا الهشامين خير الناس مأثرةً ... وخير منتجع يوماً لروّادِ

(١٦) الملقب بـ«عبدالرحمن الاوسط» هو الأمير الرابع في بني أمية الذين حكموا الاندلس تولى سنة ٢٠٦ وتوفي ٢٣٨هـ وولِيه في الحكم ولده محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ) اخباره في تاريخ افتتاح الاندلس، ٧٥ - ٨٥ (ابن القوطية ت ٣٦٧هـ، تحقيق ابراهيم الابياري - بيروت ١٩٨٢، البيان المغرب ٢/٨٠، جمهرة انساب العرب ٩٨.

[٥]

الشفاء

جارية الأمير عبدالرحمن بن الحكم، اعتقها وتزوجها، وكانت من اجمل النساء عقلاً وديناً وفضلاً، واليها ينسب المسجد الذي في الربض الغربي من قرطبة، واجملهن مذاهب. واكثرهن اوقافاً على المساجد، والمرضى والضعفاء، وكفلت[١٦] ابنه الأمير محمد بن عبدالرحمن في صغره، لوفاة أمه[١٧]... قديما، وصرفها الامير عبدالرحمن في بعض مغازيه، لأجل مرضها الى قرطبة فلحقتها المنية بفج البشرى من حوز طليطلة، فدفنت هنالك، وصار قبرها معروفاً، <و>[١٨] قد حرر الامير محمد في دولته أهل تلك القرية من المغارم لاحتراسهم اياه، وتجديدهم رسمه.

(٥) ورد اسمها في النفح ١/٣٥٠ على انها من جواري عبدالرحمن بن الحكم ولم نقف على ترجمتها في مصادر الادب التي بين ايدينا، وهي ام ولده المطرف، دولة الاسلام ص٢٧٤، محمد عبدالله عنان - الخانجي - القاهرة سنة ١٩٦٩.

(١٦) الاصل: «ونقلت» وهو تحريف ما أثبتناه. (١٧) بياض بمقدار كلمة. (١٨) زيادة يقتضيها السياق.

[٦]

فضل المدنية

صاحبة علم المدينة، كانت فضل حاذقة بالغناء، كاملة الخصال، وكانت لاحدى بنات هارون الرشيد، منشؤها وتعلمها ببغداد، ودرجت من هناك الى المدينة، فازدادت ثمّ ضبطتها في الغناء، واشتريت هنالك للامير عبدالرحمن(١٩)، مع صاحبتها علم، وصواحب غيرها، اليهن ينسب دار المدنيات بالقصر، وكان يؤثرهن بجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن، وبراعة أدبهن.

[٦] ترجمتها في النفح ٣/١٤٠، الدر المنثور ٤٣٢، اعلام النساء ٤/١٧٧.

(١٩) المراد به عبدالرحمن بن الحكم الذي تقدم التعريف به في رقم ٥هـ ١٦، وقد وقع السهو للباحث الريسوني حين نسب دار المدنيات الى عبدالرحمن بن معاوية في كلامه عن الشعر النسوي في عصر الامارة ص٤٥، ولايستقيم أن تكون «فضل» لاحدى بنات هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) وأن تشترى لعبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ) كما أن سياق التراجم يدل على أن الجواري كُنَّ لعبدالرحمن ابن الحكم.

[٧]

قلم

ثالثتها في الحظوة عند الامير عبدالرحمن، كانت اندلسية الاصل، رومية من سبي البشكنس حملت صبية الى المشرق، فوقعت الى المدينة، وتم تعلمها هنالك الغناء، فحذقته، فهي ام ابنه ابان ابي الوليد، وكان اديباً.(٢٠) علامة، وكانت أديبة، ذاكرة، حسنة الخط، راوية للشعر حافظة للاخبار، عالمة بضروب الآداب . . . معاوية بن هشام(٢١).

[٧] تنظر ترجمتها في النفح ١/٣٥٠، ٣/١٤٠، اعلام النساء ٤/٢١٩.

(٢٠) كلمة غير مقروءة، وكان ابان من اصاغر اخوته في السن واكابرهم في المعرفة شاعراً مطبوعاً وبليغاً مجوداً، المقتبس (ط دار الكتاب) ٢٣، ١٢١، الحلة السيراء ٢/٣٦٦ ابن الابار، تحقيق د. حسين مؤنس ط القاهرة ١٩٦٣).

(٢١) جاء العلم مبتوراً من السياق، وبعده بياض بمقدار كلمة، ويحتمل أن يكون المقصود أن النقل عن معاوية بن محمد بن هشام بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية المعروف بـ«الشينشي» او ابن الشبانسية، من جلة العلماء والفقهاء أيام الأمير عبدالرحمن الاوسط ت ٢٩٨هـ وقد كان اديباً اخبارياً، وله تاريخ في دولة قومه بني مروان، تنظر ترجمته في التكملة رقم ١٠٧٨ الجمهرة ص٨٨ وقد نقل عن ابن حيان في المقتبس وابن سعيد في المغرب وابن الخطيب في الاحاطة ينظر هـ ٧٨ ص٤٤٣ المقتبس (ط دار الكتاب).

[٨]

طروب

من جواريه ايضـ، وهي أم ابنه عبدالله، والغالبة عليه، واليها ينسب المسجد بقصر الربض الغربي، ولها فيه آثار سواه.

[٨] تنظر ترجمتها في تاريخ افتتاح الاندلس ٩١، ٩٤، المقتبس (ط دار الكتاب) ٨ ـ ١٠، الحلة السيراء ١/١١٤ هـ ١، البيان المغرب ٢/٩٢، النفح ١/٣٤٩، ٣/٦١٣، اعلام النساء ٢/٦٢٢ وتتفق المصادر على انها كانت احظى النساء لديه. وكان نصر وزيره يمالئها ويظاهرها على ترشيح ولدها عبدالله للملك بعد ابيه، وقد أخفق عبدالله في الوصول الى الملك بعد وفاة أبيه حيث أفلح محمد أكبر اخوته في تولي الامر سنة ٢٣٨ هـ واخبار «عبدالله» مقرونة بأمه.

[٩]

فخر

من جواريه ايضـ، لها مسجد رفيع على أمهات المساجد بقرطبة، وهي ام ابنه بشر ابي الوليد الاديب الشاعر.

[٩] تصحف الاسم في المقتبس ص١٠، ١٥ الى «فجر» ولم يُذكر «بشر» بين ابناء عبدالرحمن بن الحكم الذكور الذين بلغ عددهم عند ابن حيان خمسة واربعين، ينظر المقتبس ٢٢، جمهرة أنساب العرب (ط القاهرة) ص ٩٠.

[١٠]

اسماء

بنت غالب، مولى امير المؤمنين، الناصر لدين الله ابي المطرف عبدالرحمن بن محمد كانت للوزير عبدالرحمن بن موسى ابن حُدير(٢٢)، وطلقها على عهد الحكم، ولم يفارقها(٢٣) المنصور(٢٤) حياته، وكانت عفيفة، أريبة، أديبة، من صوالح النساء وكانت توصف بجمال بارع، وادب صالح.

ولما حالف غالب ابوها، وظفر به المنصور في قصة طويلة، امتحنها بعرض رأس ابيها عليها، فقالت: «الحمد لله الذي ربحك وحكم لمولاي، اما لولا طاعة(٢٥) المولى، وحق الزوج المضنع لقضيت للحزن اوطارا، واني بالحزن لك اولى مني بالحزن عليك، عليّ بماء الورد والطيب، فهذا آخر العهد ببر الأب، فغسلت وجهه ورجلت شعره، ونثرت عليه مسكاً كثيرا، وسلمته الى الرسول، فانفذ الى الخليفة هشام المؤيد.

وكان هلاك[٢٢] غالب يوم السبت لأربع خلون من المحرم سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

[١٠] سقط اسم المترجم لها، والسطر الأول من الترجمة، وأكملناه من الذيل والتكملة ٨/٢/٤٧٩ رقم ٢٣٨ وقد كانت من أجمل نساء عصرها، تزوجت لأول مرة بالوزير ابن حدير أيام الحكم المستنصر، ثم طلقت منه، حيث تزوجها ابن ابي عامر سنة ٣٦٧ هـ، وكانت أحظى نسائه، وكان زواجاً موفقاً، فلم يفارقها، ينظر الذخيرة ٤/١/٤٦ ابن بسام الشنتريني، تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٩٧٦، البيان المغرب ٢/٢٦٧، النفح ١/١٨٧، وترجمة أبيها غالب بن عبدالرحمن الناصري في أعمال الأعلام ٦٢ ـ ٦٥ تحقيق بروفنسال، بيروت ١٩٥٦، البيان المغرب ٢/٢٧٨، جذوة الاقتباس رقم ٥٧٨، وخبر موته في رسائل ابن حزم ـ نفط العروس ٢/٩٤.

(٢٣) الأصل «عبدالرحمن بن مبشر»، والتصحيح من الذيل والتكملة، وترجمة ابن حدير في تاريخ ابن الفرضي رقم ٨٠٠، جمهرة أنساب العرب ص ٩٠.

(٢٤) الذيل والتكملة: «فخلف عليها المنصور».

(٢٥) الحاجب المنصور محمد بن عبدالله بن أبي عامر المعافري من أصل عربي، تولى (٣٦٧ ـ ٣٩٢ هـ) (تنظر الحلة السيراء ١/٢٦٨ ـ ٢٧٧، دولة الاسلام ٤٦٦).

(٢٦) الكلمة مضموسة في الاصل.

(٢٧) حرفت الكلمة في الاصل.

[١١]

نظام

الكاتبة، كانت بقصر الخلافة بقرطبة، في ايام هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر بالله، وكانت بليغة مدركة، محبرة للرسائل، ومن انشائها كان الخطاب الذي عزّى فيه المظفر عبدالملك ابن المنصور، محمد بن ابي عامر، عنه أبيه، وجدد له العهد بولايته، وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ذكرها ابن حيان[٢٨] في تاريخه الكبير، ومنه نقلت ذلك.

[١١] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٦٥، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٣.

(٢٨) يعد ابن حيان من أبرز مؤرخي الاندلس جميعاً، ورأى الدارسون أعظم مؤرخ أنجبته العصور الوسطى على الصعيد الاسلامي والمسيحي، وقفت دراسات كثيرة عند الجانب التاريخي والأدبي، ومنها دراسة الدكتور محمود علي مكي في مقدمته لتحقيق المقتبس ص٧ ـ ١٥٩.

[١٢]

هند

بنت عبدالرحمن الناصر، كان لها في الشرف والجلالة والأدب والحجا والرجاحة، آثار محمودة، وأخبار مأثورة، ويكني ابن حيان عنها بعجوز الملك، وعمّرت طويلاً، وتوفيت اثر قيام محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدي سنة تسع وتسعين وثلثمائة.

[١٢] هي من زوجته مرجان التي كانت سيدة نسائه، وكبرى حظاياه، ترجمتها في المقتبس (تحقيق شالمينا) ٥/١٣، ٨.

[١٣]

أميمة

الكاتبة، جارية الحسين[٢٩] بن حي، ومحظيته[٣٠] التي تزوجها بعده الفقيه القرشي المغيري[٣١]، حكى ابن حيان تاريخه الكبير عن زوجها عنها، من خبر هشام المؤيد، مخلوع المهدي محمد بن هشام بن عبدالجبار[٣٢]، واظهاره بعد وقعة قينتش مادلّ على وهنه وأفنه، وكانت أميمة هذه ممن تحرس هشاما المذكور يوم تخفيه[٣٣] بدار الحسين بن حي.

[١٣] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٦٧ والذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٣ رقم ٢٤٧

(٢٩) الاصل: «الحسن» وهو تحريف، وهو ابو عبدالله عرف بالخُرُقّة، من اهل قرطبة، عرف بالفقه على مذهب مالك، ورحل الى المشرق سنة ٣٤٨ هـ، تولى القضاء في مدن كثيرة بالأندلس، توفي في صدر الفتنة سنة ٤٠١ هـ. وقد جرت وقعة «قنيتش» بين البربر بصحبة سليمان، واستعانوا بالنصارى، وأهل قرطبة بقيادة المهدي محمد بن هشام الاموي، وكانت المعركة سنة ٤٠٠ هـ وممن استشهد على أثر الفتنة، من العلماء، ابن الفرضي صاحب تاريخ علماء الاندلس سنة ٤٠٣ هـ وتتحدث المصادر باسهاب عن آثار التخريب التي حلت بسبب الفتنة، الصلة ١/١٤٠ (ط القاهرة ١٩٦٦).

(٣٠) الاصل: «حظيته».

(٣١) تنظر اخباره في البيان المغرب ٣/١١٦ حيث رأى د. محمد بن شريفة انه عبدالله المعيطي وقد احال في ترجمته الى الصلة ٢٦١ والجمهرة ١١٥ واعمال الاعلام ٢٢٠ والبيان المغرب ٣/١١٦ والشخصيتان متباينتان.

(٣٢) تنظر ترجمته واخباره في البيان المغرب ٣/٥٠ ـ ٩١.

(٣٣) الكلمة مطموسة في الاصل.

[١٤]

فتحونة

بنت جعفر بن جعفر، من أهل مرسية تكنى أم الفتح لها في قيان الأندلس تأليف، عارضت به كتاب أبي الفرج الاصبهاني[٣٤].

[١٤] ترجمتها في الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩١.

(٣٤) كتابه: الاماء الشواعر، تحقيق الدكتور جليل العطية، دار النضال - بيروت ١٩٨٤.

[١٥]

صواب

زوج ابي عزيز اسماعيل الفهري الزاهد(٣٥)، رحلت معه الى المشرق وأدَّيا فريضة الحج، وعادا الى الأندلس، وبقيا على أفضل ماكانا عليه، من الاجتهاد الى أن توفَّيا رحمهما الله، ودفنا بمقبرة الرَّصافة، وكانت من العوابد.

[١٥] لم أقف على ترجمتها فيما تيسر لي من مصادر.

(٣٥) لم اقف على ترجمته.

[١٦]

اشراق

السويداء، العروضية، مولاة ابي المطرف عبدالرحمن بن غلبون القرطبي [١٥٧/أ] الكاتب(٣٦)، سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها [ابي المطرف، العربية و. . .(٣٧) ايام اقامته بقرطبة، ثم انتقلت بانتقاله عنها، وكانت قد](٣٨) فاقت في كثير مما أخذته عنه واحسنت في كل ما تناولته(٣٩)، وكان لها علم بالعروض، وأوزان الشعر، قال ابو داود سليمان بن نجاح المقري(٤٠): أخذت اناعنها(٤١) العروض، وقرأت عليها النوادر، لأبي علي، والكامل لابي العباس المبرد(٤٢). وكانت تحفظ الكتابين ظاهراً(٤٣)، تنصهما حفظاً، وتتكلم عليهما، وتوفيت بدانية عند السيدة ابنة مجاهد، يعني اسماء زوج المنصور أبي الحسن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ابي عامر المنصور رئيس بلنسية(٤٤)، بعد وفاة مولاها ابي المطرف وكانت وفاته ببلنسية سنة ثلاث واربعين واربع مائة(٤٥) «. . .» جميعه اقتضبته من مجموع لأبي داود في النساء بخط ابن عياد.

[١٦] ترجمتها في (ك) رقم ٢١١٥، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٠ نفح الطيب ١٧١/٤، اعلام النساء ١/٧٠.

(٣٦) في ابن الفرضي رقم ٨٠٣ ترجمة لابي المطرف عبدالرحمن بن عثمان بن سعيد ابن غلبون الخولاني من اهل قرطبة، سمع من احمد بن رحيم ووهب بن مرة توفي سنة ٣٧٤ هـ، ويحتمل ان يكون مولى اشراق من نسله أو ان احدى سنتي الوفاة فيها خطأ للفرق الواضح فيهما.

(٣٧) بياض في الاصل.

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (ك).

(٣٩) ك (واتقنت العروض) وسقطت العبارة بعدها حتى قوله (قال ابو داود).

(٤٠) مولى امير المؤمنين هشام المؤيد بالله سكن دانية وبلنسية اكثر في روايته عن ابي عمران الداني وهو اثبت الناس به من المقرئين والعلماء له مؤلفات كثيرة في معاني القرآن العظيم (ت ٤٩٦ هـ) تنظر ترجمته في الصلة ١/٢٠٣ رقم ٤٥٨، وسيرد ذكره في تراجم رقم (١٨، ١٩، ٤٢، ٤٧).

(٤١) ك: (اخذت عنها).

(٤٢) ك (للمبرد).

(٤٣) ك: (وتتكلم عليها وتوفيت بدانية بعد وفاة سيدها وكانت وفاته سنة ٤٤٣)

(٤٤) ينظر عنه البيان المغرب ٣/٣٠١.

(٤٥) في النفح انها توفيت في حدود ٤٥٠ هـ.

[١٧]

نزهة

الوهبية جريه الكاتب ابي عبدالله محمد بن وهب الحميري(٤٦)، كاتب الوزير ابي محمد عبدالله بن محمد بن مسلمة(٤٧)، كانت احدى عجائب القيان بالاندلس، حذقاً وطبعاً، وحسناً وظرفاً، تنشد الاشعار(٤٨)، وتورد الحكايات والاخبار، وتذكر ايام العرب(٤٩)، وتشارك في حفظ الامثال والنسب، حتى كأنها من قيان المشرق المتقدمات، ذكر ذلك ابو عامر(٥٠) ولد(٥١) الوزير ابي محمد بن مسلمة المذكور في تأليفه المعروف بـ «حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح».

[١٧] ترجمتها في التكملة (ك رقم ٢١١٦)، اعلام النساء ٥/١٦٧.

(٤٦) يحتمل ان تكون ترجمته في التكملة (ط العطار) رقم ٩٧٨. يعرف بابن الصقيل، وفيه انه صحب محمد بن مسرة الجبلي، وكان دونه في السن توفي سنة ٣٢١ هـ.

(٤٧) ترجمته في الجذوة رقم ٥٣٩، البغية رقم ٨٩٠.

(٤٨) ك: «الشعر».

(٤٩) الاصل «ايام الحرب» والتصحيح من (ك).

(٥٠) تنظر في ترجمته: الجذوة رقم ٨٩، المطمح ٤٧ تحقيق: هدى شوكة بهنام بيروت ١٩٨٩ القلائد ٢/٢٤٩ تحقيق: د. خريوش - عمان ١٩٨٩ البغية رقم ١٧٠، المغرب ١/٩٦. النفح ٣/٥٤٤. وجاءت اشعار كثيرة له في كتاب البديع للحميري، وقد قامت هدى شوكة بهنام بجمع وتحقيق اشعاره في المورد ١٩٨٩/٢/١٨.

وقد وصف ابن بسام الكتاب بقوله: «وقد وقع اليّ من املاءاته، وغرائب أدواته تأليف جمعه للمعتضد (٤٣٣ - ٤٦١) سماه على ما اقتضاه مطابقة الزمان ومذهب الأوان (حديقة الارتياح في صفة الراح) دلّ على كثرة روايته، وجودة عنايته الى غير ذلك من نظمه ونثره وأوردت منه طرفاً شاهداً على ما أجريت من ذكره» الذخيرة ٢/١/١٠٦. ورأى كتابه الحميدي، وذكر أنه فيها قيل في الراح وفي الرياض والبساتين والنواوير. وقد تسبب المعتضد بن عباد الاشبيلي في قتله كما يذكر ابن خاقان في المطمح ص٤٧.

(٥١) الاصل «والد» وهو تحريف ما أثبتناه.

[١٨]

عتيق

الاقوبية زوج الوزراء الاخوة الاقوبيين وكانوا خلّفوا عليها، وكانت امرأة صالحة وتوفيت ببلنسية ذكرها ابو داود المقري[٥٢] وذكرِ ايضاً.

[١٨] التكملة (ك) رقم ٢١١٧.

(٥٢) يشير الى كتابه في النساء، الذي تقدم ذكره رقم ١٦.

[١٩]

ابنة فايز القرطبي

زوج أبي عبد الله بن عتاب[٥٣] ولم يسّمها، وقال: كانت ممن شهر بحفظ العلم والادب وتفننت، اخذت عن ابيها فائز علم التفسير واللغة العربية والشعر، وعن زوجها الفقه والرقائق، وخرجت من قرطبة للقاء ابي عمرو المقري[٥٤]، وأخذ القراءات عليه[٥٥] فألفته مريضاً عن قرحة بصلبه، كانت منها منيته، فحضرت جنازته، وسألت[٥٦] عن أصحابه، فذُكر لها أبو داود، فلحقت به بعد وصوله الى بلنسية[٥٧]. . «فقرأت»[٥٨] عليه القرآن بالقراءات السّبع وجوّدتها وضبطت عليه القراءات السبع في آخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ثم رحلت حاجة الى المشرق وتوفيت بمصر بعد تمام حجّها منصرفة الى الأندلس سنة ست وأربعين وأربعمائة قرأته بخط ابن عياد[٥٩].

[١٩] ترجمتها في (ك) رقم ٢١١٨ والذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٤ اعلام النساء ٤/١٥٦، وترجمة ابيها فايز (أ) رقم ٢٥٢١، الذيل والتكملة ٥/٢/٥٢٧ رقم ١٠٠٩، وكان عالماً بالتفسير واللغة اديباً شاعراً قائماً على ضياع عبدالعزيز بن عامر

(٥٣) ترجمته في الاحكام الكبرى ترجمة رقم ١ المناهل ع ٢١ ص ٢٩، ترتيب المدارك ١٣٧٨ - ١٣٤ (ط وزارة الاوقاف - الرباط ١٩٨٣ الصلة ٢/٥٤٤ رقم ١١٩٤، بغية الملتمس رقم ٢٤١، الوافي بالوفيات ٤/٧٩، الديباج المذهب ٢/٢٤١ لابن فرحون، تحقيق الاحمدي ابو النور - القاهرة ١٩٧٤ وهو محمد بن عتاب بن محميد الجذامي. كبير المفتين بقرطبة، كان فقيها، عالماً، ورعاً بصيراً بالحديث وطرقه عالماً بالوثائق. حافظاً للاخبار والامثال صليباً في الحق، منقبضاً عن السلطان، عليه مداد التقوى. دعي الى القضاء في قرطبة وطليطلة والمرية فاستعفى منهم، قدم الى الشورى وهو ابن احدى وثلاثين سنة ٤١٤ هـ، وتوفي سنة ٤٦٢ هـ بقرطبة.

(٥٤) هو ابو عمرو عثمان بن سعيد المقري الداني، المعروف بابن الصيرفي، من اهل قرطبة، من أشهر علماء عصره بالقراءات وصل الى المشرق ولقي العلماء بمكة ومصر والقيروان واستوطن دانية حتى عرف بها ولد سنة ٣٧١ وطلب العلم سنة ٣٨٥ هـ، وتوجه الى المشرق سنة ٣٩٧ وعاد الى الاندلس سنة ٣٩٩ وتنظر ترجمته في الجذوة ٣٠٥ رقم ٧٠٢. الصلة ١/٤٠٥ رقم ٨٧٨، البغية ٤١١ رقم ١٨٦.

(٥٥) (٥٦) اعترى الكلمتين بياض في الأصل.

(٥٧) كلمة مطموسة لم تهد لقراءتها.

(٥٨) زيادة تنسجم مع السياق.

(٥٩) وردت الاشارة اليه. وإلى كتابه في تراجم «١٦، ١٨».

[٢٠]

العبادية

جارية المعتضد عباد بن محمد[٦٠]، أهداها اليه مجاهد العامري، من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة [١٥٧/ب].

[٢٠] ترجمتها في (أ) ٢٨٧٠ الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٦، النفح ٤/٢٨٣، الدر المنثور ٣٢٧، اعلام النساء ٣/٢٢٧ وسيترجم لها ثانية رقم ٣٨.

(٦٠) هو المعتضد بن عباد بن محمد الاشبيلي (٤٣٣ - ٤٦١ هـ)، حاكم اشبيلية، له ديوان شعري، حققه الدكتور رضا السويسي، مجلة كلية التربية (٤) جامعة الفاتح سنة ٩٧٤ ثم نشره في كتاب «ملك اشبيلية الشاعر»، دار بوسلامة للطباعة والنشر - تونس سنة ١٩٨٥ كذلك حققه الدكتور محمد مجيد السعيد في مجلة المورد العراقية ٥/٢/٩٧٦.

[٢١]

متعة

جارية علي بن نافع المعروف بزرياب[٦١]، كانت رائعة الجمال، أدّبها مولاها وعلمها أحسن اغانيه، حتى شبَّت وتصرَّفت بين يَدي عبدالرحمن بن الحكم[٦٢]، تغنيه مرة وتسقيه أخرى، فلما فطنت لإعجابه بها، أبدت له دلائل الرغبة، فأبى إلا التستر فغنته بهذه الابيات وهي لها في ما أحسب:

(من المجتث)

يـامـن يـغـطـي هـواه ... مـن ذا يـغـطـي الـنـهـارا
قـد كـنـت أملك قـلـبـي ... حـتى عُـلِقـت فـطـارا
يـاوَيْـلَتي أتـراهُ ... لِي كـان او مـسـتـعـارا
يـابـأبي قـرشـيٌّ ... خَـلِعـتُ فـيـه الـعـذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده.

[٢١] ترجمتها في نفح الطيب ٣/١٣١.

(٦١) ابو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب، وهو الطائر الاسود الريش، كتب الى الحكم الربضي يستأذنه، فاستوفده، ثم دخل الاندلس لاول امارة ابنه عبدالرحمن الاوسط سنة ٢٠٦ هـ، وكان له دور كبير في الحياة الاجتماعية في الاندلس، وقد أسس اول معهداً للموسيقى فيه ذكر ابن حيان انه توفى سنة ٢٣٨ هـ ينظر في ترجمته: تاريخ افتتاح الاندلس ٦٨ ـ ٦٩، المقتبس ٨٧، المطرب ١٤٧ لابن دحية، تحقيق الابياري وآخرون ط القاهرة ـ ١٩٥٤، المغرب ١/٥١، النفح ٣/١٢٢ ـ ١٣٣ ومن الدراسات الحديثة التي تناولته الادب الاندلسي، هيكل ١٢٤، تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ٥٥، تاريخ الموسيقى الاندلسية ١٢٨ د. عبدالرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٩، وكتب د. محمد احمد الحفني دراسته عن «زرياب موسيقار الأندلس»، سلسلة اعلام العرب (٥٤).

(٦٢) تقدم التعريف به برقم ٥.

[٢٢]

البهاء

بنت الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبدالرحمن ابن معاوية، كانت من خير نسائهم من أهل الزهد والعبادة والتبتل، وكانت تكتب المصاحف وتحبسُها، وكانت لها رغبة في الفضل والخير، ! وهي التي ينسب اليها مسجد البهاء في مساجد ربض الرصافة، ذكر ذلك الرازي[٦٣] وابن حيان، وقرأت في تاريخ عَريب بن سعيد أنها توفيت في رجب سنة خمس وثلاثمائة لأول دولة الناصر فلم يتخلف أحد عن جنازتها.

[٢٢] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٥٨، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٤ لم تذكر في عداد بنات عبدالرحمن الخمسة والاربعين اللاتي ذكرهن ابن حيان في المقتبس ٢٢.

(٦٣) احمد بن محمد بن موسى الرازي، ولد في البيرة، طلب العلم ومال الى الأدب، لقب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا المجال، لكن اكثرها فقد، ولم تصل إلا نقول من هذه الكتب، وهو من أبرز من اسهم في تدوين تاريخ بلاده، الاندلس، واعتمد كتبه مؤرخو الاندلس وجغرافيوها امثال ابن حيان وابن الأبار وابن الأثير، وابن عذاري، وياقوت الحموي، وابن الخطيب، والحميري، والمقري ينظر دراسات في التاريخ الاندلسي ١٠١، د. عبدالواحد ذنون، ط دار الكتب ـ جامعة الموصل ١٩٨٧.

[٢٣]

عبدة

بنت بشر بن حبيب بن الوليد بن حبيب المروانية تروي عن ابيها بشر أشعاره وأخباره، وقد تقدم ذكره حكى ذلك ابن حيان عن اسحق القيني[٦٤].

[٢٣] تقدمت الاشارة الى «حبيب» والد بشر في ترجمة زوجته: «عابدة» المدنية رقم (٣) التي هي جدة عبدة، توفي الاب «حبيب» بعد المائتين، وابوها بشر تقدمت الاشارة اليه كذلك ينظر في ترجمتها التكملة (أ) رقم ٢٨٥٩، النفح ٢/٥٠٤، وفي ترجمة ابيها التكملة (ك) ٢٢٤ ـ ٢٢٥، المغرب ١/٦٢، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٨، النفح ٢/٥٠٤، وقد أورد ابن سعيد مقطعتين من شعره وأن احدها كانت سبباً في ان سجنه عبدالرحمن الاوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) ثم سرّحه فرحل الى المشرق للحج ورواية الحديث وجاء الاندلس بعدها.

(٦٤) الاصل: «القبش» وهو تحريف ما اثبتناه.

[٢٤]

حمدونة

بنت علي بن نافع زرياب كانت متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها مقدمة على عُليه اختها وتزوجها هاشم بن عبدالعزيز.

[٢٤] ترجمتها في النفح ٣/١٢٩ ـ ١٣١، اعلام النساء ١/٢٩٤.

[٢٥]

عليه

بنت علي بن نافع زرياب طال عمرها بعد أُختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فأفتقر الناس[٦٥] اليها وحملوا عنها.

[٢٥] ترجمتها في النفح ١/١٢٩، ٣٣١، اعلام النساء ٣/٣٣٤.

(٦٥) الكلمة مطموسة في الأصل.

[٢٦]

مصابيح

جارية الكاتب ابي حفص عمر بن قهليل[٦٦] «اخذت عن»[٦٧] زرياب وكانت غاية في الاستحسان والنبل وطيبة

الصوت، وفيها يقول ابو عمر بن عبدربه، وكتب به الى مولاها لما صدَّ عن سماعها[68]:

(من البسيط)

يامنْ يَضِنّ بصوتِ الطّائرِ الغَردِ ماكنتُ أحسب هذا البخل[69] من احد
لوأن أسماعَ أهلِ الارضِ قاطبة أصغت الى الصوت، لم ينقص ولم يَزد

من أبيات، فخرج حافيا اليه لما وقف على ذلك وأدخله الى محله وتمتع من سماعها.

[26] ترجمتها في النفح ١٣١/٣، اعلام النساء ٧٥/٥.

(66) الاصل «قليل» والتصحيح من النفح.

(67) بياض في الاصل.

(68) البيتان في ديوانه (تحقيق الداية) ص٥١ من قصيدة في ستة ابيات.

(69) الديوان: «الضن».

[٢٧]
ام الحسن

[١٥٨/أ]

بنت ابي لواءٍ سليمان بن أصبغ بن عبدالله بن وانسوس[70] ابن يزيد بن[71] . . المكناسي، مولى سليمان بن عبدالملك روت عن بقي بن مخلد سمعت منه وصحبته وقرأت عليه بلفظها كتاب الدهور، وحضر ذلك ابنه ابو القاسم احمد بن بقي[72] وهو يمسك عليها كتاب الشيخ، قال الامير عبدالله بن الناصر عبدالرحمن ابن محمد في المسكنة كانت الزاهدة أبنة ابي لواءٍ تسمع في داخل دار ابي عبدالرحمن منه يوماً في الجمعة منفردة بدولتها[73] يعني بقي ابن مخلد، ولها رحلة حَجَّت فيها، وكانت أمرأة صالحة زاهدة، فاضلة عاقلة، وقع ذكرها في كتاب فضائل بقي بن مخلد، وذكرها الرازي وقال: حجّت وسمعت الفقه والحديث، وقد سمع منها بقي بن مخلد ثم حجت حجة ثانية فتوفيت بمكة ودُفنت هنالك هكذا قال، وسماع بقي منها غلط في ظني والصح سماعها منه وكان عبدالله جد أبيها خيراً فاضلاً وكانت له رحلة حجّ فيها وله المقام المأثور يوم الهيج[74] وكان ذلك يوم جمعة فلجأ اليه بشرٌ كثير أغلق عليهم باب مسجده وكتب الى الامير الحكم يسأله تأمينهم ويعلمه انهم قد صاروا في حرم من حرمات الله فامنهم وسكن روعتهم بجواب كتبه اليه قال الرازي: كان لبني وانسوس نساء متقدمات في الخير والفضل والورع والنسك حج منهن ست نسوة وهن أم الحسن بنت ابي لواء وكلبية زوج أصبغ بن عبدالله ابن وانسوس، وأمة الرحمن وأمة الرحيم ابنتا أصبغ هذا ورقية ابنة محمد بن أصبغ وعائشة ابنة عمر بن محمد بن أصبغ قال المؤلف ونظيرة ام الحسن هذه اخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي لم أقف على أسمها كانت مقيمة بحفص البلوط بلدهم من خيرات النساء فاضلة متعبدة في مسجدها لصق بيتها يقصدها عجائز ناحيتها وصوالح نسائهم للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير الغابرين فكان لها ببلدها كبير ذكر، ذكر ذلك ابن حيان.

[27] ترجمتها في (أ) ٢٨٦٣، الذيل والتكملة ٤٨١/٢/٨، اعلام النساء ٢٦٠/١.

(70) تنسب المصادر سليمان الى البربر؛ وكان جده رئيساً بماردة ثم ثار على الامير الحكم بن هشام، وتمهد ابن ابنه (سليمان) مهاد الطاعة وعمل للسلطان وولي خطة الوزارة للامير عبدالله بن محمد وكان اديباً، شاعراً مطبوعاً، بليغاً داهية، وكان قد تولى خطة السوق للامير محمد، تنظر ترجمته في تاريخ افتتاح الاندلس ١٠٤، الجذوة رقم ٤٥٩، جمهرة انساب العرب ٤٩٩، البغية رقم ٧٧٥، الحلة السيراء ١٦٠/١، المغرب ٣٦٢/١، البيان المغرب ١٤٢/٢.

(71) بياض في الاصل.

(72) احمد بقي بن مخلد، قاضي قضاة قرطبة، توفي سنة ٣٢٤هـ، ينظر في ترجمته ابن الفرضي رقم ١٠٣، الاحكام الكبرى لابن سهل الاندلسي. مجلة المناهل ٢١/١٩٨١ رقم (٢٠)، الجذوة، رقم ٣٨٥، المرقبة العليا ٦٣ ابو الحسن النباهي (ت ٧٩٣) ط بيروت د . ت . ، الديباج المذهب ١٧٠/١ واما أبوه بقي، فهو من اشهر فقهاء الأندلس وترد ترجمته في أكثر كتب التراجم.

(73) كذا ضبطها النَّاسخ ولعل الصَّواب «بروايتها».

(74) الهيج وقعة مشهورة حصلت في عهد الحكم الربُضي ينظر عنها أعمال الإعلام ١٥، تاريخ افتتاح الاندلس ٥٠ البيان المغرب ٧١/٢.

[٢٨]
رقية

بنت الوزير تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام ابن علقمة[75]، مولى عبدالرحمن ابن ام الحكم الثقفي[76] دخلت القصر بقرطبة وكانت تكتب لابنه[77] الامير المنذر بن محمد ذكرها الرازي.

[28] ترجمتها في (أ) ٢٨٦٤، الذيل والتكملة ٤٨٥/٢/٨.

(75) دخل جده الاندلس في طالعة بلج بن بشر ولد عام سنة ١٨٤ وتوفي ٢٨٣ هـ ولي خطة الوزارة للامير محمد بن عبدالرحمن ووليديه المنذر وعبدالله، فانتظمت وزارته لثلاثة خلفاء، كان عالماً اديباً، تنظر ترجمته في الحلة السيراء ١٤٣/١.

(٧٦) ام الحكم بنت ابي سفيان بن حرب، اخت معاوية، وعرف ابنها بها لشرفها.

(٧٧) تنظر ترجمته في تاريخ افتتاح الاندلس ١١٣، البيان المغرب ١١٣/٢.

[٢٩]
قمر

البغدادية جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي(٧٨)، صاحب اشبيلية، كانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصَوغ الألحان، لاتُدانى أدباً وظرفاً، ورواية وحفظاً، مع فهم بارع وجمال وكانت تقول الشعر(٧٩) [١٥٨ /ب].

[٢٩] ترجمتها في (ك) رقم ٢١١٤، نفح الطيب ١٤٠/٣، الدر المنثور ٤٥٢، اعلام النساء ٢٢٠/٤، شاعرات العرب ٣٢٦-٣٢٧، وقد اورد ابن الابار في (ك) لها شعراً بديعاً منه:

آهاً على بغدادها وعراقها ... وظبائها والسحر في احداقها
وحجالها عند الفرات بأوجه ... تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما ... خلق الهوى العذري من اخلاقها
نفسي الفدا لها فأي محاسن ... في الدهر تشرق من سنا اشراقها

وذكر المقري قولها في مدح مولاها:

ما في المغارب من كريم يُرتجى ... الا حليف الجود ابراهيم
إني حللت لديه منزل نعمة ... كل المنازل ما عداه ذميم

(٧٨) توفي ابراهيم بن حجاج سنة ٢٨٨هـ ينظر عنه: المقتبس ـ انطونيا ١١، الحلة السيراء ٣٧٦/٢، اعمال الاعلام ٣٥، البيان المغرب ١٢٥/٢.

(٧٩) جاءت بداية الورقة ١٥٨/ب ثلاثة اسطر مبتورة لاصلة لها بصاحبة الترجمة كما لا تنسجم مع الترجمة التي تسبقها وقد تبين من المقابلة مع التكملة (أ) انها جزء من آخر ترجمة في الاصل (مسعدة) ولذلك الحقنا بها. ويحتمل أن يكون عدد من التراجم ساقطاً بمقدار ورقة.

[٣٠]
زينب

بنت ابي الحسن عباد بن سرحان(٨٠) المعافري من أهل شاطبة، روت عن أبيها وأجاز لها وكانت دينة فاضلة، كثيرة(٨١) الأوراد، صوّامة قوّامة، تسردُ الصَوم، وتوفيت في حدود الثمانين وخمسمائة(٨٢)، روت(٨٣) عن بعض اصحابنا.

[٣٠] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٨٩، الذيل والتكملة ٤٨٥/٢/٨

(٨٠) في الذيل: «بن مسلم بن سيد الناس».

(٨١) و(٨٣) الكلمتان مطموستان في الاصل.

(٨٢) الاصل «خمس» والتصحيح من أ

[٣١]
الشلبية

الأديبة لم أقف على اسمها، وحدثني الثقة(٨٤) أنها تظلمت من ولاة بلدها وصاحب خراجها فكتبت هذه الأبيات الى الخليفة(٨٥) المنصور ابي يوسف(٨٦).

قد آن أن تبكي العيونُ الآبية ... ولقد أرى أنَّ الحجارةَ باكية
ياقاصدَ المصر الذي يُرجى به ... إن قدّر الرحمن رفع كراهية
نادِ الأمير(٨٧) اذا وقفتَ ببابه ... ياراعياً انَّ الرَّعية فانية
ارسلتَها هملاً، ولا قرعى لها ... وتركتها نهبَ السّباع العافية(٨٨)
شِلْبٌ كلاشِلْب وكانت جنّةً ... فأعادَها الطاغونَ ناراً حامية(٨٩)
خافوا(٩٠)، وماخافوا عقوبة ربهم ... والله لاتَخفَى عليه خافية(٩١)

فيقال: إنها أُلقيت يوم جمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة، وتصفحها بحث عن القصة ووقوفها على حقيقتها، وأمر للمرأة بصلة.

[٣١] ترجمتها في التكملة (أ) ٢٨٩٠، فوات الوفيات ٣٩٤/١ رقم ١٤٢، الذيل والتكملة ٤٩٥/٢/٨، النفح ٢٩٤/٤، الدر المنثور ٢٥٦، شاعرات العرب ١٨٣ اعلام النساء ٣٠٣/٢.

(٨٤) الكلمة غير مقروءة في الأصل والتصحيح من (أ).

(٨٥) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٨٦) وهو يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن تولى حكم الموحدين (٥٨٠-٥٩٥هـ) وقد جاءت الابيات في الذيل والتكملة والنفح.

(٨٧) الذيل: «الامام».

(٨٨) النفح: «العادية».

(٨٩) في عجز البيت اقتباس نصّ في قوله تعالى (الغاشية ٤) «تصلى ناراً حامية».

(٩٠) النفح: «خافوا».

(٩١) في عجز البيت اقتباس إشاري من قوله تعالى (الحاقة ١٨) «يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية».

[٣٢]
حفصة

بنت الحاج الركوني من ساكني غرناطة، كانت أديبة شاعرة، وكتبت الى بعض الخلفاء تسأله صكاً(٩٢):

(عن المجتث)

ياسيد الناس(٩٣) يامن ... يؤمل الناس رِفدَهْ
امنن عليَّ بصك(٩٤) ... يكون للدهر عُدَّهْ
تخط يمناك(٩٥) فيه: ... «الحمد لله وَحْدَه»(٩٦)

[٣٢] ترجمتها في المطرب ١٠، معجم الادباء ١٠/٢١٩ - ٢٢٧، التكملة (أ) رقم ٢٨٩١، المقتضب ١٦٧، ابن الابار، تحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ١٩٥٧، المغرب ٢/١٣٨، الاحاطة ١/٤٩١ - ٤٩٣ لابن الخطيب تحقيق عنان، الخانجي - القاهرة ١٩٧٣، النفح ١/١٧٦، ٤/١٧١ - ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، الدر المنثور ١٦٥ شاعرات العرب ٧٢ - ٧٦، أعلام النساء ١/٢٦٧ - ٢٧١.

يقدر الدكتور الطّاهر مكي أن ولادتها بحدود سنة ٥٣٠ هـ وقد قدم دراسة واسعة عنها وأردفها بما وقف من اشعارها في دراسات اندلسية ٨٨ - ١٠١ والركوني نسبة الى قرية صغيرة تدعى ركانة على بعد ٦٩كم الى الشرق من بلنسية، دراسات اندلسية ٩١.

(٩٢) البيتان الثاني والثالث في بغية الملتمس ٥٤٥ منسوبين الى الوادي آشية على أنهما مما كتب بها الى الخليفة الامام امير المؤمنين ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠هـ) ثاني حكام الموحدين وجعلها د. الطاهر مكي في خطاب عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨هـ).

(٩٣) الكلمة مطموسة في الاصل.

(٩٤) المغرب والنفح ومعجم الادباء «بطرس».

(٩٥) المقتضب: «خطّت يمينك».

(٩٦) في الاصل والمقتضب: «والحمد لله» وما أثبتناه يوافق ما جاء عن الموحدين من أنهم كانوا يكتبون في رأس المنثور «الحمد لله وحده».

[٣٣]
حمدة

بنت زياد بن عبد الله بن باقي المؤدب العوفي من أهل وادي أش يروي عنها ابو القاسم بن البراق(٩٧)، وكانت أديبة شاعرة، وحدثني بعض أصحابنا عن ابي الكرم جودي بن عبد الرحمن قال انشدني ابو القاسم بن البراق، وقال: انشدتنا حمدة بنت زياد العوفية لنفسها، وقد خرجت متنزهة(٩٨) بالرملة من نواحي وادي آش [١٥٩/أ] فرأتْ ذات وجه وسيم أعجبها فقالت، وبين الروايتين خلاف(٩٩):

(من الوافر)

أباحَ الدمع(١٠٠) أسراري بوادي ... به للحسن آثارٌ بَوادي
فمن وادٍ(١٠١) يطوف بكل روضٍ ... ومن روض يطوف(١٠٢) بكل وادي
ومن بين الظباءِ مَهاةُ رمل(١٠٣) ... سَبَتْ لُبّي(١٠٤) وقد ملكت قيادي(١٠٥)
لها لحظ تُرقّده لأمر(١٠٦) ... وذاك الأمر(١٠٧) يمنعني رُقادي
اذا سَدَلَتْ ذوائِبَها عليها(١٠٨) ... رأيت البدر في جنح الدآدي(١٠٩)
كأنّ الصُّبح مات له شقيق(١١٠) ... فمن حزنٍ تَسَربَلَ بالحدادِ

[٣٣] ترجمتها في (ك) ٢١٢٠، بغية الملتمس رقم ١٥٩٠، المقتضب ١٦٢، المطرب ١١، الرايات ٢٦٣ لابن سعيد، تحقيق القاضي القاهرة ١٩٧٣ المغرب ٢/١٤٥، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٥، الاحاطة ١/٤٨٩، ٣/٢١٦، عقود الجمان للزركشي ٣/٩٥، النفح ٤/٢٨٧، الدر المنثور ١٧٠، اعلام النساء ١/٢٩٢، شاعرات العرب ٢٠٨، وذكر ابن الخطيب ان لها اختاً شاعرة هي زينب، ووصفها بالجمال والمال والصون وانهما معروفتان بالصيانة والنزاهة.

وفي اخبار ابي بكر محمد بن سعيد العنسي، ما يشير الى صلته بها وباختها (زينب) ومجالسته لهما في ابيات، ولذلك سعى به الاعمى التطيلي عند الامير علي ابن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) بما كان سبب عزله ومنها قوله:

مابين زينب عمري ... أحث كأسي وحمدة
(الاحاطة ٤/٢١٦)

وقد اورد المقري (٤/٢٨٧) ثلاثة أبيات مطلعها:

ولما أبى الواشون الا فراقنا ... ومالهم عندي وعندك من ثار

وذكر انها تنسب لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية (في ادناه رقم ٣٤) كذلك ذكر ان بعضهم نسب الى حمدة الابيات الشهيرة بهذه البلاد الشرقية:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم

واورد اراء المؤرخين في نسبتها ورجّح ان تكون لها، وقد تابع الريسوني في ص١١٦ - ١١٧ نسبة هذه الأبيات، وساق رأي الميمني الراجكوتي في تخريج الأبيات منسوبة الى الشاعر المشرقي المنازي (ت ٤٣٧ هـ).

(٩٧) ترجمته في الذيل والتكملة ٦/٤٥٧ - ٤٨٣ ووفاته سنة ٥٩٦ هـ.

(٩٨) الكلمة مطموسة والتصحيح من (ك).

(٩٩) الابيات «١، ٣، ٥، ٦،» في بغية الملتمس رقم ١٥٩٠ والابيات ١ - ٦ في وافي الوفيات ١/٣٩٤ وفي نفح الطيب ٤/٢٨٨، وذكر أنها خرجت الى نهر متقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن.

(١٠٠) المقتضب: «الدهر».

(١٠١) في «ك»، الذيل، النفح «نهر».

(١٠٢) النفح: «يرف».

(١٠٣) البغية والنفح «مهاة أنس».

(١٠٤) المطرب «تبدلت لي» المقتضب: «عقلي» وفي النفح: «لها لبي».

(١٠٥) المقتضب والنفح: «فؤادي».

(١٠٦) (ك) «الاسر».

(١٠٧) (ك)، الذيل: «وذاك اللحظ».

(١٠٨) المقتضب: «عليه» ورواية عجز فيه «كمثل البدر في الظلم الدآدي».

(١٠٩) الدآدي، ثلاث ليال من آخر الشهر، وهي جمع دأداء، الليلة شديدة الظلمة ورواية البيت في البغية:

قد سدلت ذوائبها لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي

(١١٠) البغية: «تخال الصبح، له خليل» المطرب: «تخال البدر مات له خليل».

[٣٤]

مهجة

بنت ابن عبدالرزاق من أهل قشتر، عمل غرناطة كانت أديبة شاعرة من طبقة نزهون القليعية، وكان لها تصاون، حكى لي ذلك بعض قرابة الأمير محمد بن سعد، وكان شيخاً صالحاً عاقلاً وسكن غرناطة مدة.

[٣٤] ترجمتها في (أ) ٢٨٩، المغرب ١٤٣/١، الذيل والتكملة ٤٩٢/٢/٨، النفح ٢٨٧/٤، اعلام النساء ١١٩/٥.

[٣٥]

خديجة

بنت ابي علي حسين بن محمد الصَّدفي من أهل مُرسية ودار سلبها سرقسطة تركها ابوها عند خروجه غازياً الى كتنذة في حين الفطام من رضاعها، وسأل ان لايجمع عليها فقده وفطامها، فنشأت صاحة زاهدة، تحفظ القرآن وتقوم عليه وتذكر كثيراً من الحديث في الأدعية وغيرها وكانت حسنة الخط ملتزمة لمطالعة الكتب، وتزوجها صاحب الصلاة بمرسية، ابو محمد عبدالله ابن موسى، بن برطلة فولدَتْ له ابنه ابا بكر عبدالرحمن، وأنجبت وولدت له غيره، وتوفيت بعد التسعين وخمسمائة وقد نيفت على الثمانين.

[٣٥] ترجمتها في (ك) ٢١٢١، اعلام النساء ٣٢٦/١.

[٣٦]

زينب

بنت الخليفة ابي يعقوب يوسف ابن الخليفة أبي محمد عبدالمؤمن بن علي(١١١)، ولدت بالاندلس وتزوجها ابن عمها ابو زيد بن ابي حفص ابن الخليفة(١١٢)، اخذت عن ابي عبيد الله ابن ابراهيم علم الكلام، وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة بالتفوق(١١٣) على نساء اهل زمانها أخبرني بذلك ابن سالم ولم يذكر تاريخ وفاتها.

[٣٦] ترجمتها في (ك) ٢١٢٢، الذيل والتكملة ٤٨٦/٢/٨.

(١١١) ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ) ترجمته في المعجب ٣٠٨ - ٣٣٤ البيان المغرب قسم الموحدين ١٧٠ - ١٧٥، تاريخ المن بالامامة ٢٠٥، الانيس المطرب ص ٢٠٥ - ٢١٦ (لابن ابي زرع ط دار المنصور - الرباط ١٩٧٣).

(١١٢) زوجها عبدالرحمن بن عمر بن عبدالمؤمن، ينظر العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ص٣٣ محمد المنوني ط' دار المغرب ١٩٧٧م.

(١١٣) الذيل: «معروفة الشفوف».

[٣٧]

فاطمة

بنت سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري البلنسي سمعها أبوها بأصبهان وغيرها وببغداد من أبي بكر محمد ابن عبدالباقي وابي منصور القزاز < . . . >(١١٤) وحدثت بمصر وتوفيت بها في ربيع الاول سنة ستمائة وسماعها صحيح كان ذكرها ابن نقطة مع ابنها وقد تقدم ذكره ولا أدري أولدت بالأندلس أم لا.

[٣٧] التكملة (ك) ٢١٢٥، نفح الطيب ٦٣٢/٢، اعلام النساء ٥٩/٤ - ٦٠، وقد احال في ترجمتها الى مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة.

(١١٤) كلمة مطموسة.

[٣٨]

العبَّادية

[١٥٩/ب] شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابو الحزم ابن عليم في شرحه لأدب الكتَّاب لابن قتيبة(١١٥) وذكر الموسعة، أغربت جارية لمجاهد أهداها الى عباد، كاتبة وشاعرة، على علماء اشبيلية(١١٦)، والغرمة(١١٧) التي تظهر في اذقان بعض الاحداث، وتعتري بعضهم في الخدين عند الضحك(١١٨)، اما الذي في الذقن فهو النونة، ومنه قول عثمان (رض الله عنه): دَسِّموا نُونته(١١٩) لتدفع العين، امّا التي في الخدين عند الضحك فهي «الفحصة»(١٢٠) فما كان في ذلك الوقت في اشبيلية من عرف منها واحداً.

وسهر عبَّاد ليلة لأمر حزَبه وهي نائمة فقال:

(من المتقارب)

تنامُ ومدنفها يَسهرُ وتصبرُ عنه ولايَصبُر[121]

فأجابته:

لئن دامَ هذا وهذا به سَيهلك وجداً ولا يَشعرُ

[38] «العبادية» من الاصل حيث جاءت الترجمة بغير اسم او لقب والتتمة من النفح ٢٨٣/٤، وقد تقدم ذكرها في أدناه رقم ٢٠.

(١١٥) اشهر شروح ادب الكتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، لابي محمد ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) وقد نشر بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبدالمجيد في ثلاثة اقسام الهيئة المصرية العامة للكاتب ـ القاهرة ١٩٨١ واختلف في تسمية الكتاب بين الافراد و الجمع، (الكاتب او الكتاب) وشرح الكتاب شروحاً كثيرة، منها شرح عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٣٩) وشرح ابن القوطية محمدبن العزيز اللغوي الشاعر (فهرسة ابن خير ص٣٤٤) واما ابن عليم فهو الحسن بن محمد بن يحيى اشار ابن بشكوال الى شرحه لادب الكتاب وذكر انه من بطليوس (الصلة رقم ٣١٦) ـ وينظر مقدمة الدكتور حامد عبدالمجيد للاقتضاب ص١٨.

(١١٦) يلاحظ ارتباك في سياق الجملة وبحذف «كاتبة شاعرة» تستقيم العبارة.

(١١٧) في الذيل والنفح: «بالهزمة» في القاموس هزمة: غمره بيده فصارت فيه حفرة، ولم اجد الالفاظ في كتب خلق الانسان، في اللسان مادة (نون) عن الهروي والازهري: الخنعبة والنونة، والهزمة والثومة، والوهدة، والقلتة، و...» بمعنى واحد.).

(١١٨) الكلمة مطموسة في الاصل والتصحيح من الذيل والنفح.

(١١٩) النونة: النقرة في ذقن الصبي الصغير.

(١٢٠) اللسان مادة (فحص) الفحصة: النقرة تكون في الذقن والخدين من بعض الناس.

(١٢١) في الذيل «وتبصر عنه ولايبصر» وهو من قوله تعالى: «فبصرت به عن جنب» القصص ١١.

[٣٩]

زينب

بنت ابي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري[122] سمعت اباها كثيراً وسكنت معه في شرق الأندلس[123]، وكانت من صوالح النساء وهي أم سبطيه أبي محمد عبدالله بن علي اللخمي[124] ولا أدري أتوفيت في حياة أبيها أم بعده؟

[٣٩] ترجمتها في الذيل والتكملة ٤٨٦/٢/٨.

(١٢٢) ابو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، من جلة علماء الاندلس في الفقه والقراءات والحديث والتاريخ له مصنفات كثيرة وابنه ابو محمد عبدالله كان عالماً واديباً توفي في حياة ابيه سنة ٤٥٨هـ، وترجمت لابي عمر كتب كثيرة منها الجذوة رقم ٨٧٤، البغية رقم ١٤٤٣، الصلة ٦٧٧/٢ رقم ١٥٠١، المغرب ٤٠٧/٢، وفيات الاعيان ٦٦/٧ رقم ٨٣٧ وتنظر المقدمة الشاملة عنه لمحمد مرسي الخولي محقق بهجة المجالس ١/ ٧ ـ ٢٧، ط القاهرة ١٩٦٨.

(١٢٣) في الذيل والتكملة: «انها سكنت في شاطبة».

(١٢٤) في الذيل: ام سبطيه ابي محمد عبدالله وابي جعفر احمد بن علي اللخمي وترجمة الاول في التكملة ٨٢١ وبغية الملتمس ٣٤٩.

[٤٠]

غاية المنى

جارية أندلسية متأدبة كانت تقول الشعر وعُرضت على ابن صمادح صاحب المرية ولما مثلت بين يديه قال لها: ما اسمك؟ قالت: غاية المنى فقال لها:

(من مجزوء الخفيف)

اجيزي:

سل هوى غاية المنى[125]

فقالت:

من كسا جسمي الضنا؟

وأراني متيماً سيقول الهوى وانا

هكذا أورد السالمي[126] هذه الحكاية، في تاريخه، وقرأت بخط الثقة حاكياً عن القاضي ابي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية نبيلة تقول الشعر وتحسن المحاضرة، فقال: تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب[127]، وكان كفيفاً ليختبرها، فلما وصلته قال:

ما اسمك؟ قالت: غاية المنى. فقال:

(من مجزوء الخفيف)

سل هوى غايةِ المنى من كسا جسمي الضنا؟

فقالت:

وأراني متيماً سيقول: الهوى انا

فحكي ذلك لابن «صمادح»[128] فاشتراها.

[٤٠] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٧٢ الذيل والتكملة ٤٨٨/٢/٨، النفح ٢٨٦/٤، الدر المنثور ٣٥٥، اعلام النساء ٥/٤.

(١٢٥) النفح: «اسألوا غاية المنى».

(١٢٦) هو ابو عامر محمد بن احمد البلوي السالمي، اصله من مدينة سالم، من أهل الادب والعلم والتاريخ له مؤلفات كثيرة، والغالب انه ينقل من أشهر كتبه «درر القلائد وغرر الفرائد» لانه ترجم فيه لعدد من الادباء توفي سنة ٥٥٩هـ، الذيل والتكملة ٦/٧ ـ ٨، التكملة ٤٩٥، الوافي ٢/١١١، بغية الوعاة ١٢، دراسات في التاريخ الاندلسي ص ٢١١ ـ ٢١٤.

(١٢٧) نفح الطيب ٣/٣٨٢.

(١٢٨) الكلمة مطموسة في الأصل، والإضافة من النفح.

[٤١]

حبيبة

بنت عبدالعزيز بن موسى بن طاهر بن سباع زوج ابي القاسم بن مدير المقري تعرف بطونة قاله ابن فرثون: سمعت ابا عمر بن عبدالبر وكتبت عنه من تواليفه وابا العباس العذري [٩٦٠/أ] وسمع زوجها ابوالقاسم بقراءتها عليهما، وكانت جيدة[١٢٩] الخط، ضابطة لما كتبته[١٣٠]، دينة، وتوفيت سنة ست وخمسمائة وكان مولدها سنة سبع وثلاثين واربعمائة، وذكر ابنها ابو بكر، وحدث به ابن بشكوال عنه خارج الصلة وقيده ابن خير وافادنيه بعض اصحابنا وزعم ان ابن بشكوال قيد ذلك في بعض معلقاته قاله عبدالرحمن بن <...>[١٣١].

٤١] هذه الترجمة سقطت من (أ).

١٢٩) اعترى الكلمة بياض.

١٣٠) اعترى الكلمة بياض.

١٣١) بياض في الاصل.

[٤٢]

أسماء

بنت ابي داود سليمان بن نجاح[١٣٢] من أهل بلنسية، روت ن أبيها كثيراً وشاركته في بعض شيوخه وهي التي زوجها من حمد بن محمد[١٣٣] فتى كان يقرأ عليه وكان فاضلاً مقلاً، فأعجبه سمته، وقال له يوماً: «أتحب أن أزوجك بنتي، فخجل الفتى ذكر حُجةً تمنعه، فزوجها منه، ونظر لها في جهازها وزفها اليه.

٤٢] الذيل والتكملة ٨/٢/٤٧٨، التكملة رقم ٢٨٧٣، وترجمة أخيها في الذيل التكملة ٦/٢٢١.

١٣١) تقدم التعريف به في أعلاه رقم ١٦.

١٣٢) في الذيل «ابن محرز»، واشار الى مصادر ترجمته في التكملة ١/٢٧، والذيل التكملة ١/٤١٥. وغاية النهاية ١/١١٣

[٤٣]

ام شريح

المقري من أهل اشبيلية كانت تقرأ القرآن خلف ستر بحرف نافع اخذت عن زوجها ابي عبدالله بن شريح، وكان ابوبكر عياض بن بقي[١٣٤] ممن قرأ عليها في صغره وكان يفخر بذلك ويذاكر ابنها شريحاً[١٣٥] ويقول: قرأت على أبيك وأمك فلي مزيةٌ على أصحابك، ومانة ولايمتّ بمثلها أحدٌ إليك، فيقرّ له الشيخ ويصرفه.

[٤٣] لها ترجمة في الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٤ وفيها معلومات اضافية.

(١٣٤) الذيل والتكملة ٥/٤٨٩ ـ ٤٩٠ رقم ٨٨٧.

(١٣٥) هو ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح، ترجمته في الصلة ٢٣٤، الغنية ٢٧٣، من جلة المقرئين والادباء والمحدثين تولى القضاء في اشبيلية، لقيه ابن بشكوال سنة ٥١٦هـ، واخذ منه وذكر مولده سنة ٤٥١ ووفاته سنة ٥٣٩ هـ.

[٤٤]

تميمة

بنت يوسف بن تاشفين أخت علي بن يوسف تكنى أم طلحة كانت كاملة الحسن راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم، وسكنت فاس، ورءاها يوماً كاتب لها وكانت قد أمرت بمحاسبته، وبرزت لذلك، فلمّا نظرت اليه عَرفت مادهاه، وفطنت لما عراه فأومأت اليه وأنشدته:ـ

هي الشمس مسكنها في السَّماء ... فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلاً
فلن تستطيع اليها الصعود ... ولن تستطيع اليك النزولاً

[٤٤] ترجمتها في جذوة الاقتباس ١٧٣.

[٤٥]

زينب

بنت ابراهيم بن تيفلويت زوج ابي الطاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين[١٣٦]، كانت من أهل الخير والتصاون والنوافل والصدقات وأفعـ(ـال الخير، والنوائل)[١٣٧]، تقوم على كثيرٍ من الخير وتحفظ جملة وافرة من الشعر، ولها يقول ابو أسحق:

مشهورة (في الفضل)[١٣٨] قدماً والنهى ... و(النبل شهرة غُرَّة في)[١٣٩] أدهم
تُعلى الأيادي (عن يدٍ)[١٤٠] نزل الندى ... (منها بمنزلة)[١٤١] المحبِّ المكرم
ملكتْ به الأحرارَ أكرمْ خُسْرةٍ ... بَسَط المقلَّ (بها عين)[١٤٢] المنعمِ
حَمل الثناء بها القريضُ ... وانما حُمِل الحديثُ رواية عن مسلمِ

[٤٥] تنظر ترجمتها في الذيل والتكملة ٤٩٨/٢/٨، والابيات من قصيدة في ثلاثين بيتاً يخاطب بها ابن خفاجة، أشهر شعراء الاندلس (ت ٥٣٣هـ) الامير المرابطي ابي الطاهر تميم بن يوسف وهي الابيات (١٩، ٢٢، ٢٩، ٣٠) منها وجهها الى مريم الاديبة، يتشفع بها الى زوجها، تميم، ديوان ابن خفاجة رقم ٥٢ (تحقيق د. مصطفى غازي - الاسكندرية - ١٩٧٣).

(١٣٦) ترجمته في الانيس المطرب: ١٥٨ - ١٦٤.

(١٣٧) ما بين القوسين بياض في الأصل، والتصحيح من الذيل والتكملة.

(١٣٨) الكلمتان مطموستان في الاصل والتصحيح من الذيل والتكملة.

(١٣٩) ما بين القوسين بياض من الأصل، والاضافة من الذيل والتكملة.

(١٤٠) (١٤١) الكلمتان مطموستان في الاصل.

(١٤٢) بياض في الاصل والاضافة من الديوان.

[٤٦]

حواء

(بنت ابراهيم بن تيفلويت، كانت مثل)[١٤٣] اختها في الصلاح والخير.

[٤٦] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٧٧، الذيل والتكملة ٤٩٨/٢/٨.

(١٤٣) اعترى اسمها وما بين القوسين بياض في الاصل استكملناه من (أ).

[٤٧]

فاطمة

[١٦٠/ب] بنت عبدالرحمن بن محمد بن حيوة الدمشقي المغربي كانت ممن طلب العلم ولها سماع من ابي داود المُقري[١٤٤] بدانية في سنة تسعين واربعمائة وكان ابوها ابو زيد مقرئاً بسرقسطة وقد تقدم ذكره في باب عبدالرحمن[١٤٥].

[٤٧] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٧٨، الذيل والتكملة ٤٩٠/٢/٨.

(١٤٤) تقدم التعريف به في رقم ١٦.

(١٤٥) توفي سنة ٥٠٣ هـ وترجمته في التكملة (ك) رقم (١٥٧٢).

[٤٨]

أسماء

بنت علي بن خلف بن احمد بن عمر الرشاطي، من أهل أوريولة حكى عنها ابو محمد الرشاطي[١٤٦] في نسبه هذا ما أورده في حرف الراء من كتابه وذكر أنها عمة أبيه.

[٤٨] الذيل والتكملة ٤٧٨/٢/٨.

(١٤٦) هو ابو محمد عبدالله بن علي عبدالله بن علي في كتابه «اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار» وترجمته في الصلة ص ٢٩٧ وحول نسبته قال:

هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها، وقد كنت أظن انها نسبة الى موضع اوبلد، فسألت عن ذلك ابي رحمه الله، فقال: هذه نسبة قد شهرنا بها نحن وآباؤنا، ولا أعلم لها أصلاً، فسألت عن ذلك اسماء عمة ابي رحمها الله فقالت: ان أحد أجدادنا كانت في جسمه شامة كبيرة هي التي تعرف بالوردة ويسميها العجم «رشته»، وكانت له في صغره خادم عجمية تحضنه وتكفله عندما تخدّعه وتلاعبه تقول له: «رشطالة»، وكثر ذلك منها حتى غلب عليه وقيل «رشاطي» توفي نحو سنة ٥٤٠.

[٤٩]

اسماء

العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى الخليفة أبي محمد عبدالمؤمن بن علي رسالة تَمُتُّ[١٤٧] اليه فيها بسلفها[١٤٨] العامري، وتسأله رفع الأنزال عن دارها، والاعتقال عن مالها وفي <آخرها قصيدة>[١٤٩] أولها:

(من الوافر)

عَرفنا النَّصَر والفتحَ المُبينا ... لسَيدنا أَمير المؤمنينا

اذا كان الحديثُ عن المعالي ... رأيتُ حديثكم فيها[١٥٠] شجونا

وعنها:

رويتم عِلْمَه فَعَلمتُوه ... وصُنْتم عَهْدَه فغَدا مَصُونا

[٤٩] الذيل والتكملة ٤٨٠/٢/٨، النفح ٢٩٢/٤، الدر المنثور ٤٠، أعلام النساء ٥٦/١.

(١٤٧) النفح «نمت اليه» وهو تصحيف.

(١٤٨) النفح: بنسبها.

(١٤٩) الكلمتان مطموستان والتصحيح من النفح.

(١٥٠) النفح: «فينا».

[٥٠]

ورقاء

بنت بنتان الحاجة من اهل طليطلة سكنت مدينة فاس وكانت اديبة شاعرة صالحة حافظة للقرآن بارعة الخط، وتوفيت بعد سنة أربعين وخمسمائة ذكرها ابوالعباس بن فرتون في كتاب الذيل لتاريخ ابن بشكوال وقال كانت في دار جد ابي لامه.

[٥٠] الذيل والتكملة ٤٩٠/٢/٨، اعلام النساء ٢٨٤/٥.

[٥١]

عزيزة

بنت القاضي ابي محمد بن حيان من أهل قرطبة وجدت

حظها بمطالعة بعض مارواه ابو القاسم بن بشكوال مطالعة تفهم وتدبر في شوال سنة أحدى وخمسين وخمسمائة.

[٥١] الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٨.

[٥٢]

ام الهناء [أمة الرحمن][١٥١]

بنت القاضي ابي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية وأم أبي يعقوب ـ الحسن بن حسان القضاعي الطبيب من أهل غرناطة، سمعت أباها وكانت <من اهل العلم و>[١٥٢] الفهم والعقل حاضرة النادرة، سريعة التمثل، ولها تأليف في القبور ذكره <. . . .>[١٥٣] اذ ان أباها لما ولى <قضاء المرية>[١٥٤] دخل داره وعيناه تدمعان وجداً لمفارقة وطنه <فانشدته>[١٥٥] متمثلة[١٥٦]:

(من الكامل)

ياعين صارَ الدمعُ عندك عادةً ... تبكينَ في فرحٍ وفي أحزانِ

وكان ابو محمد في شبيبته قد نكب على أيدي بعض أمراء لمتونة وغرب ابن غالب الى السوس وهذا البيت ثالث لبيتين تقدمها وهما:

جاء الكتاب من الحبيب بأنه ... سيزورني فاستعبرتْ أجفاني

غلبَ السرورُ عليَّ حتى أنه ... من فرط عظمِ مسرتي أبكاني

«ياعين صارَ الدَّمعُ عندكِ عادةً ... تبكينَ في فرحٍ وفي أحزانِ»

فاستقبلي بالبِشر يومَ لقائه ... ودَعي الدموع لليلة الهجرانِ[١٥٧]

اوردها عبدالدايم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبي[١٥٨] الذي سماه بالمكتفي، ونقلتها من خط ابي محمد الركلي والبيت الأخير لغيره.

[٥٢] تنظر ترجمتها في الذيل والتكملة ٨/٢/٤٧٧، صلة الصلة ٢٧٧، النفح ٤/٢٩٢، الدر المنثور ٥٤، اعلام النساء ٥/٢١٣ وترجمة ابيها في معجم اصحاب الصدفي (ط القاهرة) رقم ٢٤٠، في الذيل والتكملة أن اسمها: أمة الرحمن، وأن كنيتها: «أم هاني» وجده المؤلف في كتاب لها عن الأدعية، وأنّها ذكرت فيه من أخذ عنها، وانها كانت من النجيبات تزوجها ابو علي الحسن بن محمد بن حسان، فولدت له ابا جعفر احمد مصنف الجمل والتفصيل في تدبير الصحة في الاقامة والرحيل، وخلفه عليها ابو عبدالرحمن محمد بن طاهر فولدت له ابا جعفر عبدالحق مؤلف الاصول في صناعة العدد العملية وقد ترجم لكل واحد منهم في موضعه، وفي معجم اصحاب الصدفي ص٢٧١ ابيات رائية يتشوق فيها الاب غالب الى ابنه عبدالحق في مثل معاني الأبيات التي قالتها ام الهناء.

(١٥١) الزيادة من الذيل والتكملة.

(١٥٢) بياض في الاصل والزيادة من النفح.

(١٥٣) بياض بمقدار ثلاث كلمات.

(١٥٤) الكلمتان مطموستان.

(١٥٥) بياض في الاصل.

(١٥٦) لم أقف على قائل البيت والابيات التالية له.

(١٥٧) الذيل «لليلة الاحزان».

(١٥٨) لم يرد ذكر هذا الكتاب في شروح ديوان المتنبي، وقد ورد خمسون شرحاً في كتاب «ابو الطيب المتنبي في آثار الدارسين» د. عبدالله الجبوري ص ٣٦٢ ـ ٣٩٦ وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد ١٩٧٧.

[٥٣]

نزهون

بنت القليعي وهو فيما أحسب ابو بكر محمد بن أحمد ابن خلف بن عبدالملك بن غالب الغسّاني من أهل غرناطة كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صاحبة فكاهة ودعابة معروفة، منها أخذت فيما بلغني عن أبي بكر المخزومي الأعمى[١٥٩] وحكى لي بعض أصحابنا الثقات: أنها كانت تقرأ عليه فدخل أبو بكر الكتندي فقال يخاطب المخزومي:

(من الكامل)

لو كنت تبصر من تجالسه

فقالت: لغدوت أخرس من خلاخله

البـدر يطلع من أزرّتـه

والغصْن يمرح في غلائله

ولها غير هذه، وكانت ماجنة.

[٥٣] البغية رقم ١٥٩١، المقتضب ١٦٤، المغرب ٢/١٢١، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٣، الاحاطة ١/٤٢٤ ـ ٤٢٦، ٣/٢١٦، ٣٤٤، النفح ٤/٢٩٥ ـ ٢٩٨، الدر المنثور ٥١٩، شاعرات العرب ٤٤٨ ـ ٤٤٩، اعلام النساء ٥/١٦٧،

وفي المقتضب أن نزهون عاصرت حمدة أوقاربت عصرها، وقد أورد لها أبياتاً في جواب ابي بكر بن سعيد اخي ابي مروان كاتب ابي زكريا بن غانية، وكذلك أبياتاً في الرد على استاذها ابي بكر المخزومي وأبياتاً أخرى في قبيح الصّورة عرض لخطبتها مطلعها:

يشتري من أنوك أصلع   سفيه الإشارة والمنزع

وهي عند ابن عبدالملك نزهة بنت القليعي، وقد ذكر انها لقيت الأديب ابا بكر مزمان (ت ٥٥٥هـ).

(١٥٩) تنظر ترجمته في الخريدة ٢/٢٥٥ ط الدار التونسية للنشر ١٩٧٣، الأحاطة ١/٤٢٤، النفح ٤/٢٩٥ وكان حياً بعد سنة ٥٤٠هـ.

[٥٤]

رشيدة

الواعظة كانت تجول في بلاد الاندلس تعظ النساء وتذكرهن وكان لها صيت واتصاف بالخير اخبرني بذلك بعض شيوخنا.

[٥٤] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٨٥، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٨٥.

[٥٥]

هند

جارية ابي محمد عبدالله بن مسلمة الشاطي كانت أديبة شاعرة كتب اليها ابو عامر بن ينق(١٦٠) يدعوها للحضور عنده بعودها:

(من الكامل)

يا هند هل لك في زيارة فتيةٍ   نبذوا المحارمَ وشربَ(١٦١) السلسل

سمعوا البلابلَ قد شدَتْ فتذكروا   نَغَمَاتِ عودٍ(١٦٢) في الثقيل الاول

فكتبت اليه على ظهر رقعته:

يا سيد حاز العُلا عن سادةٍ   شُمَّ الأنوف من الطِّراز الاول(١٦٣)

حسبي من الإسراع نحوك إنني   كنتُ الجوابَ مع الرسول المقبل

[٥٥] ترجمتها في المقتضب ١٦٦، اعلام النساء ٥/٢٥٢.

(١٦٠) ابو عامر، محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن ينق من شاطبة، له نشاطات في الطب، وصنف في الحماسة، وملوك الاندلس وشعرائها توفي سنة ٥٤٧ هـ تنظر ترجمته في القلائد ٢/٥٥٢ التكملة ١٩٨، الخريدة ٢/٤٨٤، معجم الصدفي ١٦١، المغرب ٢/٣٨٨.

(١٦١) المقتضب: «غير شرب».

(١٦٢) المقتضب: «عودك».

(١٦٣) عجز البيت تضمين لعجز بيت حسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الشيباني «شرح ديوانه ص٣٦٥» وصدره: «بيض الوجوه كريمة أحسابهم».

[٥٦]

فاطمة

الأرحبية من ناحية غرناطة اديبة مذكورة بالادب.

[٥٦] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٨٧، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩١.

[٥٧]

مسعدة

بنت ابي الحسن علي بن احمد بن البادش زوج ابي عبدالله النميري(١٦٤) <وام>(١٦٥) الاستاذ أبي جعفر كانت من عفائف النساء وصوالحن <وكانت لها>(١٦٦) رواية عن ابيها ذكرها ابن سالم، وقال: أظنها حدثت عنه بمختصر الطليطلي في الفقه وتوفيت بعد السبعين وخمسمائة.

[٥٧] ترجمتها في (أ) رقم ٢٨٨٨، الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٢.

(١٦٤) في هذا الموضع تنتهي المخطوطة الازهرية وتمام الترجمة من الورقة ١٥٨/ب ونسخة (ك) ونسخة (أ).

(١٦٥) و (١٦٦) بياض في الاصل.

ملحق التراجم

[٥٨]

فاطمة

رقم [٢١٢٤]

فاطمة بنت ابي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن غالب القرطبي، الشراط، ام الفتح الطليطلي، وقابلت معه صحيح مسلم، والسيرة لابي اسحاق، والكامل والنوادر، وسمعت منه كثيراً، وقرأت القرآن أيضا على ابي عبدالله الاندوجري الزاهد، وابي عبدالله بن الفضل الضرير، حدَّث عنها ابنها ابو القاسم ابن الطيلسان وقرأ عليه بقراءة ورش، وسمع منها وتوفيت سنة ٦١٣.

[٥٨] ترجمتها في الذيل والتكملة ٨/٢/٤٩٠، اعلام النساء ٤/٧٢ ـ ٧٣

(*) التراجم الست (٥٨ ـ ٦٣) الحقت من التكملة (ط مدريد ١٨٨٧م) وقد اشرت الى ارقامها في يمين الصفحة، والتراجم الخمس (٦٤ ـ ٦٨) الحقت من التكملة (مخطوط المكتبة الحسنية)، ولّما لم استطع الحصول على النسخة المخطوطة فقد نقلت التراجم برواية الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي السفر الثامن الجزء الثاني وقد اشرت الى ارقام هذه التراجم.

[٥٩]

ام العز

رقم [٢١٢٥]

ام العز بنت محمد بن علي بن ابي غالب العبدري الدّاني، روى عن أبيها وابي الطيب بن برنجال، وعن زوجها ابي الحسن بن الزبير، وابي عبدالله بن نوح، وكانت تحسن القراءات السبع، وسمعت بقراءتها مرتين صحيح البخاري من أبيها، توفيت سنة ست عشر <وستمائة>[١٦٧].

[٥٩] ترجمتها في الذيل والتكملة ٤٨٢/٢/٨، اعلام النساء ٢٦٩/٣.

(١٦٧) الزيادة من الذيل والتكملة.

[٦٠]

زينب

رقم [٢١٢٦]

بنت محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الزهري البلنسية، وتدعى عزيزة بنت ابن محرز، سمعت جدّها لأمّها أبا الحسن بن هذيل، وأخذت عنه التقصي لابن عبدالبر وكانت صالحة، وقد أخذ عنها يسيراً، وكان خطّها ضعيفاً، وعمّرت وتوفيت في نص جمادى الاولى سنة ٦٣٥ وقد بلغت الثمانين.

[٦٠] ترجمتها في الذيل والتكملة ٤٨٦/٢/٨.

[٦١]

ام العز

رقم [٢١٢٧]

بنت أحمد بن علي بن هذيل، أخذت قراءة نافع عن أم معفر حرم الأمير محمد بن سعد وبرعت في حفظ الأشعار، وتوفيت بشاطبة إثْر خروجها من حصار بلنسية، في أحد الربيعين سنة ست وثلاثين <وستمائة>[١٦٨].

[٦١] أعلام النساء ٢٦٨/٣.

(١٦٨) الزيادة من الذيل والتكملة.

[٦٢]

ام سعد

رقم [٢١٢٨]

بنت عصام بن احمد الحميرية القرطبية تعرف بسعدونة لها رواية عن أبيها، وجدها، وخاليها عامر وابي بكر ابني هشام بن عبدالله الازدي وكانت أديبة شاعرة، توفيت بمالقة سنة ٦٤٠ أو نحوها.

[٦٢] ترجمتها في الذيل والتكملة ٤٨٢/٢/٨، النفح ١٦٦/٤ السيوطي ٢٦، الدر المنثور ٥٣، أعلام النساء ١٨٤/٢ وفي نفح الطيب انها انشدت لنفسها في تمثال نعل النبي (ﷺ) تكملة لقول غيرها في خمسة أبيات منها: -

سألثم التمثال اذ لم أجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل

[٦٣]

سيدة

رقم [٢١٢٩]

بنت عبدالغني بن علي العبدرية الغرناطية ام العلاء، حافظة للقرآن مليحة الخط عُلمت في دور الملوك، هاجلة، وزمنت في الآخر. وقد علمت بتونس ونسخت احياء علوم الدين للغزالي بخطها، وكانت كثيرة العبادة والايثار، وفك الاسارى، توفيت بتونس ٦٤٧.

[٦٣] في شهيدات التونسيات: «اذ لم تزل مثابرة، على تعليمها وعبادتها حتى أقعدت فلزمت دارها ثلاثة أعوام، وأنابت عنها في التعليم بنتين لها أهّلتهما للقيام مقامها، وإنها كانت خصصت جميع ما تتقاضاه من أجر تعليمها، ومن الجوائز الملوكية التي كان أمراء بني حفص يتبرعون بها لفقراء اسارى المسلمين، وتنظر ترجمتها في جلوة الاقتباس - لابن القاضي ٥٢١/٢ شهيرات التونسيات ١١٢، (حسن حسني عبدالوهاب - ط المنار - تونس ١٩٦٥. اعلام النساء ٢٧٥/٢، الوافي بالوفيات (مخطوط) الصفدي ٦٣ - ٦٧.

[٦٤]

حفصة

رقم [٢٤٩]

بنت حمدون بن حيوه، حجازية، كانت اديبة عالمة شاعرة ومن شعرها:

وحشتي لأحبتي ... ياوحشة متمادية

ياليلة ودعتهم ... ياليلة هي ماهية

[٦٤] تنظر ترجمتها في المغرب ٣٧/٢، وكانت في المائة الرابعة، الذيل والتكملة ٤٨٤/٢/٨، نفح الطيب ٢٨٥/٤ - ٢٨٦، نزهة الجلساء للسيوطي ٤٦، الاعلام: ٢٦٤/٢ اعلام النساء ٢٧٢/١، صلة الصلة ٢٧٨.

[٦٥]

شعام

رقم [٢٦٢]

جارية قاسم بن أصبغ[١٦٩]، قرطبية، سمعت مولاها، وكانت صالحة ولها المسجد الذي بربض الرصافة من قرطبة.

(١٦٩) ترجمته في تاريخ علماء الاندلس ١/ ١٦٤ (٢٤٤ - ٣٤٠هـ).

[٦٦]
كتمان

رقم [٢٧٣]

قرطبية، من جواري قصر الخلافة بقرطبة المتصفات بالفهم، وهي كانت الكاتبة عن الناصر عبد الرحمن(١٧٠).

(١٧٠) من اعظم خلفاء الاندلس، حكم بين (سنتي ٣٠٠ - ٣٥٠هـ)، وهو الذي اطلق - لاول مرة في الاندلس - لقب الخليفة، وتمتعت الاندلس في عهده بالرخاء - الاعلام ٣/ ٣٢٤، البيان المغرب ٢/ ١٥٦ - ٢٥٢.

[٦٧]
لبنى

رقم [٢٧٤]

كاتبة الحكم المستنصر بالله، العادلة مزن، كاتبة ابيه الناصر، في المرتبة الزائدة عليها اذ كانت عروضية حاذقة بالكتابة بارعة الخط، اديبة نحوية، شاعرة، بصيرة بالحساب مشاركة(١٧١) لم يكن في قصرهم انبل منها، وتوفيت سنة ست وسبعين وثلاثمائة(١٧٢).

[٦٧] الصلة ٢/ ٦٩٢ رقم ١٥٢٩، البغية رقم ١٥٩٢، اعلام النساء ٤/ ٢٨٧.

(١٧١) الصلة: «في العلم».

(١٧٢) الصلة: سنة اربع وسبعين وثلاثمائة.

[٦٨]
جارية الحكم

رقم [٢٨٥]

اخرج الحكم المستنصر بالله من قصره، وصيفة، غلامية، ذكية، كاتبة، فهمة، فأمر ابا القاسم سليمان بن احمد بن سليمان الانصاري المعروف بالرصافي وبالقسّام، أن يعلّمها التعديل وخدمة الاسطرلاب، وما يجري مجرى هذا فقبلت ذلك وحذقته، وساعدتها قريحتها في ذلك، فاتقنت علمه في ثلاثة اعوام او نحوها، واعجب الحكم بها والزمها خدمة ما تعلمته في داره، ووصل سليمان بصلة سنية، وضاعف له التكرمة.

* * *

مواد البيان
لعلي بن خلف الكاتب
المتوفى بعد سنة ٤٣٧ هـ
ـ القسم السابع والاخير ـ

تحقيق
د. حاتم صالح الضامن
كلية الاداب / جامعة بغداد

الباب السابع
في اوضاع الخطّ وقوانينه وترتيب الصدور والعنوانات والأدعية والتواريخ والختم
قول في الخطّ وأحكامه

قد مضى فيما تقدّم من القول أنّ الخطّ واللفظَ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها، إذ الخطّ دالّ على الالفاظ، والألفاظُ دالّة على الأوهام. ولاشتراكهما في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من احوالهما، وذلك أنّ الخطّ واللفظ يعبران عن المعاني، إلاّ أنّ اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو وإنْ كان ساكناً يفعل فعل المتحرّك بإيصاله مايتضمنه الى الأفهام، وهو مستقر في حيزه ومكانه. واللفظ فيه العذب والرشيق السائغ في الأسماع. (٣٢٤) والخطّ فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور.

واللفظ فيه الجزل الفصيح، وهو الذي يستعمله مصاقع الخطباء ومفالق الشعراء، ومنه المبتذل السخيف الذي يستعمله العوامّ في المكاتبة والمخاطبة. والخطّ فيه المحرَّر المحقّق الذي تُكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المطلق المرسل الذي يتكاتب فيه الناس ويستعملونه فيما بينهم.

واللفظُ يقع فيه لحن الاعراب الذي يتخوّن رونقه. والخطّ يقع فيه خطأ الهجاء الذي يهجنه ويقبحه، لأنّ حكم اللحن في اللفظ حكم خطأ الهجاء في الخطّ.

واللفظُ إذا كان مقبولاً حلواً رفعَ المعنى الخسيس وقرّبه من النفوس، وإذا كان عيّاً مستكرهاً وضعَ المعنى الرفيع وبَعّده من القلوب. والخطّ إذا كان جيداً حسناً بعث الإنسان على قراءة ماأودع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإذا كانَ ركيكاً قبيحاً صرفه عن تأمل ماتضمّنه وإن كان جليل الفائدة.

ولّما اشترك اللفظُ والخطّ في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضاً بين آلتيهما، وذلك أنّ آلة اللفظ اللسان، وآلة الخطّ القلم، وكلّ منهما يفعل فعلَ الأخرى في الإبانة عن المعاني، إلاّ أنّ اللفظ لّما كان دليلاً طبيعياً جُعلت آلته آلةً طبيعية، والخط لّما كان دليلاً صناعياً جُعلت آلته صناعيّة.

ولما تقاسمت الآلتان الدلالة أيضاً ونابت احداهما منابَ الأخرى أوقعوا اسم اللسان على القلم وشركوا بينهما فيه، فقال (٣٢٥) بعضهم: (القلمُ أحد اللسانين)، وقال الآخر: (القلمُ انطقُ اللسانين)، وقالوا: (الأقلامُ ألسنةُ الأفهام)، وقالوا: (بلاغةُ اللسانِ وبلاغة القلم)، و(فلان بليغ اللسان) و(فلان بليغ القلم).

ولما كان في هذه الرتبة من مقاسمة اللفظ البيان الذي إمتن الله تعالى بتعليمه على الإنسان وجب على الكاتب ان يعتني بأمر الخط ويراعي من تجويده وتصحيحه مايراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه ليدلّ في سرعة وسهولة كما يدلّ اللفظ البليغ البيّن، لأنّ الخط وإن كان على الاطلاق في المنزلة التي ذكرناها من الشرف، فإنما تحصلُ فضائله التي عددناها للجيّد منه، كما أنّ المنطق وإن كان من الشرف بحيث وصفنا فإنما تحصل فضائله التامة لمنطق البليغ الألسن دون منطق العَييّ الألكن، وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق إنما يحصل فضلها للمستقلّ بها الماهر فيها دون الرَّيِض المبتدئ.

فينبغي للكاتب أن لايغفل عن تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه، فإن جودة الخط أول الأدوات التي ينتظمه بحصولها له اسم الكتابة ويحكم عليه إذ حازها بأنه من أهلها. وقد دخل بحسن الخط في الصناعة من إذا فحص عن مقدار معرفته وجب أن ينزّه عن نسبته اليها.

والطريق الى تحسين الخط يكون بثلاثة أشياء:

أولها: تصحيح أشكال الحروف.

والثاني: ترتيبها.

والثالث: تصحيح الهجاء.

فأمّا تشكيل الحروف فهو الأصل[1] في أدب الخط، لأن الخط إنما يُسمّى جيّداً إذا حَسُنت أشكال حرفه ورديّاً إذا قبحت. وحُسْن صور حروف الخطّ (٣٢٦) في العين شبيهٌ بحسن مخارج اللفظ العذب في السمع.

وأشكال الحروف تنقسم في الأصل الى الجليل والدقيق، والجليل مايقع في الكتب السلطانية ونحوها، والدقيق مايقع في الكتب المشتركة.

ويتفرع من هذين الأصلين أقلام عدّة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه بـ(آلة الكتاب).

والوجه في تصحيح حروف الهجاء أنْ يُبدأ أولاً بتقويمها مفردة مبسوطةً لتصحّ صورة كلّ حرف منها على حيالها ثم يؤخذ في تقويمها مجموعة مركبة، وأنْ يُبدأ من المركّب بالثنائي ثم بالثلاثي ثمّ بالرباعي ثمّ بالخماسي، فإن هذه هي أمثلة الاسماء والحروف الأصلية، وأنْ يُعتمد في التمثيل على توقيف المَهَرة في الخطوط العارفين بأوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها، فإن لكلّ خطّ من الخطوط قلماً من الاقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكلّ آلة منها جزءاً ما من صناعته لايصنع به غيره، ولا يعوّل على حكاية خطّ من الخطوط والضرب عليه، فإن ذلك غير مجز، لأن هذا لوكان كافياً لاستغنى في تعلّم جميع الصنائع عمن يوقفه عليها ويدلّه على الطريق القاصد اليها.

على أن كثيراً من أصحاب الخطوط المطلقة قد كتبوا طبعاً ولم يرجعوا الى التوقيف على طريقة من طرائق المجددين، إلا أنّ الأفضل أنْ يُبنى الخطّ على أصل يكون أساساً له، فإن مَنْ وصفنا حاله من أرباب الخطوط المرسلة إنما تحسن خطوطهم إذا نُظرت (٣٢٧) مجملة، فإذا وُصلت انكشفت فساد كثير من حروفها.

وأمّا ترتيب الحروف فإنّهُ ينقسم الى ستة أقسام:

أولها: تأسيس الخطّ على الوضع المصطلح عليه، وذلك أنّهم قسموا الخطّ الى نوعين، وهما: المحقّق والمطلق.

فأمّا المحقّق فهو ماصحّت أشكال حروفه على اعتبارها مفردة، وهو أفضل من المطلق، وهذا لايستعمل إلّا في الأمورالجسيمة ككتب العهود، والاسجالات، والتمليكات التي تبقى على الاعقاب، والمكاتبات الصادرة عن الملوك الى الملوك الدالّة على قدر الكاتب والمُكاتب.

وأمّا المطلق فهو الذي تداخلت حروفه، واتصل بعضها ببعض وهو خطٌّ تولّد من المحقّق، واستعمل في تنفيذ مالايمكن تأخيره من المكاتبات المهمة والأمور العامة. وهو أرشق وأحسنُ منظراً مادام مُجملاً، فإنْ فُصّلت حروفه ووقعت المقايسة بينها وبين حروف المحقق وُجد بينهما تفاضل كثير حسبما ذكرناه فيما تقدّم.

وثانيها: وضع كلّ قسم من قسمي الخطّ في موضعه الذي أشرنا إليه، لأن استعمال أحدهما في موضع م خارج عن الأمر المعتاد.

وثالثها: لزوم الطريقة في كلّ واحد من الخطين وأنْ لايخلط حروف واحد منهما بحروف الآخر.

ورابعها: تمييز الفصول المشتمل كلّ فصل منها على نوع من الكلام عمّا تقدّمه ومايتلوه ليعرف مبدأ الكلام ومقاطعه فإن الكلام ينقسم فصولاً طوالاً وقصاراً، فالطوال كتقسيم القرآن الى سوره، ومنثور التوسل (٣٢٨) الى رسائله ومنظوم الشاعر الى قصائده، وهذه الأقسام لاتشكل فتحتاج الى تميّز. والقصارُ كانقسام السورة الى الآيات، والرسالة الى... والقصيدة الى

الأبيات، وهذه قد تشكل فينبغي أن تميّز الفصول القصار تمييزاً يؤمن معه من التخليط، فإن ترتيب الخطّ يفيد مايفيده ترتيب اللفظ، وذاك أنّ اللفظ إذا كان مرتباً يخلّص بعض المعاني من بعض، وإذا كان مخلّطاً أشكلت معانيه وتعذّر على مسامعه ادراك محصوله. وكذلك الخطّ فإنه إذا كان مميّز الفصول وصل معنى كلّ فصل منه الى النفس على صورته وإذا كان متصلاً دعا الى مراجعة تأمله راجعاً الى الفكر في تخليص أغراضه.

وشرط الفصول أنْ تكون تامّة قائمة بأنفسها لايعطف عليها شيٌ من غيرها. ولهذا لاتقع حروف العطف في أوائلها. وقد يغلط الكاتب فيقول بعد تمام الفصل: وأعلمته ذلك، وهو خطأ، لأنّه إنْ كان فصلاً وجبَ أن تُحذف الواو فيقول أعلمته ذلك، وإن كان عطفاً وجب التمييز في الفصل بفرجة يسيرة لأنهُ إذا كان الكلام في شيٍ يبتدئ بالإخبار عنه أتى بما يختمه وشفعه بفصل الختم فقال: أعلمته ذلك، ليكون ابتداء بخبر لاعطفاً، فقد يعرض في نفس الفصل القصير مايحتاج الى التمييز أيضاً، كالجملة والتفصيل والشرط والجزاء والمقدمة والجواب، وليست هذه بفصول لأنها لاتشتمل على نوع تامّ من الكلام قائم بنفسه (٣٢٩) منفصل عمايتلوه ويجب أن يفصل به بين هذه الأشياء ومايناسبها إذا وقعت في اللفظ بدون مايفصل به بين الفصول التامة ليكون ذلك دالّاً عليها. وينبغي ألّا يذكر الجملة في آخر السطر والتفصيل في أوّل الذي يتلوه، فإنّه تلبيس لاتصال الكلام، ولا أنْ يجعل في أوّل السطر بياضاً فيقبح بخروجه عن نِسَبِ السطور، ولا أن يفسح بين السطر ومابعده فسحاً زائداً عمّا بين كلّ سطرين لقبحه أيضاً، ولكن يراعي ذلك من أوّل السطر مقدراً[1] الخطّ بالجمع والمشق حتى يتخلّص من هذا العيب.

وخامسها: حسن التدبير في قطع الكلام ووَصْلِهِ في أواخر السطور وأوائلها، لأنّ السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيٍ يتعلّق بما بعده كان قبيحاً، ككَتْب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أوّل السطر الثاني، مثل: كتاب وركاب وكلام وسلام وعصفور ومسرور، فإنهم ربّما فرقوا بين الحروف المنفصلة والحروف المتصلة منها إذا ضاقت عنها أواخر السطور فأثبتوا الحروف المتصلة من الكلمة في آخر السطر والمنفصل في أوّل السطر الذي يليه، مثل أنْ يكتب (مسرور) في آخر السطر ولايسعه الموضع فيكتب الميم والسين والراء في آخر السطر ويكتب الواو والراء في أوّل السطر الذي يتلوه، وهو قبيح جداً، لأنه لايجوز فصل الاسم عن بعضه، وأكثر مايوجد ذلك في مصاحف العامة وخطوط الورّاقين.

وقد يفصل الكُتّاب بين الكلمة التامة وصلتها، كقولهم: (وَصَلَ كتابُكَ) و(أيدكَ الله) و(وَرَدَ رسولُكَ)، والاحسن تجنبه إذا أمكن، (٣٣٠) فإن لم يكن فيجتنب القبيح منه وهو: الفصل بين المضاف والمضاف إليه كعبد الله وعبد السلام وغلام زيدٍ وغير ذلك، لأن المضاف والمضاف اليه بمنزلة ذلك الواحد. والفصل بين الاسم وبين مايتلوه في النسب، كقولك: زيد بن محمد، لأنّه لايجوز أنْ يفصل بين الاسم والمنسوب اليه كما لايجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف اليه، فإن أضطرّ لضيق الموضع فيقطع على الابن ويجعله في حيّز الاسم الأوّل ويبتدئ في السطر الذي يتلوه بالاسم المنسوب اليه، فإن كان المراد بلفظ الابن تثبيت البنوة، كقولك: كان لزيد ابنٌ، جاز قطع الابن مماتقدّم. والفصل بين كلّ اسمين جُعِلا اسماً واحداً، مثل: حضرموت وتأبطَ شرّاً وذي رُعين وذي يزن وأحد عشر.

وسادسها: ترتيب المدّات التي تقع بين حروف الكلمة الواحدة، على أنّ كثيراً من المحررين يكرهون المشْق لإفساده خطّ المبتدي ودلالته على تهاون المنتهي، وكذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سين مبيّنة إذ صارت سنّةً وعُرفاً.

وهذه المدّات تستعمل لأمرين:

أحدهما: أنّها تحسن الخطّ وتفخّمه في مكانٍ كما يحسُنُ مدُّ الصوت اللفظ ويفخمه في مكان.

والآخر: أنّها ربّما وقعت في الحرف لتتمّم السطر إذا فضل منه مالا يتسع لحرف آخر، لأن السطر ربّما ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتمدّ التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه.

ويجب للكاتب أنْ يعرف أحكامها لئلا يُوقِعها في غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسدُ المعنى، مثل أن يوقع المدّ (٣٣١) في (متعلم) بين الميم والتاء فتشتبه بـ(مستعلم) أو في (متسلم) فتشتبه بـ(مستسلم). وبالجملة فلا تخلو الكلمة الاصلية،

سواء كانت اسماً او فعلاً أو حرفاً، من أن تكون ثنائية <أو ثلاثية> أو رباعية أو خماسية.

فالثنائية ثلاثة أضرب: أسماء مضاعفة وأفعال وحروف. فالأسماء نحو: برّ وضبرّ وسرّ وشرّ وطلّ وظلّ وحلّ وقلّ. والافعال نحو: قلْ وكلْ وعُدْ وقمْ ونمْ وبِنْ، وجميع هذه لايحسن المدّ في شيْ منها إلاّ في سر وشر، لأنّ السين والشين وإن كان كلّ منهما حرفاً فإنّه في صورة ثلاثة أحرف، وقد يحسن مدّ طل وظل في بعض المواضع. والحروف نحو: هل وبل وقطّ ومذ وعن ولو ولم ومن وما، وهذه لايحسن المدّ في شيْ منها.

وأمّا الثلاثية فالمدُّ فيها على الأكثر قبيح، لأنّها لاتنقسم قسمين متساويين، ومنها مايتسمح في مدّه للضرورة، وذلك إذا وقع في آخر سطر يحتاج الى التتميم، نحو: بيع وقطع، وينبغي أنْ يُقدّم الحرفان الأولان ويُوقع المدّة بينهما وبين الثالث. وأمّا الذي لايحتمل المدّ البتة فنحو: عسى ومتى وفتى ومأأشبههما.

وأمّا الرباعية فإنها لانقسامها قسمين متساويين يحسن فيها المدّ، نحو: محمد وجعفر. ولا يجوز أنْ يُقدّم فيها ثلاثة أحرف ويُوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع، ولا بالعكس، بل يُوقعُ المدّ بين الحرفين الأولين والحرفين الأخيرين، على أنّ منها مالا يحسن المدّ فيه نحو: تغلب ومطلب وحبيب وقمبر.

وأمّا الخماسية فإنّ المدّ فيها لايحسن أيضاً كما لايحسن في الثلاثية، لأنّها لاتنقسم قسمين (٣٣٢) متساويين، فإنْ وقعت ضرورةً الى ايقاع المدّ فيها فإنّ الأحسن أنْ يُقدّم حرفان ويُوقع المدّ بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأُخر، نحو: مشتمل ومستقل ومسيطر[٣] ومهيمن.

ويقبح المدّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولاً بمضمر، نحو: كتابه وثوبه وكتبتُه وعلمتُه وفيه ومنه وإليه، وذلك إذا وقعت المدّة بين تمام العلة[٤] والصلة.

ومشق السين يحسِّن الخطّ في بعض المواضع، ويقبح إذا وقعت طرفاً نحو مشق السين في الناس والحواس، وأقبح من هذا مشقها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها، نحو: بائس وعابس وحابس وناعس.

وإذا توالت سينان أو سين وشين فالأحسن أنْ يفصل بينهما بمدّة لطيفة، نحو: رَشَشْت وعَشَشْت ومَسَسْت، وأنْ تمشق إحداهما وتحقق الأخرى في الخطّ المطلق.

ويقبح أن تُكتب ياءان معطوفتان متقاربتان في سطر واحد، وأنْ تمشق الكاف إذا وقعت في آخر الكلمة، نحو: منك وعنك وعليك.

وإذا توالت في <الكلمة> ثلاثة أحرف من الياء والتاء والثاء والنون فيجب أنْ يرفع الأوسط منها لئلا يتصحف بالسين أو بالشين.

وإذا اقترن منها حرفان في الكلمة وبعدهما زاي أو راء أو سين أو شين رفع الثاني منهما، نحو: بثر وبئس.

فإن وليهما غير هذه الحروف سوّى بين الأول والثاني، نحو: بيْع ويتلو وبيداء وبيضاء، وكذلك يرفع الثاني منهما إذا وليتهما هذه الحروف وهما في خلال الكلمة وقد تقدّمهما أيّ حرف كان مما يوصل بهما نحو: عنترة وعنبسة، ويسوّى بينهما إذا وليهما غير هذه الحروف وهما في خلال الكلمة وقد تقدّمهما (٣٣٣) أي حرف كان، نحو: عتبة وطيبة وصنيع ومنيع.

ومن الرسم المستحسن أنواع المدّ في أسماء العظماء إذا احتملت ذلك لتقع العينُ عليها من غير طلب ولاتتبع تفخيماً لأقدارهم ولاسيما في العنوانات، وهذا مما يتناسب فيه الخطّ واللفظ.

وأمّا تصحيحُ الهجاء فأمر لازم علمه، وينبغي للكاتب أنْ يعرف أصوله والاضطلاح الجائز فيه ليعمل عليه فإن العدول عنه مستقل، والاصطلاح المحدث الغير جائز[٥] ليجتنبه فإن العمل به مستقبح.

وليس حكم خطأ الهجاء كالحكم في إفساد ترتيب الخطّ، لأن الخط إذا استحال ترتيبه فإنما تسقط رتبته حسب، وهو نظير مايقع في اللفظ من سوء منطق المتكلم وخشونة مخارج ألفاظه، والخلل الواقع في الهجاء فإنما هو لحن الخط المشابه للحن اللفظ.

ولو رُتِّب الهجاء في الخط على الامر الطبيعي دون الاصطلاحي لوجب أنْ يكتب بحروف على حكم الصوت الواقع في السمع، وذلك أنّ لكل حرف مخرجاً من المخارج مخصوص به، ولذلك الحرف رسم من رسوم الهجاء، فلو ردّ الأمر في حروف الهجاء الى اتباع مايقع في السمع لسهُل، لكنهم اصطلحوا على كتبْ الصلاة والحياة والزكاة بالواو وزادوا في (عَمْرو) واواً[7]، ونحو ذلك مما يخرج عمّا يوجبه السمع في الحروف ولسنا نحتاج أنْ نذكر أحكام الهجاء والمصطلح عليه منها لأنها موجودة في مظانها، وقد استوفينا القول عليها أيضاً في كتابنا الموسوم له بـ (آلة الكُتّاب).

وفي العربية حروف متشابهة داعية الى (٣٣٤) تصحيف الخطّ وإشكاله، ولأجلها احتج الى إعجامه، وفيه حركات أخلّ واضعُها بوضع صور لها فاغتيض منها بالشكل الذي هو علامات الرفع والنصب والخفض.

والبصريون يرون أنّ واضع الخطّ العربي أغفل صورة الهمزة، وقد كان يجب أنْ يؤتى بها وهي تقع في موضع الضمير، فجعلها الكوفيون واواً، وفي موضع يجعلونها ألفاً، وفي موضع الرفع واواً، وفي موضع الخفض ياءً، مثل: هذا جزؤٌ، ورأيتُ جزءاً، ومررتُ بجزئٍ.

والبصريون ينكرون إثباتها في مثل هذه المواضع، ويستقبحون أنْ يكون لحرف واحد ثلاث صور فيسقطونها ويثبتون شكلة الهمزة وحدها في الأماكن الثلاثة ويعربونها بما يقتضيه موضعها.

فهذا مايجب أنْ يعرفه الكاتب في تحسين الخطّ وتصحيحه وتحقيق حروف هجائه. وتتبعه آداب أُخر، منها ما يدلّ على مهارة الكاتب وتبريزه في صناعة التخطيط، ومنها مايزيد في حُسن الخط ورونقه.

فأمّا التي تدل على مهارة الكاتب فسُرعة اليد في التشكيل والتصوير مع مراعاة التحقيق والتحري، حتى يكون إذا كتب كأنه يمسحُ عرض القرطاس مَسْحاً ويمدّ السطر مدّاً، ومجانبة عادة الوراقين والمصوّرين في الابطاء والاستزانة فإن سرعة اليدِ في الخط من أفضل صفاتالخطاطين، كما أنّ ذلاقة المنطق بالعبارة من أفضل صفات البلغاء. ولذلك قال بعضهم وقد سُئل: ماالبلاغة؟ فقال: أن نقول فلا نُخطئ ونسرع فلا نبطئ.

ومن المطّرد في سائر الصناعات أنّ الصَّنِعَ (٣٣٥) الماهر هو السريع في عمله وأنّ العاجز المُقَصّر هو الأخرق البطئ.

وأمّا مايزيدفي حسن الخطّ فالمقارنة بين حروفه والمباعدة بين سطوره مع صحتها واستقامتها، فإن يسير الميل الداخل عليها يُقبّح الخطّ ويكسف نوره ولاسيا خطوط النساخ، إلا أنّ الكتّاب قد وقع بينهم اصطلاح حادث على رفع أواخر السطور عن اوائلها. والرسم الآخر الأفضل ان تعتدل سطور الخط وتتناسق تناسق أغراس النخل والشجر والبناء. فعلى هذا كانت العادة جارية في ترتيب الخطوط القديمة.

ولفضل الخط المسطر ذكره الله تعالى في كتابه فقال:

«والطور وكتابٍ مسطورٍ في رقٍّ منشورٍ»[7]. وقال:

«ن والقلَمِ ومايسطرون»[8].

وفيما أوردناه من معرفة أحكام الخطّ ورسومه كفاية وبلاغ ونحن لذلك نتعدّاه الى ماسواه بمعونة الله.

قول في ترتيب الصدور:

المكاتبة العامة على ثلاثة أضرب:

من رئيس الى مرؤوس، ومن نظير الى نظير، ومن مرؤوس الى رئيس.

فالرؤساء: الخلفاء وولاة العهود والوزراء. فإن كانت المكاتبة من الخليفة فينبغي للكاتب أنْ يفصل من الدّرج قدر ذراع، ثم يستفتح بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) في سطر اول، لأنها أوّل مايجب أنْ يفتتح به. وأوّل مَن افتتح بها رسول الله، صلّى الله عليه

وسلم، وكان يستفتح بـ: باسمك اللهم، الى أنْ نزل «بسم الله مجراها ومرساها»[٩] فاستفتح بسم الله، الى أنْ نزل: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن»[١٠]، فاستفتح باسم الله الرحمن، الى أنْ نزلت: «إنه من سُليمان وإنه (٣٣٦) بسم الله الرحمن الرحيم»[١١]. ثمّ يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج عنها يسيراً: (من عبد الله ووليه فلان أبي فلان). وقد رأى قوم تقديم الكنية على الاسم، والمعمول عليه اليوم ماذكرناه. ويذكر نعته: (أمير المؤمنين الى فلان بن فلان). ويبدأ بذكر نعمته إن كان الإمام شرّفه بنعت: (سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أنْ يصلي على جدّه محمد خاتم النبيين وسيّد المرسلين صلّى الله عليه وعلى آله الأئمة المهديين وسلّم تسليماً).

وكان التصدير انتهى الى قوله: إني أحمدُ اليك الله الذي لا إله <إلاّ> هو. فزاد فيه المأمون الصلاة على رسول الله، صلى الله عليه وسلّم. فعمل بسنته مَنْ بعده.

ولم يكن أحد من الخلفاء يكتب بنعته حتى افتتح ذلك الأمين محمد بن هارون، فاقتفى مَنْ تبعه أثرَهُ واستمروا على ماقرّره، فيكون هذا التصدير في سطرين يجعل بينهما فضاء قيس شبر ولا يزيده عن ذلك ولاينقصه فيخرجه عن حدّه، ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً يضعف الذي بينهما، ثم يقول: (أمّا بَعْدُ). وقيل[١٢]: إنّ أوّل مَنْ كتب بها سليمان بن داود، عليهما السلام، واستنّ سُنّته فيها قُسّ بن ساعدة الإيادي[١٣]. ويقتص المعاني معنىً معنىً، فإن كان أمراً أمَرَ به الإمامُ قال بعدَ انقضاء الكلام: (أمَرَ أميرُ المؤمنين بكذا وكذا). ثمّ يقول بعد فصل أوسع من الفصل الاول: (فاعلمْ ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، واعملْ عليه بحسبه). ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية: (والسلام عليك ورحمة (٣٣٧) الله وبركاته)، ويفرد بالسلام من دونها وقيل في أول الكتاب: سلام، وفي آخره: السلام، لأنّ الأوّل مبتدأ به وجارٍ مجرى النكرة، والثاني مشارٌ به الى الأول فصار شبيهاً بالمعرفة، وقدّم السلام على الرحمة، لأن السلام يتصرف على وجوه[١٤]:

منها: أنّه اسمٌ من أسماء الله تعالى.

ومنها: أنّه الجنّة في قوله سبحانه: «لهم دارُ السلام عند ربهم»[١٥]، وهو في هذا الموضع من السلام والسلامة.

وتقديم السلام الذي يكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة.

وقد كانت العادة جارية أنْ يُقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام: (وكتب فلان بن فلان) باسم الوزير واسم أبيه. وقد بطل هذا الرسم في الدولة العلوية.

ولايكتب عن أحد بالتصدير إلاّ عن الإمام وولي عهده. وهذه المكاتبة عامة للناس جميعاً في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين.

ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف، وقد يُخاطب الامام وزيره في المكاتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكاتبة العامة الديوانية، ويُتصرف في ذلك ويُزاد ويُنقص على حسب لطافة محلّ الوزير ومنزلته من الفضل والجلالة.

وليست لهذه المكاتبة الخاصة حدود يُنتهى اليها ولا قوانين يُعتمد عليها، وطريقها من الرئيس الى المرؤوس، ومن المرؤوس الى الرئيس مستيقضة معلومة.

وإن كانت المكاتبة من الوزير الى مَنْ دونه فإنها بغير تصدير، إلاّ أنّ الخطاب يجب أن يبنى فيها على أقدار المخاطبين ومراتبهم في الدولة.

وأمّا مكاتبة النظراء فليست لهم رسوم محصلة، ولا مثل محدّدة، وإنما تكون على حسب الاختيار والخصوص والعموم (٣٣٨) في الحال، وما يتقارضونه من المكارمة ويتفارصونه[١٦] من المجاملة.

وأمّا مكاتبة المرؤوسين الى الرؤساء فهي إمّا الى الإمام أو وليّ عهده أو وزيره أو قائده او قاضٍ أو صاحب ديوان أو عامل، ومن يلحق بهذه الطبقة.

فإن كانت الى الإمام فالرسم المعتاد في الدولة العلوية أنْ يُقال بعد البسملة: (أفضل صلوات الله وبركاته، وأشرف رضوانه

وتحياته على مولانا وسيّدنا الإمام أمير المؤمنين، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين)، إن كان للإمام أبناء، فإن لم يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين المنتظرين. ثمّ يُقال بعد فضاء واسع: (كتب عند الموقف النبوي خلّد الله ملكه من مقرّ خدمته بناحية كذا يوم كذا، وأمور ماعذق به ورد الى نظره منتظمة لسعادة مولانا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى جدّه، والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً)، ثمّ يُقال: (العبد ينهي كذا وكذا)، ويُفيض الأغراض التي بُني الكتاب على إنهائها وشرح حالها.

فإن كان الكتاب مبنيّاً على المطالعة ببعض الأخبار قيل في آخره بعد فضاء يسير: (أنهى العبدُ ذلك ليستقرّ علمُهُ بالموقف الأشرف إن شاء الله).

وإنْ كان مبنيّاً على الاستثمار في بعض الأحوال قيل في هذا الموضع: (ولمولانا أمير المؤمنين، صلّى الله عليه، والرأي العالي في ذلك إن شاء الله).

وهذا ترتيب يعمل عليه الكبير والصغير في المكاتبات العامة والخاصة.

فأما المستعمل في الدولة العباسية فأنْ يُقال: (لعبد الله فلان أبي فلان الكذا) بنعته (٣٣٩) أمير المؤمنين (من فلان بن فلان).

وإن كانت المكاتبة الى الوزير قيل في أوّل الكتاب: (كتب عند حضرة الوزارة السامية الأجليّة، أو خادمها أو صنيعها أو مملوكها) على حسب منازل المكاتبين، ويذكر نعوته. ثمّ يُقال: (من مقرّ خدمته بموضع كذا يومَ كذا، والأحوال مقبلة بسعادة الدولة الزاهرة وتمّ نظر حضرة الوزارة السامية، وحُسْنَ تدبيرها، جارية على السّداد، منتظمة في سلك الاستقامة والاطراد، والحمدُ لله وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم).

ثمّ يأتي على الأغراض التي[١٧] يتضمنها الكتاب، ثمّ يختم بما يليق بالمعنى في فصول الختم.

فأما من تلا[١٨] الوزير من الرؤساء فإنهم ينزلون في المكاتبات على حسب أقدارهم.

قول في العنوان

العنوان كالعلامة، وهو دالّ على مرتبة الكاتب من المكاتب فالأصل فيه الإخبار عن أسمي الكاتب والمكتوب اليه حتى لايكون الكتاب مجهولاً.

وفيه لغات[١٩]: يُقال: عُنوان وعُلوان، وعَنْوَنْتُ وعَلْوَنْتُ وعنّنت، والجمع: عناوين وعلاوين. فالعنوان من عنّ يعنّ إذا بدا، والعلوان من العلانية، لأنّه خطّ ظاهر على الكتاب. والنون واللام متعاقبان احداهما مكان الأخرى، ومثله كثير في كلام العرب.

وكان الاصل ان يبتدئ باسم الكاتب، ثم يثني باسم المكتوب إليه، وهو الترتيب الذي تشهد به العقول، لأنّ نفوذ الكتاب الى المكتوب كَنشءِ الشئ وخروجه من ابتداء الى نهاية، فابتداؤه من الكاتب وانتهاؤه الى المكتوب إليه، (٣٤٠) ولفظة (مِن) تتقدّم لفظة (إلى) بالطبع، لأن (مِن) حرف يُبنى على منشأ الشئ و(إلى) حرف يخبر عن النهاية التي عندها قرار الشئ، والابتداءات في الأشياء مثل النهايات. وعلى هذا كانت كتب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ومَنْ سلف من الأمم الماضية، ثمّ عرض للناس رأي في تغيير هذا الرسم الى غيره، وهو أنّهم فرقوا بين مرتبتي المتكاتبين من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المكتوب اليه إذا قصدوا إعظامه وإجلاله، وتأخير اسمه إذا أرادوا الإبانة عن إيضاع مرتبته عن مرتبة الكاتب اليه. ولحُسْن ماراُوه من هذا التدبير اتبعوا عليه وتُرِك الأصل الأقدم وإن كان هو الصواب الصحيح. ولم يزل الناس يتكاتبون بأسمائهم الى أنْ ولي عمر بن الخطاب فتسمى بأمير المؤمنين[٢٠] وكتب: (من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب). ثم وقع الاصطلاح على مكاتبة الرؤساء والنظراء بالكنى، والمرؤوسين والاتباع بالأسماء. ثم تغيّر هذا الرسم أيضاً.

وكان المأمون يكتب في أوّل عنوانات كتبه: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهو أوّل مَنْ فعل ذلك[٢١]. واستمر العمل به بعده مُديدة ثمّ بطل.

وأوّلُ مَنْ أكتنى من الخلفاء وجلّل الخطّ وعظّم الكتب وجوّد القراطيس الوليد بن عبد الملك، وقال: لا أُكاتب الناس بمثل مايكاتب به بعضهم بعضاً. فجرت السنّة بذلك إلاّ في أيّام عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل[١] فإنهما عملا بما كان الأمرُ جارياً عليه أوّلاً، فلمّا ولي مروان بن محمد ردّ الأمر الى ماأحدثه الوليد.

والذي تُعْنَوَنُ به الكتب عن الأئمة (٣٤١) العلويين، عليهم السلام: (من عبد الله ووليّه فلان أبي فلان الإمام الكذا أمير المؤمنين)، وذلك في الجانب الأيمن من جهة الطنبة وفي الجانب الأيسر: (الى فلان بن فلان) فإن كان المكاتب ممن ينعت ويكنّى بدأ بنعته ثمّ بكنيته ثمّ باسمه واسم أبيه.

هذا هو الرسم الذي تُعْنَوَن به الكتب النافذة الى الطبقة العليا. فأمّا الطبقة السفلى فإنما تعنون الكتب النافذة إليها بأنْ يُقال في الجانب الأيسر: (الى فلان بن فلان).

فأمّا ماتُعْنَون به كتب الوزير فبأنْ يُقال في الجانب الأيمن من جانبي الطنبة: (الأمير فلان). يبدأ بالإمارة ثمّ بالنعت إن كان مؤمّراً منعوتاً. وكذلك الحكم فيمن يخاطب بالشيخ وبالقاضي في الجانب الأيسر من الوزير، ويذكر نعوته وكنيته واسمه. هذا إنْ كان المكتوب إليه من الأعالي، فإنْ كان المكتوب اليه من الأسفل قيل في الجانب الأيسر: (لفلان بن فلان).

فأمّا مايُعنون به من دون الى من فوق، فإنْ كان الكتاب الى الإمام قيل في الجانب الأيسر: (عبد مولانا وسيّدنا الإمام الكذا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين). فيكون هذا في سطرين، ثمّ يُقال بعده بفضاء يسير: (ومملوكه فلان بن فلان).

وإنْ كان منعوتاً وقد شرّف بأنْ يُكاتب بنعته ذُكر نعته. ولايُكنّى أحد على الخليفة، وإنْ جلّ قدره، إلاّ إنْ شرّفه بذلك.

والسبب في إثبات النعت في مكاتبه الخلفاء وحذف الكُنية أنّ النعت تكرمة لاتحصل لمن أكرم بها إلاّ عن الخليفة، فإذا خاطبه بها كان الحكم (٣٤٢) في مرورها على سمعه حكم غيرها من نعمه عند صنائعه إذا مرّت على طرفه، والكنية تكرمة يتفاوضها الناس فيا بينهم، فلايجوز خطاب الخلفاء بها مالم يمضوها ويضيفوا نفاذ المخاطبة بها الى ضروب عوارفهم وأياديهم.

والرسم الذي كان يستعمل قديماً أنْ يُقال في الجانب الأيمن (لعبد الله فلان أبي فلان الكذا أمير المؤمنين)، وفي الجانب الأيسر (من فلان بن فلان).

وإنْ كان الكتاب الى الوزير عن الطبقة العالية قيل في الجانب الأيمن: (حضرة سيدنا الوزير الأجل) ويذكر نعوته، وفي الجانب الأيسر: (خادمه أو صنيعه أو وليه فلان بن فلان) ويذكر النعت والكنية إنْ كان مكنّى.

وإنْ كان عن الطبقة السافلة قيل في الجانب الأيسر: (عبد حضرة الوزارة السامية الأجلية) ويستوفي الترتيب المقدّم، ثم يُقال بعده بفضاء يسير: (فلان بن فلان).

والرسم المستعمل قديماً في عنوانات الكتب الصادرة الى الخلفاء.

فأمّا عنوانات الكتب الواقعة من النظراء فإنّها مبنية على حسب مايرونه من النوادر والتكارم.

فأمّا عنوانات الخرائط السلطانية فيوقع عليها: (يعجّل بها الى فلان بن فلان إن شاء الله)، وفي الجانب الأيسر: (من مستقرّه بموضع كذا). وقد كانوا يحلّقون على الخرائط ويبلغون بها العِدّة ماتقتضيه طبقة الأمر الذي صدرت فيه.

وأوّل الطبقات خمس حلقات ثمّ سبع ثمّ تسع ثمّ إحدى عشرة، ثمّ تُزاد اثنتين اثنتين حتى تبلغ احدى (٣٤٣) وعشرين حلقة. وهذا الرسم قد بطل اليوم.

وقد اصطلحوا على تعريف الكاتب نفسه والنسبة إليها قبل تسميتها، وذلك قولهم: (لسيدي فلان)، وهو خطأ، إلاّ أنّ الخروج من الاصطلاح مستثقل، وهو داخل فيا اصطلح عليه من الغلط الواقع في الهجاء وكتبة المصاحف ولابُدّ من المتابعة فيه.

قول في الدعاء

عرض في الدعاء مَنْ يغيّره عن رسمه الأوّل مثل ماعرض في العنوان من وجهين:

أحدهما: تكثير ألفاظ الدعاء.

والآخر: تبديل معانيه.

فأمّا ماعرض من تكثير ألفاظه فإنّ الرسم كان في دعاء العنوان أنْ يكون بلفظةٍ واحدةٍ لايُثنّى ولا يُثلّث، كقولك: (أطال الله بقاءه) فرقاً بينه وبين دعاء الصّدر، فزادوا[٣٣] في دعاء العنوان حتى لحق بدعاء الصّدر.

وأمّا ماعرض من تبديل معانيه فإنّ الأدعية التي كانت تستعمل كانت شبيهة بأمر الدين، مثل قولك: أكرمه الله وحفظه ووفّقه وحاطه ومااشبه ذلك، فعُدل عنها لقصد الإجلال والإعظام الى الدعاء بإطالة البقاء وإدامة العزّ وإسباغ النعمة، ونحو هذا مما يتنافس فيه أبناء الدنيا.

وحملوا الأمر في الأدعية على عادات ملوك الفرس، فجعلوا أوّل مراتب الدعاء إطالة البقاء ثمّ إطالة العمر، والفرق بينهما أنّ البقاء لايدلّ على مدّة تنقضي لأنه ضدّ الفناء، والعمر يدلّ على مدّة تنقضي، ولذلك يُوصف الله تعالى (٣٤٤) بالبقاء ولا يوصف بالعمر. ومن هنا اقتُصر[٣٤] على الدعاء للخلفاء بإطالة البقاء وجُعل مايليه لمَنْ دونهم. ويتلوه الدعاء بالمدّ في العمر، لأنّ الوصف بتطويل الزمان أبلغ من الوصف بالمدّ فيه، فإنّك تقول: مدّة طويلة ومدّة قصيرة فيتعاورها الطول والقِصَر، ولهذا صارت مرتبة الطول أقرب الى مرتبة البقاء. ثمّ لايزال الدعاء ينحطّ في المراتب حتى ينتهي الى دعاء واحد في الصّدر دون العنوان، نحو: أعزّه الله، وسلّمه الله.

وكانت عادتهم جارية بأنْ يجتنبوا من الأدعية مالا محصول له، كقولهم: (جعلني الله فداءك، وقدّمني الى السوء دونك) لما في ذلك من التصنّع والمَلَق الذي لايرضاه السلطان لأنّ نفس الداعي لاتسخو باستجابته. وإنّما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أنّ بقاءهم معدوق ببقاء رؤسائهم، وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم، لأنّه يصدر عن عقائد مستحكمة في بذل الأنفس دونهم، كالذي كان يعتمده أصحاب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنهم، من قول أحدهم له: (أفديك بنفسي يارسول الله، وبأبي أنت وأمّي ولم يكن يرتاب بضمائرهم، لأنّه لو احتاج الى أنْ يفدوه لم يرغبوا بنفوسهم عن نفسه. فإن سلك سالك هذه السبيل فليقدّم في صدر الكتاب من الأدعية مالاشكّ في سروره باستجابته، ثمّ يشفعه بهذا وأشكاله.

وينبغي أنْ تكون الأدعية دالّة على مقاصد الكتّاب، فإنْ كان في الهناء تأرّجت بعَرْفه، وإنْ كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه. (٣٤٥) وكذلك سائر فنون المكاتبات، لأنه لايحسن أنْ يُبنى الخطاب على الذمّ والتوبيخ والموجدة والسخط، ثمّ يفتتح الكتاب بالدعاء الذي يليق بمن يُحمد ويُشكر ويُرضى فعله، لأنّ ذلك تخليطٌ، ويخالف بينها في فصول الكتاب، ولايوالي بين اثنين منها، ولايركب بعضها على بعض، مثل أنْ يقال: فلا أخلى الله الأمير، أيّده الله، من عطاياه الجسيمة وحرس الله الامير أعزّه الله، ونحو هذا، فإنه مما يستقبحه الكتاب جداً، وإذا ذُكر الرئيس مجرّداً دعا له فقال: وقد أنهيتُ الى سيّدي أيّده الله كذا، فإذا ذكره مع غيره فقال: وقد كان من عدوّ سيدي كذا، لم يدعُ له، لأنّه يحتمل المعنيين.

فأمّا أدعية الصدور فإنهم يستقبحون أنْ تخرج عن سطرين.

وأمّا أدعية العنوان فإنها من واحد الى ستة ولا تزاد على...[٣٥].

وأمّا ترتيب الأدعية فليست له قوانين تحصره، إلاّ أنّ المستعمل في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء ألاّ يُدعى لأحد من كبير ولا صغير في التصدير، وأنْ يقرن الدعاء المرسوم لكلّ من المخاطبين باسمه في العنوان حسب.

وأمّا كتب الوزراء فتتضمن صدورها وعنواناتها من الأدعية مايليق بالمكاتبين وتوجيه مراتب المخاطبين.

وأمّا النظراء فيدعو بعضهم لبعض بالأدعية التي يقتضيها ماترويه من التناصف في المعاشرة.

فأمّا المرؤوسون فإن كانت كتبهم الى الأئمة فإن الذي يتضمنه من الدعاء هوما اشتمل عليه التصدير الذي ذكرناه من الصلوات والرحمة والتحيات والسلام والبركات ومايجري (٣٤٦) هذا المجرى.

وحكم العنوان حكم الصدر أيضاً. هذا هو الرسم المستعمل في مخاطبة الأئمة العلويين. فأمّا المستعمل في مخاطبة غيرهم فالدعاء بإطالة البقاء وسبوغ النعماء ودوام السلطان، وقد يدعى لهم أيضاً بمثل ماذكرناه من الصلاة والرحمة.

وإن كانت الكتب الى الوزراء فإن العادة جارية أن يضمّن التصدير مايليق بجلالة أخطارهم من الأدعية ويقتصر بهم في العنوان على دعاء واحد، نحو الدعاء بدوام الايام وعلو السلطان وما شابههما.

وإن كانت الكتب الى غيرهم من الرؤساء دعا لكلّ منهم بما توجبه رتبته.

وقد كانوا يختارون في الدعاء للآباء: (أبقاك الله وأكرمك) وللابن: أبقاك الله وأمتع بك).

ولا يستحسنون الدعاء للاخوان بالامتاع، ولذلك كتب عبد الله بن طاهر(٢٦) الى محمد بن عبد الملك الزيات(٢٧) يعاتبه على مخاطبته بـ (أمتع الله بك):

أحلْتَ عمّا عهدْتُ من أدبك ... أمْ نِلْتَ مُلْكاً فتهتَ في كُتُبِكْ

أتعبتَ كفّيكَ من مكاتبتي ... حسبُكَ ممايزيدُ في تَعَبِكْ

إنّ جفاءَ كتابِ ذي ثقةٍ ... يكون في صَدْرِهِ: وامتعَ بكْ

فأجابه(٢٨) معتذراً:

كيفَ أخونُ الإخاءَ بأملي ... وكلّ شئٍ أنالُ من سَبَبِكْ

إنْ يكُ جهلٌ أتاكَ من قبلي ... فَعُدْ بفضلٍ عليَّ في أَدَبِكْ

(٣٤٧) وقد استحدث بلغاء الكُتاب طريقةً في الدعاء مستحسنة ذهبوا فيها الى غير المذهب الأول، وسيمرّ(٢٩) في باب رسوم المكاتبات مايستدلّ به على استنان سنّتها، إن شاء الله تعالى.

قول في التاريخ

تاريخ كلّ شئ: آخره، وهو في الوقت غايته والموضع الذي انتهى اليه، وهو محقّق الخبر الدالّ عليه قرب عهد الكتاب وبُعده. ولكلّ ملّة وأهل مملكة تاريخ(٣٠).

وكانوا يؤرّخون بأوقات تحدث فيها حوادث مشهورة. ثم استقرّ تاريخ الروم منذ وفاة الاسكندر اليوناني. واستقرّ تاريخ الفرس منذ هلاك يزدجرد أحد ملوكهم. واستقرّ تاريخ القبط منذ وفاة دقلطيانوس أحد ملوكهم.

وكانت العرب تؤرخ بعام التفرّق، وهو تفرّقُ ولدِ اسماعيل عن مكّة. ثمّ أرّخوا بعام الغدر، وله حديث. ثمّ أرّخوا بعام الفيل، وحديث الفيل مشهور، وقد أنبأ الله تعالى به في كتابه. ثمّ بالفخار، وهو وقتٌ تفاخروا فيه وأحلّوا أشياء كانوا يحرّمونها، وبينه وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة ثم استقرّ تاريخ العرب في الملّة الاسلامية من أوّل سني هجرة سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وسلّم. وكان المبتدئ لهذا التاريخ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لأنّ عامله باليمن قدم عليه فقال: أما تؤرّخون كتبكم؟ فأراد عمر أنْ يؤرّخ بمبعث النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، قال(٣١): بل نؤرّخ بوقت وفاته، ثمّ قال: بل بالهجرة لأنّها (٣٤٨) مبدأ الإسلام وأراد الابتداء بشهر رمضان، ثمّ تقرّر رأيه على المحرّم.

والتواريخ العربية على الليالي، لأنّ سني العرب قمرية، وتواريخ سائر الأمم على الأيام، لأنّ سنيهم شمسية.

والهلال يبدو في أوّل الليل، وإنّما يكتب: يوم كذا، يعرف اليوم بما يمضي من الليالي ويبقى. وأوّل ليلة يطلع الهلال يؤرّخ بالمستهلّ، لأنّ النهار لايُقال فيه: مستهلّ، إذ الأستهلال إنّما هو الليلُ. فأمّا مَنْ عدّ تلك الليلة فيقول: لليلةٍ خلت. على أنّ قوله: مستهلّ وغيره أسهل من قولهم يوم كذا.

والعرب تسمّي أوّل ليلةٍ من الشهر: النّحيرة(٣٢)، ولا يستعمله الكُتّاب في التواريخ.

وإذا كان آخر الشهر يبتدئ بالليل وينقضي بانقضاء النهار وفي اليوم الخامس عشر يُقال: النصف من شهر كذا، فإذا كان قبله عُرف اليوم بالليالي المواضي، وإذا كان بعده عُرف بالليالي البواقي، لأنّ الكُتاب قصدوا في القريب بالعدد الأقلّ اختصاراً.

والفقهاء ينكرون هذا ويؤرّخون بما مضى من الشهر كائناً ماكان من العدد، ويرون أن مايبقى من الشهر غير محصّل، لأنّ الشهر مايُدرى أتامٌ هو أم ناقص وحجّة الكُتاب في هذا أنّهم يعملون على أنّ الشهر ثلاثون يوماً. فإذا ذكروا العدّة الماضية أو الباقية لم يكن عليهم تزيّد.

والذي يعمل عليه اليوم بمصر أنْ يُجعل شهر ثلاثين يوماً وشهر تسعة وعشرين يوماً، فيجعل المحرّم تاماً وصفر ناقصاً ثمّ على ذلك الى آخر الشهور.

(٣٤٩) والرسم في الكتب الصادرة عن السلطان أن تؤرّخ في أعجازها وأواخرها، إلاّ أنْ يكون الكتاب في أمر يحسُن الابتداء بذكره فيؤرخ في صدره باليوم، كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم الدينية.

فأمّا كتب الأتباع الى الرؤساء فإن الرسم أنْ يؤرّخ في صدورها، ومثال ذلك أنْ يُقال: (كتب العبدُ من مقرّ خدمته يوم كذا).

قول في الختم

لم تزل ملوك العجم تختم كتبها احتياطاً على سرائرها، وصيانة لما ينفذ فيه من عزائم أمورها. وكان للفرس ديوان للخاتم تكتب فيه الكتب التي تختم بخاتم الملك لأنّ له من الموقع ماليس لغيره مما ختم به.

وأوّل مَنْ استأنف ديوان الخاتم في الاسلام زياد بن أبيه(٣٣).

ورُوي أنّ كتب العرب لم تزل منشورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتب عمرو بن هند للمتلمس(٣٤) الى عامله على البحرين يأمره فيه بقتله، فقرأه(٣٥) المتلمس فلم يوصله فختمت العرب بعد ذلك كُتبَها.

وحُكي أنّ النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، كتب الى ملك الروم كتاباً ولم يختمه، فقيل له: إنّه لايقرؤه مالم يكن مختوماً، فاتخذ، عليه السلام، خاتماً ونقش على فصّه: (محمد رسول الله) وختم الكتاب. فصار الختمُ سُنّةً. وانتقل هذا الخاتم الى أبي بكر، رضي الله عنه، فختم به كتبه مدّة خلافته. ثمّ انتقل الى عمر بن الخطّاب فختم به كتبه أيام خلافته. ثمّ انتقل الى عثمان بن عفّان فختم به النصف من مدّة خلافته، وبينا هو في يده (٣٥٠) وهو على المنبر إذ سقط من يده فطُلب فلم يُقدر عليه، فاتّخذ خاتماً ونقش عليه: (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر وختم به.

ورُوي أنّ أوّل مَنْ ختم الكتب سليمان بن داود، عليهما السلام.

وقيل في تفسير قوله تعالى: «إنّي أُلقيَ إليّ كتابٌ كريم»(٣٦) أي مختوم.

والذي يجري عليه الأمر في الختم اليوم نذكره عند ذكرنا لديوان الخاتم، إنْ شاء الله تعالى.

الباب الثامن

في رسوم المكاتبات

هذا الباب هو موضع الثمرة والمجنى، ومكان الغرض والمغزى من الصناعة، وعليه مدارها وعنده تنقطع أفعال أهلها. وهو أهم مااصطلعوا به وألزم مامهروا فيه من أعمالها، لأنّه لاشئ أعود على الكاتب من تحصيله أمثلة مايكتب فيه وقيام رسومه في نفسه وتمكنه من التصرف فيها، ولاأقعد به من تعذرها عليه وحاجته الى انتساخها ونقلها مما رسمه في أضيق الأوقات مجالاً وأقلّها إمهالاً.

وقد أودعنا هذا الباب المثُل والرسوم المستعملة في جميع المكاتبات بالقول الوجيز الجامع لحدودها وعقودها، إذ كان حصر جميع أنواع الترسيل في مُثُل تشتمل عليها ورسوم تقيّدها حتى لايبدو شئ منها متعذراً. وأسّسنا لذي الفكرة السليمة والغريزة المستقيمة مايقتفي آثاره ويقتبس أنواره، وأغنيناه بتقدمة (٣٥١) الاستعداد عن الفحص والارتياد فأتينا في الكتب المكتبة عن السلطان في الحوادث بجوامع تشتمل على أغراضها ومقاصدها والمعاني الواقعة فيها لتبسط وتوفى حقّها من الشرح والإبانة عند

الحاجة الى استعمالها، وأتينا في كتب التقاليد والعهود بأمثلة تتضمن التصدير والأوامر التي جرت العادة أنْ يعهد بها السلطان لكلّ مَنْ يعمل عملاً من أعماله، لأنّها محصورة محدّدة لاعذر للكاتب في الإخلال بشئٍ منها ليستوفيها على حقّها ويضعها في مواضعها، فإنّه إنْ أغفل بعضها سقطت الحجّة على العامل متى لم يعمل بها، وأتينا في المكاتبات المشتركة برقاع وفصول تطرق الطريق الى إنشاء مثلها. وهذا الفنّ من المكاتبات لايقف عند مدىً، وقد كان ينبغي أنْ نحيل في تعرّف رسومه على مطالعة ماأنشأه البلغاء فيه لكنّا تكفّلنا ماتكفلناه منه لئلا نكون قد أضربنا عن الأمر الأعمّ من الكتابة وإنْ كانت السلطانيات هي الأمر الأهمّ، لأنّها الكتب النافذة في جلائل الخطوب ومعاظم الأمور وسياسة الجمهور وقوام الدنيا ونظام الدين.

ولسنا ندّعي النفاذ في جميع ماأنشأناه من هذه الأنواع وأودعناه كتابنا، ولأنّه بأسره مرضيٌ لأنّه لايكاد يوجد كاتب مطبوع في تأليف الرسائل كلّها، كما لايوجد خطيب مطبوع في تأليف الخطب كلّها، لأنّ من الكُتّاب مَنْ يكون حاذقاً في الكتب السلطانية الصادرة في معاظم الأمور وجلائل الشؤون، ككُتب الهُدَن (٣٥٢) والفتوحات والعهود والتقاليد والاستبطاء والاعتذار والشكر والشكوى والتهادي دون غيرها من السلطانيات. وربّما تمهّر الواحد منهم في معنى دون معنى، كما يتمهّر في التقريظ والإحماد دون التوبيخ والاستقصاء ونحو ذلك.

ومن الخطباء مَنْ يكون حاذقاً في التحضيض، قويّ الحميّة والحفيظة في الوقائع ومقارعة الفرسان، مقصّراً في الإصلاح بين العشائر وإطفاء الثوائر. وربّما مَهَر في خطب الحمالات وتكلّف الديات دون غيرها من أنواع الخطب.

ومن الشعراء مَنْ يجلّ في المدح دون الهجاء، وفي المراثي دون الفخر وكذلك في سائر الأنواع. وهذا أمرٌ معلوم، والعلّة فيه اختلاف الغرائز ومناسبتها للبعض دون البعض من الأمور.

وأيضاً فإنّ الذي يؤلف الكلام في حالٍ حاضرة قد أحاط بصفتها وتمكّنت صورتها في نفسه أفسح مجالاً وأوضح سبيلاً ممن يؤلّف في الأمر المشاهد يستملي من نفس ذلك الأمر مايبني عليه تأليفه، وليس مَنْ أخذ صورة فجلاها كمن خلق الصورة وتكلّف تحليتها.

فإن وقع فيما اشتمل عليه هذا الباب تقصير في بعض الأنواع عمّا يستحقّه من القول اذا قيس بحال حاضرة فهو لهذا السبب، لأنّ جميع ماتضمنه مقتضب لم يستعمل شيئاً في مخاطبة ولا مكاتبة.

وكلّ ماأتينا به من الأمثلة فلا ينبغي لمن يروم احتذاءه وامتثال سببه أنْ يعوّل على نقل (٣٥٣) فصّه وأخذه على نصّه، لأنّ ذلك يفسد طبعه ويعوده عادات الاتكال على غيره، وإنّما يجب أنْ يمرّه على سمعه ليتدرب بالطريق المسلوكة إليه فيقتفيها، وإنْ علق بنفسه معنى من معانيه عرّاه من معرض لفظه وكساه لفظاً يحفظ صورته.

وهذا الباب لم نصنّفه لعالم ماهر ولاكاتب مبرّز كامل، وإنّما صنّفناه للمبدئ تبصرة وللمنتهي تذكرة، والله الموفّق للصواب بفضله.

الذي يتصرّف فيه الكاتب من إنشاء المعاني ضربان[1]:

الأول: اقتضاب الرأي والتدبير في الأمور السلطانية التي ليست لها أمثلة محرّرة ترجع اليها ولا رسوم مقرّرة تعتمد عليها، وإنما هي مصالح تعمّ أمور الدين والدنيا، والسلطان محتاج الى تفقدها وإقرار منتظمها على نظامه، وإعادة المختل منها الى قوامه، والمكاتبة منها بما يقتضيه من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وحضّ على صلاح وكفّ عن فساد، وإبانة عن حميد عاقبة ودلالة على ذميم مغبّة.

وإنشاء هذا النوع من المعاني يتعلق بوزير السلطان الذي يصدر ويورد، وينقض ويبرم، ويحلّ ويعقد، ويقدّم ويؤخّر.

والمتولي لهذا العمل يفتقر في الاستقلال به الى حصول ثلاثة أشياء:

أولها: الفكرة المناسبة لهذا الأمر والهمّة المشابهة لهذا الرتبة، فإن اختيار الرأي وجودة التدبير قوة يحظى بها الواحد دون الواحد فيُعرف بها ويُنسب إليها.

والثاني: المعرفة بأحوال المملكة وبلادها ورجالها ورعيتها ومذاهبهم وسيرهم وعاداتهم ومايقومهم من رغبة ورهبة وبعضهم من
(٣٥٤) المعاملات المتضادّة ومايرجونه ويخافونه.
والثالث: حيازة فضل التجربة والاستدلال بتالد الأحوال على طارفها، وبسالف الخطوب على آنفها، لتشابه قضايا الأزمنة وتناسب عللها.

فمتى حصلت له هذه الأقسام اقتدر على نيل المرام، ووقف على منهج السداد في الاصدار والإيراد، وتوضّحت له مخايل الصواب وعُدَّ من سادة الكُتّاب.

والضرب الثاني: إنشاء الترتيب والعبارة. وهذا فإنما يسلم الأغراض الى متولي الترسيل محرّرة فيحسن التعبير عنها ويجلوها في أشفّ معارض الإبانة. وهو ينقسم الى قسمين:

القسم الأول: السلطانيات.

والقسم الثاني: الكتب المشتركات.

فالقسم الأول على ضربين: (الأول) غير محتسب وغير مطروق، تنشأ الكتب فيه بحسب الحوادث فلا مثال له ولارسم، والكاتب يقتدر على توفيته حقّه بأمرين:

أحدهما: الطبع الفاضل الذي في قدرته وضع الأشياء في حقائقها.

والثاني: المهارة في المعتاد والتدريب به لوقوع التناسب في الأمور.

والضرب الثاني: راتب متداول قد استقرت له رسوم معروفة ومُثُل مألوفة، وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: المكاتبات في الحوادث المألوفة.

والنوع الثاني: التقاليد والعهود والمناشير والأمانات.

والنوع الثالث: التوقيعات.

والنوع الرابع: المكاتبات في أمور الخراج.

وقد مثّلنا من هذه الأنواع مافيه كفاية، وغنًى لأهل الدراية.

* * *

(٣٥٥) القسم الاول من الترسيل: وهو السلطانيات

الضرب الثاني منه أربعة أنواع، رسوم النوع الأول منه، وهو الكتب في الحوادث المألوفة.

أغراض هذه الكُتُب:

الكتب في الدعاء الى الدين

الكتب في الحث على الجهاد

الكتب في الحضّ على الطاعة

الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة

الكتب عند حدوث الآيات السماوية

الكتب في النهي عن التنازع في الدين

الكتب عن الخليفة عند انتقال الأمر إليه

الكتب في الهُدَن والعقود

الكتب الى مَنْ نكث عهده من المعاهدين

الكتب الى مَنْ خلع الطاعة

(٣٥٦) الكتب بالتضييق على المجرمين
الكتب في الاعتذار عن السلطان
الكتب في الفتوح
الكتب في التوفقة بين السنين[٢] الخراجية والهلالية
الكتب بالتنويه والتقليب
الكتب بالإحماد والإذمام
الكتب بالأوامر والنهي
الكتب في إلزام الذمة بالتغيير

الكتب في الدعاء الى الدين

أشرفُ[٣] ماينشئه المترسلُ الدعاء الى دين الاسلام الذي أظهر الله تعالى على كلّ دين، وأعزهُ على كُره المشركين واستجرار مخالفيه اليه واجتذاب الخارجين عن دائرته الى الدخول فيه، عملاً بما كان عليه رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، والخلفاء من بعده، لأنّه قوام الملك ونظام السلطان اللذان[٤] لايصحان إلاّ به.

والكاتب يحتاج في إنشاء هذه الكتب الى علم التوحيد وبراهينه، وشَرْعِ الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، خاصّه وعامّه ومعجزاته وآيات نبوّته، ليتوسّع في الإبانة عن ظهور حجّته ووضوح محجّته.

والرسم فيها أنْ تُفتتح بحمد الله الذي أختار دين الإسلام فأعلاه وأظهره وقدّسه وطَهّره، وجعله (٣٥٧) سبيلاً الى رضاه وكرامته وطريقاً الى الزّلفى في جنّته، وشفيعاً لايُقبل عمل عامل إلاّ به، وباباً لايصل واصلٌ إلاّ منه، فلا تغفر السيئات الا لمن اعتصم بحبله ولا تتقبّل الحسنات إلاّ من اهله، وشكره تعالى على الهداية إليه والتوقيف عليه، وذيادته عن مجاهل الضلالة بما أوضحه من برهانه ونوّره من بيانه، وتمجيده بعظيم آياته وباهر معجزاته، وحكيم صنعته وبديع فطرته، وتنزيهه عما لايليق بسلطانه ولا إضافته الى عظيم شأنه، وتسبيحه عما يصفه المُلحدون ويختلقه الجاحدون، والصلاة على رسوله محمد، صلّى الله عليه وسلّم، والإفصاح عن دليل نبوته وبراهين رسالته، وماخصّه الله تعالى به من إعلاء ذكره وإمداده بالمعجزات الرافعة للاعذار في أمره. ثمّ يشفع ذلك بالدعاء الى الدين والحضّ عليه، وإيضاح ما في التمسك به من الرشاد في داري المبدأ والمعاد، والتبشير بما وعد الله [به] المستجيبين له والداخلين فيه[٥]، من تمحيص السيّئات ومضاعفة الحسنات، وعزّ الدنيا وفوز الآخرة، والإنذار بما أوعد به الناكبين عن سبيله العادلين عن دليله، من الإذلال في هذه الدار والتخليد يوم العرض عليه في النار، وتصريف المخالفين بين الرغبة والرهبة في العاجل والمغبّة.

وينبغي أنْ يتأنّى الكاتب فيما يورده من هذه الأغراض ليقع في المواقع اللائقة به، ويجلو الحجج في أحسن المعاريض، ويفصح عنها بأقرب الألفاظ من النفوس، فإنّه إذا وُفّق لذلك ناب كتابه مناب الجيوش والأجناد وأقرّ السيوف في الأغماد، ومن صدقت في هذا الفن (٣٥٨) نيته أيّد الله غريزته وعضد بديهته ورويّته.

الكتب في الحثّ على الجهاد

الدّين ينتظم بأمرين:
أحدهما: الدعاء اليه والترغيب فيه.
والثاني صيانة حوزته ومادخل في مملكته، وكفّ أعدائه عن تنقّص أطرافه والتغلب على بلاده.

ولهذا فرض الله الجهاد وأوجبه، وأكّد الأمر فيه وشدّده والسلطان محتاج عند الحوادث التي تحدث من تطرُّق المخالفين الى بعض الثغور أو شنّ الغارة على أهل الإسلام، أنْ يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء، وصون حريم الملّة وحفظ نظام الدولة والرسم فيها أنْ يُفتتح بحمد الله تعالى على جميل صنعه في اعزاز الكلمة وإسباغ النعمة بإظهار هذه الأمة، وماوعد به من نصر

أوليائه وخذلان أعدائه، وإدالة الموحدين وإذالة المُلحدين، والصلاة على رسوله، صلّى الله عليه وعلى آله، وذكر طرف من مواقفه في الجهاد ومقارعته لشيع الإلحاد، وتأييد الله تعالى أنصاره على أهل العناد. ثمّ يذكر الحادثة بنصّها ويشرح القضية على فصّها، ويستنصر من جاوره وداناه من أهل المِلّة أجمعين ويخاطبهم بما يرهف عزائمهم في نُصرة الدين وكنافة المسلمين واتباع سبيل السلف الصالحين الذين خصّهم الله بصدق الضمائر ونفاذ البصائر وصحة الدين ووثاقة اليقين، فلم يكونوا يرومون مراماً إلّا سهّل لهم ماتوعّر ويسّر عليهم ماتعسّر، وسما بآمالهم الى ماهو أقصى منه مرمى وأبعد مدى، رغبة فيما (٣٥٩) رغّبهم فيه من نُصرته وتعرّضاً لما عرّضهم له من جزيل مثوبته، وأنْ يحضّهم على التمسك بعزائم الدين والعمل على بصائر المخلصين، وافتراض مافرض الله عليهم من جهاد أعدائه وتنجّز ماوعدهم به من الإظفار بهم والإظهار عليهم، وأنْ يجاهدوا مستبصرين ويؤدّوا الحقّ محتسبين، ويقدّموا أرسالاً لاناكثين ولا ناكصين ولا شاكّين ولا مرتابين، متبعين الحق حيث يمّم وقصد ومضاربين دونه من ندّ عنه وعند، ويُبالغ في تنحية اهل البسالة والنجدة والبأس والشدّة وبعثهم على نصر حقّهم وطاعة خالقهم، والفوز بدرك الثواب والرضوان ونفوذ البصائر في الإيمان، وفضيلة الأنف من الضّيم والبعد[٦] من الذّيم، الى غير ذلك مما يسهّل بذلَ الأرواح والمهج والإقدام على مصارع التّلف، فإن الملوك الماضين، لعلمهم بأنّ الناس إنّما يجودون بذلك للفوائد التي توحيه، كانوا يبذلون لمن يدعونه الى المكافحة ويعرضونه للمنافحة الرغائب التي تهوّن عليهم إلقاء أنفسهم في المهالك تارة، ويذكّرونهم الأحقاد والضغائن [ويخوّفونهم من الوقوع في المذلّة أخرى][٧].

وينبغي أنْ يقدّم الكاتب في هذه الكتب مقدّمات يرتبها على ترتيب يهزّ الأريحيات ويشحذ العزائم ليجمع بين خدمة سلطانه والفوز بنصيب من الأجر.

الكتب في الحضّ على لزوم الطاعة

طاعة السلطان والانقياد اليه والرجوع الى رأيه والاعتماد عليه أقوى الأسباب في استمرار الاتساق والاستتباب، وهي فرض أوجبه الله تعالى، فقال: «أطيعوا الله (٣٦٠) وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[٨].

ولاتصح مملكة ولاتدوم دولة إلّا بأمرين: أحدهما: عدل السلطان. والآخر: طاعة الرعية له. فمتى ارتفع أحدهما ضد السائس والمسوس. ولم تزل الأزمنة تتقدّم الى الرعايا بلزوم الطاعة والاعتصام بحبل المشايعة والنهي عن مفارقة الجماعة.

والرسم فيها أنْ يفتتح بالحمد لله على النعمة في تأليف قلوب أهل الدين وجمع كلمة الموحدين، وإهواء أهوائهم الى الاتفاق وصيانة عصاهم من الانشقاق، والصلاة على رسوله، صلّى الله عليه وسلّم، والتنبيه على فضائل الطاعة وأنّها العروة الوثقى والمعقل الذي لايُرقى، والحصن الحصين والكنف الأمين، والحمى الامنع والمرقب الأرفع، وأنّ مَنْ حافظ عليها فاز وسَلِم وربح وغَنِم، ومَنْ فارقها خسِر وخاب ونكب عن سبيل الصواب، وأيضاح مافي لزوم الطاعة من اتفاق الكلمة وانتظام شمل الأمة، وشمول الخيرات وعموم البركات، وعمارة البلاد وصلاح العباد، ومافي المشاقة من الفساد العام العائد بانتثار النظام، وانبتات الحبل وتفرّق الشمل واجتثاث الأصل، وطموس الديار وصيال الأشرار على الأخيار، وتوالي الفِتن التي لاتُصب الظالم خاصّة دون العادل، ولا المشاقق دون الموافق، وحلول النوائب المُزيلة للنِّعم المُنزلة للنِّقم، واتباع ذلك بما يجب من إعذار وإنذار، وترهيب وترغيب، وتذكير وتبصير، ووعظ وتخويف، وبعث العلماء الحصفاء على وزع الجهلاء (٣٦١) السخفاء، وتنبيه أهل السلامة والصلاح على كفّ ذوي العبث والطّلاح، الى نحو هذا مماجاريه. وأنْ يبالغ فيما يورده من هذه المعاني، فإن هذه الكتب إذا كانت بليغة مستوفاة جيدة العبارة أخذت بمجامع القلوب وأغنت عن الكتائب في إدراك المطلوب.

الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة

إنّ الله وقّت لعباده أوقاتاً عظّم شأنها ورفع مكانها، وأمرهم أنْ يتقرّبوا فيها إليه بتأدية مافرضه عليهم، لُطفاً بهم ورأفة وحناناً

ورحمة. ولم يزل السلطان يكتب الى عُمّاله بتنبيه الرعايا عليها وتعريفهم فضل العبادة فيها، ليستقبلوها بالإخبات والخشوع ويتلقّوها بالتضرّع والخضوع، ويتوسّلوا في قبول التوبات وغُفران الخطيئات، حفظاً لنظام الدين وتفقّداً لمصالح المسلمين.

والرسم فيها أنْ يفتتح بحمد الله تعالى على أنْ وقّت لعباده أوقاتاً يتقبّل فيها قربهم وأعمالهم ويخفّف بالإنابة اليه عند حلولها أوزارهم وأثقالهم، فيغفر لمستغفرهم ويعفو عن مُسيئهم ويتقبّل التوبة عن تائبهم والصلاة على رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم.

ثمّ يقدّم مقدمة مبيّنة على تعظيم هذه الاوقات والإبانة عمّا في قَصْرها على العبادات والمسابقة الى الخيرات من عظيم المثوبات.

ويشفع ببعث الولاة أخذ الرعايا بالمحافظة على السّنن وتعهّد حقّ الله تعالى فيها، والتوسّع في توكيد الحجة ونفي الشبهة، وايراد المواعظ الرادعة التي تعود بشحذ البصائر وصفاء الضمائر، والإيذان بحقوق هذه الأوقات (٣٦٢) وحرماتها والفوز بما توفده من جزيل بركاتها والتوفّر على حسن مجاورتها، والتقرّب الى الله تعالى ببذل الصدقات والإقبال على الصلوات وزيارة بيوت العبادات، ومذاكرة أهل الدين والسعي في مصالح المسلمين، ونحو ذلك ممايناسبه.

فإن كان الكتاب مقصوراً على الدعاء الى الحجّ افتتح بحمد الله على أنْ جعل لعباده حرماً آمناً يمحّص ذنوبهم بزيارته ويمحو آثامهم بحجّه ووفادته. ويلي ذلك مايليق به من الحثّ على تأدية المناسك وتكميل الفرائض والسنن وزيارة قبر النبي، صلّى الله عليه وسلّم. وكذلك الحكم في سائر الأبواب الدينية.

وينبغي للكاتب أنْ يُحسن التأتي في هذه الكتب ليلين القاسي ويذكّر الناسي، وينبّه الغافل اللاهي والمهمل الساهي، ويحرّك النفوس نحو مصالحها ويبعثها على الأخذ بفاضل الأعمال وصالحها.

الكتب عند حدوث الآيات السماويات

جرت العادة أنْ يكتب السلطان الى الرعايا، عند حدوث الآيات المهولات التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده الى الإقلاع عن معصيته والإقبال الى طاعته، كالرياح العواصف والصواعق واحتباس القطر وخروجه في التسكاب عمّا جرت به العادة، كُتباً يضمّنها من الوعظ الشافي والرقيق مايأخذ بمجامع القلوب ويشعرها للتقوى والرهبة، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة.

والرسم فيها أن يفتتح بحمد الله على آلائه التي يفيضها ابتلاء واختباراً، وآياته التي يرسلها تخويفاً وإنذاراً، وموهبته في التوقيف بسابغ نعمته على طاعته (٣٦٣) والتحذير بدامغ نقمته من معصيته، والصلاة على رسوله الذي أنقذ بشفاعته وعصم من نزول القوارع بنبوّته. ثمّ يقدّم مقدمة تتضمن أنّ الله تعالى يقدّم الاعذار أمام سخطه وعذابه ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه، فمَن استيقظ من سنته ونظر لعاقبته فنزع الى طاعته وأقلع عن معصيته كشف ضرّه وضاعف أجره، ومن أضرب عن موعظته وتعامى عن تبصيره وتذكرته أخذه على غرّته وسلبه سربال نعمته. ثم يؤخذ في حث الأمّة على الفزع الى الصلوات والمسارعة الى بيوت العبادات، والإكثار من التضرع والخشوع والاستكانة والخنوع وإذراء الدموع، وأخلاص التوبة عن محتقب الآثام ومجترح الأوزار، والتوسّل الى الله تعالى في قبول الإنابة بقلوب نقيّة وطويّات على الطهارة مطويّة، وسرائر صحيحة ونيّات صريحة، يصدّقها الندم على الماضي وعقد العزم على الإقلاع في الآتي، والرغبة إليه في رفع سخطه وانزال رحمته، ومايجاري هذا.

وينبغي للكاتب أنْ يتلطف في الموعظة ويبالغ في الذكرى التي تحصر الخواطر وتقدح الأنفس، وتحرّك العزائم نحو الإخلاص فإنه إذا ماأبرز هذه المعاني في صور تُشعر الخيفة من غضب الله تعالى وعقابه وترغّب في عفوه وثوابه، نفع الله من رغب عن الهوى ورغب في التقوى بكتابه.

الكتب في النهي عن التنازع في الدين

(٣٦٤) من أهمّ ماصرف إليه السلطان تفقّده ووقف عليه تعهّده أمرُ الرعايا في أعماله وتنفيذ الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين، وحسم أسباب المجاذبة والمراء والتحذير من اتباع البدع والاهواء والإخلاد الى مضلّ النّحل والآراء، لأنّه متى

فسح لهم في هذا الباب صاروا شيَعاً متباينين وفرقاً متحاربين، وانشقّت عصاهم وانفضت حيلهم وخرجوا عن أحكام أهل السلامة الى أحكام أهل الفتنة، وعاد ضرر ذلك على الدين والسلطان، ولهذا صرف اليه الساسة الحَزَمة من الملوك والاهتمام ولم يخلوا بحسم مادّته على تغاير الأيام.

والرسم فيها أنْ يُصدّر بحمد الله تعالى على نعمته في تأليف كلمة أهل الإسلام ومامنّ به عليهم من الاتفاق والالتئام، وشكره على موهبته في نزع الغلّ من صدورهم والتأليف بين قلوبهم، وتصييرهم اخواناً متصافين وخلّاناً متوافين[٩]، وعونهم بما وفّقهم من التوازر على من شقّ عصاهم وإقدارهم بما منحهم من الالفة على مراماة مَنْ راماهم، والصلاة على سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وعلى آله. ثمّ يشفع هذا وما يجاريه بأنّ أمير المؤمنين بمامكّنه الله تعالى في أرضه ووفّقه له من القيام بفرضه، والنهوض بحقّ طاعته والعمل بكتابه وسنته، ورغبته في الخير العام وشمول الصلاح لكافّة الأنام، لايزال يحضّ رعيته على مايقضي بسداد دُنياهم وحسن المنقلب في أخراهم، ويرى أنّ أنفع ذلك عائدةً وأجزله فائدةً مارفعَ عنهم أسباب التنافرُ ودعاهم الى التعاضد والتضافر، (٣٦٥) وحال[١٠] بينهم وبين الخوض في مُحدث النّحل والآراء والإصغاء الى مضلّ البدع والأهواء التي تصدّ عن سَنَن الهدى، وتلقي في مزالق الردى وتدعو الى شقّ العصا وتفضي بانتشار النظام واختلاف الأنام وانفصام عرى الإسلام، وكفّهم عن المماراة في الدين والإصغاء الى سنّة المضلّين المعطلّة للسُّنن القادحة للفتن الداعية الى احتقاب الأثام وإراقة الدماء الحرام ونحو هذا مما يضاهيه.

ثمّ يقول: وانتهى الى أمير المؤمنين التفاتكم عن معايشكم التي جعلها الله لدنياكم قِواماً وعبادتكم التي صيرها لأخرتكم نظاماً، واقبالكم على المماراة والمنازعة والمناظرة والمجادلة في شكوك يقيمها من يرغب في الرياسة والتقدّم ليفوز بخبيث الطَعْم [الذي][١١] يعمي البصائر ويفسد السرائر، ويقدح زند الضلال ويشبّ نار المحال والانتحال، فامتعض[١٢] أمير المؤمنين من ذلك وخاف عليكم أليم عاجلته وذميم آجلته، وبادركم بكتابه هذا منبهاً لغافلكم ومرشداً لجاهلكم، وباعثاً لكم على التشاغل بما أطاب أخباركم وحسّن آثاركم، من تلاوة كتاب الله الذي أمركم بتلاوته وزيارة بيوت عبادته والتأدب بأدب نبيّه وعترته، وأوعز الى النائب في الحرب بتقويم من خرج عن أمره وتثقيف من أصرّ على غيّه، وأنْ يحسم الداء من قبل استشرائه ويستدركه دُوَين استفحاله، فاصغوا الى زواجر أمير المؤمنين ومواعظه واقتدوا بهَدْيه ومراشده لتفوزوا بطاعته وتسعدوا برضاه وصلاته (٣٦٦) وتسلموا في الحاضر من نكاية أنتم بغيرها أولى ماسلكتم الطريقة المُثلى وفي الغابر مما أعدّه الله لمَنْ خالف أمره من العقاب في الدار الأخرى، فاعلموا هذا واعملوا به إنْ شاء الله.

وقد يكتب السلطان الى الرعيّة بالنهي عن التفاخر بالبلدية والتنازع في العصبية، والطريقة في هذا المعنى مشتقة من طريقة هذا الرسم.

الكتب عن الخليفة عند انتقال الخلافة إليه

جرت العادة أن تنفّذ الكتب الى ولاة الأعمال في مثل هذه الحال مضّمنة ماجرى عليه الأمر بالحضرة من انقياد الأولياء والرعايا الى الطاعة ودخولهم بصدور منشرحة في البيعة وحضّ مَنْ بها من رجال السلطان ورعيته على الدخول فيما دخل فيه أمثالهم وإعطاء الدعاة على ذلك صفقة أيمانهم.

والرسم فيها أنْ تصدّر بحمد الله على عوارفه التي لم تزل تكشف الخطب وترأب الشعب، وتدفع المُهمّ وترفع المُلمّ، وتجبر الوهن وتسبغ الأمن والمنّ، والصلاة على رسوله سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وسلّم، وذكر خصائصه ومناقبه وتشريف الله له بإقرار الأمانة في ذريته وردّ الخلافة الى عترته والتنويه بذكرهم في كتابه والإبانة عن أنّهم حبوته وأهل صفوته الذين طرّهم من الأرجاس وفرض مودّتهم على الناس بقوله: «إنما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجْسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً»[١٣]، وما أمر به رسوله من سؤال أمته في مودتهم فقال: (٣٦٧) «قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى»[١٤] وتفويضه خلافته الى وصيّة علي أمير المؤمنين

ونصّه عليه وتسليمه بمحضر من العام والخاص اليه. ويتلو هذا بالإفصاح عن شرف الخلافة وفضلها والإبانة عن رفيع مكانها ومحلها، وأنّها ظلّ الله الممدود وحبله المسدود، ومساك الدين ونظامه وملاك الحقّ وقوامه، وامتنان الله تعالى على العباد بأنْ جعل لهم أئمة يبسطون العدل عليهم ويقيمون الحدود فيهم ويقوّمون أديانهم ويهذّبون ايمانهم ويرهفون بصائرهم ويهدون حائرهم ويكفون ظلومهم وينصفون مظلومهم ويجمعون كلمتهم ويحمون ذِمارهم ويحوطون دارهم ومايجاري هذا.

ثمّ يذكر ماأوجبه الله على أهل الإسلام للإمام من الطاعة وحُسن التباعة أيام حياته والائتمار مره في الانقياد الى مَنْ ينصّ عليه بمرتبته بعد وفاته، ليتصل حبل الإمامة بينهم ويمتدّ ظلّ الخلافة عليهم[15]، ثمّ يأتي بمقدمة في ذكر الموت وأنّ الله تعالى سوّى بريّته وجعل في تطرّقه الى رسوله اسوة لخليقته، وتفرّد بالبقاء وامتنع على الفناء، ثمّ يُقال: وإنّ الله لمّا أختار لعبده ووليه فلان النُقلة الى دار كرامته والحلول بفناء طاعته وأعانه على سياسة بريّته، وأنهضه بما حمّله وأيده بما كفله من الذبّ على المسلمين والمراماة عن الدين، والعمل بكتابه وسنّته في القول والفعل واستشعار خيفته ومراقبته في السرّ والجهر ومايليق بهذا، استخلص عبده ووليه فلاناً[16] الإمام الكذا بخلافته، وأهمى سماء الرحمة بإمامته، وأحكى عُرى العصمة بولايته، وألقى في نفس رأيه[17] النصّ عليه والتفويض إليه لما علم سبحانه في ذلك من شمول المصلحة للعباد وعموم الأمنة للبلاد، فارتسم، قدّس الله روحه، ماألهمه وكمّله قبل (٣٦٨) خروجه من دار الدنيا وتمّمه، عالماً بفضل اختياره وأنه لم يملْ مع الهوى في إيثاره، فقام أمير المؤمنين الإمام الكذا مقامه وحفظ نظامه وسدّ ثلمته وعفّى رزيّته، وأقرّ الإمامة به في نصابها ومقرّها وزاد باستخلافه في صيت الخلافة وقدرها.

وأمير المؤمنين يسأل الله أنْ يخصّ قلبه السعيد بقربه بأفضل صلواته وأشرف تحياته، ويُحسن جزاءه عن سعيه في صلاح العباد وسداد البلاد، وأنْ يُلهم أمير المؤمنين من الصبر على تجرّع الرزية فيه أفضل ماجزى صابراً محتسباً، وأنْ يجبر كسره في فقده ويوفّقه لجميل العزاء من بعده، ويسدّده في مصادره وموارده ويهديه لما يرضيه في جميع متناسيه. ويعينه على ماألّف الأهواء وجمع الأرزاء، ونظم الشمل وكثّر القلّ وأدجى الظلّ وأزال الشكّ والارتياب.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد أجتمع مَنْ بحضرته من ذوي الحمية وأمراء دولته وكافة جنده وحماة حوزته على بيعته وإعطائه صفقة أيمانهم على طاعته ومشايعته، عن صدور مخلصة نقيّة وسرائر صافية سليمة وعقائد مشتملة على الوفاء بما عاقدوا عليه وانقادوا مختارين إليه، وشملتهم بذلك الرحمة وصفت عليهم النعمة، فما ترحوا للرزية حتى فرحوا بالعطية، ولاوجموا[18] للمصيبة حتى بسموا للرغيبة، ولاأظلموا لفقد الماضي حتى أضاءوا لوجود الآتي.

فلله الحمد على هذه المنّة التي جَبرت الوهنَ وحققت في فضله المنّ، حمداً يستدرّ (٣٦٩) أخلاف فضله ويستدعي سوابغ طوله، وصلّى الله على محمد وآله.

وأمير المؤمنين يراك من أهل مخالصته والمتحققين بطاعته والجديرين بإجابة داعي تبعته والمسارعين الى الاعتصام بحبل دعوته، وهو يأمرك أنْ تأخذ البيعة على نفسك وعلى جميع أوليائه المقيمين قبلَك وكافة رعاياه الذين في عملك، وتشعره بماعنده للمسارعين الى الطاعة المبادئين في التباعة من نشر الإنصاف والعدل وإفاضة الإحسان والفضل، ولمنْ نكب عن الطريقة المُثلى وعدل عن الأولى، من الكفّ الرادع والأدب الوازع، ويتوسّع في هذا المعنى توسعاً يشرح صدور أهل السلامة المستمرين على نهج الاستقامة، ويقبض أيدي أهل الفساد ويغضّ من نواظر ذوي العناد، ويحلّي هذا الكتاب بآيات من القرآن تحسن استعارتها في باب العزاء ويليق ذكرها في باب الإشادة بالخلافة والخلفاء.

وهذا الرسم فيما يصدر الى الأعمال، فأمّا مايُقرأ بالحضرة فإنّه يُقال في موضع: وكتاب أمير المؤمنين إليك، وانتم معاشر الأشراف بني عمّ أمير المؤمنين والعلويين وخواصّ الدولة وأمرائها وأمثالها وأجنادها وكُتّابها وقضاتها وكافة رعيتها ومن اشتمل عليه ظلّ مملكتها، أحقّ من حافظ على عوارفنا واعتدّ بلطائفنا وقام بشكر نعمتنا وسارع الى بيعتنا واعتصم بحبل دعوتنا فأجمعوا على متابعتنا واعطائنا صفقة أيمانكم على مشايعتنا، ليجمع الله على التأليف كلمتكم ويحمي بالتوازر[19] بيضتكم ويتبع هذا من وعد أهل الطاعة بما يُرهف حدودهم ومن وعيد أهل المعصية بما (٣٧٠) يُصَغّر خدودهم على نسق ما ذُكر في الترتيب الاول.

الكتب في الهُدَن

هذا الفن من المكاتبات له من الدولة موضع خطير ومن المملكة موقع أثير، ويتعين على الكاتب أنْ يُخلي له فكره ويعمل فيه نظره، ويتوفّر عليه توفّر يُحكم مبانيه ويُهذّب معانيه، وأنْ يتحيّط من سقط يُدخل على الشريعة تقصيراً أو يجرّ الى السلطان وهيصة، وأنْ يأتي بما يدلّ على عُلُوّ الكلمة وعزّ الأمة وانبساط القدرة وحضور النصرة، واستجمام العِدّة واستكمال العُدّة، وظهور الأيد ووفور الجند، وقصور الملوك عن المطاولة وعجزهم عن المصاولة، ليعود ذلك بالرفع من أهل الدين والوضع من المخالفين.

والرسم فيها أنْ يفتتح بحمد الله تعالى على الهداية الى دين الإسلام الذي أذلّ به كلّ دين وأعزّه وخذل كلّ شرع ونصره وأغمض كلّ مذهب وأظهره، والتوغل في توحيده وتقديسه وتمجيده والثناء عليه بآلائه والصلاة على خيرة أنبيائه محمد، صلّى الله عليه وعلى آله.

ثمّ يذكر رغبة الخلفاء الراشدين، عليهم السلام أجمعين، في السلم الذي حضّ الله تعالى عليه وأمر بالجنوح متى جنح المخالفون إليه، فقال جلّ قائلاً: «وإنْ جنحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها»[٢٠]. وأنّهم لولا ذلك لشرعوا الأسنّة الى مخالفيهم في الدين ونصوا الجياد إلى جهاد من يليهم من الملحدين، ائتماراً لقول الله تعالى: «يأأيها الذين آمنوا قاتلوا (٣٧١) الذين يلونكم من الكُفّار يجدوا فيكم غلظةً واعلموا أنّ الله مع المتّقين»[٢١]. ويأتي في هذا المعنى بما يستوفيه ويكفي فيه، مما يرهب أهل الخلاف ويقودهم الى الرابقة بجرائم الاعتراف. ثمّ يقدّم مقدمة تكون بساطاً لذكر السبب الذي أوجب عقد الهُدنة ودعا الى قبول المُوادعة. ثم يشفع الشروط التي[٢٢] انعقدت المسالمة عليها مستظهراً فيها للدين على المعاهدين وليتحرّز من خَلَل يتطرق به الى نقص شيْ مما شرط او استعمال لفظ مُشترك أومعنى مُلتبس يوقع شبهة يوحد السبيل الى التأوّل وليأخذ المأخذ الواضح الذي لاتتوجّه عليه مُعارضة ولاتتطرق إليه[٢٣] مُناقصة، وليؤكد القول فيما تقرّر علي من مفاداة أو تسليم حصون أو حمل مال أو حفظ سفر أو إقامة أو أمداد بجيش أو دخول في طاعة أو مجانبة عدو أو محاربته وترك مواطأته أو كفّ رجاله وغيرهم ممن يدخل في طاعته ويحالف عليه من أهل مملكته عن ثغور الاسلام، الى غير هذا.

وليبن الكلام على مالا مدخل للإعلال فيه، ويؤكد الشرط في حفظ تجار المسلمين ورعاية المسافرين والمحتارين وتوجههم بالإعزاز والكرامة والتمييز وصونهم برّاً وبحراً وسهلاً ووعراً ولايبق فرجة حتى يسدّها ولا صدعاً حتى يرأبه. ثم يقتصر شروط التهادن فصلاً فصلاً. والبليغ المطبوع يكتفي بقريحته في ترتيب هذه المعاني إذا دفع الى الإنشاء فيها إنْ شاء الله تعالى.

وقد يتعاقد عظماء أهل الإسلام على التوادع والتسالم واعتقاد المودّة والتصافي (٣٧٢) والتوازر والتعاون والتعاضد، ويشترط الأضعف منهم للأقوى تسليم بعض مافي يده أو القيام عنه بمقاطعه أو الانقياد الى التباعة والطاعة او الإكرام في المخاطبة والمجاملة في المعاملة أو الإمداد بجيش إنْ هجم عدوّ او امتثال الأوامر والنواهي، وغير هذا مما [لا][٢٤] يُحصى.

والكاتب إذا استقرى المعاني التي يقع الاصطلاح عليها وكان ذا طبع قويم وخاطر سليم تهيّأ له الاحتياط فيها بما يحتاط به في مثلها.

وقد جرت العادة بأن يتقاسم المتهادنان بأيمان على ما تهادنا عليه تودع كتاب المواصفة.

وقد رسمنا لليمين رسماً يحتذي الكاتب عليه متى احتاج الى استعمال مثله، وهو يقول: فلان بن فلان والله الطالب الغالب لُمدرك المُهلك، الضار النافع، المطّلع على السرائر والخفايا، العالم بما تجنّه الضمائر والطوايا، الذي لاتخفى عليه خافية الأعين بماتخفي الصدور، القائم على كلّ نفس بما كسبت والمجازي لها بما احتقبت، وحقّ محمد، صلّى الله عليه وسلّم، وحقّ القرآن لعظيم المنزل على قلبه الذي «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه»[٢٥]، أنّه يفي بما تضمنه هذا العقد ولا يخالف شيئاً من حكامه وحدوده ولاينقض عهداً ولا عقداً ولا شرطاً من عهوده وشروطه وعقوده، ولا يعمل بما يخالفه وينافيه، ولا يتأوّل وجهاً من

وجوه التأويل فيه وعليه بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه على ملائكته ورسله وأنبيائه، فإنْ خالفه أو خالف شيئاً منه أو تحيّل في نكثه أو توصّل الى نقضه أو أدهنَ (٣٧٣) أو أدغل أو تمحّل أو تعمّل فحنث أيمان البيعة لازم له بحلالها وحرامها وعتاقها وطلاقها وحجّها وصدقتها وجميع حدودها وموجباتها، وبرئ من الله، عزّ وجلّ، وملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين، ومن محمد، صلّى الله عليه وسلّم، ومن الأئمة من آله الطاهرين، ولقيَ الله تعالى جاحداً له، مشركاً به، مدّعياً له البنات والبنين، قائلاً فيه مايقوله عُبّاد الأوثان وحملة الصُّلبان، شريكاً لقتلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده الحسين عليهما السلام، موالياً لأعدائهم، معادياً لأوليائهم، راضياً بكلّ دم سفكه أئمة الضلال في الإسلام، وعليه الحجّ الى بيت الله الحرام ثلاثين سنة حافياً حاسراً راجلاً لايأجره الله على ذلك، وكلّ ماتملّكه من تالد وطريف صدقة محرّمة خارجه عن يده، وكلّ زوج له طالق ثلاثاً بتاتاً طلاق الحرج والسنّة وعلى سائر المذاهب التي يصحّ بها الطلاق، وكلّ عبدٍ له وأمَة أحرار لوجه الله تعالى لاسبيل له عليهم، وكلّ فرس في رباطه حبيس في سبيل الله، وهو برئ من دين الإسلام كلّه على اختلاف مذاهبه، مفارق لعصمته، خارج عن دائرته، ومن كلّ دين يدين به المتدينون واعتقاد يعتقده المعتقدون. وهذه اليمين يمينه كلّما حاول الخروج منها عاد فيها ورجعت يميناً غموساً مؤكدة مطوّقة في عنقه حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة، وهو مأخوذ بها مُطالب، والنيّة في جميع ذلك نيّة المستحلف، فإن نقض شيئاً من هذه اليمين فقد أباح ماله ودمه ونقض عصمته وذمّته، وليس له بعد ذلك لاعَهْدٌ ولاعَقْدٌ (٣٧٤)، وسائر رجال الدولة في حل وسعة من ماله ودمه وولايته وامارته ومن كلّ ما يعاملونه به من معاقبة ومحاربة. وحلف بهذه اليمين طالباً راغباً في صحة عقله وجواز أمره، طائعاً غير مُكره ولا مجبر ولامُضطهد، وذلك في يوم كذا.

فإنْ كان الحالفُ خليفةً قال: يقول فلان بن فلان أمير المؤمنين في أصالة من رأيه ونفاذ من حزمه، سالكاً سبيل الرضى والاختيار غير تابع لحكم من أحكام الكراهية والاضطرار. ويستوفي معاني اليمين على الإجمال ترقيراً له، وإذا وصل الى. . . قال: وعليّ أيمان أهل البيعة، ولم يفصّلها إلاّ أنه يقول: فإنْ نقضتُ ذلك فقد خلعتُ نفسي من الخلافة، ونقضتُ بيعتي التي في أعناق الكافّة، وأبرأتهم منها في الدنيا والآخرة، وبرئتُ من ولادة فلان بن فلان.

الكتب الى مَنْ نقض العهدَ

فإنْ نقض معاهد عهده ونفض من شروط الهدنة يده، فالرسم أنْ يصدّر مايُكاتَبُ به بحمد الله تعالى على موهبته في إظهار الدين وإعزاز المسلمين، وما تكفّله من النصر على الباغين ووعد به أهل العدل من الإدالة والتمكين، والصلاة على سيّدنا محمد النبيّ، صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين، وإيراد طرف من معجزاته وفضائله وآياته ومناقبه التي تنخرط في هذا النظام وتليق بهذا النمط من الكلام، (٣٧٥) ثمّ يتبع ذلك بمقدمة تدلّ على مقامة البصائر في الدين ووثاقة العقائد في إذالة المُحادّين ومضاء العزائم في مجاهدة[٣٦] المعتدين والاستطالة على المعاندين مع ماتضمّنه الله تعالى من نصره وإظفاره ووعدَ به من تأييده وإقداره، وسهّله من أهواء الأهوية إليه وجمع الكلمة عليه، بما خوّله من بأس وعديد وعدّة، ومايليق بهذا ممّا يُعرب به عن علو السلطان ووفور الأعوان، واتساع القوّة والأيْد وصدق التشمير والجدّ. ثمّ يذكر الحال التي انعقدت الهدنة عليها وأنّ الإجابة لم تكن وقعت إليها قصوراً عن غزوهم في عقر دارهم وتشريدهم بالغارات المشبوبة برّاً وبحراً عن قرارهم، وإنّما كانت قبولاً لمساءلتهم وامتثالاً لأمر الله تعالى في مسالمتهم، ويُؤخذ في تعديد الوقائع التي أوقعها أهل الاسلام بهم، والمشاهد التي نصر الله تعالى فيها عليهم والمعاقل المنتزعة من أيديهم، وأنّ تلك العزائم مضطرمة متوقّدة وتلك السيوف محدّدة مهنّدة، وأنّ الله تعالى قد أباح حُرَم مَنْ نقض عهده ونفض من الذّمام يده، وأنّ كتائب الله مرجفة وراء هذا الكتاب، في جيش يلحق الحَزْنَ بالهضاب مالم يكن منهم مبادرة الى الإقلاع والإنابة ومكاتبة في الصّفح والاستنابة، وأنّه قد قدّم الأعذار وبدأ قبل الإقدام بالإنذار، وماتقتضيه الحال من هذا ونحوه.

فإنْ كان الكتاب جواباً عن كتاب ورد أُجيب بما يقتضيه، وبُنِيَ الأمر فيه على مايبسط الهيبة، ويدعو الى النزول على أحكام الطاعة.

وقد قلنا: إنّ الأمور الحادثة والأسباب العارضة لاتتناهى فيحيط بها مِثالٌ. وينبغي أنْ يحتاط (٣٧٦) الكاتب فيما يطلق به

قلمه من هذه المعاني الخطيرة، لأنّها مزاحمة بالدول والملك، وحججٌ [تحصل][٣٧] من كلّ دولة عند الأخرى، ودَرْكُ مايقع فيها عائدٌ عليه ومنسوبٌ إليه.

الكتب إلى مَنْ خلع الطاعة

هذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المُكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة، وجمع أوضاعها كلّها في قانون كُلّ عَسِير المرام، إلاّ أنّنا نرسم فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والنقص منها. والعادة أنْ تنفّذ هذه الكتب الى مَنْ تُرجى إنابته وتؤمل مراجعته. فأمّا مَنْ وقع الإياس من استصلاحه ودعت الضرورة الى كفاحه، فلاحاجة الى معاتبته ولا وجه لمكاتبته مع تصامُمِهِ عن الوعظ ومصارمته.

والرسم فيها أنْ يفتتح بعد التحميد المناسب لغرض الكتاب والصلاة على النبيّ، صلّى الله عليه وعلى آله بما يدعو الى إيناسه ويزيل أسباب استيحاشه ويعود بثبات جأشه، ويبعثه على مراجعة فكره ومعاودة النظر في أمره، وتذكيره بما أُسدِيَ من العوارف إليه وأُفيض من النّعم عليه، وألاّ ينفّر سِرْبه بجحدها وكفرها ويوحش ربيبها بإهمال حمدها وشكرها، ويرتبطها بحسن الطاعة ويستوهبها بالتأدب في التباعة، ولا يجرّ [الوبال][٣٨] على نفسه بالخروج عن العصمة، في عاجل الحال ذميم الوصمة، وفي آجلها ليم النقمة. وينظر لعاقبته ومَنْ يليه من ذوي الحميّة بما يقتضي ربّ الإنعام لديهم وإقرار الفضل عليهم، (٣٧٧) ولايسلبهم لُبس الظلّ الظليل ويعطّلهم من حُلِي الرأي الجميل، ويتدرّع في أثناء ذلك بشعار النفاق ويتسم بميسم الشقاق، ويتعجّل إزعاجه من داره ويُبْعِدَه من قراره، وهدم ماشيّده الإخلاص من ذكره وتقويض مارفعه الاختصاص من قدره، ويعود بعد أنْ كان مجاهداً من الحوزة مجاهراً لجُندها وبعد أنْ كان مرامياً عن السُّدّة مرمياً بيدها، ويضيع ماأُدلّ اليه وأُفيض من الاحسان إليه، وماذهب من لزمن في ترجيه الى مراقي السيادة ومن الرغائب في إلحاقه بأهل السعادة، ولا يغترّ بمَنْ يُزيّن له عاجلاً بمنح الآجل ويتقرّب إليه خُدَع الباطل، وينبذ أقوالهم دبر سمعه ويبعد أشخاصهم[٢٩] عن نظره، ناظراً في عاقبته وحارساً لمهجته، وراغباً في حَقْنِ دَمِهِ صيانة حُرَمِهِ، وليرجع الى الفناء الذي لم يزل يُحرِزُه والكنف الذي لم يزل يعزّه، ولايجعل مُسالمه بالعنود مُنازِعاً ومُواصله بالجحود قاطِعاً، وواهبه بالكفر سالِباً ومطلع النعمة بإيضاعه حقّها مَغْرِباً، وقد بقِيَ في الحبل ممسك وفي الأمر مستدرك لأنْ يهبّ من رقدته يستبدل من لقاء راية أمير المؤمنين بلقاء حضرته، ثمّ يقول: فإنْ كان ماجناه قد نفّر سربه وكدّر شربه، وحسّن في نفسه سوء الظنّ أخافه بعد الأمن فليرسل[٣٠] بمَنْ يستوثق له ويعاقد ويتوكّد ويعاهد فإذا عاد بما[٣١] يملأ فؤاده أمناً ويكون عليه حصناً، سارع الى متثال المراسم وجرى في الطاعة على سَنَنه المتقادم، ولا يستمرّ على المدافعة (٣٧٨) والمطاولة ويقتصر على المغالطة والمماطلة.

ويُقال بعد هذا: وقد قدّم أمير المؤمنين كتابه هذا إليك حاجباً لكتائبه وجرّد في استصلاحك قلمه قبل تجريد قوابضه، وخيوله بأذب الأعنّة وذوابله مشرعة الأسِنّة، ولم يبق ألاّ قصدك في عقر دارك التي بوّأكها وانتزاع نعمته التي منحكها، فاستنشقْ سموم المعصية وقسه على نسيم الطاعة، وتذوّق مرارة المخالفة وزِنْها بحلاوة الموافقة، وكُنْ على نفسك لنفسك حاكِماً ولاتكُنْ لها ظلماً، نحو هذا ومايليق به.

وإنْ كانت المكاتبةُ الى رجل قد سبقت له سابقة في خلع الطاعة ثمّ سأل الإقالة فأُقيل بعد مشارفته الإحاطة به والنكاية فيه ثمّ رجع العصيان، فالرسم فيها أنْ يُفتتح بحمد الله جاعل العاقبة للمتقين والعدوان على الظالمين، والعزّة لحزبه وأوليائه والمذلّة لحربه وعدائه والاظهار لأهل طاعته والخسار لأهل معصيته ودائرة السوء على المناوئين لخلفائه في بريّته، ثمّ يُقال: يحمده أمير المؤمنين على لايزال يتخوّله به من تصديق آماله وتوفيق أفعاله، وتسديد مراميَه وهداية مساعيه، وإجابة دعوته[٣٢] وتحقيق رغبته، وادالة مُواليه إذالة مُعاديه، ومعونته على ماتولاّه وتمكينه ممن ناواه، ويسأله[٣٣] الصلاة على سيّدنا محمد نبيّه، صلّى عليه وعلى آله وسلّم.

ثمّ يؤتى بمقدمة تدلّ على حميد عاقبة الطاعة وذميم مغبّة المعصية، يبسط القول عليها ويتوسّع فيها لتكون فراشاً لما يتلوها.

٣٧) ثمّ يُقال بعدها: وإنّما عمد لذلك أهل الغرارة الذين لم يلوكوا شكائم التجارب ولم يمارسوا صرائم النوائب، وأنتَ فقد

تذوّقت من كراهة المعصية ومرارتها وعذوبة الطاعة وحلاوتها، مايرجو أمير المؤمنين أنْ يكون وَعَظَك وأدّبك وقوّمك وهذّبك وكشف لك عن عاقبتها، فدعتك الطاعة إليها لما أسبغته عليك من لباس شرفها ومجدها واستخدمته لك من أنصار إقبالها وسعدها ونهتك المعصية عنها بما بلوته من سوء آثارها وصناعتها وجرّبته من مربض مراميها ومواقعها، لأنّها أقلّت عددك وشتّتت شملك وولدك ومزّقت مُطرفك ومُتلدك، حتى تدارك من عطف أمير المؤمنين ماأنبتك بعد الحصد وراشك بعد الحصّ، وانتهى الى أمير المؤمنين أنّك حننتَ الى أتباع الضلالة الذين غرّوك ومِلتَ الى أشياع الفتنة الذين استهووك، فأدنيتهم إليك وقرّبتهم منك، وأصغيت الى أقوالهم التي ظاهرها نُصح وباطنها غِشّ، وآرائهم التي مواردها صلاح ومصادرها فساد، ومِلتَ الى ماحسّنوه لك من معاودة الشقاق والارتكاس في غيابة العصيان ومقابلة النُعمى بالكفران، فقدِمَ كتابُنا اليك مذكّراً ولنُصْحِك بخطابه مُعْذِراً مُنذِراً لِيُعَرِّفك حظّك ويهديك رشدك ويحضّك على الاحسن بك في مبدئك وعاقبتك، ويحذّرك من مراجعة مافارقته واستئناف ماقارفته وأن تنزل عن المنزلة التي رقّاك إليها (٣٨٠) وتجدب رباعك من النعمة التي [أرتعك][٣١] فيها، وتتخلّ[٣٠] عن شرائع الدّعة التي أوردك عليها، فانظر لنفسك حسباً وكُن إليها محتسباً، وانتفع بمراشد أمير المؤمنين ولاتخسر بخلافك عن أمره نصيبك من الدنيا والدين، وارجع إليه مسترحماً فإنه يقتدي بالله في الرحمة للمحسنين[٣٦]، مادام مؤثراً لربِّ النعمة لديك واقرارها عليك، فاعلم هذا واعمل به إنْ شاء الله.

فإنْ نفذت المكاتبة في هذا وأمثاله من الوزير فالرسم فيها أنْ يُقال: موضعك، أعزّك الله، من عنايتي وموقعك من رعايتي، وماكفلته عنك لأمير المؤمنين وضمنته والتزمته واشترطته تقتضيني المحافظة عليك وربّ الصنيعة لديك. وكلّما حسّنتُ أثرَكَ وجمّلتُ خبرَكَ ورددتُ مايُنسبُ إليكَ ودفعت في صدر حاسديك، قعدت عن نصيرتي وتثاقلت عن معونتي، مُخطئاً لرشدك ومغفلاً من ثمرة جنا يتك مُرّاً وزللت فسلكت من عقبي ذلك وعراً، وقد كان ينبغي لك أن تتحفظ من تلك المزلقة فلاتتهوّر فيها وتستيقظ لموقع قدميك فلا تتوهّر[٣٧] اليها، وأنْ تتذكّر مرارة السالف فتعافه في الأنف وتأنف من مذلّة التالد فتتوقّاها في الطارف، وأنْ تعتصم بمسكه من هزّةٍ وأريحيةٍ إذا تعرّيت من دين وتقيّة، فتفي مرّةً بعهدك وتحافظ على عقدك. وقد كنتُ وعظتك في تلك الكرّة وأيقضتك قبل توغّلك في السكرة، ونصحتك وطرف الحبل في يدك وبصّرتك (٣٨١) طريق رشدك، فأبيتَ إلاّ تعامياً وتصاممت ادعاءً للمعرفة وتعاطياً، حتى دارت عليك الدوائر وخانتك العواقب والمصائر، وشارف حبلك التصرّم وركنك التهدّم، وأوقفك احترازك عن سماع الإنذار أقبح مواقف الإعتذار، فلولا عاطفة من مولانا أمير المؤمنين أدركتك بوسائل قدّمتها وضمانات تكفّلتها لنزل بساحتك المحذور والتوت عليك الأمور، وهاأنا اليوم خجل منك مشفق عليك، وكأنّي بك وقد رددت التوبة بعد هروجها جدعة وعاودت السقطة والوقعة، وأذنت لما أعرته من النعمة بالعود الى ربّه والنزول على مَنْ يسترهنه ويوجد السبيل الى ربّه، وقد كان الأحزم أنْ تسدّ الثغرة التي ولج منها إليك وتحطّ المرقاة التي تسوّربها الحدثان عليك، وانت اليوم على حال يمكن تلافيها واستدراك غلطك فيها، فراجع التأمّل ولاتستمر في غلوائك ولاتمل مع أهوائك، فليس لِمَنْ تاب ونكث وأوقد نار العصيان وأرّث إلاّ الاجتثاث والاستئصال وحطّ الرتبة وتحويل الحال.

وقد غالطت عنك ماأمكن وحسّنت أمرك ماتحسّن، الى أنْ أتى الى امير المؤمنين الماُمك ببعض ماكتب عليه فأكبره وأعظمه وانكره، وأمر بالكتاب إليك مُودَعاً من مراشده مايبصّرك ويُسدّدك، فقف عليه واعرف الأصلح لك والأعود عليك، ولاتُخيِّر متجري فيك وأجبْ أمير المؤمنين بما يُبطل مانُسب اليك، وأسمعه بشواهد من فعلك تصدّمه ودلائل (٣٨٢) تحقّقه واكتب إلي بما أعمل عليه إن شاء الله.

فإنْ كانت المكاتبة الى رعية قد خرجت عن الطاعة كتب اليها عن أمير المؤمنين بما مثاله: أمّا بعدُ وفقكم الله لطاعته وعصمكم من معصيته. فإنّ الشيطان [يُدلي الإنسان][٣٨] بغروره ويجلو الشبه في معارض البيّنات بزوره، مستخفّاً لطائشي الألباب مستزِلاً للأقدام عن موقف الصواب مُحسّناً بكيده لاعتقاد الأباطيل مُزيّناً بغيَّة اتباع الأضاليل صارفاً بمكره عن سواء السبيل، مصوّراً للحق في صورة المَيْنِ مُغطّياً على القلوب برصد الرّين[٣٩]، والحازم اليقظ مَنْ تحرّز من أشراكه وحبائله وتحفّظ من مخايله وغوائله، واتّهم

هواجس فكره واستراب بوساوس صدره، وعرض مايعرض له على عقله وكرّر فيه صادق تأمّله، فإنْ ألفاه عادلاً عن الهوى مائلاً الى التّقوى، بريئاً من خُدع الشيطان آمناً من عوادي الافتتان، أمضاه واثقاً بسلامة مغبّته وشمول الأمن في أوّله وآخرته. وانتهى الى أمير المؤمنين أنّ الشيطان المَريد استخفَّ أحلام جماعة من جُهالكم فخفّت واستهفى أفهام عدّة من أراذلكم فهفّت، وحسّن لهم شقّ عصا الإسلام ومعصية الامام، ومفارقة الجماعة والانسلاخ من الطاعة، التي فرضها الله تعالى على الجمهور وجعلها نظام الأمور، فقال جلّ قائلاً: «ياأيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُلي الأمرِ منكم»[٠]، واختيار الفُرقة التي نهى الله تعالى [عنها][١] فقال: «لاتكونوا كالذين (٣٨٣) تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البيّناتُ»[٢] ومجانبة الأُلفة التي عدّها في جلائل نِعَمِهِ، فقال ممتنّاً بها على عباده: «واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا»[٣]، وسوّل لهم التعرّي من آداب الدين والمجاهرة بالخلاف على أمير المؤمنين، فنبذوا مابأيديهم من بيعته وسُلبوا من ظلّ دعوته، وركبوا من ذلك أوعر المراكب وشربوا أجنّ المشارب، وسعوا في البلاد بالفساد [وقاموا في وجه الحقّ بالعناد][٤]، واستخفّوا بحمل الآثام وبسطوا أيديهم الى الدماء الحرام وشنّ الغارات على أهل الإسلام.

وقد علمتم أنّ مَنْ أقدمَ على تأثير هذه الآثار فقد استنزل في هذه الدار لسخط الجبّار وتبوّأ في الآخرة مقعده من النار، وجرى على غير الواجب في إقامة الفروض والصلوات وتأدية العبادات والزكوات وعقد العقود والمناكحات، لأنّ هذه الأحوال إنّما تُرتضى وتُرفع وتُجاب وتُسمع، إذا تولاّ ها أمير المؤمنين أو مَنْ يستخلفه من صُلحاء المسلمين، فأما إذا استبددتم فيها بأنفسكم واقتديتم في تأديتها بناكث عن سبيله مجانب لدليله فقد تسكّعتم[٥] في الضلالة وتطابقتم على الجهالة، وكلّ راضٍ منكم بذلك عاصٍ لله ولرسوله وللإمام.

ولمّا اطلع أمير المؤمنين على ماذهبتم اليه بسوء الاختيار وركبتموه من مراكب الاغترار لم يَرَ أنْ يُلغيكم ويهجركم ويغفلكم ولاينصركم، فقدّم مُكاتبتكم مُعذراً مُنذراً ومُخوّفاً مُحذّراً، ويداكم بوعظه مشفقاً عليكم من زلة القدم (٣٨٤) وموقف الندم، وصارفاً لكم عن مضال الغواية الى مراشد الهداية وافتتحكم باللفظ الأحسن والقول الألين، وهداكم الى السبيل الأوضح والمتجر الأربح، راجياً أنْ يهديكم الله تعالى الى طريق الرشاد ويدلّكم على مقاصد السداد، ويعيدكم الى الأولى ويقفكم على الطريقة المثلى، وأنْ تعرفوا الحقّ فتعتصموا بما في أيديكم من بيعته وتقوموا بما فُرض عليكم من طاعته، وترجعوا الى إجماع المسلمين وماأتّفقت عليه كلمة إخوانكم في الدين، وتتبعوا مذاهب أهل السلامة وأولي الاستقامة، فإنْ وقع ماألقاه اليكم الموقع الذي قدّره فيكم وسألتم الإقالة، فالتوبة تنفعكم والعفو يسعكم، وأنْ تماديتم في غيّكم وباطلكم وغروركم وجهلكم نفذت إليكم جيوش أمير المؤمنين مقوّمَة ومن عصاتكم منتقمة، وذلك مقام لايتميز فيه البرئ من السقيم ولاالجاهل من العليم، ألاّ تسمعون[٦] الله تعالى: «واتّقوا فتنةً لاتصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً»[٧] وأيّ فتنةٍ أشدّ من طاعة الشيطان ومعصية السلطان وشقّ العصا وإراقة الدماء وإثارة الدهماء، فاتّقوا الله وارجعوا وتأملوا وراجعوا وتبصّروا واستبصروا فقد أوضح لكم أمير المؤمنين المحجّة وبدأكم بالحُجّة فأوجدوه السبيل الى مايؤثره لكم ولكافة أهل الإسلام من حقن الدماء وصيانة الحريم وتحصين الأموال وشمول الأمن والأمان، وأجيبوا عن كتابه هذا بما يوفقكم الله تعالى له من إجابة دعائه (٣٨٥) والعمل برأيه إنْ شاء الله.

فإنْ كانت المكاتبة الى رجل قد عُفي له عن بلاد بيده وفُرضت عليه مقاطعة يحملها الى بيت المال في كلّ سنة فأخلّ بحملها وأطمعته نفسه فيها، نفذت المكاتبة إليه من الوزير بما مثاله: قد علمت، أيّدك الله، أنني لاأغني في ربّ نعمة أمير المؤمنين أربك وإقرارها عليك عن معونة منجهتك، بما تبذله من خدمته وتستدعي به الزيادة من عارفته، وقد أخللت بحمل مال المفاوضة المستقر عليك اخلال من يظن إنّ مابيده ميراث حازه عن أبيه وجدّه، إنْ نُزع منه عومِل بالظلم والإجحاف وإنْ أُقرّ له به اعتدّ بالعدل والإنصاف، ودعاك إمهال السلطان لك الى الطمع في ماله، وقد يضرب صاحب الحقّ عن اقتضاء حقّه ثم يقتضيه ويغفل مايجب له ثمّ يستدعيه، فلا يغترّ اللبيب بنظرته وينام عن عاقبته، بل يعدّ مايلزمه الى حين استدائه، هذا إذا لم يتبرّع بادئه، وقد ذهب بك المهل الى تظليم من اقتضى حقّه وتجوير من استدعى دينه، ودعتك كزازة همّتك وبخلك بيسير من كثير ماجمعته وحقيرٍ من خطير ماحويته، الى تشتيت شمله كلّه والانسلاخ من ظلّه، والتعرّض لزوال النعمة وحلول النقمة، وشماتة الأعداء وكآبة الأولياء،

وابتزاز ماهو أصل للمال، والتشرّد عن الوطن والتصدّي للمحن، ولباس الذلّة بعد العزّةوالضعة بعد الرفعة، فراجع الامر بصحيح لبك وارجع عن ذميم مذهبك، وانو الصحة واعتقدها وانو النعمة بالوفاء وخلدها، (٣٨٦) واخرج قليلاً تحفظ كثيراً، واحمل ماقي جهتك ولاتفرط في مغبتك، ولاتغتر بمن يزين لك عاجلاً قبيح الأجل ويتقرب إليك بالباطل، وقد أعذرت وأنذرت وأعلمتك ماعندي قبل خروج الأمر من يدي، وإذا قاربت فلن أتباعد وإذا يسرت فلن أتعسر إن شاء الله.

فإنْ كانت المكاتبة الى رجل قد أقدم على نهب أو شنّ غارة أو غصب مال او تغيير دعوة أو سكّة أو لقاء جيش أو حشد رجال أو غير ذلك مما يخرج عن أحكام الطاعة، ضمنت مكاتبته من القريع المؤلم والوعيد المزعج والخطاب الموجع مايعود بكفّه عن فعله، وتخييره في أمره وشغله بنفسه.

وأكثر هذه الكتب تصدر عن الوزير، وليست رسومها مما تحصر بقوانين جامعة. والذي مثلنا به كاف في تعرف أوضاعها واستنباط أمثالها بمشيئة الله تعالى وعونه.

الكتب بالتضييق على أهل الجرائم

لم يزل السلطان يكتب الى الولاة عندما ينتهي إليه من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم واستباحة المحارم واقتراف المآثم كالزنا واللّواط وشرب الخمر وقطع الطرق والغصب والتظالم ومايجري هذا المجرى بالتضييق وإقامة حدود الله فيهم.

والرسم فيها أنْ يفتتح بحمد الله البادئ بنعمته قبل افتراض طاعته المبتدئ[48] ببره قبل إيجاب شكره، خالق الخلائق جوداً وكرماً وموسعهم مناً ونعماً، الذي اختار دين الإسلام (٣٨٧) وطهره من الأرجاس ونزّهه عن الأدناس واختصّ به صفوته من الناس وابتعث به محمداً سيد المرسلين «لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين»[49]، يحمده أمير المؤمنين أنْ فوّض إليه إيالة[50] خلقه وأقدره على القيام بحقّه، ونصبه لإعزاز دينه والمحافظة على مفروضه ومسنونه، وذيادة العباد عن محارمه التي نهى عن التعدّي إليها وإقامة الحدود عليهم فيها، ويسأله[51] الصّلاة على محمد، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

ثم يقال: وانّ أمير المؤمنين يرى أنّ من أعظم نعم الله تعالى عليه توفيقه[52] لحفظ مااستحفظه من شريعته ورعاية من استرعاه من بريّته، وتوفير العناية على من قلّده النظر فيهم واعتماد ماعاد بالصّلاح والدنيا عليهم، وساوى به بين قريبهم وبعيدهم في تفقّده وعماثلته بين قاصيهم ودانيهم في تعهّده، فلاينال القريب نصيباً من رعايته وملاحظته إلاّنال مثله البعيد على عدواء داره ومحلّته، ولذلك لايزال ينبّه غافلهم ويعلّم جاهلهم ويهدي حائرهم ويحدّ بصائرهم ويروق مائدهم ويصلح فاسدهم، ويتخوّلهم من مواعظه بما يبرد الغلل، وينسخ الشكّ باليقين ويقتبس مقابس النور المبين. فمن أصغى الى إرشاده سعد جدّه ووري زنده وأحمد يومه وغده، ومن خالف عن أمره ضلّ مسعاه وخسر آخرته ودنياه، ودعا الى اتباع أمر الله تعالى في تقويمه وإصلاحه والكفّ بإقامة الحدود عليه من جماحه.

وانتهى الى أمير المؤمنين ماأقدم عليه (٣٨٨) الأحداث وأهل الغرارة قبلكم من احتقاب الآثام واستدمات مراكب الحرام، والاستهتار بمحظور اللذات والإكباب على دنيّ الشهوات، التي تسلخ من الدين وتخرج عن دائرة المسلمين، وتقطع عن تأدية العبادات وإقامة الصلوات، وتنظم في سلك البهائم المرسلة والسوائم المهملة، وتقصير مشايخهم وعلمائهم عن كفّهم والأخذ على أكفّهم، وتعريفهم وجوه مراشدهم وتقويم أودهم، فامتعض[53] من ذلك فأشفق عليكم من نزول القوارع والمثلات وحلول البليات والآيات، وارتجاع ماأودعكم الله تعالى من نعمته وانتزاع ماألبسكم من رحمته، وبادر بكتابه موقظاً لغافلكم ومبصراً لذاهلكم وباعثاً لكم على مراجعة الأولى ومعاودة الطريقة المثلى، ومبادرة آجالكم بأعمالكم والأخذ لأخرتكم من أولاكم[54] ولسقمكم من صحتكم ولنومكم من يقظتكم، عالمين بأنّ الدنيا لعب ولهو وأنّ الآخرة هي دار القرار وأنكم فيها كسفر شارفوا المنزل، وكأن قد حين لاعمل ولاأمل، ولاتوبة ولاإنابة، ولاعثرة ولامغفرة، وإذ لا ينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون. فاجتهدوا

عباد الله واحتشدوا وأقلعوا وارجعوا واسمعوا وعوا، فكأنكم والله بالدنيا وقد تقشّع[٥٥] يانعها وتوضّحت خدعُها وتصرّم متاعها وحلّ متوقَّعُها، فالسعيد مَنْ وثق بما قدّم لنفسه بعد نفاد أيامه وورود حمامه، والشقيّ [مَنْ][٥٦] (٣٨٩) أفرط وفرّط، ونَدِمَ حيث لامَنْدَمَ، وأوعز الى والي الحرب فلان بقراءة مانُصّ فيه عليكم، واختبار تميّزكم بعد مروره على أسماعكم، فمَنْ رغب في التقوى ورغب عن الهوى وآثر الآخرة على الدنيا، عرف ذلك له وتوخّاه بتكرمته وتخوّله، ومَنْ أبى إلاّ غواية وضلالاً وبطالة ومحالاً أقام حدّ الله تعالى عليه غير مراقب فيه، فرحم الله عبداً صانَ نفسه في هذه الدار عن العار وحماها في الآخرة من عذاب النار، وأمير المؤمنين يرجو أنْ ينفعكم الله بهداية وشفى صدوركم بموعظته ويرشدكم الى مايُفضي بكم[٥٧] الى الكفاية والحماية. فليعلم فلان بن فلان ذلك عن أمير المؤمنين ورسمه وليعمل بحُكمه، إن شاء الله.

الكتب في الاعتذار عن السلطان

من أخلاق العامة تقبيح سيرة السلطان إذا زلّ في بعض آرائه، والإزراء على تدبيره في جيش يجهزه فيُكسر، ونحو ذلك مما لا يُسْلَمُ من مثله، والإفاضة فيه والتشنيع به. وهو يحتاج الى مكاتبتهم بما يتلافى الوهن ويقيم العُذر، كما يكاتبهم بما [فيه][٥٨] تفخيم المنح وتعظيم الفتوحات والتحدث بموقع المواهب، وشكر الله على اسباغ النِّعم والإظفار بأعداء الدين والدولة، لتقوى بذلك مِنّتهم وترهف بصائرهم وتستخلص طاعتهم وتملأ صدورهم رهبةً، وليست لهذه الكتب رسوم تنتظم كلّ مايقع فيها لاختلاف مايُلام فيه. ونفيد في أصوله قولاً وجيزاً وهو: أنْ يقتضِبَ الكاتب له المعاذير التي تُحَسِّنُ أُحدوثته وتسترُ زَلّته، والحجج التي تعيد اللائم عاذراً (٣٩٠) والذامّ شاكراً، وقد تهبّ ريح النصر للقاسطين على المقسطين امتحاناً من الله وبلوى، «ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى»[٥٩]، إلاّ أنّ ذلك قليل من كثير ويسير من خطير، مما يسبغه على أوليائه من الإظهار ويقضي لهم في العلو والاقتدار، وليس ذلك، وإنْ أثر، بقادح في بصائر المخلصين ولا مسلّط للشكّ على اليقين، من غير أنْ يصرّح بباطل ولايحتج بماحل، ولايطلق كذباً محضاً، ولايختلق زوراً يعلم الناس خلافه، فتتضاعف الهجنة وتتكاثف المحنة، فإنّه لاشيْ أقبح على السلطان وأقدح في جلالة الشان من أنْ يُعثَرَ في[٦٠] كتبه على إفك يقد تعمّده في دفع الإخبار عنه، وإنما ينبغي أنْ يعتمد في ذلك حسن التخلص والتورية عن الغرض واستعمال الألفاظ التي تدل على أطراف الحال ولاتفصح بحقائقها.

الكتب في الفتوحات

المكاتبة في الفتوحات والظفر بأعداء الدولة والملّة واسترجاع المعاقل من أيدي المخالفين من أعظم المكاتبات خطراً وأجلها قدراً لاشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله الذي وعد به أهل طاعته في إظهار دينهم على كلّ دين وتوفير حظّهم من التأييد والتمكين، ومايمرّ فيها من الأساليب المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها.

والكاتب يحتاج الى تصريف فكرته فيها وتهذيب معانيها، لأنها تُتلَى (٣٩١) من فوق[٦١] المنابر على أسماع السامعين وتجعل نصب عقول المصلحين.

والرسم فيها أنْ يفتتح بحمد الله العفوّ الحليم، الغفور الرحيم، العليم الحكيم[٦٢]، العزيز العظيم، ذي البرهان المبين والفضل الجسيم والقوّة المتين والعقاب الأليم، مبيد القاسطين ومؤيد العادلين وجاعل العقبة للمتقين، المُملي إمهالاً وإنذاراً والمعاقب تنبيهاً واذكاراً، الذي لايُنجي منه مهرب ولايبعد عليه مطلب، وكيف يعتصم منه وهو أقرب من حبل الوريد وله على كلّ لافظ رقيب وعتيد والصلاة على رسوله الأمين الذي ختم به النبيين وفضّله على المرسلين وأيّده بأوليائه الميامين، الذين قاموا في نُصرته وإعزاز رايته، المقامَ الذي فازوا فيه بالخصل واستولوا به على قصبات الفضل، فشكرهم معه في الوصف والثناء، فقال جلّ قائلاً: «محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماء بينهم»[٦٣].

ثم يُؤتى بمقدمة تشتمل على التحدّث بنعمة الله في شحذ العزائم لنُصرته وتثبيت الأقدام في لقاء عدوه ومجاهدته، وإنجاز وعده في الإعزاز والإظهار والنصر والإظفار والاستبشار بموقع النعمة في الفتح الجميل والإشادة بثنائه الجليل، ثمّ يفيض ماجرت عليه الحال في مقاربة العدو ومداناته وبثّ الطلائع وتنفيذ السرايا في مبادئ ملاقاته، ومايُفضي إليه الأمر من التقابل في المواكبة والتواشج في المطاعنة والمضاربة، وذكر مواقف الشجعان في الكفاح والمجاهدة والذبّ والمُجالدة، وثبوت الأقدام ونفاذ البصائر والجود بالنفوس واشتداد الأيدي وقوّة الشكائم (٣٩٢) واستحصاف[٦١] العزائم، وتفخيم أمر العدو ووصفه بكثرة الرجال والأجناد والقوة والاستعداد لأنّ موقع الظفر بمن هذه صفته أعظم خطراً ممن قلّت عِدّته وعُدّته، وماجال بين الفريقين من قراع ومصارع ودمر ودفاع ومصاولة ومناضلة ومسابقة ومكافحة وحماية ومنافحة وثبات ومصافقة ومقاومة ومواقفة[٦٢] ومخادعة ومطامعة، ونعت المواكب والكتائب والخيول والأسلحة والجرحى والمُجدّلين والأسرى والمقتّلين، واستعمال التشبيهات الرائعة والاستعارات الواقعة، وإرداف المعاني في الإبانة عن لموع أسنّة الذوابل وصدوع لحوم المناصل في القِمَم، ونعت الدماء المنبعثة من الجراح على متون الرماح والصفاح.

ويذكر ماأظهره الله تعالى من مخايل النصر ودلائل الظفر وماأجلت عنه الحرب من قتلِ مَنْ قُتِل وأسر مَنْ أُسِر وهزيمة من هُزِم، ومافاز به الرجال من الأسلاب والأموال والدواب والرحال ماجرت عليه الحال من انفلال العدو عند المقاتلة أو فراره عند المقابلة أو استئمان رجاله راغبين في الإقالة أو أسره إن أُسِر أو اعتصامه بمعقل لايحصّنه أو امتناعه بحيث يحتاج الى منازلته واستنزاله قَسْراً أو حيازة المعقل الذي كان بيده وما اعتمد فيه من حسن السيرة وتخفيف الوطأة عن الرعيّة وحسم أسباب الفتنة وإعادة الخطبة والسكّة الى العرف المعهود أو رغبته في المسالمة (٣٩٣) وسؤاله في المهادنة بخوفِ أظلّه وهلع احتلّه، وماتردّد من رسائل وتقرّر من شروط وعقود وإنفاذ الأمر في ذلك لما أوجبه الحزم واقتضاه صواب الرأي، أو تأخيره ليستأمر فيه ويستدعي من المراسم مايعمل عليه.

وإنْ كان السّلم قد وقع والتنازع قد ارتفع ذكر اقتناع الحرب وإقلاع الخطب، واجتماع الشمل واتصال الحبل، واختلاط الفريقين وامتزاج الحزبين، واتفاق الكلمة وشمول النعمة.

وإنْ كان المقدّم لم يجبه الى الموادعة حتى وضحت الحقيقة في صدق رغبته وخلوص نيّته حذراً من المكر والمخادعة، ذكر مامرّ في ذلك من رأي وتدبير وتسديد وتقرير.

وإنْ كان طلبَ المهادنةَ تداهناً ليجد فُسحة المَهَل فيُكَثِّر عددَه ويجم عُددَه وتحدّد شوكته وتتمّ حيلته فاطّلع على ذلك فبادره مُفَلّلاً لكيده ومكره مُذيقاً له وَبال أمره، شرحتِ الحال على نصّها وماانتهى إليه آخرها.

وقد يقع من هذه الأمور مالا يُحتسب، وسبيل جميعه هذه السبيل ويختم الكتاب بحمد الله القاضي لأوليائه بالإدالة ولأعدائه بالإذالة، الذي يستدرج المغترّ بحلمه إمهالاً ولا يلقى العادل عن حكمه إهمالاً، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وعلى آله.

وهذه الكتب تصدر عن أمير المؤمنين الى عماله ورعاياه، وعن وزيره أيضاً، وتصدّر اليهما ممن تولّى الفتح، ومعانيها واحدة وطرقها في العبارة مختلفة.

ومَنْ وقف على أحكام المكاتبات الصادرة عن التابع الى المتبوع ومن المتبوع الى التابع، التي استوفيناها فيما تقدّم لم يتعذّر عليه ترتيب هذه الكتب (٣٩٤) وتنزيلها منازلها.

الكتب في التوفقة[٦٦] بين السنين الهلالية والخراجية

السبب في انفراج مابين السنتين الشمسية والهلالية أنّ أيّام السنة الشمسية هي المدّة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها دفعة واحدة، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع بالتقريب، حسبما يُوجبه حساب حركتها. وأيام السنة الهلالية هي المدّة التي يقطع القمرُ الفلكَ فيها اثنتي عشرة دفعة، وهي ثلثمائة [و][٦٧] أربعة وخمسون يوماً وسُدُس بالتقريب فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً

وسُدُس[يوم][٢٨].

وإذا تمادى الزمان تفاوت مابين السنتين تفاوتاً يقبح، فيرى السلطان عند ذلك أنْ تُنقل السنة الشمسية الى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفقةً بينهما وإزالةً للشبهة في أمرهما. ومتى أوعز بذلك لم يقف على الفرض فيه لا الخاصة دون العامة واسرع الى ظنّ المُعامَلين وأرباب الخراج والأملاك أنّ ذلك عائد عليهم بظلم وحيف، والى ظنّ الجُند ومستحقي الأطماع أنّه منتقص لهم، وجوّروا السلطان وشنّعوا عليه، فرسم بلغاء الكُتّاب في هذا المعنى رسوماً تعود بتفيهم العَيّي وتبصير العميّ وتوصل المعنى المراد الى الكافة ايصالاً[٢٩] يتساوون في تصديقه وتيقّنه، ولاتتوجّه عليهم شبهة ولاشكّ فيه. وهو أنْ يفتتح هذه الكتب بعد التصدير والتحميد بأنّ أمير المؤمنين بما وفّقه الله تعالى له من النظر في مصالح المسلمين والأخذ (٣٩٥) بعزائم الدنيا والدين، لايجد ثغرة يتطرّق فيها خلل إلاّ سدّها ولامزلقة يتوجّه بها زلل إلاّ مهّدها ووطّدها، مجرّباً للسياسة على أحسن أوضاعها وغير مُخلّ بنوع من أنواعها، وإذ لاح له من سديد التدبير وشريف التقرير مايلمحه ذوو التمييز بوثاقة أصولهم ويعمى عنه أولو التقصير بسخافة محصولهم، لم يمضه حتى يوضح وجه الإصابة فيه لتطابُقِ الخاصة والعامة على اعتماده ويتساوون في العلم باستقامته وسداده ولاسيّما ماكان داخلاً في المعاملات المتعلقة بالرعايا الذين متى لم يثلج صدروهم في معاملاتهم برْدُ اليقين ويوصل الأغراض الى أوهامهم الإفصاح والتبيين، ساءت حدوسهم وتنكّرت نفوسهم، فإذا بلغ بهم الى الغاية جاهلهم وعالمهم وناقصهم وفاضلهم، أنفذ آراءه وأمضاها وقصد منها السبيل التي أرشده الله تعالى لها ونحاها، وأمير المؤمنين يسأل الله سبحانه تسديده في كلّ مايحلّ ويعقد ويصدر ويورد ويرسم ويحدّد، ونحو هذا مما يليق به.

ثمّ يُقال: وإنّ الله تعالى هدانا بتبصرته الى الوقوف على عجائب صنعته، وأقدرنا بالتمييز الذي خصّنا بفضيلته على التطرّق الى علم الغائبات عن حواسنا من دقائق حكمته، وأوجدنا السبيل بما منحنا من التحصيل والإدراك الى الإحاطة بحركات النجوم والأفلاك، والعلم بما يحدث بينها من ممازجة واتصال ومباينة وانتقال، وإضاءة وشروق ورعشة وخفوق، وليل ونهار، وزيادة ونقصان وشتاء ومصيف وربيع وخريف، (٣٩٦) وأنواء وأهواء ومايتبع ذلك.. فقال جلّ قائلاً: «هو الذي جعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدّرَهُ منازِلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ماخلقَ الله ذلكَ إلاّ بالحقّ»[٣٠]، وقال: «ألَمْ تَرَ أنّ الله يولجُ الليلَ في النهار ويولجُ النهار في الليل وسخّر الشمسَ والقمرَ كُلٌّ يجري الى أجَلٍ مُسَمّى»[٣١]، وقال: «والقمرَ قدّرناهُ منازلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديمِ. لاالشمسُ ينبغي لها أنْ تُدرِكَ القمرَ ولااللّيلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يسبحون»[٣٢]، ليدلّ جلّ اسمُهُ على تفصيل حالاتها وتغاير الأزمنة باختلاف حركاتها، ويذكر الغاية في اختلاف السنين الشمسية والهلالية التي ذكرناها أمام ذكر هذا الرسم، والاضطرار الى الجمع بينهما إذا افترقا ومادبّره كلّ أمة في الأيام الفاضلة عن أيام الشهور ومذاهبهم في ذلك واستمرارهم عليه الى أنْ أجبرت الشريعة الهادية الاحكام... على الشهور والسنين الهلالية، فاجتبيت فيها الصدقات والجوالي والمقاطعات وأُجر الرباع وسائر مايجري على المشاهرات، واجتبيت في السنين الشمسية أموال الخراج والمعاملات الديوانية، وأنّه لو أغفل إلحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة والى سنتنا هذه، وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمئة، أربعَ عشرةَ سنة بالتقريب، وقبح ذلك غاية القبح.

ثمّ يقال: وقد رأى أمير المؤمنين، والله يوفّق آراءه، نقلَ سنة كذا الخراجية الى السنةِ كذا الهلالية. فاعملْ بما تضمّنه كتابه هذا وتقدّم الى مَنْ قِبَلك من العمال بإجراء الأمر عليه في (٣٩٧) جماعاتهم وأعمالهم، وأنْ ينسبوا ماكان جارياً في السنة المتنقل عنها الى السنة المتنقل إليها، وأقرأ كتاب أمير المؤمنين على مَنْ قبلك من الأجناد والرعايا والمعاملين، ليعلموا أنّ هذا النقل لاينتقص ذا عطاء من عطائه، ولا يتحيّف معاملاً في معاملته. فاعلم هذا واعمل به إنْ شاء الله.

الكتب بالتنويه والتلقيب

الرسم في هذه الكتب أنْ يفتتح بحمد الله تعالى نعمه السابغة الضافية ومواهبه[٣٣] الرّاهنة الثاوية، وعوارفه التي جعلها جزاءً

للمحسنين وزيادة للشاكرين، ونحو هذا ممايليق أنْ يفتتح به هذا الغرض، والصلاة على سيّدنا محمد، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله.

ثمّ يُقال: وإنّ أمير المؤمنين بما خوّله الله تعالى من نِعمه ونوّله من قِسَمِه، وخصّه به من التمكين في أرضه والمعونة على القيام بفرضه، يرى الاقتداء به في إفاضة المنن على خلصائه وإسباغ النِعم على أوليائه واختصاصهم بالنصيب من حبائه، والارتقاء بهم الى المنازل الباذخة والرتب الشامخة، وأنّ أحقّ مَنْ وفر قسمه من مواهبه وعزّز سهمه من عطاياه ورغائبه مَنْ تميّز بما تميّزت به من إخلاص ومطاوعة وولاء ومشايعة، وصفاء عقيدة وسريرة وحسن مذهب وسيرة. ولذلك رأى[٩٦] أمير المؤمنين أنْ ينعتك بكذا لاشتقاق هذا النعت من سماتك واستنباطه إيّاه من صفاتك، وشرّفك من ملابسه بكذا وطوّقك بطوق أو بعقد، (٣٩٨) وقلّدك بسيف من سيوفه وعقد لك لواءً من ألويته، وحملك على كذا من خيل وكذا من مراكبه. ويُحسّن الوصف لكلّ نوع من هذه الأنواع واشتقاق ألفاظ من معانيه تُعربُ عن قدر الموهبة فيه. ثمّ يُقال: إبانة بذلك عن مكانك من حضرته وإثابة لك عن تشميرك في خدمته، فالبسْ تشريفه وتطوّق، وتقلّد ماقلّدك به، واركب حملانه، وابرز للخاصة والعامة في ملابس نعائه وارفل في حلل آلائه وزيّن موكبك بلوائه، وقُل: «ربِّ أوْزِعني أنْ أشكر نِعْمَتَكَ التي أنْعَمْتَ عليّ»[٩٧]، وأعني على مايسترهنها لديّ، وكاتب أمير المؤمنين متلقّياً متسمّياً، ومَنْ سواه متلقّباً متكنّياً.

فعلى هذا جرى الرسم في خطاب الخلفاء الراشدين، لأنّ اللقب موهبة من مواهب الإمام أمضاها وأجازها، فإذا مرّت عليه كانت كغيرها من نِعمه التي يلمحها على عبيده. والكنية تكرمه يستعملها الناس فيا بينهم وليس حكمها كحكم اللقب.

فأمّا ماتُنعت به الأنواع التي يشرّف بها السلطان أولياءه فليس ممّا ينحصر في قول جامع ليقين النعوت والأوصاف إلّا أنّ مثاله أنْ يقولَ: وشرّفك من ملابسه الحاظية بما تسحب به ذيل الاعتلاء على مناكب الجوزاء، وقلّدك من سيوفه بسيف مأثور كالجدول المسجور تخاله تقمّص بالهبا وترى على صفحتيه مدبّ نمال في ربا، زاهٍ بجوهريه الطبيعي الرصعي، مفتخر بملابسه مقلد[٩٩] بحبل النبيّ والوصيّ، وحَمَلكَ على جوادٍ مُطهّم كأنّما انتقلت بالرياح الأربع أربعُهُ وأصغى الى استراق السمع مسمعُه، فهو يذرع (٣٩٩) أدراج البيداء ويسابق نزول القضاء الى الأعداء، مسرج بمركب خاص من النضار الخالص، وطوّقك بطوق من التبر مرصّع بفاخر الدُّر، تحسبه الهلال أحرق نجوم الثريا، وعقد لك لواءً بيده يلوي إليك الأعناق ويشهد لهذا العقد بالإحكام والوثاق، ونحو هذا.

الكتب بالإحماد والإذمام

السلطان يحتاج الى مكاتبة مَنْ يقف منه على طاعة واجتهاد، ومناصحة وإخلاص، بالشكر والإحماد والبعث على الازدياد من المخالصة وحسن السعي في الخدمة وغيرهما ممّا ترتبط به النعمة ويستوجب معه حفظ الرتبة.

ومكاتبة مَنْ يعثر منه على تقصير وتفريط وتضييع بالذمّ والتقريع، لأنّه لايخلو أعوان السلطان من كُفاة يستديم كفايتهم بتصويب مراميهم واستقاف مساعيهم وإحمادهم على تشميرهم وشرح صدورهم ببسط آمالهم، والعِدة برفع منازلهم ومحالهم وتمييزهم على نُظرائهم وأشكالهم، وعجزه يصلحهم بالتخطئة والاستقصاد والتوبيخ وتقديم الأعذار، والتخويف من سقوط المراتب وقبح المصاير والعواقب.

وينبغي للكاتب أنْ ينتهي في خطاب من انتهى في[١٠٠] الحالين الى غايتيها بمايوجبه كلٌّ منهما، وتنتخب المعاني الناجعة في الغرضين ويتوسط فيا بينها التوسط الذي تقتضيه الحال المُفاض فيها، لأنّ في ذلك تقريراً للمحسن على إحسانه ونقلاً للمسيء عن إساءته، وله موقع خطير من النفوس، لأنّه إذا علم الناهض أنّه مثاب على نهضته والواني أنه معاقب على ونيته، (٤٠٠) اجتهد هذا في الاستظهار لخدمته بما يزيد في رتبته وخاف هذا من حطّ منزلته وتغير حالته.

ولمّا كانت الرسوم في هذه المكاتبات تختلف بحسب[٩٨] اختلاف أغراضها، وتتشعب بتشعّب معانيها، ذكرنا الأسس التي

تُبنى عليها وغَنينا عن نصّ رسم فيها، ووكَلنا الأمر الى قريحة الكاتب وصناعته وجودة فكرته وإصابته، لاسيّما وعلى هذا الباب مدار ماٰيجري بين خواص الناس وعوامهم، وليست حاجة السُّوقة إليه بدون حاجة الملوك وايقاع أمثلة جامعة على هذه سبيله مستحيل غير ممكن، وإنّما يُرجع في هذا وأمثاله الى قريحة الكاتب العارف الكامل، ووضعه كلّ شيْ في موضعه وترتيبه في رتبته، حسبما بيّناه فيما تقدم.

الكتب بالأوامر والنواهي

على هذه الكتب مدار أشغال السلطان وأعماله، لأنّها النافذة في تصريف الأمور وتنفيذ المراسيم الى ولاته وعمّاله.

وليس لها أمثلة فنقدّدها ولارسوم فنوردها، لكنه ينبغي للكاتب أنْ يؤكّد القول فيها، فإنّ الأمر والنهي، وإنْ اختلف لفظهما، نوع واحد، لأنّ كلّ مامور به منهيّ عن ضدّه، وكلّ منهيّ عنه مأمور بضدّه.

وينبغي للكاتب أنْ يؤكّد القولَ في امتثال ماأمر به، والعمل عليه، والانقياد له، والانتهاء عمّا نهى عنه، والحذر من الإلمام [به](٧٩)، ويجزم في العبارة عنهما جزماً تامّاً لايتمكن معه من الإخلال ببعضهما (٤٠١) أو التقصير فيهما لِهوىً أو قضاء(٨٠) حقّ، ويوثق من المبالغة بما يضيق العذر متى وقع تقصير أو تثاقل عمّا حُدّد فيهما. فأمّا تمثيل ذلك بمُثل جامعة مع تفنّن(٨١) المعاني التي يُؤمر بها ويُنهى عنها فمتعذّر.

والكاتب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين الغرضين على طريق الإجمال أمكنه أنْ يبسطه(٨٢) إذا احتاج الى التفصيل والبيان بمشيئة الله تعالى.

الكتب في الغيار

جرت عادة الخلفاء الراشدين بإلزام الذمّة المعاهدين بلباس الغِيار تفريقاً بينهم وبين المسلمين وقدحاً لِهمَمِهم بالاستدلال في النزوع الى الإسلام، وكتب الكتب بذلك وقراءتها على رؤوس الأشهاد، والإيعاز الى الناظرين في المعاوِن بأخذهم بما رُسِم وتأديب من تقدّم على خلاف المأمور.

والرسم فيها أنْ يُفتتح بحمد الله الذي أكرم دين الأسلام عن الضلالة وأهلها وشرّفه على الأديان كلّها، وأعزّه ... وأظهره ... ونصره ... وأداله ... ، وجعله سبيله الأقصد ودليله الأرشد، وبابه الذي لايوصَل إليه إلاّمنه، ولاينال ماعنده إلاّ به، ويسّره وسهّله، وبيّنه وفصّله، وتمّمه وكمّله، واستخلصه لنفسه وأحبّته، واختصّ به من اصطفاه من بريّته، ولم يجعل معه ديناً ثانياً يُدني من ثوابه ويُنجي من سخطه وعقابه، وفرض الاّيقبلَ غيره من أحدٍ من خلقه (٤٠٢) ولايصفح عن الإساءة إلاّ لأهله، وبعث به نبيّه محمداً، صلّى الله عليه، بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، فبيّن شرائعه ومناهجه وعبّد سبله ومدارجه وأوضح آثاره وأعلامه وقرّب متناوله ومرامه، وأنقذ به من غمرة الضلالة وسكرة الجهالة، والناس منكبّون عن الطريق الرشاد عابدون ماينحتون من الجماد، لايهتدون الى هدىً فيستهدون ولاتبصر بصائرهم بلج الحقائق فيستدلّون، واستخلف عليه من بعده خيرته من ذريّته وصفوته من عترته الأئمة البررة المعظّمين لحرمته، المقيمين لحدوده، الموقنين لجفوته، المؤدين لفروضه، الحامين لذماره، المرامين عن داره، عناية منه تعالى باعزاز كلمته ونصر رايته، وتصديقاً لوعده في إعلائه على كلّ دين وإظهاره على كُره المشركين.

ثمّ يُقال: يحمده أمير المؤمنين على أنْ أورثه منصب آبائه الطاهرين وأفضى اليه ميراث خلفائه الراشدين، وجعله من المستخلفين على خَلقه والقائمين على نصر حقّه، والدعاة الى سبيله بشافي بيانه والمرشدين الى طريقه بواضح برهانه الذّابّين عن دينه بما اتاهم من سلطانه.

ونسأله الصلاة على سيّدنا محمد، صلّى الله عليه، الذي شرّفنا ببعثته وكرّمنا بوارثته، وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين عليّ

ابن أبي طالب الذي خرق له العادة فيه وأيّده بيأسه على محاديه، فكسر الأوثان ... صلّى الله عليهما وعلى آلهما وسلّم.

ثمّ يُقال: أمّا بعدُ فإنّ أمير المؤمنين بما استرعاه الله (٤٠٣) من دينه، واستحفظه من شريعته، وكفله من إعلاء منارها وإعزاز أهلها وإذلال من خالفها، لايزال يكرم أهل الإسلام الذين خصّهم الله تعالى بكرامته ويميّزهم عن الأمم بما ميّزهم الله تعالى من نعمته، ولايفسح لأحد من الذّمّة وإن استعان بهم العمال. . . من عمائر الأعمال وجباية الأموال في مساواتهم في زي وملبس، ولاجمال ولامركب، وضعاً لهم . . . يفصلهم عن أهل الأمانة والإيمان، الذين شرّفهم الله بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وفضلهم بشريعته الهادية على كافة أهل الكتاب، وجبلهم على التراؤف والتعاطف والتكافي والتناصف والاتفاق والتالف، وحبّب إليهم الصدق وزيّن لهم الحقّ، وعقد نيّاتهم على اليقين، وأوجب لهم مجاورته في دار النعيم.

ثمّ يُقال: ونمى الى أمير المؤمنين أنّه فشا بأعمال الحضر وغيرها للذمّة زيّ شاركوا فيه أكابر أهل الإسلام حتى صار الجاهل بهم يلقى الرجل منهم فيُحييه بتحيّة المسلمين ويخاطبه بخطاب الشريف. فأنكر أمير المؤمنين ذلك وأكبره، وخرج أمره بإنشاء هذا السجل وتنبيهه الأمر لمتولي الشرطة والحِسْبة بكفّ مَنْ يذهب من الذّمة الى مباهاة المسلمين بشيْ من النعمة التي أنعم الله تعالى عليهم بها، والزام كافّتهم بلباس الغيار وشدّ الزنانير في الأوساط، وصبغ عذب العمائم بالصّفرة، ومعاقبة من يخلّ بهذا المرسوم ليتباين المسلمون والذمّة في الزي والجمال كما يتباينوا في الدين والكمال (٤٠٤) إذ لاسبيل الى تباينهم في الصنعة البشرية التي شرك الله تعالى فيها الخبيث والطيب والبرّ والفاجر والمؤمن والكافر، وجعلها موهبةً شاملةً للنوع بأسره مع علمه بالمؤمن وإيمانه والكافر وكفره.

ثمّ يؤكّد هذا الكتاب بما يؤكد به مثله ويُرصّع من الآيات بما ينتظم في سلكه إنْ شاء الله تعالى.

الحمد لله ربّ العالمين وصلواته على سيّدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه. ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

الهوامش

(١) في الأصل: وهو الأصلي. (٢) في الاصل: مقدر. (٣) في الأصل: مستطر. (٤) كذا في الأصل. (٥) كذا. والصواب: غير الجائز. (٦) في الأصل: بالواو. (٧) الطور ١ ـ ٣ (٨) القلم ١. (٩) هود ٤١. (١٠) الاسراء ١١٠. (١١) النمل ٣٠. وينظر: الاوائل ١/ ١٤٠. (١٢) ينظر: الزاهر ٢/ ٣٦٣ والاوائل ٨٥. (١٣) من خطباء العرب وحكمائها قبل الاسلام. (المعمرون والوصايا ٨٧، الأغاني ١٥/ ٢٤٦). (١٤) تنظر هذه الوجوه في: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٤٢. (١٥) الأنعام ١٢٧. (١٦) أي يتناوبونه. (١٧) في الأصل: الذي. (١٨)في الأصل: تلي. (١٩) ينظر: أدب الكاتب ٥٧٤ ورسالة الخط والقلم ٢٩ وأدب الكتاب ١٤٣ وكتاب الكتاب ٩٨ والاقتضاب ١/ ١٨٩. (٢٠) الأوائل ١/ ٢٢٢. (٢١) الرسول الكريم (ص) أول من فعل ذلك كما سلف. (٢٢) يزيد بن عبد الملك بن مروان، ت ١٠٥ ه. (تاريخ الخلفاء ٢٤٦). (٢٣) في الأصل: فرأدوا. (٢٤) في الأصل: اختصر. (٢٥) كذا في الأصل. (٢٦) أدب الطاهريين ٦٥ وفيه: ذي مقة. وأخلّ به شعره في مجلة الخليج العربي. (٢٧) شاعر وكاتب ووزير، ت ٢٣٣ هـ. (تاريخ بغداد ٢/ ٣٤٢، وفيات الأعيان ٥/ ٩٤) (٢٨) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ٥٠. (٢٩) في الأصل: ستمر. (٣٠) ينظر في التاريخ: رسالة الخط والقلم ٣٥ وأدب الكتاب ٧٨ وكتاب الكتّاب ٧٩ والاقتضاب ١/ ١٩٦. (٣١) في الأصل: بل قال. (٣٢) الأزمنة ٢٢. (٣٣) في الأصل: زياد بن أمية. والصواب ماأثبتنا. ينظر: الأوائل ١/ ١٤٢ رصبح الأعشى ٦/ ٣٥٥. (٣٤) الشاعر المشهور (ينظر: الشعر والشعراء ١٧٩ والأغاني ٢٤/ ٢٥٩). (٣٥) في الأصل: فقتله. وهو وهم. (٣٦) النمل ٢٩. وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ١٩٣.

هوامش الباب الثامن

(١) في الأصل: فيه الكاتب اولاً من انشاء المعاني ضربين الأول. . (٢) في الأصل: الشيئين. في الأصل: أشف. والصواب مافي صبح الاعشى ٨/ ٢٤٤ نقلاً عن الكتاب. (٤) في الأصل: الذي. والتصحيح من صبح الأعشى. (٥) من صبح الاعشى، في الأصل: له. ومابين القوسين المربعين من صبح الاعشى. (٦) في الأصل: العبد. (٧) من صبح الأعشى ٨/ ٢٤٧. (٨) النساء ٥٩. (٩) في الأصل: متصافين متوافين (١٠) من صبح الاعشى ٨/ ٣٠٦ وفي الأصل: وخاص. (١١) من صبح الاعشى وفيه: المطعم. (١٢) في الأصل: امتعظ. وهو خطأ. (١٣) الأحزاب ٣٣. (١٤) الشورى ٢٣. (١٥) في الأصل: الخلافة للخلافة عليهم. وأثبتنا رواية صبح الأعشى ٨/ ٢٣٤. (١٦) في الأصل: فلان. (١٧) في الأصل: انه. ومأثبتناه من صبح الاعشى ٨/ ٢٣٥. (١٨) في الأصل: وتحوا. ومأثبتناه من صبح الأعشى. (١٩) آزره ووازره: أعانه على الأمر. وفي صبح الاعشى: بالتآزر. وهو أفصح. (٢٠) الأنفال ٦١. في الأصل: السلام. (٢١) التوبة ٩. (٢٢) في الأصل: الذي. (٢٣) في الأصل: فيه. (٢٤) من صبح الاعشى ١٤/ ٤. (٢٥) فصلت ٤٢. في الأصل: ولامن قلبه. (٢٦) من صبح الاعشى ٨/ ٢٥٩، في الأصل: مجاهد. (٢٧) من صبح الاعشى ٨/ ٢٦٠. (٢٨) من صبح الاعشى ٨/٢٦٣. (٢٩) من صبح الاعشى ٨/٢٦٤، في الأصل: أشجاعهم. (٣٠) في الأصل: ويراسل. (٣١) في الأصل: ما. (٣٢) في الأصل: دعوة. ومأثبتناه من صبح الاعشى ٨/٢٦٥. (٣٣) في الأصل: نسأله. ومأثبتناه من صبح الاعشى ٨/٢٦٥. (٣٤) من صبح الاعشى ٨/٢٦٦، وهي بياض في الأصل. (٣٥) من صبح الاعشى، في الأصل: وتجملا. (٣٦) من صبح الاعشى، في الأصل: من المحسنين. (٣٧) توهّر: مثل تهوّر. (٣٨) من صبح الاعشى ٨/ ٢٦٦ وهي بياض في الأصل. وبعدها (البرهان)، ولامعنى لها مع ماورد في صبح الاعشى. (٣٩) الرّين: كالصدأ يغشى القلب. (٤٠) النساء ٥٩. (٤١) من صبح الاعشى ٨/٢٦٦. (٤٢) آل عمران ١٠٥. (٤٣) آل عمران ١٠٣. (٤٤) من صبح الاعشى ٨/٢٦٧. (٤٥) في الأصل: تشكتم. (٤٦) في الأصل: تسمعوا. (٤٧) الأنفال ٢٥. (٤٨) في الأصل: المبتداة. (٤٩) يس ٧٠. (٥٠) في الأصل: انالة. ومأثبتناه من صبح الاعشى ٨/٣٠٤. (٥١) في الأصل: نسأله. ومأثبتناه من صبح الاعشى. (٥٢) في الأصل: توقيفه. ومأثبتناه من صبح الاعشى. (٥٣) في الأصل: فامتعة. ومأثبتناه من صبح الاعشى. (٥٤) في الأصل: أولتكم. ومأثبتناه من صبح الاعشى. (٥٥) أي: ييس. (٥٦) من صبح الاعشى ٨/٣٠٥. (٥٧) من صبح الاعشى، في الأصل: فيكم. (٥٨) من صبح الاعشى ٨/ ٢٩٠. (٥٩) النجم ٣١. (٦٠) من صبح الاعشى، في الأصل: من. (٦١) في الأصل: فروق. وهو خطأ. (٦٢) في الأصل: الحليم. والصواب مافي صبح الاعشى ٨/ ٢٧٥. إذ سبق ذكر الحليم. (٦٣) الفتح ٢٩. (٦٤) في الأصل: استخصاف. (٦٥) من صبح الاعشى ٨/٢٧٦، في الأصل: مصافقة... وموافقة. (٦٦) في الأصل: التوقفة. (٦٧) من صبح الاعشى ١٣/٥٥. (٦٨) من صبح الاعشى، وهو بياض في الأصل. (٦٩) من صبح الاعشى، في الأصل: اتصالاً. (٧٠) يونس ٥. في الأصل: وهو. (٧١) لقمان ٢٩. (٧٢) يس ٣٩ - ٤٠. (٧٣) في الأصل: ومواهنة. ومأثبتناه من صبح الاعشى ٨/٣٤٢. (٧٤) في الأصل: مارأى. والصواب مأثبتناه من صبح الاعشى. (٧٥) النمل ١٩. (٧٦) في الأصل: بمقلد. (٧٧) من صبح الاعشى ٨/ ٣٤٦، في الأصل: الى. (٧٨) من صبح الاعشى ٨/٣٤٧، وفي الأصل: بحيث. (٧٩) من صبح الاعشى ٨/ ٣٠٨. (٨٠) من صبح الاعشى، وفي الأصل: قضى. (٨١) من صبح الاعشى، وفي الأصل: تعين. (٨٢) في الأصل: تبسطه، ومأثبتناه من صبح الاعشى.

رسالة ابن قتيبة في الخط والقلم

صنفها

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

تحقيق

هلال ناجي

ص. ب. ٤٠٦٨/ اعظمية

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالة (*)

المصنف:

صَنَّفَ هذه الرسالة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوري البغدادي. المولود ببغداد سنة ثلاث عشرة ومائتين للهجرة، والمتوفى فيها سنة ست وسبعين ومائتين،

أمّا نسبته الى الدِّينور وهي من مدن الجبل، فبسبب انه وَلِيَ القضاء فيها وليس من أهلها.

ونشأ ابن قتيبة في بغداد في عصر كانت تزخر فيه بجهابذة العلم في كل فن، وفي زمن كانت فيه منارة تهوى اليها نفوس شداة العِلم في أرجاء العالم الاسلامي الكبير، وفي عهد كانت فيه بغداد كما قال ابن عباد: «بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد».

وتتلمذ ابن قتيبة لجلة من أعلام عصره من بينهم:

١ - والده مسلم بن قتيبة، وقد روى عنه في عدة مواضع من عيون الاخبار.

(*) تنشر «المورد» رسالة ابن قتيبة في الخط والقلم، تحقيق الأستاذ هلال ناجي، رغم علمها بأنه سبق أن نُشرت الرسالة هذه بتحقيق الدكتور حاتم الضامن في مجلة «المجمع العلمي العراقي» (جـ٤ - مجلد ٣٩)، وذلك لسببين:

أولهما: أنه سبق أن وافقت رئاسة تحرير «المورد» على نشر «النص» الذي وردها من قبل أن يصدر تحقيق الدكتور الضامن.

ثانيهما: أن للأستاذ هلال ناجي رأياً يغاير رأي الدكتور الضامن في نسبته الرسالة. ففي الوقت الذي يرى الدكتور الضامن أن الرسالة هذه (ليست لأبن قتيبة وانما نسبت إليه غلطاً) وله حججه في هذا، يراها الأستاذ هلال ناجي لأبن قتيبة وله في هذا حججه أيضاً.

ويبقى للقراء والمحققين، رأيهم كذلك!

٢ ـ أحمد بن سعيد اللحياني، وقد حدّثه بكتاب الاموال، وكتاب غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام.

٣ ـ محمد بن سلّام الجمحي، صاحب طبقات الشعراء.

٤ ـ اسحاق ابن ابراهيم، المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، وهو امام في الفقه والحديث.

٥ ـ القاضي يحيى بن أكثم (ت ٢٤٢)، وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة.

٦ ـ ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ).

٧ ـ ابو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٤هـ) وقد أجاز له رواية بعض كتبه.

٨ ـ أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي، (ت ٢٥٧) تلميذ الاصمعي.

٩ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب ابن أخي الاصمعي.

وعشرات سواهم.

ولقد تهيأ لابن قتيبة من طبيعته وذهنه وذوقه وعلمه وبيانه، ما دفعه الى التصنيف في شتى فنون المعرفة، وقد امتازت مصنفاته بالجدة والاصالة وكانت ـ ولّما تزل بقاياها حتى اليوم ـ مورداً عذباً ينهل منه المتطلعون الى شتى فنون المعرفة العربية. واستطاع بعقله الموسوعي أن يصنف نحواً من ستين كتابا في العلم والادب والشعر والحديث والفقه والانواء والتفسير والتاريخ وآلة الكاتب وأدبه وغير ذلك من العلوم والآداب والفنون.

واذا كان أحد من القدامى لم يحاول حصر مصنفات ابن قتيبة، فانه مما لاشك فيه ان كثيراً منها قد عدت عليه عوادي الزمن وضاع ولم يبق منه سوى أسمه في المظان والمصادر.

وبشكل عام يمكن تقسيم آثاره الى أقسام ثلاثة:ـ

اولها: آثاره المطبوعة:

١ ـ الأنواء: نشره شارل بلا و محمد حميد الله في حيدر آباد بالهند سنة ١٩٥٦.

٢ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: طبع اولا بتحقيق محمد زاهد الكوثري في القاهرة سنة ١٩٣٠.

٣ ـ المسائل والاجوبة في الحديث واللغة: نشره شاكر العاشور في مجلة المورد العراقية سنة ١٩٧٤.

٤ ـ فضل العرب والتنبيه على علومها: نشر قطعة منه جمال الدين القاسمي في مجلة المقتبس بعنوان ذم الحسد.

وأعاد نشرها الاستاذ محمد كرد علي في كتاب رسائل البلغاء بعنوان كتاب العرب أو الرد على الشعوبية ـ القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٥٤ ـ ص٣٤٤ـ٣٧٧. ومن الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٦٤ أدب لكنها غير كاملة والكتاب في غاية الاهمية، ولعلّ بعض الافاضل ينهد الى البحث عن بقية مخطوطته ويتحرى عن نقولها في المصادر ليعيد الينا سِفراً طال انتظار القراء له.

٥ ـ اصلاح الغلط: نشره المستشرق جيرارد لوكونت في مجلة كلية القديس يوسف في بيروت سنة ١٩٦٨.

٦ ـ عيون الاخبار: نشره المستشرق الجليل كارل بروكلمان بين عامي ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨ في برلين وستراسبورغ في اربعة اجزاء.

ثم طبعته دار الكتب المصرية في اربعة مجلدات ١٩٢٥ـ١٩٣٠ ثم اعادت وزارة الثقافة المصرية نشر طبعة دار الكتب بطريقة الاوفست سنة ١٩٦٣.

٧ ـ غريب الحديث: رسالة دكتوراه أعدها رضا الجبيب السويسي في جامعة باريس سنة ١٩٧٠. ثم نشرتها الدار التونسية للنشر في تونس سنة ١٩٧٩ في جزء واحد (٣٤٤ ص).

وكان أيضا رسالة دكتوراه أعدها الدكتور عبدالله الجبوري في آداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٦. ونشرتها وزارة الاوقاف العراقية في ثلاثة اجزاء سنة ١٩٧٧.

٨ ـ كتاب المعاني الكبير: طبع في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٨هـ في ثلاثة اجزاء بتحقيق المستشرق الالماني كرنكو ومشاركة عبدالرحمن المعلمي اليماني.

٩ ـ تأويل مشكل القرآن: نشره السيد احمد صقر في القاهرة مرتين، والثانية سنة ١٩٧٣.

١٠ ـ تفسير غريب القرآن: نشره مستقلا للمرة الاولى السيد احمد صقر في القاهرة سنة ١٩٥٨.

١١ ـ الشعر والشعراء: نشر مرات عدة، اجودها نشرة الشيخ احمد محمد شاكر في القاهرة بجزأين. ونشرة دار الثقافة ببيروت باشراف احسان عباس ومحمد يوسف نجم سنة ١٩٦٤.

١٢ ـ تأويل مختلف الحديث:

نشره محمود الشابندر البغدادي في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ واشرف على تصحيحه السيد محمود شكري الآلوسي نفسه.

ثم نشره الشيخ محمد زهري النجار في القاهرة سنة ١٩٦٦.

١٣ ـ الميسر والقداح: نشره محققا محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣هـ في القاهرة.

١٤ ـ المعارف: نشره المستشرق الالماني وستنفلد في كوتنكن سنة ١٨٥٠ واجود طبعاته طبعة الدكتور ثروت عكاشة ـ القاهرة ١٩٦٠.

١٥ ـ أدب الكاتب: طبعه المستشرق الالماني غرونرت في ليدن سنة ١٩٠٠م.

وطبع بعد ذلك طبعات متعددة اجودها طبعة المطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٩٢٧ باشراف: محب الدين الخطيب ومحمود محمد شاكر وعبدالسلام هارون. وقد تصدى لهذا الكتاب القيم شراح كثيرون فمن شروحه المطبوعة: ١ ـ كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب» لابن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ. وقد طبع عدة طبعات أقدمها ببيروت سنة ١٩٠٠.

٢ ـ «شرح ادب الكاتب» لموهوب بن احمد الجواليقي، نشر في القاهرة سنة ١٣٥٠هـ.

١٦ ـ الأشربة: نشره المرحوم محمد كرد علي بدمشق سنة ١٩٤٧.

ثانيها: آثاره المخطوطة:

١ ـ معجزات النبي (ﷺ): منه نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.

٢ ـ تأويل الرؤيا: منه مخطوطة في المكتبة العربية بدمشق لصاحبها السيد احمد عبيد كتبها السيد يحي بن محمد البخاري سنة ٨٤٥هـ بدمشق وعدة اوراقها ١٣٤ ورقة.

٣ ـ رسالة في الخط والقلم: وهي كتابنا هذا، وسنعود للحديث عن مخطوطته في فقرة لاحقة.

وثالثها: آثاره المفقودة:

١ ـ ديوان الكتّاب: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

٢ ـ جامع الفقه: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

٣ ـ جامع النحو: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

٤ ـ جامع النحو الصغير: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

٥ ـ التقفية: قال عنه ابن النديم في الفهرست ص٨٥: هذا الكتاب رأيت منه ثلاثة اجزاء نحو ستمائة ورقة بخط نزك [أي ناعم] وكانت تنقص على التقريب جزئين، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من اهل الجبل، فزعموا انه موجود وهو اكبر من كتاب البندنيجي وأحسن.

٦ ـ عيون الشعر: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٥، قال: ويحتوي على عشرة كتب.

٧ ـ سير العجم: ذكره جعفر بن محمد ابن السراج في كتابه مصارع العشاق.

٨ ـ الجوابات الحاضرة: ذكره السيوطي في البغية ٢/٦٤ والداودي في طبقات المفسرين ١/٢٤٦.

٩ ـ حكم الامثال: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

١٠ ـ الرد على القائل بخلق القرآن: ذكره الداودي في الطبقات ١/٢٤٦ والسيوطي في البغية ٢/٦٤.

١١ ـ وجوه القرآت: ذكره ابن قتيبة بهذا الاسم في كتابه تأويل مشكل القرآن ص٦٤. وذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦ باسم القراآت.

١٢ ـ فرائد الدر: ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٦.

١٣ ـ كتاب العلم: ذكره ابن النديم ص٨٦ وقال عنه: نحو خمسين ورقة.

١٤ ـ كتاب خلق الانسان: ذكره ابن النديم ص٨٦.

١٥ ـ كتاب الحكاية والمحكى: ذكره ابن النديم ص٨٦.

١٦ ـ كتاب اداب العشرة: ذكره ابن النديم ص٨٦.

١٧ ـ كتاب إعراب القرآن: ذكره ابن النديم ص٨٦.

١٨ ـ كتاب الخيل: ذكره ابن النديم ص٨٦.

١٩ ـ آلة الكتاب: ذكره ابن السيد البطليوسي في كتابه الاقتضاب واورد نقولاً منه في الصحائف ٥٩، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠.

٢٠ ـ كتاب الوحش: ذكره ابن قتيبة في كتابه الانواء ص٤١.

٢١ ـ كتاب الصيام: ذكره ابن قتيبة في كتابه الانواء ص١٣٠.

٢٢ ـ كتاب النسب: ذكره ابن قتيبة في كتابه المعارف ص١١٧.

٢٣ ـ كتاب الوزراء: ذكره ابن منظور في لسان العرب ١١/٢٢٠ (مادة خلل).

٢٤ ـ صناعة الكتابة: ذكره علي بن محمد الخزاعي في كتابه «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية» ص ٣٥٨ وأورد نقلاً منه.

٢٥ ـ آداب القراءة: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون /٤٣ . ذاك تعريف مركّز بآثار ابن قتيبة المطبوعة والمخطوطة والمفقودة.

ولابّد لنا من الاشارة الى كتب طبعت ونشرت منسوبة لابن قتيبة وهي ليست له. واولها: كتاب الامامة والسياسة. الذي نشر مرات عدة آخرها بتحقيق الدكتور طه زيني.

وثانيها: وصية ابن قتيبة الى ولده: التي نشرها الدكتور اسحاق موسى الحسيني في مجلة الابحاث البيروتية سنة ١٩٥٤، ثم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٥. وهي الاخرى ليست له.

ومخطوطة «الجراثيم» التي في الظاهرية، والتي نشرت منها رسائل عدة منها:

١ ـ النعم والبهائم.
٢ ـ النخل والكرم.
٣ ـ الرحل والمنزل.
٤ ـ اللبأ واللبن.

هي لمؤلف آخر، هو ـ على الارجح ـ متأخر زمناً عن ابن قتيبة.

رسالة ابن قتيبة في الخط والقلم:

والرسالة التي ننشرها اليوم، انفرد بذكرها الخطيب البغدادي ضمن الكتب التي حملها الى دمشق، كما ذكرها السيوطي باسم (القلم)[1].

وقد ضاعت هذه الرسالة ضمن ما ضاع من آثار ابن قتيبة، وبفضل التنقير المستمر عن المخطوطات استطعت أن أعثر على نسختها الفريدة ضمن مخطوطة كتاب «جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام» التي صنّفها مسلم بن محمود الشيزري وهي مخطوطة في مكتبة لايدن بهولندة برقم ٢٨٧ شرقي.

وكان سرورنا بها مضاعفاً بعد إذ علمنا أن لا اخت لها في العالم.

وبعد: فالرسالة تمثل الباب الثاني من الكتاب التاسع من مخطوطة جمهرة الاسلام وتشغل منها الورقات ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥. في كل ورقة صحيفتان. ومعدل سطور الصحيفة الواحدة ٢٩ سطراً. (انظر انموذج المخطوطة)

هذه الرسالة كانت من آثار ابن قتيبة المفقودة، لم يبق منها سوى الاشارة الى اسمها في كتاب (الخطيب البغدادي) ص١٠٥ الذي صنفه الدكتور يوسف العِش. وعدم العثور على هذه الرسالة دفعت الدكتور عبدالله الجبوري في دراسته القيمة عن كتب ابن قتيبة ـ وهي اشمل دراسة كتبت عنها[2].

اقول: دفعته الى الظن بان هذه الرسالة قد تكون (كتاب تقويم اليد) وهو فصل من فصول كتاب ابن قتيبة الشهير «أدب الكاتب». وبظفرنا بهذه الرسالة ونشرها يثبتُ انها أثر آخر، لاعلاقة له بكتاب (تقويم اليد).

ورسالة ابن قتيبة التي ننشرها اليوم هي من أقدم النصوص التي وصلتنا في موضوعها، وليس يسبقها من الناحية التاريخية سوى نص واحد هو «كتاب الكُتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها» لعبدالله بن عبدالعزيز البغدادي النحوي الضرير. وهو كتاب كان من مصادر ابن قتيبة، وان المؤلفين قد تعاصرا، فكلاهما من علماء القرن الثالث الهجري، وكلاهما بغدادي.

ويمكن اعتبار هذه الرسالة معجماً لغوياً متخصصاً في آلات الخط والكتابة ومصطلحاتها وتصريف تلك المصطلحات.

وبالنظر لان مصنفها من قدامى المصنفين الذين تعتز بهم دنيا التراث العربي، فان نشرها يشكّل اضافة ذات بال الى كتب الخط والقلم من جهة، والى المعاجم اللغوية المتخصصة من جهة اخرى.

وبعد: فاني اهدي نشرتي هذه الى صديقي الدكتور جليل العطية الذي تكرم فصوّر لي مخطوطة ذات جهرة الاسلام من لايدن، فاتاح لي بذلك الظفر بهذه الرسالة النادرة، هدية شاكر ذاكر وتحية اخوة ضاربة بجذورها عبر الزمن.

والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

هوامش المقدمة

(١) بغية الوعاة ٢ / ٦٤.

(٢) دراسة في كتب ابن قتيبة ـ مجلة آداب المستنصرية ـ العدد الثاني ـ ص ١٢٠ ـ ١٢١.

نظاير وانعم تنعق ، ليس من سوره على خمس ، فما ترى فيما اقول من ليس بلث نظاير
والعصر والكوثر والنصر بعد ، توافقت اياتهن في العدد ، بلا ايات بلا زياده ، وقد افردت عليه الافاده
نظيرتان ... وسوره الايلاف والاخلاص ، اخلف ما الطايع من العاصي ، اربع ايات سوا اعددا
فالسفع عن الشرح ودع من قبلها نظيرتان والفرق في احث الناس كلاهما ست ملا الناس

الباب الثاني ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذكر الخط والقلم

قال ابو محمد انما سمي القلم الذي يكتب به قلما لانه قلم وقطع ومنه قلمت اظفاري ومنه قيل قلامة الظفر لما يقطع منه ، وقال غيره يقال للشي الذي يقلم به مقلم ، قال ابن قتيبه وقد تسمى القداح اقلاما وانما سميت بذلك لانها تبرى قال الله عز وجل اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم قال كانوا تشاحوا في كفالتها فضربوا عليها بالقداح فخرج قدح زكريا فكفلها ، وقال عبد الله بن عبد العزيز كل قصبه قطعت منها قطعة فالقطعه قلم وكل عود يجز ويعلم راسه بعلامه فهو قلم ، وقال في قوله عز وجل اذ يلقون اقلامهم جاني الشيرازي انها كانت عيدانا مكتوب على رؤسها اسماوهم ، ويجمع القلم اقلام وقلام مثل جبل واجبال وجبال البري وجوهه قال ابو عبيدة لا يقال للقلم قلم حتى يبرى والا فهو قصبه ولا يقال للرمح رمح الا وعليه سنان والا فهو قناة ، ولا يقال للمايده مايده الا وعليها طعام والا فهي خوان ، ولا يقال للكاس كاس الا وفيها شراب والا فهي زجاجه ، ولا يقال للسرير اريكة الا وعليها حجله والا فهي سرير ، ويقال من البري بريت القلم ابريه بريا وبرايه وقلم مبري غير مهموز وانا بار للقلم ويقال لما سقط منه عند البري برايه على مثال فعاله والفعاله اسم لكل فضله تفضل من شي قليلا او كثيرا كالقمامه والكناسه والحثاله وهو اسم لما بقي من كرب النخل فاذا امرت من البري قلت ابر قلمك بريا جيدا وبرايه جيده قال الشاعر

يا باري القوس بريا ليس يحكمه ، لا تفسد القوس اعط القوس باريها ،

واصل البري الترقيق والارهاف ومنه قيل بريت العله جسم فلان اذا انحلته لان باري القلم يرق موضع سنه عن سايره ، ويقال قططت القلم اقطه قطا اذا قطعت منه والاصل في القط القطع ومنه يقال ضربه على مقط سعره وهو حيث يقطع شعر الراس من القفا ، ويقال للعود الذي يقط عليه القلم مقط وجمعه مقاط ، وانشد

راي في المجلس حد المخط ، كانما قط على مقط ،

ويقول قلم مقطوط وقطيط مثل مقتول وقتيل وانا قاط والاصل قاطط كقولك للضرب وانا ضارب فاذا غمت احدى الطاين في الاخرى ، واذا امرت منه قلت قط قلمك وان اظهرت الحرفين قلت اقطط قلمك ، ويقول قصمت القلم اقصمه قصما وهو مقصوم واصل القصم الكسر ومنه قولهم انقصمت ثنيته اذا انكسرت

نص الرسالة

[رسالة]

أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوري في ذكر الخط والقلم.

قال أبو محمد المذكور[١]: يُسَمّى القَلَمُ[٢] الذي يكتبُ به قلماً، لأنَّهُ قُلِّم وقُطِع، ومنه قَلَّمْتُ أظفاري. ومنه قِيلَ قُلامةُ الظفر لما يُقطع منه وقال غيره: يُقال للشيءِ الذي يقلم به مِقْلَم.

قال ابن قتيبة: وقد تُسَمَّى القِداحُ[٣] أقلاماً، وإنَّما سُمِّيَت بذلك لأنَّها تُبرى. قال اللّهُ عزَّ وجلَّ «(إذْ يُلْقُونَ أقْلامهم أَيُّهم يَكْفُلُ مريم)[٤]». قال: كانوا تَشَاحُّوا[٥] في كفالتها، فضربوا عليها بالقِداح يخرج فخرج قِدْح زكريا. فكفلها[٦].

وقال عبدالله بن عبدالعزيز[٧]: كُلُّ قصبة قُطِعَت منها قطعة فالقطعة قلم، وكُلُّ عُودٍ نُجِرَ وعُلِّم رأسُه بعلامةٍ فهو قلم، وقال في قوله عزّ وجلّ «(إذ يُلقون أقلامهم)» جاء في التفسير انّها كانت عِيداناً مكتوباً على رءوسها اسماؤهم[٨].

وجَمْعُ القلم أقلام وقِلام مثل جبل و أجبال وجبال.

البَرْيُ ووجوهه

قال ابو عبيدة: لايقال للقلم قلم حتى يُبرى وإلاّ فهو قصبة، ولا يُقال للرمح رمح إلاّ وعليه سنان وإلاّ فهو قناة، ولايقال للمائدة مائدة إلاّ وعليها طعام وإلاّ فهي خِوان، ولايقال للكأس كأس إلاّ وفيها شراب وإلاّ فَهْيَ زجاجة[٩]. ولا يقال للسرير أريكة إلاّ وعليها حجلة وإلاّ فهي سرير.

ويقال من البَرْي[١٠]: بَرَيْتُ القلمَ أبريه بَرْياً وبِرايةً وقلم مَبْرِيٌّ غير مهموز فأنا بارٍ للقلم. ويقال لما يسقطُ منه عند البَرْي: بُراية على وزن فُعالة. والفُعالة اسمٌ لكلّ فَضْلةٍ تفضل من شيءٍ قليل أو كثير كالنّمامة، والكساحة، والجرامة، وهو اسم لما بقي من كرب النخل. فاذا أمرتَ من البري قلتَ: ابْرِ قلمكَ بَرْياً جيِّداً وبِراية جيدةً.

قال الشاعر[١١]:

يا باريَ القوسِ بَرْياً ليسَ يُحْكِمُهُ ... لاتُفْسِدِ القوسَ اعْطِ القوسَ باريها

وأصلُ البَرْيِ الترقيقُ والإرهافُ، ومنه قيلَ بَرَتْ العلّةُ جسمَ فلان إذا أنْحَلَتْهُ، لأنَّ باريَ القلمِ يرقّ موضعَ سِنِّهِ عن سائرهِ.

وتقول[١٢]: قططتُ القلمَ أقطُّه قَطّاً إذا قطعتَ سِنَّهُ، والأصل في القَطِّ القَطْعُ ومنه يُقال: ضَرَبَهُ على مقطِّ شعره، وهو حيث يقطع شعر الرأس من القفا.

ويقال للعود الذي يُقَطّ عليه القلم: مِقَطٌّ وجمعه مقاط، وانشد[١٣]:

رابي المجسّ جَيِّدُ المخطِّ ... كأنّما قُطَّ على مِقَطِّ

وتقول: قلمٌ مقطوطٌ وقَطيط مثل مفتول وفتيل، وانا قاطٌّ والاصل قاطط كقولك ضربتُ وانا ضارب فادغمت احدى الطاءين في الاخرى. فاذا أمرت منه قلت: قطّ قلمك، وإن اظهرتَ التخفيف قلت: اقطط قلمك.

وتقول: قصمتُ القلم أقصمه قصماً وهو مقصوم وأصل القصم الكسر، ومنه قولهم: انقصمت ثَنِيَّتُهُ إذا انكسرت (١٤٣آ) من عَرْضها، ويقال ثنيّة قصماء ورجل اقصم وامرأة قصماء، فان انكسرت الثنية طولاً فهو انقص وقد انقاصت ثنيته. ويقال لسنِّ القلم

الجِلْفَةُ وهي مؤنثة مأخوذٌ من سِنِّ الإنسان(١٤). وإذا تركتَ شَحْمَهُ عليه ولم تأخذهُ قلتَ: أشحمتُ القلمَ فهو مشحم، وإذا أَخَذْتَ شَحْمَهُ قلتَ: شحمته أشحمه شَحْماً وهو قلم مشحوم إذا اخذت شحمَهُ، وإن استأصلتَ شَحْمَهُ وأخذتَ من بطنِهِ قلتَ: قلم مُبَطَّنٌ وقد بَطَّنْتُهُ تبطيناً(١٥).

ويقال للشحمة التي في رأس القلم: الضرَّةُ، شُبِّهَتْ بِضَرَّةِ الإبهام. فاذا أخذت الشحمة، قيل لموضعها: الحُفْرة، وهو قلم محفور(١٦).

ويقال: قلم مذنَب إذا بُريت له سِنٌ غليظة غير مشقوقة تصلح بها الليقة، وقد ذنبتُ القلمَ تذنيباً لانه مفعول به، وليس كقولهم بسرة مذنِبة لأنَّ التذنيب ظهر منها، فَنُسِبَ الفعلُ اليها. وكذلك جرادة مذنبة، وفرس ذنوب اذا كان طويل الذنب، وقلم ذنوب طويل الذنب(١٧).

الدَّواة(١٨)

تقول العرب: دَواة ودِياة ودَوِيٌّ ودوىً مقصور، وهو الجمع الكثير.

قال الشاعر(١٩):

الاطـلال يـنـدبـهـا الـسـويُّ ويـبـك عـلى مـغـانـيـهـا الـوليُّ
ونـرقـشـهـا الـسـواري والـسـوافي كـما رقـشـت مـهـارقـهـا الـدويُّ

وتقول: ادويتُ دَواةً أي اتخذتُ دواةً فانا مُدْوٍ، واذا أمرت غيرك قلت: أَدْوِ يافلان، ويقال للذي يبيع الدَّوي دَوّاء، كقولك: تبّان، وشعّار، وخيّاط. ويقال للذي يعمل الدوي مدْوٍ كما يقال للذي يصلح القنا مُقَنٍّ(٢٠). قال الراجز(٢١):

كما أقام درءَها المُقَنّي

ويقال للذي يحمل الدواة: داوٍ، كما يقال للذي يحمل السيف: سائف، والذي يحمل الرمح رامح، والذي يحمل الترس تارس(٢٢).

اللِّيقة(٢٣)

يُقال للصُوفة والقُطنة التي تكون في الدواة لِيقة، وتجمع ألياقا. وإنّما سُمِّيت لِيقَة لأنّها تحبِسُ ما جُعل فيها من السواد وتُمسكه مأخوذ من قولهم: (فلان ما تُليقُ كفُّهُ درهما)(٢٤) أي ما تحبسه فتمسكه، وكَفٌّ ما يليق بها درهم، أي ما تحبس ولاتستمسك.

قال الراجز(٢٥):

كَـفُّـكَ كـفٌّ مـا تُـلـيـق دِرْهـمـا جُـوداً، وكـفٌّ تُـعْطِ بـالـسـيـف الـدَّمـا

وروى ابو العباس محمد بن يزيد المبرد قال(٢٦): دخل الاصمعي على الرشيد بعد غيبة غابها فقال: كيف حالك يااصمعي؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما لاقتني ارضٌ ـ أي ما حبستني حتى خرجت عنها ـ فأمسك الرشيد. فلما تفرقَ اهلُ المجلسِ قال له: ما معنى لاقتني؟ قال: حبستني، فقال الرشيد: لاتكلمني في مجلس العامة بما لااعلم.

وتقول(٢٧): أَلَقْتُ الدواةَ فهي مُلاقة ولِقْتُها فهي مَلِيقَة، إذا جمعتَ مدادَها في صوفها وقطنها. وقولهم(٢٨): ما يليق هذا الأمر بصفري أي قلبي، أي ما يمسكه ويجتمع فيه. وأنشد العامري(٢٩):

لـعـمـرك انّ الحـبَّ يـا أمَّ مـالـكٍ بـجـسـمـي جـزاني الله مـنـك لَـلائِـقٌ

ويقال: لِقْتُ الدواةَ وهي مَلِيقة هذا إذا أصلحتُها وزدتُ في سوادها، فأمّا اذا لم تكن فيها ليقة فجعلتَ فيها ليقة فألقتها بالألف لاغير، واذا أمرتَ من ألقت قلت: ألِقْ دواتَك بقطع الالف الإلاقةُ وانت مُليق، واذا أمرت من قولك [لقت قلت:] لِقِ الدواة ليقاً جيدا وانت لاقٍ، وقد أميهتُ اللّيقةَ أميهها اماهة (١٤٣ب) فأنا مُميةٌ لها: إذا أكثرت ماءها، وقد ماهَتْ فهي مَاهُ وتموهُ وهي مائهة: إذا كثر ماؤها[٣٠].

ويقال: صُفْتُ الدواة أصوفها صَوْفا: إذا جعلت فيها لِيقَةً من صوف، وكَرْسَفْتُها أكرسفها كرسفةً وكرسافا: إذا جعلْتُ فيها ليقةً من كُرْسفٍ وهو القطن[٣١].

يُقال: هو المداد وهي المداد لأنّه جَمْعُ مِدادة، وكلّ جمع ليس بينه وبين واحده إلاّ الهاء فانه يذكّر ويؤنث، مثل غمامة وغمام، وحمامة وحمام، وشجرة وشجر. ويُقال: مَدَدْتُ الدواة أمدُّها مدّاً وهي دواة مَمْدُودة إذا جعلت فيها مِداداً، وإن كان فيها مِدادٌ فَزِدْتَ فيها مداداً آخر تقول:

أمْدَدْتُها إمداداً فهي مُمَدَّة، وكلّ شيْ يزيد في شيْءٍ بنفسه فانه يقال فيه مَدَّه يَمُدُّه. قال الله تعالى «(والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر)»[٣٣].

فان كان الشيْ يزيد في الشيْ بغيره فهو بالألف يقال: أمددته بالرجال وبالمال. قال الله تعالى «(وأمددناكم بأموال وبنين)»[٣٤] ويقال لما أمِدَّ به السراج فيه من الزيت مِدادٌ، وكلُّ شيْءٍ أمددت به شيئاً فهو مِداد، ومنه أخِذَ اسم المداد. وأنْشَدَ الأخطل:

رأت بارقاتٍ بالأكُفِّ كأنّها مصابيحُ سُرْجٍ أُيِّدَتْ بمِدادِ[٣٥]

أي بزيتٍ فَسَمّاهُ مِداداً لان السراج يُمَدُّ به، فهذا دليل على ما قلناه.

وتقول: استمدد من الدواة اذا أمرته أن يأخذ على القلم مداداً، واستمدد فلاناً: اذا سألته أن يجعل على قلمك مداداً فيقول قد: امددتك امدادا. وتقول: امدني على قلمي مداداً، وأمدّني من دواتك أيْ أمْكِنّي من مدادها فاستمدّ منه. فاذا قطر من رأس القلم شيْ من المداد قيل: رَعَفَ القلمُ يرعُفُ وهو قلم راعف، فاذا أخذت مداداً فقطر قلت: أرعفتُ القلمَ إرعافاً وهو قلم مُرْعَفٌ. وتقول: استمدد ولا تُرْعِفْ، أي لاتُكْثِر المدادَ حتى يقطر القلم[٣٦].

الحِبْر[٣٧]

يُقال للحبر اللون، يقال انّ فلاناً لَناصِعُ الحِبْر: يُراد به اللونُ الناصعُ الصافي من كلّ لون. قال ابن احمر[٣٨].

سَبَتْهُ بفاحمٍ جَعْدٍ وابيضٍ ناصعِ الحِبْرِ[٣٩]

يريد به سوادَ شعرها، وبياضَ لونها. ويقال: «فلان قد ذهب حِبْرُهُ وسِبْرُهُ»، فالحبر: الحُسن، والسِّبْرُ: الثياب والهيئة[٤٠].

وقال الاصمعي[٤١]: إنّما سُمّيَ حبراً لتأثيره: يقالُ على أسنانه حِبْرٌ، إذا كَثُرت صُفرتها حتى تضرب الى السواد. والحِبْرُ: الأثَرُ يبقى في الجلد من الضرب، يقال قد أُحْبِر جلدهُ إذا بقي به أثَرٌ لضرب، وأنشد:

لقد اشْمَتَتْ بي أهلَ فَيْدٍ وغادَرَتْ بكفّيَ حِبْراً بنتُ مَصّانَ بادِيا[٤٢]

قال ابو العباس[٤٣]: «وأنا أحسبُ انّه سُمّي بذلك لأنّ الكتبَ تُحَبَّر به أي تُحَسَّن». وقال الأموي*: انّما سُمّي الحبرُ حِبْراً لأنّ البليغ إذا حَبَّر به ألفاظَهُ، وأتَمَّ بيانَهُ، احضرَ معاني الحكم آنق من حبرات اليمن، ومفوّفات وَنيِ صَنْعاء.

الكتاب[٤٤]

قال ابو عبيدة وغيره من أهل اليمن: يُسَمّى الكتاب كتاباً لتأليف حروفه وانضمام بعضها الى بعض، وكلُّ شيْءٍ جمعتهُ وضممتَ بعضَه الى بعضٍ فقد كتبتهُ، قال الشاعر[٤٥]:

لا تأمننّ فزاريا خلوتَ به على قلوصك واكتبها بأسيار[٤٦]

أيْ ضُمّ شُفْرَيْ حَيائِها واجمعْها. وتقول: قد كتبتُ الكتابَ كَتْباً وكتاباً وكتابةً ومكتبةً اذا جمعتَ بين حروفه وضممت بعضها الى بعض، وأنا كاتب والجمع كاتبون وكُتّاب وكَتَبَة وكتب. ويقال (١٤٤آ) للخيل اذا جُمِعَتْ وضُمّ بعضها الى بعض كتيبة. ويقال: كَتَبَ الرجلُ إذا خطّ واكتَتَبَ يكتب إكتاباً إذا صار حاذقاً بالكتاب.

ويقال: أتيت فلاناً فأكتبته اذا وجدته كاتبا، كقولهم: أبخلته وجدته بخيلاً، واسخيته وجدته سخيّاً. ويقال قد استكتب فلان اذا ادّعى أن يكون كاتباً. والمُكَتِّب المُعَلِّم، والمكتَبُ الموضع الذي يتعلم فيه الكتابة. وتقول: قد كَتَّبْتُ الغلامَ أكَتِّبُهُ تكتيبا واكتبته إكتابا إذا علمته الكتابة. وتقول: قد كاتبتُ فلاناً أي خايرته، فكتبتُهُ أيْ غلبته في جودة الخط فكنتُ اكتبَ منه فهو مكتوب، كقولك: فاخرته ففخرته أي فكنتُ أفخر منه، وفاطنته ففطنته أي كنت أفطنَ منه.

ويقال للحافظِ العالمِ: الكاتبُ، ومنه قول الشاعر:

أوصيتُ بالحسناءِ قَلْباً كاتباً

وزخرفتُه: إذا حَسَّنْتَهُ وَزَيَّنْتَهُ وَنَمَّقْتَهُ. وأنشد المُرَقِّش[٤٧]:

الدارُ وَحْشٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ[٤٨]

وبهذا البيت سُمّي المُرَقِّش.

وتقول العرب[٤٩]، زبَرْتُ الكتابَ أَزْبُرُه زَبْراً وزبوراً إذا كتبته.

والزُّبُر: الكُتُب، واحدها زبور وهو فعول في موضع مفعول كما قالوا ناقة ركوب وحلوب أي مركوبة ومحلوبة، وقد يكون زبور في معنى زابر، أي كاتب، كقولك: ضارب وضروب. قال امرؤ القيس[٥٠]:

أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت كَخَطِّ زَبورٍ في صحائفِ رُهْبانِ[٥١]

أي بخط كاتب.

وقال أبو ذؤيب[٥٢]:

عرفتُ الديارَ كرقمِ الدواة يَزْبُرُهُ الشاعرُ الحِمْيَري[٥٣]

أي يكتبه، ومن رواه يَذْبُرُهُ بالذال أراد: يقرأه. وقوله: كرقم الدواة. أي بالكتابة بالدواة قال الله عزّ وجلّ «(كتابٌ مرقوم)»[٥٤] أي مكتوب.

وقال الشاعر:

سأرقُمُ بالماءِ القَراحِ اليكُمُ على نأيكم، إن كان للماءِ راقِمُ[٥٥]

المطّ[٥٦]

المطّ في الكتاب والمدّ سواء، مططتُ الحرفَ أي مَدَدْتُه، وهو حرف ممطوطٌ وأنا ماطٌّ، والأصل ماطط على وزن فاعل أُدغمت إحدى الطاءين في الأخرى. فاذا أمرت قلت إذا ادغمت: مُطَّ حروفك يافتى. والطاء والتاء والدال يَتَعاقَبْنَ، فجعل بعضهنَّ مكانَ بعض لأنهن مجهورات متقاربات المخارج من الفم، ومنه يقال: مَتَتّ الى فلان بكذا وكذا أي مددت اليه به، فالتاء في موضع الدال لقربها منها.

التطليس[٥٧]

والتطليس في الكتاب مثل التَّرْميدُ[٥٨]، والاسم الطُّلْسَة، وانما أخذ من الطيلساء ممدود وهي لون الليل، ومنه قيل للطيلسان الازرق طيلسان

قال الشاعر:

الا زوائد في المحلة بينها كالطيلسان من الرماد الازرق

ومنه قيل: ذئبٌ أطْلَسُ، وهو الذي يشبه لونُه لونَ الرماد.

القرطاس[59]

تقول العرب: قِرطاس وقُرطاس وقَرطاس ثلاث لغات. وقراطس وقرطس مثل درهم ودراهم. وتقول: قد قرطست قرطاساً اذا كتبت في القرطاس وانا مقرطس بقرطاس. وتقول: قد قرطَسَ فلان اذا أتى بقرطاس

السَّحاةُ

تقول سَحاةٌ، وسحا: قَشَرَ. تقول: اسحيتُ الكتابَ اسحيه اسحاءً اذا جعلت عليه سحاةً. واذا أمَرْتَ قلت: اسح كتابك أي اجعل عليه سحاةً، وهو كتاب مُسْحيٌ، واذا أمرت قلت: سح كتابك. وتقول: سَحَوْتُ القرطاسَ (١٤٤ب) اسحوه سَحْواً وسحيتُهُ أسْحاهُ سَحْياً اذا أخذت منه سحاةً. وهو قرطاس مَسْحُوٌّ من قولك سحوت، ومَسْحِيٌّ من قولك سحيت. وأصل السحو القَشْرُ. ومنه يقال: سحوتُ الطين عن رأس الدن اذا قشرته. ومنه سميت المسحاة بِسُحاةٍ لأنها تقشر الارض، وجمع السَّحاة: سحاآت وسحاء. وجمع السحاية: سحايات وسحاي.

التراب[61]

تقول: أتْرَبْتُ الكتابَ أُتْرِبُهُ إتْراباً، وتَرَّبْتُه تتريباً إذا ألقيتَ عليه التراب. واذا أمرت قلت: أترِب كتابك، وترّبه جيداً، وتَرِّبْه تتريباً. وكتابٌ مُتْرَب من قولك: أتْرَبْتُ، ومُتَرَّب من قولك: تَرَّبْتُ.

وتقول: إذا ألقيتَ عليه الأشارة وهي ما ألقاه المنشار: أشرتُ اوشرة اشيراً.

العنوان[63]

تقول العرب: هو عنوان الكتاب وعنيانه، وقد عَنْوَنْتُ الكتابَ أُعَنْوِنُهُ عنونةً وعنوانا، وهو كتاب معنون. وعَنَّنْتُهُ تعنيناً، وهو كتابٌ مُعَنَّن. ويقال: عنوانُ كلِّ شيءٍ أثَرُهُ. قال حسان بن ثابت[64]:

ضحُّوا بأشْمَطَ عنوان السُّجود به يُقَطِّع الليلَ تسبيحاً وقرآنا[65]

أي أثر السجود بَيِّنٌ بوجهه. وجمع العنوان: عناوين

الطين[66]

تقول: طِنْتُ الكتابَ اطنُه طيناً مفتوح الطاء، إذا جعلت عليه طيناً، وهو كتاب مَطين وانا طاين. واذا أمرتَ قلت: طِن الكتابَ طيناً جيدا.

قال الشاعر:

وطن الكتاب إذا أردتَ جوابَهُ وعُنِ الكتابَ لكي يُسَرَّ ويُكْتَما[67]

فاذا أعدت الطينَ مرّةً بعد مرة على الكتاب أو غيره قلتَ: طَيَّنْتُهُ تطيينا وهو مطين، ويقال لما يُجعل فيه الطين: مطينة.

الخاتم[٦٨]

يُقال خاتِمٌ وخاتَمٌ وخاتامٌ وخيتامٌ وخاتيام.

وأنشدوا في الخيتام[٦٩]:

ولقد وَعَدْتَ وأنتَ أكرم واعدٍ لاخيرَ في وَعْدٍ بغير تمامٍ
أنَّ الامورَ حميدَها وذميمَها في الناس مثل عواقب الخيتامِ

وانشدوا في الخاتيام[٧٠]:

أخذتَ من سعداك خاتياما لموعدٍ بكسبُك الآثاما

وتقول: نظرتُ الى الكتب فاختمتها، أي: وجدتُها مختومةً، كقولك أبْخَلْتُ الرجل وجدته بخيلا. ويقال في الختم: الختام، ولايقال الخاتم

القرآات ووجوهها[٧١]

يُقال: قرأتُ الكتابَ اقرؤُهُ قراءةً وانا قارئٌ وهو كتاب مقروءٌ. وإذا أمَرْتَ قلت: اقرأ هذا الكتاب، فإنْ لَقيَ الفعلَ ألفاً ولاماً كَسرتَ الهمزةَ فقلتَ:

اقرإ الكتابَ. واصل القراءة جمع بعض الحروف الى بعض، وانّما سُمّيَ القرآنُ قُرآناً لاجتماع بعض سُوَرِهِ الى بعض.

قال الله تعالى «(فإذا قرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنه)»[٧٢] أي: إذا جمعناه فاتبع جمعَهُ، ويقال اذا ألفناه.

وقال ابو عبيدة: تقول قد قرأ البعيرُ العلفَ، إذا جَمَعَهُ في شِدْقِهِ[٧٣]

قال عمرو بن كلثوم[٧٤]:

ذراعَيْ حُرَّةٍ أدْماءَ بِكْرٍ هِجانِ اللونِ لم تَقرأ جنينا[٧٥]

أي لم تجمعه في رحمها. ومنه قولهم: ما قرأتِ الناقةُ سلىً قطُّ أي لم تجمعه ولم تشتمل عليه. والسلى: الجلدة الرقيق تكون على رأس المولود إذا خرج من بطن أمّه. ومنه قولهم للحوض: مِقْراة[٧٦] لانه يجمع فيه الماء. ومنه سُمّيت القرى لأنّها مجامعُ الناس الذين ينزلونها[٧٧].

الديوان

ديوان اصله دوّان والقيراط والدينار والقيراط دنّار وقرّاط، فكرهوا التضعيف والكسرة فابدلوا من المضاعف الاول الياء للكسرة فاذا زالت الكسرة (١٤٥آ) واتصل احد الحرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت: دنينير وقريريط و دُوَيْوين.

قال الاصمعي: والديوانُ أعجميٌّ في الاصل عَرَّبَتْهُ العرب وكان أصله اي ديوانه، وأول من قال ذا «كسرى» وكان أمر الكتّاب أن يجتمعوا في داره، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام، وأعجلهم في ذلك وأخذوا فيه، واطلع عليهم فرأى قوماً يحسبون كأسرع ما يكون من الحساب، ويكتبون، فعجب من سرعة حركتهم فقال: أي ديوانه، أي هؤلاء شياطين وسمّي موضعهم ديواناً[٧٩].

واستعملت العرب هذا الاسم حتى جعلوا لكلّ محصّلٍ مجموع من شعر أو كلام أو حساب ديوانا. والعون من أعوان الديوان مشتق من الإعانة. تقول:

أعَنْتُهُ أُعينه إعانةً ومَعُونةً ومعوناً، فجعل العون اسماً للمعين وجمعه أعوان.

التاريخ[٨٠]

تقول: أرَّخْتُ الكتابَ تاريخاً وهو كتاب أُوَرِّخُهُ مُؤَرَّخ مهموز، وانا مُؤَرِّخ، وَوَرَّخْتُه أورّخه توريخاً وهو مُوَرَّخٌ بغير همز، وأنا مُوَرِّخ، وأَرَخْتُهُ بالتخفيف ارخه اراخاً وهو كتاب مأروخ وأنا آرخٌ على مثال فاعل، واذا أمرتَ قلت:

أرِّخ الكتاب تاريخاً، واذا أمرت من وَرَّخت قلتَ: وَرِّخِ الكتابَ توريخاً، وإذا أمَرْتَ من أرَخْتَ مخففه قلتَ: رخِ الكتابَ ريخاً، وللاثنين ريخا، وللجمع ريخوا.

هوامش النص

(١) ابن قتيبة (٢١٣ـ٢٧٦هـ): انظر ترجمته واخباره في: طبقات النحويين ٢٠٠ وإنباه الرواة ٢/١٤٣ وبغية الوعاة ٢/٦٣ ونزهة الالبا ٢٠٩ ومرآة الجنان ٢/١٩١ وتهذيب الاسماء واللغات ٢/٢٨١ واللباب لابن الاثير ٢/٢٤٢ ووفيات الاعيان ١/٢٥١ ولسان الميزان ٣/٣٥٧ والنجوم الزاهرة ٣/٧٥ وتذكرة الحفاظ ٢/١٨٥ وتاريخ ابي الفدا ٢/٥٧ و تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ وشذرات الذهب ٢/١٦٩ وفهرست ابن النديم ٨٥ـ٨٦. والمنتظم ٥/١٠٢ والبداية والنهاية ١١/٤٨ وكشف الظنون في مواضع عديدة وآداب اللغة العربية ٢/١٧٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١/٢٦٠ والاعلام ٤/٢٨٠ وايضاح المكنون ١/٣٥٦، ٢/١٣٤، ١٤٦، ٥٠٦. وتاريخ ابن الاثير ٦/٦٦ وتلخيص ابن مكتوم ١٠٠ وطبقات ابن قاضي شهبة ١٧٧ـ١٧٨ والعبر ٢/٥٦ والمزهر ٢/٤٠٩، ٤٢٠، ٤٦٥. ومعجم المطبوعات ٢١١ ومعجم المؤلفين ٦/١٥٠ ومقدمة التهذيب للازهري ٧٥ وميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ وهدية العارفين ١/٤٤١ و ٢/٤.

(٢) حول مادة القلم انظر كتاب الكُتّاب للبغدادي ص٤٩ والصولي ٨٦ـ٨٧ والاقتضاب ص٨٥ـ٨٧. ومنهاج الاصابة ص١٩٥ وابن درستويه ص٩٥.

(٣) القداح: جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصَّل ويُراش.
انظر اللسان مادة [قدح]

(٤) الآية رقم ٤٤م سورة آل عمران رقم٣. وأولها: وما كنت لديهم إذ . . .

(٥) تشاحوا: تشحّى فلان على فلان إذا بسط لسانَهُ فيه، وأصله التوسّع في كل شيْ. انظر اللسان مادة [شحا]

(٦) انظر النص في منهاج الاصابة ص١٩٥.

(٧) أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي النحوي الضرير، من رجال القرن الثالث الهجري، كان مؤدبا للخليفة المهتدي بالله القتيل سنة ٢٥٦هـ. كان من أهل بغداد ثم رحل الى مصر وسكن بها وحدّث. له كتاب في الفرق. وكتاب الكُتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، الذي نشرتُهُ محققاً ببغداد في العدد الثاني من المجلد الثاني من مجلة المورد. انظر ترجمته وأخباره في مقدمة تحقيقنا للكتاب المذكور وفي نكت الهميان في نكت العميان ص١٨٢ وبغية الوعاة ٢/٤٩.

(٨) انظر النص في كتاب الكُتّاب وصفة الدواة والقلم ص٤٩.

(٩) انظر النص في منهاج الاصابة ١٩٥ وفي جامع محاسن كتابة الكتاب ١٤ وحكمة الاشراق ٧٠.

(١٠) حول البَرْي انظر: كتاب البغدادي ص٤٩ـ٥٠ والصولي ٨٦ وابن درستويه ٩٥ ومنهاج الاصابة ٢١٣.

(١١) البيت دون عزو في صبح الاعشى ٢/٤٥٥ وفي منهاج الاصابة ٢١٣.

(١٢) حول القط انظر: منهاج الاصابة ٢١٦ والاقتضاب ٨٦.

(١٣) البيت لابي النجم العجلي في ديوانه ص١٣١ وانظر تخريجه فيه ص٢٥٠ وروايته:

ضخم القذال حسن المخطّ   كأنه قُطّ على مقطّ

وابو النجم العجلي هو الفضل بن قدامة من الرُجّاز الكبار في العصر الاموي كان ينزل بسواد الكوفة. صنع شعره من القدامى ابن السكّيت والسكري، وصنّف أخباره احمد بن الحارث الخراز وضاع ذلك كله. توفي سنة ١٣٠هـ. جمع شعره من معاصرينا علاءالدين آغا وطبعه في الرياض ١٩٨١. انظر ترجمته واخباره في: الاغاني (ط. الدار) ١٠/١٥٠ وسمط اللآلي ٣٢٨ وخزانة البغدادي ١/٤٨ و٤٠٦ والمرزباني ص١٨٠ والشعر والشعراء ٦٠٣ـ٦٠٩ وابن سلام ١٤٩ـ١٥٠.

(١٤) جاء في كتاب ابن درستويه ص٩٥: وجِلفةُ القلم: من مبتدإ سِنِّهِ الى حيث انتهى البَرْي: وسِنّاه: طرفهُ المبريّ. وشقّهُ فُرْجةٌ بين سِنّيْهِ. وحرفا القلم: جانبا سِنّيْه، وَوَسطُهُ ما بينهما. وشظيَّتُهُ: طَرَفُ سِنّه الأيمن. وعُرْضُهُ: الجانبُ الأيسرُ. ووجْهُهُ: باطنُ سِنّيْه. وحَدُّهُ: مبدأ مقطِّه.

(١٥) النص في كتاب البغدادي ص٥٠.

(١٦) النص في كتاب البغدادي ص٥٠ مع اختلاف يسير.

(١٧) حول التذنيب انظر كتاب البغدادي ص٥٠.

(١٨) حول مادة الدواة انظر: البغدادي ص٤٨ والصولي ٩٨ وابن درستويه ٩٥ـ٩٦ والاقتضاب ٨٢.

(١٩) البيتان دون عزو في منهاج الاصابة ص٢٠٢. رواية الاول:

. . . تمنوها السُّجيُّ   ويبكي في . . .

ورواية الثاني: وترشفها السواني والسواقي   كما رشفت مهارقُها الدُّويّ.

(٢٠) النص في كتاب البغدادي ص ٤٨.

(٢١) الرجز في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم ص٤٨ دون عزو.

(٢٢) النص في كتاب البغدادي ص٤٨.

(٢٣) حول الليقة وإلاقة الدواة انظر: البغدادي ٤٩ والصولي ٩٩ وابن درستويه ٩٦ وصبح الاعشى ٢/٤٦٩ والمنهاج ٢٠٣

(٢٤) القول في منهاج الاصابة ٢٠٣ وروايته (لا تليق).

(٢٥) البيت دون عزو وهو مما انشده الكسائي في منهاج الاصابة ٢٠٤. وهو دون عزو ايضا في صبح الاعشى ٢/٤٦٩.

(٢٦) حكاية الاصمعي مع الرشيد انظرها في منهاج الاصابة ٢٠٤ وفي صبح الاعشى ٢/٤٦٩ وبعضها في الصولي ٩٩.

والاصمعي: عبدالملك بن قريب الباهلي (ت ٢١٦هـ): انظر ترجمته واخباره في: المتقى من اخبار الاصمعي للربعي، واخبار النحويين البصريين ٤٥ وانباه الرواة ٢/١٩٧ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٢/٣٦٣ والتاريخ الصغير للبخاري ٢٣٤. وجمهرة الانساب لابن حزم ص٢٣٤ ووفيات الاعيان ١/٢٨٨ والمعارف ٢٣٦ وكامل ابن الاثير ٥/٢٢٠ وتاريخ اصبهان لابي نعيم ٢/١٣٠

وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠ وتاريخ ابن عساكر ٢٤/ ٤١٤ وتهذيب التهذيب ٦/ ٤١٥ وطبقات القراء ١/ ٤٧٠ ومراتب النحويين ٧٤ ونزهة الالبا ١٥٠ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٩٠ وشذرات الذهب ٢/ ٣٦ والوافي بالوفيات ٦/ ٣٥٤ والفهرست ٥٥ والبغية ٢/ ١٢٢ وطبقات الزبيدي ١٨٣.

(٢٧) انظر الاقتضاب ص٨٤.

(٢٨) عند البغدادي ص٤٩: لايليق هذا الامر بصفري؛ أي: لايلصق به ولا يجتمع فيه.

قلت: وفي مجالس ثعلب ص٥٩٣. الصفر: داء في البطن، لايليق بصفري شيٌ: أي لايثبت في جوفي.

(٩) العامري، هو مجنون ليلى. والبيت في ديوانه ص٢٠٣ ورواية عجزه:

بقلبي براني الله منه للاصق.

وهو عند البغدادي ص٤٩ ورواية عجزه: منك لأليق

وانظر ترجمة المجنون (قيس بن الملوح ت٦٨هـ): في فوات الوفيات ٢/ ١٣٦ وسرح العيون ١٩٥ والنجوم الزاهرة ١/ ١٨٢ وسمط اللآلي ٣٥٠ وخزانة البغدادي ٢/ ١٧٠ والأغاني (طبعة دار الكتب) ٢/ ١ والأمدي ١٨٨ وشرح الشواهد ٢٣٨ والشعر والشعراء ٢٢٠ وتزيين الاسواق ١/ ٥٨ واخبار القضاة لوكيع ١/ ١٢٨ والاعلام ٦/ ٦٠.

(٣٠) جاء في اللسان مادة [موه]: أمْهتُ الدواة: صببتُ فيها الماء. وماهت البئرُ وأماهت في كثرة مائها. وهي تماه وتموه إذا كثُرَ ماؤها.

(٣١) في الاقتضاب ٨٤: والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال من الكرسفة كرسفت الدواة كرسفة وكرسافا.

(٣٢) حول مادة المداد انظر: البغدادي ٤٩ والصولي ١٠٠-١٠٣ وابن درستويه ٩٦ والاقتضاب ٨٤ والمنهاج ٢٠٨ والصبح ٢/ ٤٧١ واللسان [مدد].

(٣٣) رقم الآية ٢٧ مدنية - سورة لقمان - رقم السورة ٣١.

(٣٤) ٦ ك سورة الاسراء ١٧.

(٣٥) البيت للاخطل في ديوانه ص١٣٦.

والبيت في الصولي ١٠٢ وروايته: اوقدت بمداد. وهو في الاقتضاب ٨٤ وروايته:

رأوا. . . اوقدت. ومثله في اللسان [مدد]. وهو في منهاج الاصابة ٢٠٩ وروايته: أوقدت.

والاخطل: هو غياث بن غوث التغلبي. أحد عمالقة الشعر في العصر الاموي (ت ٩٠هـ) انظر ترجمته واخباره في الاغاني (ط. الدار) ٨/ ٢٨٠ والشعر والشعراء ١٨٩ وشرح شواهد المغني ٤٦ وخزانة البغدادي ١/ ٢١٩- ٢٢١ والاعلام ٥/ ٣١٨.

(٣٦) انظر الاقتضاب ٨٧.

(٣٧) حول الحبر انظر اللسان مادة [حبر] والاقتضاب ٨٤ والمنهاج ٢١٠.

(٣٨) ابن احمر: عمرو بن أحمر الباهلي (ت نحو ٦٥هـ): شاعر مخضرم اشترك في المغازي وعدّه ابن سلّام في الطبقة الثالثة من الاسلاميين، كان يكثر من الغريب في شعره. له ديوان مطبوع جمعه حسين عطوان وطبع بدمشق. انظر ترجمته واخباره في: ابن سلّام ١٢٩ والأمدي ٣٧ والمرزباني ٢١٤ والاغاني (ط. الدار) ٨/ ٢٣٤ والشعر والشعراء ١٢٩ وجمهرة اشعار العرب ١٥٨ والتبريزي ٤/ ١٢٠ وسمط اللآلي ٣٠٧ والاصابة رقم الترجمة ٦٤٦٨ وخزانة الادب للبغدادي ٣/ ٣٨ والاعلام ٥/ ٢٣٧.

(٣٩) البيت لابن احمر في منهاج الاصابة ٢١٠. وفي صبح الاعشى ٢/ ٤٧١ وروايته في الصبح: تتيه بفاحم. . . ولم أجد البيت في ديوانه صنعة الدكتور عطوان.

(٤٠) في الصبح ٢/ ٤٧١: قال ابن الاعرابي: حبره حسنُهُ، وسِبْرُهُ هيئتُهُ.

(٤١) قول الاصمعي انظره مع اختلاف يسير في منهاج الاصابة ص٢١١.

(٤٢) البيت لمُضَبّح بن منظور الأسدي، وهو من ثلاثة ابيات قالها حين حلق شعر رأس امرأته، فشكته الى الوالي فجلده وحبسه، وكان له حمار وجبّة، فدفعهما الى الوالي فَسرّحَهُ وقال البيت وبعده.

وما فعلت بي ذاك، حتى تركتها ... تقلّبُ رأساً مثل جُمعيّ عاريا
وأفلتني منها حماري وجُبّتي ... جزى الله خيراً جُبّتي وحماريا!

انظر الخبر والابيات في اللسان مادة (حبر). وانظر البيت في الصولي ١٠٤ وصبح الاعشى ٢/ ٤٧٢.

(٤٣) ابو العباس هو المبرد. والنص في منهاج الاصابة ٢١١ وفي صبح الاعشى ٢/ ٤٧٢.

• الاموي: ابو محمد عبدالله بن سعيد بن أبان الاموي. رحل الى البادية واخذ عن الفصحاء وصنف كتاباً في النوادر وآخر في رحل البيت. ردى عنه ابو عبيد المتوفى سنة ٢٢٤هـ وروى عنه ابو مسحل الاعرابي في نوادره. انظر ترجمته في الفهرست ٤٨ الانباه ٢/ ١٢٠ والبغية ٢/ ٤٣ وطبقات النحويين للزبيدي ١٩٣ والمزهر ٢/ ٤١٠-٤١١.

(٤٤) حول مادة (كتاب) انظر: البغدادي ٥٠ والصولي ١١٣ واللسان (كتب).

(٤٥) هو سالم بن دارة: واسم ابيه مسافع، وامه دارة من بني أسد، وسميت بذلك لجمالها. وهو من ولد عبدالله بن غطفان بن سعد، كان هجّاءً وهو الذي هجا ثابت بن رافع الفزاري فقال بيت الشاهد فقتل بسببه وكان قاتله زميل بن عبدمناف الفزاري القائل:

أنا زميل قاتل بن داره

وراحض المخزاة عن فزاره

وفي مقتله ضرب المثل المشهور محا السيفُ ما قال ابن دارة أجمعا.

وكان له أخ شاعر اسمه عبدالرحمن بن دارة. انظر ترجمة سالم في: الشعر والشعراء ٣١٥-٣١٦ والخزانة ١/ ٢٨٩، ٥٥٧ والاصابة ٣/ ١٦١ والاغاني

٢١/٤٩ (٢١/٢٥٤ دار الثقافة) والمؤتلف ١١٦ وفصل المقال ٢٢ والميداني ٢/١٥٤ والعسكري ٢/٢١٧ والسمط ٦٨٨، ٨٦٢ وشرح التبريزي ١/٢٠٥.

(٤٦) البيت لسالم بن دارة في الشعر والشعراء ٢٣٧ وكامل المبرد ٤٨١ وخزانة الأدب ١/٨٥٥ ونهاية الارب ٣/١٦٢ والاقتضاب ٥٠ ووهم الصولي إذ نسبة للفرزدق في ادب الكتاب ص١١٣.

(٤٧) المُرَقِّش الأكبر: عمرو بن سعد. شاعر جاهلي من العشاق الشجعان ولد باليمن ونشأ بالعراق وكان من كتاب الحارث ابي شمر الغساني وهو عم المرقش الاصغر توفي نحو سنة ٧٥ قبل الهجرة. انظر ترجمته في المصادر التالية: الاغاني (ط. الدار) ٦/١٢٧ والمرزباني ص٤ والشعر والشعراء ١/٢١٠-٢١٣ وخزانة البغدادي ٣/٥١٥.

(٤٨) البيت للمرقش في الاقتضاب ٩٣ وروايته: الدار قفر...

قال البطليوسي: وبهذا البيت سُمّي مُرَقِّشاً.

وهو له في الشعر والشعراء ص٢١٠.

(٤٩) انظر اللسان مادة (ذبر) و (زبر) والاقتضاب ٩٢.

(٥٠) انظر ترجمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت نحو ٨٠ق. هـ) في الاغاني (طبعة دار الكتب) ٩/٧٧ وتهذيب ابن عساكر ٣/١٠٤ وشرح شواهد المغني ٦ وجمهرة اشعار العرب ٦٤ والزوزني ٢ والشعر والشعراء ٣١ وخزانة البغدادي ١/١٦٠ و ٣/٦٠٩-٦١٢ وصحيح الاخبار ١/٦ و ١٦-١٠ وطبقات ابن سلام ٤٤ ودائرة المعارف الاسلامية ٢/٦٢٢ والاعلام ١/٣٥٢.

(٥١) البيت في ديوان امرئ القيس (ط ابو الفضل ابراهيم) ص٨٩.

(٥٢) ابو ذؤيب: خويلد بن خالد الهذلي (ت نحو ٢٧هـ): شاعر فحل مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام، اشترك في فتح افريقية وعاد مع عبدالله بن الزبير فلما كانوا بمصر مات ابو ذؤيب فيها. وهو أشعر هذيل.

انظر ترجمته واخباره في: شواهد المغني للسيوطي ١٠ والاغاني ٦/٥٦ ومعاهد التنصيص ٢/١٦٥ والآمدي ١١٩ والتبريزي ٢/١٤٣ والشعر والشعراء ٢٥٢ وخزانة البغدادي ١/٢٠٣ و ٢/٣٢٠ و ٣/٥٩٧ و ٦٤٧. والكامل لابن الاثير ٣/٣٥ والاعلام ٢/٣٧٣.

(٥٣) رواية البيت في ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب ـ ص٦٤.

... يزبرها الكاتب الحميري.

وروايته في «شرح أشعار الهذليين صنعة السكري ١/٩٨.

يذبرها الكاتب الحميري.

وذبرت الكتابَ وزبرتُه: قرأته. وكتبتُه.

والذبر: القراءة الخَفيّة بلغة هذيل ـ انظر اللسان مادة ذبر ـ

(٥٤) الآية ٩ ك سورة المطففين رقم ٨٣: وأولها: «وما ادراك ما سجين».

(٥٥) البيت في اللسان مادة [رقم] دون عزو. وروايته: في الماء... على بعدكم قلت: ولعل كلمة (ناركم) محرفة، وصوابها: نأيكم.

(٥٦) حول المط انظر: اللسان مادة (مطط).

(٥٧) حول التطليس انظر اللسان مادة (طلس) إذ جاء فيه:

الطِّلْسُ: كتابٌ قد مُحِيَ ولم يُنْعَمْ مَحْوُهُ فيصير طِلْساً. واذا محوت الكتاب لتفسد خطَّه قلت: طَلَسْتُ، فاذا أنعمتَ محوه قلت: طَرَسْتُ ويقال: اطّلِس الكتابَ أي امْحُهُ، وطَلَسْتُ الكتابَ أي محوتهُ.

وذئبٌ أطْلَسُ: في لونه غُبرةٌ الى السواد.

(٥٨) الترميد: جعل الشيْ في الرماد. انظر اللسان مادة (رمد).

(٥٩) القرطاس: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها. انظر اللسان (قرطس).

(٦٠) حول السحاة انظر: البغدادي ٥٣ والصولي ١٢٥ وابن درستويه ٩٧-٩٨ ومنهاج الاصابة ٢٤٣-٢٤٤، واللسان مادة (سحا).

(٦١) حول التراب انظر: ابن درستويه ٩٧ والمنهاج ٢٤٣ واللسان (ترب). وفي اللسان ما نصه: «وقال ابن بُزُرج: كلُّ ما يُصْلَحُ فهو مَتروبٌ، وكُلُّ ما يُفْسَدُ، فهو مُتَرَّبٌ، مشدَّد.

(٦٢) انظر الاقتضاب ص٩٤. والميشار: هو المنشار. الاشارة: هي النشارة وقال البطليوسي: «فإن جُعل عليه (أي على الكتاب بعد الفراغ من كتابته) من براية العيدان التي تسقط منه عند نشرها قال: أشَّره تأشيراً ووشَّره توشيرا ونشَّره تنشيراً لانه يقال: أشرت الخشبة ووشرتها ونشرتها وهو المئشار والميشار والمنشار ويقال لما يسقط منها الاشارة والوشارة والنُشارة والذي يصنع ذلك الآشر والواشر. وعود مأشور وموشور ومنشور».

(٦٣) حول العنوان راجع: البغدادي ٥٤ والصولي ١٤٣ وابن درستويه ٩٨-٩٩ ومنهاج الاصابة ٢٤٤-٢٤٥ واللسان مادة (عنن).

(٦٤) شاعر الرسول (ﷺ) (ت ٥٤ هـ): مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام كان من المعمرين. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢/٢٤٧ والاصابة ١/٣٢٦ وابن عساكر ٤/١٢٥ ومعاهد التنصيص ١/٢٠٩ وخزانة البغدادي ١/١١١ وذيل المذيل ٢٨ والاغاني (طبعة الدار) ٤/١٣٤ وشرح الشواهد ١١٤ وابن سلّام ٥٢ والشعر والشعراء ١٠٤ ونكت الهميان ١٣٤ والاعلام ٢/١٨٨.

(٦٥) البيت بروايته في شرح ديوان حسان ص٤١٠ ـ طبعة عبدالرحمن البرقوقي ـ القاهرة ١٩٢٩. وهو لحسان في التاج واللسان مادة (عتن). وهو لحسان في البغدادي ٥٥ والصولي ١٤٣. ونسبة ابن درستويه ص٩٩ وهماً الى عمران بن حطان.

(٦٦) حول الطين انظر: البغدادي ٥٤ والاقتضاب ٩٨ والمنهاج ٢٤٤ واللسان (طين).

(٦٧) البيت دون عزو في منهاج الاصابة ٢٤٤. وروايته: أعن الكتاب...

(٦٨) حول الخاتم انظر: البغدادي ٥٤ والصولي ١٣٩ والبطليوسي ٩٦ وابن درستويه ٩٨ والزفتاوي ٢٤٦ واللسان مادة (ختم).

(٦٩) البيتان لعبدالله بنِ أيوب التيمي (ت٢٠٩هـ): شاعر عباسي مدح الأمين والمأمون وغيرهما. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/٤١١ والنجوم الزاهرة ٢/١٨٩ والاعلام ٤/١٩٩.

وهما له في منهاج الاصابة ٢٤٦. ورواية عجز الثاني: عند عواقب.

(٧٠) البيت دون عزو في منهاج الاصابة ٢٤٦. وروايته: يكسّب الأثاما.

(٧١) انظر اللسان مادة (قرأ).

(٧٢) الآية رقم ١٨ك سورة القيامة رقم ٧٥.

(٧٣) في اللسان مادة (قرا): البعير يقري العلف في شِدقه أي يجمعه.

(٧٤) عمرو بن كلثوم التغلبي: شاعر جاهلي من اصحاب المعلقات. قتل الملك عمرو بن هند وساد عشيرته وعُمّر طويلا، وتوفي نحو سنة ٤٠ ق. هـ. انظر ترجمته وأخباره في: الاغاني (ط. الدار) ١١/٥٢. وسمط اللآلى ٦٣٥ والمحبر ٢٠٢ وخزانة البغدادي ١/٥١٩ والشعر والشعراء (ط احمد محمد شاكر) ١/٢٣٤ والمرزباني ص٦-٧.

(٧٥) البيت له في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٣٧٩ برواية مختلفة. وقد وردت روايتنا عنده عن أبي عبيدة في الشرح المذكور ص٣٨٠. لم تقرأ: أي لم ترم بجنين.

(٧٦) في اللسان مادة (قرا): المِقراة: الحوض العظيم يجتمع فيه الماء. أو إناء يجمع فيه الماء.

(٧٧) في اللسان مادة (قرا): القرية: المصرُ الجامعُ.

(٧٨) حول الديوان انظر: البغدادي ٥٦ وعيون الاخبار ١/٥٠ والمعّرب ٢٠٢ والصولي ١٨٧ وصبح الاعشى ١/٩٠ والتاج ٩/٢٠٤ واللسان (دون) ومقدمة ابن خلدون (طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر) ص٢٤٣.

وفي هامش المعّرب ص٢٠٢ ما نصه: نقل الشهاب (ص٩٤) عن المرزوقي في شرح الفصيح قال: هو عربي من دونت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها، لانه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون، هذا هو الصواب، وليس مُعَرّباً.

(٧٩) انظر رواية الاصمعي في البغدادي ص٥٦

(٨٠) حول التاريخ انظر: البغدادي ٥٥ والصولي ٧٨ وابن درستويه ٧٩-٨٠ والاقتضاب ١٠٢ والمنهاج ٢٤١ - ٢٤٢ وادب الكاتب ٥٠٤ واللسان مادة (أرخ) ومادة (ورخ).

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



مقالة
يحيى بن ماسويه في الجنين وكونه في الرحم

تحقيق
محمود الحاج قاسم محمد

طبيب اطفال ـ الموصل

يوحنا بن ماسويه/ (١)

هو ابو زكريا يوحنا بن ماسويه ولد سنة ١٦١هـ/٧٧٧م في جند يسابور يوم كان ابوه يعمل صيدلانياً في بيمارستانها. أصل ابيه من خورستان وامه صقلبية.

تعلم اللغة العربية والسريانية. وقرأ الطب على اساتذة بيمارستان جند يسابور. اغرته شهرة بغداد فارتحل اليها، وتزوج ابنة عبد الله الطيفوري الطبيب. واصبح في سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م رئيسا لبيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها. وهو اول واحد يشغل هذا المنصب.

وكان ابن ماسويه شغوفا بقراءة المخطوطات في العلوم الطبية عامة وكتب التشريح بصفة خاصة. كما عمل بتشريح القردة ليعرف منها ما يدعم اراءه عند التعليق على اراء جالينوس في هذا الموضوع. ومفردات كتبه تبدو من عناوينها انها من صنع يده، لاترجمة لكتب غيره من المؤلفين، والارجح انه لم يكن يعرف اليونانية، او لم يكن يحسنها على ما تقتضيه الدقة العلمية في الترجمة، فكان يوكل الترجمة الى حنين بن اسحاق في ذلك

اما رئاسته لبيت الحكمة وعلى اعمال الترجمة فيها فكانت ادارية اكثر مما كانت تدخل في اعمال الترجمة. والجدير بالذكر ايضاً ان كثيرا من كتب ابن ماسويه كانت بكرا بعناوينها ومضامينها مثل (الماليخوليا، الجذام، وكتاب العين، ومحنة الاطباء وغير هذه) ثم خطا على مجراها المؤلفون العرب بعد ذلك.

توفي يوحنا بن ماسويه في سامراء سنة ٢٣٤هـ/٨٥٧م اثناء خلافة المتوكل على الله، ومن اشهر تلاميذه حنين بن اسحاق العبادي. اما الكتب التي تنسب اليه فهي في حدود ٤٥ كتابا اهمها:

١ ـ كتاب العين ويعرف بدغل العين/ وهو اول كتاب عربي وضع بهذا الموضوع.

٢ ـ نوادر الطب او الفصول الحكمية والنوادر الطبية.

٣ ـ كتاب في الجذام.

٤ ـ كتاب الحميات.

٥ ـ كتاب محنة الطبيب.

٦ ـ مقالة في الجنين وكونه في الرحم (موضوع هذا البحث).

وصف المخطوطة:

النسخة الخطية التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه المخطوطة هي نسخة مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٣٢١٢. ورقمه حسب فهرس مخطوطات الطب والصيدلة في مكتبة المتحف العراقي للاستاذ اسامة النقشبندي هو (٦٩٤).

النسخة جيدة تقع ضمن مجموع كتب سنة ٦٣٥هـ ـ ١٢٣٧م.

رتبها ابن ماسويه على شكل فصول (عددها٨). عدد صفحاتها - ٨صفحات (٢١×١٦,٥سم)، عدد الاسطر = ١٥ سطر.

عيوب المخطوطة

١ - ناقصة من الوسط قليلا، كما وان هناك نقص في بعض الكلمات والجمل بشكل متفرق مما جعل ارباكا في فهم بعض الفقرات.

٢ - استعمل ابن ماسويه كثيرا من الرموز بدل الارقام وجاءت رموزه في الغالب متشابكة وغير واضحة ولولا مساعدة الاخ الخطاط الاستاذ يوسف ذنون لما استطعت حلها لذا لابدلي من تسجيل خالص الشكر والامتنان له.

القيمة التاريخية للمخطوطة

١ - لهذه المقالة اهمية تاريخية من حيث كونها اول مؤلف مستقل في علم الاجنة باللغة العربية.

٢ - على الرغم من ان هذه المقالة مقتبسة في مجموعها عن كتاب الاجنة لابقراط واراء جالينوس وبولس الاجيني [٢] وغيرهم من اليونانيين الا ان لها اهمية بالنسبة لتاريخ الطب وذلك لانها حفظت لنا بعض الخطوط للمعتقدات في علم الاجنة العائدة لاواخر العصور القديمة والتي لم توثق في المصادر الطبية الاغريقية المتوفرة الان.

القيمة العلمية للمخطوطة

يتناول ابن ماسويه في هذه المقالة الامور المتعلقة بالجنين، تكونه، تطوره، وتمام خلقته، وولادته واهم هذه الامور هي /

١ - كون الجنين يخلق من اجتماع نطفة الرجل ونطفة والمرأة في الرحم.

ان مساءلة مساهمة كل من الرجل والمرأة في مسألة التناسل كان مدار نقاش في علم الاجنة اليوناني حيث رأى مجموعة من العلماء بان دور المرأة لايقتصر على تهيئة المكان الملائم للجنين فحسب بل تقوم بجانب ذلك بتهيئة التغذية له ايضا. بينمارفض اخرون فكرة اشتراك الجنسين في افراز النطفة.

حتى كان القرن الثالث قبل ولادة المسيح (ع) حيث أكد المشر السكندراني هيروفلس [٣] ان عمل المبيضين مناظر لعمل الخص في الرجل وان نطفة المرأة تنتقل من المبيض الى الرحم عبر انابيب الرحم التي تقابل قناة المني في الرجل.

يؤكد ابن ماسويه في بداية رسالته بان اول ابتداء الانسان نطفتا يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة. وان النطفة في الجنسين غ متساويتين وان نطفة الرجل غليظة مجتمعة ونطفة المرأة دقيق كنطفة الخصي.

٢ - تكون اعضاء وجنس الجنين وحركته/

يقول ابن ماسويه بان النطفة تتغير في الرحم وذلك بعد ٢٤ ساع من وقوعها فيه، حيث تنتفخ وينشق وسطها وذلك الانشقا علامة السرة لان السرة اول مايخلق في الجنين لذا كان اغتذ الجنين في السرة ثم يتلوها من الخلقة القلب لانه منه يكون الحي وهو ينبوع الحرارة الطبيعية ومغربها. ثم يتلوها الدماغ والفق لانه به يكون الحركة والحس وبقية الاغشية ثم يتطرق اليه بالتفصيل.

يكاد يجمع الاطباء اليونانيون والفلاسفة الطبيعيون على ان الذك يتكون أسرع من الانثى، والاعضاء الجنسية تظهر مبكرا ولكنه يختلفون بالنسبة للفترة التي يكتسب كل جنس فيها صفت الانسانية/

ارقام ابن ماسويه لفترة تكون الجنسين مثل ماجاء عن ابقراط في كتاب الاجنة ثلاثون يوما للذكر واربعون للانثى ويعلل ابن ماسويه سبب هذا الاختلاف في كون الذكر يشبه نوع باعتباره الجزء الفاعل في الحياة.

وفيما بعد يبين إبن ماسويه بأن هناك إختلاف بين الجنين الذكر والأنثى بالنسبة لأبتداء الحركة فالجنين يتحرك عند تما ثلاثة اشهر بينما وقت تحرك الجنين الانثى عند تمام اربعة اشهر ويعلل سبب ذلك بزيادة حرارة الذكر.

٣ - التعداد الحسابي لعلم الاجنة

في العصور اليونانية القديمة لم يكن الاهتمام بالتناسل وتكون الجنين كظواهر اساسية للحياة من اختصاص الاطباء فحسب وانما عني الفلاسفة الطبيعيون بذلك ايضا.

ولما كانت التغيرات الحاصلة داخل الرحم غير ظاهرة للعيان والمعلومات التجريبية عن تطور الجنين (المبنية على مشاهدة وفحص حالات الأسقاط) محدودة، والنتائج المأخوذة في حالات نادرة من تشريح الحيوانات الحوامل في هذا الباب لايمكن نقلها الى الانسان لاختلاف اطوال مدة الحمل. لذا ومن اجل الوصول الى الفهم العقلي الشامل لتطور ادوار نمو الجنين ومواعيد الولادة استعاض الاكاديميون من الاطباء والطبيعيين عن ذلك النقص بالتأمل والاستنتاج النظرى بالقياس والمقارنة. الا انهم اختلفوا وتخبطوا في ذلك فمنهم من اكد بأن ذلك يكون بفعل تحرك القمر وتأثير تفسير حسابات الاشهر القمرية وآخرون قالوا بانه يكون بفعل تحرك الشمس وتغير حسابات الاشهر الشمسية وجماعة ثالثة قالوا بانه يكون بتأثير قوة ايام الاربعين وادوار الاربعين (٤) او السوابيع. وهكذا نجد بان الخاصية الرئيسة لبدايات علم الاجنة الاغريقي كان محاولة لتثبيت الحقائق القليلة لهذه الادوار والتي اكتشفت عن طريق المقارنة بالكائنات الحية الاخرى في شكل حسابي.

وكما يتوقع من تجاربهم المحدودة ومحتوى البراهين السابقة فان غالبية هذه الاسس كانت بعيدة عن الحقيقة كثيرا.

وفي العصر الهيليني زال الاهتمام بالبيانات العددية للحمل. حيث ادرك الاطباء منذ ذلك الحين نتيجة للمتغيرات الفردية بالنسبة لاطوال مدة الحمل بان المعلومات التجريبية المتوفرة لديهم غير كافية لتفسير تعداد حسابي صحيح وعام لعلم الاجنة. في العهود المتأخرة من العصور القديمة دمج المؤلفون النظرية الحسابية للفيثاغورية الجديدة والخاصة بالسلم الموسيقي وإيقاعاته مع المعارف الطبية تمشيا مع الافكار الحسابية التي كانت مهيمنة في ذلك العصر (٥) وان ظهور مسألة الاعداد والارقام ثانية في المختصرات الطبية البيزنطية والتي احتوت كل المعتقدات القديمة خير دليل لما نقول.

وعندما فتح العرب نوافذهم على التعلم من اليونانيين وغيرهم نعثر في كتبهم الطبية العربية على نوع من الاهتمام لحسابات الدور الجنيني.

في الحقيقة رسالة ابن ماسويه هذه تعطي فكرة جيدة عن هذا النمط الذى برز في الادوار الاسلامية الاولى بالنسبة لعلم الاجنة حيث يبحث فيها بشكل موجز عن فسلجة علم الاجنة معتمدا على رسالة ابقراط في الجنين ورسالة جالينوس في المني ومصادر اخرى. ان اكثر من نصف الرسالة خصصها ابن ماسويه لفترة الحمل وقد استند في تفسيره لتطور الجنين على التعداد الحسابي حيث اقتفى اثر ابقراط فقسم ادوار تطور الجنين الى ثلاثة ادوار هي/

الدور الاول/ في بداية الحمل وحتى تمام الصورة.
الدور الثاني/ حتى بداية الحركة.
الدور الثالث/ حتى الولادة.

وحدد ابن ماسويه مدة كل دور من هذه الادوار بالنسبة للاجنة وذلك باجراء عملية تضعيف الرقم ٧ بالنسبة لحمل السبعة اشهر والرقم ٨ بالنسبة لحمل الثمانية اشهر والرقم ٩ بالنسبة لحمل التسعة اشهر والرقم ١٠ بالنسبة لحمل العشرة اشهر. وتجدر الاشارة هنا الى ان ابن ماسويه بالنسبة للدور الاول لم يتقيد بآراء ابقراط بل حور فكرته وذلك بتقسيمه هذا الدور الى اربعة مراحل محددا عدد الايام لكل مرحلة بالنسبة للحمل (٧، ٨، ٩، ١٠ اشهر) وهذه المراحل هي/
(١ ـ مرحلة شبه الرغوة، ٢ ـ مرحلة شبيه الدم، ٣ ـ مرحلة مضغة اللحم، ٤ ـ مرحلة تمام الصورة ـ او التشكل ـ) نورد فيما يلي جدولا اوجزنا فيه مراحل تطور الجنين حسب اشهر الحمل وحسب ماجاءت في هذه المخطوطة.

مراحل تطور الجنين حسب اشهر الحمل

شهور الحمل	٧اشهر	٨اشهر	٩اشهر	١٠اشهر
شبيهة الرغوة	٦	٦	٦	٦
شبيه الدم	٨	١٠	٩(٦)	٨
مضغة اللحم	٩	٩	١٢(٧)	١٢
الصورة التامة (التشكل)	١٢	١٥	١٨	٢٤
مجموع تمام الصورة التشكل	٣٥	٤٠	٤٥	٥٠
تحرك الجنين ×٢	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠
الولادة ×٣	٢١٢ (٨)	٢٤٠	٢٧٠	٣٠٣(٩)

واخيرا لابد من القول بان الاطباء الذين جاءوا بعد ابن ماسويه من امثال الرازي والمجوسي والبلدي وغيرهم على الرغم من اعطاءهم اهمية للناحية الفسلجية لعلم الاجنة الا انهم لم يتخلوا عن هذه المسائل الحسابية حيث جاء ذكر ذلك عرضيا في كتبهم وقد اسهبوا في ذكر التعليلات لمقولاتهم، الا أن جميع ماذكروه في هذا الميدان كان بعيدا عن الحقيقة.

نص المخطوطة.

صفحة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالة يحيى بن ماسويه في الجنين وكونه في الرحم

قال/ ان اول ابتداء الانسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة.

نطفة الرجل غليظة مجتمعة ونطفة المرأة دقيقة كنطفة الخصيّ وان النطفة التي يكون منها الجنين تسمى باليونانية القوى، وكذلك الخصي لاتسمى بهذا الاسم لانه (لا) (١٠) يكون منها جنين.

ويكون الانسان من نطفة الرجل ونطفة (١١) المرأة المعدة لها سبعة ايام ثم تغتذى بعد ذلك بدم الحيض، والعلة بتغذيها بنطفة المرأة الايام قبل تغذيها بدم الحيض انها تضعف عن هضم الدم والقوة عليه فكانت نطفة المرأة غذاها لمفارقتها في المزاج منها ويجتمع لها قوة معدتها بها تقوى بها على التغذي بدم الحيض وهضمه. وللجنين ثلاثة اغشية تشمل عليه فيركب الظاهر منها وهو المشيمة من الاوراد والعروق.

صفحة (٢)

ثلاثة غشايا في مستطيل يسمى باليونانية الطواندس ويلي الثاني غشاء ثالث يسمى اميوس فاما الغشاء الثاني فتأول اسمه اللفايفي لانه مستطيل.

فعله كون المشيمة للجنين ان فيها مجاري تودى اليه غذاه من السرة لسبب في غيرها من الاغشية وعلة الغشاء الثاني انه القابل لما ينحدر من بول الجنين وعلة الغشاء الثالث انه القابل لما ينحدر من عرق الجنين.

فصل/ ووقت تمام خلق الجنين اذا كان ذكرا ثلاثون يوما وان كان انثى فاربعون يوما وعله إفتراق الوقتين لهما فصيرت الاربعين يوما للانثى ان من شأن الهيولى القابلة المفعول بها غير فاعلة وكانت الانثى في كل شكل ذلك من الصفة في انها مفعول بها اذا ساوتها فيما وصفناوصير للذكر العدة التي هي ثلاثون الذى لاينقسم على اقل عدد على الضم لان الصورة غير قابلة لما فعله الهيولي وانها الفاعلة وان الرجل في مثل وصفها فيما ذكرناه.

فصل/ وقد اعتل بودحورس فيما وصفنا من اقتران الوقتين للجنين.

صفحة (٣)

فان قالوا ان عدة العشرة من عدد تام جامع لجمع الاعداد وان اقل اعداد الاجزاء الثلاثة فاقل عدد الازواج أربعة فان اردت اخذ اقل شكل هو اقل عدد الافراد من العشرات الذى هو العدد التام كان ثلاثين فجعل ذلك للذكر لتقدمه على الانثى ان كان اقل اعداد الافراد متقدما لاول عدد الازواج وكان الذكر متقدما الانثى.

ووقت تحرك الجنين الذكر في الرحم عند تمام ثلاثة اشهر ووقت تحرك الجنين الانثى عند تمام اربعة أشهر اذا استحق في الرحم الوقت التام من استحيائه فان استحيائه في الرحم اقل من ط (١٢) اشهر وكان وقت التحرك للذكر والانثى عند تمام ثلث الوقت لكل واحد منهما. وعلة تقدم تحرك الجنين الذكر والانثى عند تمام ثلث الوقت لكل واحد منهما، وعلة تقدم تحرك الجنين الذكر على الانثى عند تمام الوقت واحد منهما ان الذكر اكثر حرارة رطبا من الانثى فصار تقدمه في التحرك لزيادة حرارته وفضلها على حرارة الانثى والعلة التي فسرنا.

فصل/ من المني ثلاثة ضروب مختلفة طبايعها فأحدها ان يكون تمام الخلقة السليمة من وقت الاستحيان في سبعة اشهر والضرب الثاني ان يكون تمام الخلقة السليمة من وقت الاستحيان في تسعة اشهر والضرب الثالث ان تتم به الخلقة السليمة من وقت الاستحيان في عشرة اشهر فان تكون تمام الخلقة السليمة في

وقت غير من الاوقات الثلاثة لان مايقصر من الوقت عن التمام اتلفته الافة بالنقصان . وكذلك حال المني التي من طباعه تمام الخلقة في ط اشهر اذا كان ناقصا عنها وكان استحيانه ٨ اشهر لم يخرج سليما لنقصانه عن تمام الوقت السليم الذى هو ط .

فصل/ فان قال قايل لم كانت هذه الاوقات ٣ يتم بها الخلقة فيخرج الجنين بها ولم يكن ذلك في غيرها قلت ان اتم الاعداد عشرة فمن عددها عدد مولد لامولد وهو الخمسة المولدة للعشرة وليست متولدة من عدد مثلها ومنه يتولد ويتولد كالاربعة المتولدة من الاثنين .

صفحة (٥)

المولدة الثمانية ومنه لامتولدة ولامولد كالسبعة التي ليست متولدة من عدد مثلها ولا مولدة لعدد مثلها داخل في العشرة التي ليست متولدة من عدد مثلها ولامولدة لعدد مثلها داخل في العشرة التي هي اتم الاعداد وذلك لا ماجاوز العشرة وتضعيف قلما كانت السبعة خارجة كما في الامرين اللذين وصفنا كانت لها به فضيلة عليها اذ هي جامع الاعداد لما كانت بالجنين وتمامه به وتمامه بها صحته .

فصل/ وان اول الاعداد الفرد الذي هو المتقدم على النوع لتقدمه على الثلاثة فلما كانت ط قابلة لتضعيف ثلاثة متولدة منها على الفردوية كاف لها من الفضيلة مالثلاثة من الفضيلة قلما اخصت به من ذلك كان به الوقت السليم من الافة للجنين

فصل/ وان العشرة اشهر لها من الفضلة كمال اتم الاعداد فخصت لذلك بسلامة الجنين وعدم الافة فيه وعلة ظهور الجنين عند كماله ان يكبر عن القدر الذي كان يكتفي معه بما يجده من الغذا فيحتاج الى اكبر ممايجد المادة

صفحة (٦)

لكفايته فيخرج للحاجة الى ذلك الاضطراب لطلب الكفاية من الغذاء فيتولد باضرابه بقطع الرباط الممتد له في الرحم فيخرج عن البطن كالطير الذي يضطرب في بيضته عند كمال خلقته وقلة كفاية مادته من الغذاء فيخرجه ذلك الى الطلب له فيكسر البيضة منه باضطرابه به فيظهر عند ذلك .

فصل/ منه اخر وقد قال بعض الحكماء في تلين وتغير النطفة في الرحم قولا ان النطفة تتغير في الرحم عن بديها وذلك بعد لحد ساعة يمضي لها من الوقت وقوعها فينتفخ وينشق وسطها وذلك الانشقاق علامة السرة لان السرة اول مايخلق في الجنين لذا كان اغتداء الجنين من السرة ثم يتلوها من الخلقة القلب لانه منه يكون الحياة وهو ينبوع الحرارة الطبيعية ومغربها . ثم يتلوهما الدماغ الفقار لانه به يكون الحكة والجنين وجمهور الصرف في ساير الاعضاء عضوا اولا(فافلاً) (١٣) وأن الجنين الذي يولد في سبعة أشهر تصير النطفة .

صفحة (٧)

التي فيها يكون شبيهة بالرغوة الى اليوم السابع منذ وقت وقوعها في الرحم ثم يصير شبيهه بالدم ٨ ايام بعد ٧ الماضية ثم تصير شبيه بالدم ثمانية ايام بعد ٧ الماضية ثم تصير بمضغة اللحم ٩ ايام بعد ٨ الماضية ثم يتم صورته بعد (١٤) يوما تاتي بعد ماذكرنا من العدد الماضي فجمله العدد كله ٣٥ ويمكن تحرك الجنين بعد ٧ (١٥) يوما من وقت وقوعه في الرحم ويولد بعد ٢١٢ ايام وهي ٧ اشهر فان الجنين الذي يولد في ٨ اشهر ثمانية شبيهه بالرغوة الى اليوم ٧ من يوم وقوعه في الرحم ثم تتحول رغوة فتصير شبيهة بالدم بعد عشرة ايام تأتي بعد ستة الماضية ثم يحول الدم فيصير شبيها بالمضغة بعد تسعة ايام يأتي ١٠ (١٦) ثم ينقلب الى حال الهدر بعد كه (١٧) يوما الى ماذكرنا من كل العدد وجملة العدد باسره (١٨) يوما ويكون تحركه بعد ف (١٩) يوما من وقت وقوعه في الرحم وتولد بعد

صفحة (٨)

عر ٣ (٢٠) وهي ثمانية (٢١) اشهر وان الجنين يولد لتسعة اشهر يصير نطفة شبيهة بالرغوة ايضا بعد ست ايام من وقت وقوعه في الرحم ثم يحول الرغوة فتصير شبيهة الدم بعد تسعة ايام ثم تحول، (٢٢) ذلك الشبه بالدم فيصير كمضغة اللحم بعد ٧ (٢٣) ايام تأتي بعد تسعة و٦ ثم يتصور بعد لج (٢٤) يوما يأتي بعد ماذكرنا من الجملة وجملة ذلك كله مه (٢٥) يوما ويكون تحركه بعد ص (٢٦) يوما ويولد بعده ٧ (٢٧) وهي تسعة اشهر .

وإن الجنين الذي يولد في الشهر العاشر تصير نطفة شبيهة بالرغوة بعد ٦ أيام من وقت وقوعه في الرحم ثم تحول الرغوة فتصير شبيهة بالدم بعد (٢٨) ايام تأتي بعد ٦ الماضية ثم تحول الشبيهة بالدم لتصير كمضغة اللحم بعد يوما يأتي بعد ٦ و٨ ثم ينتقل الى حال الصورة بعد كم يوما يأتي بعد ماذكرنا من العدد كله ن (٢٩) يوما ويكون تحركه كله بعد ٣٠٣ .

المصادر والهوامش

(١) للمزيد من التفصيل حول ترجمة حياته يراجع كتاب مختصر تاريخ الطب - للدكتور كمال السامرائي الجزء الاول ص٤١٦ - ٤٢٧ حيث او جزنا منه هذه الترجمة. وكتاب (الطب العربي) للدكتور أمين اسعد خير الله (بيروت ١٩٤٦ - ص١٢٧) بشأن تاريخ ولادته.

(٢) ابقراط/ اشهر اطباء اليونان. ولد في قوص سنة ٤٦٠ ق. م وتوفي سنة ٣٥٧ ق. م. اول من نادى بعزل الطب عن السحر واول من اتخذ مكانا لمعالجة المرضى (مستشفى) لم يحتكر الطب على نسله ووضع قسمه المشهور. كتبه لاتزيد عن الثلاثين كتابا.

جالينوس/ طبيب يوناني ولد في اسيا الصغرى سنة ١٣١م تعلم الطب في مسقط راسه واتمه في الاسكندرية. اشهر اعماله كانت في التعليق على افكار ابقراط وكتبه. وفي التشريح. نقل حنين بن اسحاق اكثر كتبه الى العربية زمن المأمون. توفي سنة ٢٠١م.

بولس الاجيني/ طبيب يوناني. عاصر صدر الاسلام وربما ادرك بعض الاطباء العرب. عرف بينهم جراحا وخصوصا بالامراض النسائية فلقبوه القوابلي. له مؤلفات نقلت الى العربية.

(٣) هيروفلس/ (حوالي ٢٨٠ق.م) اصله من اليونان استقدمه بطليموس ليعمل في مختبرات الموسيون وكان اكثر اشتغاله بالتشريح وسمي بابي التشريح لانه كان اول من شرح جسم الانسان.

(٤) للاطلاع على تفاصيل ذلك يمكن الرجوع الى كتاب تدبير الحبالى والصبيان وحفظ صحتهم لاحمد بن محمد البلدى ومن تحقيقنا. ص١١٤ - ١١٩.

(٥) لمعرفة التفاصيل يمكن الرجوع الى مقالة الدكتورة اورسولا وايزر - علم الاجنة ليوحنا ابن ماسويه (باللغة الانكليزية) Weseer — ursula the Embruology of yuhanna ibn Masawaih مجلة تاريخ العلوم العربية - المجلد الرابع ١٩٨٠ جامعة حلب معهد احياء التراث العربي.

(٦) اضفنا هذا الرقم ليتماشي مع السياق، انظر الهامش (١٧).

(٧) غيرنا هذا العدد لاضطراب النص والذي يؤيده الجمع.

(٨) جاء هذا الرقم عند الدكتورة اورسولا- البحث السابق (٢١٠).

(٩) جاء هذا الرقم عند الدكتورة اورسولا- البحث السابق (٣٠٠).

(١٠) كلمة (لا) اضفناها لان المعنى لايستقم بدونها.

(١١) كلمة (ونطفة) مكررة هنا.

(١٢) ط=٩

(١٣) كلمة غير مقروءة هكذا في الاصل.

(١٤) يب = ١٢.

(١٥) ٧. = ٧٠.

(١٦) = = ١١.

(١٧) كه = كه = ٢٥.

(١٨) ج = م = ٤٠.

(١٩) ف = ف = ٠٨٠

(٢٠) مر ٣ = ٢٤٠.

(٢١) في الاصل تسعة والصحيح كماذكرناه وهو ثمانية لان الكلام هو عن جنين الثمانية اشهر.

(٢٢) الجملة (الرغوة فتصير شبيهة الدم بعد تسعة ايام فيتحول) ناقصة في النص اضفناها لان السياق يتطلب ذلك ويظهر ان الناسخ قد فاته سطر نتيجة وهم وقع فيه وهو كلمة (يتحول) التي تتكرر في الموقعين.

(٢٣) نجد اضطرابا في هذه العبارة نتيجة النقص الذي حدث نتيجة التقل من قبل الناسخ كما ذكرنا في الهامش السابق.

ولهذا ورد العدد (٧) بدلا من (يب) الذي هو (١٢) ويؤيد قولنا هذا الجمع الذي اعقبه وهو (٤٥).

(٢٤) لج = ١٨.

(٢٥) مه = ٤٥.

(٢٦) ص = ٩٠.

(٢٧) ٣٧ = ٢٧٠

(٢٨) ج = ٠٨

(٢٩) ن = ٠٥٠

* * *





انشاد النابغة امام النبي صلى الله عليه وسلم*

لابي اليمن زيد بن الحسن البغدادي الكندي (٦١٣هـ)

تحقيق
د. محمد مخيمر صالح
قسم اللغة العربية/ جامعة اليرموك/ الاردن

هو العلامة تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد البغدادي ابو اليمن الكندي، شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام، ولد سنة ٥٢٠هـ. اتقن العربية عن جماعة، وقرأ على غير واحد من المشاهير وقال الشعر الجيد وحظي بمنزلة خاصة عند الملك المعظم في الشام. توفي سنة ٦١٣هـ.[1]

موضوع المخطوط وأهميته:

أوردت المصادر المختلفة[2] المتنوعة خبر لقاءٍ تمّ بين الرسول صلى الله عليه وسلم، والشاعر النابغة الجعدي، وانشد النابغة شعره أمام الرسول الكريم فأستحسنه الرسول واثنى عليه ودعا له. والمخطوط يورد جميع المعلومات والاخبار المتصلة بذلك اللقاء.

ويؤكد المخطوط ـ رغم صفحاته القليلة ـ خطأ الاقاويل التي تصف موقف الاسلام من الشعر بعامة، وموقف الرسول الكريم منه بخاصة، بالعدائية والسلبية[3]، اذ أن ماجاء في هذا النصّ يشير بوضوح تام الى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الرسول الكريم بالشعر والشعراء كالنابغة الجعدي[4] شاعر المخطوط.

وعلى الرغم من ورود مجمل معلومات المخطوط أو معظمها في مصادر مختلفة، الا انه لايوجد مصدر واحد أورد تلك المعلومات مثلما أوردها المخطوط لمؤلفه الحسن البغدادي الكندي، فقد امتاز عن غيره في كثير من الامور المهمة.

فهو قد أورد المعلومات مجتمعة بترابط وتسلسل تام، وغيره أورد أجزاء منها هنا وهناك، وماجاء عند غيره مختصاً جاء عنده كاملاً مفصلاً. وماجاء عند غيره بطريق واحد جاء عنده بطرق متعددة. كذلك فان المؤلف ـ وهذا امر مهم ـ قد وثق معلوماته من خلال سند متصل يصل الى النابغة نفسه، معتمداً في ذلك على رواة ثقاة كان كثير منهم من رواة الحديث النبوي ككريب بن حسان وابن ابي الدنيا. ومن ناحية أخرى لايوجد مؤلف قديم أفرد لهذا الموضوع كلاما خاصا او مخطوطا منفردا كما صنع المؤلف. وقد كتب المخطوط سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة.

هوامش المقدمة

(*) مخطوط في المكتبة الظاهرية رقم ٣٨٦٨.
وفي هذا المقام اقدم شكري الخالص لمدير المكتبة الذي ارسل ـ مشكوراً ـ لي صورة فوتوغرافية للمخطوط على سبيل الاهداء. وانظر: معجم ماألّف عن رسول الله صلّى عليه وسلم، صلاح الدين المنجد ص٢١٥.

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د. ت. ٥/٥٤ ـ ٥٥.

(٢) مثل: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا، احمد محمد عاشور (القاهرة، دار الشعب، د. ت. ٥/٢٩٢.
العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، تحقيق احمد امين وآخرين، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٩م)، ١/٩٥.
الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، ط٢ القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩. ١/٢١٤
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر، تح محمد علي البجاوي، مكتبة النهضة ومطبعتها، د. ت.) ٤/١٥١٦.

(٣) ذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م. ١/٥٢ ان الرسول (ص) كان شديد الكره للشعر والشعراء.

(٤) للمزيد من المعلومات عن الشاعر انظر المقدمة التي كتبها الاستاذ عبد العزيز رباح لديوان الشاعر، دمشق، ١٩٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا ابو الحسين احمد بن محمد بن احمد بن النقور اخبرنا عمر بن ابراهيم بن احمد الكتاني وابو الحسين محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز الحسين بن ... مهدي الدينار قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا يعلى بن الاشدق قال سمعت النابغة يقول انشدت النبي صلى الله عليه وسلم

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال الى اين يا ابا ليلى قلت الى الجنة قال اجل ان شاء الله ثم قلت

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك ... واخبرنا ابن النقور وابو القسم بن علي بن البسري والشريف ابو نصر محمد بن محمد بن علي الهاشمي الزينبي قالوا اخبرنا ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص واخبرنا عبد الله بن محمد الصريفيني حدثنا ابو طاهر المخلص املاء واخبرنا ابن النقور حدثنا عيسى بن علي الوزير املاء قالا حدثنا عبد الله ابو محمد بن عبد العزيز البغوي قال عيسى املاء ... حدثنا داود بن رشيد حدثنا يعلى بن الاشدق قال سمعت النابغة

عند عيسى الجعدي يقول انشدت للنبي صلى الله عليه وسلم

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال ابن المظفر يا ابا ليلى وعند عيسى ابا ليلى ثم اتفقا قلت الجنة قال اطلب ان شاء الله تعالى ثم قلت

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض فوك مرتين ... واخبرنا ابن النقور حدثنا عيسى بن علي الوزير املاء واخبرنا ابو منصور عبد الباقي بن محمد بن غالب المعروف بابن العطار الوكيل لاميري المؤمنين القائم بامر الله والمقتدي صلوات الله عليهما وعلى ابائهما وذريتهما الى يوم الدين اخبرنا ابو الحسين احمد بن محمد بن عمران بن عمرو المعروف بابن الجندي قال عيسى حدثنا ابو بكر عبد الله وقال ابن الجندي حدثنا عبد الله ثم اتفقا قالا حدثنا ابن سليمن بن الاشعث ثم اتفقا حدثنا ايوب بن الجندي املاء سنة خمس عشرة وثلثمائة ثم اتفقا

قال ابن الجندي املاء سنة خمس عشرة وثلثمائة قال عيسى العقيلي ثم اتفقا بن محمد الوزان حدثنا يعلى بن الاشدق قال ... انشدت النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت النابغة الجعدي يقول

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال عيسى فقال النبي صلى الله عليه الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة فقال ان شاء الله وقال ابن الجندي فقال الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة ان شاء الله ثم اتفقا

[النصّ المحقق]

انشاد النابغة أمام النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا ابو الحسن أحمد بن محمد أحمد بن النَّقور(١)، أخبرنا عمر بن ابراهيم بن أحمد الكناني(٢)، وأبو الحسين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الحسين ابن اخي ميمي الدقّاق(٣) قالا: حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي(٤)، حدثنا داود بن رشيد(٥): حدثنا يعلى بن الأشدق(٦) قال: سمعت النابغة يقول: أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودنا(٧) — وانّا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهرا

فقال: أين المظهر ياأبى ليلى؟ قلت: الجنة. قال: أجل ان شاء الله.

ثم قلت:

ولا خيرَ في حلمٍ لم تكن له — بوادرُ(٨) تحمي صفوهُ أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ اذا لم يَكن له — حليم اذا ماأوردَ الأمر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجدت! لايفضض الله فاك، - مرتين -.

وأخبرنا أحمد بن النقور وأبو القسم بن علي بن البسرى(٩) والشريف ابو نصر محمد بن محمد بن علي الهاشمي الزينبي(١٠) قالوا: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن هو المخلّص(١١)، وأخبرنا عبد الله بن محمد الصّريفني(١٢)، حدّثنا أبو طاهر محمد بن عبد الوهاب المخلص املاء، وأخبرنا ابن النَّقور حدّثنا عيسى بن علي الوزير(١٣) املاء قالا: حدثنا عبد الله وهو ابن محمد بن عبد العزيز البَغوي - قال عيسى املاء - ثم اتفقا، حدثنا داود بن رشيد حدثنا يَعلى بن الأشدق، قال: سمعتُ النابغة - عند عيسى: الجعدي - يقول: أنشدتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماءَ مجدنا وجدودنا — وانّا لنرجو فوقَ ذلك مظهرا

فقال: أين المظهرُ ياأبا ليلى؟ - وعند عيسى: أبا ليلى - ثم اتفقا، قلت: الجنة. قال: اجل إن شاء الله تعالى. ثم قلت:

ولاخيرَ في حلم اذا لم تكن له — بوادرُ تَحمي صفوه أن يُكَدَّرا
ولاخيرَ في جَهلٍ اذا لم يكن له — حليم اذا ماأورد الأمر أصدرا

فقال لي الرسول صلى الله عليه وسلم: أجدت لايُفْضَض فوك، مرتين.

واخبرنا ابن النَّقُور، حدثنا عيسى بن علي الوزي املاء، وأخبرنا أبو منصور عبد الباقي بن محمد بن غالب المعروف بابن العطار(١٤)، الوكيل لأميري المؤمنين القائم بأمر الله(١٥)، والمقتدي(١٦) صلوات الله عليهما، وعلى آبائهما وذريتهما الى يوم الدين. أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمران ابن عروة المعروف بابن الجُندي(١٧)، قال عيسى: حدثنا أبو بكر عبد الله وقال ابن الجندي: حدثنا عبد الله ثم اتفقا فقالا: حدثنا ابن سليمان بن الاشعث(١٨)، قال ابن الجندي املاء سنة خمس عشرة وثلاثمائة ثم اتّفقا قال: سمعت النابغة الجعدي يقول: انشدت النبي صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا — وانّا لنجرو فوق ذلك مظهرا

قال عيسى: فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى أين ياأبا ليلى؟ فقلت: الجنة. فقال: ان شاء الله. وقال ابن الجندي: فقال: الى اين ياأبا ليلى؟ فقلت: الى الجنة ان شاء الله، ثم اتفقا [ثم قلت(١٩)]

ولا خيرَ في حِلم اذا لم تكن له ... بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في أمر اذا لم يكن له ... حَليم اذا ماأوردَ الأمرُ أصدرا

قال عيسى: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: احسَنتَ ياابا ليلى، لايَفْضُض الله فاك. قال: فبلغ مائة سنةٍ وكانَ مِنْ أحسنِ النّاسِ ثَغرا. وقال ابن الجندي: فقال لي أحسنْتَ لايفْضُض الله فاك. قال: فبلغ مائة سنةٍ وكانَ من أحسن النّاس ثَغْرا.

قال: اخبرني الامام العالِم حُجَّةُ العرب تاجُ الدين شرف الاسلام ابو اليُمن زيد بن الحسن الكندي[٢٠]، أثابه الله، بقراءتي عليه في سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم اسماعيل ابن أحمد بن عمر السمرقندي[٢١] قرأه عليه أخبرنا الشيخ ابو طاهر عبد الكريم بن الحسن بن رزمة أخبرنا ابو الحسين علي وهو بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدَّل أخبرنا ابو الحسين أحمد وهو بن محمد بن جعفر الجزري[٢٢] حدثنا ابو بكر عبد الله وهوابن ابي الدنيا[٢٣]. قال: حدثني محمد بن ابي حاتم الازدي[٢٤]، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الكوفي حدثنا عبد الله بن محمد بن جندب، عن مهاجر بن سليمان عن عبد الله بن جراد [٢٥]. قال سمعت نابغة بني جعدة يقول: أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

علونا العبادَ عِفَّةً وتكرمّاً ... وانّا لنرجو فوق ذلك مظْهرا

قال: فغضِب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أين المظهرُ ياأبا ليلى؟ قلت: الجنة ان شاء الله تعالى. قال: اجل! ثم قال: أنشِدْني. فأنشدتُه من شعري:

ولاخيرَ في حِلم اذا لم تكن له ... بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهلِ اذا لم يكن له ... حَليم اذا ماأورد الأمرُ أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحسنت لايفضُض الله فاك.

قال عبد الله بن جرّاد: فان فاه البَرْدُ المنهلَ فما سَقَطت له سِنّ ولا انقلب له عِرق.

حدّثنا ابو بكر وهو ابن ابي الدنيا، حدّثني ابو العباس عبد الله العَتكي. حدثنا العباس ابن الفضل الأرزق[٢٦]. حدثنا أبو عبد الله التميمي، حدثنا الحسين بن عبد الله قال: حدّثني منْ سَمِعَ النّابغة الجعدي يقول: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته قولي:

وانّا لَقَومٌ مانُعَوِّدُ خيلَنا ... اذا ماالتَقَينا أن تَحيدَ وتنفُرا
وننكِرُ يومَ الرّوعِ «لوان» [٢٧] خيلَنا ... من الطّعن حتى تحسبَ الجَوْنَ أشقرا
وليسَ بمعروفٍ لنا أن نَرُدَّها ... صِحاحا ولا مستنكرا أن تُعَقَّرا
بَلَغنا السّماءِ مجدنا وجدودنا ... وانا لَنَبغي فوقَ ذلكَ مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلى أين ياأبى ليلى؟ قلتُ: الى الجنة. قال: نعم إن شاء الله. فلما أنشدته:

ولا خيرَ في حِلم اذا لم تكن له ... بوادرُ تحمي صفوهُ أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهْلٍ اذا لم يكن له ... حَلمٌ اذا ماأوردَ الأمر أصدرا

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لايفضُض الله فاك. قال: فكانَ مِنْ احسَنِ النّاسِ ثَغرا، واذا سقطت له ثنيةٌ نبتَت.

حدثنا ابنُ أبي الدنيا، حدّثني ابراهيم بن راشد[٢٨] حدّثنا الرُّحال بن المنذر[٢٩] حدثنا أبي عن أبيه عن كُرَيب[٣٠] عن النابغة قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء بالهدى، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايفضُض الله فاك.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: والشّعر في قصيدةِ النّابغة وليس في حَديث ابراهيم:

تَبِعتَ رسولَ الله اذ جاءَ بالهُدى	ويتلو كتاباً كالمجرَّةِ نيِّرا
وجاهدتُ حتّى ماأحسُّ ومنْ معي	سهيلا اذا مالاح ثَمَّةَ[31] غوِيّرا
وطوّفتُ في الرّهبان أعبدُ دينَهم	وسيّرتُ في الأحياءِ[32] مالم يُسَيِّرا
فأصبحَ قلبي قد سلا غير أنّني[33]	وكلُّ امرئٍ لاقٍ من الدّهر قنطرا[34]
تذكَّرتُ شيئاً قد مَضَى لسبيلهِ	ومن حاجَةِ المحْزونِ أن يَتَذكَّرا
نداماي عِندَ المنذرِ بن محرِّقٍ[35]	أرى البيدَ[36] منهم ظاهر الارضِ مُقْفِرا
كُهولا وشبَّانا كانَ وُجُوهُهم	دنانيرُ مماشِيفٍ[37] في أرضِ قَيصرا
لدى[38] ملكٍ من آلِ جفنةَ خالُه	وآباؤه آل امرئ القيس أزهرا
يَردُّ علينا كأسه وشواءه	مناصفُهُ[39] والشَّرْعَبي[40] المحبَّرا
وراحا عراقيًا وريطاً يمانيا	ومعتَبِطاً من مِسْكِ دارينَ أذفرا
أولئك اخواني مضوا لسبيلهم	وأصبَحت أرجو بعدَهم أن أعمرا[41]
وما عُمري الاّ كدعوةِ فارِطٍ	دعا راعيا ثم استمرَّ فأصدَرا

حدثنا ابن ابي الدنيا حدثنا داود بن رشيد واسماعيل[42] بن خالد قالا: حدثنا يعلى بن الأشدق قال: سَمِعتُ النابغة، نابغة بني جعدة، وهو يفتَخِر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته:

بلغنا السماء مجدُنا وثراؤنا	وانا لنرجو فوقَ ذلك مظْهرا

قال: ياأبا ليلى الى اين؟ قلت: الى الجنةِ يارسول الله. قال: صدقت.

ولاخيرَ في حِلم اذا لم تكن له	بوادرُ تحمي صفوه أن تكدَّرا
ولاخير في جهل اذا لم يكن له	حليم اذا ماأورد الأمرُ أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجدْتَ لايفضض فوك.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: وأول هذه القصيدة:

خليليّ غضّا ساعةً وتهجّرا	ولوُما على ما أحدثَ الدَّهرُ او ذرا
ألمْ تَعلَما أنَّ انصرافا بسرْعةٍ[43]	يسير احق اليومَ من أن يُقصِّرا[44]
وانْ[45] تسألا أن الحياةَ قصيرةٌ	وطِيرا لروعاتِ الحوادثِ أوقِرا
ألم تعلما ان الملامة نَفْعُها	قليلٌ اذا ماالشيْ ولّى فأدبَرا
تهيجُ اللحاء والملامةُ ثمّ ما	تقرّب شيئا عَزّ ماكان قدّرا
لوى الله عِلمَ الغيب عمّن سواءه	ويعلمَ مِنه مامضى وتأخرا
ركبتُ أمورا صعبُها وذلولها	وقاسيتُ أياماً تَشيب الحزّورا[46]

هوامش النص

(١) لقبُه البزّار محدِّث صدوق، روى عن الحربي. توفي سنة ٤٧٠ هـ.

(٢) كنيته ابو حفص، صاحب ابن مجاهد. قرأ عليه وسمع منه كتابه في القراءات وكان ثقة. توفي سنة ٣٩٠ هـ.

(٣) روى عن البغوي وجماعة، وله أجزاء مشهورة وتوفي في رجب سنة ٣٩٠ هـ. (شذرات الذهب ١٣٤/٣).

(٤) هو أبو القاسم ولد سنة ٢١٤ هـ. وكان محدِّثا حافظاً مجوِّدا انتهى اليه علم الاسناد توفي ببغداد سنة ٣١٧ هـ.

(٥) هو أبو الفضل داود بن رشيد الخوارزمي، سمع من اسماعيل بن جعفر وطبقته، وكان ثقة واسع الرواية توفي في شعبان سنة ٢٣٩ في بغداد.

(٦) يعلى بن الأشدق العقيلي وهو من التابعين ويكنى بأبي الهيثم روى عن عبد الله جراد وعن نابغة بني جعدة.

(٧) هكذا في الديوان (الشعر المجموع للنابغة) وفي جمهرة أشعار العرب «السيا مجدا وجودا وسؤددا». (٨) جمع بادرة وهي الغَضْبة السريعة.

(٩) عاش ببغداد، وكان صالحا ثقة، فهيا ورعا آجاز له ابن بطه وغيره، وكان متواضعا، توفي في رمضان سنة ٤٧٤ هـ. (شذرات الذهب ٣/٤٠٥).

(١٠) كان ثقة خَيِّرا، مسند العراق، توفي سنة ٤٧٩ هـ.

(١١) البغدادي الذهبي، مسْند وقته وكان ثقةً، توفي سنة ٣٩٣ هـ.

(١٢) كان محدِّثا وسمع من المخلّص، وكان خطيب صريفين، وكان ثقة توفي سنة ٤٦٩ هـ. أنظر (العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي حققه ابو هاجر محمد بسيوني زغلول (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٩م).

(١٣) هو أبو القاسم عيسى بن الوزير عليّ بن عيسى بن داود البغدادي الكاتب المنشئ (٣٠٢ - ٣٩١ هـ).

(١٤) روى عن المخلّص وغيره وكان صدوقاً جليلا، توفي سنة ٤٧١ هـ.

(١٥) هو أبو جعفر عبد الله بن عبد القادر بالله أحمد بن اسحاق العبّاسي كان وَرِعا ديِّناً كثير الصدق له علم وفضل (٣٩١ - ٤٢٢ هـ).

(١٦) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد، من نجباء بني العباس وكان ديِّنا، قوي النفس، أرسى قواعد الخلافة وجدّد محاسن الاسلام (٤٤٨هـ - ٤٨٧ هـ).

(١٧) روى عن البَغَوي وابن صاعد وهو ضعيف ولد سَنْة ٣٠٦هـ.

(١٨) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث (أسد الغابة، ج ٣/ ٢٢٩).

(١٩) بياض في الاصل ولعلَّ الصحيح ماأثبتناه.

(٢٠) هو مؤلف المخطوط.

(٢١) ولِدَ بدمشق سنة ٤٥٤ هـ وسمع بها من الخطيب إبن طلّاب، وببغداد من الصريفيني قال عنه ابو العلاء الهمذاني ماأعدل به أحداً من شيوخ العراق (توفي سنة ٥٣٦ هـ).

(٢٢) كان شيخ الحنفية بالعراق وانتهت اليه رئاسة المذهب، وعَظُمَ جاهه وبَعُدَ صيتُه توفي سنة (٤٢٨ هـ) (العبر في خبر من غبر للذهبي ٢/٢٥٨).

(٢٣) هو الامام المحدِّث، والعالم القشري الأموي (٢٠٨ - ٢٨٢ هـ).

(٢٤) هو أبو الفرج القزويني، فقيه صالح توفي سنة (٥٠١ هـ).

(٢٥) روى عنه يعلى بن الاشدق.

(٢٦) العباس بن الفضل الازرق البصري روى عنه عباس الدوري، ومحمد بن الضريس (ميزان الاعتدال، ٢/٣٨٥).

(٢٧) وفي الديوان «الوان» وهو الاصح.

(٢٨) كنيته ابو اسحاق كان ثِقة روى عنه ابن أبي الدنيا توفي سنة (٢٦٤ هـ). أنظر المنتظم لابن الجوزي ٥٩٧ هـ). (حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩ هـ)، ٥/٤٦.

(٢٩) من المُخَنْثين هكذا جاء في القاموس المحيط مادة زَحل ولم اعثر له على ترجمة وافية.

(٣٠) مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكان كثير العلم مات سنة ٩٨ هـ.

(٣١) في الاصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني، بغداد، مكتبة المثنى، مطبعة السعادة، ١٣٢٨ هـ.

(٣٢) في الديوان «الأحبار».

(٣٣) في الديوان «أنّه».

(٣٤) هي الداهية او المصيبة.

(٣٥) المنذر بن محروق والد النعمان بن المنذر، وكان الشاعر احد ندمائه (أنظر جمهرة أشعار العرب، ابو زيد القرشي، تحقيق الهاشمي (السعودية لجنة البحوث والترجمة والنشر، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م) ١/٧٧٥.

(٣٦) في الديوان «اليوم».

(٣٧) شِيفَ: جُلِيَ.

(٣٨) في الديوان «اذا» وهو خطأ.

(٣٩) في الديوان «مناصفة».

(٤٠) ضرب من البرود. (٤١) سقط من الديوان.

(٤٢) اسماعيل بن ابي خالد محدث ثبت، ثقة من رجال القرن الثالث أخذ عنه ابن أبي الدنيا.

(٤٣) في الديوان «فسرعة». (٤٤) في الديوان «تقصرا».

(٤٥) في الديوان «ولا». (٤٦) الغلام اذا اشتد وقوى.

الكتاب

(كتاب سيبويه)

ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر

(مقدمة الكتاب)

حققه وعلق عليه في تصنيف منهجي

د. محمد كاظم البكاء

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقِّق

يمثّل (الكتاب) - وهو أقدم ما وصل الينا في النحو العربي - خلاصة الفكر النحوي للرعيل الاوّل من النحاة، فهو علم الخليل بن أحمد الفراهيدي (-١٧٠هـ) الذي تلقاه من شيوخه وقد انتهى الى تلميذه سيبويه (-١٨٠هـ).

وقد أقبل النحويون على قراءته. ومن اقدم من نظر فيه الكسائي امام الكوفيين (-١٨٣هـ)[١] وكان كتاب سيبويه تحت وسادة الفرّاء[٢] وظلّ النحاة يقبلون على قراءته، والتعليق عليه وشرحه الى القرن الثامن الهجري، فالشَّلَوْبين (-٦٤٥هـ) يصنّف تعليقاً على كتاب سيبويه[٣] وصنّف تلميذه ابن ابي الربيع (-٦٨٨هـ) شرح سيبويه[٤] وشرح مشكله محمد بن علي بن الفخار الجذامي المالقي (-٧٢٣هـ)[٥] ولكن طلبة النحو في القرون المتأخرة استبدلوا شروح الكتاب ومصنّفات النحويين المتأخرين بالكتاب نفسه اذ وجدوا صعوبة في اسلوبه ومعاناة في الرجوع الى مسائله لعدم وضوح منهجه لديهم؛ تصوّر أنَّ ابن عقيل (-٧٦٩هـ) يقول في باب الاستثناء: «واختار المصنّف في غير هذا الكتاب انَّ الناصب له (الّا) وزعم أنّه مذهب سيبويه»[٦] ويفترض ان يرجع المصنّف وابن عقيل الى كتاب سيبويه، ولو رجعا إليه لوجداه يرى أنَّ العامل في المستثنى ما قبله من الكلام[٧] وهذا يكشف لنا أنَّ ابن مالك على ما يذكره ابن عقيل توهم في نسبة هذا القول إلى سيبويه وانَّ ابن عقيل لم يرجع الى «الكتاب» ليدقّق النظر فيه. ومثل ذلك غير قليل في كتب النحويين المشهورين[٨]، فكيف انت وطلبة النحو من المتعلمين، وقد كنت واحداً من يعاني هذه الصعوبة في دراسة الكتاب حتى هيّأ الله تعالى لي دراسة منهجه في مرحلة الدكتوراه[٩] فاتضح لي أنَّ الكتاب في منهج منطقي واضح، فقد بني آخره على اوّله وتعلّق ثانيه بسبب من أوّله وقد استوفى أبواب النحو كافة، والذي اتضح لي أنَّ سيبويه قد ألّفه على هيأة كراريس[١٠] وأنّه بدأ بمجموعة من الأبواب تعدّ مقدّمة علمية للكتاب[١١] وقد نبّه على بعض أقسامه ومبانيه[١٢] وأنّ أقسام الكتاب الرئيسة هي:

أوّلاً - مقدّمة الكتاب: وتشمل الكلم وابواب الكلام[١٣].

ثانياً - أبواب الاسناد: يعدّ هذا القسم اوسع أقسام الكتاب وهو في النحو، وقد جعلت فيه أبواب الاسناد في ثلاثة انواع مرتبة على الوجه الآتي:

١ - اسناد الفعل وما يعمل عمله.

٢ ـ إسناد الأسم واحوال اجرائه على ما قبله.
٣ ـ الاسناد الذي يعتمد على الاداة ويجري مجرىٰ الفعل. وقد درس هذا القسم احكام الاسناد مع الاسم المظهر التام[١٤].

ثالثاً ـ أبواب الاسناد مع أنواع الاسم الاخرى: ويضمّ ابواب النحو لبيان احكام الاسناد مع انواع الاسم الاخرى وهي: (علامات المضمرين)[١٥] و (الاسم الناقص الذي يكتمل بالصلة)[١٦]، و (مالا ينصرف)[١٧]، و (الاسماء التي لاتغيّر في باب الحكاية)[١٨]. وقد جاءت هذه الانواع على هذا الترتيب في أبواب الكتاب ليؤكدّ أنها تقع في مقابل دراسة أحكام الاسناد التي سبقت مع الاسم المظهر التام؛ فقد تكلّم ثُمّة على احكام الاسناد ثم درس هذه الاحكام مع انواع الاسم الاخرى بما لها من خصائص نحوية مميّزة.
رابعاً ـ ابواب الصرف: وتشمل ابواب الاضافة والتثنية والجمع والتصغير.. وأبواب الافعال ومصادرها.. وغيرها[١٩].
خامساً ـ الاصوات: ويبدأ بباب (الادغام)[٢٠] الى نهاية ابواب الكتاب.

هذا هو التخطيط الداخلي لكتاب سيبويه الذي اضطربت كلمة الباحثين فيه[٢١] وقد اتضح للباحث انّ ما يعتور الكتاب من الغموض انّما يرجع غالباً الى عدم تبين منهجه وترتيب ابوابه وفهرسة مسائله؛ فالكتاب يفسّر بعضه بعضا، ورأيت ان اقدّم خدمة جليلة لطلبة النحو فأقدمت بعد الاتكال على الله على تحقيق الكتاب كاملاً لتيسير قراءته والإفادة منه.
وقد تميّز عملي في هذا التحقيق بما يأتي:
أولاً ـ اعتمدت على التصنيف المنهجي لابواب الكتاب على ما اتضح لي من انه يقع في (مقدمة) و (أبواب الاسناد مع الاسم المظهر المتمكن التام) و (ابواب الاسناد ومع انواع الاسم الاخرى) و (ابواب الصرف) و (الاصوات) وقد تابعت هذا التصنيف المنهجي في ابواب الكتاب، وانا أجد كل مجموعة منها تمثل موضوعا نحويا واحداً يبنىٰ على ما قبله ويرتبط بسبب مما بعده؛ فمقدّمة الكتاب مثلاً تقع في موضوعين نحويين أسميتهما (الكلم: انواعه، واحوال اعرابه وبنائه) و (الكلام: الاسناد فيه، ودلالته، وما يعرض فيه، وتقويمه) وقد ضمّ الموضوع الاوّل بابين من الكتاب هما:
(هذا باب علم ما الكلم من العربية)[٢٢]
و (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية)[٢٣].
امّا الموضوع النحوي الثاني فقد ضمّ الابواب: «هذا باب المسند والمسند اليه»[٢٤] و «هذا باب اللفظ للمعاني»[٢٥] و «هذا باب ما يكون في اللفظ من الاعراض»[٢٦] و «هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة»[٢٧] و «هذا باب ما يحتمل الشعر»[٢٨] وقد اخترت لكل باب عنوانا اصطلاحيا؛ لانّ عنوانات الكتاب تمثل وصفاً اسلوبيا لامثلة الباب الواحد يبدأ بقوله «هذا باب...» وينتهي الى قوله: «وذلك مثل....». وقد قمت بتثبيت عنوانات المسائل في كل باب استكمالاً لتوضيح المنهج وتسهيلاً للرجوع اليها. وثمّة مواضع للاستدراك والاستطراد قد تقع في ابواب متعددة او يقتصر فيها الكلام على امثلة عديدة نبّهت عليها في مواضعها.

وجميع ما أجريته من تصنيف منهجي وتسمية لعنوانات الابواب ومسائل كل باب قد جعلته مميّزاً بوضوح عن متن الكتاب الذي تابعت ابوابه في ترتيبها وحافظت على مادته على ما جاء فيها. وهو جهد نوعي في تحقيق الكتاب يجعله واضح المنهج في دراسة نظرية النحو العربي كاملةً وهي التي ينبغي أنْ يقف النحوي على بنائها وترابط مبانيها ومنهج سيبويه في دراسة كل موضوع نحوي فيها[٢٩] على أن يكتمل العمل بفهارس تفصيلية لاحقة تتابع فيها الموضوعات النحوية والعنوانات على ما يجري في فهرسة كتب النحو الاخرى[٣٠].
ثانياً ـ اعتمدت في التحقيق على نسخة كاملة نفيسة لم يطلّع عليها أحدٌ من الذين نشروا الكتاب وهي أقدم تاريخاً من الاصول التي اعتمدوا عليها ووضّحوا تواريخها، وهذه النسخة هي مخطوطة مكتبة الاوقاف ببغداد، وهي برقم (١٣٥١) وعدد أوراقها (٤٠٢) وقد كتبت سنة ١١٣٢ هـ[٣١] وقد استعنت بنسخة اخرى ذكرها (بروكلمان)[٣٢] وهي مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (رقم السجل العام ٦١٨٤ والرقم العلمي ١١/١٤ صائغ)، وهذه النسخة وان كانت موافقة للنسخة الأصل في اسنادها وما ادخل فيها من حواش[*] لم تبلغ في الدقة والضبط ما بلغته النسخة الأصل

وقد اعتمدت عليها في مقابلة الاصل ورمزت لها بالحرف (م)، وقد قابلت الاصل أيضاً بطبعة بولاق التي اعتمدت على طبعة باريس، ورمزت لها بـ (ب)، وتوخيا للدقّة واكمالاً لجهد العلّامة المحقق عبدالسلام هارون جعلت تحقيقه نسخة ثالثة في المقابلة ورمزت لها بالحرف(هـ)، وبهذا لم يبق من نسخ الكتاب المخطوطة القديمة الكاملة التي لم تعتمد في تحقيق الكتاب الّا القليل[٣٣] راجياً ان اوفق الى تقديم الكتاب واضحاً في منهجه دقيقاً في مادته تكملة لجهود العلماء المحققين والناشرين مفيداً من المخطوطات التي لم يطلعوا عليها[٣٤].

ثالثاً - تهيّأ للباحث الافادة من ست نسخ مخطوطة من شروح الكتاب[٣٥] وقد قرأتها بتدبر في دراسة منهجه في رسالة الدكتوراه، اذ تابعت فيها الكتاب بابا بابا فوقفت على تفاوت بعض النسخ في تحديد الابواب أو ترتيبها فضلاً عن ضبط النصوص فيها، ثم اني انتفعت بما جدّ في دراسات المحققين والباحثين من العرب والمستشرقين في دراسة الكتاب واصوله وشواهده مما لم يتيسر لناشري الكتاب من قبل.

وقد رأيت ان اتعجّل تقديم (مقدّمة الكتاب) مستقلّة بنفسها عن الجزء الاول منه تأكيداً لتميزها - ومن عجب أن ينكرها بعض الباحثين - وكلي أمل أن يطلع عليها العلماء والباحثون المعنيون بالكتاب ولابد أن يكون لمراجعتهم وملاحظاتهم القيمة إسهام يظل الباحث بحاجة اليه تيسيراً لنشر (الكتاب).

وهمّي أن يرجع إليه طلبة اللغة العربية سهل التناول واضح المنهج؛ فهو أفضل ماالف في النحو من الناحية العلمية والتعليمية وتميّز منها بتقدمه عليها قال ابن خلدون: «انه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصّل له قد حصل على حظّ من كلام العرب واندرج في محفوظه في اماكنه ومفاصل حاجاته وتنبّه به لشأن الملكة، فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الافادة»[٣٦] والله من وراء القصد.

هوامش المقدمة

(١) مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر.

(٢) بغية الوعاة في طبقات، النحاة للسيوطي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، ١٩٦٤، ٢/٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه. ، ٢/٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه ، ٢/١٢٥.

(٥) كشف الظنون، مجلد ٢/١٤٢٧ - ١٤٢٨

ظ: د. خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، بغداد، ط١، ١٩٦٥، ٧٩.

لجنة السيرافي: مقدمة تحقيق شرح كتاب سيبويه للسيرافي الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م. ، ٨ - ٩ تح وتعليق د. رمضان عبدالتواب وجماعة جـ١.

(٦) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تح محمد محيي الدين، ط١٤، مصر ١٩٦٤م

(٧) قال سيبويه (الكتاب تح وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت ٢/٣١٠هـ، ١/٣٦٠ب):

وهذا باب ما يكون استثناء بإلاّ: اعلم أنّ (إلاّ) يكون الاسم بعدها على وجهين: فاحد الوجهين أنّ لاتغيّرَ الاسمَ عن الحال التي كان عليها قبل ان تلحق. . والوجه الآخر: أن يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله، عاملاً فيه ماقبله من الكلام كما تعمل (عشرون) فيما بعدها اذا قلت: عشرون درهماً».

(٨) قال محمد عبد الخالق عضيمة (فهارس كتاب سيبويه ودراسة له) ط١، ١٩٧٥م، ١٣٩٥هـ :

«اتصلت العناية بكتاب سيبويه جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة فشرّق وغرّب وملأ ذكره الافاق، وبرغم هذه الشهرة وكثرة تداوله فقد نسب كثير من الائمة اقوالاً الى سيبويه تخالف ما ذكره سيبويه في كتابه، وما ذاك إلاّ لصعوبة الرجوع الى الكتاب».

(٩) ظ: د. محمد كاظم البكاء: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩.

(١٠) قال سيبويه (٣/١٥٩هـ، ١/٤٧٨ب): «لما ذكرت لك في الكراسة التي تليها».

(١١) الدكتور مازن المبارك: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٦٣م، ٤٣.

(١٢) ظ: الكتاب ١/٣٢هـ، ١/١٣ب.

ترجم سيبويه لمجموعة الابواب النحوية التي تعالج (ما يرتفع وما ينتصب بالفعل المظهر).

وظ: الكتاب ١/ ٣٩٦ - ٣٩٧هـ، ١/ ١٩٨ب.

وفيه تحديد الابواب التي تعالج (ما ينتصب بالفعل المضمر)

ظ: الدكتور محمد كاظم البكاء: منهج كتاب سيبويه، ١٨ - ٥٩.

(١٣) الكتاب ١/ ١٢ - ٣٢هـ، ١/ ٢ - ١٣ب.

(١٤) الكتاب ١/ ٣٣هـ - ٢/ ٣٥٠هـ، ١/ ١٤ - ٣٧٧ب.

(١٥) الكتاب ٢/ ٣٥٠ - ٣٩٨هـ، ١/ ٣٧٧ - ٣٩٦ب.

(١٦) الكتاب ٢/ ٣٩٨ - ٣/ ١٨٧هـ، ١/ ٣٩٧ - ٤٩٠ب.

(١٧) الكتاب ٣/ ١٩٣ - ٣٢٦هـ، ٢/ ٢ - ٦٤ب (هذا باب ما ينصرف وما لا ينصرف).

(١٨) الكتاب ٣/ ٣٢٦ - ٣٣٤هـ، ٢/ ٦٤ - ٦٨هـ.

(١٩) الكتاب ٣/ ٣٣٥ - ٤٣١هـ، ٢/ ٦٩ - ٤٠٤ب.

(٢٠) الكتاب ٤/ ٤٣١ - ٤٨٥هـ، ٢/ ٤٠٤ - ٤٣٠ب.

(٢١) قال حاجي خليفة (كشف الظنون، ١/ ١٤٢):

«ليس فيه ترتيب ولاخطبة ولا خاتمة».

وقال الدكتور حسن عون (تطور الدرس النحوي) مصر منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠، ٤٣):

«إنّ التخطيط الخاص للمباحث الداخلية لايزال مضطربا في ذهننا ومحيّراً بالنسبة لنا رغم محاولاتنا المتكررة».

ظ: د. محمد كاظم البكاء: منهج كتاب سيبويه ١٩٨٩، ٣ - ٥.

(٢٢) الكتاب ١/ ١٢هـ، ١/ ٢ب.

(٢٣) الكتاب ١/ ١٣هـ، ١/ ٢ب.

(٢٤) الكتاب ١/ ٢٣هـ، ١/ ٧ب.

(٢٥) الكتاب ١/ ٢٤ هـ، ١/ ٧ب.

(٢٦) الكتاب ١/ ٢٤ هـ، ١/ ٨ب.

(٢٧) الكتاب ١/ ٢٥ هـ، ١/ ٨ب.

(٢٨) الكتاب ١/ ٢٦ هـ، ١/ ٨ب.

(٢٩) يعالج الكتاب بعض الموضوعات النحوية في طريقة تختلف عمّا نجده في كتب النحو الاخرى فهو يعالج (الحال) مثلاً في اسناد الفعل بعدة ابواب (الكتاب ١/ ٣٧٠ - ٣٧٨هـ، ١/ ١٨٦ - ١٨٩ب) يتقطع عليها الكلام ليستأنف في اسناد الاسم (٢/ ٧٧-١٢٦هـ، ١/ ٢٥٦ - ٢٧٨ب). والحال في (اسناد الفعل) مصدر أو ما اجري مجراه نحو: لقيته فجأة، امّا الحال في (اسناد الاسم) فهو وصف إجري على معرفة او مصدر ليس من اسم ما قبله ولا هو هو و ماأجري مجراه نحو: ماشأنك قائماً، وهذا عربي محضاً. (ظ: د. محمد كاظم البكاء: منهج كتاب سيبويه، ٤٠٣ - ٤٠٥، ٤٢٤ - ٤٣٠).

ومما يؤسف عليه أنْ ظَنّ أنّ سيبويه كان يفرّق المسألة الواحدة في مواضع فلا تيسر للقارئ الالمام باطراف الموضوع الواحد وكان ذلك هو الداعي الى وضع فهارس لموضوعات النحو في الكتاب على غير ترتيب أبوابه؛ قال العلاّمة المحقق عبدالسلام هارون (مقدمة التحقيق، ٥٩):

«وتذييل الكتاب بالفهارس الفنيّة الحديثة، ومنها فهرس مسائل العربية الذي وضعته مرتبا على حروف الهجاء تيسيراً للباحث الذي يبتغي الالمام باطراف المسألة الواحدة. فالمعروف ان سيبويه كان يعالج الباب الواحد في عدّة مواضع، ومن ذلك (باب الحال) الذي عالجه في نحو عشرة أبواب».

وظنّ ذلك أيضا المحقق محمد عبدالخالق عضيمة (فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، ١١):

«لم يحرص سيبويه على أن يكون حديثه عن المسألة الواحدة في موضع واحد من كتابه، وانّما ينثر الحديث نثراً ويفرّقه تفريقاً، ثم يضرب لذلك أمثلة ستجيب عنها في مواضعها من التحقيق».

(٣٠) ظ: الكتاب (كتاب سيبويه)، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام هارون، الجزء الخامس، فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، محمد عبدالخالق عضيمة.

(٣١) الدكتورة خديجة الحديثي: سيبويه حياته وكتابه بغداد، منشورات وزارة الاعلام، ١٩٧٥م، ٢٢٣ - ٢٢٦.

(٣٢) بروكلمان: تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، القاهرة ١٩٦١، ٢/ ١٣٦.

● هذه الحواشي تداخل مادة الكتاب وهي لابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط، حامل كتاب سيبويه وراويه وعليه قرأه المازني والجرمي. واوّل الحاشية باللون الأحمر (قال ابو الحسن) وفي نهايتها باللون الأحمر ايضا (رجع) فهي مميّزة بوضوح من مادة الكتاب.

(٣٣) كوركيس عوّاد: سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م، ٢٥ - ٣٢.

(٣٤) قال الدكتور خالد عبدالكريم جمعة: شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الكويت، مكتبة دار العروبة، ٥٢ -

«أمّا الطبعة الاخيرة فهي طبعة الاستاذ الجليل عبدالسلام هارون. وظهر الجزء الاوّل من هذه الطبعة سنة ١٩٦٦، والجزء الخامس والاخير سنة ١٩٧٧، وهوجزء خاص بالفهارس التحليلية للكتاب وهذه الطبعة تعدّ أصحّ طبعات الكتاب وأكثرها دقة، واعتمد ناشرها على خمس مخطوطات للكتاب... ومما يعاب على هذه الطبعة ان الاستاذ عبدالسلام هارون لم يَسْتَعِنْ بمخطوطات دار الكتب مع أنّ هناك مخطوطات أخرى كانَ ينبغي الاستعانة بها في نشر الكتاب».

(٣٥):

١ - تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب، ابن خروف (مصوّرة دار الكتب المصرية، ٥٣٠ نحو تيمور).

٢ - شرح عيون كتاب سيبويه، القرطبي (لندن Quart 31)

٣ - شرح كتاب سيبويه، الرمّاني (مصوّرة معهد احياء المخطوطات ٨٥ - ٨٨ نحو).

٤ - شرح كتاب سيبويه، السيرافي (مصوّرة دار الكتب المصرية ٥٢٨ نحو تيمور).

٥ - شرح كتاب سيبويه، الصفّار (مصوّرة معهد احياء المخطوطات ١٠٦ نحو المغرب)

٦ - النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (مصوّرة معهد احياء المخطوطات العربية؛ ٢١٤ نحو المغرب). وهذه النسخ هي مصورات مكتبة د. محمد البكاء.

(٣٦) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي، مصر، المطبعة التجارية الكبرى، ٥٦٠ - ٥٦١.

النص المحقق

- روايات الكتاب -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبدالله محمد بن يحيى[١]: قرأت على ابن ولّاد[٢] وهو ينظر في كتاب أبيه[٣]. وسمعته يُقرأ على أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النّحاس

وأخذه ابو القاسم بن ولّاد عن أبيه عن المبّرد. وأخذه أبو جعفر عن الزجّاج عن المبّرد.

ورواه المبّرد عن المازني عن الاخفش عن سيبويه[*].

الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتابه وجعله آخر دعاء أهلِ جنّته[٤] فقال جلّ ثناؤه: «وآخِرُ دَعْواهم أنِ الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمينَ»[*] وصلّى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيِّبين.

قال لنا ابو جعفر أحمد بن محمد[*]:

«[لم يزل][٦] أهل العربية يفضّلون كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر المعروف بسيبويه حتى لقد قال محمد بن يزيد: لم يُعْمَلْ كتابٌ في علمٍ من العلوم مثلُ كتابِ سيبويه؛ وذلك أنّ الكتب المصنّفة في العلوم مُضطَرة الى غيرها وكتابُ سيبويه لا يحتاج مَنْ فَهِمه الى غيره».

وقال:

«سمعت ابا بكر بن شُقَيْر[٧] يقول: حدّثني ابو جعفر الطبري[٨].

قال: سمعت الجَرميّ يقول: أنا مُذْ ثلاثون سنة[٩] افتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه».

قال:

فحدّثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والانكار فقال: انا سمعت الجرميّ يقول هذا وأومأ بيديه إلى اذنيه؛ وذلك أنّ ابا عمر الجرمي صاحب حديث، فلمّا علِم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث؛ اذ كان كتاب سيبويه يتعلَّم منه النظر والتفتيش، انتهى.

قال ابو جعفر:

«وقد حكى بعض النحويين أنّ الكسائي قرأ على الاخفش كتاب سيبويه ودفع اليه مائتي دينار، وحكى أحمد بن جعفر[١٠] انّ كتاب سيبويه وجد بعضه تحت وسادة الفرّاء التي كان يجلس عليها.»

وأصلُ ما جاء به سيبويه عن الخليل قال ابو جعفر:

«وسمعت أبا اسحاق يقول: اذا قال سيبويه بعد قول الخليل: (قال غيرهُ)، فانّما يعني نفسه؛ لانّه أجلّ الخليل عن ان يذكر نفسه معه. واذا قال: (وسألته)، فانّما يعني الخليل.

وقال ابو اسحاق: اذا تأملت الامثلة من كتاب سيبويه تبيّنت أنه اعلم الناس باللغة».

قال ابو جعفر:

«وحدّثني علي بن سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيد أنّ المفتشين[١١] من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبعوا على سيبويه الامثلة فلم يجدوه ترك من كلام العرب الا ثلاثة أمثلة منها الهَنْدَلع[١٢] وهي بقلة[١٣] والدُّرْداقِس وهو عظم في القفا[١٤] وشَمَنْصِير وهو اسم ارض[١٥].

وقال ابو اسحاق: حدّثني القاضي اسماعيل بن اسحاق قال[١٦]:

حدّثني نصر بن علي[١٧] قال: سمعت الاخفش يقول:

نفذ[١٨] من اصحاب الخليل في النحو اربعة: سيبويه، والنَّضير بن شميل، وعلي بن نصر[١٩] - وهو أبو نصر بن علي هذا[٢٠] -، [ومؤرِّج] السدوسي[٢١]. قال: وسمعت نصراً يحكي عن أبيه قال: قال سيبويه حين أراد ان يصنع كتابه: تعال حتى نتعاون على

احياء علم الخليل». قال أبو جعفر:

«وقد رأيت أبا جعفر بن رستم يروي كتاب سيبويه [عن][٢٢] المازني غير انّ الذي اعتمد عليه ابو جعفر في كتاب سيبويه ابراهيم ابن السري[٢٣] لمعرفته به وضبطه إيّاه وذكر انّ علي بن سليمان[٢٤] حكى أنّ ابا العباس كان لايكاد يقرئ أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على أبي اسحق لصحة نسخته ولذكر اسماء الشعراء فيها.

قال الجرميّ: نظرت في كتاب سيبويه فاذا فيه الف وخمسون بيتا، فامّا الف فعرفْت اسماء قائليها فاثبت اسماءهم، وامّا خمسون فلم اعرف قائليها».

قال أبو جعفر:

«وسمعت محمد بن الوليد[٢٥] يقول: نظرت في نسخة كتاب سيبويه التي أمليت بمصر فاذا فيها مائتا حرف خطأ».

قال:

«ورأيت أبا سحق قد أنكر الاسناد الذي في أولها انكاراً شديداً. وقال: لم يقرأ ابو العباس محمد بن يزيد كتاب سيبويه كلّه على الجرمي، ولكن قال ابو اسحق:

قرأته أنا على أبي العباس محمد بن يزيد، وقال لنا ابو العباس:

قرأت نحو ثلثه على أبي عُمر الجرميّ، فتوفي ابو عمر فابتدأت قراءته على أبي عثمان المازني، وقال ابو عثمان:

قرأته على أبي الحسن سعيد بن [مسعدة][٢٦] الاخفش، وقال الاخفش: كنت أسأل سيبويه عمّا اشكل عليّ منه، فان تصعّب عليّ الشيء منه قرأته عليه».

فامّا ابو القاسم بن ولّاد فإنّه حدّثنا عن أبيه أبي الحسين[٢٧] قال: «حدّثني أبو العباس المبّرد قال: قرأ المازني الكتاب على الجرميّ وسأل الاخفش عنه، وقرأه الجرمي على الاخفش».

قال:

«وحدّثني المبّرد قال: قرأت بعض هذا الكتاب على الجرمي وبعضه على المازني، ومنه ما قرأته عليهما جميعاً».

قال:

«وسمعت المبّرد يقول: قد أدرك أبو عُمر مَنْ أخذ عنه سيبويه، واختلف الى حَلْقة يونس».

حدّثنا ابو القاسم بن ولّاد عن أبيه قال:

«حدَّثنا أبو العباس قال: حدّثني الزيادي ابو اسحق[٢٧]:

قال: صرت[٢٨] إلى أبي عمر الجرمي اقرأ عليه كتاب سيبويه ووافيت المازني يقرأ عليه في الجزاء[٢٩] (هذا باب ما يرتفع بين الجزمين)[٣٠] فكنّا نعجب من حذقه وجوده ذهنه وكان قد بلغ من أول الكتاب إلى هذا الموضع».

قال ابو الحسين بن ولّاد:

«يعني أنّ المازني كان قد بلغ الأخفش الى هذا الموضع».

وسمعت أبا القاسم بن وَلّاد يقول:

«كان أبي قد قدم على أبي العباس المبّرد ليأخذ منه كتاب سيبويه، فكان المبّرد لايمكن أحداً من أصله، وكان يضنّ به ضِنّة شديدة، فكلّم ابنه فيه على ان يجعل له في كل كتاب منها جُعْلا قد سمّاه. فأكملَ نَسْخَه. ثم إنّ ابا العباس ظهر على ذلك بعدُ فكان قد سعى بأبي الحسين الى بعض خَدَمه السلطان ليحبسه له ويعاقبه في ذلك فامتنع ابو الحسين منه بصاحب خراج بغداد يومئذ ـ وكان أبو الحسين يؤدب ولده ـ فأجاره منه. ثمّ إن صاحب الخراج ألظّ[٣١] بأبي العباس يطلب إليه ان يقرأ عليه ابو الحسين[٣٢] الكتاب حتى فعل.»[٣٣].

قال أبو عبد الله:

«فقرأته أنا على أبي القاسم وهو ينظر في ذلك الكتاب بعينه، وقال لي: قرأته على أبي مراراً».

مقدمة الكتاب

«لم يُعمل كتابٌ في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك انّ الكتب المصنّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لايحتاج مَنْ فهمه الى غيره».

المبرِّد

أولاً - أبواب الكلم وأحواله

الباب الاول: أنواع الكَلِم

(*)

«هذا باب علم ما الكَلِمُ من العربية[1].

فالكَلِم: اسمٌ، وفِعْلٌ، وحَرْفٌ جاء لمعنًى ليس باسم ولافعل.

١ - الاسم فالاسْمُ: رجلٌ، وفرسٌ، وحائطٌ.

٢ - الفعل وامّا الفعل فأمثلة أُخِذَتْ مِنْ لفظ أحداث الاسماء[2] وبُنيتْ لما مضى، ولما يكونُ ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع:

فامّا (بناء ما مضى) فذهب وسمِع ومكُث وحُمِد.

وامّا (بناء مالم يقع) فإنّه قولك آمِراً: اذهبْ واقتلْ واضرِبْ ومُخْبِراً: يَقتُل ويَذهَبُ ويضرِبُ، ويُقتَل ويُضرَبُ. وكذلك (بناء مالم ينقطع وهو كائن) اذا أخبرْتَ[3].

فهذه الأمثلة التي اخذت من لفظ احداث الاسماء، ولها أبنية كثيرة ستبيَّنُ إن شاء الله[4].

والأحداث نحو الضَّرْب والحَمْد والقَتْل[5].

٣ - الحرف وامّا ما جاء لمعنىً وليس باسم ولافعل فنحو: ثُمّ، وسوفَ، وواو القسم، ولام الاضافة ونحوها[6]».

الباب الثاني: اعراب الكلم وبناؤه

ألقاب الاعراب والبناء(*) «هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرّ والرفع والجزم، والفتح [والكسر والضم][7] والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعُهنَّ في اللفظ اربعة اضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضربٌ واحدٌ، [والجر والكسر][8] فيه ضربٌ واحدٌ، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف.

المعرب والمبني

وانّما ذكرتُ لكَ ثمانية مجارٍ لأفرّقَ بين ما يَدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدِثُ فيه العاملُ - وليس شيْ منها إلّا وهو يزول عنه - وبين ما يُبنى عليه الحرفُ بناءً لايزول عنه لغيرِ شيْ أحدَثَ ذلك فيه من العوامل التي لكلّ عامل منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الاعراب.

أنواع المعرب، وهو نوعان:

[فالنصب والجرُّ والرفع والجزم](٩) لحروف الاعراب، وحروفُ الاعراب للأسماء المتمكنّة، وللافعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في اوائلها الزوائدُ الاربع: الهمزة، والتاء، والياء، والنون وذلك قولك: أَفعَلُ أنا، وتَفعلُ أنتَ أو هي، ويَفعلُ هو، ونَفعلُ نحن.

١ - اعراب الاسماء

والنصب(١٠) في الاسماء: رأيت زيداً، والجرّ: مررت بزيدٍ، والرفع: هذا زيدٌ، وليس في الاسماء جزم؛ لتمكنها وللَحاق التنوين، فاذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابَه وذهابَ الحركة(١١).

٢ - اعراب الافعال المضارعة

والنصب في المضارع من الافعال: لن يفعلَ، والرفع: سيفعلُ، والجزم: لم يفعلْ. وليس في الافعال المضارعة جرٌ كما أنّه ليس في الاسماء جزم؛ لانّ المجرور داخلٌ في المضاف اليه معاقبٌ للتنوين، وليس ذلك في هذه الافعال.

وجوه مضارعة الافعال المضارعة للاسماء في الأعراب

وانّما ضارعت اسماءَ الفاعلينَ انّك تقول: إنّ عبد الله ليَفعلُ، فيوافق قولك: لَفاعِلٌ؛ حتى كأنّك قلت: إنّ زيدا لفاعلٌ فيما تريد من المعنىٰ. وتَلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم، ولاتَلحق (فَعَلَ) اللامُ(١٢) وتقول: سيفعلُ ذلك، وسوف يفعلُ ذلك. فتُلحقُها هذين الحرفين لمعنى كما تَلحق الالفُ واللامُ الاسماءَ للمعرفة(١٣).

نفي الاسمية عن الافعال المضارعة

ويبيّنُ لك أنّها ليست باسماءٍ انّك لو وضعتها مواضع الإسماء لم يجز ذلك؛ ألا ترى أنّك لو قلت: إنّ (يضربُ) يأتينا، وأشباه هذا لم يكن كلاماً؟ إلّا انّها ضارعت (الفاعل)(١٤) لاجتماعهما في المعنى. وسترى ذلك أيضاً في موضعه(١٥)، ولدخول اللام قال الله جلّ ثناؤه(١٦): «وإنّ ربّك لَيَحْكُمُ بينهم»(١٧): اي لحاكم، ولما لحقها من السين وسوف كما لحقت الاسمَ الالفُ واللامُ للمعرفة(١٨).

* * *

أنواع المبني، وهو ثلاثة:

وأمّا [الفتح والكسر والضمّ والوقف](١٩) فللاسماء غير المتمكنة المضارعة عندهم ما ليس باسم ولافعل مما جاء لمعنىً ليس غيرُ(٢٠) نحو سَوْفَ وقَدْ(٢١)، وللافعال التي لم تجرِ مجرى المضارعة(٢٢)، وللحروف التي ليست باسماءٍ ولاأفعال ولم تجئ الّا لمعنىً.

١ - بناء الاسماء

فالفتح في الاسماء قولهم: حيثَ(٢٣) وأينَ وكيفَ، والكسر فيها نحو: اولاءِ وحَذارِ وبَدادِ، والضمّ نحو: حيثُ وقبلُ وبعدُ، والوقف نحو: مَنْ وكَمْ وقَطْ وإذْ.

٢ - بناء الافعال
- بناء الافعال الماضية

والفتح في الأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة قولهم: ضَرَبَ، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه (فَعَلَ).

علة تسكين آخر الفعل الماضي

ولم يسكّنوا آخرَ (فَعَلَ)(٢٤)، لانّ فيها بعض ما في المضارعة تقول: هذا رجلٌ ضَرَبَنا، فتصف بها النكرة، وتكون في موضع (ضارب) اذا قلت: هذا رجلٌ ضاربٌ. وتقول: إنْ فَعَلَ فعلْتُ، فيكون في معنىٰ: إنْ يفعَلْ أفعَلْ، فهي فِعْلٌ كما أنّ المضارع فِعْلٌ، وقد وقعت موقعها في (إنْ)، ووقعت موقع الاسماء في الوصف كما تقع المضارعة في الوصف فلم يسكّنوها كما لم يسكّنوا من الاسماء ما ضارع المتمكّن، ولا ما صُيِّر من المتمكن في موضعٍ بمنزلة غير المتمكن، فالمضارع(٢٥)، مِنْ عَلُ حرّكوه؛ لانهم قد يقولون: من علٍ فيُجرونه(٢٦)، وأمّا المتمكن الذي جُعل بمنزلة غير المتمكن في موضع فقولك: ابدأ بهذا أولُ، ويا حَكَمُ.(٢٧).

بنـاء الامـر عـلى السكون

والوقفُ قولهم: (اضربْ) في الأمر، لم يحرّكوها لأنّها لايوصف بها ولاتقع موقع المضارعة فبعدت من المضارعة بُعْدَ (كَمْ) و (اذْ) من المتمكّنة، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه (افعلْ)[٢٨].

٣ - بناء الحروف

والفتح في الحروف التي ليست إلّا لمعنٍ، وليست باسماء ولا أفعال قولهم: (سوفَ) و (ثُمَّ)، والكسر فيها قولهم في باء الاضافة ولامها: بزيدٍ، ولزيدٍ، والضمّ فيها: (منذُ) فيمن جَرَّ بها؛ لانّها بمنزلةَ (مِنْ) في الأيام، والوقف فيها قولهم: (مِنْ)، و (هَلْ)، و(بَلْ)، و (قَدْ).

علة عدم الضمّ في بناء الافعال

ولاضَمَّ في الفعل؛ لانّه لم يجئ ثالثٌ سوى المضارع[٢٩].

بناء الماضي والأمر

وعلى هذين المعنيين بناءُ كلّ فعلٍ بَعْدَ المضارع[٣٠].

٭ ٭ ٭

مـايعرب(٭) بالعلامات النائبة وهو ستة:

١ - العلامات النـائبة في المثنىٰ

واعلم أنّك اذا ثنّيت الواحد لحقته زيادتان: (الأولى) منها حرف المدّ واللين وهو حرف الاعراب غير متحرك ولا منوّن، يكون في الرفع الفاً، ولم يكن[٣١] واواً ليُفصَل بين التثنية والجمع الـذي على حـد التثنية[٣٢]، ويكون في الجر ياء مفتوحاً ما قبلها، ولم يُكْسَرْ ليُفصَل بين التثنية والجمع الذي عـلى حد التثنية. ويكون[٣٣] في النصب كذلك، ولم يجعلوا النصب الفاً ليكون مثلُهُ في الجمع[٣٤]، وكان مع ذا[٣٥] ان يكون تابعاً لما الجرّ منه أولىٰ؛ لأنّ الجرَّ للاسم لايجاوزه، والرفع قد ينتقل الى الفعل فكان هذا أغلب وأقوىٰ[٣٦]. وتكون (الزيادة الثانية) نوناً كأنّها عوضٌ لما مُنع من الحركة والتنوين، وهي النون وحركتها الكسر وذلك قولك: هما الرجلانِ، ورأيت الرجلينِ، ومررت بالرجلينِ[٣٧].

٢ - العلامات النائبة في جمع المذكر السالم

واذا جمعت على حدّ التثنية لحقتها زائدتان[٣٨]: (الاولى) منهما حرفُ المدّ واللين، و (الثانية) نونٌ، وحالُ الاولى في السكون، وترك التنوين، وأنّها حرفُ الاعراب حالُ الاولى في التثنية، إلّا أنّها واو مضموم ما قبلها في الرفع، وفي الجرّ والنصب ياء مكسور ما قبلها ونونها مفتوحة؛ فرقوا بينها وبين نون الاثنين كما أنّ حرفَ اللين الذي هو حرفُ الاعراب مختلف فيهما وذلك قولك: المسلمُونَ، ورأيت المسلمِينَ، ومررت بالمسلمِينَ.

٣ - العلامات النائبة في جمع المؤنث السالم.

ومِنْ ثَمَّ جعلوا تاءَ الجمع في الجر والنصب مكسورة، لانّهم جعلوا التاء التي هي حرف الاعراب كالواو والياء[٣٩] والتنوين بمنزلة النون[٤٠]؛ لانّها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها[٤١].

٤ - العلامات النائبة في الافعال المضارعة:

أ - يفعلان

ب - تفعلان

واعلم أنَّ التثنية اذا لحقت الافعال المضارعة علامةً للفاعلين لحقتْها الف ونون. ولم تكن الالفُ حرف الاعراب؛ لانّك لَم تَرد ان تثنّي (يَفْعَلُ) هذا البناء فتضمَّ إليه [(يَفْعَلُ)][٤٢]، ولكنّك انما الحقته هذا علامة للفاعلين.

ولم تكن منوّنة، ولاتَلزمها[٤٣] الحركة لانّه يُدْرِكُها الجزم والسكون فيكون الاوّل[٤٤] حرف الاعراب. والثانية[٤٥] كالتّنوين. فكما كانت حالُها في الواحد[٤٦] غيرَ حالِ الاسم في التثنية لَم تكنْ بمنزلته، فجعلوا اعرابه في الرفع ثبات النون؛ لتكون له في التثنية علامةٌ للرفع كما كان في الواحد اذْ مُنع حرْفَ الأعراب. وجعلوا النون مكسورة كحالها في الاسم[٤٧]. ولم يجعلوها حرف الاعراب اذ كانت متحركةً لاتثبت في الجزم - ولم يكونوا ليحذفوا الالف؛ لانها علامة الاضمار، والتثنية في قول من قال: (أكلوني البراغيث)، وبمنزلة التاء في: (قلْتُ)، و (قالَتْ)[٤٨] - فاثبتوها في الرفع وحذفوها في الجزم كما حـذفوا الحركة في الواحد. ووافق النصبُ الجزمَ في الحذف كما وافق النصبُ الجرَّ في الاسماء؛ لانّ الجزم في الافعال نظير الجرّ في الاسماء، والاسماء ليس لها في الجزم[٤٩] نصيب كما أنه ليس للفعل في الجر نصيب وذلك قولك: (هما يَفْعلانِ. ولم يَفْعَلا، ولن يَفْعَلا).

جـ ـ يفعلون
د ـ تفعلون

وكذلك اذا لحقت الافعالَ علامةً للجمع لحقتْها زائدتان. إلاّ أنّ الاولى واو مضموم ما قبلها؛ لئلا يكون الجمع كالتثنية ونونُها مفتوحة بمنزلتها في الاسماء، كما فعلت ذلك في التثنية؛ لانّهما وقعتا في التثنية والجمع ههنا كما أنّهما في الاسماء كذلك وهو قولك: (هم يَفْعلُونَ، ولم يَفعلوا، ولن يفعلوا).

هـ ـ تفعلينَ

وكذلك اذا ألحقتَ التأنيثَ في المخاطبة إلاّ انّ الاولى ياء وتَفْتَحُ النونَ؛ لانّ الزيادة التي قبلها بمنزلة الزيادة التي في الجمع، وهي تكون في الاسماء في الجر والنصب[٤٩] وذلك قولك: (انتِ تَفْعَلِينَ، ولم تفعَلِي، ولن تفعَلِي).

استدراك في بناء الفعل المضارع[*]:
ـ يفعَلْنَ: (نون النسوة)
ـ تفعلَنَّ (نون التوكيد)

واذا أردت جمع المؤنث في الفعل المضارع ألحقْتَه[٥٠] للعلامة نوناً ـ وكانت علامةَ الاضمار، والجمع فيمن قال: أكلوني البراغيث ـ وأسكنْتَ ما كان في الواحد حرفَ الاعراب كما فعلت ذلك في (فَعَلَ) حين قلت: فَعَلْتُ وفَعَلْنَ؛ فأُسكِنَ هذا ههنا وبُني على هذه العلامة كما أسكن (فَعَلَ)؛ لانّه فِعْلٌ كما أنه فِعْلٌ، وهو متحرك كما أنه متحركٌ؛ فليس هذا بأبعد فيها ـ اذ كانت هي وفَعَلَ شيئاً واحداً ـ مِنْ يَفْعَلُ؛ اذ جاز لهم فيها الاعرابُ حين ضارعت الاسماء وليست باسم[٥١] وذلك قولك: هُنَّ يفعلْنَ، ولن يَفْعَلْنَ، ولن يَفْعَلْنَ بفتحها[٥٢] لانّها نون جمع، ولا تُحذف لانّها علامةُ اضمار، وجمعٍ في قول من قال: أكلوني البراغيثُ؛ فالنون ههنا في (يَفْعَلْنَ) بمنزلتها في (فعلْنَ). وفُعِلَ بلام (يفعَلُ) ما فُعِلَ بلام (فَعَلَ) لما ذكرت لك، ولانها قد تُبنَى مع ذلك على الفتحة في قولك: هل تَفْعَلَنَّ. وألزموا لام (فَعَلَ) السكون وبنوها على العلامة وحذفوا الحركة لَمّا زادوا؛ [لانّها في الواحد ليس آخِرُها حرفَ الاعراب][٥٣] لِما ذكرتُ لك.

٥ ـ ثقل الكلام والمنع من الصرف

واعلم أنّ بعض الكلام أثقلُ من بعض، فالافعالُ أثقلُ من الاسماء؛ لأنّ الاسماءَ هي الأوَلُ[٥٤]، وهي أشدّ تمكنا، فمن ثَمّ لم يَلحقها تنوينٌ ولحقها الجزم والسكون، وانما هي من الاسماء[٥٥]؛ ألا ترى أنّ الفعل لابدّ له من الاسم والاّ لم يكن كلاماً، والاسمُ قد يستغني عن الفعل، تقول: (اللّهُ إلهُنا)، و (عبدُ الله اخونا).

منع تنوين الاسم الموافق للفعل في الوزن (افعل) والصفة

واعْلَمْ أنَّ ما ضَارعَ الفعلَ المضارعَ من الاسماءِ في الكلام، ووافَقَه في البناء أُجري لفظهُ مُجرى ما يَستثقلون ومنعوه ما يكون لما يَستخفّون [فيكون في موضع الجرِّ مفتوحاً[٥٦] استثقلوه حين قارب الفعل في الكلام، ووافقه في البناء وذلك نحو ابيض واسود واحمر واصفر فهذا بناء اذهبُ وأعلمُ][٥٧].

توضيح لمضارعة الاسم للفعل:
ـ حين مجيئه صفة في الكلام

وامّا مضارعته في الصفة فإنّك لوقُلْتَ: آتاني اليومَ قويٌّ، وألاَ بارداً، ومررت بجميلٍ كان ضعيفاً، ولم يكن في حُسِن: أتاني رجلٌ قويّ، وألا ماءً بارداً، ومررت برجلٍ جميلٍ؛ أفَلا ترى انّ هذا يَقبح ههنا كما أنّ الفعل المضارع لايُتكلّم به إلاّ ومعه الاسم؛ لأنّ الاسم قبل الصفة كما أنّه قبل الفعل. ومع هذا أنّك ترى الصفة تجري في معنىً (يَفْعَلُ) يعني: هذا رجلٌ ضاربٌ زيداً[٥٨] وتَنْصِبُ كما ينصب الفعلُ، وسترى ذلك إنْ شاء الله تعالى[٥٩]. فإن كان اسماً كان اخفَّ عليهم وذلك نحو: أفْكَلٍ وأكْلُبٍ يَنصرفانِ في النكرة.

ـ أو موافقته لوزن الفعل وهو صفة مثله

ومضارعة (افْعَلَ) الذي يكون صفة للاسم أنّه يكون وهو اسم صفة كما يكون الفعل صفةً[٦٠] والذي منعه أنْ ينصرف في النكرة أنّه على مثال الفعل وهو صفة مثلُهُ[٦١].

ـ أو موافقته لوزن الفعل ولايكون صفة

وامّا (يَشْكُر) فإنه لايكون صفةً وهو اسمٌ. انّما يكون صفة وهو فعلٌ[٦٢].

خفة النكرة وثقل المعرفة

واعلم أنّ النكرة أخفّ عليهم من المعرفة، وهي اشدُّ تمكناً؛ لانَّ النكرة أوّل ثم يَدْخُل عليها ما تُعرَّف به؛ فمن ثَمَّ اكثرُ الكلام ينصرف في النكرة.

خفة الواحد وثقل ماكان من اوزان الجمع ولايكون للواحد

واعِلمْ أنّ الواحد أشدُّ تمكناً من الجميع[٦٣]، لانّ الواحدَ الاوّلُ وَمِن ثَمّ لم يصرفوا من الجميع[٦٤] ما جاء على مثال ليس يكون للواحد نحو مَساجِدَ ومفاتيحَ[٦٥].

خفة المذكر وثقل المؤنث

واعلم أنّ المذكرّ اخفّ عليهم من المؤنث؛ لانّ المذكر أوّل، وهو اشدّ تمكناً، وانّما يخرج التأنيث من التذكير؛ ألا ترى أنّ (الشيْ) يقع على كل ما أخبر عنه[٦٦] والشيْ ذكرٌ[٦٧].

تنوين الاخفّ وترك تنوين الثقيل مما تقدم

فالتنوين علامة للامكن عندهم والاخفّ عليهم، وتركُه علامة لما يستثقلون، وسوف يبيّن ما يَنصرف وما لاينصرف إنْ شاء الله تعالى[٦٨].

دخول (أل) والاضافة على الممنوع من الصرف

وجميع مالا ينصرف اذا أدخلت[٦٩] عليه الألف واللام أو أضيف انجرَّ، لانّها اسماء أُدخل عليها ما يدخل على المنصرف وادخل فيها الجر[٧٠] كما يـدخل في المنصـرف ولايكون ذلـك في الافعال وأَمِنـوا التنوين؛ فجميع مايُتركُ صرفُه مُضارَعٌ به الفعل، لانّه انما فُعِل ذلك به لانّه ليس له تمكّنُ غيرهِ كما أنّ الفعل ليس له تمكّنُ الاسم.

٦ - جزم الفعل المعتلّ الاخر(*)

واعلم أنّ الآخِرَ اذا كانَ يَسكن في الرفع حُذِفَ في الجزم؛ لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع فحذفوا كما حذفوا الحركة ونون الاثنين والجميع، وذلك قولك: لم يَرْمِ ولم يَغزُ ولم يَخْشَ. وهو في الرفع ساكن الآخِرِ، تقول: هو يَرْمي ويَغزُو ويَخْشَى.

* * *

ثانياً - أبواب الكلام من حيثُ الاسناد فيه، ومعانيه، وما يعرض فيه، وتقويمه

الباب الاول: الاسناد في الكلام.

الجملة الاسمية: (الابتداء) الجملة الفعلية

«هذا بَابُ المُسْنَدِ والمُسنَدِ إليْهِ[١]. وهُما مـا لايَسْتَغْني[٢] واحدٌ مِنْهما عَن الآخر، ولايَجِدُ المتكَلِّمُ مِنْهُ بُدّاً، فَمِنْ ذَلِكَ: الاسمُ المُبْتَدأ والمبنيُّ عَلَيْهِ[٣]، وَهُوَ قولُكَ عبدُالله أَخُوكَ، وهذا أَخُوكَ.

وَمِثْلِ ذلكَ: يَذْهَبُ عَبْدُ اللّهِ[٤]، فَلَا بُدَّ لِلْفِعْلِ مِنَ الإِسْمِ كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلاسْمِ الاولِ بُدٌ مِنَ الآخَرِ في الإِبْتداءِ.

ماكان بمنزلة الابتداء:

وممّا يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبدُ الله منطلقاً، وليت زيداً منطلقٌ، لانّ هذا يَحتاج الى ما بعده كاحتياج المبتدأ الى مابعده. واعلم انّ الاسم أوّل أحواله الابتداء، وانما يدخلُ الناصبُ، والرافع سوى الابتداء، والجاّر على المبتدأ[٥] الا ترى أنّ ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الاشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولاتصل الى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك الا ان تدَعَه وذلك انّك اذا قلت: عبدُ الله منطلقٌ، إن شئت ادخلت (رأيت) عليه فقلت: رأيت عبدَ الله منطلقاً، او قلت: كان عبدُ الله منطلقاً، أو مررت بعبد الله منطلقاً فالمبتدأ[٦] اول[٧] كما كان الواحدُ اول العدد، والنكرةُ قبل المعرفة».

الباب الثاني: معاني الكلام

«هذا باب اللفظ للمعاني.
اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين وسترى ذلك إن شاء الله تعالى.
فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذَهَبَ وانطلقَ، واتفاق اللفظين والمعنىٰ مختلِفٌ قولك: وَجَدْتُ عليه مِن المَوْجدة، ووجدت اذا اردت وجدان الضّالة وأشباه هذا كثير»[٩].

الباب الثالث: ما يعرض في الكلام.

«هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض[٩]. اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم[١٠] وان كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيْ عن الشيْ الذي أصله في كلامهم ان يُستعمل حتىٰ يصير ساقطاً. وسترى ذلك ان شاء الله. فمما حُذف وأصله في الكلام غير ذلك: لم يَكُ، ولاأدرِ، وأشباه ذلك. وامّا استغناؤهم بالشيْ عن الشيْ فإنّهم يقولون: يَدَعُ ولا يقولون: وَدَعَ، استغنوا عنها بـ(تَرَكَ) واشباه ذلك كثير[١١]. والعِوَضُ قولهم: زنادقة وزناديقُ، وفرازنةٌ وفرازينُ[١٢]: حذفوا الياء وعوّضوا الهاءَ، وقولهم: أَسْطاعَ يُسْطيعُ وانّما هي (أطاع يُطيع): زادوا السينَ عوضا من ذهاب حركة العين من (أَفْعَلَ)[١٣]، وقولهم: (اللّهُمَّ): حذفوا (يا) وألحقوا الميم عوضاً»[١٣].

الباب الرابع: تقويم الكلام

«هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة. فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب[١٤]. فامّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتُكَ أَمْسِ، وسآتيك غداً[١٥]
وامّا المحال فأن تَنقض اوّلَ كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس[١٦]. وامّا المستقيم الكذب فقولك: حَمَلْتُ الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه[١٧]. وامّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيد يأتيك[١٨]، وأشباه هذا[١٩] وامّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس[٢٠]».

الباب الخامس: ما يعرض في الشعر وتقويمه

صرف مالا ينصرف

«هذا باب ما يحتمل الشعرُ[٢١].
اعلم أنه يجوز في الشعر ما لايجوز في الكلام من صرف ما لاينصرف، يشبّهونه[٢٢] بما ينصرف من الاسماء؛ لانّها أسماء كما أنّها أسماء.

الحذف

وحذف ما لايُحذَفُ، يشبّهونه بما قد حُذِف واستعمل محذوفاً، كما قال العجّاج:
١ ـ * قواطِناً مكّة من وُرْقِ الحَمِي *.
يريد الحَمامَ.

وقال خُفَافِ بن نُدْبة [السُّلمي]: [٢٣].

٢ ـ كَنَواحِ ريشِ حمامةٍ نجديّةٍ ... وَمَسَحْتِ باللِّثَتَيْنِ عَصْفَ الإثمِدِ

كما قال: [٢٤]

٣ ـ وطِرْتُ بِمُنْصَلِي في يَعْمَلاتٍ ... [دَوَامي] الأَيْدِ يَخْبِطْنَ السريحا.

وكما قال النَّجاشي:

٤ ـ فَلَسْتُ بآتيهِ ولاأَستطيعهُ ... وَلاكِ آسْقِني إنْ كانَ ماؤكِ ذا فَضْلِ.

وقال مالك بن خُرَيْم[٢٥] الهَمْدانيّ:

٥ ـ فإنْ يَكُ غَثّاً أو سميناً فإنّني ... سأجعَل عينيهِ لنفسهِ مَقْنَعا

وقال آخر:

٦ ـ * دارٌ لِسُعْدَىٰ اذهِ مِنْ هواكا *

وقال الأعشىٰ:

٧ ـ وأخو الغوانِ متىٰ يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَعُدْنَ أعداءً بُعَيْدَ وِدَادِ

المَدّ

وربّما مَدّوا فقالوا[٢٦]: مساجيد وَمنابير شبّهوه بما جُمع علىٰ غير واحده في الكلام، كما قال الفرزدق:

٨ ـ تَنْفِي يَداها الحَصَىٰ في كلِّ هاجرةٍ ... نَفْيَ الدَّنانيرِ تَنْقادُ الصَّياريفِ

ويُنْشَدُ: نفي الدراهيم[٢٧].

الردّ الىٰ الأصل

ويَبْلُغون[٢٨] بالمعتلّ[٢٩] الأصل فيقولون: رادِدٌ في: رادٌّ، وضننوا[٣٠]، ومررت بجواري قَبْلُ. قال قَعْنَب ابن امّ صاحب[٣١]:

٩ ـ مَهْلاً أعاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقي ... أَنّي أَجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا

التضعيف

وَمِنَ العربِ مَنْ يُثقِل الكلمةَ اذا وقف عليها، ولا يثقلها في الوصل، فاذا كان في الشعرِ فهم يُجرونه في الوصل على حاله في الوقف نحو: سَبْسَبّا وكَلْكَلّا [لانهم قد يثقلونه في الوقف][٣٢] فاثبتوه في الوصل كما اثبتوا الحذف في قوله: «لنفسه مَقْنعا»[٣٣] وانّما حذفُ في الوقف. قال رؤبة:

١٠ ـ ضَخْمٌ يُحِبُّ الخُلُقَ الأَضْخَمّا.

بكسر[٣٤] الهمزةِ وفتحها، وقال بعضهم: «الضِّخَمّا» بكسر الضاد[٣٥].

من امثلة الحذف ايضا

وقال أيضا [في مثل: لِنَفْسِهِ مَقْنَعا] وهو الشمّاخ:

١١ ـ لَه زَجَلٌ كأنّهُ صوتُ حادٍ ... اذا طَلَبَ الوَسيقةَ، أو زَميرُ

وقال حنظلة بن فاتك:

١٢ ـ وأَيْقَنَ أنَّ الخيلَ إنْ تَلْتَبِسْ بِهِ ... يَكُنْ لفسيلِ النَّخلِ بَعْدَهُ آبِرُ

وقال رجل من باهلة:

١٣ ـ أو مُعْبَرُ الظَّهرِ يُنْبِي عن وَلِيَّتِهِ ... ما حَجَّ رَبُّهُ في الدنيا ولا آعْتَمَرا

وقال الاعشىٰ:

١٤ ـ ومالَهُ مِنْ مَجْدٍ تليدٍ ومالَهُ ... من الريحِ حَظٌّ لا الجنوبُ ولا الصَّبا

وقال:

١٥ ـ بيناهُ في دارِ صِدقٍ قَدْ أقامَ بها ... حيناً يُعَلِّلُنا وما نُعَلِّلُهُ

التقديم والتأخير

ويحتملون قبحَ الكلام حتّى يضعوه [في](٣٧) غير موضعه لانّه مستقيمٌ ليس فيه نقضٌ(٣٨) فمن ذلك قوله: (٣٩).

١٦ ـ صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وَقَلّما وصالٌ على طول الصُّدودِ يدومُ

وانّما الكلامُ: وَقَلَّ ما يَدومُ وصالٌ.

جعل اللفظ بمنزلة غيره

ـ الظرف ـ

وَجَعلُوا مَا لَايَجْري في الكَلَامِ إلّا ظَرْفاً بِمَنزِلَةِ غَيْرِهِ [مِنَ الأسْماءِ](٤٠)، وَذلكَ قَوْلُ المَرّارِ بنِ سلامَةَ العِجْليّ:

١٧ ـ ولا يَنْطِقُ الفَحْشاءَ مَنْ كانَ مِنْهُم اذا جَلَسوا مِنّا، ولامِنْ سَوائِنا

وقَالَ الأَعْشَى:

١٨ ـ * وما قَصَدَتْ من أَهْلِها لِسَوائِكا *

ـ الحرف ـ

وقال خِطامُ المُجاشِعيّ:

١٩ ـ * وَصَالِياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ *

فَفَعَلُوا(٤١) ذَلِكَ؛ لِأنّ مَعْنَى (سَواءِ) مَعْنَى (غَيْر) ومعنى (الكاف) معنىً (مثل).

ضابط الضرورة الشعرية

وَلَيْسَ شَيْءٌ يُضطَرّون إليه إلّا وَهُمْ يُحاوِلُونَ به وَجْهاً(٤٢) وَمَايجوز في الشِعْرِ اكْثَرُ مِنْ أن أَذْكُرَه لَكَ هَهُنا؛ لِأنّ هذا مَوْضِعُ جُمَلٍ وَسَنُبَيّنُ ذلكَ فيما نَسْتَقْبِلُ(٤٣) إنْ شاءَ اللّهُ تَعالَى(٤٤).

* * *

المصادر والهوامش

(هوامش النصّ المحقق ـ روايات الكتاب)

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الازدي الاندلسي النحوي المعروف بـ (الرَّباحيّ)؛ نسبة الى قلعة رباح مدينة بالأندلس وكان علمه الغالب عليه علم العربية، وكان فيها اماما كبيراً، أخذ عن ابن الاعرابيّ والنّحاس وابن ولّاد، مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

طبقات النحاة واللغويين للامام تقي الدين ابن قاضي شهبة الاسدي الشافعي المتوفى سنة ٨٥هـ، تح د: محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٤، ٧٧م. وبغية الوعاة ١/٢٦٢.

أنباه الرواة على انباه النحاة للقفطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ، ٣/٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) هو أبو القاسم بن أبي الحسين محمد بن ولّاد.

(٣) هو محمد بن الوليد، أبو الحسين بن وَلّاد التميمي قرأ على المبّرد كتاب سيبويه، وله في النحو كتاب. سمّاه المنمق، وفي بغية الوعاة: «لم يصنع فيه شيئاً».

مات سنة ثمان وتسعين ومائتين بمصر وقد بلغ الخمسين.

طبقات النحاة واللغويين، ٢٧٣؛ انباه الرواة، ٣/٢٢٤ - ٢٢٥؛ بغية الوعاة، ١/٢٥٩ وفيه: «محمد بن وَلّاد هكذا اشتهر، وانّما هو الوليد التميمي النحوي أبو الحسين».

(*) الى هنا ينتهي الكلام على اسناد رواية الكتاب ثم تبدأ الرواية الاولى وهي قول ابي عبد الله محمد الربّاحي. (٤) هـ: «أهل الجنّة». (٥) يونس ١٠.

(٦) في الاصل، وفي (م): «لم تزل» والذي اثبتناه هو ما في (هـ).

(*) رواية أبي عبد الله محمد الرباحي عن طريق ابي جعفر النحاس.

(٧) هو أبو بكر احمد بن الحسين بن العباس بن الفرج بن شقير النحوي الشقيري بغدادي في طبقة ابن السّراج مات في صفر سبع عشرة وثلاثمائة كذا وردت ترجمته في بغية الوعاة ١/٣٠٢، وفي طبقات النحاة واللغويين، ١٢٣ وفي انباه الرواة، ١/٣٤ـ ٣٥ هو (محمد بن شقير أبو بكر النحوي)، ولم يترجما له.

(٨) هو محمد بن رستم الطبري، ظ: الكتاب (تحقيق عبدالسلام هارون) ١/٥ هامش ٣. (٩) هـ: «سنة» ساقطة.

(١٠) هو أبو علي أحمد بن جعفر الدينوري، ختن ثعلب. أخذ عن المازني كتاب سيبويه كما اخذ عن المبّرد. توفي بمصر سنة ٢٨٩هـ.

انباه الرواة، ١/٣٣ - ٣٤؛ بغية الوعاة، ١٣٠. (١١) م: «المتقنين».

(١٢) الِهنّدِلِع: بقلة. وزنها السيوطي (المُزهر في علومَ اللغة وانواعها، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم وجماعة، القاهرة، ٢/٢٩): «فنّعْلِل».

ظ: د. خديجة الحديثي: ابنية الصرف، ٢٠٠. (١٣) في الاصل: «بقلة» وهو خطأ.

(١٤) قال ابن جني (الخصائص تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ط: ٢، ٣/٢٠٤): «قيل إنّه أعجمي، وقال الاصمعي: احسبه روميّا، وهو طرف المظم الناتئ فوق القفا، وأنشد أبو زيد:

* مَنْ زَلَّ عَنْ قَصْدِ السَّبيلِ تَزَيَّلَتْ بالسيفِ هامَتُهُ عن الدُّرْداقِس». ووزنه (فُعْلالِل).

ظ: الزبيدي: الاستدراك على سيبويه، للزمخشري، تح: غناز بوجويدي، روما، ١٨٩٠م، ٣٧.

(١٥) شَمَنْصير: اسم في هذيل.

قالت الدكتورة خديجة الحديثي (أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ٢٠٦):

«واَستُدْرِكَتْ على سيبويه (فَعَلِّيل) نحو شَمَنْصِير إنْ كان عربيا، وقد يجوز أنْ يكون محرّفا من «شَمَنْصِير» كَمَنْدَليب...».

وينظر: الخصائص (٢/٢٠٥): «وقد يكون محرّفا من شِمَنْصير لضرورة الوزن».

واثبته الزبيدي (الاستدراك، ٣١): «شمَنْصير» ولم يشر الىٰ الضرورة.

(١٦) هو اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حمّاد بن زيد بن درهم من أهل البصرة انتهىٰ إليه العلم بالنحو واللّغة في اوانه وولي قضاء جانبي بغداد في خلافة المتوكل. صنّف المسند، والقراءات، وأحكام القرآن، ومعاني القرآن.

ولد سنة مائتين ومات فجأة سنة اثنين وثمانين.

معجم الادباء لياقوت الحموي، مطبوعات المأمون، ١٩٣٦م، ٦/١٢٩ - ١٤٠؛ بغية الوعاة ١/٤٤٣.

(١٧) هو أبو عمرو نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان بن أبيّ، الجهضمي اللغوي البصري.

خطّأ المحقق عبد السلام محمد هارون (الكتاب ١/٨ هامش١) القفطي في إنباه الرواة ٣/٣٤٥ الذي ظنّ أنّه صاحب الخليل وانّما صاحبه هو والده علي بن نصر. توفي سنة ٢٥٠هـ.

ظ: تاريخ بغداد او مدينة السلام للخطيب البغدادي، ط:١، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م. (١٨) هـ: «يُعدُّ». (١٩) م: «وعلي بن نصر» ساقطة.

(٢٠) هـ: «هذا» غير موجودة.

هو أبو نصر بن علي، علي بن نصر الجهضَمي البصريّ قال السيوطي (بغية الوعاة ٢/٢١١): «قال الصفديّ: كان من أصحاب الخليل في العربية ورفقاء سيبويه. روىٰ له الجماعة. ومات سنة سبع وثمانين ومائة».

(٢١) في الاصل: «مُوَرِّج»، وفي (م): «مورج». وفي (هـ): «مؤرج» ولم يذكر ترجمته. وفي كتب التراجم هو مؤرّج بن عمر بن منيع بن حصين السدوسيّ النحوي، من اعيان اصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والانساب والاخبار مات سنة خمسة وتسعين - وقيل اربع وتسعين - ومائة، وقيل: عاش الى ما بعد المائتين: معجم الادباء ١٩/١٩٧؛ بغية الوعاة ٢/٣٠٥؛ ظ: ترتيب القاموس المحيـ للطاهر احمد الزاوي، مصر، عيسىٰ البابي، ط:٢، ١٩٧٠م. (ارج).

(٢٢) في الاصل: «الاعلى» والذي اثبتناه ما في النسخ الباقية.

(٢٣) هو ابو اسحاق ابراهيم بن السريّ الزجّاج.

(٢٤) هو ابو الحسن علي بن سليمان الاخفش الصغير تلميذ ثعلب والمبّرد.

(٢٥) هو محمد بن وَلّاد ظ: ترجمته في هذا التحقيق.

(٢٦) في الاصل: «سعدة» وهو سهو.

(•) هذه هي الرواية الثانية لابي عبدالله الربّاحي عن طريق أبي القاسم بن وَلّاد عن ابيه.

(٢٧) هو ابراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن زياد بن أبيه، ابو اسحاق الزّيادي.

كان نحويا لغويا راوية. قرأ على سيبويه كتابه ولم يتمّه. شرح نُكت سيبويه. مات سنة تسع واربعين ومائتين: معجم الادباء ١/١٥٨ - ١٦١، بغية الوعاة، ٢/١٤

(٢٨) م: «سرت». هـ: «عمدت». (٢٩) م: «باب الجزاء». هـ: «في اثناء».

(٣٠) ظ: الكتاب، ٣/٨٥هـ؛ ٤٤٥١ - ٤٤٦ب.

(٣١) ترتيب القاموس المحيط. (لظ):

«اللَظّ الرجل العَسِرُ المتشدّد واللُزوم. والالحاح كاللُظيظ».

وفي (معجم الافعال المتعدية بحرف لموسى الاحمدي، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ٣٣٠): «والظّ بالشيْ: لزمه لايفارقه وثابر عليه».

(٣٢) هـ: «ابو الحسين» ساقطة.

(٣٣) ظ: بغية الوعاة، ١/٢٥٩.

هوامش النصّ المحقق (مقدمة الكتاب ـ ابواب الكلم)

(•) حصرت نصوص الكتاب بين هذين القوسين المزدوجين الصغيرين « »، وما كان خارجاً عنها فهو ليس منها.

(١) السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ المطبوع ـ ٤٩):

«وأما (الكلم) فقد يسأل السائل فيقول: لمَ لَمْ يقل: الكلام أو الكلمات؟ الجواب إنّ الكلام يقع على القليل والكثير والواحد والاثنين والجمع. والكلم: جماعة كلمة كما تقول: خَلِفَة وخَلفٌ وَخَربةٌ وخَربٌ. وإنّما اراد سيبويه أن يبين الإسم والفعل والحرف، وهي جَمع فأراد أن يعبر عنها بأشكل الالفاظ بها وأشبهها بحقيقتها. ولم يقل: (الكلمات)؛ لانّها جمعٌ مثل الكلم، والكلم أخفّ منها في اللفظ؛ فاكتفى بالأخفّ عن الاثقل؛ اذ لم يكن في احداهما مزية على الآخر».

(٢) احداث الاسماء: أي المصادر نحو الضرب والحمد والقتل. واراد بامثلة الفعل أبنيته.

(٣) قسّم سيبويه الفعل من حيث (وقوعه واستمراره):

أ ـ الفعل الواقع المنقطع: نحو ذهبَ وسمعَ.

ب ـ الفعل الذي لم يقع: وامثلته من (الامر): اذهَبْ، وقتُلْ، ومن (المضارع): يذهَب عن قليل أو غداً.

جـ ـ الفعل الذي يقع ولا ينقطع: وامثلته من المضارع نحو: (يعلم) في قولك: زيد يعلم فنونا من العلم. ذكره عبد القاهر. (عبد القاهر الجرجاني: المقتصد تح: د. كاظم بحر المرجان: بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، وجعله السيرافي ماهو: «كائن في وقت النطق الذي مثل: زيد يدرس الآن أو الساعة.

(السيرافي: شرح كتاب سيبويه ـ المطبوع ـ ، ٥٧).

والصواب أنّ (الفعل الذي يقع ولا ينقطع) يشمل الفعل المستمر الآن نحو: هذا يضرب زيداً الساعة، كما يشمل الفعل المستمر في حال وقوعه نحو: كان يضرب أباك، وزيد يعلم فنونا من العلم.

ـ ظ: الكتاب ١/١٦٤هـ، ٧٢ب.

؛ د. محمد كاظم البكاء: منهج كتاب سيبويه، ١٩٦ - ١٩٨.

• • •

ويُستنبط من نصّ سيبويه المذكور أنّ الفعل من حيث (بناؤه بلحاظ معناه):

أ ـ الفعل الماضي: وهو ماكان على معنىٰ (فَعَلَ) مثل: ذهب.

ب ـ الفعل المضارع: وهو ما كان على معنىٰ (افعلُ ونفعلُ ويفعلُ وتفعلُ) مثل: اكتبُ ونكتبُ ويكتبُ وتكتبُ.

ج ـ فعل الامر: وهو ما كان على معنىٰ (افْعَلْ) مثل: اذهبْ.

(٤) الكتاب ٤/٥هـ: «هذا بناء الافعال التي هي أعمال تعدّاك الى غيرك وتوقعها به، ومصادرها».

؛ الكتاب ٢/٢١٤: «هذا باب بناء الافعال... الخ».

(٥) م: «الحمد والقتل والضرب». ب: «الضرب والقتل والحمد».

(٦) ب: «ونحو هذا».

(*) قال عبد القاهر الجرجاني (المقتصد، ١/١٠٠).

«فهذه ثمانية ألقاب: أربعة للاعراب، وأربعة للبناء. وصاحب الكتاب يسميها (المجاري)».

(٧) في الاصل وفي (م): «والضمّ والكسر». والذي اثبتناه هو ما في (ب) و(هـ) ليجري على ترتيب ما قبله.

(٨) في الاصل وفي (م): «والكسر والجرّ». والذي اثبتناه هو ما في (ب) و (هـ).

(٩) في الاصل وفي (هـ): «فالرفع والجرّ والنصب والجزم».

وفي (م): «فالنصب والرفع والجرّ والجزم».

والذي اثبتنا هو ما في (ب) ليجري على ترتيب ما قبله.

(١٠) ب: «فالنصب».

(١١): اي لم يجمعوا على الاسم ذهاب التنوين وذهاب الحركة الذي يكون في الجزم وهذا تعليل لعدم الجزم في الاسماء.

(١٢): اي الفعل الماضي.

(١٣) ههنا وجهان لمضارعة الافعال المضارعة للاسماء:

أ ـ موافقه (ليفعل) قولك (لفاعل) في المعنى.

ب ـ صحة لحاق بعض الحروف للافعال كما تلحق الاسماء بعض الحروف مثل (ال).

(١٤): أي اسم الفاعل.

(١٥) م: «وسترى ذلك».

في هذا القول اشارة الى:

الكتاب ٣/٩ ـ ١١هـ، ١/٤٠٩ ـ ٤١٠ ب.

«هذا باب وجه دخول الرفع في هذه الافعال المضارعة للاسماء».

(١٦) ب: «قال الله تعالى».

(١٧) الاية ١٢٤/ سورة النحل. وتمامها: «وانَّ ربَّكَ ليَحْكُمُ بينَهُمْ يومَ القيامَةِ».

(١٨) هـ: «والألف» بزيادة الواو.

والصواب (الألف)؛ قال صاحب الكتاب في موضع متقدم:

«... فتلحِقُها هذين الحرفين كما تلحق الالفُ واللامُ الاسماءَ للمعرفة».

وفي ب: «لحقت الالفُ واللامُ الاسمَ للمعرفة».

وفي م: «كما لحقت الالف واللام للمعرفة».

• • •

قال أبو الحسن: «ليس الجرّ في هذه الافعال، لانّ الافعال ادلّة وليست الادلة بالشيْ الذي يدلّ عليه، وامّا زيدٌ وعمرو واشباه ذلك فهو الشيْ بعينه، وانّما يضاف الى الشيْ بعينه لا إلى ما يدلّ عليه. وليس يكون جَرّ في شيْ من الكلام إلاّ باضافةٍ، رجع(*).

وقال ابو الحسن: «لايدخل الافعال الجرّ؛ لانّه لايضاف الى الفعل، والمضاف اليه يقوم مقام التنوين، وهو زيادة في المضاف كما انّ التنوين زيادة، فلم يجز ان تقيم الفعل مقام التنوين لانه لايكون فعل إلاّ وله فاعل فلم يحتمل الاسم زيادتين، ولم يبلغ من قوة التنوين وهو واحد ان يقوم مقامه اثنان كما لم يحتمل الاسم الالف واللام مع التنوين». رجع الى كلام سيبويه(*).

(*) (رجع) علامة تدل على نهاية حاشية أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط ورجع الى كلام سيبويه.

(١٩) في الاصل وفي (م): «الفتح والضمّ والكسر والوقف». والذي اثبتناه هو ما في (ب) و(هـ) ليجري على ترتيب ما قبله.

(٢٠) في الاصل: «ليس غيره» والصواب ما اثبتناه. وهو موافق لما في النسخ الأُخَر

(٢١) أوضح ههنا علة بناء الاسماء غير المتمكنة وهي مضارعتها اي شبهها للحروف نحو سوف وَقَدْ، واليه اشار ابن مالك في قوله:

والاسم منه معرب ومبني لشبهٍ من الحروف مُدْني

(ظ: شرح ابن عقيل، ١/٢٨).

(٢٢) اي الافعال الماضي وأفعال الأمر.

(٢٣) قال الخليل (كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي. ط، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ٣/٢٨٥):

«للعرب في (حيث) لغتان، واللغة العالية (حَيْثُ)، التاء مضمومة وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده، ولغة اخرى حوث رواية عن العرب لبني تميم».

(٢٤) قال السيرافي في (شرح كتاب سيبويه ـ المطبوع ـ ١/١٤٤ ـ١٤٥، ١١ إنْ سأل سائل فقال: لِمَ وجب فتح اواخر الافعال الماضية فهلاّ أسكنت او حركت بغير الفتح؟ فالجواب وبالله التوفيق: أنّ الافعال كلها من حقها ان تكون معربة.. غير ان الافعال انقسمت أقسام: (فقِسْمٌ) منها ضارع الاسماء كلها من حقها أن تكون مسكنة الاواخر أقسام: (فقِسْمٌ) منها ضارع الاسماء مضارعة تامة استحقّ بها أنْ يكون معرباً وهو الافعال المضارعة التي في اولها الزوائد الاربع.. و (الضرب الثاني) من الافعال: ما ضارع الاسماء مضارعة ناقصة وهو الفعل الماضي. و (الضرب الثالث): مالم يضارع الاسماء بوجه من وجوه المضارعة وهو فعل الأمر؛ فرأينا الافعال قد ترتيب ثلاث مراتب: (أولها) الفعل المضارع المستحق للاعراب وقد اعرب، (وآخرها) الثالث: فعل الامر الذي لم يضارع الاسم البتة فبقي على سكونه، و (توسط) الفعل الماضي فنقص عن درجةالمضارع لنقصان مضارعته، وزاد على فعل الامر لما فيه من المضارعة فلم يسكّن كفعل الامر لفضله عليه، ولم يعرب كالفعل المضارع لقصوره عنه وبني على حركة واحدة اذ كان المتحرك امكن من الساكن، وجعلت تلك الحركة فتحة دون غيرها من أربعة أوجه أولها: أن الفتحة أخفّ الحركات...».

(٢٥) اي الاسم المضارع للمتمكن.

(٢٦) اي فيصرفونه. الاجراء: الصرف اي التنوين.

(٢٧) ههنا تنبيه على نوعين من الاسماء:

الاول: الاسم المضارع للمتمكن: مثل (من عَلُ) الذي قد يُجَرُّ فيقال: من عَلٍ.

الثاني: المتمكّن الذي جعل بمنزلة غير المتمكن في موضعٍ: اي الاسماء المعربة المتمكنة التي تجعل غير متمكنة بسبب التركيب مثل: ابدأ بهذا اولُ وياحكمُ؛ فهما في الاصل اسمان معربان.

(٢٨) قال أبو الحسن: «بُعْد (كَمْ)، و (اذْ) من المتمكنة: إنّ الاعرابَ لايدخلهما كما دَخل (مِن عَلٍ)» رجع.

(٢٩) اي لاضمّ في الفعل لانّه ماضٍ وبناؤه على الفتح، وامرٌ وبناؤه على السكون، وليس ثمّة فعل مبني ثالث ينسب اليه الضمّ سوى الفعل المضارع وهو ليس بمبنيّ.

(٣٠) أراد بالمعنيين بَعْدَ المضارع: كلُ بناءٍ من الفعل كان معناه (فَعَلَ)، وكل بناء من الفعل كان معناه (افْعَلْ).

(*) ههنا يعقد سيبويه الكلام على ما يعرب بالعلامات النائبة في الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة بعد أن تمّ له الكلام على أحوال الاعراب والبناء، وانّما تحدّث عما يعرّب بالعلامات النائبة بعد قسمة الكلم الى المعرب والمبني، لئلا يطول به ثمّة الكلام على احوال الاعراب فلا يدرك القارئ تصور القسمة المذكورة.

(٣١) ب: «تكون . . . ولم تكن».

(٣٢) اراد بالجمع الذي على حدّ التثنية جمع المذكر السالم.

(٣٣) ب: «تكون . . . وتكون».

(٣٤) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه - المطبوع -، ٢٢٥):

«يعني لو جعلوا النصب بالالف في التثنية؛ لأن الالف مأخوذ منها الفتحة للزمهم ان يجعلوا النصب بالالف في الجمع فكان تلتبس التثنية بالجمع . . .».

(٣٥) ب: «هذا». (٣٦) قال ابو الحسن:

«ولم يتبع الرفعُ الجرَّ؛ لأنّه أول ما يدخل الاسم فقد ثبت قبل الجر» رجع

(٣٧) قال أبو الحسن:

«ليس في الاثنين ولا في الجميع الياء ولا الواو ولا الالف بحرف اعراب ولا اعراب؛ لأنّه لايكون اعراب في غير حرف اعراب ولو كان واحد منهما حرف اعرابٍ ولا اعرابَ فيه لم يعلم السامع بشيْ من هذا أنّه رفع ولا نصب ولاجرّ.» رجع. وقال ابو الحسن:

«ولم يجعلوا الياء للرفع؛ لانّ الجرّ من الياء، ولم يجعلوا الالف للنصب؛ لأنّه ليس إلاّ رجلانِ ورجلينِ، واولّ احوال الاسم الرفع فجُعِلَتْ الالف للرفع اذ كان الجرّ اغلب على الياء. فإن قلت: هلاّ جعلت الياء للرفع و الالفَ للنصب وصار الجر تابعا لاحدهما؟ فان الجر الزم للاسماء من الرفع والنصب، والذي هو الزم لايكون تابعاً». رجع

(٣٨) م: «زايدتان»، ب: «زيادتان».

(٣٩) أي كالواو والياء في جمع المذكر السالم.

(٤٠) وهو ما يطلق عليه النحويون (تنوين المقابلة).

(٤١) قال ابو الحسن: «ليس فيها في موضع النصب اعراب ولاحرف اعراب».

وقال ابو الحسن: «ليست التاء نظيرة الواو والياء، انّما الكسرة نظيرة الياء والضمة نظيرة الواو؛ ألا ترى أنك لو سمعت (سلماتِ) لم تدلّك التاء على رفع ولا جرّ كما تدلّك الواو والياء. واذا سمت الحركة دلتك(*) على الرفع والجرّ تدلك الواو والياء» رجع.

ذهب أبو الحسن الأخفش إلى انّ التاء في جمع المؤنث السالم ليست نظيرة الواو من حيث الدلالة على الرفع والجرّ، ولكنّ نصّ عبارة الكتاب أنّ التاء في جمع المؤنث السالم نظيرة الواو والياء في جمع المذكر السالم من حيث كونها جميعاً حروف اعراب، وحرف الاعراب هو الحرف الذي يتغير لفظه بسبب اختلاف العوامل قال صاحب الكتاب: «. . . لكل عامل منها ضربٌ من اللفظ في الحرف؛ وذلك الحرف حرف الاعراب» (الكتاب ١/١٣هـ، ١/٣ب).

وعلى هذا يندفع استدراك الاخفش على صاحب الكتاب.

(*) في الاصل: «واذا سمعت الحركة ذلك دلتك ذلك».

م: واذا سمعت الحركة دلتك. . .».

هـ: لم يذكر قول ابي الحسن الاول، ولم يذكر في القول الثاني «واذا سمعت. الخ».

(٤٢) في الاصل وفي (ب): «يفعَلا». والذي اثبتناه ما في (م) و (هـ).

(٤٣) م، هـ: «ولايلزمها».

(٤٤) م،هـ: «فتكون الأولى». ارادوا الألف.

(٤٥) ب: «الآخِرُ». ارادوا النون.

(٤٦) م: «فلّما كان حالها في الواحد».

ب: «فلّما كان حال يَفْعَلْ في الواحد».

(٤٧) اي كحالها في تثنية الاسم.

(٤٨) اي إنّ الالف علامة إضمار كالتاء في (قُلْتُ)؛ وعلامة تثنية في قول: «اكلوني البراغيث) كالتاء في (قالتْ) من حيث كونها علامة تأنيث وليست اضماراً.

(٤٩) ب: «وليس للاسماء في الجزم».

(*) ههنا تنبيه على انّ العلامات الثانية في الافعال بمنزلة العلامات الثانية في الاسماء من حيث صورة الزيادة.

(*) ههنا يستدرك سيبويه الكلام على بناء الفعل المضارع استكمالا لبيان حالتيه في الاعراب والبناء. وقد اكمل الكلام على الافعال الخمسة التي زيدت ضمير الفاعل والنون فناسب ذلك ان يذكر ما زيد نونا من الافعال المضارعة في حالة البناء.

(٥٠) هـ: «الحقتْ».

(٥١) ب: «وليست باسماء». وليس صحيحاً لانّ المراد: (وليست صيغة يَفْعَلْ باسم».

(٥٢) ب: «وتُفتح النونُ».

هـ: «وتفتحها».

(٥٣) في الاصل وفي (م): «لانّها ليس في الواحد اخُرها حرف اعراب».

وفي هـ: «لانّها في الواحد ليست في آخرها حرف اعراب».

وما أثبتناه هو ما في (ب) لوضوحه وعدم اضطرابه. والمعنى:

(لأنّ صيغة (فَعَل) في الواحد ليس آخرها - وهواللاّمْ - حرف اعراب).

(٥٤) هـ: «الاولى».

(٥٥) قال سيبويه (الكتاب ١/١٢هـ، ١/٢ب):

«فهذه الامثلة التي أخذت من لفظ أحداث الاسماء، ولها أبنية كثيرة ستبيّنُ إن شاء الله».

اي ان الافعال مشتقة من الاسماء (المصادر) (فقتل) مشتق من (القتل) وهكذا.

(٥٦) قال عبد القاهر الجرجاني (المقتصد، ١/١١٥ - ١١٦):

«واعلم أنّ قوله (وكان في موضع الجرّ مفتوحاً) عبارةُ صاحب الكتاب وقد قال أصحابُنا: أنّ هذا تسامحٌ منه في العبارة، لانّ الفتح من اسماء البناء، ومالا ينصرف ليس مبنيا، فحقّه عندهم أنْ يُقال: وكان في موضع الجرّ منصوبا. والقول فيه عندي أنّ صاحب الكتاب استعمل الفتح تحقيقا، وأنّ المعنى يقتضي استعمالَهُ هنا، خصوصاً وانْ لم يكنْ مالا ينصرف مبنيّاً». وزاد في ذلك بيانا يراجع في موضعه (المقتصد، ١/١١٦ - ١١٧) وقد وضّح فيه أنّ مالا ينصرف يحرّك في حال الجر بالفتحة وهي هنا غير دالة على معنى النصب، ولايصحّ ان يقال: (فيكون في موضع الجرّ منصوباً).

(٥٧) في الاصل وفي (م)، وفي (هـ).

«وذلك نحو ابيض واسود واحمر فهذا بناء اذهبُ وأعلَمُ فيكون في موضع الجرّ مفتوحاً استثقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء». والذي اثبتناه هو ما في (ب) لتسلسل الاحكام وانتهائها بالتمثيل فيه على ما نألفه في اسلوب الكتاب الذي يجمل قوله: (وذلك نحو) وما أشبهه خاتمة الحكم.

ومعناه«استثقلوا الاسم حين قارب الفعل في الكلام ووافقه في البناء امّا

مقاربته في الكلام فهو مضارعته للفعل حين يجيئه صفة، وامّا موافقته في البناء فهو بجيئه على وزن الفعل. وايضاحه، في كلام سيبويه الذي سيليه مباشرةً.

(٥٨) عبارة: «يعني: هذا رجلٌ ضاربٌ زيداً» غير موجودة في (ب).

(٥٩) «تعالى» ساقطة من (ب) و(هـ) ظ: الكتاب ١/١٦٤ - ١٨هـ، ١/٨٣ - ٩٦ب.

(٦٠) اي أنّ وزن (أَفْعَل) اذا كان صفة مثل أَخْضَر وأَحْمَر قد قارب الفعل في الوزن والصفة. ومثل هذا لاينصرف في النكرة كما لاينصرف في المعرفة (ظ: الكتاب ٣/١٩٣هـ، ٢/٢ب)

(٦١) عبارة: «والذي منعه أنْ ينصرف في النكرة أنّه على مثال الفعل وهو صفة مثله» ساقطة من (ب) و (هـ).

(٦٢) اي أنّ وزن المضارع نحو (يَفْعَلُ) وغيره اذا كان اسماً مثل يشكر ويزيد واكلب فانه يقارب الفعل في الوزن فقط فهو لايجئ صفة.

ومثل هذا لاينصرف في المعرفة.

ظ: الكتاب ٣/١٩٤، ١٩٨هـ، ٢/٢، ٤ب.

(٦٣) ب: «الجمع»

٦٤ ب: «ما جاء من الجمع».

(٦٥) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ١/٢٠٣، ٢٠٤):

«فإنْ سأل سائل: قد رأينا هذا البناء في الواحد، وهو قولهم للصبغ حضاجر، قال الحطيئة.

هلاّ غضبت لرحل جا ... رك اذ تُنَبِّذُهُ حضاجر

قيل في الجواب: حضاجر جمع حِضَجْر، وهو العظيم البطن، وانّما لقبت الضبع بهذا اللقب وصار علما لعظم بطنها، وبولغ به حتى كأنها ذات بطون عظام.

فإنْ قيل: اذا كنت تمنع الصرف في الجمع الذي لانظير له في الواحد فينبغي الاّ تصرف أكلباً، اذ لانظير له من الواحد.

قيل: لم يرد سيبويه ما ذهب إليه المعترض، وانّما أراد على مثال لايجمع جمعاً ثانيا، لانّ ما كان على مثال يتأتى فيه جمع ثانٍ فهو بمنزلة الواحد».

(٦٦) في (ب) و (هـ) بعده «مِنْ قبل أنْ يُعلَمَ أذكرٌ هو أو انثى».

(٦٧) ب: «مذكر». (٦٨) في (ب) و (هـ) «تعالى» ساقطة .

(٦٩) ب: «أدخِلَ».

(٧٠) ب: «المجرور».

(*) يتضح مما تقدّم أنّ المسائل الست السابقة المتعلقة بالعلامات النائبة يمكن أنْ تصنّف على الوجه الآتي:

أولاً - الاسماء المعربة بالعلامات النائبة هي المثنى، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، والممنوع من الصرف وقد وردت على التوالي في المسألة (١) و (٢) و(٣) و(٥).

ثانياً - الافعال المضارعة المعربة بالعلامات النائبة وهي: الأفعال المضارعة مما اسند إلى الف الاثنين أو واو الجماعة او ياء المخاطبة وزيدت نوناً، والافعال المعتلّة الآخر وقد وردا في المسألة (٤)، و (٦).

وقد روعي في ترتيب العلامات النائبة في الاسماء والافعال صورة الزيادة أو الحذف فكان الكلام على المثنى، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم بالترتيب (١)، و (٢)، و(٣) ثم كان الكلام على العلامات النائبة في الافعال بالرتبة (٤)؛ لانّ الزيادة فيها بمنزلتها في الاسماء، وختم الكلام على العلامات النائبة بالممنوع من الصرف، والافعال المعتلة الاخر بالترتيب (٥) و (٦) فالاوّل يترك فيه التنوين، والثاني يجزم بحذف الحركة.

هوامش النصّ المحقق (مقدمة الكتاب - أبواب الكلام).

(١) قال الصفار (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ٢٣، ٢٤):

«هذا باب المسند والمسند اليه، فإن قلت: مالذي أراد في هذا الباب، وما ثمرته؟.

قلت: لمّا حصر (الكلم المجردات) في الاسم والحرف، حصر (المركبات) هنا في المسند والمسند اليه، فلهذا والله أعلم جاء به هنا».

(٢) هـ: «ما لايَغْنى».

(٣) قال عبد السلام هارون: «يعني الخبر».

(٤) في ب: «قولك يذهب زيدٌ».

(٥) ما يدخل على المبتدأ فيصير غير مبتدأ ثلاثة أشياء: الناصب مثل: رأيت عبدَ الله منطلقاً، والرافع مثل: كان عبدُ الله منطلقاً والجار مثل: مررت بعبدِ الله منطلقاً، قال السيرافي شرح كتاب سيبويه - مخطوط - (١/٢١٤):

«ويدخل الجار على المبتدأ في قولك: ما عندي من احد، وهل عندك من مالٍ، والمعنى احدٌ، وهل عندك مالٌ، ف (احد) و (مال) يرتفعان بالابتداء ثم دخل عليهما الجار».

(٦) ب: «فالابتداء».

(٧) هـ: «اوّل جزء».

(٨) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ١/٢١٦ - ٢١٧):

«قوله: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين يحتمل وجهين: فان كان أراد الكلمتين فهو دار وثوب وانسان وما اشبه ذلك مما يخالف بعضه بعضا في اللفظ والمعنى، وعليه اكثر الكلام، وان كان أراد باللفظ الحركة فهو قولك:

ما أحسنَ زيداً - أنْ اردت التعجب -، وما أحسن زيدٌ - اذا اردت انّه لم يحسن -، وما أحسنُ زيدٍ؟ - اذا استفهمت: اي شئٍ منه حسن أعينه ام أنفه..؟».

ويبدو لي أنّ صاحب الكتاب أراد باللفظين القولين اي الجملتين فقد جعل من اتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: (وجدت عليه)، و (وَجَدْتُ)، فهما ليسا كلمتين أو حركتين كما يراهما السيرافي وانّما هما جملتان اتفقتا في اللفظ والمعنى مختلف؛ قال الشنتمري (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ٢١):

«انْ قال قائل: لِمَ أتى سيبويه بهذا الباب، وما الفائدة فيه من طريق الاعراب؟.

فالجواب عن أبي العباس أنّه اجاب عن هذا بان قال: أراد سيبويه باختلاف اللفظين اختلاف الكلمتين وجعل هذا دليلاً على اختلاف الاعرابين لاختلاف المعنيين..».

وهكذا يتضح أنّ هذا الباب انما اريد به الكلام على (معاني الكلام) بعد كلامه على الاسناد فيه.

(٩) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ١/٢٢٠):

«يعني (ما يعرض في الكلام) فيجئ على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه».

وقال الصفار (شرح كتاب سيبويه - مخطوط - ٢٨):

«هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض: قدّم سيبويه رحمه الله هذا الباب مخافة أن يجئ بعد ما ظاهره أن يكسر القانون من زيادة أو نقص أو احتمال اصل قد استغنى عنه، فهو يقول الآن: انما ابنى القانون على الاكثر وما ليس كذلك فلا اعتدّه

كلما».

(١٠) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/ ٢٢٠):

«أراد (ربّما) يحذفون وهو يستعمل هذه الكلمة كثيراً في كتابه. والعرب تقول: أنت مما يفعل: اي ربّما تفعل».

(١١) ب: «كثيرة».

(١٢) لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، (فرزن):

«الفِرْزان: من لعب الشطرنج، أعجمي معرّب وجمعه فَرَازين».

(١٣) ظ: اللسان (طوع).

فيه كلام مسهب، وذكر تعقيب أبي العباس على سيبويه وردّ ابن جني عليه.

(١٤) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/٢٣٢):

«ومنه (الخطأ) وهو مالا تعمد فيه نحو قولك: ضربني زيدٌ، وأنت تريد: ضربت زيداً».

ويبدو لنا أن الخطأ من اقسام الكذب والكذب في الكلام عدم مطابقته للواقع.

(١٥) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/٢٢٨):

«عنى بالمستقيم اللفظ والاعراب، أن يكون جائزا في كلام العرب...».

وقال (١/ ٢٣٠):

«والمستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالماً من اللحن».

وقال الصفّار في شرح المستقيم الحسن (شرح كتاب شيبويه ـ مخطوط ـ ٣١):

«هو مالا تدافع في اجزائه، ولفظه على الترتيب العربي».

ويبدو لنا أن قول الصفار هو الذي يوافق قصد صاحب الكتاب؛ انّما تكلّم صاحب الكتاب في هذا الباب على (الاستقامة) وقابل بها (الاحالة) فاذا كانت الاحالة على حدّ تعبيره أن تنقض اول كلامك بآخره يكون معنى الاستقامة هو خلو الكلام من التناقض، وقد قال في موضع آخر (الكتاب ١/٣١هـ، ١/١٢ب).

«... لانه مستقيم ليس فيه نقضٌ». ظ: المقتضب ٢/٧٨ الحاشية.

(١٦) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/٢٢٩):

«والذي نقول في هذا وبالله التوفيق: إنّ (المحال) هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادّات، وقولنا: إنّ القعود والقيام اجتماع محال انما نريد به: الكلام الذي يوجب اجتماعهما محال قد احيل عن وجهه، الا ترى انّك تقول لمن تكلّم به قد أحلت في كلامك، فالكلام هو المحال كما أنّ الكلام هو الكذب».

(١٧) اي انه خال من التناقض ولكنه غير مطابق للواقع.

(١٨) هـ: «وكي زيداً يأتيك». الصواب ما أثبتناه فلا وجه لنصب زيداً.

(١٩) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/ ٢٣٠):

«كيف جاز ان يسميه مستقيماً قبيحاً، وهل هذا الا بمنزلة قوله: حسن قبيح لان المستقيم هو الحسن؟.

فان الجواب في ذلك ان الكلام ينقسم قسمين: كلام ملحون وكلام غير ملحون، فالملحون هو الذي نحي به عن القصد، وكذلك معنى اللحن، انما هو العدول عن قصد الكلام غيره، ومالم يكن ملحوناً فهو على القصد وعلى النحو ومن ذلك سمي النحو نحواً والمستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالماً من اللحن فاذا قال: قد زيداً رأيت فهو سالم من اللحن فكان مستقيماً من هذه الجهة، وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فكان قبيحا من هذه الجهة».

ويبدو لنا أنّ صحة تسمية الكلام بالمستقيم القبيح انما كانت بلحاظ كونه خالياً من التناقض فهو مستقيم، ولكنّ ألفاظه قد وضعت في غير مواضعها فهو قبيح من هذه الجهة.

امّا قول السيرافي: (لان المستقيم هو الحسن) فلا يوافق عبارة الكتاب لانّ الكلام المستقيم يكون حسنا مثل قولك:

اتيتك أمس، كما يكون قبيحاً بان توضع ألفاظه في غير مواضعها مثل قولك: قد زيداً رأيت.

امّا قوله: (المستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالماً من اللحن) فقد تقدّم عليه الكلام.

(٢٠) تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسِ.

هو (محال) لانّك نقضت اول كلامك بآخره فأوله (سوف) لما يستقبل من الزمان ونقيضها (امسِ).

وهو (كذب) لانّ قلت (اشرب ماء البحر) غير مطابق للواقع وقد تمثل به صاحب الكتاب في كلامه على المستقيم الكذب ايضاً ونظيره قولك: حملت الجَبَلَ.

وهكذا يتضح انّ قولك: أشرب ماء البحر مستقيم كذب، امّا قولك: سوف اشرب ماء البحر أمسِ فهو محال كذب.

• • •

قال ابو الحسن:

«ومنه (الخطأ) وهو مالا تَعَمَّدُ نحو قولك: ضربني زيدٌ، وأنت تريد: ضَرَبْتُ زيداً، والخطأ مالا تعمّده(*).

وامّا (المحال) فهو مالا يصحّ له معنى، ولايجوز ان تقول فيه: صدق ولاكذب؛ لانّه ليس له معنى، ألا ترى انّك اذا قلت: اتيتك غداً، لم يكن للكلام معنى تقول فيه صدق ولا كذب» رجع.

(*) في (م) ذكرت ههنا (رجع) وهي علامة انتهاء قول أبي الحسن وعلى هذا تكون العبارة: «وامّا المحال... الخ» من كلام سيبويه. وهو خطأ لان الكلام على (المحال) عنده قد تقدم فيه القول.

(٢١) قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ـ مخطوط ـ ١/٢٣٢):

«اعلم انّ سيبويه ذكر في الباب جملة من ضرورة الشعر ليُرى بها الفرق بين (الشعر) و (الكلام) ولم يتقصّه لانه لم يكن غرضه في ذكر ضرورة الشعر قصد اليها نفسها وانما اراد ان يصل هذا الباب بالابواب التي تقدّمت فيما يعرض في كلام العرب وملحيهم في الكلام المنظوم والمنثور».

وفي الدراسة اتضح لنا أنّ سيبويه قد تحدّث في الكتاب عن (الشعر) في أربعة ابواب غير ما يجئ نثاراً في الابواب الاخرى، وهذه الابواب هي: (هذا باب ما يحتمل الشعر) و (هذا باب الترخيم) و (هذا باب ما رخّمت الشعراء) و (وجوه القوافي في الانشاد) ـ الكتاب ١/٢٦، ٢/٢٣٩، ٢/٢٦٩، ٤/٢٠٤هـ، ١/٨، ١/٣٢٩، ١/٣٤٨، ٢/٢٩٨ب ـ.

(٢٢) اي انّ الشاعر قد يتجاوز قاعدة القياس النحوي في الكلام وان لم تطرّد به القاعدة النحوية؛ قال سيبويه: «وليس شئ يضطرون إليه، الا وهم يحاولون به وجهاً» (الكتاب ١/٣٢هـ، ١/١٣ب).

ومن هذه الوجوه أن يشبّهوا الشئ بالشئ فيجري مجراه.

ظ: د. خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه، الكويت، وكالة المطبوعات،

١٩٨٠م ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤ - ١٤٩.

١ - م: «الحَمم»

ديوان العجاج رواية الاصمعي، تح: عزّة حسن، سوريا، مكتبة دار الشرق، ١٩٧١م ٢٥٩: «أو الفاً مكة من وُرْق الحَمِي».

قال الشنتمري في تحصيل عين الذهب، حاشية الكتاب ط بولاق، ٩:

«وصف في البيت حمام مكة القاطنة بها لأمنها فيها. وواحدة القواطن قاطنة وهي الساكنة المقيمة وصرفها ضرورة.

والوُرْق جمع أورق وورقاء، وهي الشيّ على لون الرماد تضرب الى الخضرة».

والشاهد فيه: قوله (الحَمِي).

وذكر الشنتمري، بولاق ٨:

«يريد: الحمام فغيّرها الى (الحَمِي) وفي ذلك أوجه أحسنها عندي واشبهها بالمستعمل من كلام العرب ان يكون اقتطع بعض الكلمة للضرورة وابقى بعضها لدلالة المبقّى على المحذوف منها وبناها بناء يد ودم، وجبرها بالاضافة وألحقها الياء في اللفظ لوصل القافية...».

ظ: ابو جعفر النحاس: كتاب شرح أبيات سيبويه تح: د. زهير غازي زاهد، النجف، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٧٤م. ٢٩.

(٢٣) لم تكن في الاصل وفي (م) وما اثبتناه هو ما في (ب) و (هـ).

(٢٤) في (هـ) جاء قبله نقلاً من نسخة ديرنبرغ، وكذلك في (ب):

«وكما قال:

●دارٌ لسُعْدَى إذْهِ مِنْ هواكا●»

وفي الأصل ذكره بعد ثلاثة شواهد، ظ: الشاهد (٦)

وفي م: «وقال آخر» ثُمّ ذكر الشطر نفسه.

٢ - وفي (شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٢٧٧):

«وهذا البيت منسوبٌ الى خُفاف بن نُدْبة في الكتاب وزعم قومٌ أنّه لابن المقفّع. وليس الامر كما قالوا وجميع ما ينسب الى ابن المقفّع او ثلاث بعضها في الحماسة، وليس له مقطوعة على هذا الوزن ولاعلى هذا الروي - فامّا نسبته الى خُفاف فليس من عمل سيبويه وقد ذكرنا ذلك، ولايمتنع أن يكون لخُفاف كما ذكر من نسبه اليه، وان كان لم يقع في ديوانه، كما يُنْسَبُ الى زهير».

ظ: شواهد الشعر، ٢٢٩.

ونواحي الريش أطواقه وجوانبه، والعَصْف: ورق الزرع والإثمِد: الكحل؛ قال ابن السيرافي «والكحلُ حجارة تؤخذ من معدن من المعادن وليس بشيْ ينبت فيكون له ورق، ولم يكن الاثمد من الاشياء التي تكون في بلاد العرب فهم لايقفون على حقيقته»..:

«قوله: ومَسَحتِ باللِّثتين عَصْفَ الإثمِدِ، أراد مسحت اللثتين بعصف اثمد فقلب لانّ الكلام لايدخله لَبْسٌ، وكانَتَ النساء تتزيّن بان تُسَوِّد اللحم الذي في اصول الاسنان واللثات بالنَّؤور وهو دخان الشحم، او الإثمِد».

الشاهد فيه: قوله (نواحِ) واصله (نواحي) فحذف الياء في الاضافة ضرورة، وقال ابو جعفر النحاس (كتاب شرح شواهد سيبويه، ٢٩): «أراد كنواحي فحذف الياء؛ لانها تحذف مع التنوين اذا قلت: كنواحي البيت، فلما كانت هذه الياء يلزمها الحذف في بعض المواضع حذفت هنا».

٣ - في الأصل: وَطِرْت بمنصلي)، (دوامِ).

ب، هـ: (فَطِرْتُ بِمُنَصّلي)، (دَوَامي).

م: (فَطِرْتُ بِمُصْطلي)، (دوامي).

والصواب ما أثبتناه لوروده في أغلب المصادر، ولا مقتضٍ لحذف (الياء) من (دَوَامي) جمع (دامية)، والصواب ايضاً (بِمُنَّصَلي) بفتح الصّاد، في (شرح ابيات سيبويه لابن السيرافي ٤٦، ٤٧):

«قال سيبويه: (وكما قال) يعني كما قال الشاعر وهو مُضَرِّس بن رِبْعي الاسَديُّ:

وفتيانٍ شَوَيْتُ لَهُمْ شِواءً سريعَ الشَّيّ كُنْتُ به نَجيحَا
فَطِرْتُ بِمُنْصَلي في يَعْمُلاتٍ دوامي الايدِ يَخْبِطْنَ السَّريحا

النجيح: المُنجح، ويقال: عمل نجيح للذي يُنْجِحُ صاحبَه.. والمُنْصَل: السيف واليَعْمَلات: النوق البراع، والسَّريح: سيور نعال الابل، ويخبطن السريح: يطأنَ باخفافهم الارضَ؛ وفي الاخفاف السريح، والدوامي: التي قد دَمِيَتْ من شدّه السير ووطئها على الحجارة.

وقوله: طُرتْ بِمُنّصَلي اي اسرعت ومعي سيفي، وأقبلت الى اليعملات فَعَرْقَبْت نَاقةً منها واطعمت لحمها لُصُحبتي. يريد أنّه نحر لاصحابه وهو مسافر، راحلةً من رواحله».

الشاهد فيه: قوله (الايدِ) واصله (الايدي) فحذف الياء ضرورةً.

٤ - قال الشنتمري، بولاق ٩ - ١٠:

«وصف انه اصطحب ذئباً في فلاة معضلة لاماء بها، وزعم ان الذئب ردّ عليه فقال: لستُ بآتٍ مادعوتني اليه من الصحبة ولا استطيعه لانني وحشي وانت انسي ولكن اسقني ان كان ماؤك فاصلا عن ريّك، واشار بهذا الى تعسفه للفلوات التي لاماء فيها فيهتدي الذئب الى مظانه فيها لاعتياده لها».

الشاهد فيه: قوله (ولاكِ) حذف النون من (لكنْ) ضرورة.

(٢٥) م: جَرير.

٥ - ذكره الشنتمري، بولاق ١٠:

«وصف ضيفاً قدّم اليه ماعنده من القِرى، وحكّمه فيه ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه فيقنع بذلك».

الشاهد فيه: قوله (لنفسهِ) حذف حركة الاشباع من الضمير (الهاء) ضرورةً.

٦ - في هـ: ذكره قبل الشاهد (٣).

وفي م: هذا ترتيبه، وكذا عند الشنتمري، بولاق ١٠ على ما جاء في الاصل.

وذكر الشنتمري معناه، بولاق ١٠:

«وصف داراً خلت من سُعْدَى هذه المرأة وبعد عهدها بها فتغيّرت بعدها، وذكر أنّها كانت لها داراً ومستقَراً اذ كانت مقيمة بها فكان يهواها باقامتها فيها».

الشاهد فيه: قوله (إذْهِ) واصله (إذْهِيَ) فسكّن الياء من (هي) ثم حذفها ضرورة.

٧ - ديوان الاعشى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. م. محمد حسين، مكتبة الاداب بالجماميز

وفي (شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٤٥):

«ويُروى: أخو النساء، وقوله: متى يشأ يَصْرِمْ مِنْهُ، يعني أنّهن كثيرات الصَّرْمِ، مودَّتُهنّ ضعيفةٌ، فمتى يشأ انسان ان يراهن صوارم رآهنّ على هذا الوصفِ... ويكُنّ أعداء بعد وُدِّهِنّ، والوِداد: مصدر واددْتُ الرجلَ موادّة ووِداداً. ويُعَيْدَ: تصغير بَعْدِ. ويُروى: وَدَادَ بفتح أوّله».

الشاهد فيه: قوله: (الغوانِ) واصله (الغواني) فحذف الياء ضرورة.

(٢٦) ب، هـ: بدله «وربّما مَدوا مثل مَساجد ومنابر فيقولون...»

٨ - ديوان الفرزدق، ٥٧٠.

قال الشنتمري، بولاق ١٠:

«وصف ناقة بسرعة السير في الهواجر، فيقول: إنّ يديها لشدّة وقعها في الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا، ويسمع له كصليل الدنانير اذا انتقدها الصيرف فنفى رديئها من جيدها، وخصّ الهاجرة لتعذر السير فيها».

الشاهد فيه: قوله (الصّياريف) جمع على غير واحده مثل (ذَكَر) و (مذاكير)، و (سَمْح) و (مساميح).

(٢٧) ب، هـ: (ويُنْشَدُ: نَفْيِ الدّراهيم) غير موجودة.

(٢٨) ب، هـ: «وقَدْ يبلغونَ».

(٢٩) في حاشية الاصل: والمضاعف.

وفي تحقيق عبد السلام هارون ص: ٢٩ حاشية رقم (١):

«أراد بالمعتل هنا ما يشمل المعتلّ والمضعّف».

(٣٠) ب، هـ: زيادة «في ضَنّوا».

(٣١) في الاصل: قعشب بن امّ صاحب.

والصواب في اغلب المصادر ما اثبتناه.

٩ - وفي (شرح أبيات سيبويه، ٢٠٨ - ٢٠٩):

«ومَهْلاً منصوب باضمار فعلٍ . . . وأعاذلَ، نداء أراد ياعاذلة قد جَرّبت من خلقي اني أجود على مَنْ يبخَل عليّ ولا التمس منه المكافأة. وانْ ضننوا، شرط محذوف الجواب كأنّه قال: وإنْ ضنّوا لم اضنّ».

الشاهد فيه: قوله (ضَننوا) والاصل (ضَنّوا) فردّه الى الاصل قبل الادغام ضرورة.

(٣٢) لاتوجد في الاصل، وما اثبتناه هو ما في (م) و (ب) و (هـ).

(٣٣) ظ: الشاهد رقم (٥) وهو من شواهد الحذف.

١٠ - في ملحقات ديوان رؤبة، ١٨٣؛ في (شرح ابيات سيبويه، ٢٧٨):

ثُمّتَ جئتُ حيّةً أصمّا ... ضخماً يُحب الخُلُقَ الأضخُما

وبه يتضح أنّ الصواب (ضخما) وليست (ضخمّ) كما في الكتاب ظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون هامش ٤/٢٩.

قال الشنتمري، بولاق ١١:

«وصف رجلاً بشرف الهمّة وعظم الخليقة، ونسبه الى الضخم اشارة الى ذلك ولم يُرِد ضخم الجثة؛ قال الله عزّ وجلّ: «وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عظيم»، والعظم والضخم سواء».

الشاهد فيه: قوله (الأضخُمّا) فشدّد الميم من (الا ضخمَ)، وهذه الميم لاتشدّد إلاّ في الوقف وكانت منتهى الكلمة.

(٣٤) ب، هـ: «يُروى بكسر».

(٣٥) علّق الشنتمري، بولاق ١١ على رواية كسر الهمزة:

«وعلى هذه الرواية فلا ضرورة فيه، وكذا على رواية (الإضْخَمّا) بكسر الهمزة وبفتح الخاء؛ لانّ (فِعَلّا) و (إفْعَلّا) موجود في كلامهم كَهِزَبْر وإرْدَبّ».

(٣٦) في الاصل (في مثله)، وما أثبتناه هو ما في (م) و (ب)، ونصّ (هـ) على ورودها في (ط): اي نسخة ديرنبرغ، ولم يثبتها في المتن. والصواب اثباتها لانّ في النصّ حاجة اليها. وانّما يلتبس التضعيف بامثلة الحذف من دونها.

١١ - ديوان الشمّاخ: بن ضرار الذبياني، صلاح الدين البادي، دار المعارف بمصر ٦٥.

روي البيت في الديوان: (لَهُ زَجَلٌ تقولُ: أصوتُ حادٍ) ولاشاهد في البيت في مصادر كثيرة (ظ: شواهد الشعر، ٢٤٢) في (شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٢٩٢):

«والزَجل: الصوت، يريد أنّه يصوّت حتى تجتمع له، وكأنّ صوته صوت حادٍ، والوسيقة: الابل تُطْردُ وتؤخذ من اصحابها، فحاديها يسرع بها لئلا يُلحق، والزميرُ: الزمر»

الشاهد فيه: قوله (كأنّه) فحذف حركة الاشباع من الضمير (الهاء) ضرورة.

قال ابو جعفر النحاس (كتاب شرح شواهد سيبويه، ٣١): «. . . فحذف الضمّة التي على الهاء من (كأنّه) وأبقى الشمّة، أراد (الاشمام) وهو ضمّك شفتيك بعد سكون الحرف اصلاً.

١٢ - في (شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ١٧٢):

«وقال تَليد العَبْشمي:

شفَيْت الغليلَ مِن سمير وجعْونٍ ... وأفلَتَنا رَبُّ الصَّلاصِل عامِرَ

وأيقَنَ أنّ الخيل إنْ تلتبسْ به ... يكُنْ لفسيلِ النَّخلِ بَعْده آبِرُ»

ثم قال:

«والشعر منسوب في الكتاب الى حنظلة بن فاتك، وقد اثبَتُّ ما عرفته»

وقد ذكر سبب هذا الشعر بما يشعر بدقّة تحقيقه وصحة نسبته الى تَليد العَبْشمي.

وقد علّق محقق كتاب (شرح ابيات سيبويه) بقوله:

«انظر في البيتين فُرحة الاديب رقم ٢٣ كتبة ابن السيرافي».

«يصف جباناً أيقن انه إن التبست به الخيل قُتل فصار ماله لغيره، فلذلك لَمّ وانهزم، أو ان يكون وصف شجاعاً فيقول: قد علم انّه ان ثبت وقتل لم تتغيّر الدنيا بعده وبقي من أهله من يخلفه في حرمه وماله فثبت في الحرب ولم يبالِ».

وهو معنى بُني على الاحتمال وكأنّه بيت مُفرَد امّا ابن السيرافي فيقول:

«وأيقَنَ أنّ الخيل إن تلتبس به يريد أنّ اصحاب الخيل إنْ ادركوه قتلوه فأخذ أهلُه نخله فأبروها وأصلحوها وتركوا الطلب بثأره فضاع دمه»

وهو معنىً ينسجم مع البيت الاول.

الشاهد فيه: قوله (بعده) فحذف حركة الاشباع من الضمير (الهاء) ضرورةً.

١٣ - قال الشنتمري، بولاق ١٢:

«وصف لصّاً يتمنى سرقة بعيرٍ لم يستعمله ربُّه في سفر لحجّ أو عمرة فينصبه. والمُعْبَر الظهر: الكثير وبره، ومعنى ينبي عن وليّه يعملها تنبو عنه لسمنه وكثرة وبره. وكان ينبغي ان يقول: تنبي وليه عن ظهره، فقلب لانّه اذا أنباها عن ظهره فقد ابنى ظهره عنها، والوليّة: البَرْذعة»: أي الكساء الذي يلقى على ظهر الدابة

الشاهد فيه: قوله (ربّهُ) فحذف حركة الاشباع من الضمير (الهاء) ضرورة.

١٤ - ديوان الاعشى، ١١٥

روي البيت في الديوان: (وما عِنْدَه مَجْدٌ تَليدٌ)

ولاشاهد في البيت على هذه الرواية، ولكن رواية سيبويه ثابتة في مصادر كثيرة.

(ظ: شواهد الشعر: ٤٤٢)

وفي (شرح ابيات سيبويه لابن السيرافي، ٦٤):

«. . . وماله من مجد تليد: اي ليس له مجد قديم، ولاله من الريح فضل: اي ليست له علىّ مقدرة من جهة من الجهات، كذا رأيته قد فُسّر، وهذا جارٍ مجرى قولهم: هَبّتْ ريح فلان، اذا علا أمره وعظم شأنه، وصارت له دولة وسكنت عنه ريحه اذا زال عنه سلطانه ومقدرتُه». قال الشنتمري، ١٢ بولاق:

«يهجو رجلاً انّه لم يرث مجداً قديماً، وانّه ليس له حظّ في الخير؛ فإنّ الجنوبَ والصّبا أكثر الرياح عندهم خيراً، فالجنوب تلقح السحاب والصّبا تلقح الأشجار».

الشاهد فيه: قوله (لَهُ) الأول بحذف حركة الاشباع من الضمير (الهاء) ضرورةً.

١٥ - قال الشنتمري، ١٢ بولاق:

«أراد (بينا هو) فسكن ضرورةً ثم حذف فادخل ضرورة على ضرورة وعلته كملة حذف الياء في قوله: (انهمن هواكا) وقد تقدّم شرحه.

وصف رجلاً سيداً فاجأته المنية فاخترمته فيقول: بينا هو في خير وصلاح حال يملنا بالطعام والشراب والمعروف والافضال ذهبت به المنية ففقدناه، وجواب (بيناه) فيما يتصل بالبيت، والصدق ههنا الخير والصلاح».

لم يذكر في: كتاب شرح أبيات سيبويه لابي جعفر النحاس.

وليس في: شرح شواهد سيبويه لابن السيرافي.

(٣٧) زيادة في (م)، و (ب)، و (هـ) يقتضيها السياق.

(٣٨) م، ب: (نقص) بالصاد المهملة.

١٦ ـ نسبه ابن السيرافي الى (المرّار).

وعلّق محقق كتاب (شرح ابيات سيبويه، ٧٤) بقوله: «ورد بيت الكتاب منسوبا الى عمر بن أبي ربيعة في الكتاب بولاق ١٢/١، باريس ٩/١ . . . ونسبه الشنتمري في هامش الكتاب بولاق ١٢/١ الى المرّاد الفقعسيّ وكذلك نسب الى المرار الفقعسيّ في الخزانة، بولاق ٤/ ٢٨٩ . . .».

ونبّه مؤلف (شواهد الشعر، ٤٤٢) على اختلاف روايته هكذا:

صَدَدْتِ فأطولْتِ الصدودَ ولا أرى | وصالاً على طول الصدود يدوم

ومعناه على ما اوردهُ ابن السيرافي:

«وَصَدَتْ هذه المرأة فأطوَلْتَ أنتَ الصدود، ومع طول الصدود لايبقى من المودّة والمحبة شيْ».

الشاهد فيه: (قلّما وصالٌ . . . يدوم) قدّم الاسم على الفعل، والقياس انّ (قلّما) لايليها إلاّ الفعل.

قال ابن خروف (تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب، ١٢):

«. . . فيرتفع (وصال) بـ (قلّ) و (ما) زائدة»

ظ: مغني اللبيب، ٣٠٨/٢.

(٣٩) ب: «فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة».

(٤٠) زيادة في (ب) و (هـ) يقتضيها السياق.

١٧ ـ قال الشنتمري، بولاق ١٣:

«وصف نادي قومه ومتحدثهم بالتوقير والتعظيم، فيقول: لاينطق الفحشاء من كان في نادينا من قومنا أو من غيرنا اذا جلسوا للحديث اجلالاً لنا وتعظيماً».

الشاهد فيه: قوله (من سوائِنا) ادخل (مِنْ) عليها وعاملها معاملة (غير).

١٨ ـ ديوان الاعشى: ٦٥.

رواية الديوان، والشنتمري، بولاق ١٣:

تجانَفُ عن جوِّ اليمامة ناقتي | وما قَصَدَتْ من اهلها لسوائكا

وفي (شرح ابيات سيبويه، ٩٥): (تجانَفُ عن جُلِّ اليمامة ناقتي).

وجاء فيه:

«. . . وجُلّ اليمامة يريد جُلّ اهلها، وجُلُّهم: معظمهم. يعني أنّه لم يقصد سواه من أهل اليمامة . . . يريد ما قَصَدَتْ من اهل اليمامة لغيرك، انّما قصدتك أنت، ويروي: وَمَاعَدَلَتْ من أهلها لسوائكا، وقيل اللام بمعنى إلى: اي ما عدلتْ الى سوائك».

الشاهد فيه: قوله (لسوائكا) ادخل حرف الجر على (سوائك) وجعلها بمنزلة (غير) ضرورةً.

١٩ ـ في (شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٩٦، ٩٧):

والصاليات: الأثافيّ صَلِيَتْ بالنار، وهي الحجارة التي توضع عليها القدر.

وقوله: ككما يؤثفين: يريد أنها كما نُصِبَتْ وتركتُ القدر لم يتغيّر منها شيْ ولم تَنَحّ أثفية منها عن موضعها في الموضع الذي كانتْ فيه حين طبخوا».

الشاهد فيه: قوله (ككما) أدخل (الكاف) على (الكاف) الثانية التي جعلها بمعنى (مِثل).

(٤١) م، ب، هـ: «فعلوا».

(٤٢) قال د. خالد عبد الكريم جمعة (شواهد الشعر في كتاب سيبويه، ٤٥٠):

«وبتتبع المواضع التي حدث فيها سيبويه عن الضرورة نلاحظ أنّه يُرجع معظمها الى احد شيئين:

الاول: المشابهة بين الضرورة وغيرها مما يجوز في الكلام المنثور.

الثاني: هو انّ الضرورة ـ في بعض صورها ـ ليست سوى استخدام للاصل المهجور؛ ولذلك عدّ سيبويه بعض هذه الضرورات من باب ردّ الاشياء إلى اصولها».

وقال د. محمد كاظم البكاء (منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، ٢٥٢):

«القياس الشعري عند الاختيار يوافق القياس النحوي الذي يجري في الكثير. ويجري عند الاضطرار على سنن العرب في كلامها وتصرّفهم في اساليب العربية وان لم تطرد به الامثلة، فشرط صحته أن يكون ثمّة وجه مقبول في العربية يلحق به أمر آخر يحمل عليه، فان لم تجده فهو خطأ مرفوض؛ قال سيبويه: «ولو اضطّر شاعر فاضاف الكاف الى نفسه قال: ما أنت كي، وكي خطأ من قبل انّه ليس في العربية حرف يفتح قبل ياء الاضافة».

الكتاب ٣٨٥/٢هـ، ٣٩٢/١ب.

(٤٣) م: «الجُمَل».

(٤٤) ب: «يستقبل».

(٤٥) قال ابو الحسن:

«سمعت من العرب قول العُجير السلولي:

فبيناه يشري رحله قال قائلٌ
لمن جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجيبُ

وقال الفرزدق فوضع الكلام في غير موضعه:

وما مثلهُ في الناسِ(*) الاّ مُمَلَّكاً | أبو امّه حيٌّ ابوهُ يُقاربُهْ

وقال قيس بن زهير:

ألَمْ يأتيكَ والأنباءُ تنمي | بما لاقتْ لبونُ بني زِيادِ»

رجع:

(*) في الاصل: (وما مثله للناسِ . . .)

على خلاف روايته في النسخ الباقية.

استشهدا سيبويه بقول قيس بن زهير السابق في موضع آخر فقال (الكتاب ٣١٦/٣هـ، ٥٩/٢ب): «فجعله حين إضطرّ مجزوماً من الاصل». يريد قوله (ألَمْ يأتيك).

وقال أبو جعفر النحاس (كتاب شرح أبيات سيبويه، ٣٧ ـ ٣٨):

«والوجه انْ يقول: ألم يأتك ولكنْ هذا من لغته أن يقول: (هو يأتيُك) كما تقول: (هو يضربُك) فحذف الضمّة من الياء وأسكنها في الجزم كما قال الآخر:

هجوت (زبّان) ثُمّ جئت معتذراً | من هجو (زبّان) لم تهجو ولم تدع

فقال: (لم تهجو) وكان حقه أن يقول: (لم تهجُ) بضمةٍ ولكن لمّا وجد الواو ساكنة أرسلها على سكونها . . .».

(التصنيف المنهجي لموضوعات النحو في مقدمة الكتاب)

ابواب الكلم وأحواله:

الباب الأول: انواع الكلم

١ - الاسم.

٢ - الفعل.

٣ - الحرف.

الباب الثاني:

اعراب الكلم وبناؤه:

ألقاب الاعراب والبناء.

المعرب والمبني.

انواع المعرب. وهو نوعان:

١ - اعراب الأسماء المتمكنة.

٢ - اعراب الافعال المضارعة.

وجوه مضارعة الافعال المضارعة للاسماء في الاعراب.

نفي الاسمية عن الافعال المضارعة

أنواع المبني وهو ثلاثة:

١ - بناء الاسماء.

٢ - بناء الافعال:

أ - بناء الافعال الماضية

علة عدم تسكين اخر الفعل الماضي.

ب - بناء الامر على السكون وعلته.

٣ - بناء الحروف.

علة عدم الضم في بناء الافعال.

بناء الماضي والامر.

مايعرب بالعلامات النائبة وهو ستة:

١ - العلامات النائبة في المثنى

٢ - العلامات النائبة في جمع المذكر السالم.

٣ - العلامات النائبة في جمع المؤنث السالم.

٤ - العلامات النائبة في الافعال المضارعة:

أ - يفعلان ب - تفعلان

جـ - يفعلون د - تفعلون هـ تفعلين

استدراك في بناء الفعل المضارع:

١ - يفعلْن (نون النسوة)

ب - لتفعلنّ (نون التوكيد)

٥ - ثقل الكلام والمنع من الصرف:

منع تنوين الاسم الموافق للفعل في الوزن (افْعل) والصفة

توضيح لمضارعة الاسم للفعل:

- حين مجيئه صفة في الكلام.

- او موافقته لوزن الفعل وهو صفة مثله.

- او موافقته لوزن الفعل ولا يكون صفة.

خفة النكرة وثقل المعرفة.

خفة الواحد وثقل ماكان من اوزان الجمع ولايكون للواحد.

خفة المذكر وثقل المؤنث.

تنوين الأخف وترك تنوين الثقيل مما تقدم.

دخول (ال) والاضافة على الممنوع من الصرف

٦ - جزم الفعل المعتل الآخر.

أبواب الكلام من حيث الاسناد فيه ومعانيه، وما يعرض فيه، وتقويمه:

الباب الأول: الاسناد في الكلام

الجملة الاسمية (الابتداء)

الجملة الفعلية.

ما كان بمنزلة الابتداء

الباب الثاني: معاني الكلام.

الباب الثالث: ما يعرض في الكلام

الباب الربع: تقويم الكلام

الباب الخامس: ما يعرض في الشعر وتقويمه:

صرف مالا ينصرف.

الحذف.

المدّ.

الردّ الى الاصل.

التضعيف:

من أمثلة الحذف أيضاً

التقديم والتأخير.

جعل اللفظ بمنزلة غيره.

ضابط الضرورة الشعرية.

* * *

الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية ـ ثبت ببليوغرافي ـ

اعداد

د. رزوق فرج رزوق

كلية التراث الجامعة

ـ القسم الاول ـ

الشعر التعليمي موضوع من الموضوعات الأدبية البارزة؛ ولكنه لم ينل من اهتمام الباحثين من أهل الأدب والعلم ما هو جدير به من دراسة. وقد يكون السبب الأول في حظه النزر من عناية الباحثين وقوعه ما بين الأدب والعلم، فهو أدب في شكله وعلم في مضمونه. لايأبه به الأدباء لأنه وهو يضم العلم يخلو مما ينبغي أن يضمّه الشعر ويضيب به من عاطفة وخيال، ومن إيماء وإيحاء، ومن عذوبة جرس وإشراق ديباجة. ويأخذ عليه العلماء أنه يلبس العلم ثياب الشعر وأنه إذ يفعل ذلك قد يجور على العلم فيختصر من مادته ماهو حقيق بالإسهاب والتفصيل والإيضاح.

إلا أنّ هذا الشعر التعليمي، بالرغم مما يؤخذ عليه، كان له في مسيرة شعرنا وعلمنا تاريخ طويل، وكان لـه في تاريخنا التعليمي مكان ملحوظ. ومن حق هذا الشعر أن يظفر بدراسات تتحدث عن نشأته، وأنواعه وأشكاله وموضوعاته، ودواعي نظمه، وروّاده وأبرز ناظميه، وتجلو فضله ومنافعه.

وقد عنيت بإعداد هذا الثبت الببليوغرافي للمنظومات، التعليمية التي ينطبق عليها تعريف الشعر التعليمي بمعناه الضيق المحدود. وهو تعريف يقصره على نظم العلوم المختلفة في موضوعات الدين واللغة والأدب والفن والعلوم الصرفة وسواها.

وإني لأرجو أن يعين الثبت على بيان أهمية الشعر التعليمي، وتوضيح صورته، وجلاء فوائده في ميادين الشعر والعلم والتأليف والتعليم، بوصفه غرضاً شعرياً بارزاً وفناً تأليفياً علمياً ظريفاً ووسيلة تعليمية معروفة، وأن يجد فيه الباحثون في مجالات الدراسات الأدبية والعلمية، وحقول التأليف والتحقيق ما قد يثير اهتمامهم.

رجحت ترتيب هذه المنظومات وفق تسلسل وفيات ناظميها. ولهذا الترتيب نفعه في مجال تتبع تاريخ الشعر التعليمي، والتعرف على فضل رواده وأعلامه، وتبين مراحل تطوره، في مختلف أنواعه وأشكاله وموضوعاته، منذ نشأته حتى سنة ١٩٨٦. وذكرت في فهرسة المنظومات، بعد اسم الناظم وسنة وفاته، عنوان المنظومة ـ إن كان لها عنوان ـ ونوع نظمها (أرجوزة، قصيدة، ألفية، منظومة..)، والمصدر أو المرجع الذي ذكر المنظومة أو المنظومات. وذكرت أحياناً أثنين أو ثلاثة من المصادر والمراجع إذا أضاف الثاني أو الثالث ذكر مزيد من المنظومات والمعلومات. ولم أذكر المنظومات التي لم تعرف أسماء أصحابها أو سنوات وفياتهم.

ورجعت في إعداد هذا الثبت إلى طائفة من كتب الفهارس والتراجم والتاريخ الأدبي، أبرزها:

الفهرست لابن النديم

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة.
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل البغدادي.
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي.
معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ليوسف إليان سركيس.
تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الترجمة العربية).
الأعلام - قاموس تراجم خير الدين الزركلي معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة.
تاريخ الأدب العربي في العراق لعباس العزاوي.
الإسفار عن العلوم والأسفار لجميل العظم (مخطوط).

واستعنت في مواضع من الثبت بمصادر ومراجع أخرى متنوعة، منها فهارس المخطوطات العربية.

وأشرت بعد ذكر المنظومات إلى أسماء المصادر والمراجع التي ذكرتها وأرقام أجزائها وصفحاتها.

وأعقبت الثبت - زيادة في الفائدة - بفهرس ذكرت فيه أرقام المنظومات مرتبة وفقاً لموضوعات المنظومات. ولم يتضمن الفهرس المنظومات التي لم تذكر المصادر موضوعاتها، والمنظومات التي لاتندرج موضوعاتها المتفرقة المتنوعة في موضوعات هذا الفهرس.

ضم هذا الثبت من أسماء الشعراء التعليميين ما يربو على (٧٥٠) اسماً.

وبلغ عدد ما ذكرته من المنظومات (١٣٥٠) منظومة. وقد استهللتها بذكر ديوان الأمير العالم الشاعر الأموي خالد بن يزيد (- ٩٠هـ) في الصنعة. وهو يضم قصائد ومقطوعات كثيرة في علم الكيمياء القديم، ويمنح صاحبه لقب الشاعر التعليمي الأول في تاريخ الشعر العربي، ويصحح الرأي الذي يتردد في كتب تاريخ الأدب وينسب فضل السبق الريادي إلى شاعر عباسي هو أبان بن عبدالحميد اللاحقي (-٢٠٠هـ).

ولابد من الإشارة إلى أنّ هذا الثبت - وإن اتسع - لايضمّ إلا ما يسّر لي بحثي في المصادر والمراجع التي رجعت إليها للاطلاع عليه من المنظومات التعليمية، وأنّ باب الاستدراك أو التذييل أو الإلحاق يبقى مفتوحاً لكثير من المنظومات الأخرى.

خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان (-٩٠هـ).

- ديوان خالد بن يزيد بن معاوية في الصنعة (علم الكيمياء القديم)، يضم مجموعة من القصائد والمقاطيع في موضوعات هذا العلم.

مخطوطة مكتبة المتحف العراقي ٢١٢٣

قال ابن النديم: «وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمس مئة ورقة».

الفهرست ٣٥٤

وذكر حاجي خليفة هذا الديوان فقال بصفه: «فردوس الحكمة في علم الكيمياء لخالد بن يزيد بن معاوية الأمير الحكيم. منظومة في قواف مختلفة وعدد أبياتها ألفان وثلاث مئة وخمسة عشر بيتاً. أولها:

الحمد لله العلي الفرد	الواحد القهار رب الحمد
ياطالباً بوريطس الحكماء	خذ منطقاً حقاً بغير خفاء

كشف الظنون ١٢٥٤ - ١٢٥٥

شُبيل بن عَزْرة بن عمير الضُّبعي (- نحو ١٤٠هـ).

٢ - قصيدة في الغريب

الفهرست ٤٥

شرقي بن القطامي (-١٥٥هـ).

- قصيدة في الغريب

الفهرست ٩٠

محمد بن أُميل بن عبد الله التميمي (ت١٧٠هـ).

٤ - قصيدة مخمسة في صنعة الكيمياء تسمى «ماء الورقي والأرض النجمية» و «رسالة الشمس إلى الهلال».

شرحها أيدمر بن علي الجلدكي.

٥ - اثنتا عشرة قصيدة في الصنعة يبلغ عدد أبياتها ثلاث مئة وستين بيتاً - في مخطوطة بمكتبة بشير اغا.

كشف الظنون ١٥٧٦

هدية العارفين ٢: ٨

مخطوطة بشير اغا بإستانبول ٥٠٥

محمد بن الحسن بن واقد الشيباني (-١٨٩هـ).

٦ - العقائد الشيبانية - قصيدة ألفية. شرحها الشيخ علوان بن عطية الحموي، وسمّاه «بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني»، وآخرون.

وسمّاها بروكلمان «قصيدة الشيباني».

كشف الظنون ١١٤٢

هدية العارفين ٢ : ٨
بروكلمان ٣ : ٢٥٧

أبان بن عبد الحميد الرقاشمي اللاحقي (ـ٢٠٠هـ).
«اختص. . . بنقل الكتب المنثورة الى الشعر المزدوج. فمما نقله:
٧ ـ كتاب كليلة ودمنة.
٨ ـ كتاب سيرة أردشير.
٩ ـ كتاب سيرة أنو شروان.
١٠ ـ كتاب بلوهر وبوداسف
١١ ـ كتاب مزدك . . .».
١٢ ـ ذات الحلل ـ قصيدة ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية. والصحيح أنها لأبان.

الأغاني ٢٣ : ١٥٥

أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد بقطرب (ـ ٢٠٦هـ).
١٣ ـ الأرجوزة القطربية أو مثلث قطرب ـ منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الألفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها. طبعت.

معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٥١٧

بشر بن المعتمر (ـ ٢١٠هـ).
١٤ ـ «. . . . وقد نقل من الكتب في معاني شتى الى الشعر ما أنا ذاكره فمن ذلك كتاب التوحيد. كتاب حدوث الأشياء. . .» وعدة كتب في الرد.

الفهرست ١٦٢

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العزاوي (كان حياً قبل سنة ٢١٦هـ).
١٥ ـ قصيدة في النجوم ـ مزدوجة طويلة تدخل مع تفسيرها في عشرة أجلاد.

كشف الظنون ١٣٤٥
معجم المؤلفين ٨ : ١٩٥

ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المعروف بذي النون المصري (ـ ٢٤٥هـ).
١٦ ـ قصيدة في الصنعة. أولها:

عجب عجب عجب عجب   قطط سود ولها ذنب

قال شارحها أيدمر بن علي الجلدكي في الشرح المسمى «الدر المكنون». جعلها مصنفها بطريق الهزل وفي بواطن ألفاظها وإن قلت وصغرت معانٍ تضيق عنها الصدور.

كشف الظنون ١٣٣٨

١٧ ـ أرجوزة في الكيمياء تنيف على مئة بيت، أولها:

الحمد لله الجميل فعله   قد شمل الخلق جميعاً فضله

مخطوطة المتحف البريطاني بلندن ١٥٩٠ إضافية

أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعروف بابن شِرْشِير (ـ ٢٩٣هـ).
١٨ ـ قصيدة في الفنون ـ في أربعة آلاف بيت على رويّ واحد وقافية واحدة. ذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل.
هدية العارفين ٢ : ٤٤٢ مجلة المورد ١(١٩٨٢) ص٨٩-١٠٤

أبو العباس عبد الله بن المعتز (ـ ٢٩٦هـ).
١٩ ـ أرجوزة في تاريخ المعتضد بالله. طبعت
معجم المطبوعات العربية والمعربة ٤٣

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ـ ٣١١هـ).
٢٠ ـ أشعار في العلم الإلهي.
٢١ ـ نقل كتاب الأس لجابر إلى الشعر.
٢٢ ـ قصيدة في المنطقيات.
٢٣ ـ قصيدة في العظة اليونانية.

الفهرست ٤٣٣

أبو عبد الله ابراهيم بن محمد الشهير بنفطويه (ـ ٣٢٣هـ).
٢٤ ـ قصيدة في غريب اللغة، شرحها ابن خالويه.
كشف الظنون ١٣٤٣

أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى الخاقاني (ـ ٣٢٥هـ).
٢٥ ـ القصيدة الرائية في علم الإنشاء.
٢٦ ـ القصيدة الخاقانية في علم التجويد، شرحها أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني

كشف الظنون ١٣٣٧، ١٣٣٩

حسن بن أحمد الحمداني اللغوي (ـ ٣٣٤هـ).
٢٧ ـ القصيدة الدامغة في اللغة، وشرحها.
كشف الظنون ١٣٣٧

أبو رجاء محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان الأسواني (ـ ٣٣٥هـ).

٢٨ ـ قصيدة في الفنون ذكر فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء وكتاب مختصر المزني في الطب والفلسفة وكتب الحديث وغير ذلك. سئل قبل موته: كم بلغت قصيدتك إلى الآن؟ قال: ثلاثين ألفاً ومئة بيت وبقي علي أشياء تحتاج إلى زيادة. ذكره السبكي.

كشف الظنون ١٣٤٢-١٣٤٣

سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه (ـ نحو ٣٤٠هـ).

٢٩ ـ أرجوزة في الطب.

الأعلام ٣ : ١٥٠

أسعد بن البطريق النصراني المصري (ـ٣٥٧هـ).

٣٠ ـ نظم الجواهر في أخبار الأوائل والأواخر ـ في التاريخ

إيضاح الكنون ٢ : ٦٥٨

أبو تميم سعد بن منصور بن القاسم الملقب بالمعزّ لدين الله الفاطمي (ـ ٣٦١هـ).

٣١ ـ ذات الدرر ـ أرجوزة في ضرب الرمل.

هدية العارفين ٢ : ٤٦٥

أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي (ـ ٣٦٣هـ).

٣٢ ـ الفتحية ـ منظومة في الفقه.

إيضاح المكنون ٢ : ١٧٦

أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي (ـ ٣٧٦هـ).

٣٣ ـ أرجوزة فلكية في صور الكواكب ـ طبعت.

الأعلام ٤ : ٩٣

الحسين بن علي بن ثابت المقرئ البغدادي الضرير (ـ ٣٧٨هـ).

٣٤ ـ منظومة في القراءات السبع.

هدية العارفين ١ : ٣٠٦.

أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري البصري (ـ ٣٩١هـ).

٣٥ ـ كتاب القصيدة في علم النجوم.

الفهرست ٢٧٣

هدية العارفين ١ : ٧

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري (ـ ٣٩٤هـ).

٣٦ ـ قصيدة في الآداب والسنة.

معجم المؤلفين ٦ : ١٨٠

أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني (ـ٤١٢هـ).

٣٧ ـ نظم مثلثات قطرب.

كشف الظنون ١٥٨٧

أبو الحسن علي بن هلال بن البواب (ـ ٤١٣هـ).

٣٨ ـ القصيدة الرائية في علم الخط. وصفها الأدباء بغاية البلاغة وقد استقصى فيها أدوات الخط. شرحها الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري.

كشف الظنون ١٣٣٩

محمد بن الحسن بن محمد الكلاعي الحميري اليماني (ـ ٤١٤هـ).

٣٩ ـ الدامغة ـ قصيدة في أنساب حمير.

٤٠ ـ القاصمة ـ قصيدة في التاريخ، وتعرف أيضاً بالقصيدة الكلاعية

إيضاح المكنون ١ : ٤٤٢ ؛ ٢ : ٢١٨

يحيى بن علي بن زكريا الشُقراطِسي (ـ ٤١٥هـ).

٤١ ـ أرجوزة في مناسك الحج.

معجم المؤلفين ١٣ : ٢١٣

أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ـ ٤٢٨هـ).

٤٢ ـ الأرجوزة في الطب ـ الألفية الطبية المشهورة. مطلعها:

الطب حفظ صحة برء مرض ... من سبب في بدن منه عرض

٤٣ ـ أرجوزة في الوصايا الطبية وهي في تحديد الأوقات المختارة لتعاطي الأدوية. مطلعها:

أول يوم تنزل الشمس الحمل ... تشرب ماءً فاتراً على عجل

٤٤ ـ أرجوزة لطيفة في وصايا بقراط. أو القضايا الخمس والعشرون لبقراط على دلالة الموت. مطلعها:

يارب سر لم يزل مخزونا ... مكتتماً بين الورى مكنونا

٤٥ ـ أرجوزة في الفصول الأربعة. مطلعها:

إن الفصول أربع في العام ... دائرة فيه على الدوام

٤٦ ـ أرجوزة في المجربات في الطب. مطلعها:

قال علي هو ابن سينا ... وكونه بالله مستعينا

٤٧ ـ أرجوزة في التشريح. مطلعها:

الحمد لله معلّ العلل ... وخالق الخلق القديم الأول

٤٨ ـ أرجوزة في الباه. مطلعها:

ياسائلي عن وجع في الوسط او نقطة تأتي له لم تحط

٤٩ ـ أرجوزة في المنطق ـ الرجز المنطقي ـ ميزان النظر ـ القصيدة المزدوجة ـ القصيدة المصرعة . مطلعها:

الحمد للإله الذي لعبده نيل السناء لااله في حمده

٥٠ ـ الجمانة الإلهية في التوحيد أو القصيدة النونية . منظومة في ٣٣٤ بيتاً . مطلعها:

ياطالباً صنع الإله وخلقه بتصور يهدي إلى الايمان

«مؤلفات ابن سينا» لقنواتي

أبو الحسن علي بن أبي الرجال (ـ بعد ٤٣٢هـ) .

٥١ ـ أرجوزة في الأحكام الفلكية ـ طبعت .

٥٢ ـ أرجوزة في دليل الرعد .

بروكلمان ٤ : ٢٢٧

أبو عمران عثمان بن سعيد الداني (ـ ٤٤٤هـ) .

٥٣ ـ الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات

فهرسة ابن خير ٤١

أبو الخطاب أحمد بن علي بن عبد الله المقرئ البغدادي (ـ ٤٤٦هـ) .

٥٤ ـ قصيدة في آي السنّة

٥٥ ـ قصيدة في السنّة المشهورة.

كشف الظنون ١٣٤٢ ، ١٣٤٣

المعز بن باديس بن المنصور الحميري الصنهاجي (ـ ٤٥٤هـ) .

٥٦ ـ النفحات القدسية في تراجم الصوفية ـ منظومة سينية

هدية العارفين ٢ : ٤٦٥

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيْدَه (ـ ٤٥٨هـ) .

٥٧ ـ أرجوزة مرتبة على حروف المعجم ومبنية على قولهم ما اسمك بكذا

فهرسة ابن خير ٤٢٣

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الشقراطيسي (ـ ٤٤٦هـ) .

٥٨ ـ القصيدة الشقراطيسية ـ قصيدة لامية في السير، وشرحها .

كشف الظنون ١٣٣٩ ـ ١٣٤٠

أحمد بن علي المعروف بأبي الخطاب البغدادي (ـ بعد ٤٧٦هـ) .

٥٩ ـ قصيدة في عدد الآي

الأعلام ١ : ١٦٧

إسماعيل بن إبراهيم الربعي (ـ ٤٨٠هـ) .

٦٠ ـ قيد الأوابد ـ قصيدة في اللغة .

بغية الوعاة ١ : ٤٤٢

أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ـ٤٨٨هـ) .

٦١ ـ القصيدة الحصرية في قراءة نافع . وهي مئتا بيت وتسعة أبيات .

كشف الظنون ١٣٣٧ ، ١٣٤٤

علي بن عبدالرحمن بن هارون البغدادي (ـ٤٩٧هـ) .

٦٢ ـ المكملة ـ قصيدة في القراءات .

٦٣ ـ المبعدة ـ قصيدة في القراءات .

معجم المؤلفين ٧ : ١٢١

جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (ـ ٥٠٠هـ)

٦٥ ـ نظم كتاب الخرقي في فقه الحنابلة .

٦٦ ـ نظم المناسك .

٦٧ ـ أرجوزة في نظائر القرآن الكريم .

معجم المؤلفين ٣ : ١٣١

محمد بن محمد بن صالح المعروف بابن الهَبّارية (ـ ٥٠٤هـ) .

٦٨ ـ الصادح والباغم ـ منظومة على أسلوب كليلة ودمنة في ألفي بيت .

٦٩ ـ نتائج الفطنة في نظم «كليلة ودمنة» .

٧٠ ـ نظم رسالة حي بن يقظان ـ قصيدة نونية في ١٥٤ بيتاً .

٧١ ـ نزهة الأحبّاء ـ منظومة في الأدب .

٧٢ ـ أرجوزة شعرية عن لعب الشطرنج .

هدية العارفين ٢ : ٧٩

بروكلمان ٥ : ٣٠

مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الدؤلي المعروف بالطُغرائي (ـ ٥١٥هـ) .

٧٣ ـ المقاطيع ـ في الصنعة . ديوان شعر في الكيمياء يتضمن ما يزيد على مئة منظومة في موضوعات علم الكيمياء القديم .

نشر، بتحقيقي، في مجلة «المورد» ٤ : (١٩٨٥) ص١٦٩ ـ ٢٤٢

أبو الحسن علي بن جعفر الصقلي المعروف بابن القطّاع (ـ ٥١٥هـ) .

٧٤ ـ منظومة في العروض .

كشف الظنون ١٣٤

القاسم بن علي بن محمد الحريري (- ٥١٦هـ).
٧٥ - ملحة الإعراب - منظومة في النحو، وشرحها. طبعا مراراً منظومة فيها يشكل من ذات السين بالصاد.
كشف الظنون ١٨١٨
مخطوطات المكتبة القادرية

علي بن عبد الله بن المبارك المروزي (-٥١٩هـ).
٧٦ - قصيدة في الظاء - جمع فيها الظاءات، وشرحها.
كشف الظنون ١٣٤٣

أحمد بن أبي المؤيد المحمودي النسفي (- ٥١٩هـ)
٧٧ - نظم «الجامع الكبير» لمحمد بن الحسن الشيباني، وشرحه.
٧٨ - أرجوزة في الزحافات والعلل.
بروكلمان ٣ : ٢٥١
مخطوطات مكتبة الأوقاف ببغداد ١٨١

أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون (- ٥٢٩هـ).
٧٩ - البسّامة أو العبدونية - وهي قصيدة رائية في التاريخ - مرثية بني الأفطس. ذكر فيها الملوك الماضية وأكثر وقائع العالم. شرحها ابن بدرون، وسمّاه «كمامة الزهر وفريدة الدهر».
كشف الظنون ١٣٢٩

أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف (- ٥٣٤هـ)
٨٠ - أرجوزة في الزهد وذكر النبي (ﷺ) والصحابة رضي الله عنهم.
فهرسة ابن خير ٤٢٣

أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي (- ٥٣٧هـ).
٨١ - منظومة في الخلاف. رتّبها على عشرة أبواب. في ٢٦٦٩ بيتاً. ولها شروح كثيرة.
٨٢ - نظم «الجامع الصغير» للشيباني في الفروع.
هدية العارفين ٢ : ٨٧٣
كشف الظنون ١٨٦٧-٦٨

محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي المعروف بابن عظيمة (- ٥٤٠هـ).
٨٣ - أرجوزة في القراءات.
٨٤ - أرجوزة في مخارج الحروف.
هدية العارفين ٢ : ٨٩

عبد الله بن محمد الخزرجي (- ٥٤٩هـ).
٨٥ - الرامزة أو القصيدة الخزرجية في العروض.
معجم المؤلفين ٦ : ١١٧

أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني السراج (- ٥٤٩هـ)
٨٦ - أرجوزة في العروض.
مخطوطة بمكتبة الأوقاف - بغداد

أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ المعروف بابن الحوراني (- ٥٥١هـ)
٨٧ - قصيدة في نظم الصاد والضاد.
هدية العارفين ٢ : ٤٨٩

أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين الحصكفي (- ٥٥١هـ).
٨٨ - قصيدة جمع فيها الكلمات التي فيها حرف الضاد - في سبعة وستين بيتاً
مخطوطة بدار الكتب المصرية

أحمد بن عبد العزيز بن هشام الشَّنْتَمَري (- بعد ٥٥٣هـ).
٨٩ - أرجوزة في الخط.
٩٠ - أرجوزة في الضاد والظاء. وتنسب إلى سواه.
مخطوطة بمكتبة المتحف العراقي
مخطوطة بدار الكتب المصرية

عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني (- ٥٦٠هـ).
٩٤ - أرجوزة في الخط.
٩٥ - أبيات في العروض.
كشف الظنون ٦٣
مخطوطات مكتبة الاوقاف ١٨٠

محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلّي (- ٥٦٥هـ).
٩٦ - أرجوزة في الفرائض والولاء.
بغية الوعاة ١ : ١٤٣

محمد بن أسعد بن محمد الحكيمي (- ٥٦٧هـ)
٩٧ - نظم مختصر القدوري في فروع الفقه الحنفي.
معجم المؤلفين ٩ : ٥٠

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام القرطبي (- ٥٦٧هـ).
٩٨ - أرجوزة في أسماء النبي (ﷺ).
هدية العارفين ٢ : ٥٢١

أبو محمد عبدالله أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب (- ٥٦٧هـ).
٩٩ - القصيدة البديعة الجامعة لشتات الفضائل والرموز العلمية. ضمنها عشرة مطالب، منها اللغة والكتابة والعروض
بروكلمان ٥ : ١٦٨ - ١٦٩

ابراهيم بن خلف بن محمد القرشي المورري (ـ ٥٧٢هـ).
١٠٠ ـ بغية الفارض في نظم الفرائض ـ أرجوزة.
١٠١ ـ قصيدة رائية نظم فيها مواقيت أنواء السنة.
١٠٢ ـ قصيدة نونية وصف بها قرطبة وجامعها واشبيلية ومورورا.
فهرسة ابن خير ٤٢٤

سديد الدين محمد بن أبي بكر البخاري (ـ ٥٧٣هـ).
١٠٣ ـ عقود الجواهر أو عقود منظومة من سنن سيد المرسلين ـ منظومة في الفقه الحنفي.
بروكلمان ٦: ٣٠٥

سراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني (ـ ٥٧٥هـ).
١٠٤ ـ قصيدة بدء الأمالي ـ في التوحيد، وتسمى أيضاً «قصيدة يقول العبد» في ستة وستين بيتاً. شرحها جماعة.
كشف الظنون ١٣٤٩ ـ ٥٠

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الرحبي المعروف بابن المتفنّنة (ـ ٥٧٧هـ).
١٠٥ ـ بغية الباحث ـ أرجوزة في الفرائض.
إيضاح المكنون ١: ١٨٦

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الصائغ (ـ ٥٧٧هـ).
١٠٦ ـ قصيدة في فنون شتى ـ في ألفي بيت.
هدية العارفين ٢: ٩٩، ١٦٨

تاج الدين محمد بن هبة الله البرمكي الحموي (ـ بعد ٥٧٧هـ).
١٠٧ ـ روضة المرتاض ونزهة الفرّاض ـ أرجوزة في الفرائض.
هدية العارفين ٢: ٩٩

محمد بن حرب النحوي الحلبي (ـ ٥٨١هـ).
١٠٨ ـ أرجوزة في حساب العقود.
١٠٩ ـ أجوزة في مخارج الحروف.
كشف الظنون ٦٣

محمد بن الملك بن محمد المعروف بابن الطفيل (ـ ٥٨١هـ)
١١٠ ـ أرجوزة في الطب ـ.
مخطوطة

أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان (ـ ٥٨٥هـ).

١١١ ـ قصيدة في قراءة أبي عمرو.
كشف الظنون ١٣٢٣

قاسم بن فيرُّه بن خلف الرعيني الشاطبي (ـ ٥٩٠هـ).
١١٢ ـ حرز الأماني ووجه التهاني ـ في القراءات.
وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية عدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً.
١١٣ ـ عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد ـ في نظم «المقنع» للداني. وهي قصيدة رائية، في رسم المصحف.
١١٤ ـ ناظمة الزهر في أعداد آيات السور.
كشف الظنون ٦٤٦ ـ ٦٤٩، ١١٥٩
هدية العارفين ١: ٨٢٨

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد المعافري الأندلسي (ـ ٥٩١هـ).
١١٥ ـ قصيدة في القراءة ـ على مثال الشاطبية صرّح فيها بأسماء القراء
كشف الظنون ١٣٤٣

أبو الحسن علي بن موسى الأنصاري المعروف بابن أرفع رأس (ـ ٥٩٣هـ).
١١٦ ـ شذور الذهب ـ في صناعة الكيمياء. وهو ديوان شعري مرتب على الحروف. شرحه أيدمر بن علي الجلدكي وسمّى الشرح «غاية السرور»، وخمسه شرف الدين محمد بن موسى القدسي الكاتب المتوفى سنة ٧١٢هـ تخميساً حسناً.
كشف الظنون ١٠٢٧
عدد منظوماته ـ في مخطوطة جامعة برنستن بالولايات المتحدة ـ ٤٣ منظومة يبلغ مجموع أبياتها ١٤٨٧ بيتاً. وعدد منظوماته ـ في مخطوطة كلية الآداب بجامعة بغداد ـ ٤٢ منظومة يبلغ مجموع أبياتها ١٤٣١ بيتاً.

شيث بن إبراهيم القناوي القفطي النحوي (ـ ٥٩٨هـ).
١١٧ ـ اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة ـ قصيدة في الأسماء المذكرة.
كشف الظنون ١٥٧٠
هدية العارفين ١: ٤١٩

أبو محمد عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين (- ٦٦٠هـ).

١١٨ - أرجوزة في الجبر والمقابلة.

هدية العارفين ٦ : ٤٥٨

عراقي بن محمد بن العراقي المعروف بالطاووسي (- ٦٠٠هـ).

١١٩ - نظم «الإشارات» لابن سينا، في المنطق والحكمة.

١٢٠ - نظم «المفصل» للزمخشري، في النحو.

١٢١ - نظم «السيرة» لابن هشام.

هدية العارفين ١ : ٦٢٢

أبو المرجى سالم بن أحمد المعروف بالمنتخب (- ٦١١هـ).

١٢٢ - أرجوزة في النحو.

بغية الوعاة ١ : ٥٧٥

معجم المؤلفين ٤ : ٢٠١

الإمام المنصور عبد الله بن حمزة (- ٦١٤هـ).

١٢٣ - أرجوزة في الخيل.

الأعلام ٤ : ٢١٣

محمود بن عمر الجغميني (- ٦١٨هـ ظناً).

١٢٤ - قانونچه - في الطب وهو متن وجيز النظم مأخوذ من «القانون» لابن سينا.

كشف الظنون ١٣١١

أبو الربيع سليمان بن حكم بن محمد الغافقي القرطبي (- ٦١٨هـ).

١٢٥ - أرجوزة مزدوجة في الفقه ضمّنها مسائل «الخصال الكبير» للعبدي وأبوابه.

بقية السفر الرابع من كتاب

الذيل والتكملة ٦٤

عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي (-٦٢١هـ)

١٢٦ - أرجوزة في الاعتقاد.

معجم المؤلفين ٥ : ١٨٠

عبد العزيز بن محمد المعروف بابن زرقاله (-٦٢٢هـ).

١٢٧ - منظومة في الترجمة والرحلة، ذكر فيها والده وشيوخ والده، سماها «تذكار الواجد بأخبار الوالد».

هدية العارفين ١ : ٥٨٠

معجم المؤلفين ٥ : ٢٦٠

يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور المعروف بابن معط (-٦٢٨هـ).

١٢٨ - الدرة الألفية في علم العربية - طبعت

١٢٩ - كتاب العروض نظماً.

١٣٠ - قصيدة في القراءات السبع.

١٣١ - نظم «الجمهرة» لابن دريد في اللغة.

١٣٢ - نظم «صحاح الجوهري» - ولم يكمل.

هدية العارفين ٢ : ٥٢٣

الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي البغدادي (- ٦٣٤هـ).

١٣٣ - منظومات في اللغة والقراءات.

معجم المؤلفين ٤ : ٣٤

أبو الثناء محمود بن محمد بن خطيب الدهشة الحموي (- ٦٣٤هـ).

١٣٤ - وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة - أرجوزة في الخط، وشرحها.

كشف الظنون ٢٠٠٩

سديد الدين أبو الثناء محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة (-٦٣٥هـ).

١٣٥ - أرجوزة في الفصد.

١٣٦ - الفريدة الشاهية والقصيدة الباهية - منظومة في الطب وشرحها.

١٣٧ - لطف السائل وتحف المسائل - نظم مسائل حنين في الطب.

١٣٨ - كليات القانون لابن سينا - رجز.

عيون الأنباء ٧٠٣

هدية العارفين ٢ : ٤٠٥

محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي المعروف بابن عربي (-٦٣٨هـ).

١٣٩ - قصيدة همزية في الكيمياء - عدد أبياتها تسعة وثلاثون بيتاً.

مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية

مسعود بن أبي بكر بن حسين الفراهي (-٦٤٠هـ).

١٤٠ - نظم كتاب «الطل والوبل».

١٤١ ـ اللمعة في نظم مسائل الجامع الكبير، لمحمد بن الحسن الشيباني، في الفروع.
١٤٢ ـ نصاب الصبيان ـ منظومة في اللغة.

كشف الظنون ١٢٥٢، ١٩٥٣
معجم المؤلفين ١٢ : ٢٢٥

يوسف بن عبد الرحيم بن عربي الأقصري (ـ٦٤٢هـ).
١٤٣ ـ منظومة في التوحيد.

أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ـ٦٤٣هـ).
١٤٤ ـ عمدة المفيد وعدّة المجيد في معرفة لفظ التجويد ـ نونية في علم التجويد، في اربعة وستين بيتاً. وشرحها شرحاً مختصراً.
١٤٥ ـ هدية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب ـ منظومة في القراءة
١٤٦ ـ شرح «المحاجات ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي» لجار الله الزمخشري، شرحه «فصار من أجلّ الكتب في هذا الفن والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشري بلغزين من نظم».
١٤٧ ـ ذات الحلل ـ قصيدة على طريق اللغز.
١٤٨ ـ عروس السمر في منازل القمر ـ نونية
١٤٩ ـ القصيدة الناصرة لمذهب الأشاعرة ـ تائية
١٥٠ ـ الكوكب الوقاد في الاعتقاد.

كشف الظنون ١١٧٢، ٢٠٤١، ١٩٠٧
هدية العارفين ١ : ٧٠٨

أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي المعروف بابن النجار (ـ٦٤٣هـ).
١٥١ ـ منظومة سينية في أحكام أهل الذمة.

هدية العارفين ٢ : ١٢٢

أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي (ـ٦٤٤هـ).
١٥٢ ـ نظم «الإيضاح» و «التكملة» في النحو، لأبي علي الفارسي.

كشف الظنون ٢١٣

جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب (ـ٦٤٦هـ).
١٥٣ ـ المقصد الجليل في علم الخليل ـ قصيدة لامية في العروض والقوافي.
١٥٤ ـ منظومة في المؤنثات السماعية.

هدية العارفين ١ : ٦٥٤

مخطوطات مكتبة الأوقاف ببغداد
١٨٩، ٢٥٧

كمال الدين عبد الله بن محمد بن الموقّع أحمد الموصلي (ـ٦٥٠هـ).
١٥٥ ـ الشمعة المضية بنشر القراءات السبعة المرضية ـ منظومة رائية قدر نصف الشاطبية.

كشف الظنون ١٠٦٥

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ـ٦٥٥هـ).
١٥٦ ـ نظم «الفصيح» لثعلب.

كشف الظنون ١٢٧٣

يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري (ـ٦٥٦هـ).
١٥٧ ـ الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة ـ قصيدة دالية في الفقه الحنبلي في ٢٧٧٤ بيتاً.
١٥٨ ـ نظم «زوائد الكافي على الخرقي».
١٥٩ ـ نظم «مختصر الخرقي» في الفقه.
١٦٠ ـ منظومة في أوائل الشهور الرومية.

الأعلام ٩ : ٢٢٥

شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الموصلي المعروف بُشعْلة (ـ٦٥٦هـ).
١٦١ ـ نظم «كتاب الشمعة» في القراءات السبع.
١٦٢ ـ نظم اختلاف عدد الآي برموز الجمل.

أبو محمد عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني (ـ٦٦٠هـ).
١٦٢ ـ الفرق بين الضاد والظاء ـ قصيدة نونية سمّاها «درة القارئ»

الأعلام ٤ : ١٢٥

جمال الإسلام محمد بن أبي بكر بن رشيد الواعظ البغدادي (ـ٦٦٢هـ).
١٦٣ ـ الروضة الذهبية ـ قصيدة طويلة في الحج.

بروكلمان ٥ : ٢١

أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور (ـ ٦٦٣هـ).
١٦٤ ـ السلك والعنوان ومرام اللؤلؤ والعقيان ـ رجز في النحو مع شرح.
١٦٥ ـ منظومة في النحو.

بروكلمان ٥ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧

أبو النصر الفتح بن موسى بن حماد القَصْري (-٦٦٣هـ).

١٦٦ - نظم «المفصل» في النحو، للزمخشري.

١٦٧ - نظم «السيرة النبوية» لابن هشام.

١٦٨ - نظم «الإشارات والتنبيهات» في الحكمة، لابن سينا.

١٦٩ - منظومة في علم العروض.

بغية الوعاة ٢ : ٢٤٢

هدية العارفين ٢ : ٨١٤

أحمد بن المبارك بن نوفل التصيبي الخزفي (-٦٦٤هـ).

١٧٠ - منظومة في المسائل الملقبات.

١٧١ - منظومة في الفرائض.

بغية الوعاة ١ : ٣٥٥

هدية العارفين ١ : ٩٧

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (-٥٦٦٥).

١٧٢ - نظم «المفصل» في النحو، للزمخشري.

هدية العارفين ١ : ٥٢٤

علي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عُصْفُور (-٦٦٩هـ).

١٧٣ - منظومة في النحو.

ذيل كشف الظنون ١٠١

أمين الدين علي بن عثمان بن علي السليماني الإِرْبلي (-٦٧٠هـ).

١٧٤ - القصيدة الفاخرة في كل بيت له نوع من البديع.

هدية العارفين ١ : ٧١٢

محمد بن عبد الله بن مالك الجياني المعروف بابن مالك (-٦٧٢هـ).

١٧٥ - الإعلام بمثلث الكلام - أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت ذكر فيها الألفاظ التي لكل منها ثلاثة معانٍ باختلاف حركاتها.

١٧٦ - الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد - قصيدة مشروحة في ٦٣ بيتاً. طبعت.

١٧٧ - منظومة في الفرق بين الظاء والضاد، في ٦٤ بيتاً، وشرحها - مخطوطة بدار الكتب.

١٧٨ - تحفة المودود في المقصور والممدود - قصيدة همزية.

١٧٩ - الخلاصة أو ألفية ابن مالك. لخصها من الكافية الشافية وجمع فيها مقاصد العربية من نحو وصرف.

١٨٠ - القصيدة الدالية في القراءات.

١٨١ - الكافية الشافية - أرجوزة في النحو، في ٢٧٥٧ بيتاً.

١٨٢ - لامية الأفعال، أو لامية ابن مالك.

١٨٣ - نظم الفوائد - ضوابط وفوائد منظومة ليست على رويّ واحد.

١٨٤ - أرجوزة في الضاد والظاء في مئة وثلاثة وسبعين بيتاً.

١٨٥ - ضوابط ظاءات القرآن الكريم - أبيات ذكر فيها اصول الالفاظ الظائية في الذكر الحكيم

كشف الظنون ١١٩، ١١٣، ١٥١، ١٣٣٨، ١٣٦٩، ١٤٦٢، ١٥٣٦، ١٩٦٤ هدية العارفين ٢ ١٣٠٢ مجلة المورد، العدد ٣ (١٩٨٦)

محمد بن محمد المعروف بنصير الطوسي (-٦٧٢هـ).

١٨٦ - القصيدة اللامية في البروج الاثني عشر.

هدية العارفين ٢ : ١٣١

أمين الدين محمد بن علي المحلّي العروضي (-٦٧٣هـ).

١٨٧ - ارجوزة في العروض.

١٨٨ - الجوهرة الفريدة في قافية القصيده.

١٨٩ - العنوان في معرفة الأوزان - منظومة.

بروكلمان ٥ : ٣٤٣

محمد بن عيسى بن سالم المعروف بابن حُشَيْشي (-٦٧٤هـ).

١٩٠ - نظم «التنبيه» لأبي إسحاق، وشرحه في أربعة مجلدات.

هدية العارفين ٢ : ١٣٢

محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس (-٦٧٤هـ).

١٩١ - أرجوزة نظم بها بعض الأدوية.

الأعلام ٦ : ٢١٨

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيباني اليمني (-٦٧٥هـ).

١٩٢ - نظم «التنبيه» لأبي إسحاق.

كشف الظنون ٤٩٢

أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الإِرْبلي (-٦٧٩هـ).

١٩٣ - الألفية في الألغاز الخفية - ألف لغز في ألف اسم.

كشف الظنون ١٥٧

يحيى بن عبد العظيم الجزار (-٦٧٩هـ).

١٩٤ - العقود الدرية في الأمراء المصرية - منظومة تاريخية انتهى بها إلى أيام الظاهر بيبرس.

الأعلام ٩ : ١٩٠

نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي (-٦٨٣هـ).

١٩٥ - مداولة الأيام ومماثلة الأحكام - أرجوزة تاريخية.

بروكلمان ٦: ١٤٨

أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني (-٦٨٤هـ).

١٩٦ - القصيدة الميمية في النحو - ذكر ابن هشام منها أبياتاً في المسألة الزنبورية

كشف الظنون ١٣٤٧

سديد الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن الحسين المُهَلَّبي (-٦٨٥هـ).

١٩٧ - نظم «مثلثات قطرب».

كشف الظنون ١٥٨٧

أبو عبد الله محمد بن العباس بن أحمد الدنيسري (-٦٨٦هـ).

١٩٨ - أرجوزة في نظم «مقدمة المعرفة» لبقراط.

١٩٩ - أرجوزة في الدرياق الفاروقي.

فوات الوفيات ٢: ٤٤٠

هدية العارفين ٢: ١٣٦

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله التلمساني (-٦٩٠هـ).

٢٠٠ - أرجوزة في الفرائض. قال ابن الخطيب: لم يصنَّف في فنها أحسن منها.

٢٠١ - منظومة في السير.

معجم أعلام الجزائر ١٠

معجم المؤلفين ١: ١٦

محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدي الجذامي الروحي (-٦٩٢هـ).

٢٠٢ - سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس - منظومة.

شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي (-٦٩٣هـ).

٢٠٣ - منظومة في الطب.

هدية العارفين ٢: ١٣٧

أبو عبد الله محمد بن أحمد الخليل الخولي (-٦٩٣هـ).

٢٠٤ - نظم «اقصى الأمل والسول في علوم حديث الرسول» لابن الصلاح.

٢٠٥ - نظم «الفصيح» لثعلب.

٢٠٦ - نظم «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابن الأجدابي، في اللغة.

٢٠٧ - نظم «علوم الحديث» لابن الصلاح.

٢٠٨ - التنقيح في نظم «التوضيح» لابن مالك - منظومة في نحو أربع مئة بيت، في النحو

٢٠٩ - منظومة في البيان.

٢١٠ - منظومة في الفرائض.

٢١١ - منظومة في العروض.

الأعلام ٦: ٢١٩

بروكلمان ٦: ٢١٠

شهاب الدين محمد أمين الخولي (-٦٩٣هـ).

٢١٢ - نظم «الفصيح» لثعلب.

العزاوي ١: ٧١

عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالدَّيْريني (-٦٩٤هـ).

٢١٣ - التيسير في علم التفسير - منظومة تزيد على ثلاثة آلاف بيت. طبعت.

٢١٤ - دقائق التنبيه في نظم «تنبيه أبي إسحاق» في الفروع.

٢١٥ - نظم «سيرة ابن هشام».

كشف الظنون ٤٩٢، ١٠١٢

هدية العارفين ١: ٥٨١

جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الطُّبري (-٦٩٤هـ)

٢١٦ - نظم «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابن الأجدابي، في اللغة.

بروكلمان ٥: ٣٤٨

سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد الوراق الفائزي (-٦٩٥هـ).

٢١٧ - نظم «درة الغواص» للحريري.

كشف الظنون

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد المازوزي (-٦٩٧هـ).

٢١٨ - أرجوزة تاريخية.

معجم المؤلفين ٥: ٢٤٨

ظهير الدين علي بن محمد الكازَرُوني (-٦٩٧هـ).

٢١٩ - المنظومة الأسدية في اللغة.

العزاوي ١: ٣٥

عبد العزيز بن أحمد المعروف بسعد الديري (-٦٩٧هـ).

٢٢٠ - نظم «الوجيز» في الفروع لأبي حامد الغزالي.

كشف الظنون ٢٠٠٤

محمد بن عبد القوي بن بدران المَرْداوي (-٦٩٩هـ).

٢٢١ - كناش في الفقه - كله نظم. جزءان.

٢٢٢ - منظومة في الآداب الشرعية.

الأعلام ٧: ٨٣

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي (-٦٩٩هـ).

٢٢٣ - منظومة في أصول الحديث - لامية في ثلاثين بيتاً.

كشف الظنون ١٣٢٩، ١٨٦٥

مالك بن عبد الرحمن بن علي المعروف بأبن المُرَحِّل (-٦٩٩هـ).

٢٢٤ - الموطأة - أجوزة نظم بها «فصيح ثعلب»، وشرحها محمد بن الطيب الفاسي.

٢٢٥ - أرجوزة في النحو.

٢٢٦ - الواضحة - نظم في الفرائض.

٢٢٧ - التبيين والتبصير في نظم كتاب «التيسير». للداني في علم القراءة. - قصيدة عارض بها «الشاطبية».

٢٢٨ - نظم «غريب القرآن» لابن عُزَيْر.

٢٢٩ - نظم «اختصار إصلاح المنطق» لابن العربي.

٢٣٠ - نظم «الثلث الأول من كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة.

الأعلام ٦: ١٣٨

معجم المؤلفين ٨: ١٦٩

عبد الرحمن بن عمر بن عثمان الباجر يقي (-٦٩٩هـ).

٢٣١ - نظم «التعجيز في مختصر الوجيز» في الفروع، للغزالي.

هدية العارفين ١: ٥٢٦

أحمد بن محمود الجندي (-٧٠٠هـ).

٢٣٢ - عقود الجوهر في علم التصريف. أنشأ فيه قصائد بجر كل قصيدة منها ذيلاً على فوائد وجعلها على خمسة عشر باباً ثم أورد النظم نثراً تسهيلاً للطالبين.

كشف الظنون ١١٥٥

عبد العزيز بن أحمد (-٧٠٣هـ).

٢٣٣ - اليواقيت في معرفة المواقيت - أرجوزة رتبها الناظم على أبواب.

مخطوطات مكتبة العزاوي

محمد بن محمد بن إدريس المعروف بالقلاوسي (٧٠٧هـ).

٢٣٤ - أرجوزة في الفرائض.

٢٣٥ - أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد.

٢٣٦ - أرجوزة في نكت القوافي.

بغية الوعاة ١: ٢٢٠

معجم المؤلفين ١١: ١٩٠

عبد الرحيم بن علي بن هبة الله الاسنائي (-٧٠٩هـ).

٢٣٧ - المفيد - منظومة في النحو.

هدية العارفين ١: ٥٦١

علي بن محمد بن علي الرباطي المعروف بابن بري (-٧٠٩هـ).

٢٣٨ - الدرر اللوامع في قراءة نافع - منظومة

ايضاح المكنون ١: ٤٦٨

أحمد بن الحسن الخطيب القسنطيني (كان حياً سنة ٧١٢هـ).

٢٣٩ - أرجوزة في الطب، في ثلاث مئة وعشرين بيتاً.

كشف الظنون ٦٣

شرف الدين محمد بن معمر القدسي (-٧١٢هـ).

٢٤٠ - القصيدة اليائية في أسماء الكتب العلمية. قال الحاج خليفة: أقول وما رأيت من ألّف فيه شيئاً غيره. وقد عرفت حال النظم وضيقه عن الاستيعاب كما ينبغي.

كشف الظنون ١٣٤٩

بهاء الدين محمد بن جلال الدين محمد المعروف بسلطان ولد (-٧١٢هـ).

٢٤١ - نظم «النافع» في الفروع لمحمد بن يوسف المدني.

كشف الظنون ١٩٢١.

فخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا الدوركي (-٧١٣هـ).

٢٤٢ - نظم كتاب القدوري في فروع الفقه الحنفي.

٢٤٣ - قصيدة في النجوم.

٢٤٤ - منظومة في النحو.

هدية العارفين ٢: ١٤٢ - ١٤٣

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي المعروف بابن الرقّام (-٧١٥هـ).

٢٥ - منظومة في العمل بالاسطرلاب.

فهرس المخطوطات العلمية ١: ٣٢٧

أبو الحسن علي بن إبراهيم الكناني الفيجاطي (-٧٢٠هـ).

٢٤٦ - التكملة المفيدة لحافظ القصيدة - تتمة للقصيدة المشهورة بالشاطبية - في القراءات وهي قصيدة محكمة النظم في وزن الشاطبية ورويّها، في مئة بيت، نظم فيها مازاد عليها من التبصرة والكفاية والوجيز.

كشف الظنون ٦٤٩

محمد لن أبي بكر بن أبي القاسم السكاكيني (-٧٢١هـ).
٢٤٧ ـ نظم في فضائل الصحابة.
الدرر الكامنة ٤ : ٣٠
محمد بن موسى بن أحمد الطوري (-٧٢١هـ).
٢٤٨ ـ منظومة السائل في اصول المسائل.
معجم المؤلفين ١٢ : ٦١
محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي الماريني (-٧٢١هـ).
٢٤٩ ـ قصيدة على وزن الشاطبية، بغير رمز.
بغية الوعاة ١ : ٢١٦
عبد الملك بن أحمد الأَرْمَنْتي (-٧٢٢هـ).
٢٥٠ ـ نظم «تاريخ مكة» للأزرقي ـ أرجوزة.
٢٥١ ـ أرجوزة في الحلي.
الأعلام ٤ : ٣٠١
أحمد بن الحسن بن علي المعروف بابن الزَّيّات (-٧٢٨هـ).
٢٥٢ ـ قصيدة في أصول الدين.
الأعلام ١ : ١٠٧
شرف الدين أحمد بن إدريس بن يحيى المارديني (-٧٢٨هـ).
٢٥٣ ـ نظم الدرر في معرفة منازل الشمس والقمر. رتبه على عشرة أبواب كلها منظومة.
كشف الظنون ١٩٦٣
محمد بن علي بن أحمد بن الخطيب الاربلي (- بعد ٧٢٩هـ).
٢٥٤ ـ جواهر الأنغام في معرفة الأنظام ـ أرجوزة.
الأعلام ٧ : ١٧٦
موسى بن محمد الرازي (-٧٣٠هـ).
٢٥٥ ـ نظم «الوجيز» للغزالي في الفروع.
هدية العارفين ٢ : ٤٧٩
حسين بن يوسف بن محمد الدجيلي (-٧٣٢هـ).
٢٥٦ ـ الكافية ـ منظومة في الفرائض على المذاهب الأربعة.
هدية العارفين ١ : ٣١٤
الملك المؤيد إسماعيل بن علي الأيوبي المعروف بصاحب حماة (-٧٣٢هـ)
٢٥٧ ـ نظم «الحادي الصغير» في الفروع لنجم الدين القزويني.
كشف الظنون ٦٢٥
نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي (-٧٣٢هـ).
٢٥٨ ـ منظومة في الفروع، وهي في ألف بيت سمّاها بالفوائد البدرية الفقهية، وشرحها.
كشف الظنون ١٨٦٧
إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (-٧٣٢هـ).
٢٥٩ ـ نظم الفرائض.
٢٦٠ ـ نهج الدماثة في نظم القراءات الثلاثة، وشرحه.
٢٦١ ـ حديقة الزهر في عدد الآي في السور ـ منظومة في ثمانية وخمسين بيتاً.
٢٦٢ ـ عقود الجمان في تجويد القرآن ـ قصيدة نونية في ٨٢٢ بيتاً.
٢٦٣ ـ روض الطرائف في رسم المصاحف ـ منظومة لامية.
٢٦٤ منظومة الافهام والاصابة في مصالح الكتابة.
٢٦٥ ـ السبيل الأحمد الى علم الخليل بن أحمد ـ ارجوزة في العروض.
كشف الظنون ١٣٤، ٦٤٥، ٩٢٧، ١١٥٤، ١٩٩٢
الإسفار ١٦٣
محمد بن علي بن يحيى المعروف بابن أبي طلة (-٧٣٢هـ).
٢٦٦ ـ أرجوزة في الفرائض.
هدية العارفين ٢ : ١٤٨
الحسين بن يوسف بن محمد الدجيلي (-٧٣٢هـ).
٢٦٧ ـ الكافية في الفرائض ـ منظومة.
معجم المؤلفين ٣ : ٦٨
عز القضاة فخر الدين بن المنيّر (-٧٣٣هـ).
٢٦٨ ـ أرجوزة في القراءات السبع.
معجم المؤلفين ٧ : ٥٦
محمد بن الحسين الموصلي الخليلي (-٧٣٥هـ).
٢٦٩ ـ العنقود في نظم العمود، في النحو ـ منظومة، وشرحها.
كشف الظنون ١١٧٤
سليمان بن موسى بن بهرام السمهودي المعروف بابن الهمام (-٧٣٦هـ).
٢٧٠ ـ أرجوزة في العروض.
هدية العارفين ١ : ٤٠١
محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني (-٧٣٦هـ).
٢٧١ ـ شرح رسالة لمحمد بن عمر بن خميس الحجري نظماً ونثراً.
الأعلام ٧ : ٣٣٢

هبة الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم البارزي (-٧٣٨هـ).

٢٧٢ - رموز الكنوز - منظومة في الفقه.

الأعلام ٩: ٦٠

زين الدين أبو الحسن علي بن أبي سعد الديواني الواسطي (-٧٤٣هـ)

٢٧٣ - جمع الأصول في القراءة - قصيدة همزية كالشاطبية، في القراءات العشر.

٢٧٤ - روضة التقرير في الخلف بين «الإرشاد» و «التيسير».

كشف الظنون ٥٩٤، ٩٢٥

أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي الجياني (-٧٤٥هـ).

٢٧٥ - لامية في القراءات، على وزن الشاطبية بغير رموز. وهي أخصر وأكثر فوائد.

٢٧٦ - الأبيات الوافية في علم القافية.

الدرر الكامنة ٥: ٧٣

الإسفار ٤٢

أحمد بن أحمد بن أحمد بن عامر السُّلمي (- في حدود سنة ٧٤٧هـ).

٢٧٧ - زهر الغرر في عدد آي السور - أرجوزة.

٢٧٨ - قصيدة في معرفة وقت الفجر والسحور.

هدية العارفين ١: ١٠٩

معجم المؤلفين ١: ١٤٥

طيبرس بن عبد الله الجندي (-٧٤٩هـ)

٢٧٩ - الطرفة - منظومة في النحو، في تسع مئة بيت، جمع فيها بين الألفية ومقدمة ابن الحاجب وزاد عليها، وشرحها.

كشف الظنون ١١١١

تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم (-٧٤٩هـ)

٢٨٠ - قصيدة في النحو، في مواضع حذف ما يعود على الموصول.

٢٨١ - قصيدة في النحو، في المواضع التي يُبتدأ فيها بالنكرة.

بغية الوعاة ١: ٣٢٨ - ٣٢٩

محمد بن يعقوب بن إسماعيل القدسي (-٧٤٩هـ).

٢٨٢ - الدر النضيد في زوائد القصيد - تكملة الشاطبية في القراءات.

معجم المؤلفين ١٢: ١١٧

زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعروف بابن الوردي (-٧٤٩هـ)

٢٨٣ - البهجة الوردية - منظومة في خمسة آلاف بيت، نظم بها «الحاوي الصغير» لنجم الدين عبد الغفار القزويني في الفقه الشافعي طبعت.

٢٨٤ - الألفية الوردية في تعبير الرؤيا طبعت.

٢٨٥ - اللباب في علم الإعراب - قصيدة، وشرحها.

٢٨٦ - تذكرة الغريب - منظومة في النحو، وشرحها.

٢٨٧ - النفحة الوردية في النحو - منظومة.

٢٨٨ - التحفة الوردية في نظم «مختصر اللمحة» لأبي حيّان الاندلسي.

٢٨٩ - منطق الطير لإرادة (او بإرادة) الخير.

٢٩٠ - منظومة في التصوف.

٢٩١ - مختصر الملحة - منظومة اختصر بها «ملحة الإعراب» للحريري.

٢٩٢ - أرجوزة في خواص الأحجار والجواهر.

كشف الظنون ٣٩٠، ٦٢٧، ١٥٤٣، ١٥٦١، ١٨٦٤، ١٩٦٩

هدية العارفين ١: ٧٨٩

خزانة الأدب وغاية الأرب ٢٢٠

أبو عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (-٧٥٠هـ)

٢٩٣ - الإكسير في المبتغى من صنعة التكسير - أرجوزة في ٢٠٣ أبيات

مخطوطة برباط الفتح

٢٩٤ - أرجوزة في شراب الرُّب.

مخطوطة بمكتبة غرناطة.

صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي (-٧٥٠هـ).

٢٩٥ - بديعية في مئة وخمسة وأربعين بيتاً. طبعت ضمن ديوانه

بدمشق سنة ١٢٩٧هـ، ومع شرحها في مصر.

كشف الظنون ٢٣٣

الإسفار ١٤٦

تاج الدين علي بن سنجر البغدادي المعروف بابن السماك أو ابن السباك (- ٧٥هـ).

٢٩٦ - أرجوزة في الفقه.

معجم المؤلفين ٧ : ١٠٥

محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (-٧٥١هـ).

٢٩٧ - الكافية في الانتصار للفرقة الناجية - منظومة في نحو ثلاثة آلاف بيت.

٢٩٨ - نظم الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية.

كشف الظنون ٨٦١، ١٣٦٩

هدية العارفين ٢ : ١٥٨

أحمد بن سيف الدين بيلبك الظاهري (-٧٥٣هـ).

٢٩٩ - نظم «التنبيه للشيرازي» - في فروع الفقه الشافعي. سمّاه «الروض النزيه».

كشف الظنون ٤٩٣

عز الدين محمد بن محمود الأملي (-٧٥٣هـ).

٣٠٠ - نفائس العيون ونفائس الفنون - منظومة في معارضة «درة التاج» لويسي الاسكوبي، في السيرة النبوية.

كشف الظنون ١٩٦٦

عبد المحسن القيصري (-٧٥٥هـ)

٣٠١ - أرجوزة في الفرائض.

٣٠٢ - منظومة في الفقه.

بروكلمان ٦ : ٣٣٧

معجم المؤلفين ٦ : ١٧٢

زين الدين علي بن الحسين بن القاسم المعروف بشيخ العوينة (-٧٥٥هـ).

٣٠٣ - نظم «الحاوي الصغير» في الفروع لنجم الدين عبد الغفار القزويني.

بغية الوعاة ٢ : ١٦١

كشف الظنون ٦٢٧

أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الفصيح (-٧٥٥هـ).

٣٠٤ - مستحسن الطرائق في نظم «كنز الدقائق» لحافظ الدين النسفي، في الفروع.

٣٠٥ - منظومة نظيرة الشاطبية في القراءات.

٣٠٦ - نظم «منار الأنوار» في الأصول لحافظ الدين النسفي.

٣٠٧ - نظم «السراجية» في الفرائض.

٣٠٨ - نظم «النافع» في الفروع.

٣٠٩ - حل الرموز - نظم في القراءات السبع.

هدية العارفين ١ : ١١١

معجم المؤلفين ١ : ٣١٨

قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر الإتقاني الفارابي (-٧٥٨هـ).

٣١٠ - قصيدة الصفا في ضرورة الشعر، وشرحها.

كشف الظنون ١٣٤٠

نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي (-٧٥٨هـ).

٣١١ - الفوائد البدرية الفقهية - ألفية في الفروع، وشرحها «الدرة السنية». وهي مأخذ منظومة ابن وهبان.

كشف الظنون ١٣٠٠، ١٨٦٧

محمد بن عيسى بن عبد الله السكسكي (-٧٦٠هـ).

٣١٢ - أرجوزة في التصريف.

هدية العارفين ٢ : ١٦٣

عبد العزيز بن تمام العراقي (-٧٦٢هـ).

٣١٣ - قصيدة نونية في الكيمياء.

كشف الظنون ١٣٢٨

أبو الحسن علي بن أبي سعد الواسطي الديواني (-٧٦٣هـ).

٣١٤ - نظم «الإرشاد» للقلانسي في القراءات. وسمّاه «روضة التقرير في الخلف بين الارشاد والتيسير».

٣١٥ - نظم اللوامع في الشواذ - أرجوزة.

معجم المؤلفين ٧ : ١٩٩

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (-٧٦٤هـ).

٣١٦ - تحفه ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب - أرجوزة تاريخية وشرحها. طبعت بتحقيق د. صلاح الدين المنجد.

التعريف بالمؤرخين للعزاوي ١٩٤

إسماعيل بن محمد بن رسلان البعلي (-٧٦٤هـ).

٣١٧ - وسيلة المتلفظ الى كفاية المتحفظ - نظم «كفاية المتحفظ» في اللغة، لابن الأجدابي

هدية العارفين ١ : ٢١٤

أحمد بن عثمان بن أبي بكر المعروف بـابن بُصَيْص اليمني (ـ٧٦٨هـ).
٣١٨ ـ منظومة في العروض والقوافي.
هدية العارفين ١ : ١١١

أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وَهْبان (ـ٧٦٨هـ).
٣١٩ ـ غاية الاختصار في قراءة أبي عمرو ـ منظومة في ثلاثة وستين بيتاً.
٣٢٠ ـ امتثال الأمر في قراءة أبي عمرو ـ منظومة في مئة وسبعة وعشرين بيتاً.
٣٢١ ـ قيد الشرائد ونظم الفرائد ـ في فروع الحنفية. قصيدة رائية في أربع مئة بيت، أخذها من ستة وثلاثين كتاباً. وشرحها في مجلدين.
كشف الظنون ١١٨٩، ١٨٦٥

عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ـ٧٦٨هـ).
٣٢٢ ـ منظومة في الشهور الرومية.
فهرس المخطوطات العلمية ١ : ١٦٥

أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي (ـ٧٦٩هـ).
٣٢٣ ـ المنظومة الهاملية في الفروع.
٣٢٤ ـ النظم المنثور أو درّ المهتدي وذخر المقتدي ـ نظم كتاب «الهداية» في الفروع لبرهان الدين المرغيناني.
كشف الظنون ١٨٦٨
الأعلام ٢ : ٤٢

حسام الدين أبو عبد الله حسن بن شرف السرتقي (ـ٧٧٠هـ).
٣٢٥ ـ منظومة في فروع الحنفية.
كشف الظنون ١٨٦٦

شرف الدين حسين بن سليمان الحلبي الطائي (ـ٧٧٠هـ).
٣٢٦ ـ نظام القلائد في أحكام الموالد ـ أرجوزة في سبع مئة بيت، وشرحها.
كشف الظنون ١٩٦٠

شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم البعلي (ـ٧٧٤هـ).
٣٢٧ ـ الدر المنتظم في نظم أسرار الكلم ـ نظم «فقه اللغة» للثعالبي.
٣٢٨ ـ لوامع الأنوار ـ نظم «مطالع الأنوار» لابن فرقول، في غريب الحديث.
٣٢٩ ـ نظم «منهاج الطالبين» في فروع الفقه الحنفي، للنووي.
بغية الوعاة ١ : ٢٢٨

يوسف بن عبد الله الجشتي (ـ٧٧٤هـ).
٣٣٠ ـ تحفة النصائح ـ منظومة في الأحكام الشرعية وآدابها.
معجم المؤلفين ١٣ : ٣١٢

يعقوب بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن خطيب القلعة (ـ٧٧٥هـ).
٣٣٠أ ـ نظم «الحاوي» في فروع الشافعية.
معجم المؤلفين ١٣ : ٢٥١

لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب (ـ٧٧٦هـ).
٣٣١ ـ ألفية في أصول الفقه.
٣٣٢ ـ رقم الحلل في نظم الدول ـ أرجوزة.
٣٣٣ ـ المعلومة ـ رجز في العلاج من الرأس إلى القدم.
٣٣٤ ـ المنح الغريب في الفتح القريب ـ قصيدة.
هدية العارفين ٢ : ١٦٧

أحمد بن محمد بن محمد الأصبحي (ـ٧٧٦هـ).
٣٣٥ ـ منظومة الكسور.
فهرس المخطوطات العلمية ٣٢٥

جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود السُّرَّمَرّي العبادي (ـ٧٧٦هـ).
٣٣٦ ـ نهج الرشاد في نظم الاعتقاد ـ في ثلاث مئة بيت.
٣٣٧ ـ نظم «الغريب في علوم الحديث» لأبيه ـ في نحو ألف بيت.
٣٣٨ ـ نظم «مختصر ابن رزين» في الفقه.
هدية العارفين ٢ : ٥٥٨
العزاوي ١ : ٤٧، ٨٨

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الزمرّدي المعروف بابن الصائغ (ـ٧٧٦هـ).
٣٣٩ ـ الغمز على الكنز ـ قصيدة في فنون شتى، في ألفي بيت.
هدية العارفين ٢ : ١٦٨

محمد بن عبد الله بن علي المكي (ـ٧٧٧هـ).
٣٤٠ ـ أرجوزة في الميقات.
معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢٧

محمود بن مرسل الرومي (كان حياً ٧٧٧هـ).
٣٤١ ـ منظومة في الفتاوي، وشرحها.
معجم المؤلفين ١٢ : ٢٠١

محمد بن عثمان بن فرمود الزُّرَعي (-٧٧٩هـ).
٣٤٢ - نظم «منهاج الوصول إلى علم الأصول» للبيضاوي.
كشف الظنون ١٨٨٠

إبراهيم بن يحيى بن غنام الحراني النمري (- في حدود ٧٧٩هـ).
٣٤٣ - ارجوزة في تعبير الرؤيا
فهرس المكتبة الازهرية ٦: ٤١٤

أبو عبد الله محمد بن احمد بن جابر المعروف بابن جابر الأعمى (-٧٨٠هـ).
٣٤٤ - قصيدة في أسماء سور القرآن.
٣٤٥ - حلية الفصح في نظم ما قد جاء في «الفصيح» لثعلب.
٣٤٦ - عمدة المتلفظ في نظم «كفاية المتحفظ» لابن الأجدابي، في اللغة.
٣٤٧ - المنحة - مختصر منظوم من «ملحة الاعراب» للحريري، وشرحه.
٣٤٨ - الحلة السيرا في مدح خير الورى - بديعية في مئة وسبعة وعشرين بيتاً.
هدية العارفين ٢: ١٧٠
بروكلمان ٥: ١٥٤

محمد بن محمد بن أبي العز المعروف بابن الحرانية الماردينى (-٧٨٠هـ).
٣٤٩ - أرجوزة في الخلاف بين الشافعية والحنفية.
٣٥٠ - أرجوزة في الفرائض.
معجم المؤلفين ١١: ٢٤٣

محمد بن محمود بن محمد السمرقندي (-٧٨٠هـ).
٣٥١ - العقد الفريد في علم التجويد - قصيدة في تجويد فاتحة الكتاب.
هدية العارفين ٢: ١٠٦

عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي (-٧٨١هـ).
٣٥٢ - نظم «غاية الإحسان في علم اللسان» لأبي حيّان النحوي.
هدية العارفين ١: ٥٢٨

محمد بن جمال الدين مكي بن محمد العاملي الجزيني (-٧٨٢هـ).
٣٥٣ - الألفية في فقه الصلاة اليومية.
هدية العارفين ٢: ١٧١

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي (-٧٨٢هـ).
٣٥٤ - القصيدة النونية في الأحاجي والألغاز النحوية.
معجم المؤلفين ٨: ٥٨

إسماعيل بن محمد بن بَرْدِس البعلبكي (-٧٨٥هـ).
٣٥٥ - نظم «تذكرة الحفاظ» للذهبي.
٣٥٦ - وسيلة المتلفظ الى كفاية المتحفظ - منظومة في اللغة.
٣٥٧ - نظم «النهاية» لابن الأثير، في غريب الحديث. سمّاه «الكفاية في اختصار النهاية».
كشف الظنون ٢٠١٠
معجم المؤلفين ٢: ٢٩٠

طاهر بن عربشاه الأصبهاني (-٧٨٦هـ).
٣٥٨ - القصيدة الطاهرية في القراءات العشر، في ١١٥٣ بيتاً.
٣٥٩ - نظم الجواهر - قصيدة في عدد رؤوس الآي.
كشف الظنون ١٣٤١، ١٩٦١

الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني (-٧٨٧هـ).
٣٦٠ - النفحات القدسية - قصيدة في ٢٧ بيتاً ضمنها ما في «الروض الناضر في مناقب الشيخ عبد القادر» وما انضاف إليه، وشرحها «اللمحات الإنسة».
مخطوطة برباط الفتح

محمود بن عبد الله الكلستاني (-٨٠١هـ).
٣٦١ - نظم «السراجية» في الفرائض.
معجم المؤلفين ١٢: ٧٧

أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح العذري (-٨٠١هـ).
٣٦٢ - القصيدة العلوية في القراءات السبع المروية - وهي ألفية كالشاطبية.
كشف الظنون ١٣٤١

عبد اللطيف بن أبي بكر اليمني (-٨٠٢هـ).
٣٦٣ - نظم «مقدمة ابن بابشاذ» - أرجوزة ألفية، في النحو.
الأعلام ٤: ١٨١

جلال الدين أحمد بن محمد الأحرز الخجندي (-٨٠٣هـ).
٣٦٤ - راح الأرواح وسلسبيل الفتوح - أرجوزة في أسماء الله تعالى وصفاته.
إيضاح المكنون ١: ٥٤٤

محمد بن محمد بن عرفة الورغمّي (-٨٠٣هـ).
٣٦٥ - منظومة في قراءة يعقوب.
هدية العارفين ٢: ١٧٧

زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (-٨٠٦هـ).
٣٦٦ - ألفية في أصول الحديث. وقد شرحها بكتابه «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث».
٣٦٧ - الدرر السنية في نظم السيرة النبوية.
٣٦٨ - منظومة في الوضوء المستحب.
٣٦٩ - نظم «الاقتراح» للمنفلوطي في الحديث.
٣٧٠ - نظم «منهاج الوصول إلى علم الأصول» للبيضاوي.
هدية العارفين ٢ : ٥٦٢

شرف الدين عيسى بن الحجاج المعروف بعويس (-٨٠٧هـ).
٣٧١ - بديعية على قافية الراء.

عبد الرحمن بن علي المكودي (-٨٠٧هـ).
٣٧٢ - منظومة البسط والتعريف في علم التصريف.
الأعلام ٤ : ٩٠

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضرير (-٨٠٧هـ).
٣٧٣ - نظم «مفتاح العلوم» لسراج الدين السكاكي في الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض وشرحه «ضوء الصباح على ترجيز المصباح».
كشف الظنون ٦٧٦٤

عز الدين طاهر بن حسن بن عمر المعروف بن حبيب الحلبي (-٨٠٨هـ).
٣٧٤ - الروض المروض في نظم العروض - أرجوزة. وقد شرحها بكتابه «نافلة العروض في شرح الروض المروض».
٣٧٥ - نظم «الفرائض» للسجاوندي.
٣٧٦ - التخليص في نظم «التلخيص» في المعاني والبيان للقزويني.
٣٧٧ - نظم «محاسن الاصطلاح في تحسين ابن الصلاح» للبلقيني.
هدية العارفين ١ : ٤٣١

محمد بن موسى بن عيسى الدُّمِيْري (-٨٠٨هـ).
٣٧٨ - منظومة الكمال ودرّ المقال - أرجوزة في الفقه والنحو، تزيد على عشرين ألف بيت.
مخطوطة بجامعة برنستن ص٥٤١

أحمد بن عماد بن يوسف الأَقْفَهْسي (-٨٠٨هـ).
٣٧٩ - الاقتصاد في كفاية الاعتقاد - منظومة تزيد على خمس مئة بيت.
٣٨٠ - منظومة في آداب الأكل والشرب، وشرحها.
٣٨١ - نظم الدرر من هجرة سيد البشر، وشرحها.
٣٨٢ - تحفة الإخوان في نظم «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.
كشف الظنون ٦٣، ١٣٥
هدية العارفين ١ : ١١٨

عبد الله بن خليل بن يوسف الماردانى (-٨٠٩هـ).
٣٨٣ - أرجوزة الألحان والنغمات، في خمسة خمسين بيتاً.
معجم المؤلفين ٦ : ٥٣

أحمد بن محمد بن منصور الأُشْموني (-٨٠٩هـ).
٣٨٤ - التحفة الأدبية في علم العربية - لامية في النحو، وشرحها.
بغية الوعاة ١ : ٣٨٤
هدية العارفين ١ : ١١٩

عبد اللطيف بن أحمد الفُوّي (-٨١٠هـ).
٣٨٥ - نظم عدة مسائل للحاوي.
معجم المؤلفين ٦ : ٧-٨

أحمد بن حسين بن علي المعروف بابن الخطيب (-٨١٠هـ).
٣٨٦ - أرجوزة في الطب.
معجم المؤلفين ١ : ٢٠٥

جلال الدين نصر الله أحمد بن محمد المعروف بجلال البغدادي (-٨١٢هـ).
٣٨٧ - منظومة في الفقه تزيد على سبعة آلاف بيت.
٣٨٨ - نظم «الوجيز» في الفقه.
٣٨٩ - نظم غريب القرآن.
٣٩٠ - أرجوزة في الفرائض.
هدية العارفين ٢ : ٤٩٣

شمس الدين محمد بن سعد الله الزركشي البغدادي (-٨١٣هـ).
٣٩١ - قصيدة في العروض، وشرحها.
معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢

زين الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة (-٨١٥هـ).
٣٩٢ - ألفية في الفرائض.
٣٩٣ - المنظومة الحلبية في السيرة.
كشف الظنون ١٥٧
هدية العارفين ٢ : ١٨٠

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد الدين المعروف بابن الهائم (-٨١٥هـ).
٣٩٤ - تحفة الطلاب في نظم «قواعد الإعراب»، وشرحها.

٣٩٥ ـ القواعد المنظومة.
٣٩٦ ـ المقنع في الجبر والمقابلة ـ قصيدة لامية، وشرحها «المسمع».
٣٩٧ ـ التحفة القدسية ـ منظومة في الفرائض.
٣٩٨ ـ كفاية الحفاظ في الفرائض ـ ألفية.

كشف الظنون ١٢٤، ١٣٦، ١٤٩٧، ١٨٠٩
هدية العارفين ١ : ١٢٠

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر القرشي المعروف بابن زُقّاعة (ـ٨١٦هـ).
٣٩٩ ـ القصيدة التائية في صفة الأرض ـ تزيد على خمسة آلاف بيت.

معجم المؤلفين ١ : ٨٩
فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٥١٣

شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني (ـ٨١٦هـ).
٤٠٠ ـ العباب ـ منظومة في الفقه.

هدية العارفين ١ : ١٢١

الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي (ـ٨١٦هـ).
٤٠١ ـ ألفية الشريف في المعمى والألغاز.

ايضاح المكنون ١ : ١٢١

شهاب الدين أحمد بن يهود الدمشقي (ـ٨٢٠هـ).
٤٠٢ ـ نظم «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو لابن مالك، وشرحه.

كشف الظنون ٤٠٧
هدية العارفين ١ : ١٢٢

عز الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن المقدسي (ـ٨٢٠هـ).
٤٠٣ ـ ألفية النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد.

معجم المؤلفين ١١ : ٢٢

كمال الدين محمد بن محمد بن الحسن الشُّمُني (ـ٨٢١هـ).
٤٠٤ ـ نظم «نخب الطرائف في النكت الشرائف» لمجد الدين الفيروز ابادي. شرحها ابنه.
٤٠٥ ـ نظم «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر، في علوم الحديث.

كشف الظنون ١٩٣٥، ١٩٣٦.
هدية العارفين ٢ : ١٨٣

الهادي بن إبراهيم بن علي المعروف بابن الوزير (ـ٨٢٢هـ).
٤٠٦ ـ درة الغواص في نظم خلاصة الرصّاص.

الأعلام ٩ : ٣٧

جمال الدين عبد الهادي بن إبراهيم بن علي الحسني الصنعاني (ـ٨٢٢هـ).
٤٠٧ ـ البديعية في الكعبة اليمنية الثمينة.

إيضاح المكنون ١ : ١٧٣

محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ـ٨٢٣هـ).
٤٠٨ ـ منظومة في قراءة يعقوب.

كشف الظنون ١٨٦٧

أبو جعفر أحمد بن محمد بن عامر السلمي (ـ٨٢٧هـ).
٤٠٩ ـ زهر الغرر في عدد آيات السور ـ أرجوزة.

إيضاح المكنون ١ : ٦١٨

محمد بن يحيى الغساني المكناسي (ـ٨٢٧هـ)
٤١٠ ـ نظم «المرقاة العليا في تفسير الرؤيا» لابن راشد.
٤١١ ـ نزهة الناظر ـ نظم في التعريف ببلده مكناسة الزيتون.

معجم المؤلفين ١٢ : ١١٠

زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري (ـ٨٢٨هـ).
٤١٢ ـ بديعية. أولها:

دع عنك سلعاً وسل عن ساكن الحرم

٤١٣ ـ العناية الربانية في الطريقة الشعبانية ـ منظومة طويلة في أدب الكاتب ورسم الخط.
٤١٤ ـ كفاية الغلام في إعراب الكلام ـ ألفية في النحو.
٤١٥ ـ الوجه الجميل في علم الخليل ـ أرجوزة في العروض.

هدية العارفين ١ : ٤١٦
معجم المؤلفين ٤ : ٣٠١

بدر الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ـ٨٢٨هـ).
٤١٦ ـ الفاكهة البدرية ـ منظومة ومنثورة جمع فيها من غرر كلامه خاصة دون كلام غيره

كشف الظنون ١٢٥١، ١٢٩٣

أبو بكر محمد بن محمد عاصم القيسي الأندلسي (ـ٨٢٩هـ).
٤١٧ ـ أرجوزة تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام.
٤١٨ ـ أرجوزة مهيع الوصول إلى علم الأصول.

معجم المؤلفين ٦ : ٢٩٠

تاج الدين الحسن بن راشد الحلي (ـ نحو ٨٣٠هـ).

٤١٩ ـ تاريخ الملوك والخلفاء ـ ارجوزة.
٤٢٠ ـ تاريخ القاهرة ـ ارجوزة.

الأعلام ٢ : ٢٠٤

شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي (-٨٣١هـ).
٤٢١ ـ ألفية في أصول الفقه.
٤٢٢ ـ نظم «ثلاثيات البخاري» في الحديث.

كشف الظنون ١٥١، ٥٢٢
هدية العارفين ٢ : ١٨٨

شمس الدين محمد بن محمد الجزري (-٨٣٣هـ).
٤٢٣ ـ المقدمة الجزرية ـ منظومة في علم التجويد عدة أبياتها ١٠٧
٤٢٤ ـ غاية المهرة في الزيادة على العشرة ـ منظومة.
٤٢٥ ـ طيبة النشر في القراءات العشر ـ ألفية. شرحها ابنه، وشرحها أيضاً عالمان آخران.
٤٢٦ ـ الهداية إلى علوم الدراية ـ منظومة.
٤٢٧ ـ الدرة المضية في قراآت الأئمة الثلاث المرضية ـ منظومة. نظمها تكملة للشاطبية.

كشف الظنون ١٩٤، ٧٩٩، ١١١٨، ٢٠٢٨
هدية العارفين ٢ : ١٨٨
الإسفار ٧٤

أحمد بن محمد بن عمر النعماني (-٨٣٤هـ).
٤٢٨ ـ أرجوزة في علم الحديث، وشرحها.

هدية العارفين ١ : ٦٤

شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري (-٨٣٤هـ).
٤٢٩ ـ رسالة منظومة أورد فيها عشرين قطعة كل منها في علم واحد، وبدل أسماء العلوم، وامتحن بها علماء عصره فعجزوا عن حلها فضلاً عن الجواب عنها، شرحها ابنه محمد شاه الفناري.

مفتاح السعادة ٤ : ١٢٤
مجلة المورد ٤(١٩٧٧) ص٣٤٨

محمد بن إبراهيم الشران الأندلسي الغرناطي (كان حياً سنة ٨٣٧هـ).
٤٣٠ ـ منظومة في الفرائض.

معجم المؤلفين ٨ : ٢٠٣

تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجّة الحموي (-٨٣٧هـ).
٤٣١ ـ بديعية في مئة واثنين وأربعين بيتاً. وشرحها «خزانة الأدب وغاية الأرب». طبع.

كشف الظنون ٢٣٣
الاسفار ١٤٦

عبد الواجد بن محمد بن محمد المشهدي (-٨٣٨هـ).
٤٣٢ ـ منظومة في الأسطرلاب.

هدية العارفين ١ : ٦٣٢

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المعروف بابن الخرّاط (-٨٤٠هـ).
٤٣٣ ـ بديعية ابن الخرّاط.
٤٣٤ ـ المعاني اليتيمة والمباني الرخيمة.

إيضاح المكنون ١ : ١٧٣

* * *

مصادر الصغاني وموارده لمؤلفاته اللغوية

اعداد
د. احمد خان
الجامعة الاسلامية العالمية اسلام آباد - باكستان

إن الدكتور حُسَيْن نَصَّار، بعد أن قام بدراسة مركزة وتحليلات وافية لمعاجم اللغة العربية، أفادنا في شأن غزارة مادة الكتاب: العباب الزاخر واللباب الفاخر، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى ٦٥٠هـ (١)، وقال:

لَمْ نَرَ مثل ذلك عند غيره من المعجميِّين، ولعل السبب في ذلك اتساع معارفه الأدبية والحديثية وغنى مكتبته بهذا النوع من الكتب حتى كثرت أسماؤها في مراجعه[٢].

لاشكّ في أن سبب وَفْرَة المادة في تأليف الصغاني وكثرة أسماء المؤلفات فيها يرجع إلى خزانة كتبه التي كان يصحبها الصغاني في ترحاله وتجواله، وكفى به فخراً بهذه الخزانة في تلك العصور المضطربة.

٢ - إنّ حصولَ الكتب وتَوْفيرها في العصور السابقة ما كان سهلا ومَيْسُوراً كما في هذه الأيام. وكان النُّسّاخ والورّاقون ينسخون الكتب بأيديهم، الأمر الذي يحتاج إلى كثير من الوقت والنضال. وعلى رغم ذلك كلّه، كان محبو الكتب يعهدون بهذه المهمة إلى ورّاقين ويشترون منها نسخا للكتب بعد دفع المبالغ الهائلة عِوَضاً لها.

٣ - وإن الصغاني ورث حُبّ الكتب ونَسْخها من أبيه وأسرته منذ نعومة أظفاره لأنه فتح عَيْنَيْه وكان حوله العلماء وكتبهم. وبه خط الكتب منذ كان طفلا، وقرأها على العلماء، ولما أصبح شابا انتسخ كتبا أدبية ولغوية لنفسه وللآخرين، وعندما دخل في حوزة العلماء كان ينسخ له كتبا تلاميذه وأولاده. ونرى هذه الظاهرة خاصة عند الصغاني أن العلماء وتلامذته كانوا يجلسون في بيته وينسخون الكتب ويقرؤنها عليه.

٤ - ومن العجيب أن الصغاني قضى شطر كبيرا من حياته في الأسفار والترحال إلى بلاد اسلامية لأخذ العلم من العلماء وتدريس العلوم المختلفة المجالات. وفي غضون هذا التجوال انتسخ كتبا كثيرة من عند العلماء ونقل نسخا من خزائن المساجد والمكتبات الزاخرة بالكتب في المناطق التي وطئها.

٥ - وكان من دأبه أنه لم يكن ينسخ الكتب العادية بل كان يعدّ نسخا خاصة للكتب محققة بعد المقابلة على نسخها الكثيرة والمقروءة على العلماء الكبار. وهذه ميزة الصفاني الخاصة أنه كان ينسخ الكتب بكلّ اهتمام وبغاية العناية. ولايغرب عن بالنا أنه كان يعدّ نسخا خاصة للكتب في ضوء طرق التحقيق السائدة آنذاك، وكان يذهب في هذا

المضمار إلى آفاق بعيدة، فكان يفيد من النسخ القديمة للكتب ويختار النسخ التي قرئت على العلماء وصممت بأيديهم، كما كان يحاول الحصول على نسخ المؤلفين. وإذا عرف بنسخة لمؤلف كتاب ما كان لايستقر مقامه حتى يحصل عليها، أو ينتسخ منها نسخة أخرى له. وفضلا عن ذلك كان يعرف علماء من بين الأجيال السالفة الذين اشتهروا باتقان الخط وصحته وتطورت عنده قواعد خاصة في هذا الشأن يمتاز بها خطه وكتبه، وقد أثّرت هذه القواعد، في انتساخ الكتب، على الذين خلفوه من العلماء. لو درسنا هذه القواعد في ضوء الدراسات الأدبية الحديثة، لعرفنا مدى علمه الغزير وعمله التحقيقي واسهامه في تطوير العمل المعجمي. فإنه أعطانا ـ بما لاشك فيه ـ قواعد مبتكرة في هذا الصدد.

٦ ـ ونسوق نموذجا من تحقيقه ليعرف القارىء قيمة عمله:

ـ إنه أفادنا ضمن تحقيقه لبيت ذي الرمة، وقال:

«وفي نسختي من ديوانه [أي ديوان ذي الرمة] التي قابلتُها وصححتُها باليمن والعراق»(٣).

ومعنى ذلك أنه كان يعرف نسخا مهمة لديوان ذي الرمة، وكادت تكون جميعها لا في بغداد أو العراق فسحب بل في اقصى جنوب جزيرة العرب. وكان عارفاً كذلك بمواضع ومكتبات عمومية وشخصية تحوي الكتب ذات القيمة الأصلية.

٧ ـ ويصعب علينا جداً، في هذه الأيام ـ أي ايام المطبعة ـ أن نقيس ما كان يعاني عالم من علماء تلك الأزمان من الوان العقبات والصعوبات لنسخ كتاب ما، وما يقوم بسفر طويل وبمقابلة نسخ كثيرة مبعثرة على أرض ممتدة، من العراق إلى اليمن.

٨ ـ ولايفوتُنا أن نذكر أن المعلومات والقواعد التي استَشْفَفْنَاها من بين كتب الصغاني في مضمار انتساخ الكتب، لم تكن مدوّنة في كتاب ولاتوجد بمكان واحد، بل أوردها ضمنا في جميع تآليفه. ومن المعلوم أنه كان يعمل كعادته وبدون اهتمام خاص إلى هذه الامور. والمعلومات التي عرفناها ظهرت في كتبه على نحو تصادفي، وإلاّ كان اظهارها مفاخرة.

٩ ـ وكان من عاداته ـ وهذه ميزة نراها عند الصغاني بكل وضوح ـ أن يرجع إلى نسخ كثيرة من الكتاب لتدقيق كلمة منه. وفي بعض الأحيان يذهب الى أبعد من ذلك ويرجع إلى نسخ الكتاب الكثيرة في المدينة التي كان يسكنها أو في المنطقة حتى يذهب إلى بلاد نائية من العراق والحجاز واليمن والهند. رأينا أن الصغاني نظر لفحص كلمة ما في تهذيب اللغة للأزهري فرجع إلى ثلاث نسخ منه كانت عنده، ولم يطمئن من ذلك ومن ثم ذهب إلى مكتبة المدرسة النظامية ببغداد ورأى هناك نسخة التهذيب فارتاح لرؤيته، فقال: إنّها في غاية الوضوح ضبْطا وشكلاً(٤). أليس من الغريب أنه رجع، في الوقت نفسه لنسخة من بين النسخ الثلاث التي كانت عنده، وهي نسخة بخط المؤلف، ولم يطمئن حتى ذهب إلى مكتبة المدرسة النظامية.

وظهرت مباغته من قلمه في بعض الأحيان محاولات الحصول على نسخ الكتب هذه، كما أفادنا ضمن رجز لرؤبة، وقال:

«إنّما حملني على ذكره أني رأيت ابن العصار السُّلَمِيّ الرقي، وهو أبو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن، وخطه في الصحة والاتقان حجة في مزالّ المعضلات ومعاييها، ومضالّ المشكلات ومراميها، محجة في رجز:

* فَلاَ تَسمَعُ لِلْعَيِّ الصُّنْعِ *

تُمَارِسُ الأَعْضَالَ بِالتَّمَلُّغِ *

ولم يتعرض في الشرح لمعناه. وكذا في سائر النسخ الموجودة ببغداد من أراجيز رؤبة. ورأيت في نسخة مقروءة على ابن دريد من أراجيزه [أي أراجيز رؤبة] برواية أبي حاتم وتاريخ الفراغ من نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومئتين:

* فَلاَ تَسْمَعُ لِلْعَنِيِّ الصِّبْغِ *

بالنون في العنيّ، وبالباء الموحدة في «الصبْغ»، ولم يتعرّض لشرحه أيضاً، وبازائه في الحاشية لم يعرفه أبو بكر أيضا.

ولاشك في أن اللفظ مصحّف، فإنه لوخلا من التصحيف لفسّره، ولم يخطر ببالي الفحصُ عن هذا اللفظ إبّانَ إبالي ببلاد الهند وأوان ترددي إليها فإن بها نسخا مُتْقَنَة بهذا الديوان وسائر دواوين العرب. فأما الآن فقد حِيْلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوَانِ ولاَتَ حِينَ آوان، والله تعالى المستعان.

* حنت نوار ولات هنا حَنّتِ *

وبدا الذي كانت نوار أَجَنّتِ *

وأما الذي عندي فإنه الصَّيَّغ، فَعْيَل من صاغ يصوغ، وهو الكذّاب الذي يصوغ الكذب ويُزَخرفه ويفرط الزُّور ويَسِيغُهُ[٥].

وهذا نموذج من نماذج عالية الشأن، عظيمة القدر لعمل الصغاني، وهي تدل على نمط عمله. ومن البديهي فانه إذا قال: «كذا في سائر النسخ الموجودة ببغداد من كتاب فلان»، يعني منه إنه عارف بكلّ خزانة كتب ببغداد ويعرف مكتباتها الخاصة والعامة والشخصية والملكية، وفي الوقت نفسه يعرف نسخا كثيرة يعرف لكل كتاب يُعنى به.

- ٢ -

وليس من السهل الميسور أن نقدر كمية خزانة كتب الصغاني، ومما يساعدنا في تقدير حجمها ما قاله هو في موضع: «أنها يحملها عشرة أحمال»[٦]، وبمكان آخر:

«أنها تربى على ألف مُصَنَّف»[٧]. ومن المعلوم أنه استفاد بجانب هذا من خزائن العلماء ببغداد وما في مكتبات عامة وخاصة، ومكتبات ملكية وغير ملكية مثل مكتبة المدرسة النظامية هناك. ومن الممكن ان النسخ الوحيدة والكتب الفريدة التي نرى ذكرها في تأليفاته كانت من خزائن شخصية أو من خزائن ملكية.

٢ - إنّ الصغاني لم يورد أسماء جميع الكتب التي استفاد منها في عمله بل ذكرها على نحو الضرورة ضمن معلومات كثيرة أو لفحص كلمات أو أبيات. وزدْ عليه انه كان يذكر أسماء كتب تؤيده وتقوي ما جاء به من معنى أو من رواية شعر.

وقد ذكر الكتب بمكان واحد في قائمة أوردها في آخر كتابه التكملة مرّةً، وذكرها أخرى في نهاية كتابه مجمع البحرين، وأخيراً في مقدمة كتابه الرائع: العباب الزاخر واللباب الفاخر.

وإنه حصر جميع الكتب، ما عدا المعاجم، في أصناف:

- الكتبُ المؤلّفة في الآباء والأمّهاتِ.
- الكتبُ المؤلّفة في أسامِي الأسَدِ.
- الكتبُ المؤلّفة في أسَامِي الجِبَالِ والمَوَاضِعِ والبِقَاعِ والأصْقَاعِ ودَارَاتِ العَرَبِ.
- الكتب المصنّفة في أسامي خليل العرب.
- الكتبُ المصنّفة في الأضداد.
- الكتبُ المؤلّفة في البَنِيْنَ والبَنَاتِ.
- الكتبُ المؤلفة في جَامِعِ الأفْعَالِ.
- الكتبُ المؤلّفة في مَا اتَّفَقَ لفظهُ وَ افْتَرَقَ مَعْنَاه.
- الكتبُ المؤلّفة في المُذَكّرِ وَالمؤنّثِ.
- الكتبُ المؤلّفة في المَقْصُورِ وَالمَمْدُودِ.
- الكتبُ المؤلّفة في النَّبَاتِ وَالأشْجَارِ.
- الكتبُ المؤلّفة في مَاجَاء عَلَى فَعَالِ مبنيّاً.

وأضاف فيها في آخر مجمع البحرين له:

- الكتبُ المؤلّفة في غَرِيبِ الحَدِيْثِ.
- الكتبُ المؤلّفة في الأبْنِيَةِ.

ومن الواضح أن الصغاني قد استفاد من جميع مؤلفات اللغويين، وحاول جمعها لديه كذلك، كما أفادنا في هذا الشأن وقال ضمن ابن فارس: «كذلك سائر تصانيفه وأكثرها عندي»[٨].

٣ - نحن نستطيع أن نجزم رأيا، على قياس من التمثيل، أن الكتب اللغوية عنده كادت تكون جميعها أو كانت في الأقل في متناوله. وبجانبها كان عنده تأليفات متضمنة أسماء الرجال وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم، وتراجم المحدِّثين، القراء واللغويين. وليس هذا الجزم على العواهن بل نحن متأكدون مما ورد في تأليفاته من أسماء الكتب، وهي أكثر مما نذكرها فيما يأتي:

(أ)

- الأبْهَريّ، أحمد بن عثمان ابن أحمد الجابري:
- حدائقُ الأدَب: (م).
- [كتاب] أبنِيَة سِيْبَوَيْه: (العباب: قسقب، عنظ).
- الأخفشُ، علي بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن الأخفش الصغير:
- كتاب النَّوادِر: (م).
- الأزْدِيُّ [محمد بن السعلي]:
- كتابُ التَّرقِيص: (م).

الأزْهَرِيُّ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر:

- التهذيب في اللغة: (كانت عند الصغاني أو في متناوله أربع نسخ، انظر العباب: دلس، نطط، زجر، فقص، أنت).
- الأصمَعِيُّ، عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد:
- الاختيارات: (العباب: ندب).
- الأصمعيّات: (العباب: خمر).

- كتاب خلق الانسان: (م).
- كتاب الخيل: (العباب: هرج).
- كتاب فحول الشعراء: (العباب: خلج).
- كتاب الفَرْق: (العباب: ثلب).
- كتاب المقصور والمدود: (الشوارد: ق٣٧).
- كتاب الهمز: (م).
- كتاب الوحُوش: (م ومقدمة أسامي الأسد وكناه).
- ابنُ الأعرابيِّ، أبو عبدالله محمد بن زياد، مولى بني هاشم:
- كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها: (العباب: زرر، محح)
- كتاب النوادر: (م والعباب: ملأ)
- الآمديُّ، أبو القاسم الحسن بن بشر:
- معجم الشعراء: (م).
ابن الأنْبَاريِّ، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار:
- كتاب الأضداد: (الأضداد: بآخره).
- كتاب الزاهر: (م).
- كتاب المقصور والمدود: (العباب، جمع).
- المذكر والمؤنث: (العباب: أجا).

[ب]

- البَاقَسرْجيُّ، أبو الفتح عبدالواحد بن الحسن بن محمد بن اسحق:
- الملخّص في غريب الحديث: (م).
- ابو بكر السراج، محمد بن السرى:
- كتاب معاني الشعر: (م و العباب: عقب).

[ت]

- أبوُ تُرَاب:
كتاب الاعتقاب: (العباب: ريخ، الانفعال: ٥١)
- التَّنُوخِيُّ، القاضي أبو علي الحسن بن علي:
- كتاب الفرج بعد الشدَّة: (العباب: غفف).

[ث]

- ابنُ ثَابت البَغْدادِيّ، أبو محمد أحمد بن علي:
- كتاب الأسماء المبهمة: (العباب: خرج)
- ثَعْلَب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس الشيباني:
- خليل العرب: (العباب: مجج).

[ج]

- الجُمَحِيُّ، أبو عبدالله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم:
- طبقات الشعراء: (م والعباب: أطط).
- كتاب النوادر: (م).
- الجَوْهَرِيُّ، اسماعيل بن حماد، أبو نصر:
- الصِّحَاحُ في اللُّغَة: (م).
- ابنُ جِني، أبو الفتح عثمان:
- كتاب المُبهج: (الحاشية: يزن).

[ح]

- الحَرْبِيُّ، أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم:
- غريبُ الحديث: (م والعباب: وكف).

[خ]

- الخَارَزَنْجِيُّ، أحمد بن محمد البُشْتِيُّ:
- كتاب التكملة للعين: (العباب: غنش، بشت).

- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين:
- كتاب الآفق: (م).
- كتاب أسامي الأسد: (مقدمة أسامي الأسد وكناه).
- كتاب أطْرَغَشْ وأبْرَغَشْ: (م).
- كتاب ليس في كلام العرب: (م).
- الخَطّابِيُّ، محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب، أبو سليمان النيشابوري:
- أعلامُ الحَدِيْث: (العباب: بشق).
- غريبُ الحَدِيْث: (م).
- الخَلِيْلُ، ابن احمد، ابو عبدالرحمن الفرهودي البصري:
- كتابُ العَيْن: (م).
- الخَوَارِزْمِيُّ، أبو عبد الله:
- المجموع (في ثلاثة مجلدات): (م)

[د]

- ابن دُرَيْد، محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية، أبو بكر الأزدِيُّ:
- كتابُ الاشتِقَاق: (م).
- كتاب الجمهرة: (اربع نسخ، انظر العباب: رمص، غرب).
- دِعْبِلُ الخزَاعِيُّ:
- معجم الشعراء: (م).
- الدِّيْنَوريُّ، أبو حنيفة أحمد بن داؤد:
- كتاب النبات: (الالباب: قثلب، غزد، خفت).

[ذ]

- كتاب ذُو وذات: (م).

[ز]

- الزَّجَاجُ، ابراهيم بن السرى بن سهل، أبو اسحاق:
- كتاب فَعَلْتُ، وأَفْعَلْتُ: (العباب: وصب).
- الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار:
- كتاب النَّسَب: (م والعباب: صوب).
- الزَّمَخْشرِيُّ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد:
- الفَائِقُ في غَرِيْبِ الحَدِيْث: (العباب: قدد، جهس وغيرها).
- أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت:
- كتابُ أيْمَانَ عَيْمَانَ: (م والحاشية: فخر، سهقى).
- كتابُ خَبْأَة: (م والعباب: خبأ الحاشية: طحا).
- كتابُ نابِهٍ ونَبِيْهٍ: (م).
- كتابُ النَّوادِرِ: (التكملة: بآخره).
- كتابُ الهَمْز: (م والعباب: حتأ)
- كتابُ يَافِع ويفَعَة: (م والعباب: وجب، عرف).

[س]

- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد محمد بن عثمان:
- كتابُ الإبل: (العباب: جور).
- كتابُ الأبْوَاب: (العباب: لسد).
- أخبارُ كِنْدَة: (م).
- كتاب الأضداد: (العباب: حزر).
- كتابُ تقويم المفسِدِ والمزال عن جهته من كلام العرب: (العباب: رود، الشوارد: ٤٨).
- كتابُ الزِّيْنَة: (م).
- كتابُ الطَّيْر: (العباب: عقب، حمر وغيرهما).
- كتابُ المُعَمَّرِيْن: (م).
- كتابُ النَّخْلَة: (م والحاشية: شوف).
- السجستاني، أبو داؤد سليمان بن الأشعث:
- كتابُ السُّنن: (العباب: خرأ)
- ابن السِّكِّيت، يعقوب بن اسحاق:
- كتابُ إصلاح المنطق: (م).
- كتابُ الألفاظ: (العباب: خبعج).
- كتابُ البَحْثِ: (العباب: خبعج، دردج).
- كتابُ التَّصْغِيْر: (م والعباب: رنب صوب).
- كتابُ الفَرْق: (م والعباب: ذحح).
- كتابُ القلب والابدال: (م).
- كتابُ المُثَنّى والمُكَنّى والمُبَنّى: (العباب: حمر).
- مَعَانِي الشِّعْر: (العباب: صبب، وقف).
- السَّمْعَانِيُّ، أبو منصور محمد بن عبدالجبّار:
- كتابُ الغَرِيْب: (م).
- سَيْفُ بنُ عُمَر:
- كتابُ الفُتُوح: (العباب والحاشية: جعر).
- سِيْبَوَيه، أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر:
- الكتابُ: (العباب: زهط).

[ش]

- ابنُ شَبَّة، عُمَر:
- كتابُ المُعَمَّرِين: (م).
- ابنُ شُمَيْل، نفر بن شُمَيل بن خُرشَة، أبو الحسن المازني البصري:
- كتابُ الجِبَال: (م).

[ض]

- ضمرة بنُ ضمرة:
- نوادِرُ ضمرة بن ضمرة: (العباب: فورح).

[ط]

- الطبري، أبوجعفر احمد بن محمد بن رستم النحوي السروي:
- كتابٌ فِيْهِ ذِكرُ كَلّا مِمّا في كتابِ الله عَزَّ وجلّ: (مجموعة الدمياطي).

[ع]

- ابن عبّاد، أبو القاسم الصاحب اسماعيل:

ـ المُحِيطُ في اللُّغة: (م).
ـ عبد الرحمن بن بزرج الفارسيُّ:
ـ كتاب النوادر: (العباب: عفد).
ـ أبو عُبَيْد القاسم بن سَلّام البغدادي:
ـ كتابُ الأموال: (العباب، وطح).
ـ غريبُ الحَدِيْث: (م).
ـ الغَرِيْبُ المُصَنَّف: (م).
ـ أبو عُبَيْدَة، معمر بن المُثَنَّى التَّيْمِيُّ:
ـ كتابُ الآبَار: (العباب: بذر).
ـ كتابُ الامْتِنَان: (العباب: كرب).
ـ كتابُ التَّاج: (العباب: صوف).
ـ غريبُ الحَدِيْث: (م).
ـ كتابُ أيّام العَرَب: (م).
ـ كتابُ المَثَالب: (العباب: ظأب).
ـ كتابُ النَّوادِر: (م والعباب: وكأ).
ـ العِجْلِيُّ: [عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار، أبو الفضل]:
ـ التهذيبُ: (م)
ـ ابنُ عُزَيْز، محمد بن عُزَيز أبو بكر السجستاني:
ـ كتابُ دِيْوانِ الأدبِ ومَيْدانِ العَرَب: (م والعباب: دكص، رهط، نشظ).
ـ العَسْكَرِيُّ، الحسن بن عبد الله بن سعيد:
ـ كتاب التصحيف: (م والعباب: نقد).
ـ أبو علي (النحوي):
ـ التذكرة: (الحاشية: شمس).
ـ الشيرازيات: (العباب: عمر).
ـ أبو عُمَر الزَّاهِد، محمّد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، غلام ثعلب:
ـ جَامِعُ الأفْعَال: (التكملة: بآخره).
ـ سَقَطَاتُ ابن دُرَيْد في الجمهرة: (م والحاشية: زمرد).
ـ فَائِتُ الجمهرة: (م).
ـ المُدَاخلاتُ: (م).
ـ المُوَشَّحُ: (م).
ـ كتابُ اليَوَاقِيْتِ: (الحاشية: فتى).
ـ أبو عمرو الشَّيْبَانيُّ، اسحاق بن مرار:

ـ كتابُ الجِيْم: (العباب: ثوب، زاب، خوت).
ـ كتابُ الحروف: (م).

[غ]

ـ الغُنْدجَانيُّ، أبو محمد الأسود:
ـ كتابُ الخَيْل: (كتابُ فَعَال: ١١، والعباب: دعلج، والحاشية: غظف).
ـ ضَالَّةُ الأدِيْب: (م).
ـ فُرْحَةُ الأدِيْب: (م).
ـ نُزْهَةُ الأدِيْب: (م).

[ف]

ـ الفارابيُّ، أبو ابرهيم، اسحاق ابراهيم:
ـ دِيْوانُ الأدَب: (م).
ـ ابنُ فَارِس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريًّا بن محمد بن حبيب الرازي:
ـ كتابُ الاتْبَاعِ والمُزَاوَجَة: (م).
ـ كتابُ استِعَارَةِ خَلْقِ الإنْسان: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ إفراد كلِمَاتٍ في القرآن: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ الثَّلاثَة: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ الدَّارات: (العباب: برق).
ـ كتابُ ذَمّ الخطأ في الشِّعْر: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ عِلَلِ الغَرِيبِ المُصَنَّف: (م والعباب: توث).
ـ كتابُ فُتْيَا فَقِيهِ العرب: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ كَلاَّ: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ المُجْمَل: (م).
ـ كتابُ المداخل إلى علم النَّحْتِ: (م).
ـ كتابُ المَعَارِيْض: (مجموعة الدمياطي).
ـ كتابُ المَقَايِيْس: (م).
ـ كتابُ المُوَازَنَة: (م): (٩).
ـ الفتحُ بنُ خاقَان:
ـ كتابُ الزبرج: (م).
ـ الفَرّاءُ يحيى بن زياد أبو زكريّا العبسي:
ـ كتاب البَهِي: (العباب: يسف).
ـ كتابُ المَقْصُور والممْدُوْد: (العباب: حدأ).
ـ كتابُ النَّوادِر: (م والخزانة: ١/٥١٦، ٢/٩٩).

[ق]

ـ ابنُ قُتَيْبَة، أبو عبدالله محمد بن مسلم بن قُتَيبة الدنيوري:

ـ أدبُ الكاتِب: (الشوارد: مقدمة).
ـ غَرِيْبُ الحَدِيث: (العباب: وثب، ربض).
ـ كتَابُ المَعَارِف: (العباب، خرج).
ـ قطرب، محمد بن المُسْتَنِير أبو علي:
ـ كتابُ الأضْداد: (الأضداد: مقدمة).

[ك]

ـ ابنُ الكَلْبِيّ، محمد بن السائب:
ـ أخبارُ كِنْدة: (م).
ـ كتابُ أسْماءِ سُيُوفِ العَرَب المشهُورَة: (العباب: زعف).
ـ كتابُ اسْتِقاق أسماءِ البُلْدَانِ: (م).
ـ كتابُ الأصْنَام: (م).
ـ كتابُ افتِراقِ العَرَب: (م والحاشية: بند).
ـ كتابُ ألقَاب الشُعَرَاء: (التكملة: بآخره، العباب: عصسر، كذب).
ـ كتابُ جَمْهَرَةِ النَّسَب: (العباب: جهس).
ـ كتابُ المُعَمَّرِيْن: (م).
ـ الكِسَائِيُّ، علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي:
ـ كتابُ النَّوادِر: (م).
ـ الكِلابيُّ، ابو زياد يزيد بن عبيد الله:
ـ كتاب النوادر: (م).

[ل]

ـ اللِّحْيَانيّ، علي بن خازم ابو الحسن:
ـ كتابُ النوادر: (م والعباب: هأهأ).
ـ اللَّيْث: (العبا: طهلس).

[م]

ـ المبرّد، ابو العبّاس التمالي، محمد بن يزيد:
ـ كتابُ نسب عَدنان وقَحْطان: (مجموعة الدمياطي).
ـ محمد بن حبيب، ابو جعفر
ـ كتاب أيّام العرب: (م والعباب: ظرب).
ـ كتابُ الطَّير: (التكملة: بآخره).
ـ ماجاء له اسمان أحدهما أشهر من صاحبه: (م).
ـ المحبَّر: (م).
ـ المفوَّف: (م).
ـ كتاب مقاتِل الفرسَان: (العباب: نكد).

ـ كتابُ من استُجِيبتْ دعوتهم في الجاهلية والاسلام: (العباب: قشر)
ـ المُنَمَّق: (م).
(المُنَمْنَم: (م).
ـ المؤتلف والمختلف: (م).
ـ الموشى: (م).
ـ كتاب النَّخْلَة: (التكملة: بآخره)
ـ المَرْزُبانيّ، ابو عبيد محمد بن عمران:
ـ كتابُ اسامي الشعراء: (العباب: صوب)
ـ كتابُ اشعار الجنّ: (م).
ـ كتابُ الشعراء وأخبارهم: (م).
ـ معجم الشعراء: (م).
ـ المُقْتَبَس: (م).
ـ المُؤنَّق: (العباب: سنق).
ـ المَرْزُوقِيّ، احمد بن محمد بن الحسن:
ـ شرح الحماسة: (العباب: حمس).
ـ أبو مِسْحَل الأعرابي، عبد الوهّاب بن حريش:
ـ كتابُ النوادر: (م والعباب: صدأ).
ـ المنجم:
ـ كتابُ المُنقَد: (الحاشية: صين).
ـ المُفَضَّل بن سلمة بن عاصم، ابو طالب:
ـ إخراجُ مافي العَيْن مِنَ الغَلَط: (م).
ـ البارعُ: (م).
ـ الفاخرُ: (م).
ـ المُفَضَّل بن محمد بن يَعْلي الضَّبي الكوفي:
ـ المُفَضَّليات: (العباب: صوب).
ـ المؤرِّجُ السَّدُوسِيُّ، مؤرّج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن سعد بن حرملة، ابوفيد:
ـ كتابُ أنْسَاب بني شَيبان: (العباب: شعر).

[ن]

ـ ابنُ النَّدِيم، محمد بن اسحاق:
ـ كتاب الفِهرِست: (العباب: حمر).
ـ أبو نصر، أحمد بن حاتم، صاحب الاصمعي:
ـ كتابُ الأجناس: (العباب: غرر).

ـ كتابُ النقائض: (العباب: قهس، ضرب).
ـ النَيْسابُوريّ، محمود بن ابي الحسن بن الحسين.
ـ جُمَل الغرائب: (م).

[لا]

ـ الهَرويُّ، أبو سَهل:
ـ كتابُ أسامي الاسد: (أسامي الاسد وكناه: مقدمة).
ـ كتابُ المثلث: (في أربعة مجلدات، م).
ـ كتاب المُكَنّى والمُثنّى: (م)
ـ المُنمّق: (م)
ـ الخضرويُّ، ابو عُبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن:
ـ كتاب الغريبين: (العباب: عصر).
ـ الهُنائيُّ، ابو الحسن علي بن الحسن، كراع النمل:
ـ كتاب المُجدّد: (م).
ـ كتاب المُجرّد: (التكملة: بآخره)

[و]

ـ كتاب الوَافر: (العباب: أحح).

[ي]

ـ يونُس بن حبيب النحوي، ابو عبد الرحمن الضبيّ:
ـ كتاب اللغات: (العباب: لبب، عمس).

-٣-

وفضلاً عن ذلك، ذكر الصغاني في مقدمة العباب الزاخر أسماء اللغويين الذين استفاد من آرائهم اللغوية الواردة في تواليفهم او في الكتب اللغوية الأخرى، ولكنّه لم يَرَ مناسبة او لم يستطع ان يذكرها في تأليفاته، وهم:
ـ الأخفش الصغير، علي بن سليمان بن الفضل، ابو الحسن (ت ٣١٥ هـ).
ـ الأخفش الكبير، سعيد بن مَسعدة، ابو علي ويقال أبو شُعيب البلخي المجاشعي (ت ٣١٥ هـ).
ـ خلفُ الأحمر، ابن حيّان ابو صالح (ت ١٨٠ هـ)
ـ أبو عبد الله النيشابوري، عبد الله بن محمد بن هانئ (ت ٢٣٦ هـ).
ـ ابن عرفة، ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن مغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صُفرة، ابو عبد الله العتكي المعروف بنفطَويه (ت ٣٢٣ هـ).
ـ علي بن المبارك الحرّاني الأحمر
ـ أبو عمرو البصري، يحيى بن العَلاء بن زيّان (ت ١٥٤ هـ)
ـ ابو عمرو الهَروي، شَمِر بن حَمْدَويه (ت ٣٥٥ هـ).
ـ أبو مالك البصري، عمرو بن كِركِرة.
ـ أبو محمد الأموي، عبد الله بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاص.
ـ ابو معاذ الباهلي، الفضل بن خالد (ت ٣١١ هـ).
ـ ابو محمد اليزيدي، يحيى بن المبارك (ت ٣٠٣ هـ).
ـ نُصَيْر بن ابي نُصير الرازي (ت ٣٤٠ هـ).
ـ اليزيديُّ، خالد بن يزيد ابو القاسم
ـ ابو اليَقظان، سُحيم بن حفص (ت ١٩٠ هـ).

-٤-

إن معرفة الصغاني الفائقة ضمن تهذيب نصوص الأشعار وتقويم نسبتها الى قائليها وإزالة الشوائب المتسربة الى نصوصها وروايتها، تدلّ على ان الصغاني كانت لديه ذخيرة كبيرة من ديوان العرب، التي كانت في محتوياتها بعيدة المرمى ونادرة الوجود في حد ذاتها.

وقد حاولت ان استقصي عناوين هذه الدواوين التي كانت تحت بصره، ولكن على الرغم من جُهدنا لم تنجح محاولتي، فيما أعتقد، ان تحوي عناوين الدواوين جميعها. ومع ذلك فقد جُمعت عندنا معلومات عنها وهي تربو على عشرين ومئة ديوان. ومن الواضح أنه ذكر هذه الدواوين ضمن كتبه. ونعتقد أن مالم يذكر أضعاف مااطلعنا عليه، ولكن نستطيع ان نعرفها عن معلومات الصغاني الواسعة وغزارة مادته في مؤلفاته.

وأرى من واجبي ان أشير الى أنّ الصغاني لم يذكر هذه الدواوين في أي كتاب له بموضع واحد، ولا في مقدمة الى تأليف. وكانت أخبار هذه الدواوين مبعثرة في بطون مؤلفاته ـ ومؤلفاته كثيرة كما تعرفونها ـ وحاولنا جمعها قطرة قطرة فصارت هذه القطرات قائمة ضخمة.

ولعلّه قد يظن بي أني جمعت هذه الاخبار مماورد في كتبه من أسماء الشعراء، او أبياتهم، كلاّ، ليس كذلك. وأرى من الضروري أن أوضح هنا فإني لم افعل مثل هذا لأني لو فعلت كذا لصار عدد هذه الدواوين أكثر من الفين. اذ استقصيت هذه المعلومات التي تشير بالوضوح وبدون غموض إلى ان هذه الدواوين كانت لدى الصغاني أو رآها بأم عينيه، نحو قوله:
ـ وجدت هذا الشعر في ديوان أشعارهما.

ـ وليس في ديوانه.

ـ وهو موجود في أشعار فلان
ـ وهو موجود في أشعارهما
ـ وجدته في شعر فلان
ـ وديوان شعره عندي
ـ لم أجده في شعر فلان
ـ وليس هذا البيت في أشعار فلان
ـ قرأت في شعر فلان
ـ قرأت القصيدة التي منها هذا البيت، في أشعار..

أليست هذه الكلمات دلالة واضحة ان الصغاني رأى دواوين هؤلاء الشعراء بأم عينيه؟ بل يعني هذا انه استفاد منها استفادة كاملة.

وفي ترتيب هذا المسرد لم أراع عناوين الدواوين بل رتّبته طبقاً لأسماء أصحاب الدواوين. وأما المادة التي ثُبِتَتْ بين معقوفين بآخر كل ادراج فتشير الى مادة العباب الزاخر التي فيها وجدت اشارة الى ديوان الشاعر المقصود المشار اليه في الادراج. ولم ترد هذه الاشارة في مؤلفات الصغاني مرة واحدة بل وردت عدة مرات ولكني اكتفيتُ بواحدة منها فحسب:

ـ شعر أُثَيْلَة العَبدِي: (الصبا).
ـ شعر الأحوص: (رفع).
ـ ديوان شعر الأخطل: (نجر).
ـ شرحُ ديوان الأخطل: (بلخ).
ـ ديوان شعر أَسَد بن ناعِصة التنوخي: (نحص).
ـ أشعار ابي الاسود الدؤلي: (نعب).
ـ ديوان شعر الأعشى: (حمر).
ـ أراجيز الأغلب العِجْلي: (م، ذبب).
ـ دواوين أشعار مَنْ يُقال له امرؤ القيس: (سمط).
ـ ديوان شعر امرئ القيس بن حُجر: (كانت لديه عدة، مسح).
ـ شعر أُمَيّة بن أبي الصَّلت: (ارخ)
ـ أشعار الأنصار لبعض النّاس: (ذكره البغدادي عن الصغاني في الخزانة: ٤/١٣١).
ـ ديوان أشعار أوس بن حجر: (تلب).
ـ أشعارُ باهلة: (فرأ).
ـ أشعارُ البُرَيْق بن عياض الهزلي: (كسأ).
ـ ديوان أشعار بِشر بن أبي خازم: (تلب).
ـ أشعار بني شيبان: (زنأ).
ـ ديوان تأبط شراً: (سود).
ـ شعر جران العود: (سحط).
ـ ديوان جرير: (وذح).
ـ شعرُ جزء، أخي الشمّاخ: (بوخ).
ـ شعرُ جندل: (خضع).
ـ شعرُ جَوّاس بن القَحْطَل الضبيّ: (خرأ).
ـ ديوان أشعار حاتِم بن عبد الله الطائي: (نحت).
ـ أراجيز أبي حِزام غالب بن الحارث الحُكْلِيّ: (*)
ـ ديوان شعر حُمَيد بن ثور الهلاليّ: (سبت).
ـ ديوان شعر خِداش بنت بدر بن هفّان بن مالك: (نحت).
ـ ديوان شعار خُزَز بن لَوذان السَّدُوسيّ: (كذب).
ـ ديوان شعر الخنساء: (التكملة: سقب).
ـ أراجيز دُكَين بن رجاء الفُقَيميُّ: (يرنأ).
ـ شعر أبي دهبل: (خصر).
ـ أشعار ابي دواد الايادي: (نضب).
ـ ديوان ابي دواد العابلي: (دود).
ـ شعر أبي ذؤيب الهُزلي: (زيد).
ـ ديوان شعر ذي الرمة: (كانت لديه عدة نسخ، ونسخة عملها لنفسه، التكملة: عجلز).
ـ ديوان ذي الخِرَق: (جدع).
ـ ديوان شعر راشد بن سِهاب(*) بن عبدة، أخي أوس: (سهب).
ـ شعر الراعي، أبي جندل عُبيد بن حُصَين النُّمَيري: (صوب).

ـ ديوان أراجيز رؤبة: (عشش).
ـ ديوان أبي زُبيد حرملة بن المنذر الطائيّ: (نقد).
ـ شعر زياد بن منقذ بن حمل، اخي المرار: (كسح).
ـ ديوان زُهَير بن أبي سُلْمى: (شفف).

(*) لم يذكره الصغاني ولكن كثيرة أراجيزه الواردة في باب الهمزة من العباب وخلوها غيره من المعاجم منها، تدل على أن الصغاني كان في متناوله مجموعة من أراجيز المكلي.

(*) وليس في العرب سهاب، بالسين المهملة غيره وهكذا هو مذكور في صدر ديوان شعره، هذا من قول الصغاني.

ـ ديوان شعر زياد الأعجم: (حضر).
ـ شعرُ زيد بن تركي: (وضأ).
ـ شعرُ سهم بن حنظلة العنوي: (نوأ).
ـ شعرُ الشَّمّاخ: (بوج).
ـ شعرُ شهاب بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع: (حرت).
ـ شعر شهاب بن العيِّف: (زنأ).
ـ ديوان شعر ابي طالب: (شهر).
ـ ديوان شعر طرفة ابن العبد: (كمج).
ـ ديوان أشعار الطرّماح: (مجمع البحرين: زعب).
ـ اشعار طريف بن تميم العنبريّ: (نعب).
ـ أشعار بني الطمّاح: (الحاشية طبأ).
ـ أشعار بني طُهَيَّة: (جدع).
ـ شعر عامر بن الطُفيل: (التكملة: ظرب).
ـ شعر عبد الله بن حسان رضي الله عنه: (خصر).
ـ شعر عبد الله بن الزِّبَعْري: (سنت).
ـ ديوان أشعار عَبيد الأبرص: (هدب).
ـ ديوان شعر عُبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود: (ذرأ).
ـ شعر عُبيد الله بن قيس الرقيّات: (يدع).
ـ ديوان أراجيز العجّاج: (أمت).
ـ شعر عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع: (دور).
ـ ديوان شعر العُجَير السَّلولي: (سبت).
ـ شعر العَرْجيّ: (ذكر على هاش رسالة الثلاثة، لابن فارس، كانت عند الصغاني).
ـ ديوان شعر عَلْقمة بن عَبْدة: (صوب).
ـ شعر عمر بن أبي ربيعة: (ذكر على هامش رسالة الثلاثة، لابن فارس، كانت عند الصغاني).
ـ ديوان شعر عَمرو بن الأطنابة: (طير).
أشعارُ بن عمرو بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: (حزز).
ـ ديوان أشعار عنترة بن شدّاد: (كذب).
ـ شعر أبي الغُول الطُهوي: (سوأ).
ـ شعر أبي الغول النهشلي: (سوأ).
ـ ديوان شعر الفرزدق: (حضر).
ـ شعر فدوة بن مُسَيك: (التكملة: طبب).
ـ شعر القتّال الكِلابي: (هنر).

ـ شعر القحيف العُقيلي: (ختق).
ـ شعر أبي قِلابة: (دبب).
ـ شعر قيس بن الحدادية: (نصب).
ـ ديوان شعر قيس بنذَريح: (ذرأ).
ـ ديوان أشعار كُثيِّر: (حوج).
ـ ديوان أشعار كَعب بن زُهير: (شنف).
ـ شعر الكُمَيت بن زيد الأسدي: (حوج).
ـ شعر الكُميت بن معروف: (كير).
ـ شعرُ ام الكميت بن معروف الفقيس: (عقفر).
ـ ديوان شعر لَبيد: (التكملة: طرب).
ـ شعر لَيلى الجُهَنيّة: (سلع).
ـ شعر مالِك بن العجلان: (كف).
ـ أراجيز مالك بن الريب: (برك).
ـ شعر جرير بن عبد المسيح المتلَمِّس: (سكت).
ـ أشعار المُثَلَّم بن عمرو التنوخيّ: (كسأ).
ـ شعر مجنون بن عامر: (حرج).
ـ ديوان أراجيز ابي محمد الفقعسي: (مجمع البحرين: ذرأ).
ـ شعرُ المُخَلَّب الهِلالي: (ذكره البغدادي عن العباب في الخزانة: ٣/ ٣٩٧).
ـ شعر المُزَرِّد: (بوج).
ـ شعر مُضَرِّس بن ربعي: (جير).
ـ شعر مطرود الخُزاعيّ: (سنت).
ـ ديوان أشعار المُعطل الهُذلي: (دبب).
ـ شعر المُغيرة بن حبناء: (زجر).
ديوان شعر ابن حقيل، وهو تميم بن أبي بن مقبل: (م).
ـ ديوان شعر مَنظور الأسدي: (بهصل).
ـ ديوان أراجيز مَنظور بن حَبة: (التكملة: ريخ).
ـ ديوان أشعار النّابغة الجعدي: (فَعال: ٣١).
ـ شعر النابغة الذُبياني: (خسفج).
ـ ديوان أراجيز أبي النجم: (زير).
ـ أشعارُ النعمان بن بشير الأنصاري: (عمر).
ـ شعر بنت هاشم بن عبد مناف: (سنت).
ـ أشعار المُعذَّلِين: (طلق).
ـ شعر يزيد بن معاوية: (شعب).
واعتقد ان عدد الدواوين التي جمعت لدى الصغاني عدد

ضخم ويعدّ عظيماً لو نظرنا اليه وقارناه بما كان لدى العلماء من الكتب من هذا الصنف، في تلك العصور.

(٥)

ونستطيع أن نجزم رأياً - بعد النظر في هذه التائمة ان الصغاني كان يستفيد في عمله من كتب وافرة ونسخ نادرة. وبعض هذه كانت نسخاً مهمة ونادرة جداً. بل إن بعضها يعدّ نسخاً فريدة، وهي تحتاج الى شئ من التوصيف والانتباه الخاص، ونحن نذكر فيما يأتي بعضها.

إن القرن الثالث الهجري أنجب علماء كثيرين في ميدان اللغة، ومنهم ابو عبد الله بن محمد بن زياد ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) وهو عالم كبير وبارز الى جانب علوم أخرى علم اللغة. له كتاب في أسماء الخيل ومايتعلق بها. وهو كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها. أعدّ لنفسه نسخة لهذا الكتاب المهم لغوي آخر وهو معروف بأحمد بن يحيى ثعلب (ت ٣٩١ هـ) والتي بعد وفاته انتقلت في أيد كثيرة، وفي القرن السابع الهجري انتهت الى بيت الصغاني فاستفاد منها استفادة كاملة ضمن معلومات الخيل وفرسانها.

ألف ابن الكلبي (ت ١٤٦ هـ) كتاباً في أسماء السيوف وسماه: كتاب اسماء سيوف العرب المشهورة. وكانت له نسخة مهمة جداً وتلك بخط محمد بن العباس اليزيدي (ت ٣١٠ هـ) اللغوي الكبير. قد انتفع الصغاني من هذه النسخة خلال مكوثه ببغداد (١١).

من مؤلفات ابن السكّيت (ت ٣٤٤ هـ) كتاب الالفاظ وانتسخه كثير من العلماء ومنهم أبو سعيد السكري (ت ٣٧٥ هـ) ومن الطريف ان الصغاني كان قد حصل على هذه النسخة نفسها واستفاد منها في عمله (١٣).

هناك كتاب يعدّ من اهم تأليفات ابن السكّيت (ت ٣٤٤ هـ) وهو كتاب البحث كان قد انتسخه ابو الغنائم محمد بن احمد بن عمر الخلّال، وكانت هذه النسخة بالنوبة عند الصغاني. وهذه النسخة ليست بعادية من يد عالم عادي، بل بيد عالم يدهشكم توصيفه يقيناً، وهو الذي ذكره ياقوت في ارشاد الأريب، وقال:

اللغوي الامام، عالم، جيد الضبط، صحيح الخط، معتمد عليه، وقد اخذ عن السيرافي والرّماني وتلك الطبقة (١٣).

استخدم الصغاني هذه النسخة للكتاب في عمله المعجميّ (١٤).

ويعّد هذا الكتاب في هذه الايام من التراث المفقود.

اعتمد الصغاني في عمله على كتاب التهذيب في اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، لأنه يعدّ من ادق العلماء في اللغة وكتابه يعدّ عمادا من اعمدة العجم العربي. وكان لكتاب التهذيب سهم خاص في عمل الصغاني. ولهذا المصنف الجليل كانت لنسخ كثيرة في بغداد وبلاد اسلامية. وأما الصغاني فاستفاد من هذا الكتاب، في الأقل من اربع نسخ له:

١ - النسخة الاولى التي كان عليها مدار عمله كانت نسخة المؤلف. وهذه النسخة انتقلت، بعد وفاة الأزهري، الى العلامة جادالله الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) كما اخبرنا القفطي (١٥)، وظلت دهراً لديه ولدى أسرته حتى سقوط دولة خوارزم فانتقلت، مع تأليفات الزمخشري وماكان لديه من التراث، الى بغداد. وهنا استخدمه الصغاني.

٢ - والنسخة الثانية التي كانت أمام بصر الصغاني هي نسخة خطت من يد عالم لانعرف اسمه وذلك في حياة الأزهري لأنها كانت قد قرأت عليه. وعليها تصحيحات من يده (١٦).

٣ - وكانت لدى الصغاني نسخة ثالثة لهذا الكتاب. وكانت غير مهمة ولكن الصغاني استفاد منها كذلك وذكرها في عدة تراكيب من العباب (١٧).

٤ - وأما النسخة الرابعة التي انتفع بها الصغاني في عمله فكانت غاية الوضوح ضبطاً وشكلاً، والتي وجدها في مكتبة مدرسة النظامية، كما اشرت اليها مسّبقاً (١٨).

استفاد الصغاني في تأليفاته اللغوية من الجمهرة، لابن دريد، وجمع لديه أكثر من ثلاث نسخ، كما يتضح عن معلومات واردة في كتابه العباب الزاخر. فمنها كانت نسخة عادية. والنسخة الثانية كانت من يد عالم من علماء القرن السابع وهو أبو محمد يحيى بن محمد الأرزَنيّ (ت ٦١٥ هـ). واما النسخة الثالثة فكانت أجود من هاتين المذكرتين. وهي كانت من خط اللغوي الكبير، حجة العرب ابي سهل المعروي (ت٤٣٣ هـ) وفضلاً عن ذلك كانت النسخة هذه قد قرأت على علماء وعليها خطوطهم كما كتبوا عليها نكات توضيحية (١٩).

إن ابن الكلبي (ت ١٤٦ هـ) لايحتاج الى تعريف لأنه

شهير لتواليفه الكثيرة في أخبار العرب، ومنها كتاب جمهرة النسب له، صار صيت هذا الكتاب كالشمس بين أواسط العلماء فانتسخه كثير منهم. وأما النسخة التي كانت امام الصغاني في أثناء تأليف كتبه، فنسخه مهمة ونادرة جداً. وهذه النسخة كانت خطّت بيد نسّابة العرب المعروف بابن عَبدة النّسّابة(ت هـ). فانه ذكره في العباب في نسب جهس بن يزيد، فقال:

هكذا [جهس، بالسين غير المعجمة] ذكره ابو سليمان حميد بن محمد الخطّابي في غريب الحديث من تأليفه، وجارالله العلامة الزمخشري رحمه الله في كتابه الفائق الذي بخطه، ورأيت في كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي، في نسب النخع، بخط ابن عبدة النّسّابة: منهم الأرقم وهو جهش بن يزيد بن مالك.. مضبوطاً بالشين المعجمة (٢٠).

إن كتاب الطير، لابي حاتم سهل السجستاني (ت نحو ٢٥٤ هـ) يحوي معارف عن الطيور. عمل ابن الانباري (ت ٣٠٤ هـ) اللغوي الكبير نسخته لنفسه. وشاء القدر ان النسخة هذه وقدمت أخيراً بأيدي الصغاني عندما كان ببغداد فاستفاد منها ضمن معلومات الطيور(٢١).

لما سقطت دولة بعد اخرى من الدويلات الاسلامية بآسيا الوسطى، انحسر تراث المسلمين، كان بصورة العلماء وأعمالهم الفكرية، الى مركز الخلافة: بغداد. وفي هذا التراث انتقلت كتب عربية لعلماء هذه البلاد فمنها كتُبُ جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ). من المعروف ان لهذا العالم الجليل كتاباً في غريب الحديث يسمّى بـ (الفائق في غريب الحديث). وكان الكتاب عند الصغاني لدى مكوثه ببغداد. وأما النسخة التي كانت عنده فهي بيد الزمخشري نفسه. وكان الصغاني يعتمد كثيراً على أعمال الزمخشري ويعده من أهل الاتقان(٢٢).

ان ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ألف كتاباً لطيفاً وسمّاه فتيافقيه العرب. عمل له نسخة الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر عبد الله الحميدي (ت هـ)، ووقعت هذه النسخة بأيدي العلماء الى أن انتقلت في القرن السابع الى الصغاني، فاستفاد منها في عمله (٢٣).

الف عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت ٣١٦ هـ) كتاباً مفيداً، وهو كتاب فحول الشعراء. كانت نسخته الكاملة عند الصغاني وكانت بخط مؤلفه (٢٤).

إن كتاب الفهرست، لابن النديم (ت ٤٣٨ هـ) يعد كتاباً مهماً ويعدّ أول تأليف دون في حقل الفهرسة عند العرب. ولهذا الكتاب نسخ كثيرة من ايدي العلماء الكبار. واما النسخة التي أستفاد منها الصغاني في عمله التحقيقي فكانت بخط لابن النديم لنفسه (٢٥). بعد مقارنة الكتاب الكتاب المطبوع بمعلومات الصغاني المستقاة من هذه النسخة للفهرست نستطيع ان نكوّن نسخة كادت تكون اصح وأقرب مما سودتها أيدي المؤلف.

من مؤلفات أبي العباس المبرد (ت ٣٨٦ هـ) كتاب معروف في الانساب، وهو كتاب نسب عدنان وقحطان. توجد لهذا الكتاب نسخ كثيرة خطت بأيدي علماء معروفين وغير معروفين، ان النسخة التي كانت عند الصغاني انتسخها الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي نصر الحميدي (ت هـ)، الذي كان لغوياً كبيراً ونحوياً عظيماً في زمانه. ولهذه النسخة مزية أخرى فانها كانت قرأت علماء كثيرين (٢٦).

الف غلام ثعلب ابو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) كتاب اليواقيت وهو كتاب مهم بالنسبة للأدب العربي. وكانت عند الصغاني نسخة لهذا الكتاب بخط مستملىْ أبي عمر الزاهد: ابراهيم بن محمد الطبري المعروف بتوزون هـ (٢٧).

إن عمل الصغاني في تحقيق النصوص الشعرية وتقويمها وترجيح رواياتها وعزوها إلى قائليها يرجع إلى أصول ودواوين العرب التي كانت قد تجمعت لديه. وزد عليه ماقام أبو الفضائل من مقابلة النسخ للدواوين وتنقيح الاشعار من شوائب منكرة وروايات غير مرجحة، وذلك بعد النظر في نسخ كثيرة لهذه الدواوين، مبعثرة على مناطق بعيدة، وهذا عمل يثنى عليه ويشكر له على ماأبقى لنا من ثروة عظيمة القدر وعالية الشأن. ونسرد هنا منها ما أعانه في عمله اللغوي وهي تعدّ من أمهات الكتب:

- عمل أبو سعيد الحسن السكّري دواوين العرب الكثيرة كما شرح بعضا منها. والذي يهمنا الآن هو شرح ديوان الأخطل فانه شرحه شرحا مستوفيا. ومن حسن طالع الصغاني أن هذا الشرح وقع بيده فانتفع منه لتقويم النصوص لأشعار الأخطل وذلك في العباب الزاخر ومؤلفاته الأخرى(٢٨).

- انتهت إلينا روايات كثيرة لديوان امرئ القيس بن حجر الكندى، ومنها رواية محمد بن حبيب المهمة والخطيرة جدا عند

العلماء ومحبي ديوان العرب، وأكثرهم يعتمدون عليها ومن الواضح مما ورد من أبيات لامرئ القيس في تأليفات الصغاني أنه استخدم نسخا كثيرة وبروايات مختلفة ومنها كانت نسخة عنده برواية محمد بن حبيب البغدادي اللغوي، فاستفاد منها استفادة كاملة[٢٨].

ـ رأى الصغاني شرحا لشعر دريد وذلك بخط أبي الغنائم محمد بن احمد بن عمرو الخلّال، واستفاد منه في تقويم نصوص شعرية[٢٩].

ـ عرفنا أن أبا القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) عمل لنفسه ديوان شعر أبي دواد العاملي. وهذه النسخة انتقلت في أيد كثيرة من العلماء، بعد وفاة الآمدي، حتى انتهت في القرن السابع الهجري إلى الصغاني، فاستخدمه في تقويم النصوص الشعرية وروايتها لهذا الشاعر وذلك في العباب الزاخر[٣٠].

ـ لأشعار الهذليين أهمية كبيرة لدى العلماء لأنها راحت نُصب أعينهم في شروح الكلمات اللغوية كما استخدموها لتعيين معنى من المعاني اللغوية لكلمات وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي. ومن هؤلاء الهذليين يعدّ أبو ذؤيب الهذلي أهمّ لما أورد في شعره من كلمات لغوية وتراكيب غريبة. وكان في متناول الصغاني نسخة من ديوان هذا الشاعر وتلك برواية عالم جليل، أي محمد بن حبيب البغدادي. وتعد هذه الرواية لديوان أبي ذؤيب فذة في ذاتها[٣١].

ـ سبق أن ذكرتُ أن الصغاني كان قد عمل نسخة من ديوان شعر ذي الرمة لنفسه بعد مقابلته بنسخه الموجودة في العراق واليمن. وبجانب هذه النسخة القيمة كانت في متناوله نسختان أخريان، منها واحدة بخط ابي سعيد السكري واخرى بخط النجيرمي (ت نحو ٣٥٥ هـ)[٣٢].

ـ يظهر من المعلومات الواردة في كتب الصغاني أنه جمع لديه أو كان في متناوله عدة نسخ لديوان أراجيز رؤبة لأنها تجمع معظم الشواذ ومدار أكثر الشواهد في كلام العرب. وإن الصغاني استفاد من نسخ لها ولاسيما التي خطت بيد أبي الحسن علي بن عبدالرحيم بن الحسن بن العصار السلمي الرقي (ت ٥٧٦ هـ). وما كانت هذه النسخة بعادية لأن الصغاني ـ الذي كان عارفا باتقان الخط وأهلية ـ كان يعرف قدرها لأن السلمي هذا كان خطه في الصحة والاتقان حجة في مزال المعضلات ومعاييها، ومضالّ المشكلات ومراميها محجة[٣٣].

وهناك نسخة أخرى لديوان أراجيز رؤبة كانت قد قرئت على ابن دُريد، وهي برواية أبي حاتم السجستاني (ت ٣٤٨ هـ)، وتاريخ الفراغ من نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومئتين. وتعد هذه النسخة من ديوان رؤبة أقدم النسخ وأقربها من عهد الراجز. واستخدم الصغاني هذه النسخة في عمله كذلك[٣٤].

ـ ومن المعروف أن أبا سعيد الحسن السكّرى (ت ٣٧٥ هـ) عمل عدة دواوين من شعر العرب ومنها وصل شعر زياد بن منقذ بن حمل، أخي الحرار، إلى الصغاني وذلك بخط السكّري[٣٥].

ـ إن شهاب بن شداد (ت هـ) شاعر يحتج بشعره في اللغة، وكان له ديوان شعره الذي جمعه وسوّده لنفسه. ومن الغريب أن النسخة نفسها وقعت بيد الصغاني فاستفاد منها في تأليفاته[٣٦].

ـ إن أعمال أبي القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) في حقل ديوان العرب لاتُنسى أبداً فإنّه عمل دواوين القبائل وجمع أشعاراً لشعراء العرب، كما نقح عدة دواوين كانت قد جمعت قبله. وعرفنا أن الصغاني استفاد ـ كما انتفع من أعمال الآمدي الأخرى ـ من مجموعة شعرية خطت بيده، وهي أشعار بني شيبان التي جمعها وأحياها[٣٧]. وفي هذه المجموعة كانت كذلك أشعار شهاب بن العيف التي استخدمها الصغاني في عمله[٣٨].

ـ لشعر القُحَيف العقَيْلي قيمة شعرية بعيدة المدى، ويعد من أهم الدواوين التي استرعت أنظار القدماء، فلذا أعدّ محمد بن حبيب البغدادي نسخة لهذا الديوان لنفسه وبعد وفاته انتقلت هذه النسخة بأيد العلماء حتى انتهت في القرن السابع الهجري إلى بيت الصغاني[٣٩].

ـ إن أراجيز أبي محمد الفقعسي تعدّ من أهم الأراجيز التي يحتج بها في الأدب العربي، ولهذا الديوان نسخ كثيرة ولكن النسخة التي أعدّها أبو سعيد الحسن السكّري (ت ٣٧٥ هـ) تعدّ من أجودها وأصحها. ومن الغريب أن النسخة هذه أي التي انتسخها السكّري لنفسه قد وقعت في أيدي الصغاني حين كان يؤلف كتابه العباب الزاخر[٤٠].

ـ للشعر العربي القديم روايات كثيرة منها صحيحة ومهمة وغير صحيحة وعادية وإذا رأينا شعر النابغة الذبياني من هذه الناحية، وجدنا أن روايته للأثرم (ت ٢٦١ هـ) عن أبي عُبيدة

(ت ٣٠٩ هـ) تعدّ من أهم الروايات وأجودها عند العلماء. ومن حسن الطالع انه وقعت نسخة شعر النابغة الذبياني بهذه الرواية في يد الصغاني لدى عمله المعجمي[١].

ومن المعلوم أن الصغاني كان يجمع للكتاب عدة نسخ، يفاضل بينها ويعتمد على أجودها. ونراه يعوّل على الأمهات منها، وحسبنا دليلا على ذلك مما ذكرنا أعلاه[٢].

وهذا الفهرس ليس بكامل، كما أشرت آنفا، بل جمعتُ هذه العناوين للكتب والدواوين الوارد ذكرها في مؤلفات الصغاني نتيجة لنظرة عابرة فيها، وأعتقد أنه لو درسها أحد من العلماء وتعمق في دراسته، لتجمعت عنده معلومات كثيرة وكثيرة النواحي لموارد الصغاني، وبعد ذلك ستكون القائمة لهذه الموارد أكبر وأضخم مما أوردناها هنا.

* * * *

ولن يتكامل الموضوع إن لم نذكر هنا ركنا من أركان عمل الصغاني، ليس أقل أهمية من الأركان الأخرى، ولن يستطيع أحد، ممن يريد دراسة لغوية للصغاني، أن يغمض عينيه عنه، هو استفادته مباشرة من ذوي العلم في عمله ومشاهداته الشخصية في هذه المصادر التي أسهمت في بناء معجمه العربي اسهاما كبيرا.

وليس من الغريب على قراء مؤلفات الصغاني انه حاول جعل معجمه معجما حيا أن يستقي، على جانب الاستفادة من الكتب، معلومات لغوية مباشرة ممن يجيدها أو يعرفها أفضل من الآخرين. ونورد هنا لاحصرا بل مثالا انه أخبرنا بنفسه في سرد معلومات ضمن كلمة «إهيا»، فقال:

إهيا من أسماء الله جلّ ذكره. هكذا اقرأنيه حبر من أحبار اليهود بعدن أبين[٣].

ـ وقال في مكان آخر ضمن كلمة ذهب:

هكذا يقوله أهل اللغة للمكيال: ذهَب، بالتحريك، وانما سماعي من أهل اليمن وتهامة في كثرة اختلافي اليها: ذهْب، بسكون الهاء[٤].

وانه كان يذهب إلى بادية العرب ليعرف الأعشاب والنبات التي ورد ذكرها في كتب اللغة. وهذه المعرفة مكنته بدرجة عظيمة إلى أنه صحّح معلومات واردة في المعاجم وكتب اللغة، كما نقح معلومات أوردها من كتاب الصحاح للجوهري وكتاب النبات للدينوري[٥].

وبجانب آخر انه رأى أضراب النبات بعينه ووصفها في مؤلفاته وصفا دقيقا[٦].

ـ وهناك سؤال يخطر ببال أكثر قراء مؤلفات الصغاني اللغوية وهو: لماذا كثرت أسماء الكتب في مؤلفاته؟ أعتقد أن له سببين رئيسين:

(١) الأول انه أي الصغاني قام بتصحيح النصوص اللغوية وتقويم روايات شعرية بصورة تدفع ما قد يساور بعض الناس من شك يدفعهم إلى عدم التسليم بهذه التصحيحات فأورد اسماء الكتب دعما لأقواله وتصديقا لمعلوماته.

(٢) والأمر الثاني الذي يتجلى من مؤلفات الصغاني اللغوية أن ظاهرة العمل المعجمي ونزعته قد أصبحت تتغير بل تتطور تطورا بالغا في القرن السابع الهجري ـ الذي عاش فيه الصغاني ـ وترك وراءه ما كان سائداً في القرون الأولى من اتكال العلماء على روايات شفوية واعتبار الوجادة بدرجة أسفل منها.

* * * *

وإن الصغاني الذي أفرغ وسعه في عمله مكنته هذه الثروة من الكتب ودواوين العرب وأخذه معلومات لغوية مباشرة من الأعراب، على درجة من ثقة نفسه أن قال متحمسا:

«فمن رابه شئٌ مما في هذا الكتاب فلا يتسارع إلى القدح والتزييف، والنسبة إلى التصحيف والتحريف حتى يعاود الأصول التي استخرجته منها، والمآخذ التي على تلك الأصول وأنها تربى على ألف مصنف»[٧].

وأجزم أخيراً فأعلن:

«ولعلّ من سمّاه الناس عالما ولم يَغْنِ في العلم يوما كاملا أو بعض المتحذلقين ومَن هو دون القلتين ـ يطالع هذا الكتاب ويطلع على بيت منه غير منسوب، وهو في غيره من كتب اللغة كالتهذيب والصحاح والمجمل وغيرها، منسوب؛ أو بيت منسوب إلى غير من تُنسب إليه في هذا الكتاب؛ أو صدر بيت عجزه مغيّر فيها؛ او عجز بيت صدره مغيّر فيها؛ أو حديث وقد جعلوه مثلا؛ أو مثل وقد جعلوه حديثا ـ فظن أنه وجد تمرة الغراب أو سبق الهجين العراب.

هيهات تضرب في حديد بارد... فلا يسئ الظن بي، بل غيري في ذلك أولى بأن ينسب إلى التزييف أو يُرمي بالتصحيف والتحريف، فاني قد نخلت الكتب المتداولة بين الناس نَخْلَ مُحَصِّلَة وأثرت مبعثراً فصّ كل كتاب منها ومفصلة...»[٨].

* * *

ومن هذا القول للصغاني يستطيع من يعرف عمل المعجم أن يقيس ما أفق الصغاني من وسعه وعلمه ومعرفته في معاجمه اللغوية. وفضلا عن ذلك يستطيع أن يعرف قيمة عمله ومدى معلوماته. ولايغرب عن بال من يتعمق في هذه الدراسة أن يعلم أن العباب الزاخر، الذي أعطانا الصغاني، حوى علم الثروة العظيمة وأفرغ فيه المكتبة العربية الكبيرة التي كانت موجودة قبل كارثة بغداد، التي حدثت سنة ٦٥٦ هـ بعد نحو خمس سنوات لوفاة الصغاني، وهي الآن أصبحت أثراً بعد عين.

* * * *

حواشي وتعليقات

١. انظر لترجمته:

ـ تاريخ بغداد، لابن رافع: ٤٨ ـ ٤٩.

ـ الحوادث الجامعة، لابن الفوطي: ٣٦٢ ـ ٣٦٤.

ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٧/ ٣٦.

ـ بغية الوُعاة «للسيوطي»: ١/ ٥١٩ ـ ٥٣١.

ـ معجم الادباء لياقوت: ٩/ ١٨٩ ـ ١٩١.

ـ الجواهر المضيئة، للقرشي: ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

ـ الفوائد البهية، للكنوي: ٦٣ ـ ٦٤.

ـ معجم الشيوخ، للدمياطي: خطى، نسخته بارشيف القومى بتونس.

ـ مقدمات كتب الصغاني المطبوعة، مثل كتاب الانفعال، تحقيق الدكتور احمد خان: مابنته العرب على فعال، تحقيق الدكتور عزة حسن؛ الشوارد من اللغات، تحقيق الاستاذ مصطفى حجازي والدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري، على حدة؛ العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق الدكتور منير محمد حسن (باسلام آباد) ومحمد حسن آل ياسين (بغداد)؛ وكتبه ورسائله الأخرى التي رأت النور.

٢. المعجم العربي، نشاته وتطوره: ٤٩٧.

٣. التكملة والعباب الزاخر، كلاهما للصغاني: (عجلز).

٤. العباب الزاخر: (مقص).

٥. نفس المصدر: (صنغ).

٦. تاريخ ثغر عدن، لابن ابي مخرمة: ترجمة سليمان بن بطال [ص ٩٧].

٧. مجمع البحرين، للصغاني: ذكر بآخره.

٨. العباب الزاخر: مقدمة [ص ١٦].

٩. وعلاوة على ذلك وجدنا فهرسا ـ كاد يكون كاملا ـ لمؤلفات ابن فارس بين الرسائل التي انتسخها شرف الدين عبدالمؤمن ابن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ) تلميذ الصغاني الأخير، من عنده وعليها خط الصغاني، ونورد هنا هذا الفهرس لتعميم الفائدة منها، ومن المحتمل ان هذه الرسائل والكتب كلّها كانت لدى الصغاني:

ـ التفسير لكلام الله عزّ وجلّ. ـ كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ـ كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم. ـ كتاب جامع تاويل القران.

ـ كتاب افراد كلمات في القران. ـ كتاب مقاييس اللغة. ـ كتاب النَحت في اللغة. ـ كتاب كلّا. ـ كتاب دراري الكلم. ـ كتاب المُجْمَل. ـ كتاب تمام فصيح الكلام. ـ كتاب الفرق. ـ كتاب المصاريع المماثلة بأنفسها. ـ كتاب فقه اللغة المسمّى بالصاحبي. ـ كتاب السّلام. ـ كتاب علل الغريب المصنّف. ـ كتاب خُضَارة. ـ كتاب الحبير المُذْهَب. ـ كتاب حلية الفقهاء. ـ كتاب المعاريض. ـ كتاب الأسْجاع. ـ كتاب المسائل الخمسة. ـ كتاب العمّ والخال. ـ كتاب النيروز. ـ كتاب ذم الخطأ في الشعر. ـ كتاب الرد على أصحاب العروض. ـ كتاب ما أخذ العلم. ـ رسالة فيما يحتاج اليه الشاعر من قوانين الشعر. ـ الرسالة المباركيّة الى ابي عبدالله المبارك بن علي، كاتب أبي فضل بن فضلان. ـ كتاب مجمل اللغة. ـ كتاب الاتباع والمزاوجة. ـ كتاب الثلاثة. ـ كتاب يواقيت الحِكَم. ـ كتاب ترتيب الساعات. ـ كتاب الشُجَاج. ـ كتاب الردّ على الزجاج فيما ردّ على. . . ـ كتاب استعارة أعضاء الانسان. ـ كتاب فتيا فقيه العرب. ـ كتاب العطايا. ـ كتاب فرائض الصدقات. ـ كتاب الموازنة. ـ كتاب متخيّر الألفاظ. ـ كتاب الأطعمة. ـ كتاب الوشاح المفصّل. ـ كتاب الأعداد. ـ كتاب أنساب الطالبيّة. ـ كتاب الأضداد.

كتاب دلالة اللغة على أن القران غير مخلوق. ـ كتاب مقدمة النحويين. ـ كتاب الدارات والبرق والحمّات والعُرف. ـ رسالة أنشأها إلى رسول ورد من مصر إلى . . .

١٠. العباب الزاخر: (زرر، محح). ١١. المصدر نفسه: (زعف). ١٢. المصدر نفسه: (خبعج). ١٣. معجم الأدباء، لياقوت: ٦/ ٣٢٥. ١٤. العباب الزاخر: (دردج). ١٥. مقدمة تهذيب اللغة، لعبد السلام هارون: ٢٦. ١٦. العباب الزاخر: (زطط). ١٧. المصدر نفسه: (دكس). ١٨. المصدر نفسه: (فقص). ١٩. المصدر نفسه: (قفع) و (رمص). ٢٠. المصدر نفسه: (جهس). ٢١. المصدر نفسه: (عقب، حمر). ٢٢. المصدر نفسه: (قدد، جهس، فخخ). ٢٣. مجموعة الدمياطي. ٢٤. العباب الزاخر: (خلج). ٢٥. المصدر نفسه: (حمر). ٢٦. مجموعة الدمياطي.

٢٧. كتاب الذيل والصلة وحاشيتها: (فتى).

٢٨. العباب الزاخر: (بلخ). ٢٩. المصدر نفسه: (سسح). ٣٩ الف. المصدر نفسه: (دور). ٣٠. المصدر نفسه: (دود). ٣١. المصدر نفسه: (زيد). ٣٢. انظر حاشية رقم ٣، آنفا؛ والعباب الزاخر: (شوك). ٣٣. العباب الزاخر: (صنغ). ٣٤. المصدر نفسه: (صنغ) و (عشش). ٣٥. المصدر نفسه: (كسح). ٣٦. المصدر نفسه: (حرث). ٣٧. المصدر نفسه: (زنأ). ٣٨. المكان نفسه. ٣٩. المصدر نفسه: (خنق). ٤٠. المصدر نفسه: (فقر) و (ربح). ٤١. المصدر نفسه: (خسفج).

٤٢. ومن الغريب أنه أي الصغاني على الرغم من أنه استخدم واستفاد من ثروة عظيمة لدواوين العرب الموجودة ببغداد وبلاد العرب أجمع، فأنه يُثني على نُسخ لهذه الدواوين الموجودة في الهند وينعتها بأنها مُتقنة. واذا لم يجدها ببغداد يتحسر عليها. وأغرب منه أن هذه الدواوين كيف هُيِّئَتْ في هذا البلد النائي عن بلاد العرب، ومن هيّأها؟ ومن ثم كيف عرفها الصغاني؟

من المحتمل بل أعتقد أن هذه الدواوين قد عُدَّتْ من يد الصغاني نفسه وهو الذي استصحبها إلى الهند اذ عُيِّنَ سفيراً هناك من الخلافة. ولكن عند رجوعه من الهند ـ وكان الرجوع هذا إجباريا كما تنمّ عليه قصيدته في شكوى الدهر ـ هرب مختفيا وترك هناك في الهند جميع ما كان يمتلكه من المال والكتب. وعندما كان مشتغلا بتأليف كتبه ببغداد كان يتحسر على هذه الدواوين ويتمنى لو حصل عليها. ولكنه لم ينجح فيما يظن، في محاولته.

٤٣. التكملة والذيل والصلة: (شره).
٤٤. العباب الزاخر: (ذهب).
٤٥. المصدر نفسه: (ضيح).
٤٦. المصدر نفسه: (علط، حقق، ضيح).
٤٧. مجمع البحرين: ورد ذكره بآخره.
٤٨. العباب الزاخر: مقدمة [ص ١١ ـ ١٢].

* * * *

مراجع الدراسة والتحقيق

ـ ابن تغري بردي:
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٣٦٩ هـ.
ـ حسين نصّار:
المعجم العربي، نشأته وتطوره. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٦ م.
ـ الدمياطي، شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف (ت ٧٠٥ هـ).
معجم الشيوخ، خطي، ونسخته بآرشيف القومي بتونس.
ـ ابن رافع السلامي:
تاريخ علماء بغداد، المسمى بـ: منتخب المختار. تحقيق المحامي عباس العزاوي. بغداد: مطبعة الأهالي، ١٩٣٨ م.
ـ السيوطي، جلال الدين:
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٩ هـ.
ـ الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، أبو الفضائل (ت ٦٥٠ هـ).
أسماء الذئب وكناه. طبع مع مقامات الحنفي وابن ناقيا وغيرهما. آستانة، ١٩١٤ م.
ـ ـــــ:
أسماء الغادة في أسماء العادة. تحقيق الدكتور أحمد خان. بغداد: مجلة المورد. المجلد ٩، العدد ٣ (خريف ١٩٨٠ م).
ـ ـــــ:
كتاب الأضداد. تحقيق الدكتور هفنر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٣ م.
ـ ـــــ:
كتاب الانفعال. تحقيق الدكتور أحمد خان. اسلام اباد: مجمع البحوث الاسلامية، ١٩٧٧ م.
ـ ـــــ:

تعزيز بيتي الحريري. تحقيق الدكتور أحمد خان. دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٥٤، العدد ٤ (١٩٧٩ م).

ـــــــ:

كتاب التكملة والذيل والصلة. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٠ م.

ـــــــ:

كتاب الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها. خطي، باستنبول: خزانة مراد ملا، رقمه ١٧٩٤.

ـــــــ:

شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية. تحقيق الدكتور أحمد خان. المدينة المنورة: مكتبة الايمان، ١٩٨٨ م [وخطي بمكتبة بودلياتة].

ـــــــ:

كتاب الشوارد من اللغات. تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣ م.

ـــــــ:

العباب الزاخر واللباب الفاخر. خطي، تصويره بمكتبة مجمع البحوث الاسلامية بإسلام أباد لنسخة له بآيا صوفيا.

ـــــــ:

مجمع البحرين. خطي، تصويره بمكتبة مجمع البحوث الاسلامية بإسلام آباد.

ـــــــ:

مختصر أسامي الأسد وكناه. خطي، نسخته بمكتبة جستربيتي بدبلن وبدار الكتب المصرية.

ـ عبد السلام هارون:

مقدمة تهذيب اللغة. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٤ م.

ـ عبدالعزيز الميمني:

اقليد الخزانة. لاهور: جامعة بنجاب، ١٩٢٧ م.

ـ عبدالقادر بن عمر البغدادي:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. الطبعة الأولى بالمطبعة الاميرية ببولاق. ٤ أجزاء.

ـ ابن فارس:

رسالة الثلاثة. في مجموعة الدمياطي.

ـ ابن الفوطي:

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. بغداد: المكتبة العربية، ١٣٥١ هـ.

ـ اللكهنوي، عبدالحي:

الفوائد البهية في تراجم الحنفية. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٤ هـ.

ـ ابن أبي مخرمة:

تاريخ ثغر عدن. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٣٦ م.

ـ ابن أبي الوفاء القرشي:

الجواهر المضية في طبقات الحنفية. حيدر آباد الركن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٢ هـ.

ـ ياقوت الحموي:

معجم الأدباء. تحقيق د. س مرجليوث. القاهرة: المطبعة الهندية، ١٩٢٣ م. ٦ أجزاء.

* * *

عبد الحق فاضل، الباحث اللغوي

دراسة
د. محمد الطوكي
كلية الآداب بمراكش

يشغل متن البحث اللغوي، الـذي صدر حتى الآن للاستاذ عبدالحق فاضـل ـ بحسب علمي ـ أربعة مصنفـات؛ (مغامرات لغـوية طبعـة دار العلم للملايين ببيروت في قـرابة ٤٠٠ صفحة، وتاريخهم من لغتهم من منشورات وزارة الإعلام العراقية في ٢٠٠ صفحة ونيف، والعربية أم الألمانية، مطبعـة الـدار البيضاء في حـوالي ١٥٠ صفحـة، وأخـطاء لغـويـة من مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام العراقية. ولعل هذه الأعمال الجادة: هي التي أسست مجد عبدالحق فاضل اللغوي، ان لم أقل مجده الأدبي.

نعم إن تلك الاعمال تحتاج الى رؤيا لغوية واحدة، والذي يعنيني في هذه المداخلة، هو الكتاب الأول ـ مغامرات لغوية ـ. فمن حيث العنوان تتبدّى لنا أناقة الصياغة، حيث يعجب قارئ الكتاب بعلاقة الوئام والانسجام بين الفحوى والشعار. وقد عبّر الدكتور أنيس منصور عن حسن انتقاء العنوان بقوله: «قـد كان مـوفقاً في اختيـار كلمـة «مغـامـرات» لأنها بـالفعـل كذلك»[1]. وبداية الرحلة كما يقال حيرة يعقبها عزم ومغامرة،

● أقامت كلية الآداب والعلوم الأنسانية في جامعة القـاضي عياض بمـراكش ـ المغرب ـ ندوة تكريمية للأستاذ عبدالحق فاضـل للفترة من ٢ ـ ٣/١٠/١٩٨٩ تحدّث فيها عدد من الباحثين المغاربة والعراقيين عن حياة وجهود الكاتب العراقي عبدالحق فاضل في مجال كتابة القصة والبحث اللغوي والترجمة والبحث المقارن.

منهم الأساتذة: محمد الطوكي، أحمد بلاوي، حسن جلاب، محمد المتوني، أحمد الخلاصة، أحمد الشرقاوي، إقبال، أحمد متفكر من (المغرب) وعلاءالدين خروفة، علي القاسمي، عدنان الأمين، صفاء خلوصي من (العراق) ورو كس بن زائد العزيزي من (الأردن) وقد تناولت البحوث والدراسات: (عبدالحق فاضل والجهود اللغوية) (عبدالحق فاضل قاصاً وروائياً) (منهجيّة عبـدالحق فاضـل في الترجمة) فضلاً عن (الصلات الثقافية بين بغداد العباسيّة والغرب الاسلامي) وعن عبدالحق فاضل سفير الثقافة المشرقية في المغرب.

والحق أن هذه الندوة المتميزة الفريدة من نوعها تُعَدّ أولاً وقبل كل شيْ إلتفاتة كريمة ورائعة من أخواتنا المغاربة ـ والمراكشيين بوجه الخصوص ـ وهي ليست غريبة منهم ـ للروائي والباحث اللغوي والمترجم المتميز عبدالحق فاضل: (العراقيّ المقيم في مراكش).

وإكراماً للأستاذ الفاضل عبدالحق فاضل. ولإخواننا المبادرين دائماً بكرم وسخاء وخُلُقٍ عال.. في المغرب عامة، وفي مراكش خاصة. تنشر «المورد» بحث الأستاذ محمد الطوكي الذي ألقي في الندوة المشار إليها: (عبدالحق فاضل، الباحث اللغوي) تقديراً وتكريماً لاثمّنا وتفضّلاً.

«المورد»

واقتحام طرق بكر لم توطئها الأقدام ولا نورت مسالكها الصوى والمعالم «أود أن اعرض هنا رأيا لايقطع بصحته نص قديم ولاحديث، وانما هو «نظرية» خطرت لي منذ أعوام، وما زلت أتحدث بها كلما دعت مناسبة. فلم أجد حتى الآن عند أحد ما ينقضها ولا ما يبرمها»[1] والقضية المحورية المهيمنة في الكتاب، والتي استأثرت باهتمام المؤلف، هي رد الاعتبار لعلم أهل اللغات L'ouigine de La langue، الذي طردته الدراسات اللسانية من حظيرتها، بدعوى انبنائه مقولات هي أدخل في باب الميتافزيقا منها في باب الدراسة الوصفية الإستقرائية. وقد أثبت الباحث، نجاعة هذا العلم ومصداقيته[3] في مجال الساميات، وعلى رأسها العربية التي هي أقرب إلى الأم التي تولدت منها بقية الفروع، آرامية، عبرانية..

وقد تخلل ذلك إلغام مجموعة من المسلمات[4] اللغوية بمتوالية من الأسئلة الذكية، بالإضافة إلى دفع آراء استشراقية توهم بالصحة والموضوعية.[5].

كما وظف الباحث متاعاً علمياً طيبا، في خدمة اللغة العربية من جهة، وخدمة هذه الأمة التي تتحسس طريقها نحو غد أفضل. وكل علم لايخدم مثل هذه القضايا النبيلة، فانه كما يقول ابن فارس «لاينتج إلا ما أعوذ بالله منه». والعياذ بالله من علم لاينفع.

اعتمد الباحث في مقاربة هذا الإشكال، على مجموعة من الأدوات الإجرائية تتصدرها ثنائية التأثيل والترسيس.

وكلمة تأثيل[6] من الاصطلاحات الوصفية، التي تفرد بها عبدالحق فاضل، ويستعملها مقابلة للكلمة الغربية Etymologie. وهذا العلم من مباحث «فقه اللغة» والبعض يسميه علم التأصيل، ويُعنى بارجاع الكلمات ألى أصولها؛ اي احدى اللغات القديمة التي كانت تجمع فيما بينها نرة النسب ووحدة الأصرة. وبعبارة أدق «هو العلم الذي يهتم بأثل الكلمات، ويعنى بوضع عقد ازدياد لكل كلمة على حدة، اعتمادا على مستندات مكتوبة ترجع إلى الماضي السحيق»[7].

ربما أن هذه الأداة لاتكفي وحدها لتحقيق الكفاية الوصفية للوحدات اللغوية، ارتأى الباحث ان يلحقها بأداة إجرائية ثانية - من إبداعه واجتهاده - وهي :-

الترسيس: ويقترح لترجمتها Raoixation. والرس في اللغة؛ هو ابتداء الشيْ، وهو هنا، الصورة الأولى للكلمات قبل ان يناوشها التغيير ويعتورها التبدل، فاذا كان «التأثيل رد الكلمة إلى أمها المباشرة أو إلى جدتها المباشرة أو القريبة، فإن الترسيس[8]: هو إعادة اللفظة إلى جدتها الأولى - حواء - في صورتها التي نطق بها أول إنسان، مع تعقب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة، حتى وصلت إلى الصورة التي نعرفها بها في إحدى اللغات»[9].

والتأثيل بهذا المعنى، ليس هو المعجم، وهو من العلوم التي صارت إلينا فيما انتقل من الثقافة الغربية، نعم للعرب فيه تأملات، لكنها لاترقى إلى مستوى البناء العلمي المتراص. وذلك لأن الحاجة لم تكن ماسة إلى تأصيله، اذ الكلمات لدخيلة في العربية قليلة تبلغ ٣٪ من المجموع المادة اللغوية العربية حسب احصاد رفائيل نخلة اليسوعي، ولعل ماعاق تطوير هذه التأملات ارتباطها بالمعيارية، فقد صوب اللغويون وخطأوا، ولربما احتالوا للاخطاء فاستصوبوها، وعمدوا إلى الصواب فقدحوا فيه، ناهيك عن المناظرات التي اتجهت صوب التنكيت والتبكيت، وتقليب الكلمات تقليبا يداعب الشكل ولاينفذ إلى الجوهر.

فهذا الجاحظ يروي على سبيل الملحة، أنه سمع غلاما أعجمياً يقول «سندْ نعال» يريد نعالاً سندية، وهو تركيب لاحن إذا ما قورن بجمهرة الجمل العربية لما فيه من تقديم الصفة على الموصوف. وعبدالحق فاضل يذهب مذهبا آخر وينظر إلى العبارة بمنظار آخر. فالترجمة الأمينة لكلمة الغلام هي «نِعالُ السند، لاكما فسرها الجاحظ نعال سندية، فالعبارة من باب التراكيب الإضافية لا الوصفية، وقد قدم فيها المضاف إليه على المضاف، وهذا من إمارات تأثير السنسكريتية، ولم تقبلها السليقة العربية لما فيها من لبس وقلب للحقائق، ومن هنا جاءت درجة غرابتها ولانحويتها، إذا ما قورنت بتقديم الصفة على الموصوف؛ الذي لنا منهُ أمثلة؛ طويل النجاد. رفيع العماد، لذيذ الطعم، ميمون الطالع، بعيد النظر.

ومن غرائب التفاعل اللغوي، أن العربية عندما احتكت بالفارسية أثناء الفتح وبعده، فرضت على الفارسية تطبيق

القاعدة العربية؛ تاخير الصفة على الموصوف والربط بينهما بوثاق الإضافة. وأصبح من نتيجة ذلك أن صار الفرس يقولون اليوم؛ تَصْرابيص، كتاب ادبي، مدرسية ابتدائي. وهذه هي القاعدة المطردة اليوم، اما القاعدة الفارسية القديمة وهي تسكين الصفة اذا تقدمت على موصوفها، فقد أصبحت من باب الشاذ الذي يحفظ ولايقاس عليه. من مثل جُنْ رُشْ مَهْرْ. بِنْ رك = كبير. ومهر = محبة.

بمثل هذه المناقشة التأثيلية الهادفة، يحاور عبدالحق فاضل القدامى ويخرج مثل هذه العبارات من مقام التنكيت إلى القول بالبدعة اللغوية التي لم يكتب لها الذيوع بسبب مجافاة السليقة لها، ويردها إلى أصولها السنسكريتية ويتابع المناقشة باستثارة قضايا التفاعل والتداخل بين اللغات في المجال التركيبي.

إن المنهج التأثيلي ينطلق أساسا، من تأمل الظاهرة اللغوية، ولاشئ غيرها، ولا يتعلق بظن أو وهم، مالم يتعزز الحدس ببراهين قاطعة تثلج الصدر ببرد يقينها. وعماد هذا المنهج المنطق الاستقرائي والاختبار يقول:

«اننا نوق المنطق والاستقراء على كل كتاب».

وأدوات هذا المنهج تشغل في صعيد لغوي رحب يشمل اللغات القديمة، السامية، الآرية، واللغات المعاصرة، اذ الحديث عن الاصطلاح العلمي يعتمد على معرفة طيبة بلغات الحضارة الجديدة كالانجليزية والألمانية ... الخ. هذا بالاضافة الى التضلع في علوم لغوية كالإصاته اذ الكلمات موضوع التشريع هي عبارة عن صوت او مجموعة اصوات، والدلالة لأنها - الكلمات - حاملة لمعنى قد يكون مجردا او ملموسا. وعلم بالرسم وفك رموز النقوش. هذا إلى جانب معرفة تاريخ الشعوب وتقاليدهم، وعاداتهم اللغوية.

ومن النماذج التطبيقية لهذا الزخم من المعارف بحث المؤلف المتعلق باللغات السامية الثلاث؛ عربي، أرمي، عبري. الذي ينتهي فيه إلى ان الكلمتين أرمي، عبري، متولدتان من أثل كلمة عربي. حيث ابدلت في المرة الأولى العين ألفاً من كلمة عَرَبي فقيل أربي، ثم اعترى نفس الكلمة إبدال ثانٍ، صارت الباء بموجبه ميماً، فاصبحنا أمام أرمي. ولقائل ان يقول «إن القاعدة الصرفية تقرران العين تبدل من الهمزة كثيراً ولم يحدث العكس»(١٠).

وهنا يناقش عبدالحق فاضل هذه القاعدة الصارمة ويعقب على آراء النحاة القدامى «وصحيح أن العرب قد أكثرت من إبدال الهمزة عينا.. غير أننا لانملك دليلا على أن جميع العرب في جميع العصور، لم يحدث مطلقا أن أبدلوا العين همزة، ولدينا في العربية كلمات غير قليلة، انطقها العرب بالهمزة وبالعين(١١) مثلا يُـابه ويعبأ، استأدى واستعدى، موت زؤام وزعاق»(١٢).

إننا نتعلم من كتب الأقدمين، لكن ليس علينا أن نقدسها وأن نعبدها، فلنا ان نحاورها وأن نستشكل عليها كما يرى عبدالحق فاضل.

من مسلمات النظرية التأثيلية الترسيسية، مقولة؛ حتمية التطور اللغوي.

فمادامت اللغة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالإنسان الذي يعيش داخل مجموعة لغوية، فانها ستخضع -ولاريب- لنفس القوانين التي تسري على سائر الكائنات الحية، من نشأة وشباب واكتهال وشيخوخة وفناء. فالألفاظ المرنة المتكيفة، تعمر طويلا، اذ تلبس لكل حالة لبوسها وتستبدل جلدها وتتبدى في أزياء متباينة أو مباني مختلفة، ويستتبع ذلك تنوع فحواها بزيادة نوينات معنوية، أو نقص من بعض سماتها Les Aeimes القديمة، أو خلخلة تامة للمعنى القديم وشحن بدلالات جديدة، ونظرة في معاجم الأمم المتمدنة التي تراجع معاجمها كل بضعة أعوام، توقفنا على ما يولد من الفاظ بإزاء المعاني المستجدة، أو توسيع جلد بعض الألفاظ لتحتضن بعض المعاني المستحدثة. كل ذلك يجري غير عابئ بجهد من يقف في وجه هذا التيار ويجأر بملء حنجرته قل ولاتقل.

فالتطور اللغوي أمر واقع تحكمه قوانين دقيقة، ودور الباحث أو الفقيه اللغوي، ينحصر في رصد الظاهرة، يقف عندها متقريا واصفا ومستنبطا الميكانزمات الثاوية وراءها يقول عبدالحق فاضل: «... المهم أن هاته اللغات الثلاث - العربية، الآرامية والعبرانية - كُنّ لغة واحدة ذات حين، ثم عملت عوامل الزمن وتنوع الأحوال الإجتماعية والحضارية والجوار عملها في تطويرها حتى توزعت لهجات، ثم أصبحت اللهجات لغات». ويقول: «ما من حدث اجتماعي أو نهضة علمية أو سياسية إلا ويصحبها تطور في اللغة.. في المباني أو في

المعاني، أو في كليهما جميعا. أعني في إحداث الفاظ جديدة لبعض المعاني، أو إحداث معان جديدة لبعض الألفاظ، أو في ذلك كله، وما من أحد على شيئ من الإلمام بتاريخ العرب وآدابهم، يجهل ما أحدث الإسلام مثلا؛ من ثورة لغوية إلى جانب الثورة الدينية والإجتماعية والفكرية وما أوجد من مصطلحات وغيّر من مفاهيم وتصرفات وكلمات».

ولابأس من الأشارة إلى عامل طريف من عوامل تطور اللغة، يجري على السنة الشعراء والمتأدبين بعامة، ذلك أنهم يعمدون إلى ابتداع بنى لغوية أو تأسيس مفاهيم دلالية، ولربما انحرافات تركيبية قد تستهوي بعض مُسْتَعْمِلي اللغة. إنها تزعج جيل الأباء الذين تكونت سليقتهم في خضم متن لغوي معين، هو مثلهم الأعلى يتشبثون به ولايبغون به بديلا. ويرون الخروج عنه مظهرا من مظاهر العقوق، في حين تصبح تلك البدع اللغوية متنالغويا معاصرا، يسهم في تكوين سليقة جيل جديد لايرى فيها شذوذاً، ولا وتجد فيها ذائقته تصوراً ولا استكراها.

ثم ان التطورات التي تلحق اللغة مبنى ودلالة وتركيبا، لانجدها تنزل بالساحة اللغوية عن طريق الطفرة، وبضربة لازب، فتبدل أحوالها بين عشية وضحاها، بل نجد أثار ذلك التحول تسري سريانا لايدرك مداه الا بعد تصرم فترة زمانية معتبرة. فإذا تحدثنا اليوم عن المتن اللغوي المعاصر. فذلك لايعني ان جمهرة اللغة الحديثة والوسطى قد عفى عليها الزمان، ولم يترك لها الحدثان أثراً ولا رسما. فمما لاشك فيه أن ثمة وحدات لغوية قديمة، ترجع إلى ماض سحيق، قد تكيفت مع الثروة اللغوية المعاصرة وجارتها وواكبتها، بينما تكون وحدات أخرى في طريق التولي والضمور، حسب قوانين لغوية معقدة، من بينها إقبال المتكلمين عليها واستهلاكهم لها، أو إعراضهم عنها، ومجافاة سليقتهم لها. والخطاطة التالية تقرب ذلك. الرواسب اللغوية التركيبية «زوائد متخلفة من عهد تطوري كانت لها فيه وظيفة، ثم تقلبت الأحوال، ففقدت وظيفتها أو اعتاضت عنها بغيرها وأشهر نموذج لهذا ما الزائدة بعد «إذا» وهي تكون زائدة كذلك عند وقوعها بعد الفاظ أخرى، فلا تغير شيئاً من معانيها، ولو انها تغير حكم بعضها في الإعراب، فهي تكف بعضها عن الإعراب «كيما» وتحرض بعضها على العمل مثل «حيث» التي تصبح بدخول ما جازمة.

ومن نماذج ذلك في مجال التركيب اجتماع الفاعل المضمر إلى جانب الاسم الظاهر، في لغة «أكلوني البراغيث». وأحيل إلى ماقدمته من حديث عن تقديم الصفة على الموصوف في العربية الحديثة، وتراجع الفارسية عنها والأخذ بالقاعدة العربية الأصيلة.

ومن قضايا هذا العلم العلاقة بين عملية التصويب اللغوي، والصورة الكتابية التي تمثلها.

فبما ان كل لفظة من الفاظ اللغات الإنسانية تتجسد في ثلاث مستويات.

١ ـ فهي أصوات يلفظها المتكلم وتلتقطها اذن المستمع.

٢ ـ إنها تحمل شحنة من المعاني في كل من المرسل والمتلقي على دراية بها.

٣ ـ تكتب أو تطبع، وتكون العلاقة بين الرسم والتصويب متناسبة، حيث تكون الكتابة مستأمنة على طريقة التصويب. بيد ان علماء الرسم ـ الخط ـ يعمدون أحيانا إلى زيادة حرف في كلمة ما ليكون بمثابة القيمة المميزة لها عن كلمة أُخرى، كما في لفظة مائة كتبوها بالألف تمييزا لها عن منه. وبتراخي الزمن نرى المكتوب يؤثر على عملية التلفظ، فنجد اليوم معظم العرب يقولون ماءة بمعنى مئة لانهم يكتبونها مائة. وأحيانا يقع العكس يتطور النطق وتبقى الكلمة المكتوبة محافظة على تمثيلها للتصويت القديم كما في كلمة Chapeau الفرنسية.

تلكم بعض ملامح هذا العلم الذي يعتبر عبدالحق فاضل، مصوراً لشقه الترسيسي. فما هي أوجه الإستفادة منه؟.

يعتبر العمل المعجمي من أصلح الميادين لتوضيف علم التأثيل والترسيسي. ومعلوم أن القدامى ـ قد قاموا بعمل جبار في صناعة المعاجم، حيث جمعوا المتن اللغوي على سعته وجردوا كلماته، وبينوا معانيها، وأتوا من النظريات بالمستطرف المفيد، الذي لم يتفطن له معجميو الغرب إلا مؤخرا، ولو كتب لهذه الحركة العمر المديد والرخاء المطرد لوصلتنا أعمال في قمة النضج؛ ولكنها الدورة التاريخية التي أوقفت ذلك المد الحضاري، وأتت على مستلزمات البحث. وها نحن اليوم

بحاجة إلى متابعة المسيرة، ووصل أعمال السلف بإبداعات الخلق؛ التي عليها أن تغطي الثغرة التي تشكو منها معاجمنا التي تزخر بآلاف الكلمات، لأغلبها دلالات متعددة لكنها غير مرتبة ترتيبا زمانيا، يرينا أيها قديم؟ وأيها حديث؟ وأيها استحدث من الآخر، وكيف استحدث هذا من ذاك. اقتحم عبدالحق فاضل هذه العقبة، فقدم أثناء بحوثه التأثيلية لوائح نموذجية لألفاظ عربية، رتبها ترتيبا زمانيا؛ من النشأة الأولى، وبرهن على كيفية هذا النشوء، وسبل التطور، مهتديا في ذلك بالاستنباط ومستعينا بقرائن الحال.

فلك ان تستمتع بتأثيله لكلمة جمال، إن كنت أديبا، وتأصيله لكلمتي التنبؤ والتكهن إن كنت متكلما، ومن النماذج التي أسوقها مقتضبة تأثيله لكلمة رُمَّة: «الرمة: وزان الأُمَّة. يقال أخذ الشيْ برمته، وقرأ الكتاب برمته أي بأجمعه. والرمة هي القطعة من الحبل البالي. وأحسب أن أهل المعنى، كان قولهم «أخذ الدَّابة برمتها» أو باعها برمتها أي مع حبلها الذي كانت مربوطة به. وواضح أن المقصود ذم الدابة والزراية بها، لأن الحبل البالي لاتربط به كرائم الدواب. وصرنا نقول اليوم: وافق أعضاء اللجنة على الإقتراح برمتهم. دون أن نقصد، أنهم مربوطون بحبلٍ بال أو جديد، أو يخطر لنا أن للأمر علاقة بالحبال أو الدواب أهلاً».

الجانب الثاني من وجوه فعالية هذا العلم ـ التأثيل والترسيس ـ هو استثماره للجانب السابق ـ المعجم التاريخي ـ واستفادته منه. حيث يصبح هذا المعجم مصدراً للمؤرخ والإجتماعي، ينضاف إلى جملة أمتعتهم، لاسيما إذا أعوزتهم الوثائق المادية واللّقى الأثرية، فلا محيط له حينئذ من استنطاق هذه الرموز اللغوية التي تولدت في ظروف وملابسات اجتماعية، وأحالت على أشياء العالم الخارجي، أو عوالم الفكر ونزعات النفس الإنسانية، وبما أن اللغة أداة تداولها الإنسان واستهلكها بالتواصل فما من شك أنه يستر عليها أماراته، أو كما يقول تشارلوك هولمز يخلف عليها: «آثاراً من طباعه وأخلاقه وسيرته، وبالإمكان التعرف على الكثير من ذلك بمجرد فحص تلك الأداة» وبحسبك الرجوع إلى أبحاثه، آثار حيوانية في اللغة، وتأثير الأعاجم في لغة الأعارب، وفينيقيا ما أصل تسميتها؟ وتاريخهم من لغتهم، وأربطة البهائم في لغتنا الثقافية لتعلم الوجه الآخر من أوجه الوثيقة المعجمية ذات البعد الحدثي، فتعلم ان العقل والكتابة والتقييد والشكل والوثائق والعنوان والحكمة والعقد والربط والعدالة والفضيلة وغيرها، يبتدئ تاريخ ميلادها بمعاشرة تلك المخلوقات البهيمية للانسان الذي ساسها واستانسها في طور من اطوار حياته البدائية.

ثم أن إجرائية التأثيل والترسيس، لاتقف عند حد البنى المعجمية ودلالتها، وإنما تتجوزها إلى حظيرة الدراسة النحوية حيث تشتهر بعض التراكيب، وتغيب أخرى، ويتفتت البعض الآخر. وملامسة هذا الجانب، أفضى بالأستاذ عبدالحق فاضل الى الادلاء برأيه في مجال إصلاح الدرس النحوي الذي يعتبره اداة مساعدة في إستضمار السليقة العربية، التي تغذيها البيئة اللغوية، ويزكيها المراس. ويذهب الأستاذ إلى أن الدرس النحوي بطرقه التقليدية، قد أخفق في تحقيق ما علق عليه من آمال يقول: (وهؤلاء اربعة أخماس حملة الدكتوراه والليسانس من خريجي الجامعات العربية على الأقل، لايذكرون قواعد، ولا يمتلكون القدرة على الإفصاح عن حاجاتهم، وهمومهم بكلام عربي مبين، ومرد ذلك ـ في نظر الأستاذ ـ إلى عسر القواعد، وانبنائها على مقاييس منطقية هارمة. زد على ذلك ما تحتويه أبوابه من تقسيمات وتقسيم التقسيمات، وطبعا فإن العلم إذا وصل إلى هذه الدرجة من التعقيد فمعنى ذلك أنه وصل الى نهاية مطافه.

وأنجح طريقة لدراسة هذه المادة بالنسبة لغير المتخصص، هي الوقوف عند حدود النظريات العامة أو ما يسميه عبدالحق فاضل بالطريقة الإجمالية، ومن أمثلتها «الاسم المعرب، يكون مرفوعا في جميع الحالات الأساسية أي حين يكون عماد الجملة أو خبرا له، إلا اذا نصبته «إن» «أو إحدى اخواتها. والذي نعنيه هو ان «إن» تنصب الاسم ولاترفع الخبر، لأن الخبر مرفوع أصلا. أما كان وأخواتها فلا ترفع ولاتنصب، وانما هي كبقية الأفعال لها فاعل، وكونها أفعالا ناقصة لايغير من الأمر شيئاً. فاذا قلنا أصبح الجو بارداً، كان الجو فاعلا لفعل أصبح، وأما بارداً فقد نصب لتمييزه عن الفاعل وحسب».

ولا يزج بالمتعلم في زخم القواعد، إلا اذا كان من طلبة التخصص في اللغة والادب، لانه لايعقل أن يكون متخصصا، وهو خالي الوطاب من المتاع التركيبي، الذي يقرأ به، ويعتمده في وصف الظواهر اللغوية.

تلكم نظرة عامة عن بعض معطيات النظرية اللغوية عند استاذنا المحتفى به عبدالحق فاضل، التي استفادت ـ ولا شك ـ من أعمال رواد النهضة اللغوية الحديثة ونظمتها وطورتها، إن رؤياه تتأصل وتتجذر في أعمال شهاب الدين أبي الثناء محمود ابن عبدالله الألوسي (١١١٧ هـ ـ ١٢٧٠هـ) صاحب «كشف الطرة على الغرة» و منجزات الاب أنستاس ماري الكرملي صاحب مجلة «لغة العرب» و «دار السلام» وكتابات معروف الرصافي صاحب «دفع الهجنة عن ارتضاخ اللكنة»، والاستاذ ابي قيس عزالدين علم الدين التنوخي ـ مترجم الألواح التشريحية مما استجلب من اوربا.

حضرة استاذنا الجليل، لقد كتبتم المغامرات، وخرجت من أيديكم إلى المتلقين، فهل يحق لهم أن يغامروا بتأويل المغامرات.

الهوامش

(١) قفي ايتها الكلمات، انيس منصور، الأخبار القاهرية، بتاريخ ٢٦-١٠-١٩٧٤، ع ١٥٦٤

(٢) المغامرات ص: ٩.

(٣) أعلن هذا العلم عن إفلاسه عند الغربيين لأن «لغاتهم على رقيها غير أصيلة، بل كلها خليط دخيل وليس بينها واحدة نشأت في مكانها وتطورت تطورا طبيعيا على ألسنة أهلها» المغامرات ص: ١٦٩-١٧٠.

(٤) الشائع ان اللغة الدرامية قبست اسمها هذا من اسم آرام خامس ابناء سام بن نوح. ولست اعرف في الحق ما سبب أخذهم بهذا الرأي، فان التاريخ لاينبئ ان للآراميس صلة خاصة بآرام بن نوح اقوى من صلة سواهم به» ص ٩.

(٥) مثل آراء E.Renan المغرضة. لقد حمله بغضه الشديد للشرقيين بعامة. إلى رمي الساميين بالضعف والفشل في كل شيئ، وضمور الخيال الخلاق عندهم انظر كتابه، Histoire des Langues s'emitiques.

(٦) المغامرات ص: ٢٠٤.

(٧) Vie et mort de mots. Maurice schrone. que sais —je? No 270.

(٨) اللغويون هنا على فريقين، فريق يذهب إلى ان الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد، متحرك فساكن، محاكاة للاصوات الطبيعية، ثم تُبّت أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر او القلب أو الطرف. وفريق يرى أنها وضعت في أول نشوئها من ثلاثة أحرف. ثم جرى عليها المتكلمون.

(٩) مغامرات لغوية ص: ٢٠٦.

(١٠) انظر مقالا للدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة سومر مجلد ١٤، الصفحة ١٨.

(١١) يقول الاب انستاس الكرملي: قد وجد نحن ان الابدال قد يتسع في جميع حروف الهجاء بلا شاذ. وقد وضعنا كتابا فيه، وهو الان بيدنا وهو غير مطبوع سميناه «جمهرة اللغات» ومُثُلُ ذلك السؤال، والوَعْل،.. القرا: القرع.. أوْقَه فتاوق بمعنى عَوّقَهُ فتَعوّق. المأصُ والمَغصُ بيض الابل» نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها. ط ١٩٣٨ ص١٨.

(١٢) المغامرات ص: ١٠٣.

* * *

اللام المفخمة فونيما

سعيد الغانمي

بغداد

تقتصر أكثر اللغات على صوت «لام» جانبيّ واحد/ا/، كما في الانكليزية والفرنسية والألمانية. وتنفرد اليابانية بأنها تخلو من هذا الصوت الجانبي. في حين تمتلك الاسبانية والايطالية صوتين جانبيين هما اللام اللثوية المرقَّقة (l) واللام الطبقية (l)[١]. وتضم الروسية والكردية اللام اللثوية المرققة (l) واللام اللثوية المفخمة (l). ويهتم هذا المقال بدراسة اللام المفخمة في اللغة العربية وفحص طبيعتها الصوتية.

فلننظر اولاً في اللام المرققة.

اللام المرققة صوت مجهور، لثوي، جانبي. ويحدث حين يمرّ الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتعداهما الى الحلق، وعلى جانبي الفم، ثمّ يتصل طرف اللسان باللثة ممّا يمنع الهواء من التسرب من وسط الفم. فيتسرب من جانبي اللسان.

وحيث انّ مايعني الناطق بالعربية من انواع اللام الكثيرة هما اللام المرققة، واللام المفخمة، فاننا سنتفحص مابينهما من فروق تاريخية وصوتية.

يتعلق الفرق الصوتي من حيث الانتاج بين هذين النوعين في وضع اللسان. فهو مع اللام المفخمة يتخذ شكلاً مقعراً مرتفعاً قليلاً باتجاه الطبق اللين Velum مكوناً ظاهرة الاطباق او التفخيم Pharyngealization بينما يبقى سطح اللسان في وضع مستوٍ في اللام المرققة. وربّما أعتبر هذان النوعان فونيمين مستقلين كما في الكردية التي يمكن فيها الحصول على ثنائيات صغرى بحيث انّ استبدالهما، كلاً مكان الآخر، في الوسط نفسه يحدث تمييزاً في المعنى، مثل:

كَول / gul (وردة)

كَول / gu̴l (مجذوم)

او ربّما أعتبرا فونيماً واحداً (او عضوين لفونيم واحد) كما في الانكليزية التي لايحدث استبدالها فيها تمييزاً في المعنى.

لقد حظيت اللام المرققة بدراسة الأصواتيين العرب الأوائل والمتأخرين. فوصفها الفراهيدي[٢]، وسيبويه[٣] وابن جني[٤]، وابن سينا[٥] وغيرهم من القدماء، وابراهيم أنيس[٦]، وتمام حسان[٧] وكمال بشر[٨] وغيرهم من المحدثين. امّا اللام المفخمة فلم يختبر امكانية ارتفاعها الى المرتبة الفونيمية واحتمال كونها حرفاً مستقلاً أحد من هؤلاء حتى بادر اللغوي تشارلز فيرغسون Ferguson الى دراستها في مقال عنوانه (اللام المفخمة في اللغة العربية) نشره في مجلة (اللغة) سنة ١٩٥٦، وتولى ترجمة الجزء الاكبر منه د. أحمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي)[٩] ومنذ ذلك الحين تعالت الاصوات التي تطالب برفعها الى المرتبة الفونيمية، فدعا الى ذلك اللغوي الكبير: رومان جاكوبسن[١٠] ود. سلمان العاني[١١] ود. أحمد مختار عمر[١٢].

لابدَّ أولاً من تحديد المواضع التي ترد فيها اللام المفخمة، وهي ثلاثة:

١ - في اشكال معينة من لفظ الجلالة «الله».

٢ - في مجاورة السواكن المفخمة.

٣ - في كلمات اخرى أغلبها أجنبي مقترض.

النوع الثاني تنوع مشروط، اي انّ اللام المفخمة فيه عضو من أعضاء اللام المرققة، وتنوع من تنوعاتها. والنوع الثالث يبقى خارج النظام الصوتي للعربية لانه غريب عنها. امّا النوع الاول فهو المهمّ لانه ليس تنوعاً مشروطاً فيُردّ للام المرققة، ولا أجنبياً فيهمل.

يعتقد فيرغسون إننا بازاء خيارين مع اللام من النوع الاول:
(آ) امّا أن نعتبر هذه اللام المفخمة فونيماً مستقلاً.
(ب) او نعتبر لفظ الجلالة خارج النظام الفونولوجي للغة.
والخيار الثاني مرفوع لانّ لفظ الجلالة يتكون من فونيمات عادية تتردد كثيرا في الكلام العادي، ولانستطيع إبعادها عن دائرة المادة اللغوية الخاضعة للتحليل الفونولوجي كما نبعد الاصوات الانفعالية أو أصوات الأطفال.

لايبقى أمامنا إذن سوى الاحتمال الاول، اي احتمال، ان تكون المفخمة فونيماً مستقلاً.

من شروط الفونيم الحصول على ثنائيات صغرى إذا تبادلت فيها الاصوات المواقع أحدثت تغييراً في المعنى فهل تتوفر اللام المفخمة على هذا الشرط؟

يقول فيرغسون: «أمكن الحصول على ثنائيات واقعية من الكلمات تمثل ثنائيات صغرى، ويتركب كل منها من لفظ الجلالة مع لفظ آخر يشابهه فونولوجياً ويخالفه في المعنى وعلى سبيل المثال من اللغة العربية الفصحى

(آ) واللّهُ	Waḷḷāhu
ولاّهُ	Wallāhu
(ب) واللّهِ	Waḷḷāhi
واللاّهي	Wallāhi

وربّما بدا أمراً غير عادي أن يكون فونيم كهذا نادر التردد في المادة الكلية للغة وان يكون مع ذلك مرتبطاً بموروفيم واحد معين كثير التردد في الكلام. ولكن هذه الظاهرة لاتختلف الا في الدرجة فقط عن وضع الصوت الانكليزي (th التي تلفظ ذ) الذي يعد نادراً نسبياً في اي تتبع بسيط لمواد المعجم، ولكنه يقع في كلمات معينة مثل: the — this — them — there وهي تعد من بين أكثر الكلمات تردداً في اللغة الانكليزية.»(١٣)

اللّام المفخمة إذن فونيم مستقل في كلمة عربية واحدة هي كلمة لفظ الجلاّلة: «الله». ونحن لانستطيع ان نفسر لماذا تنفرد هذه الكلمة بهذا الفونيم. فهناك ظاهرة، وتجب دراستها، من الناحية التزامنية، دون الرجوع الى تاريخها. امّا لو جرّبنا الدراسة التعاقبية فسوف تقدمّ العامية البغدادية مثلاً ثنائيات اخرى ترتفع فيها اللاّم المخمة الى المرتبة الفونيمية مثل:
(آ) خالي xāḷi (أخوأمي)
خالي xāli (فارغ)
(ب) خل xaḷ (الخل)
خل Xal (اترك)

لكنّ اللجوء الى العامية البغدادية وحدها لايكفي. أوّلاً لأنّ هناك عاميات أخرى - كالعامية الموصلية مثلاً - لاتفرق بين اللامين وتغيب عنها فكرة التمييز بينهما. ثانياً لأن الحكم على العربية الفصحى يجب ان يكون في ضوء قوانينها الخاصة.

فلنجرب إذن امكانيات اخرى من بدائل التحليل الفونيمي. لقد اقترح فيرغسون التحليل العروضي (أو البروسودي) Prosodic Analysis الذي يعتقد انه «يبدو قادراً على تقديم الحلّ المقنع للمشكلة التحليلية على الرغم من الصعوبات الواضحة في تعيين منطقة نفوذه»(١٤). ويجمل بنا أن نوضح المقصود من التحليل العروضي (البروسودي) قبل ان نناقش اقتراح فيرغسون.

يشير واضعا «معجم اللغة وعلم اللغة» الى ان التحليل العروضي قد استند في الأساس الى النظرية التي وضعها عالم اللغة البريطاني فيرث Firth (١٨٩٠ - ١٩٦٠) والتي طورها عدد من اللغويين منذ ذلك الحين(١٥). وكانت رغبة فيرث ان يعارض نظرية الفونيم بنظرية بريطانية في علم الصوت. ولهذا فقد أنكر الفونيم وقصر وظيفته على وضع حدود الكتابة الصوتية وليس على فهم بنية الأنظمة الصوتية(١٦). فجعل من التحليل العروضي بديلاً عن نظرية الفونيم. وهو يرى ان التحليل البروسودي ينقسم الى نوعين من الوحدات: الفونيماتية Phonematic Units والاعاريض(١٧) Prosodies. ويشير كلاهما الى سمات صوتية أو مجموعة من السمات الصوتية. غير انّ الوحدات الفونيماتية يمكن فرزها وادراجها بانتظام وانفراد. في حين انّ الأعاريض هي السمات الصوتية التي تظهر على المقاطع او الوحدات الصوتية المنفردة وتشكل معها نظاماً تتمكن بواسطته من اقامة الروابط بين النظام الصوتي والنظام النحوي. وتتمثل الوحدات الفونيماتية في الاصوات المفردة مثل العلل والسواكن، بينما تتمثل الأعاريض في الخصائص الصوتية التي تظهر على هذه الاصوات، مجتمعة او منفردة، مثل التنغيم والمفصل والنبر والتضعيف.. الخ

لو اننا اعتبرنا ظاهرة الأطباق أو التفخيم ملمحاً أو سمة عروضية Prosodic Feature أو كما يعبر عنها بمصطلحات أخرى فونيماً فوق تركيبي suprasegmental فأننا في هذه الحالة سنزيد عدد

الفونيمات فوق التركيبية في العربية واحداً هو الاطباق، ونقلص عدد الفونيمات التركيبية (أو الوحدات الفونيماتية بمصطلح فيرث) بحيث نرفع عنها الاصوات المطبقة او المفخمة كافة (الطاء والظاء والصاد والضاد)، اي بعبارة أخرى سنعتبر (الطاء) مثلاً وحدة فونيماتية هي التاء زائداً سمة عروضية هي الاطباق، ونعتبر (الصاد) وحدة فونيماتية هي السين مضافاً اليها سمة عروضية هي الاطباق. . . الخ فهل بوسع هذا التحليل ان يحلّ هذه المشكلة؟ الحقيقة انّ هذا التحليل سيدخلنا في تعقيدات تفصيلية مشروعة ولكنها بلا ضرورة، إذ اننا سنرد اللام المفخمة (او المطبقة) الى وحدة فونيماتية هي اللام المرققة زائداً سمة عروضية هي التفخيم او الاطباق. ففي ضوء اية شروط دخل التفخيم على هذه اللام المرققة؟ وهل دخوله عليها تنوع مشروط؟ وماهي شروطه؟ هل هي الضمة التي لاتختار الا كلمة واحدة في اللغة لتفخمها؟ لاريب ان هذا التحليل غير كاف لرفع المرتبة الفونيمة عن اللام، بل انه يُلغي أيضاً احتمالاً آخر، هو احتمال ان يكون التفخيم سمة عروضية خاصة بنظام العلل لا السواكن.

امّا مايخص التنوع الشرطي، فقد حدَّه الأصواتيون العرب بالشروط التالية:

(١) ان يجاور اللام أحد الاصوات المفخمة (ط، ظ، ص، ض، وربما أضافوا، خ، اوغ).

(٢) أن تكون اللام نفسها مفتوحة،[١٨] اي ان يعقبها حرف علة قصير يكون معه اللسان راقداً وممتداً في الفم.

وبناء على هذين الشرطين نجد كلمات في العربية تجاور فيها الحروف المفخمة اللام فترققها مرة، وتفخمها اخرى مثل:

لام مرققة	لام مفخمة
طالع tāli?	مطلع matla?
طالب tālib	؟ مطلب Matlab

اللام المفخمة هنا إذن هي ألوفون (أو عضو من أعضاء) فونيم اللام المرققة.

الإشارات

1) T. D. O'Connor, Phontics, Pelican Books 1982 P 227

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ ج ١ ص ٥١.

(٣) سيبويه: الكتاب تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٥، ج ٤ ص ٤٣٥.

(٤) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصر ١٩٥٤، ج ١ ص ٥٢.

(٥) ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، القاهرة ١٩٧٨، ص ٢٠. بل ان ابن سينا يتحدث عن اللام المفخمة حديثاً دقيقاً فيقول! (وها هنا لام مطبقة نسبتها الى اللام المعروفة نسبة الطاء الى التاء، وتكثر في لغة الترك، وربما استعملها المتفيهق من العرب). آنظر ص ٢٥.

(٦) د. ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية، القاهرة، دار النهضة العربية، ص ٦٢.

(٧) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، ١٩٧٩ ص ١٣٣.

(٨) د. كمال بشر: علم اللغة العام الاصوات، دار المعارف، ١٩٧٥ ص ١٢٩.

(٩) د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٨٤ - ٢٨٧.

10) R Jakobson Muyfaxxama the Emphatic Phonemes In Arabic in phonology edited by Fudge Pengnin Books 1973 p 159

11) Salman Al— Ani Arabic phonology Monton 1970 p 48

(١٢) دراسة الصوت اللغوي ص٢٨٤.

(١٣) المصدر السابق ص٢٨٤.

ويرى د. مالك المطلبي انها فونيم واحد بعد ان يقيم ثنائية صغرى من (والله) وتالله)، والحقيقة ان هذه ليست ثنائية لانها يختلفان في حرفين ويشترط لتحقيق الثنائية وحدة الوسط. انظر تعليقاته على كتاب دي سوسير، علم اللغة العام، بغداد ١٩٨٥ ص٢٥٤

(١٤) المصدر السابق ص٢٨٧

15)Hartman and stork Dictionary of language and linguistics london 1976 p 187

16) firth Sound and prosodies in(phoneties in linguisticls Longman 1973 P 49

17) Robins prosodic Aalysis in phonetics in linguist ics, p 266

(١٨) د. ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص٦٤.

كتاب الدلائل
للحسن بن البهلول
تحقيق د. يوسف حبي

عرض
د. كمال السامرائي
عضو المجمع العلمي العراقي

الحسن بن البهلول من كبار علماء السريان في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد). وكان مولده بأوان في الطيرهان الواقعة في ما بين سامراء وتكريت، واليها ينسب احياناً. وقد درس الطب وعلّمه في بغداد، ومارسه بنجاح حتى صار يشار اليه بلقب الطبيب الماهر، وقد خدم بمهنته الخليفة المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢م) وافراد عائلته ومن في حاشيته. وتنقل بين البلاد ووصل الى اعماق بلاد فارس، ودرس أحوالهم واخلاقهم وخلق العباد فيها، واتصل بعلمائها فصارت له معرفة واسعة في الجغرافية والتاريخ والاجتماع وعلم الفلك والآثار العلوية والفراسة والطب.

وفيما بين سنة ٣٢٩ هـ وسنة ٣٣١ هـ (٩٤٠ ـ ٩٤٢م) ضمّن هذه المعلومات الواسعة بكتاب شيّق كثير الفوائد سمّاه (الدلائل) وهو الذي نقصده بهذا العرض، وفيه ما يدل على سعة ابن البهلول بصنوف المعرفة، وعلى زخر مكتبته بالمؤلفات العربية وغير العربية في المنطق والشرائع وعلوم الطبيعة والطب، وعلى ملاحظاته الصائبة القيمة على ما عرفه بالمشاهدة أو بالرواية. ولابن البهلول كتاب آخر باسم المعجم وهو في اللغة والعلوم والعقائد، وكتاب ثالث باسم الجامع الشامل. وقد قرض الدكتور حبي الكتابين الأخيرين في مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة السريانية، المجلد ٧ سنة ١٩٨٣ ص٢٠٦ ـ ٢٣٤، والمجلد سنة ١٩٨٤ ص١٦٢-١٩٥، وفي مجلة المورد، المجلد ١٣ سنة ١٩٨٤، العدد ١، ص١٣٧-١٦٢).

ويحتمل ان يكون كتاب الدلائل الاول من نوعه باللغة العربية في موسوعيته وشموله للمعارف التي كانت في أيام مؤلفه، فلم يعرف له صنو إلا بعد اكثر من اربعة قرون. أما كتاب الدلائل لحنين بن اسحاق فهو مقالة في الطب حصراً وصف فيها أبواباً من الدلائل. التي يستدل بها على معرفة كل واحد من الامراض (ابن ابي أصيبعة، نزار رضا ص ٢٧٣). وهذا الكتاب باي حال مازال مفقوداً.

وعنى ابن البهلول بنقل ما كتب باللغة السريانية الى العربية كان منها ترجمة الكناش الصغير لابن سرافيون (ابن ابي أصيبعة ص١٥٨)، كما ولع بالتصوير ومن له هذه الموهبة يكون قوى الذاكرة دقيق الملاحظة.

ولاتعرف سنة ولادة ابن البهلول ولا سنة وفاته، على انه من المؤكد قد عاش معمراً حتى أيام الخليفة المطيع لله المتوفى سنة ٣٦٣ هـ (٩٤٦م).

وقد حقق الدكتور يوسف حبي كتاب الدلائل وزوّده بفهرس للاعلام والاقوام في ثلاث وعشرين صفحة، وفهرس اخر للاماكن بتسع صفحات، وفهرس ثالث للمصطلحات العلمية بتسع واربعين صفحة. واستعان في تحقيقه على تسعة وعشرين مصدراً اغلبها من التراثيات اليونانية والعربية وثلاثة عشر مصدراً من كتابات المستشرقين. ونشر هذا التحقيق معهد المخطوطات العربية بالكويت سنة ١٩٨٧ بحجم ست وثلاثين وستماية صفحة من القطع المألوف، بجلد سميك مزوّق بزخرف والوان متناسقة، وطباعة نظيفة بحرف معتدل المقاس، ونسخة المخطوطة التى اعتمدها الدكتور حبي في تحقيق هذا الكتاب

فريدة لا أخت لها. وقد عثر عليها الباحث فؤاد سزكين في خزانة حكيم اوعلوا باستانبول، وتاريخ نسخها سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠م) وقد عبّر الدكتور حبي في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب عن امتنانه من الباحث المذكور على اهدائه مصوّرة هذه النسخة لتحقيقها.

وبالرغم من قيمة هذا الكتاب العلمية العالية لم يرد ذكره في اي من المؤلفات القديمة فضلاً عن عدم نسبته الى الحسن ابن البهلول، غير ان محققه الدكتور حبي يعتقد بما يقرب من اليقين ان مخطوطة هذا الكتاب هي ابن البهلول وليس لغيره من العلماء وله في ذلك ما يثبت إدعاءه.

والدكتور يوسف حبي معروف بين المعنيين بتأريخ العلوم عند المسلمين والسريان، وفي مشاركاته الواسعة بهذا الميدان والتأليف في مواضيعه وتحقيق ما وصلنا من تراثه. وقد أجاد حقاً في تحقيق كتاب الدلائل، فلم يقف على نقص فيه إلا أكمله، ولا غموض إلا كشفه وعلق عليه بثقة وسيطرة. وقد لا اكون مغالياً اذا قلت أنّ الدكتور حبي وليس غيره قدير وجدير بتحقيق هذه المخطوطة.

وكتاب الدلائل بتسع واربعين باباً، ضمّن الابواب الواحد والاربعين الأولى منها في دلائل الشهور القمرية، والشمسية، وحساب سوابيع الصوم والفطر والاعياد، وفي شهور العرب والروم والفرس والهنود واليهود وسنيّهم. وفي أعياد النصارى واليهود والارمن، وفي سنة القبط وشهورهم، واعياد الحرانين، والصابئين الساكنين من منطقة واسط.

أما الباب الثاني والاربعون فخصصه لدلائل الاثار العلوية التي تنحدر من الاجرام السماوية وما تفعله في الانسان والكائنات الارضية بما فيها البحار والانهار والينابيع والجبال والاودية والرياح والزلازل والرعد والبروق والصواعق وتكوين الثلج والجليد والبرد.

أما الباب الثالث والاربعون فقد كرسه المؤلف في دلائل معالم الانسان في شعره ولون بشرته وسمنة وجهه، وشكل أنفه وفمه واذنيه وما تدل كل هذه الظواهر على خُلق الانسان وتصرفاته من وداعة أو وقاحة أو جبن أو شجاعة.

وكرس المؤلف الباب الرابع والاربعين للسموم بانواعها النباتية والحجرية والحيوانية، وعلامات التسمم بكل منها، والادوية التي تضاد أو تعادل فعلها في بدن الانسان. كما ذكر ابن البهلول في هذا الباب الادوية التي تزيح الدويبات والهوام، وتطرد النمل والذباب والخنافس والفار والذئب والنمر والأسد وانواع الطير.

أما الباب الخامس والاربعون فجعله المؤلف لطبائع الابدان وامزجتها الحارة واليابسة والرطبة، وعلامات كل منها. كما يذكر فيه ان الاعضاء الرئيسة التي تحكم الامزجة ثلاثة هي القلب والكبد والانثين (الخصيتين) وفي ذكر العضوين الأخيرين اهمية خاصة إذ هما كما نعرف عنهما اليوم. من الغدد الصماء التي تعمل في جنس الذكر وفحولته. وينهى المؤلف هذا الباب بتأثير الاسنان (الأعمار) والبيئة والبلد على مزاج الانسان، إذ لها كما يقول في الامزجة حظ عظيم.

ويختص الباب السادس والاربعين في شرى المماليك وعلامة صحة ابدانهم. واكتشاف الامراض التي تخفض من أثمانهم بما في ذلك علامات مرض الكبد أو الطحال أو المعدة أو البواسير في المقعدة، أو ما يدل على ضعف سمعه أو نطقه أو عقله أو نظره، وغير ذلك من الامراض.

وكرس المؤلف الباب السابع والاربعين في علامات الامراض؛ ويستهله بمقطع فيه موضوعية وإبداع في الاختصار الوافي وغير المخل. قال فيه العلامات التي تنذر بصلاح حال لون العليل، وخفة الحركة، وقوة النبض، وحسن التنفس وثبات العقل، وقوة الشهوة، وصلاح القوة.

وهذه من الوجهة التطبيقية أهم ان لم تكن جميع سمات البدن السليم من الامراض. وتطّرق في هذا الباب الى تشخيص جنس الجنين قبل ولادته في كونه ذكراً أم انثى، بطريقة لم يذكرها طبيب قبله، وذلك بتوضيع أدوية في المهبل فاذا استطعمت المرأة حلاوة في فيها فانها حامل بذكر، واذا استطعمت بمرارة فهي حبلى بانثى. وفي هذا الباب ايضاً استدلال على نوع المرض من علامات البول في لونه وقوامه ورائحته والرسوب الذي فيه، كما فيه بحث في العلامات الطبيعية في البراز والعلامات المرضية التي فيه.

أما الباب الثامن والاربعون فافرده للطب البيطري، وعلامات امراض الدواب في عينيها وأنفها في سمعها وتدلي أذنيها، وحذف يديها وما الى ذلك مما يخفض من جودة الدابة وقيمتها الشرائية.

وخصص الباب التاسع والاربعين في تدبير الرؤيا وتفسير ما يراه النائم، واسبابها المتعلقة بالخلط الفائض على حاجة

الجسم، أو بسبب اللهج بشؤون الناس وحياتهم، أو بسبب التخمة أو رداءة غذاء العشى... وتأويل كل رؤيا واحدة فواحدة مما يراه النائم في حياة يومه أو في حياة الآخرين، من الاقربين اليه والأبعدين بما في ذلك حوادث الزواج والطلاق، والسفر والحضر ورؤية الموق، ومشاهدة البروق والزلازل والامطار والفيضانات وما شاكل ذلك مما له علاقة قريبة أو بعيدة بحياة النائم في عمله ومعيشته.

التعليق:

(١) لايخلو كتاب الدلائل، كأي كتاب تراثي علمي من هفوات واخطاء، أو غموض في الشرح، أو شطط في الاستدراج والاستنتاج، وليس على المؤلفين القدماء ملامة، أو في افكارهم معابة، فان عامل الزمن لايسمح ان تفسر العلوم القديمة بالمفاهيم الحديثة، فلكل علم زمانه ومكانه، غير ان أصول المعرفة وقواعدها الاساس تبقى كثير منها كما عرفت يوم مولدها في فكر الانسان، وعلى هذا المبدأ فلا يحق لنا نقد الآراء الغريبة التي وردت في كتاب الدلائل. أما الحجة في تعليقي فهي التعبير عن اهتمامي وتقديري لهذا الكتاب القيم ولمحققه البحاثة الدكتور يوسف حبي.

(٢) ان مصطلح (الدليل) في قراءة الطب وممارسته معنى قاطعاً في تشخيص الامراض، أما مصطلح (العلامة) فليس لها في الطب حكماً حاسماً في التشخيص، بل هو ليس اكثر من بينة تساعد عليه. فالحمى علامة اي عرض لامرض، وهي علامة لاكثر من مرض واحد، وكذلك الألم، والنزف الدموي، والعثة والفالج، فقد يكون اي من هذه الاعراض (العلامات) بسبب كثير من الامراض، كما يحتمل ان يكون لاى مرض اكثر من علامة واحدة من العلامات التي ذكرناها، وقد استعمل ابن البهلول في بعض ابواب كتابه مصطلح (الدلائل والعلامات) بمعنى واحد، وجعل كل منها مرادفاً للآخر، ولانقد عليه في ذلك من حيث المعنى غير الدقيق وبخاصة في الكتابات غير الطبية الصرفة.

(٣) في الباب الثاني والاربعين (في دلائل الآثار العلوية على رأي الفلاسفة) يتكلم المؤلف بتناقض في جغرافية الشمس فيقول (ان حركة الشمس ودوام مرورها بالاجرام الاربعة الخ ص٢١٣) أي انه يفترض ان الشمس متحركة. ثم يقول عن الشمس انها (في الموضع المتوسط من الافلاك ص٢٧١)، وهكذا لم يقرر ابن البهلول في كون الشمس نجم ثابت لا متحرك. وحبذا لو ان المحقق قد أشار الى ان ابن رستة (ت ٢٩٠هـ) قد ذكر في كتابه (الاعلاق النفسية) ان ثمة من علماء العرب كان يعتقد ان الشمس ثابتة وحولها تدور الكواكب بما فيها كوكب الارض.

(٤) في الباب الثالث والاربعين (عن الفراسة من كتاب المنصوري وغيره)، علق المحقق الفاضل على هذا الباب بهامش قال فيه (رجعنا الى كتاب المنصوري لابي بكر الرازي والفينا ماجاء فيه في المقالة الثانية في تعريف الامزجة مختلفاً عما جاء بكتاب الدلائل) والدكتور حبي على حق في بعض هذه الملاحظة لا في كلها، ذلك لان الفراسة التي عالجها الرازي في كتاب المنصوري تناولت الامزجة من الوجهة الطبية، بينما تناول ابن البهلول موضوعها بمعناها الخلقي والاخلاقي والفرق كبير بين المنهجين.

(٥) في دلائل السموم (الباب الرابع والاربعون) وهو من اطول أبواب الكتاب ومن اكثرها فائدة، لم يذكر المؤلف مصادره في هذا الباب فقال المحقق انها مأخوذة على الارجح من مصادر قديمة يونانية العهد واسلامية، ذكر منها عشرة مصادر، ونحن نذكر للرازي في السموم نصف الجزء التاسع عشر الأخير من كتابه الحاوي، كما نذكر لشاناق الهندي كتاباً في السموم، ولراى الهندي في اجناس الحيات وسمومها، وكلا الكتابين قد ترجما الى اللغة العربية فلا غرابة ان يكونا من مصادر ابن البهلول في هذا الباب.

(٦) وملاحظة أخيرة شكلية لاغير وهي ان المؤلف أو الناسخ ذكر جميع ابواب الكتاب، باستثناء الباب الأول، كتابة دون ان يسبقها بكلمة (الباب) فاضاف المحقق هذه الكلمة وجعلها بين عضادتين واشار الى هذه الاضافة بهامش في آخر الصفحة وكرر هذا الهامش في جميع ابواب الكتاب، وقد يكون أفضل واكثر اختصاراً لو انه اشار في اول هامش الى ان هذه الاضافة ستتكرر في جميع ابواب الكتاب القادمة.

وكلمتنا الأخيرة عن هذا الكتاب انه موسوعة قيمة في الثقافة العامة والعقائد والعلوم والطب، تفيد العالم والمتعلم بسواء، وهي تصلح للموازنة بين معارف القرن الرابع للهجرة وبين ما نقرأه عن معارف القرن الثامن في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي وانماطه من مؤلفات زمانه، وعسى ان يتقدم من ينهض بهذه المقارنة في يوم قادم.

قراءة في كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور)

تأليف: عبدالله بن المعتز

تحقيق: مكي السيد جاسم   محمد مكي السيد جاسم

نقد وتعليق

د. يونس احمد السامرائي

كلية الاداب/ جامعة بغداد

صـدر عن دار الشؤون الثقافية ببغداد كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) تأليف عبدالله بن المعتز وتحقيق الاستاذ مكي السيد جاسم ونجله محمد.

وانه لامر يفرح القلب حقاً أن ينهض باحياء تراث ابن المعتز أديبان معروفان وخاصة الاستاذ مكي السيد جاسم المعروف بقراءاته الدقيقة للنصوص وتصحيحه الكثير مما يقع فيها من أخطاء، مع تحليه الواضح بالروح العلمية التي هي من أهم سمات العالم.

ومن يقرأ الكتاب المحقق هذا يحس بسهولة الجهد الكبير الذي بذل في قراءاته والدقة العلمية في تصحيح نصوصه.

ولكن مع هذا كله هناك ملاحظات عنت لي وأنا أقرأ هذا الكتاب قراءة امعان وتتبع لكل ماجاء فيه من نصوص وحواش وتعليقات، راجياً أن يكون لها مايفيد في طبعات الكتاب القادمة.

يبدأ الكتاب بمقدمة للمحققين تقع في ثلاث صفحات ونصف أسمياها (مقدمة كتاب فصول التماثيل) تحدثا فيها عن مؤلف الكتاب وسردا نسبه الى قصي بن كلاب، وذكرا تاريخ ولادته ووفاته، وألمحا الى بعض جوانب حياته الجادة واللاهية، كما ذكرا ان له ديوان شعر طبع عدة طبعات ومؤلفات في الأدب والحكمة والنقد وغير ذلك ومن جملتها هذا الكتاب الذي يعد من كتب الادب وان شابه شيْ من الأمور الأخر. وبينا السبب الذي حدا بهما الى العناية بهذا الكتاب وتحقيقه، وهو شيوع الاغلاط في النسخة المطبوعة منه في مصر سنة ١٩٢٥ فأخذا يبحثان عن مخطوطة أو أكثر لهذا الكتاب ووجدا ضالتهما في مكتبة المتحف العراقي حيث عثرا على مخطوطتين منه، وبذلا جهداً كبيراً في عملية المقابلة بين ثلاث نسخ اثنتان هما المخطوطتان والثالثة المطبوعة.

وقد اعتمدا النسخة التي يرقى تاريخ نسخها الى سنة ٦٤٥ هـ/١٢٤٧ م التي صرح فيها ناسخها محمد بن بدر بن الحسين انه نسخها عن نسخة (الأصل للمؤلف)، وهذه النسخة لاتخلو من أغلاط وفيها نقص في وسطها (ص ٧).

والنسخة الثانية مؤرخة سنة ١٢٦٨ هـ/١٨٥١ م وناسخها الشاعر عبدالغفار الأخرس الذي قال انه نسخها للشاعر عبدالباقي العمري. وهي (تامة) فسدّ منها نقص النسخة الاولى. وان ناسخها لم يصرح بذكر الأصل الذي نسخ منه نسخته.

ثم أخذا يصفان المخطوطتين، فالاولى (اي المؤرخة في سنة ٦٤٥ هـ) خطها جميل وهو أقرب الى الرسم الكوفي. وعدد صفحاتها ثمان وخمسون صفحة.. في كل صفحة منها عشرون سطراً.

أما النسخة الأخرى (اي نسخة الاخرس) فهي كذلك لاتخلو من الأخطاء وخاصة الاخطاء الاملائية، غير انها أكثر (وضوحاً) من تلك و (تزيد على تلك)، بانها (تامة) وعدد صفحاتها (٧٦) صفحة.. في كل صفحة منها ٢١ سطراً. وتحدثا بعد ذلك عن خطة العمل التي اتبعاها في تحقيق هذا النص وهي انهما اعتمدا النسخة التي أسمياها (العباسية) أصلاً فأثبتا صوابها في المتن ووضعا في الهامش ماكان غير صواب، وأحلا محل المحذوف من المتن مايضاهيه من أحد (كذا) النسختين وهو ظاهر الصواب، وأثبتا في الهوامش ماوجداه في المراجع الأخرى مغايراً لما في النص وله وجه من الصواب (ص ٨).

وانهيا المقدمة بشكر من قدم لهم المساعدة في تهيئة المخطوطتين وتيسير الامور لهما. هذا ماجاء في المقدمة التي وضعت بين يدي الكتاب، ولنا عليها الملاحظات الآتية:

١ ـ لم يتطرق المحققان الى أمور جوهرية في عملية التحقيق ومنهجه وهي:

أ ـ تحقيق عنوان الكتاب.

ب ـ تحقيق اسم المؤلف.

جـ ـ تحقيق نسبة الكتاب الى مؤلفه.

د ـ تحقيق متن الكتاب.

هـ ـ تحقيق تاريخ النسخ.

و ـ تعيين الوقت الذي ألف فيه الكتاب.

إن الوقوف عند هذه الزوايا او الامور من أهم ماينبغي أن يقوم به المحقق، خاصة اذا كان هناك شك في حقيقتها او تشابه فيها. فقد ذكرت بعض المصادر اسم كتاب التماثيل في تباشير السرور ونسبته الى شخص آخر هو حمزة بن الحسن (الفهرست ١٥٤)، وهدية العارفين ٣٣٦/١ وسمّى فيه (كتاب التماثيل) والاعلام ٣٠٩/٢ الذي سماه. وهو يتحدث عن كتب حمزة (التماثيل في تباشير السرور) ثم قال: وسمّى (فصول التماثيل) ونسب الى ابن المعتز.

ان شيئاً من هذا لم يذكره المحققان ولم يكلفا نفسيهما جهداً في تتبعها ومناقشتها والتأكد من صحتها وسلامتها، وهو شئ مخلّ جداً في عملية التحقيق ومنهجه وكان بوسعهما الاشارة الى ما ذكره غيرهما ووقف عند هذه الامور متتبعاً ومعللاً ومرجحاً وهو الاستاذ عبدالمنعم خفاجي في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان) ص ١٢٥ ـ ١٢٧ ط ٢ عام ١٩٥٨.

٢ ـ ان المخطوطتين اللتين قوبلتا بالمطبوعة لم تكونا على مايظهر أحسن كثيراً من المطبوعة بدليل الهوامش الكثيرة التي فضلت فيها روايتها على رواية المخطوطتين وان مادتهما ليست بأوسع مما جاء في المطبوعة ايضاً.

٣ ـ ان المحققين اكتفيا بالبحث عن مخطوطات الكتاب في مكتبات العراق ص ٧، فقط، ولم يحاولا البحث عنها في مكتبات الدول الأخرى التي أشارت فهارس الكتب الى مظان وجودها (انظر: ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان ١٢٤).

٤ ـ ان هناك مخطوطة للكتاب أوسع وادق من المخطوطتين المعتمدتين في التحقيق، وهي في مكتبة الاستاذ هلال ناجي، وقد يسّر لي الوقوف عليها ـ مشكوراً ـ عند تحقيقي لشعر ابن المعتز، ومن أدلة ذلك، ان هناك سبع مقطوعات فيها زائدة على مافي المخطوطتين والمطبوعة في مصر سنة ١٩٢٥ وهذه التي طبعت حديثاً في شعر ابن المعتز وحده. (ينظر شعر ابن المعتز القسم الاول ٢/ ٢٠ ـ ٢١، ٣٧، ٧٨، ٧٩، ١٧٥، ٢٥٥، ٣/ ٢٦٦) كما ان هناك زيادات في ابيات بعض المقطوعات المشتركة في شعر ابن المعتز ايضاً (ينظر شعر ابن المعتز ٢/ ١١ ـ ١٢، ١١٧، ١٥٦، ٣/ ٢٧١، ٣٠١). وصححت المخطوطة نسبة مقطوعة الى صاحبها وهو ابن الرومي التي نسبتها المخطوطتان والمطبوعتان الى ابن المعتز (ينظر شعر ابن المعتز ٣/ ٣٠١).

ولاشك ان فيها زيادات وتصحيحات أخرى في النصوص الكثيرة التي احتوتها، ولعل الايام القابلة ستكشف الكثير من هذه الحقائق.

٥ ـ ان اختيار النسخة التي يرقى تاريخ نسخها الى سنة ٦٤٥ هـ لتكون أصلاً غير دقيق وغير علمي لسببين ذكرهما المحققان في حديثهما عن النسختين، فقد قالا عن النسخة التي اتخذاها أصلاً (فهذه النسخة لاتخلو من أغلاط وفيها نقص في وسطها)، ومعلوم لدى المحققين ولا أظن الاستاذين يجهلان هذا. ان هذا غير جائز في منهج التحقيق العلمي، وكان الواجب بل منهج التحقيق يحتم عليهما اتخاذ النسخة الثانية أصلاً ـ فهي وان كانت لاتخلو من

الأخطاء (أكثر وضوحاً من تلك، وتزيد على تلك بأنها تامة) كما قالا في المقدمة ص ٧.

٦ ـ من الغريب حقاً أن تقع (أخطاء وبخاصة الاخطاء الاملائية) كما يقول المحققان في المقدمة ص ٧ في النسخة التي نسخها (الشاعر الكبير عبدالغفار عبدالواحد الأخرس الموصلي البغدادي..) ص ٧، فهل كان هذا الشاعر الناسخ ضعيفاً في الاملاء.

٧ ـ ومن الغريب أيضاً أن يذيل ناسخ النسخة الاولى المتقدمة التاريخ التي نسخها عن نسخة الأصل للمؤلف (اي ابن المعتز) بقوله: (قوبل بنسخة الأصل المعمول بها وبذل الجهد في تصحيحه مع سقم النسخة فالحمد لله).

فكيف تكون نسخة المؤلف سقيمة؛ وكيف يصحح ناسخ نسخة الاصل وهو دون المؤلف علماً وأدباً وثقافة، فهل يفهم من كلام الناسخ ان النسخة التي نسخ عنها ليست ـ كما فهمها المحققان ـ نسخة ابن المعتز نفسه.

وهناك ملاحظات أيضاً حول المنهج الذي اتبع في التحقيق منها:

١ ـ المعروف لدى المحققين اتخاذ رموز للمخطوطات والمطبوعات التي يعتمدونها تسهيلاً للإشارة اليها في الهوامش وان تسبق تحقيق النص حتى يعرفها القراء والمتتبعون والباحثون بيد ان المحققين لم يذكرا شيئاً من هذه الرموز او دلالاتها ماعدا قولهما انهما سميا المخطوطة التي اتخذاها أصلاً (العباسية) ص ٨ ولكنهما لم يذكراها في الحواشي الامرة واحدة بهذا الاسم او الرمز (ينظر ص ١٣٨ الحاشية ٢). والغريب ان القارئ يجد رموزاً عدة في حواشي الكتاب لم يسبق اليها ولايعرف ماتدل عليه منها:

١ ـ (ط) وتردد هذا الرمز كثيراً ولعله يراد به (المطبوع).

٢ ـ (خ. ع) كما في الحاشيتين ٢٢، ٢٣ ص ٢٤.

٣ ـ (خ دع) كما في الحاشيتين ١١، ١٤ ص ٣٥.

٤ ـ (خ) كما في الحاشية (٢) ص ٥١ التي جاء فيها (في خ وكذلك في ط...).

٥ ـ (النسخة العمرية) ص ٦٠ وفيها (X) (من هنا وجد سقوط في المخطوطة وقد اعتمدنا على سد النقص الحادث بالسقوط على النسخة العمرية التي لم يقع فيها النقص). مما يوجبه منهج التحقيق العلمي الأمين أن يشار الى مقدار السقط والى وضع علامة تشير الى ابتداء ما اقتبس ونهايته من النسخة التامة للتأكد من سلامته وصحته، وليكون القارئ على بينة من الأمر، وهذا لم يتبع في هذا الكتاب.

٢ ـ خلا الكتاب او كاد من تخريج النصوص، وهو أمر مهم جداً في عملية التحقيق؛ لانه يبين للمحقق والقارئ صحة نسبة النصوص الى أصحابها او نسبتها الى سواهم، ويكشف عن النصوص التي أخلت بها الدواوين المحققة. ومعنى هذا انه يزود الباحثين بنصوص جديدة يمكنهم عن طريقها الكشف عن بعض الظواهر الفنية لدى من يدرسونهم من الشعراء. فلو اعتنى المحققان بهذا الامر الذي يعد أساساً مهماً من أسس منهج التحقيق لوقفا على نصوص نسبت الى ابن المعتز وهي لسواه، وهو أمر يلفت النظر ويحمل القارئ على التساؤل عن صحة نسبة الكتاب الى ابن المعتز؛ لان (ابن المعتز في عموم شعره وفي أخباره التي تسربت الينا لم يحاول أن يسطو على أشعار الآخرين او ينتحلها، وانما كان يصرح وخاصة في كتابه (فصول التماثيل) حين يعجبه قول أحدهم بان له مثل هذا القول من ذلك قوله، ولقد أحسن الحكمي في قوله... قال أبو العباس ولي في مثل هذا المعنى) (ينظر: شعر ابن المعتز القسم الثاني ١٤٣ ـ ١٤٤).

والنصوص التي نسبت الى ابن المعتز وهي لسواه كالحسين بن الضحاك وسعيد بن حميد وابن الرومي جاءت في الصفحات الآتية من كتاب فصول التماثيل الذي نحن بصدد الحديث عنه (ص ٥٨، ١٤٧، ١٩ ـ ٢٠، ٥٩)

أما النصوص التي نسبت الى عدد من الشعراء كمسلم بن الوليد وأبي نواس وعلي بن الجهم وأبي تمام ودعبل والبحتري ولا وجود لها في دواوينهم المطبوعة فنجتزئ بالاشارة الى اسم الشاعر وموضع النص من صفحات الكتاب.

ابو تمام ص ١٣٧، ودعبل ١٢٠، والبحتري ١٧٠، وعلي بن الجهم ١٢٣، ١٣٩ ومسلم بن الوليد ١٨، ٦٤، ٦٥ ـ ٦٦، ٧٤، ٧٥، ١١٨ (علماً بان المحققين أشارا مرة واحدة الى خلو ديوان مسلم من مقطوعة واحدة ص ١٢٠ الحاشية ١٥).

وأبو نواس: ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٧٠ ـ ٧٤، ٨٦، ٩٧، ١٠٣، ١١٧، ١٢١ (في ثلاثة مواضع)، ١٧٠ (علماً بان المحققين ذكرا مرة واحدة خلو الديوان من البيت (ص ٢٣ الحاشية ١٦).

٣ ـ عدم التقيد بمنهج واضح في الاشارة الى المصادر، فمرة يذكر المصدر دون الاشارة الى الجزء، ومرة يذكر مع الاكتفاء بالجزء

دون الصفحة، ومرات كثيرة لايذكر، ومرة يذكر مع الطبعة ومرات تهمل الاشارة الى الطبعة.

كما أهملا الرجوع الى بعض طبعات المصادر واكتفيا بطبعة واحدة او طبعتين منها.

من ذلك الاكتفاء بطبعة د. خلف رشيد لديوان أبي تمام، وإهمال طبعة عبده عزام مع انها جيدة جداً. كما اعتمدا طبعة الغزالي لديوان أبي نواس وأهملا الطبعات الاخرى له كطبعة د. بهجت الحديثي. واعتمدا طبعتي ديوان ابن المعتز لميشيل نعمان وطبعة بغداد وأهملا طبعة د. محمد بديع شريف...

٤ ـ من مكملات التحقيق العلمي التعريف ببعض الحوادث المهمة التي قد ترد في النص، لان إغفال هذا الامر معناه حجب الفائدة المتوخاة من وجود هذه الاشارات في الكتاب. وقد أهمل المحققان التعريف بما ورد في هذا الكتاب من حوادث أو أحكام لها مغزى واضح من ايراد المؤلف لها. كقول أبي نواس:

انى بـوصفي مـقـدّمـات من الأباريق والقناني
أحـذق مني بـأن أنـادي حـدثني ثـابـت البـنـاني

ص ١٠١ فمن هو ثابت البناني وما الذي كان يحدّث به؟ وكقول العطوي:

أبى النبيذوشاربيه على التي
لا الغيّ يركبها ولا الاوزار

لا أصطفي فيها مقالة مالك
ويسرني ماقال فيه ضرار

أفلا يحتاج البيت الثاني الى التعريف بمقالة مالك، وقول ضرار؟ ومثل هذا ماجاء في ١٧٦ عن حديث الرسول (ص) عن الخمر، وص ١٧٦ حول حكم المأمون في المنادمة.

أما الاعلام التي وردت في الكتاب فلم يعرف بواحد منهم.

٥ ـ ومن مكملات التحقيق العلمي أيضاً شرح الالفاظ التي يصعب فهمها على القراء خاصة الالفاظ التي لا تستعمل الا في حالات خاصة، وقد شرح المحققان بعض الالفاظ ولكنهما أهملا شرح الفاظ أخرى أمثال: مرماحوز ٩٧، ومطموطة ١٠٢ والدار فلفل ١١٣ والراز يانج ١١٥ وطعام حرّيف ١١٧ ونانخواه ١٧٢ والهلام ١٧٨ وبرباريس ١٧٨.

ومما يلفت النظر تكرار شروح بعض الالفاظ، من ذلك شرح لفظة (السذاب) فقد شرحت في الحاشية ٨ ص ١٥٢ والحاشية ٦ ص ١٧٢). ولفظة (العود) التي شرحت في الحاشية ٣ ص ١١٦ وكرر الشرح في الحاشية (×××) ص ١٦٧ وهو أمر غريب حقاً. ولفظة (الريباس) فقد شرحت في الحاشية (×) ص ١٧٢ وكرر الشرح في الحاشية (×) ص ١٧٩. والطريف ان شرح الكلمة جاء أولاً على هذا النحو: (الريباس: نبات يكثر في الشام يصنع منه مربى وشراب) (دون ذكر اسم المصدر) ثم جاء شرحها على هذا النحو: (الريباس: نبت ينفع الحصبة والجدري والطاعون وعصارته (يتحدّ) النظر كحلاً) (القاموس المحيط). (يتحدّ) كذا والصواب (تحد) كما في القاموس.

٦ ـ المألوف في النصوص المحققة أن تصوّر صفحة العنوان والورقة الاولى والأخيرة من النسخ المعتمدة؛ ليكون القارئ على بيّنة منها، وليطابق بينها وبين أوصاف المحقق لها. غير ان هذا الكتاب خلا من ذلك.

وهناك ملاحظات غير ماتقدم سنوردها متسلسلة مع تسلسل صفحات الكتاب

١ ـ جاء في ص ٦ (فاني حين تأملت سقوط الحال في أخلاق الجلساء (وشموله) الأخلاء... حتى (قبحت) بهم... وذميم (هزلهم)...)

وجاء النص في ص ١٠ على هذا النحو: (.. (وشمول) الاخلاء.. حتى (فتحت).. وذيم (هزئهم).. مع ان ايراد النص في المقدمة لم تكن غايته المقارنة بين ما جاء في المخطوطتين والمطبوعة. فكان الأفضل التمثيل بالصحيح او الصواب كما أسمياه.

٢ ـ ص ٧ جاء في سلسلة نسب ناسخ المخطوطة المتقدمة النسخ انه محمد بن بدر بن الحسين (بن اليمين). لا وجود لكلمتي (بن اليمين) في نهاية النسخة حيث ذكر الناسخ نسبه كاملاً؟

٣ ـ ص ١٠ (فان نحلّ معناهم في صحيح النظر الحفي). جاء في الحاشية (٥) (ولعل صوابه: ومن حل محلهم في صحيح النظر الحفي). معلوم ان هناك بعداً كبيراً بين العبارتين في تقدير الألفاظ، وهذا لايقره منهج التحقيق اذ يجب أن يكون التقدير مقارباً لما في النص الوارد.

٤ ـ ص ١٣ ليستوطن شريف اختياري محلّه، ويسعدُ به أهله. (يسعدُ) كذا بالرفع وهو معطوف على يستوطن المنصوب.

٥ ـ ص ١٣ (وتنكبت مايسهل على الرعية حملهُ، الى ما يضجرها نقله). جاء في الحاشية ١٩ (لعل الأصل: ما يضجر الرعية حمله اي مايسهل عليها نقله). عبارة النص صحيحة.

لان المؤلف ـ كما جاء بعد ذلك ـ أراد أن يكون كتابه للخاصة.

٦ ـ ص ١٣ (من هزج السّفل وخمول أهل النُبل). الاحسن ضم سين السفل تشاكل حركة نون النبل.

٧ ـ ص ١٥ (الكرمة: شجرة مكرمة.. تزهر بورق يجلو البصر.. وتضحك عن (تمر) حلو المخبر (تمر) كذا بالتاء ولعل الاصل (ثمر) بالثاء.

٨ ـ ص ١٦: (نشرت حدائقه فصرن مآلفاً

لطرائف الأهواء والانداء)

جاء في الحاشية (٦) (في الديوان: لطرائق الأنواء ـ طرائق ليس بصواب)

طرائف: رواية الديوان طبعة د. خلف رشيد، ولكنها في طبعة عزام (طرائف) وهي الطبعة التي لم يرجع اليها المحققان. ويبدو ان الأصل في طبعة د. خلف (طرائف) بدليل شرح الصولي لهذا البيت وذكره كلمة (الطرائف).

٩ ـ ص ١٦ (اذا امتحنت ألوانها مال صفوها...)

جاء في الحاشية (١٠) (في ط: صفوها. وليس بشئ). رواية الغزالي (صفوها أيضاً، اما رواية طبعة الحديثي التي لم يرجع اليها المحققان فهي رواية (ط).

١٠ ـ ص ١٧ (اذا ما امتراها الحالبون اتقتهم

بنجلا نقب الجرب درتها الخمر)

جاء في الحاشية (١١) حول (بنجلا): (في ط: سجلا) وفي الحاشية (١٢) (كذا جاء ـ وفي الديوان):

فان قام فيها الحالبون اتقتهم

بنجلاء ثقب الخلف درتها الخمر)

ولعل الاصل:

اذا ما امتراها الحالبون اتقتهم

بنجلاء ثقب الخلف درتها الخمر

والخلف: حلمة ضرع الناقة (القاموس المحيط). وامتراها الحالبون: اجتذبوها للحلب).

١ ـ (بنجلا) واضح ان الناسخ أسقط الهمزة وهو مألوف في النسخ المخطوطة،

٢ ـ رواية طبعة الغزالي التي اعتمدها المحققان (بنجلاء ثقب الجوف)، وفي طبعة الحديثي التي لم يرجع اليها المحققان (ثقب الخرت).

٣ ـ في اللسان والقاموس مرى الشئ: استخرجه كامتراه. وهو أحسن من (اجتذبوها).

١١ ـ ص ١٩ (قال أبو العباس: ومن التماثيل الضائعة على العرب تركهم تمثيل العنقود بالقرط على قياس تمثيلهم العنقود بالثريا والثريا بالقرط وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (البديع) هذه الاحالة او الاشارة الى كتاب البديع ذات أهمية كبيرة في تثبيت بعض مايؤيد صحة نسبة الكتاب الى المؤلف، فكان لزاماً على المحققين الاشارة الى الموضع الذي جاءت فيه هذه الاشارة من البديع وهو مطبوع أكثر من مرة. علماً بأنّ كتاب البديع المطبوع قد خلا مما أشير اليه في كتاب فصول التماثيل.

١٢ ـ ص ٢٠ (لم يبق منه وهج الحرور

إلّا ضياء في ظروف نور)

جاء في الحاشية (١٩) (وجدت رواية لهذا الشطر: إلا كنار في ظروف نور) كذا جاء التعليق.

أ ـ أين وجدت هذه الرواية؟

ب ـ ان المقطوعة من جملة ٣٧ شطراً في ديوان ابن الرومي ٩٨٧ ـ ٩٨٩ طبعة د. حسين نصار.

جـ ـ المقطوعة ليست لابن المعتز. والغريب ان المحققين رجعا الى ديوان ابن المعتز ـ للصولي ولم يلتفتا الى التخريج الذي أشرنا فيه الى المصادر التي ذكرت هذه المقطوعة لابن الرومي.

١٣ ـ ص ٢١ (قال أبو العباس: الشراب مشمّة الملك (وتاج ندّه) وعروس مجلسه وتحفة نفسه). (وتاج نده) كذا ولعل الاصل (وندّ تاجه) ليستقيم المعنى مع ما قبله وما بعده.

١٤ ـ ص ٢٢ (قال بشار الضرير:

ترجع النفس اذا وقرّتها

وشفاء الهمّ في خمر وماء)

جاء في الحاشية (١٢) (كذا في الاصل).

البيت في ديوان بشار ٤/٧ طبعة ابن عاشور التي لم يرجع اليها المحققان عن فصول التماثيل، وشرحه المحقق شرحاً وافياً، ولم

يشكك في صحته.

١٥ ـ ص ٢٣ (وقال البحتري:

هتك الستور وانما

اللّذّات في هتك الستور)

كذا جاء البيت وهو مدور، وينبغي أن يكتب على هذا النحو:

هتك الستور وانما الـ

ـلذات في هتك الستور

وهناك أبيات كثيرة مدورة لم تحسن كتابتها نكتفي بالاشارة اليها والى الصفحات الواردة فيه: ص ٢٤ البيت الثاني، ص ٧٣ البيت الاول، ص ٩٣ الرابع، ص ٩٥ الخامس، ص ١٠٨ الثالث والسادس والثامن، ص ١٠٩ الاول والرابع، ص ١٢٦ الأول ص ١٧٣ السادس، ص ١٣٤ الثالث والخامس والسادس والسابع والثامن، ص ١٤٤ الثاني والثالث والرابع، ص ١٧٦: الرابع والسادس.

١٦ ـ ص ٢٤ (قال ابو العباس ولي في هذا المعنى:

داوِ الهموم بقهوة عذراء

واصرف بصرف الراح صفو الماء)

جاء في الحاشية (٢٧): (وامزج بنار الراح نور الماء (في كلا الديوانين) والصواب: (وامزج بصرف الراح صفو الماء).

رواية الديوانين اي طبعة بغداد وطبعة ميشيل عثمان ومعهما طبعة د. بديع شريف ـ صحيحة، وكرر ابن المعتز مثل هذا في ص ٦٧ حيث قال:

وسبّح القوم لما أن رأوا عجباً

(نوراً) من الماء في (نار) من العنب

والجدير بالذكر ان المحققين لم يعلقا على هذا البيت بشيْ.

واستعمال لفظة (الصواب) في عملية التحقيق ليس دقيقاً دائماً، بسبب تعدد الروايات التي يمكن أن يكون لها وجه مقبول.

١٧ ـ ص ٢٥ (باب خاصية الشراب)

(خاصية كذا. وفي المعجم الوسيط: (الخاصية: نسبة الى الخاصة، والخصيصة: الصفة التي تميزه الشيْ وتحدده (ج) خصائص).

وواضح ان المعنى الثاني هو المراد، بدليل قول المؤلف في السطر الاول بعد العنوان (اول خصائص الشراب جودة المهضم..).

١٨ ـ ص ٢٥ (ومن التماثيل الشاذة في هذا المعنى قول العرب...)

جاء في الحاشية (×) (ونرجح ان الاصل: الشافية لا الشاذة اذ ان هذا التمثيل كثير جداً فيما يجيْ من صفات الخمرة). واضح ان هناك بعداً بين كلمتي الشاذة والشافية، وأقرب الى الاولى كلمة (الشاردة) فهل هي الأصل؟

١٩ ـ ص ٢٥ (فلقد أبدع فيه وبرع فيه القائلين)

جاء في الحاشية (٢) (لعلها: وبرع فيه على القائلين).

الفعل (برع): يتعدى بدون وساطة. جاء في اللسان: (ويقال: برعه وفرعه: اذا علاه وفاقه).

٢٠ ـ ص ٢٥ الحاشية (٢) (في الديوان:

لكي يعلم الناس انى امرؤ

اتيت المعيشة من بابها (نفس المصدر))

واضح ان كلمتي (نفس المصدر) لامعنى لذكرها؛ لان المصدر ـ وهو الديوان ـ ذكر. والجدير بالاشارة ان المحققين أكثرا من هذا في حواشي الكتاب. (ينظر على سبيل المثال حواشي الصفحات ـ ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٣...)

٢١ ـ (وقم أنت فاحث كأسها غير صاغر

ولاتسق الا خمرها وخَمّارها)

١ ـ (وخَمّارها) كذا بتشديد الميم ولا يستقيم الوزن معه.

٢ ـ جاء في الحاشية (١٧) (في ط: وعقارها. وهو الصحيح).

وهذه رواية الديوان ولكن المحققين لم يشيرا اليها.

٢٢ ـ ص ٢٨ البيتان: (فقام تكاد..

مشعشعة من كف...)

كررا في ص ٥٤ وكان جديراً بالمحققين التنبيه على هذا، لانه مما يجب على المحقق عمله.

٢٣ ـ ص ٣٠ (من شراب كانه كل شيْ

يتمنّى مخيّر أن يكونا)

جاء في الحاشية (٢) (في الاصل. وفي (ط): مغيراً. والصحيح ما أثبتناه).

اغفال رواية الديوان يوحى بان التصحيح من اجتهاد المحققين، وليس الأمر كذلك.

ومثل هذا جاء في الحاشية ١٥ ص ٣٤ والحاشية ١٢ ص ٣٥ والحاشية ٢٠ ص ٦١.

٢٤ ـ ص ٣١ (وتقول العرب: أتانا فلان بشراب أشرف من (المهاجرة) بالفتك والطف من المماكرة في الملك).
جاء في الحاشية (٥) حول كلمة المجاهدة (لعل الأصل: المجاهرة). بل لعل الاصل (المجاهرة) لتوافق المماكرة في حرف الراء.
٢٥ ـ ص ٣٣ (قال الأخطل:
كأنما المسك نُهبى بين أرحلنا
بما تضوّع من ناجودها الجارى)
جاء في الحاشية (٢) (نهب وهو الأصح. ونسخة (خ. ع) خالية منها).
١ ـ (نهب) رواية أيّ نسخة؟
٢ ـ في ديوان الأخطل طبعة دار احياء التراث العربي (نهبى).
٣ ـ في اللسان: (النُهبة والنُهبى والنهيبى... كله اسم الانتهاب والنَهب).
٢٦ ـ ص ٣٥ (عُقاراً تنفّس عن مسكة
ترى فوقها لؤلؤاً حائلا)
(حائلا) كذا بالحاء المهملة وهو تصحيف والصواب (جائلاً) كما في ديوان ابن المعتز ٢/٢٠٢
٢٧ ـ ص ٣٥ (تسقيكها كفّ إليك حبيبة
لابد ان بخلت وان لم تبخل)
جاء في الحاشية (١٣) حول (لابد) (لعل الاصل سيان).
١ ـ رواية الديوان بطبعتيه (الغزالي والحديثي) (لابد).
٢ ـ المعروف ان التحريف يكون في الحروف المتقاربة الشبه، والبعد شاسع بين (سيان) و (لابد).
٢٨ ـ ص ٤٠ (وقال أبو الهندي
لها دبيب في العظام كأنه قَيضُ النعاس وأخذه في المفصل)
جاء في الحاشية (١١) (في الأصل: فيض، ونظن ما أثبتناه الصواب بقرينة (وأخذه).
١ ـ ما معنى قيض هنا؟
٢ ـ لم نجد في اللسان ولا التاج من معاني هذه الكلمة مايناسب هذا التقدير او الظن.
٢٩ ـ ص ٤٢ (فتمشت في مفاصلهم كتمشيّ البرء في السقم)
(كتمشيّ) كذا بتشديد الياء، ولا يستقيم معه الوزن ولعله من آثار الطباعة.
٣٠ ـ ص ٤٢ (وقال لي رجل من ثقاة أهل الادب)
(ثقاة) كذا والصواب: (ثقات).
٣١ ـ ص ٤٣ (ومن هاهنا قال الحسن بن رجاء لرجل شرب بحضرته...)
الصحيح: الحسن بن وهب، ذكره ابن المعتز في كتاب البديع ص ٤٥، ولو رجع المحققان الى التخريج في ديوان ابن المعتز ٢/١٦٤ وهو من مصادرهما لوقفا على ذلك.
٣٢ ـ ص ٤٣ (وقال الطائي:
اذا هي دبت في الفتى ظن انه
لما دبّ (فيها) قرية من قرى النمل)
جاء في الحاشية (٢٣) حول (فيها) (لعل الصواب منها).
١ ـ كان الواجب ذكر رواية الديوان الذي اعتمداه وهو طبعة د. خلف وفيه وفي طبعة عزام (لما دب فيه).
٢ ـ التقدير لايجوز الا اذا شك المحقق في رواية الديوان التي لم يشر اليها هنا أصلاً كما تقدم.
٣٣ ـ ص ٤٤، ٤٦ (وسألت (اي ابن المعتز) حنيناً عن هذا فقال لي...)
١ ـ حنين: هو حنين بن اسحاق توفى سنة ٢٦٠ هـ (الاعلام ٢/٣٢٥)
وهذا غير معقول أن يسأله ابن المعتز المولود سنة ٢٤٧ هـ.
٢ ـ هناك اسحاق بن حنين بن اسحاق وهو ابن حنين المتقدم كانت وفاته في سنة ٢٩٨ هـ (الاعلام ١/٢٨٦). ويظهر انه هو المسؤول في هذا النص، ولو عرّف المحققان بالاعلام الواردة في الكتاب لوقفا على مثل هذا الأمر.
٣٤ ـ ص ٤٦ (... وهو يشدّ المعدة اذا استرخت ويحبس الاختلاف الحادث منها ومن الامعاء ويقطع العرق الذي يكون من ضعف المعدة والقوى والغشى).
جاء في الحاشية حول كلمة (الغشي) (لعلها الغثيان. وهو خبث النفس).
الأصح ان الاصل (الغثى) بالثاء لسببين:
الاول لانها اقرب الى الكلمة المحرفة.
والثاني لانها مصدر (غثى) ففي اللسان (غثت نفسه غثْياً وغثياناً: جاشت وخبثت).
٣٥ ـ ص ٤٨ (قال الحكمى

بنت سني الدهر والليالي

كبيرة شأنها كبار)

١ ـ البيت لم يرد في طبعة الغزالي وهي التي اعتمدها المحققان، ولم يشر المحققان الى ذلك مع انهما رجعا اليه في رواية البيت التالي له.

٢ ـ ورد البيت في طبعة الحديثي على هذا النحو:

بنت مدى الدهر أو أشفت   كبيرة....)

وهذه الرواية أحسن من رواية الفصول، لان الليالي من ضمن الدهر.

٣٦ ـ ص ٥٣ (قال مسلم:

وتعطى بنت القوم فيها بسحرة

بصهباء صرعاها من السكر نوّم)

جاء في الحاشية (٧) حول (وتعطى) (في ط: وتعطف وفي الديوان: ويقضى وهو الصواب).

وجاء في الحاشية (٨) حول صدر البيت وحول لفظة (بسحرة) (ويقضى يبيت القوم فيها بسكرة (الديوان ـ نفس المصدر).

والصحيح:

ويقضى تبيت القوم منها بسكرة).

واضح ان رواية المخطوطة محرفة ولا يستقيم معها الوزن، وان هناك روايتين للشطر يستقيم بهما الوزن والمعنى، فلماذا لم تثبت احداهما وخاصة رواية الديوان؛ لانه الاصل في الرواية، ويشار في الحاشية الى التحريف؟ لان مثل هذا الأمر قد يوقع القارئ او الباحث او المحقق في خطأ حين يرجع الى النص المثبت في المتن ولايلتفت الى الحواشي، كما وقع المحققان في ذلك كما سيأتي.

٣٧ ـ ص ٥٤ الحاشية (١٣)

(ومقتول سكر عاش (اذا) دعوته   وبادر....)

(إذا) كذا وبها يختل الوزن، والصواب (اذْ)، ولعلها من آثار الطباعة.

٣٨ ـ ص ٥٤ (وقام تثنيه بقايا خماره

وعيناه من خديه قد جنتا وردا)

جاء في الحاشية (١٥) (قد جفتا قدا (ديوان ابن المعتز ـ ميشيل نعمان).

١ ـ هل هذه رواية مقبولة أو محرفة؟

٢ ـ كان المفروض التعليق عليها كما علق على سواها؟

٣٩ ـ ص ٥٧

(اذا كرروها بالمزاج رأيتها   عليهن أحياناً تغيب وتطلع)

جاء في الحاشية (٣) الأصل (اذا أكرهوها للمزاج).

لا يستعمل حرف الجر (اللام) مع أكره. قال تعالى (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر). طه/٧٣ وقال تعالى:

(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً) النور/٣٣ وانظر اللسان.

٤٠ ـ ص ٥٨

(في كؤوس كأنهن نجوم   طالعات بروجها أيدينا

طالعات مع السقاة إلينا   فاذا ما غربن يغربن فينا)

جاء في الحاشية (٦) حول طالعات في البيتين (في الاصل: طالعات: وفي الديوان جاريات الديوان ـ نفس المصدر).

١ ـ هذا غير صحيح ففي الديوان (جاريات بروجها أيدينا). و (طالعات مع السقاة).

٢ ـ (الديوان ـ نفس المصدر) تكرار زائد ولامعنى له؛ لان كلمة الديوان الاولى كافية للدلالة على المقصود كما تقدم.

٤١ ـ ص ٥٩

(ومهفهف تمت محاسنه   حتى تجاوز منية النفس

تصبوا الكؤوس الى مراشفه   ....)

جاء في الحاشية (١٠) الشطر الثاني خال في المخطوطتين ومحذوف من المطبوعة وقد ورد في الديوان كما يلي:

(تصبوا) الكؤوس الى مراشفه   وتهش من يده الى الحبس)

١ ـ كذا جاء عجز البيت الثاني في المتن. مع ان هناك المصدر الاساس وهو الديوان قد أتمه، فلماذا اذاً لايثبت الشطر كما ورد في ديوان ابن المعتز طبعة بغداد، وديوان ابن الرومي طبعة د. حسين نصار؟ ولماذا لم يفد من تخريج الابيات في طبعة بغداد الذي أشار الى انها لابن الرومي.

٢ ـ صحيح ان هناك من المحققين من يرى وجوب الالتزام بالنص المحقق كما هو، ولكن هذا لايمنع من اتمام السقط او النقص ـ اذا وجد في مصدر موثق كديوان الشاعر مثلاً، والا فما قيمة الرجوع الى الدواوين او المصادر الأخرى؟

٣ ـ (تصبوا) كذا وهو خطأ ومن آثار الطباعة.

٤٢ ـ ص ٦٨ (وقال شاعر الشام:

فإليَّ كأسكما على ماجبلت   كالتبر معجوناً بماء لجيَنْ)

جاء في الحاشية (٢٣) (في ط . . . وفي الديوان (والىَّ كأسكما)

ولعل الأصل :

فـالى كـأسكـما بما جلبت كـالتبر ممزوجاً بمـاء لجين)

١ ـ رواية المخطوطة والديوان : (كالتبر معجوناً) وهي أحسن من رواية (ممزوجاً)؛ لان التبر يعجن بالماء ولايمزج. جاء في المعجم الوسيط) عجن الدقيق ونحوه: خلطه بالماء ولاكه وملكه بيد أو آلة).

٢ ـ هناك بعد بين حروف الكلمتين (ممزوج ومعجون) ولايمكن أن يقال عن احداها انها محرفة عن الأخرى!

٤٣ ـ ص ٦٣

(لما وجاها بدت صفراء صافية كأنها قدُّ سير من أديم ذهب)

وجاء في الحاشية (٣١) (لعل الصواب : كأنما قدُّ سيراً).

المفترض أن يشار الى ان رواية الديوان (كأنه)، وان رواية (كانما) جاءت في حاشية الديوان أيضاً حتى لايظن ان التصحيح من اجتهاد المحقق.

٤٤ ـ ص ٦٥

(صفراءُ من حلب الكروم كسوتها بيضاءَ من حلل الغيوم البجسّ)

(صفراءُ) كذا بالرفع، والصواب : النصب.

٤٥ ـ ص ٦٥

(لطفت ولاذ بها المزاج فخاطها فكأن حليتها جنيّ النرجس)

جاء في الحاشية (٣٨) (مزجت ولاذها الحباب فخالها (الديوان ـ نفس المصدر) (فخالها) كذا والصحيح ان مافي الديوان (فحاكها).

٤٦ ـ ص ٦٥

(وكأنما والماء يطلب خلمها لهب تلاطمه الصبا في مقبس)

جاء في الحاشية (٤٠) (في خ . ع. خلمها. والمخالمة : المقاربة).

١ ـ رواية الديوان (حلمها) أيضاً ولم يشر اليها هنا، وشرح البيت مع لفظة (حلمها) وارد في الديوان.

٢ ـ اللفظة في البيت (خلمها) والشرح لكلمة (المخالمة) وهي لم ترد في النص.

٣ ـ في اللسان (الخِلْم) بالكسر: الصديق الخالص والصاحب.)

وفيه: (والمخالمة: المصادقة والمغازلة).

٤٧ ـ ص ٦٦

(فاستل راحاً كبيض صادفت (جَحَفاً)

خلالنا أو كنار صادفت سعفا)

١ ـ هناك رواية أخرى للبيت في الديوان لم يُشر اليها وهي :

فاستل راحاً كبيض صادفت (جَحَفاً)

(خلائقاً) أو كنار صادفت سعفا

٢ ـ ما معنى كلمة (جحفاً) بالجيم ثم الحاء الواردة في البيت التي فضلت روايتها على رواية الديوان (حجفاً) بالحاء ثم الجيم.

في اللسان : (الحجف: ضرب من الترسة واحدتها حجفة وقيل هي من الجلود خاصة). وهذا المعنى هو مراد الشاعر. وفيه (الجحفة : ملء اليد والجمع جُحف).

٤٨ ـ ص ٧١

(رقت عن الماء حتى مايلائمها لطافة وخفى عن سبكها الماء)

جاء في الحاشية (٣) (وحفا عن شكلها (الديوان ـ نفس المصدر). والصواب: وجفا عن طبعها الماء).

١ ـ (وحفا) كذا بالحاء وهو تصحيف ولعله من آثار الطباعة.

٢ ـ رواية الديوان بطبعتيه (الغزالي والحديثي) (وجفا عن شكلها).

٣ ـ من أين جاء الصواب (وجفا عن طبعها)؟

٤ ـ هل استعمل النواسي كلمة (طبعها) في مكان آخر من شعره؟

٤٩ ـ ص ٧١ (قال أبو العباس: واما تمثيل الشراب ببياض النهار فيرى ان المعاني الواردة فيه محولة)

جاء في الحاشية (٦) (لعل الصواب: منتحلة). الأقرب الى الكلمة في المتن (منحولة) لامنتحلة.

٥٠ ـ ص ٧٣ (قال ابراهيم النظام :

يسعى بلؤلؤة من فوق لؤلؤة وكفّ لؤلؤة فـاللون حمصيّ

مـاء وماء وفي مـاء يديرهـا ماء جرى فيها فالفكر يوهيّ

اذا أدارت علينا الكأسُ خمسته من كنه أسرارنا فذّ حقيقيّ)

١ ـ مامعنى هذه الأبيات وخاصة الثاني والثالث؟

٢ ـ أليس من حق القارئ والباحث والمحقق أيضاً أن يعرف معنى مايقرأ، فلماذا لم يعلق عليها بشئ؟.

٥١ ـ ص ٧٤ (من قهوة كصفاء دمع مشوقةٍ

(مَرْهاءِ) تاركة لكحل الإثمد)

(مرهاءِ) كذا ضبطت بالكسرة الظاهرة، وحقها الفتح لانها ممنوعة من الصرف.

٥٢ ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ (وقال أيضاً (اي مسلم بن الوليد):

وقامت بابريق وكأس روية فتاة رخيم الدلّ ذات شوى خدْل

كأن الثريا علقت في يسارها وبهـرام في يمنى مبتلّة طفل

كأن فصول الكأس عرد مذاقها جلاجل شدت بالخمار الى حجل

جاء في الحاشية (١٣) حول (عرد) (لعل الاصل: عند). وجاء تعليق المحققين حول البيت الثالث: (ورد البيت في الأصل كما أثبتناه. وهو في الديوان هكذا

كأن حباب الماء حين يشجها لآلئ عقد في دماليج او حجل)

١ ـ الابيات لم ترد في ديوان مسلم.

٢ ـ لا علاقة بين البيت الثالث في المقطوعة وبين بيت مسلم في الديوان، اللهم الآ لفظة (حجل). وما أدري هل يمكن عدّ بيتين بيتاً واحداً لورود كلمة متماثلة فيها؟

٥٣ ـ ص ٩٥

(قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً بدرتها بالنفسيّ الفوارسُ)

جاء في الحاشية (٣) (في ط: تدريها وهو الصحيح). وكذلك هي رواية الديوان بطبعتيه (الغزالي والحديثي) فَلِمَ لَمْ يُشر إليها، وهو أمر جوهري في عملية التحقيق.

٥٤ ـ ص ٩٥ (أترانيَ كنت إلاّ مثل من قبلَ فَيا)

جاء في الحاشية (٦) (نرجح ان الاصل:

أتـرى مـاكـنـت إلاّ مـثـل مـن قـبـل فـيـا)

١ ـ على أي اساس كان هذا الترجيح؟

٢ ـ الترجيح يكون عادة عند ضعف الرواية او اختلالها؟ ولانظن شيئاً من هذا يلمح في رواية الديوان.

٥٥ ـ ص ٩٩ (قال مسلم بن الوليد)

جاء في الحاشية (١) (كافة النسخ خلت من مسلم بن الوليد).

١ ـ من أين عرفتها ان القائل هو مسلم بن الوليد؟

٢ ـ في الحاشية التالية لهذه اشارة الى ديوان صريع الغواني. ومعنى هذا انكما رجعتما الى الديوان فوجدتما الشعر له.

٣ ـ المعروف لدى المحققين في مثل هذه الحال أن يوضع مايضاف الى النص من مصادر أخرى بين قوسين ويشار في الحاشية الى ذلك.

٥٦ ـ ص ١٠٠ (قال الأعرابي:

ومستطيل على الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح حذّاق

فكل شئ رآه خاله قدحاً وكل شخص رآه ظنه الساقي)

١ ـ كذا جاءت نسبة البيتين الى (الاعرابي)، وهما لابي نواس في ديوانه طبعة الغزالي وهو الوحيد من طبعات الديوان التي رجع اليها المحققان كما تقدم.

٢ ـ رواية الديوان (فكل كف رآها ظنها قدحاً) وهي أحسن وأنسب لهذا الفن.

٥٧ ـ ص ١٠١

أكتبُ من لفظه فصولاً أُغنيتُ عنهنّ بالقرآن)

لايستقيم الوزن مع المدّ في (القرآن).

٥٨ ـ ص ١٠٢

(يطوف علينا بها أحورٌ كغدل بعينيه ثُقْلَ المدام)

(ثقل) كذا بالنصب، والرفع هو الصواب.

٩ ـ ص ١٠٦

(كأنما ثُبّتَ المبزالَ راحتهُ في نحر ظبي من الغزلان مطعون)

جاء في الحاشية (١٧) (يثبت (نفس المصدر) اي الديوان. ولعل الصواب: تثبت)

١ ـ لايقال في مثل هذا الامر والصواب.

٢ ـ المعروف انه في حال الفصل بين الفعل وفاعله يجوز مثل هذا.

٦٠ ـ ص ١٠٨

(فان كان هذا رأيهُم فشرابها أحب إلينا من معاقرة التمر)

كذا جاء ميم (رأيهُم) بالضم ولايستقيم معه الوزن، والصواب: السكون.

٦١ ـ ص ١١٠ (وقال ابراهيم: حدّ السكر أن يُخلِط في الكلام، ويتعقد اللسان.)

(يخلِط) كذا ببناء الفعل للمعلوم، والصواب: البناء للمفعول.

٦٢ ـ ص ١١١

(رأينا في السماع رأىّ حُجاز ي وفي الشراب رأى أهل العراق)

(حجازي) كذا بالجر والصواب: الرفع.

٦٣ ـ ص ١١٤ (.. يلين البطن ويعين على الهظم).

(الهظم) كذا بالظاء والصواب: بالضاد، ولعله من آثار الطباعة.

٦٤ ـ ص ١١٥ (يؤخذ سوسن جيد الجوهر تسع قراريط).

(تسع) كذا والصواب: تسعة.

٦٥ ـ ص ١١٥ (تجمع هذه الادوية مسحوقة وتصيّر في ظروف غِضار)

(غِضار) كذا بكسر الغين، والصواب: فتحها كما في اللسان والتاج.

٦٦ ـ (قهقهة فيها إنكباب الكوب فابتسمت

درّاً يضاحك أحباباً من البرد)

اذا أريد بكلمة (أحباباً)، الحَباب بمعنى لفّاخات الماء وفقاقيعه

تي تطفو فهي لم ترد على هذا الوزن في اللسان والا التاج.

٦ - ص ١٢٢

معتقة صاغ المزاج لرأسها   أكاليل در ما لمنظومة سبك)

جاء في الحاشية (٢٢) (في ط، وفي خ. ع: سلك وهو الصواب).

كان على المحققين الاشارة الى ان رواية الديوان (سلك) أيضاً.

٦/ - ص ١٢٢

(وليلة من حسنات الدهر   ما يمحى موضعها من صدري)

جاء في الحاشية (٢٣) (في ط: ينمحى. وفي الاصل: يمتحي).

فمن اين اذاً جاءت رواية (يمحى) هذه التي فضلت على سواها؟ انها من ديوان ابن المعتز طبعة بغداد، ولم يشر إليها هنا.

٦٩ - ص ١٢٧ (وقال دعبل:

اذكر أبا جعفر حقاً أمرتَ به   اني وإياك مشغوفان بالادب)

(أمرت) كذا، والصواب (أمت) كما في شعر دعبل الذي لم يرجع اليه المحققان.

٧٠ - ص ١٣٢

(لنا سمك نكيبه مشبّر   وعند غلامنا جَدْي مبرَّز)

جاء في الحاشية (٥) (في ط: نكيبه: ونكيبه أي نشويه).

١ - الكلمة الواجب شرحها (نكبيه لانكيبه)، كما في النص.

٢ - (مبرز) كذا بالزاى، والقافية في سائر الابيات راء، ويبدو انه من أثر الطباعة.

٧١ - ص ١٣٣

(وعندى من قيان المصر عشر   يطيب بهم مصافحة المدام)

جاء في الحاشية (١٠) (لعل الصواب: يطيب بهن مصطبح المدام)

المفترض أن لايلجأ المحقق الى التعليل او التقدير الابعد استنفاد الطاقة في مراجعة المصادر. ولو رجع المحققان - وهذا موطن الضعف في هذا التحقيق الى شعر الخليع (الحسين بن الضحاك) وهو منشور لوجدا الرواية فيه على الوجه الآتي، والبيت للحسن بن رجاء:

وعندي من قيان (القصر) عشر   (تطيب بهنّ عاتقة) المدام)

٧٢ - ص ١٣٤

(ودع اللفظ وخاصمه   بلفظ الحاجبين)

جاء في الحاشية (١٣) حول (وخاصمه) (لعلها: وخاطبه)

وفي شعر الخليع الذي لم يرجع اليه المحققان جاءت الرواية (وخاطبه) أيضاً.

٧٣ - ص ١٤٢

(ورأسه كمثل حر قد مطر   وصدغه كالصولجان المنكسر)

جاء في الحاشية (ورأسه كمثل فرق قد مطر (نفس المصدر السابق) (يراد به ديوان ابن المعتز - ميشيل عثمان) ولعل الشطر: ورأسه مثل حر وقد مطر).

١ - كان الواجب العلمي يدعو الرجوع الى طبعة بغداد ولا يقتصر على طبعة واحدة للديوان.

٢ - ما علاقة هذا التشبيه ببعضه كما قدره المحققان؟ وكيف يمطر الحر؟

٣ - في طبعة بغداد (ورأسه كمثل فرو قد مطر).

٧٤ - ص ١٤٢

(أشغل عن مشوافه وزينته   ولم يدْرِ يبصر حسن صورته)

جاء في الحاشية (١٢)

(أعجل من مسواكه وزينته

وهيئة تنظر حسين صورته (نفس المصدر اي الديوان طبعة (ميشيل عثمان). والافضل رواية الديوان مع ابدال تظهر بتنظر).

(وتنظر) كذا في الديوان طبعة ميشيل وفي تعليق المحققين.

والصواب (تنضر) كما في طبعة بغداد.

٧٥ - ص ١٤٣

(فأيّ فضل للصبوح يعرفُ   على الغبوق والظلام مسرفُ)

(مسرف) كذا بالراء والصواب (مسدف) بالدال كما في طبعة بغداد جاء في اللسان.

فلما عوى الذئب مستعقراً   أنسنا به والدجى مسدف

وفيه: (أسدفت المرأة القناع أي أرسلته). ومما يلاحظ ان مادة (سدف) تكاد تقتصر على الظلام والليل والدجى، أما مادة (سرف) فلم يأتِ فيها شئ عن الاسراف في الظلام.

٧٦ - ص ١٤٦ (باب ما قيل في النقل: اذا كان الشراب يحمى البدن والكبد فليكثر مزاجه وليتنقّل عليه بالرمان الحامض المغسول بالماء المبرد فان غسل بماء الورد كان أنفع وأنجع والانتقال بحماض الأترج ينفع أيضاً)

لم يرد في اللسان ولا القاموس المحيط (الانتقال) بمعنى التنقّل، ففيهما:

والنقل: الذي يتنقل به الشراب. وكرر في اللسان هذا في أكثر من موضع.

٧٧ - ص ١٤٩ (وشادن زارني وفي يده

تفاحة ريحها به عبق)

جاء في الحاشية (٥) حول (ريحها) (الصواب: عرفها).

المفترض أن يقال (ولعل الاصل عرفها أو مايماثلها من الفاظ؛ لانه يجوز تقدير كلمة أخرى مثل (طيبها أو عطرها او نفحها. .) على ان هناك بعداً كبيراً بين حروف اللفظتين.

٧٨ - ص ١٤٩ (. . الا انه ينهض شهوة الطعام وماؤه يطلق البطن وحبه يعقله)

جاء في الحاشية (٩) حول (يعقله)، (في خ. ع: يعقل. والصواب يعقلها).

الصواب مافي المخطوطة. جاء في اللسان (وعقل الدواء بطنه يعقله . . أمسكه بعد استطلاقه). ويبدو ان المحققين ظنا ان (البطن) مؤنث.

٧٩ - ص ١٥٤ (أما المشامّ الممسّكة والتي تعمل من المسك فانها حارة يابسة تولد على المحرورين أنواع الصداع في أسرع الاوقات وتنفع من العلل الباردة العارضة في الرأس (وهو مع ذلك جيد للغشي) صالح) لتقوية المعدة).

(وهو مع ذلك جيد للغشي صالح) كذا جاءت العبارة. والاسماء والافعال الواردة في الجمل ماعدا ما وضعناه بين القوسين كلها تدل على المؤنث، وعلى هذا فالصواب (وهي - اي المشام الممسكة - مع ذلك جيدة للغثي (بالثاء لا للغشى كما في النص) صالحة لتقوية المعدة.

٨٠ - ص ١٥٤ (واما تماثيل العود. . . وهو جيد للمعدة (للنفة) أن انتقل به على الشراب)

(للنفة) كذا ولم نتبين المردا منها.

٨١ - ص ١٥٨ الحاشية (٣) (يطيب - شعر ابن المعتز جـ ٣ - الصولي. . .)

الصحيح (بطيب) وهو من آثار الطباعة على ما يظهر.

٨٢ - ص ١٦٣ (وقال الحكمي

يـامـنـة امتنـهـا السـكـر مـاينقضي مني لـهـا الشكـر
أعطتك فوق مناك من قبل قد كان مُـدامُها وعر)

جاء في الحاشية (٢) حول (قد كان) في البيت الثاني كنّ (أمالي المرتضى - محمد أبو الفضل ابراهيم).

١ - هذه المرة الاولى والأخيرة التي يرجع فيها المحققان الى مصدر غير الديوان.

٢ - هذا لايجوز اذا وجد الديوان المحقق تحقيقاً علمياً؛ لانه الأساس الذي يجب أن يعتمده المحقق.

٣ - في الديوان طبعة (الغزالي) (ماينقضي مني لك الشكر)، وفي طبعة الحديثي (. . مني لها. .) في البيت الاول ولم يشر المحققان الى هذا.

٤ - في الديوان بطبعتيه وأمالي المرتضى (مرامها) لا مدامها.

٥ - في الديوان طبعة الغزالي (من قبل أن مرامها. .) وفي طبعة الحديثي (من كان قبل مرامها. .).

٨٣ - ص ١٦٥ (وقال ابن المعتز:

والنجم قد لجّ في الغروب كما أنذر بالصبح قرع ناقوس)

جاء في الحاشية (٧) (كالنجم، نفس المصدر السابق، اي ديوان ابن المعتز طبعة بغداد والأصل هو الصواب).

واضح من هذا التعليق ان المحققين يفضلان رواية الأصل اي مافي المخطوطة (والنجم) على مافي متن ديوان ابن المعتز. وهذا حق ولكن لو رجع المحققان الى الحاشية التي كتبتها تعليقاً على (كالنجم) لوجدا فيها ما يأتي:

(٥٥١) (كالنجم) كذا في المخطوطة وبقية النسخ، وفي الهامش وس: (والنجم) وهو الوجه.

وأرى انطلاقاً من هذه الملاحظة أن أشير الى ان تثبيت الروايات الضعيفة والمحرفة في الاصل المحقق والاكثار منه - كما جاء في كتاب (فصول التماثيل) هذا الذي اشتمل متنه على (١٢٠) موضعاً محرفاً او مصحفاً او رواية ضعيفة أو سقطاً واشتملت حواشيه على مثل هذا العدد من المواضع استعملت فيها كلمات (والصواب والصحيح، ولعل الصواب ولعل. الأصل. . .) قد يوقع القراء والباحثين والمحققين في مزالق كالذي وقع فيه المحققان في هذا الموضع وفي غيره.

وهذا دليل على وجوب تلافي مثل هذا الأمر، فالتحريف الواضح او التصحيف أو الخطأ أو السقط في لفظة أو شطر بيت من النص ينبغي أن يصحح في المتن من المصدر الاساس الموثق والمحقق تحقيقاً علمياً كالدواوين مثلاً.

اما اذا أخذنا بالطريقة التي اتبعت في تحقيق هذا الكتاب وهو صغير الحجم بلغت صفحاته مع المقدمة (١٧٤) صفحة - فسيفقد النص قيمته العلمية والسبب الذي دعا الى تحقيقه.

(أندر) كذا بالدال وهو تصحيف وصوابه (أنذر).

٨٤ - ص ١٦٧ الحاشية (×) (الشيلم. الزؤان يكون (من) الحنطة) (المعجم الوسيط)

١ - الصواب ان مافي المعجم الوسيط (. . . يكون (بين) الحنطة والفرق واضح بين التعبيرين.

٢ - مازال التعريف ناقصاً أو غير واضح بسبب غموض كلمة زؤان التي تحتاج الى الشرح أيضاً.

٨٥ - ص ١٦٧ الحاشية (× ×) الأشنة: قشور دقيقة لطيفة تلتف على شجرة البلوط والصنوبر والجوز ولها رائحة طيبة (المعجم الوسيط)

كذا جاء التعريف، وفي المعجم الوسيط: (الأشنة: نبات لا زهري يتألف من كائنين نباتيين، أحدهما طحلب والآخر فطر، بينهما تكامل وتعاون وثيق، يكون على هيئة قشور أو صفائح أو فروع دقيقة لطيفة تنمو على الصخور او الأحجار أو تتعلق بأغصان الأشجار، وتعرف بشيبة العجوز(ج) أُشَن).

٨٦ - ص ١٧٠

(أخي ثقة لا يذهب الخمر ماله   ولكن عطايا عوّد وبوادي)

هذا البيت منسوب لابي نواس كما في الكتاب، وكان يجدر بالمحققين أن يرجعا الى ديوانه لأمرين:

الاول توثيق النسبة، والثاني: الوقوف على اختلاف الرواية كما فعلا مع سواه.

البيت في ديوان نواس طبعة (الغزالي) (٤٧٢) وطبعة الحديثي (٣٨٦). وروايته فيهما على هذا النحو:

فتى لاتلوك الخمر شحمة ماله   ولكن اياد عوّد وبواد

٨٧ـ ص ١٧١ (. . لان الدسم في طبيعته وفعله يليّن ويَغري، فاعتداله مما يسكن قوة الخمر وحدتها وإغراؤه يمنع من اللذع).

(يغَري) ضبطت الياء بالفتح، والصواب الضم لان الفعل رباعي و (اغراؤه) دليل على هذا.

٨٨ - ص ١٧٢ (يؤخذ بذر الكرنب. . وفوتنج وملح. . .) جاء في الحاشية (× ×) الفودنج: (الفودنج) وهو الصعتر (مفردات ابن البيطار).

واضح ان اللفظة في النص (الفوتنج) وفي الحاشية (الفودنج)

٨٩ - ص ١٧٨ الحاشية (٦) (سقط متعلق ممزوج من السياق في النسخ الثلاث، ولعلها ممزوجاً بماء الورد).

(ولعلها) كذا والضمير يعود على المتعلق وهو مذكر.

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



ملاحظات على رسالة
ما انفرد به القراء

تعليق
د. علي حسين البواب

كلية اللغة العربية/ الرياض/ السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلني العدد الأول من المجلد السادس عشر من مجلة المورد الغرّاء - حفظ الله تعالى القائمين عليها وسدّد خطاهم، وفيه رسالة ابن غلبون (ماانفرد به القراء) . وقد سبق أن حققت هـذا النص على المخطوطة نفسها التي حققها عنها الأخ محمد عبدالكريم كاظم الراضي، وعملي آخذ مكانه في إحدى المجلات العلمية في انتظار النشر، واخترت لها عنوان (ماانفرد به القراء الثمانية من الياءات والنونات والتاءات والباءات) . فلما اطّلعت على النص المنشور وقابلته على صورة أحتفظ بها من عملي، وجدت بعض الهنات التي وقعت في عمل الاستاذ الراضي، أحببت أن أنبّه عليها، لأن النصّ بتحقيقي عند صدوره قد لايصل الى قرّاء المورد) ومن يطّلع على العملين لايقارن بينهما، بل قد يكون للسابقة فضيلة السبق فلايلتفت الى عمل المتأخر :

فالنص - على صغر حجمه - وقع فيه أخطاء في الأصل المخطوط، قام المحقق بتصويبها دون أن ينبه عليها، وان كان هذا المنهج يرتضيه بعض المحققين فان أقل مايلزمه أن يبين في المقدمة أنّه سيفعل ذلك .

ثم أن المحقق قام بتغيير عبارات صحيحة : إما لأنّه لم يحسن قراءتها، أو لم يستسغها، أوسها عنها، وهذه أمور لاتقبل عند أي محقق .

أضف الى ذلك وقوع أسقاط في رسالة صغيرة، أحدها زاد على سطرين وأخلّ بالنصّ وقد عنيت بتعليقي هذا ببيان الأمور المشار اليها، كما نبهت على بعض الأخطاء التي وقعت في الحواشي، وغالبيتها في الأرقام، وقد يكون ذلك من الطبع أو سهو في نقل الرقم، ولم أعلق على منهج التحقيق واخراج النص . والله الموفق

ص	س	النصّ	التعليق
١٧٨	٨	مائة وتسعة مواضع	في المخطوطة خطأ: وتسع مواضع
	١٣	(مامكنني فيه ربي)	في المخطوطة (مامكني فيه ربي خير)
١٧٩	٢	(لنذيقهم)	في المخطوطة - خطأ - (لنديقهم)
	٣	بخمسة ياءات	في المخطوطة صواب: بخمس ياءات
	٣	(وما الله بغافل عما يعملون أفيطمعون)	في المخطوطة: (وما الله بغافل عما يعملون) بعده: (أفتطمعون)

	٥	(ولا يسمع الصمّ)	الصواب (الصمُّ) بالرفع وقول المؤلف (وفتح الميم) يعني من (يسمع)
	١٠	سبعة مواضع	ورد خطأ في المخطوطة: سبع مواضع
١٨٠	٨	النحل	صوابها: النمل
	١٠	(لعبا كبيرا)	صوابها (لعناً كبيراً) وتفرّد عاصم هنا بالباء في (كبيرا) وغيره يقرأ (كثيرا)
	الحاشية ٢١	السبعة ١٥٦	الصواب: ١٥٧
١٨١	الحاشية ٣٠	التيسير ١٣٢	الصواب ١٢٣
١٨٢	٢، ٣	ومنها	الصواب كما في المخطوطة: وفيها
	الحاشية ٥٣	السبعة ١٥٦	الصواب: ١٥٧
١٨٣	١٢	بفتح اللام والفاء على وزن	الصواب: بفتح اللام والفاء على وزن (مُفَعَّل).
	١٣	الأحزاب	صوابها: الأعراف
	الحاشية ٦٣	آية ٣٦٣	الصواب: ١٧
	الحاشية ٦٧	اغترّ المحقق بما ذكر ابن الجزري من أن ابن مجاهد أهمل ذكر الخلاف في الآية ١٤١ من سورة الأعراف وليس ذلك صحيحاً، فهي في السبعة ٢٩٣.	
١٨٤	٣	هشام	في المخطوطة خطأ: هاشم
	١١	واحد وعشرون	في المخطوطة: أحد وعشرون
	١٢	تفرّد	في المخطوطة: انفرد
	بعد س ١٥ وقع سقط: (وتفرد من النونات بنونين أولهما في سورة طه [١٠٢]: «يوم نَنفخ في الصور» بالنون مفتوحة، وفي الطور [٢١] «واتبعناهم» بالنون والألف.		
	١٦	أولاهن الآية تسع وأربعون ومائة من سورة البقرة	وعبارة المؤلف: أولاهن رأس تسع وأربعين ومائة من سورة البقرة. فانظر الى هذا التغير، على أن المؤلف قد استخدم الأسلوب نفسه ص ١٨٦ س ٤ وحافظ عليه المحقق.
	الحاشية ٧٢	ان هاشماً	الصواب: أن هشاما
	الحاشية ٨٢	السبعة ٩٨	الصواب: ٢٩٨
١٨٥	١٢	خمسة عشر موضعاً	وفي المخطوط خمس عشرة موضعاً. وكان على المحقق هنا أن يصوب العبارة إلى (ستة عشر موضعاً) ثم يصوب ماورد في السطر التالي (بأربعة مواضع) فيجعلها (بخمسة)، لأن ما انفرد به حمزة من التاءات خمس. فيصير مجموع ما انفرد به ستة عشر موضعاً، وبهذا التصويب يصح قول المؤلف في المقدمة في المقدمة (مائة وتسعة مواضع) وبغيره يكون العدد ناقصاً.
	الحاشية ٨٧	السبعة ١٥٩	الصواب ٥١٩

	الحاشية ٩٤	السبعة ٢١٨	الصواب ٢١٩
١٨٦	الحاشية ١٠١	آية ٢٨	الصواب ٣٢،٢٨ لأن المؤلف يشير الى موضعين
١٨٧	٧	سورة المعراج	في المخطوطة (سورة الواقع)، وهو من أسماء السورة قال تعالى في أول السورة: (سأل سائل بعذاب واقع)
	١٣	باثني عشرياء	سقط لفظة: تفرد...
	حاشية ١٠٩	النشر٢ / ٦٠٣	الصواب ٣٠٦
١٨٨	١	(ويخرج)	في المخطوطة (ويخرج له)
	٧	(والله بصير بماتعملون)	في المخطوطة (والله بصير بما تعملون. قل)
	١١	(ان نُقضي اليك وحيُه)	لم ترد (ان) في المخطوطة وصواب الآية (يُقْضَىٰ اليك وحيَه)
١٨٩	٣	وفي غافر	في المخطوطة وفي صم الطول
	٦	(إذا ينجّون فلا تنجّوا)	والصواب الذي في المخطوطة (إذا انتجيتم..)
	٩	(مايمكرون)	في المخطوطة خطأ (بما)
	١٣	ادى	الصواب من المخطوطة (تأدىً)
	حاشية ١٢٦	النشر ٢/٣٠٨	الصواب ٢/ ٣٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ عن

قال أبو الطيب، عبدالمنعم بن عبيدالله بن غلبون المقرىء، رضي الله عنه :

اعلم - نفعنا الله وإيّاك - أن المختصينّ بحفظ القرآن، والمعتمدين على ذكر اختلاف القرّاء في الروايات، والتالين بالحروف التي صحّ نقلها في الروايات المذكورات، يحبّون أن يعرفوا كلّ انفرد به كلّ واحد من القراء مجملاً، من الياءات والنونات والتاءات والباءات، فأفردته ليحفظ بكماله، ولايغيب عن الطالب له منه شيء إن شاء الله.

وجملة دور هذا الباب في القرآن للقراء السبعة المشهورين دون غيرهم مائة وتسعة[1] مواضع، فأول ماأذكر منه :

ماانفرد به عبدالله بن كثير في روايتيه

وجملته عشرة مواضع: تفرد بخمس نونات:

أولها في سورة «يوسف» ((حيثُ نشاء)) بالنون[2].

وفي «الكهف»: ((مامكّني فيه ربّي خير)) بزيادة نون[3].

وفي «الفرقان»: ((ونُنزِلُ الملائكة)) بضم النون الأولى وإسكان الثانية وكسر الزاي[4].

وفي «النمل»: ((أوليأتينّي بسلطان مبين)) بنونين ظاهرتين[5].

وفي «الروم»: ((لنذيقهم))[6] في رواية قنبل فقط[7].

الهوامش

١ - في الأصل (وتسع).

٢ - سورة يوسف ٥٦ . وسائر السبعة (يشاء) السبعة ٣٤٩، والتيسير ١٢٩، والكشف ٢/ ١١ والإقناع ٦٧٢، والنشر ٢/ ٢٩٥

٣ - سورة الكهف ٩٥ . وسائر السبعة (مكّني) السبعة ٤٠٠، والتيسير ١٤٦، والكشف ٢/ ٧٨ والاقناع ٦٩٣ .

٤ - سورة الفرقان ٢٥ . وغيره: (ونزّل الملائكةُ) السبعة ٤٦٤ والتيسير ١٦٤، والكشف ٢/ ١٤٥، والإقناع ٧١٤، والنشر ٢/ ٣٣٤ .

٥ - سورة النمل ٢١ . وسائر السبعة بنون مشددة (أولياتينّي) السبعة ٤٧٩، والتيسير ١٦٧، والكشف ٢/ ١٥٤ والإقناع ٧١٩، والنشر ٢/ ٣٣٧ .

٦ - في الأصل (لنذيقنّهم)

٧ - سورة الروم ٤١ . ورواية قنبل هذه بنون الاخبار من الله عزّ وجلّ وسائر السبعة بياء الغيبة. السبعة ٥٠٧، والتيسير ١٧٥، والكشف ٢/ ١٨٥، والإقناع ٧٢٩، والنشر ٢/ ٣٤٥ .

تصحيح كتاب التعريف
لابي عمرو الداني

نقد

د. حسام سعيد النعيمي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

نشرت اللجنة المشتركة لنشر احياء التراث الاسلامي ـاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع لابي عمرو الداني سنة ١٤٠ هـ ـ ١٩٨٢م بتحقيق الاستاذ الدكتور التهامي الراجي ـاشمي، وطبع بمطبعة فضالة بالمحمدية بالمغرب.

وقد قرأت الكتاب وقت صدوره وعلقت على حواشيه بما ـتهى الى مقال نشرته في مجلة المناهل المغربية العدد ٢٨ لسنة ١٩٨ من ص ٢٦٣ الى ص ٣٠٨ بعنوان: التنبيه على أوهام ـقيق التعريف للداني.

ثم حملني الحرص على اخراج الكتاب متقن المتن، لصلته كتاب الله تعالى، على ان سعيت الى الحصول على نسخ الكتاب ـلخطوطة، إذ اعتمد المحقق الفاضل نسخة واحدة، فظفرت ـسختين فضلاً عن نسخة المحقق اليتيمة التي اخرج عليها ـبعته، فرأيت خلافاً في المتن بين ما في أصل نسخته المعتمدة المطبوع وهو على قسمين:

ـأول: من خطأ الناسخ، مما كان ينبغي أن يصححه المحقق ينبه على الأصل في الهامش، ليعطي فكرة عن الناسخ، وليدع ـجال مفتوحاً أمام اجتهاد الدارسين في تصور الخطأ والصواب، قد يرى غيره ما القاه في الهامش أصوب مما أثبته في المتن، وقد ـايت أن أضرب صفحاً عما ورد من هذا وان خالف الاصل لموافقتي المحقق على تصحيحه، فلا اشير اليه هنا اختصاراً، على أني سأثبت ذلك عند انجاز تحقيق الكتاب على النسخ الثلاث ان شاء الله.

الثاني من الخلاف: ما أبعد النص عن أصله الصواب ولم يكن من قبيل تصحيح خطأ الناسخ، وهو الذي عقدت لاعادته الى أصله هذا المبحث. وقد رأيت أن اضمّن هذا المقال ما كنت ذكرته في المناهل مما يخص هذه الجزئية من تصحيح من الصفحتين اللتين نشرت صورتاهما في أول الكتاب ليتصل الموضوع وتعم الفائدة، فأقول وبالله الوفيق:

١ ـ في ص١٥٩ حيث بدأ النص المحقق في الكتاب قال:

قال: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المغربي رضي الله عنه وأرضاه: الحمد لله.. وفي الأصل المخطوط، وهو نسخة المحقق الفريدة كما تقدم:ـ

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المغربي رضي الله عنه وارضاه ونفع به وبأفضاله: الحمد لله...

٢ ـ في ص ١٩ أيضاً قال:

.. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده...

والذي في الأصل المخطوط: ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وخيرة خلقه وعبده..

٢ ـ ص ١٦٠ قال:

... عثمان بن سعيد ورش المدني.

وفي الأصل المخطوط. ... وعثمان بن سعيد ورش المصري.

٤ ـ ص ١٦٠ أيضاً قال:

... وأذكر عن كل واحد منهم روايتين، الا ورش وقالون فإني اذكر عنها ثلاث روايات. وفي الاصل.

... واذكر عن كل واحد منهم روايتين، الا عن ورش وقالون فإني...

ويلاحظ ان المطبوع أسقط (عن) فجعل في العبارة لحناً.

٥ ـ ص ١٦٣ قال:

وهذه الروايات هي المشهور عن هؤلاء الاربعة

وفي المخطوط:

وهذه الروايات هن المشهورات عن هؤلاء الاربعة.

٦ ـ ص ١٦٣ أيضاً قال:

... طلباً للايجاز ورعاية في الاختصار.

في الاصل المخطوط.

... طلباً للايجاز ورغبة في الاختصار.

٧ ـ ص ١٦٨ قال:

وقال قرأت على أبي عمرو الدوري ...

وفي الأصل المخطوط.

وقال قرأت على ابي عمر الدوري ...

ومعلوم أن كنية الدوري أبو عمر، وليس ابا عمرو (انظر: غاية النهاية ١: ٢٥٥ وهدية العارفين ١: ٣٣٣ والاعلام ١: ٢٦٤).

٨ ـ ص ١٧٢ قال:

ذكر اسانيد رواية المسيّب.

وفي المخطوط:

ذكر اسناد رواية المسيّب.

٩ ـ ص ١٧٢ قال:

... عن أبيه عن نافع قال قرأت...

وفي المخطوط:

... عن أبيه عن نافع وقال قرأت...

١٠ ـ ص ١٧٢ أيضاً قال:

... وقال قرأت بها على عبدالباقي بن الحسن وقال قرأت بها...

وفي المخطوط:

وقال لي قرأت بها على عبدالباقي بن الحسينَ (كذا) وقال لي قرأت بها...

١١ ـ ص ١٧٧ قال:

وقرأت القرآن كله على فارس بن أحمد وعلى غيره، وقال لي فارس بن أحمد وقرأت بها على عبدالباقي بن الحسن أحمد ابن عثمان المقريْ. وأما رواية الحلواني...

وفي الاصل المخطوط:

وقرأت بها القرآن كله على فارس بن أحمد وعلى غيره، وقال لي فارس بن أحمد قرأت بها على عبدالباقي بن الحسين (كذا) وقال قرأت على ابراهيم بن عمر المقريْ وقال قرأت على أبي الحسين أحمد بن عثمان المقريْ وقال قرأت على أبي حسان أحمد بن محمد وقال قرأت على أبي نشيط وقال قرأت على قالون وقال قرأت على نافع. وأما رواية الحلواني...

١٢ ـ ص ١٧٩ قال:

وقال قرأت القرآن كله على شيخنا..

وفي الاصل المخطوط.

وقال قرأت بها القرآن كله على شيخنا..

١٣ ـ ص ١٨٠ قال:

وقال لي قرأت بها على الحسن بن صالح ومحمد بن حمدون وقال لي قرأت على أبي عون الواسطي...

وفي المخطوط:

وقال لي قرأت بها على الحسن بن صالح ومحمد بن حمدون وقالا لي قرأنا على أبي عون الواسطي...

١٤ ـ ص ١٨٢ قال:

واما رواية القاضي فحدثنا بها طاهر بن غلبون قراءة مني عليه قال حدثني أبي رحمه الله قال حدثنا محمد قال حدثنا ابن مجاهد قال حدثنا القاضي عن قالون عن نافع. وقرأت بها...

وفي الأصل المخطوط:

واما رواية القاضي فحدثنا بها طاهر بن غلبون قراءةً مني

عليه قال حدثنا أبي رحمه الله قال حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال حدثنا اسماعيل القاضي عن قالون عن نافع وحدثنا بها أيضاً محمد بن أحمد قال حدثنا ابن مجاهد قال حدثنا القاضي عن قالون عن نافع، وقرأت بها. . .

١٥ ـ ص ١٨٨ قال:

فأما رواية عبدالصمد.

وفي المخطوط:

وأما راوية عبدالصمد.

١٦ ـ ص١٩٢ قال:

وقرأ مواس على يونس بن عبد الاعلى وعلى داود بن أبي طيبة وقال على ورش وقال ورش على نافع.

وفي المخطوط:

وقرأ مواس على يونس بن عبدالاعلى وعلى داود بن أبي طيبة وقرءا على ورش وقرأ ورش على نافع:

١٧ ـ ص ١٩٩ قال:

وحكي لي ذلك عن قراءته.

وفي المخطوط:

وحكىَ لي ذلك عن قراءته.

١٨ ـ ص ٢٠٢ قال.

وسكنها في عدا هذه الثلاثة.

وفي المخطوط.

وسكنها فيما عدا هذه الثلاثة.

١٩ ـ ص ٢٠٤ قال:

وعند الفواصل ونحو قوله: ان كنتم تعلمون، و: بارئكم فاقتلوا، وشبهه، وقرأ ورش. . .

وفي المخطوط:

وعند الفواصل نحو قوله: ان كنتم تعلمون، و: بربكم فاسمعون، وشبهه، وقرأ ورش. . .

٢٠ ـ ص٢٠٩ قال.

و (ياصالح اتينا).

وفي المخطوط.

و (يا صالح ايتنا).

٢١ ـ ص ٢٠٩ أيضا قال:

و (ياكل) و (يامر) و (استاجره) و (ان خير من استأجرت).

وفي المخطوط:

و(ياكل و (يالمون) و (استأجره إن خير من استاجرت).

٢٢ ـ ص ٢١٠ قال:

و (فاتنا) و (مامون) و (ماكول) و (يؤخرهم) و (لاتؤاخذنا) وشبهه حيث وقع.

وفي المخطوط:

و (فاتيا) و (مامون) و (ماكول) وشبهه، وكذلك (فليودّ) و (يُوَيّد) و (يُوَدّ) و (مُوَجّلا) و (يُوَخرهم) و (لاتُواخذنا) وشبهه حيث وقع.

٢٣ ـ ص ٢١٠ أيضاً قال:

نحو (المأوى) و (مأويهم) و (ماويه) و (فأووا).

وفي المخطوط:

نحو (الماوى) و (ماويهم) و (ماواه) و (فاوي).

٢٤ ـ ص ٢١١ قال:

ومن المتحركة نحو قوله تعالى: (تؤزهم أزاً) و (ولايؤده حفظهما).

وفي المخطوط:

ومن المتحركة نحو قوله تعالى: (تؤزهم أزاً) و (ولايئوده حفظهما).

٢٥ ـ ص ٢١٢ قال:

وقرأ ورش في رواية الاصبهاني بترك كل همزة ساكنة سوا كان فاء اوعيناً او لاماً في جميع القرآن نحو (المأوى) و (مأويهم). . .

وفي المخطوط:

. . . سواء كانت فاء. . . نحو (الماوى) و (ماويهم). . .

٢٦ ـ ص ٢١٤ قال:

و (الملث) وماكان مثله.

وفي المخطوط:

و(الملئت) و (سؤلك) و ما كان مثله.

٢٧ ـ ص ٢١٤ أيضاً قال:

وكذلك اذا سكنت الهمزة للامر نحو (انبئهم) و (اقرأ) (هيئْ لنا) فهمز ذلك.

وفي المخطوط:

وكذلك . . . نحو (انبئهم) و (نبئهم) و (اقرأ) و (هيئ لنا) وشبهه، فهمز ذلك.

٢٨ - ص ٢١٥ قال:

واستثنى أيضاً من جملة الساكنة (إلا نبأتكما) في يوسف، و (قرأت) حيث وقع، و (قرءانه) في القيامة.

وفي المخطوط:

واستثنى . . . و (قرأت) حيث وقع، و (قرأناه) في القيامة.

٢٩ - ص ٢١٦ قال:

وروى ايضاً عن ورش ترك الهمزة المحركة في نحو قوله تعالى: (كانه) و (كأنهم) وكائن) . . . و (فانت) و (فانتم) . . . و (رأيته) و (رأيتك) و (رأيته) و (رأيتك) و (رأيته) و (أرأيتموه) (فلما رأينه) (فلما رآته) و (ملئت حرساً) و (إن ناشئة الليل) حيث وقعت هذه الحروف.

وفي المخطوط:

وروى ايضاً . . . و (كأنهم) و (كأين) . . . و (أفأنت) و (أفأنتم) . . . و (رأيته) و (أرأيتك) و (لرأيته) و (لرأيتموه) (فلما رأينه) و (فلما رأته) و (ملئت حرساً) و (إن ناشئة الليل) حيث وقعت هذه الحروف.

٣٠ - ص ١٧، قال:

. . . مالم تتحرك بالفتح وينكسر ما قبلها ويضم ما قبلها . . .

وفي المخطوط:

. . . مالم تتحرك . . . أو يضم ما قبلها.

٣١ - ص ٢١٨ قال:

. . . تفرد بها اذن كله عن ورش . . .

وفي المخطوط:

. . . تفرد بهذا كله عن ورش . . .

٣٢ - ص ٢٢١ قال:

وتابع المسيب ورشاً على ترك الهمزة في قوله تعالى: (وبئر معطلة) . . .

وفي المخطوط:

وتابع المسيب . . . (وبير معطلة) . . .

٣٣ - ص ٢٢٥ قال:

باب ذكر مذهب ورش في القاء حرك الهمز على ما قبلها من السواكن . . .

وفي المخطوط: باب . . . حركة الهمزة . . .

٣٤ - ص٢٢٥ أيضاً قال:

. . . و (من شيئ اذا) و (خلوا إلى شياطينهم) . . .

وفي المخطوط: . . . و (من شئ إذ كانوا) و (خلوا الى شياطينهم) . . .

٣٥ - ص٢٢٨ - ٢٢٩ قال: وما كان مثله من لفظة خاصة . .

٣٦ - ص ٢٢٩ قال:

وبالوجهين أخذ في ذلك في رواية اسماعيل وطريقه.

وفي المخطوط:

وبالوجهين . . . رواية اسماعيل من طريقه.

٣٧ - ص ٢٣٥ قال:

كان ورش يسهل الثانية من الهمزتين المتلاصقتين ؛ يدخل بينها الفاً، وسواء كانت المدخلة مفتوحة او مكسورة مضمومة . . .

وفي المخطوط:

كان ورش يسهل . . . وسواء كانت المسهلة مفتوحة . .

٣٨ - ص ٢٣٧ قال:

. . . والباقون لايدخلون الفاً في ذلك، فرقوا بـ المضمومة وبين غيرها، وقرأ ورش . . .

وفي المخطوط:

والباقون . . . وبين غيرها لثقلها، وقرأ ورش . .

٣٩ - ص ٢٤٠ قال:

وقرأ ورش والحلواني عن قالون بتسهيل الهمزة الثانية ؛ الهمزتين المتفقتين . . .

وفي المخطوط:

وقرأ . . . الثانية من الهمزتين . . .

٤٠ - ص ٢٤٢ قال:

. . . عن قراءته في رواية يعقوب . . .

وفي المخطوط:

. . . في رواية أبي يعقوب . . .

٤١ - ص ٢٤٤ قال:

وقد قرأت على غير أبي الفتح الحلواني عن قالون . . .

وفي المخطوط:

وقد قرأت . . . للحلواني . . .

٤٢ - ص ٢٤٥ قال:

ذكر قولهم في تمكين حروف المد واللين بزيادة عند القائهن الهـ

وفي المخطوط:

باب ذكر قولهم... عند لقائهن الهمزات.

٤٣ - ص ٢٤٦ قال:

فالمتصل نحو... و (هاؤم اقرءوا). والمنفصل نحو...

وفي المخطوط.

فالمتصل نحو... و (هاؤم اقرءوا) وشبهه. والمنفصل نحو...

٤٤ - ص٢٤٦ أيضاً قال:

...وسواء ظهرن مخففات او محققات أو ألقي حركتهن على الساكن قبلهن أو أبدلهن، نحو...

وفي المخطوط.

... وسواء ظهرن... أو ألقىَ حركتهن على ساكن قبلهن أو بدلهن، نحو...

٤٥ - ص ٢٤٧ قال:

... (بايمن) و (أيمن) و (لايلاف قريش) و (ايلافهم) و (مستهزءون) و (هؤلاء) و (من السماء أية) وشبهه. ما لم يقع حروف مدولين. والباقون يمكنون ذلك...

وفي المخطوط.

... (بايمان) و (أيمان) و (لايلاف قريش) و (ايلافهم) و (مستهزءون) و (فادرءوا) و (من آمن) و (قالت اولاهم) و (هؤلاء آلهة) و (من السماء إية) وشبيهه. مالم يقع قبل الهمزات ساكن غير حروف مدولين، والباقون...

٤٦ - ص٢٥١ قال:

... بالادغام في الضاد والظاء خاصة في جميع القرآن...

وفي المخطوط.

... بالادغام في الضاد والظاء في جميع القرآن...

٤٧ - ص ٢٥٢ قال:

... في موضع واحد في البقرة (قد تبين) لاغير...

وفي المخطوط.

... في موضع واحد في البقرة وهو قوله (قد تبين الرشد) لاغير...

٤٨ - ص ٢٥٢ أيضاً قال:

... و (لقد تركن) وشبهه.

وفي المخطوط.

... و (لقد تركنا) وشبهه.

٤٩ - ص ٢٥٨ قال:

وهذا جميع اختلافهم...

وفي المخطوط.

فهذا جميع اختلافهم...

٥٠ - ص ٢٦١ قال:

.. في رواية القاضي وأبي عون على الحلواني عنه...

وفي المخطوط.

... وأبي عون عن الحلواني عنه...

٥١ - ص ٢٦١ أيضاً قال:

... و (ترى) و (يتوارى) وشبهه.

وفي المخطوط.

... و (نرى) و (نراها) و (يتوارى) وشبهه.

٥٢ - ص ٢٦١ أيضاً قال:

... في (والنازعات): (من ذكرها)...

وفي المخطوط.

... في (والنازعات): (من ذكراها)...

٥٣ - ص ٢٦١ أيضاً قال:

... و (الابرار) و (حمار) و (الجار)...

وفي المخطوط.

... و (الابرار) و (ختّار) و (الجار)...

٥٤ - ص ٢٦٢ قال:

... بامالة فتحة الكاف قليلاً من الكفرة اذا كان...

وفي المخطوط.

... بامالة... من الكافرين اذا كان...

٥٥ - ص ٢٦٢ أيضاً قال:

... باخلاص فتحة الهاء لهم.

وفي المخطوط.

... باخلاص فتحة الهاء والياء لهم.

٥٦ - ص ٢٦٢ أيضاً قال:

... من رواية ان سعدان... عن أبي عمرو عن اسماعيل.

وفي المخطوط.

... من راويـة ابن سعـدان... عن أبي عمـر عن اسماعيل.

٥٧ ـ ص ٢٦٣ قال:

... و (المعصرات) و (المدبرات) (الـذكـر) و (السمر)... و (لاخيراً) و (يسيراً) وشبهه... و (أرمذات العاد)... يخلص الفتح في ذلك...

وفي المخطوط.

... و (المعصـرات) و (المدبـرات) و (الـذكـر) و (السحر)... و (لاضير) و (يسيراً) وشبهه... و (ارم ذات العماد)... يخلص الفتح في الراء في ذلك...

٥٨ ـ ص ٢٦٤ قال:

... مع الصاد والظاء اذا تحركت بالفتح... في مذهب تفخيمها مع الهاء نحو الطلاق... مع الثلاثة احرف حيث وقعت.

وفي المخطوط.

... مع الصاد والظاء اذا تحركتا بالفتح... في مذهب تفخيمها مع الطاء نحو الطلاق... مع الثلاثة الاحرف حيث وقعت.

٥٩ ـ ص ٢٦٥ قال:

فرش الحروف.

وفي المخطوط.

باب ذكر قولهم في فرش الحروف.

٦٠ ـ ص ٢٩٦ قال:

... بتمكين الياء والواو يسيراً اذا انفتح ما قبلها مع الهمزة في كلمة واحدة...

وفي المخطوط.

... بتمكين الياء والواو يسيراً اذا انفتح ما قبلها وكانا مع الهمزة في كلمة واحدة...

٦١ ـ ٢٦٩ ايضاً قال:

... و (سوء) و (سوءة أخي) وشبهـه الحرفين في الكهف...

وفي المخطوط.

... و (السوء) و (سوءة أخي) وشبهه الاحرفين في الكهف...

٦٢ ـ ص ٢٦٩ أيضاً قال:

وقرأ... في راوية ابنه بضم الهاء بين (هو) وضمها (هي)...

وأقرأني ابو الفتح في رواية ابن فرح...

وفي المخطوط.

وقرأ... في راوية ابنه بضم الهاء من (هو) وكسرها (هي)...

وأقرأني أبو الفتح في روايته في رواية ابن فرح...

٦٣ ـ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ قال:

... بصلة الهاء بياء من قوله (عليه) مالم تلق... مالم تلق ساكناً

وفي المخطوط:

... بصلة... (عليه) حيث وقع مالم تلق...

٦٤ ـ ص ٢٧٠ قال:

... وقرأ الباقون بالاظهار وقرأ اسماعيل...

وفي المخطوط:

... وقرأ الباقون بالاظهار وقد ذكر، بأنهم وكأنهم ذكرا، وقرأ اسماعيل...

٦٥ ـ ص٢٧١ قال:

... بوصل هاء عليه في اللفظ في جميع القرآن... ذكرت أيضاً في الهمز.

وفي المخطوط:

... بوصل هاء عليه بياء في اللفظ في جميع القرآن وقد ذكرت (لِئَلّا) في الهمز.

٦٦ ـ ص ٢٧٢ قال:

... باسكان الهاء، وغيرهما بضمها.

وفي المخطوط:

... باسكان الهاء، وغيرهما يضمها.

٦٧ ـ ص ٢٧٢ أيضاً قال:

وقرأ اسماعيل وورش باثبات الياء في (اذا دعان) خا،

وقرأ اسماعيل وحده باثبات الياء في الأصل في قوله...

وفي المخطوط:

وقرأ اسماعيل وورش باثبات الياء في الوصل في

لداع إذا دعان) وروى أبو عون عن الحلواني باثبات الياء في (اذا
ان) خاصة. وقرأ اسماعيل وحده باثبات الياء في الوصل في
له . . .

٦ - ص ٢٧٧ قال:

. . . لأنه لايدخل هاهنا . . .

ي المخطوط:

. . . لأنه لايدخل في مذهبها في ذلك الف قبل الهمزة
سهلة وكذلك لايدخل ها هنا . . .

٦ـ ص ٢٧٧ أيضاً قال:

. . . و (نولّه) وقوله (ونصله) . . .

ي المخطوط:

. . و (نولّه) و (نصله) . . .

٧ - ص ٢٧٩ قال:

. . . فإن فارساً أقرأني لهما بياء.

ي المخطوط:

. . . فإن فارساً أقرأني لهما بصلة الهاء بياء.

٧ - ص ٢٨٠ قال:

اثبات الياء في الوصل في قوله تعالى (ومن اتبعان، وقل).

ي المخطوط:

اثبات . . . (ومن اتبعنِ وقل).

٧ - ص ٢٨٢ قال:

والنصب عنهم في الكتاب بالاسكان.

ي المخطوط:

والنصّ عنهم في الكتاب بالاسكان.

٧ - ص٢٨٦ قال:

بضم الهاء منه ضمة مختلسة

ي المخطوط:

بضم الهاء فيه ضمة مختلسة.

١ - ص ٢٨٦ قال:

. . . وغير ذلك من الاصول. وقرأت على غيره بالاسكان
ه آخذ.

ي المخطوط:

. . . وغير ذلك من الاصول، وأقرأني أبو الفتح عن
اءته في رواية أبي يعقوب عن ورش (ومحياي) بفتح الياء،

وقرأت على غيره بالاسكان وبه آخذ.

٧٥ - ص ٢٨٨ قال:

. . . و (فأذن مؤذن) و (كأنه) . . .

وفي المخطوط:

. . . و (فأذن مؤذن) و (فآمن) و (فآمنوا) و (كأنه) . . .

٧٦ - ص ٢٨٩ قال:

. . . وقرأ الباقون بحذفها.

وفي المخطوط:

. . . وقرأ الباقون بحذفها في الحالين.

٧٧ - ص ٢٩٢ قال.

. . . وقد ذكرت (الآن وقد خفف الله عنكم).

وفي المخطوط:

. . . وقد ذكرت ي (الآن خفف الله عنكم).

٧٨ - ص ٣٠٠ قال:

. . . باثبات الياء في الوصل: (فلا تسألن ما ليس لك به
علم) وقرأ اسماعيل وحده . . . (ولاتخزني في ضيفي).

وفي المخطوط:

. . . باثبات الياء في الوصل في قوله (فلا تسألن ماليس)
وقرأ اسماعيل وحده (ولاتخزون في ضيفي).

٧٩ - ص ٣٠٤ قال:

. . . فإن وقفوا خففوا الهمزة الاولى.

وفي المخطوط:

. . . فإن وقفوا حققوا الهمزة الاولى.

٨٠ - ص ٣٠٥ قال:

باثبات الياء في الوصل، وحذفها الباقون، وبالله التوفيق.

وفي المخطوط:

باثبات الياء في الوصل وحذفها الباقون في الحالين وبالله
التوفيق.

٨١ - ص ٣٠٩ قال:

واختلفوا في ادخال الف الاستفهام تقدم أو تأخر، فردى
ورش ادخال الألف.

وفي المخطوط:

واختلفوا . . . فروى ورش ترك ادخال الالف.

٨٢ - ص ٣١٤ قال:

في قوله تعالى: (الى شيْ نكرا) في القمر.

وفي المخطوط:

في قوله تعالى: (الى شيْ نكر) في القمر.

٨٣ ـ ص ٣٢٠ قال:

وقرأ المسيب... بضم الهاء وقرأ الباقون بكسرها.

وفي المخطوط:

وقرأ المسيب... بضم الهاء في الوصل ضمة مختلسة وقرأ الباقون بكسرها.

٨٤ ـ ص ٣٢١ قال:

وقرأ اسماعيل وحده (الا تتبعان أفعصيت أمري) بفتح الياء في الوصل.

في المخطوط:

وقرأ اسماعيل وحده (الا تتبعن أفعصيت أمري) بفتح الياء في الوصل.

٨٥ ـ ص ٣٢٦ قال:

... بصلة الهاء بالواو، وقرأ ورش...

في المخطوط:

... بصلة الهاء بالواو، وقرأ الباقون بحذفها، وقرأ ورش...

٨٦ ـ ص ٣٢٦ أيضاً قال:

... بكسر اللامين. وقرأ الباقون باسكانها وقرأ المسيب وورش (وبئر معطلة) بغير همز...

في المخطوط:

... بكسر اللامين، وقرأ الباقون باسكانها وقرأ المسيب وورش (وبير معطلة) بغير همز...

٨٧ ـ ص ٣٣٠ قال:

... هنا وفي الاحقاف بفتح الياء في رواية أبي عون...

في المخطوط:

... هنا وفي الاحقاف بفتح الياء، وكذلك أقرأني أبو فتح في رواية أبي عون...

٨٨ ـ ص ٣٣١ قال:

... و (أن يكذبون) و (من فزع يومئذ)...

في المخطوط:

... و (أن يكذبون) و (ثم هو يوم القيامة) و (ويكأن الله)

و (ويكأنه) و (من فزع يومئذ)...

٨٩ ـ ص ٣٣٢ قال:

... وقرأ ورش... و (بيوت النبيْ إلا) بتخفيف الهمزة الاولى وتخفيف الثانية.

وفي المخطوط:

وقرأ ورش... و (بيوت النبيْ إلا) بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية.

٩٠ ـ ص ٣٣٢ ايضاً قال:

وقرأ الباقون فيهما بقلب الاولى ياء مكسورة وادغام الياء الساكنة التي قبلها على مذهبهم في الهمزتين المكسورتين.

وفي المخطوط:

وقرأ... وادغام الياء الساكنة التي قبلها فيها على مذهبهم...

٩١ ـ ص ٣٣٢ أيضاً قال:

... وتحقيق الهمزة بعدها. والباقون وورش في رواية الاصبهاني يلغي حركتها على الواو فتتحرك بها...

وفي المخطوط:

... وتحقيق الهمزة بعدها. وقرأ الباقون وورش في رواية الاصبهاني باسكان الواو وتحقيق الهمزة بعدها في الموضعين، الا ان الاصبهاني يلقي حركتها على الواو...

٩٢ ـ ص ٣٣٢ أيضاً قال:

وقرأ اسماعيل وورش في رواية الاصبهاني (لكاذبون) و (اصطفى البنين) بوصل الالف. ويبتدئها بالكسر.

وفي المخطوط:

وقرأ اسماعيل وورش في رواية الاصبهاني (لكاذبون اصطفى البنات) بوصل الالف ويبتدآنها بالكسر.

٩٣ ـ من ٣٣٦ قال:

... في رواية ابن سعدان (يرضيه لكم).

وفي المخطوط:

.. في رواية ابن سعدان (يرضه لكم).

٩٤ ـ ص ٣٣٦ ايضاً قال:

... بصلة الهاء في الزمر.

وفي المخطوط:

.. في الزمر بصلة الهاء بواو.

٩٥ ـ ص ٣٣٧ قال.

وقرأ ورش وحده... (وان لم يؤمنوا لي فاعتزلون) بفتح الياء.

وفي المخطوط:

وقرأ ورش وحده... (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) بفتح الياء.

٩٦ ـ ص ٣٣٧ أيضاً قال:

وذكرت (إن انا الا نذير) الاعراف.

وفي المخطوط:

وذكرت (وما «كذا» انا الا نذير) في الاعراف.

٩٧ ـ ص ٣٣٧ ايضاً قال:

وقد ذكرت (الفؤاد).

وفي المخطوط:

وذكرت (الفؤاد).

٩٨ ـ ص ٣٣٧ أيضاً قال:

وقرأ الباقون بغير همز وقرأ ورش...

وفي المخطوط:

وقرأ الباقون بغير همز وبذلك أقرأني أبو الفتح في رواية أبي عون عن الحلواني، وقد ذكرت (فبأي آلاء ربكما) و (فبأي آلاء ربكم) و (كأنهم) و (كأنهن) في الهمز، وقرأ ورش...

٩٩ ـ ص ٣٣٨ قال:

... و (كتابي)...

وفي المخطوط:

... و (كتابي اني)..

١٠٠ ـ ص ٣٣٩ قال:

وقرأ ورش وحده (جابوا الصخر بالوادي) بالياء في الوصل.

وفي المخطوط:

وقرأ ورش وحده (جابوا الصخر بالواد) بالياء في الوصل.

١٠١ ـ ص ٣٣٩ ايضاً قال:

وقرأ اسماعيل في رواية أبي الزعراء (ولي دين) في الكافرون باسكانها وفتحها الباقون.

وفي المخطوط:

وقرأ اسماعيل... في الكافرين باسكان الياء وفتحها الباقون.

وبعد فهذا ما بدا لنا من خلاف بين المطبوع والمخطوط ونرجو ان ييسر الله لنا اخراج الكتاب محققاً على نسخه الثلاث وقت قريب انه سميع مجيب.

المصادر:

١ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي.

٢ ـ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع تحقيق د. التهامي الراجي الهاشمي ط المحمدية ١٩٨٢.

٣ ـ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع مخطوط الخزانة بالرباط رقم ١٥٣٢ د.

٤ ـ غاية النهاية ـ ابن الجزري ـ تحقيق برجستراسير.

٥ ـ هدية العارفين ـ اسماعيل البغدادي.

* * *

تعقيب عرضي على بحث

مفهوم التراث العلمي العربي

للمرحوم د. ياسين خليل

المنشور في مجلة المورد التراثية، العدد ٣، المجلد ١٨
١٤١٠هـ/ ١٩٨٩، ص ٣٦ - ٤٠

طاهر جاسم التميمي
باحث علمي متقاعد

أولاً: ملاحظ تمهيدية:

١ - اثار عنوان البحث اهتمامي فقرأته غير مرة لأستشف قصد الكاتب الكريم من خلال سطوره وما تحمله من افكار ومعان، غير أنني لم اقع على ضالتي، ولم أجد الا نتفاً وتفاريق من مترادفات لغوية واصطلاحية جاء معظمها على غير مضمونه اللغوي الاصطلاحي الدقيق.

٢ - جاء البحث مبتوراً، لم يبلغ نهايته التي أشار اليها العنوان، وقد تكون ثمة صفحات قد سقطت عند الطباعة، أو ان الباحث الكريم رحمه الله قد اراد بهذا التمهيد لما يأتي كجزء ثان متمم لما ابتدأه. وهو الغالب عندي.

٣ - اطلقت لفظة بحث من باب المجاز التقريري على أساس ما اعتمده الباحث الفقيد من تبويب لمنهجيته وتفريعاته...)
غير ان الحق ان ما قرأته لايخرج عن نطاق المقالة العلمية الرصينة بكل ما في المقالة من دلالة لغوية واصطلاحية.

٤ - اشارتكم الى المادة كونها دراسة فيها مجانبة للصواب والامانة العلمية، لأن الدراسة كالبحث لها قواعدها وأصولها ومنهجيتها سواء في الجانب الشكلي أو في الجانب الموضوعي الذي يمثل العمود الفقري للمادة الدراسية، أو قيد البحث، وموضوع زميلنا الفقيد لايرقى الى مستوى البحث او الدراسة البتة عدا كونه مقالة (قيمة).

ثانياً: بعض الاستدراكات العلمية:

١ - أغرق الزميل الباحث رحمه الله باستطرادات واسترسال، ا
من خلالها الوقوف بنا عند تعريف جامع ولكنه غير مانع لما
التراث في معناه اللغوي والاصطلاحي ومدلوله الحضار
فتداخلت عنده العموميات والخصوصيات والذاتي والموضو
ولم يستطع أن يدلنا على القصد النهائي من خلال التداخ
الوظيفي المادي والاعتباري لمعنى التراث، فهو اذ ينظر اليه بص
الشائعة [في اللغة «ان التراث» مصدر لفعل ورث، ومعنا
يخلفه الميت لورثته، الميراث تركة الميت...] نجده يقول [ول
نجعل من لفظة التراث مصطلحاً علمياً ننقله من معناه الا
لتكسبه معنى جديد. ولذلك ستسير مخطوطات متلازمة لت
معنى التراث بدقة تامة... لنبدأ بالقول ان التراث هو ما
الاسلاف لورثتهم من الابناء... بغض النظر عن قيمته ا
والمعنوية، وهذا يدل بوضوح على ان التراث بمجرد تركة
فليس التراث تركة مادية يخلفها الاباء لابنائهم... ولا يمك
تكون التركة المادية مرادفة للتراث، والتركة مجموعة من المخا
المادية التي قد لايكون لها قيمة معنوية*...] ثم نجده مرة أ
يربط بين التركة والشعب الذي خلفها في مرحلة من مرا
تطوره الحضاري والتأريخي، وكون هذه التركة ذات ق
مهمة... وقد اشترط لربط التركة بالتراث توفر عاملين،
الزمان والمكان، وعامل القيمة التأريخية والحضارية... ثم:

نا منحىٰ تحكمياً ليصل بين التركة كجزء من مفهوم التراث وبين لاثار أو الشواهد، واذا التراث يصبح عندئذ [مجموعة الاثار التي نلفها الاسلاف الىٰ الابناء] وبعد جملة تسويفات يضع لنا تعريفه لعام عن التراث بصفته [هو مجموعة الاثار التي تمثل عطاء لانسان في مرحلة تأريخية معينة، وفي منطقة معينة مارس عليها لانسان فعالياته المختلفة، مخلفاً انجازاته التي تمثل بالنسبة لنا يمة تأريخية وحضارية علىٰ أساس انها تعكس عطاء الانسان لحضاري في الماضي الذي لاينقطع صلتنا به. . .] وهكذا سترسل بنا حتىٰ المبحث الثاني/ لماذا ندرس التراث؟.

ـ المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي للتراث:

جاء في المعنى اللغوي والدلالي (المصطلح) ان التراث كما ي المعاجم اللغوية مشتق من الفعل (ورث) أو هو من (ارث) و وارث)، وكلها في معنىٰ واحد، بيد ان اللغويين عادة مايفرقون ين الميراث والأرث) فجعلوا (الميراث في المال). (والارث في لحسب)، ولصداق ذلك ان النبي (ﷺ) بعث ابن مربع لانصاري الى أهل عرفة، فقال: [اثبتوا علىٰ مشاعركم هذه انكم على أرثٍ من ارث ابراهيم (ع)]. . . ونعلم بان ارث براهيم(ع) ليس مالاً ولكنه [نبوة وعلم وهداية]. . . وفي رأي كثر أهل اللغة معرفة بأصل التراث وجذرها ان الارث تحتمل لمعنيين: (وراثة المال، ووراثة العلم والدين)، وجاء في الكتاب لمجيد ما يرشدنا الى هذا «يرثني ويرث من آل يعقوب» [والمراد وراثة النبوّة وليس المال]. . . ومصطلح (تراث) أصله (وارث) نقلبت الواو تاء، فاصبحت ـ تراثاً ـ والتراث ـ بالمعنىٰ لاصطلاحي ـ لم يرد في القرآن الكريم الا مرة واحدة في قوله جل وعلا «وتأكلون التراث أكلاً لمّاً» والمراد به [المال ولم يقصد سبحانه العلم والدين]، ولكن مدلول التراث تطور فقصر علىٰ ماورث من قيم وعادات وأخلاق وسلوك وحضارات وانجازات علمية وأدبية ومنجزات ثقافية علىٰ وجه العموم. . . ومن المفيد التذكير بان [التراث هو كل ما خلفه السابقون من آداب وعلوم وفنون وهو لايقتصر علىٰ زمن معين، لانه ليست هنالك حدود قائمة لتاريخ أي تراث]، وقد عد بعض الكتاب المعاصرين [ان شعر شوقي وحافظ والرصافي والزهاوي وحديث عيسىٰ ابن هاشم وفكر المازني والعقاد وطه حسين ومصطفىٰ جواد. . . هو علىٰ وجه الدقة جزءاً من تراث الأمة له حرمته وقدسيته ومكانته]. . .

بدليل ان التراث فكر موصول ممتد الى عصرنا ويومنا ولاشك ان الحواجز والحدود التأريخية والزمانية ـ المكانية قد تلاشت ولم تقف دون وصوله الينا بالرغم من الفواصل المتعددة علىٰ صعيد الزمان والمكان أيضا. . . وقد ذهب آخرون [الى عد الوحي أي القرآن كأساس فعال في مكونات التراث، ولكنه تراث غير خاضع للنقد، أو هو فوق النقد، لأنه كلام الله، وكلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ولايجوز البته أن يتطرق اليه الفكر الانساني بالتقويم والتعديل والنقد والتكييف والملاءمة ترتيباً علىٰ انه فوق ما يجري التراثيون في النقد] اما الحديث النبوي الشريف فما كان حديثاً قدسياً بأمر الدين فهو كالقرآن عزة ومنعة لان صاحبه الرسول عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم «ما ينطق عن الهوىٰ ان هو الا وحي يوحىٰ» اما أحاديث الرسول الكريم الأخرىٰ، فهي عرضة للجرح والتعديل، ومطابقة الاسناد والمتن، وقد يتفق على المتن، ويطعن بالاسناد إذا كان الحديث احاد، أو قد يقبل السند، ويرفض المتن لأنه لايتفق مع حكم المطابقة بين المعقول والمنقول؟ ذلك ان بعض وعاظ السلاطين حرفوا متون الاحاديث الشريفة، ووضعوا أحاديث على لسان الرسول (ﷺ) لتوسيغ حكم السلاطين والملوك، يقول الشيخ محمد الغزالي [أرفض ان أربط مستقبل الاسلام وأمته تارة بحديث سقوط الذباب في الاناء، وتارة بحديث خلع عين ملك الموت من قبل النبي موسىٰ (ع) عندما زاره لينتزع روحه] ويذهب الى القول أيضا [فهناك أحاديث موضوعة مرت، وأحاديث ضعيفة قويت، وأحاديث صحيحة حُرّفت عن موضعها، وسبقت في غير محلها انظر جريدة القبس الكويتية/ العدد ٦٢٦٤ في ٢٧/١٠/١٩٨٩/ ص١٠، وللمقارنة، انظر الدكتور يوسف قاسم/ مبادئ الفقه الاسلامي/ مطبعة النهضة، القاهرة ١٩٨٤/ الاحاديث النبوية واختلاف أئمة المسلمين].

وسنترك الكتاب والسنة عند هذا، ونعود الى التراث كرة اخرىٰ تأسيساً علىٰ ان التراث يمثل فضلاً عن القيم والمعتقدات جملة النتاج الفكري الانساني، والتراث العلمي العربي والاسلامي هو ما وصلنا بالعربية (اللغة) بصرف النظر عن العرق، [اي ان ما كتب بالعربية تراث عربي، وان كان الكتاب من غير العرب ممن اندمجوا في الثقافة العربية الاسلامية وشعروا بالولاء لها، والانتماء للحضارة] التي حققتها على مر العصور ويضيف الدكتور محمد واصل الظاهر/ ندوة التراث وثقافة

أمة/ المجلة العربية للعلوم الانسانية/ جامعة الكويت، العدد ٣، المجلد ٩، صيف ١٩٨٩، ص١٩٣ وما يليها [وقد يتنكر مض ممن أسهموا في الثقافة العربية أو التراث العربي فيما بعد سباب سياسية، بعضها شعوبي وبعضها عرقي . . . ولكن يجب ، لايأخذنا اي انفعال لكي نبدل التعريف الخاص بنا، لفارسي أو الهندي الذي كتب في العلوم العربية هو ضمن تراث العلمي العربي، ومن الصعب جداً ان يكون هناك اي اث أو حضارة . . نستطيع أن نقول بان الذين كتبوا فيها ينتمون بهم الى ذلك العرق.

فالحضارة اليونانية مثلاً أسهم فيها يونانيون وأسهم فيها وام (آخرون)]، ويعقب على رأي الدكتور واصل جدير الندوة يؤكد على اهمية الفصل بين مفهوم [illegible] ان لحضارة في المفهوم الغربي [illegible] شياء المادية الملموسة بعيداً عن الجوانب النظرية كالروحانيات لا أما بالنسبة لنا (كعرب) فان للثقافة جانبين، احدهما جانب ي معنوي ملموس يتمثل في العلوم، وثانيهما جانب أدبي وهو ذي يهتم بالعلوم النظرية].

ـ مكونات التراث:

لم يعرف الأوربيون معنى تواضع عليه الناس ككلمة اث عدا الاهتمام بالثقافة بصفتها شيئاً منقطعاً قد حدث قبل ا العصر، وبعد النهضة الأوربية استخدم التراث لابصفته وماً أساسياً للنهوض، كشأنه عند العرب، بل انه جملة ما نقله لف من السلف وقد استبعدوا الدين والروحانيات، وكرسوا نظة على المعطيات المادية حسب، ونزعم بان مكوناته تتعدد عدد زوايا التناول والعرض . . . فهو عند الدكتور عبد الله نيم [مجمل النتاج الانساني لأمة، أو لمجموعة من الشعوب. مل على :ـ

لنتاج العلمي ـ النتاج الثقافي ـ القيم والتقاليد . ويعزز رأيه ، القيم والتقاليد تعبير سلوكي يمنح صاحبه أو اهله الهوية شخصية . . ويذكر ان الاوربيين أفادوا من تراث اليونان رومان والعرب، ولكن جذورهم لم تكن ممتدة امتداد جذور رب لافتقارهم الى عنصر التوحيد، وهذا مفهوم آخر يشكل دة لمعنى التراث، وآية ذلك ان التوحيد معطى في العوامل سية والحضارية، وهذا المزيج هو الذي يعطي للتراث نكهته صة، وسيرورته التكاملية على شتى الصعد].

اما الدكتور واصل فيرى مكونات التراث :ـ

ـ المعتقدات والعادات والتقاليد كنسيج وحدة .

ـ النتاج الفكري بجميع اشكاله وتعدد مستوياته (تطبيقي ونظري) وعلوم انسانية وطبيعية .

ـ وحدة اللغة والفكر كوعاء ناقل ومتفاعل مع مقومات التراث . وهنا يدخل تفسير القرآن (لا القرآن) كجزء من التراث لأنه يمثل مسألة خلافية، وكل ما يخضع للعقل والاجتهاد بدليل ان [العقل وريث الوحي]. كما يرى المعتزلة [فهو من النتاج الانساني (لا السماوي)]. [وهو بعدئذ جزء من التراث لا يختلف عن العلوم الطبيعية والرياضية والجيولوجية والهندسية والجغرافية وعلوم النبات والحيوان والطب والادب والفنون الأخرى للنتاج [illegible] الفكري الابتكاري].

ـ [illegible] أوسع وأشمل من التراث، لكونها تقوم على ركيزة دينية تغذيها، ومساحة حضارية تستوعبها . . بالاضافة الى ان الثقافة تضم المسلم من أي عرق ولون ولسان، والمعتقد ان التركيز على الثقافة الخاصة مظهر من مظاهر الأنغلاق، اذ لاخصوصية في كل ما يخلقه الدين لانه جاء للناس كافة، وفضيلة العرب في الثقافة انها دونت وكتبت بلغتهم العربية، وليس لأنهم انتجوها وحدهم، وكلما ولده الاسلام فهو ذو أصول مشتركة بين القوميات التي تآلفت في وحدة الدين «انما المؤمنون اخوة»، وأية ثقافة لاتقوم على العقيدة والايمان وروح العلم والقيم والاخلاق الاسلامية ليست من الاسلام في شئ . . . فالثقافة اليونانية كانت حرف مخزون مادي من الأسس المدينة بحجمها الحضاري، والثقافة ـ الحضارة المعاصرة للعربي ليست من نسيجه بل هي مقحمة عليه ومفروضة ـ ولم تكن لتشكل مكونات تراثه للاجيال المقبلة، فالملابس والمعدات الانتاجية والاستهلاكية المعمرة، والكتب والجامعات والمآكل والمشارب من انتاج الآخرين، ويعمد العربي والمسلم على استيرادها بمقابل نقدي باهظ من غير أن ينتجها بعقله، ويصنعها بتصاميمه، وموارده وخاماته وبأيدي ابنائه . . . وهي ثقافات وحضارة مستوردة تمس الجانب السطحي من حيواتنا، ولايتفاعل معها الوعي الشعوري والعقلي ليبدعها ويطورها سواء بالاضافة أو الحذف أو التعديل، واعتقد جازماً بان ذلك كله لايعدو عن ثوب معار واعظم منه خطورة عربي الذات وضياع الهوية الشخصية، وما دام الاجنبي بثقافته وتقانياته وعلومه يشكّل واقعنا لنا من خارج ارادتنا أو رغبتنا، ومادمنا عاجزين عن تشكيل واقعنا بانفسنا، فان الحال تنبئ بشر

مستطير. . ويكفي ان نلقي نظرة سريعة لزمن الهوة الحضارية بيننا وبين الدول المتقدمة، ونكتشف الفجوة التقانية (التكنولوجية) والغذائية والعلمية والاقتصادية، وحالات الانكشاف الاقتصادي والأمني الستراتيجي والجيوستراتيجي ناهيك بالطبيعة التواكلية والاعتماد على ما ينتج الآخرون. . وأبسط دليل نسوقه ههنا ان اللغة العربية المصدر الأساسي للثراء الفكري والنفسي والوجداني (الحضاري والثقافي) لم تدخل الى مجال التدريس كلغة عربية سليمة فصحى امام شجمة العامية، واصرار المعلمين والمدرسين وتدريسيي الجامعات على المحاورة والتدريس باللهجات الدارجة العقيم، وغدت الجامعات بحسب توزيعها الجغرافي تخضع للهجة المحلية للمحافظة التي تتواطن فيها، فابن البصرة يتخدث بلهجة البصرة العامية في قاعة الدرس ـ الجامعي، وفي الموصل، وبغداد، وصلاح الدين. . . الخ. . . حتى أن التدريسي الذي يتحدث بالفصحى يتعرض الى المضايقة والتجريح والتشنيع من قبل زملائه واقرانه. . وعلى الرغم من اصدار قانون للحفاظ على اللغة وسلامتها، الا ان اللغة ما زالت في واد وأهل العلم والثقافة في واد آخر سواء على صعيد المدارس والجامعات، أو الصحف والمجلات ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة. . . وقد بح صوت أهل الخير ومحبي اللغة من لفت النظر الى فشو اللحن والعجمة واستشراء الاغلاط في كل ما يكتب الباحثون والكتاب عبر ذلك الادباء الذين انساقوا وراء ما ابتدعه (سلفاً) رجال الصحافة، وارتجلوه غثاً وضغثاً من ابالة وأحسب بكل وعي بان الفصل بين اللغة والدين هو سبب هذه الكارثة التي تعصف بنا. [لان اللغة والدين يعدان أهم أعمدة توحيد الأمة]. . . واذا كان التعريب مطلباً قومياً ودينياً وحضارياً، فأن مؤسسات التعريب ما زالت قاصرة، بله عاجزة عن مواكبة الجديد واضافته الى لغتنا بكل ما فيها من حيوية وتجدد وأصالة، وبكل قدراتها العجيبة ثم الاشتقاق والتوليد والنحت. . . أما في مجال الترجمة، فان ما ترجم من الكتب يمثل أقصى درجات الركاكة والأسفاف، لعدم خضوع الترجمة لخطة علمية دقيقة. تعنى بالفكر المنقول للعربية ومدى حاجتنا اليه في الأدب بكل فنونه، والفن بكل مستوياته، والعلم بكل فروعه، ويسعفني الدكتور عبد الله الغنيم بقوله [وللأسف فان معظم الكتب التي ترجمت في مجال العلوم بصورة خاصة هي اكثر الكتب ركاكة واستغفالاً للقارئ واستغلاقاً على فهمه (حتى المثقف والمتخصص) خلافاً لما كانت عليه الحال ايام

(ابن رستة) وليس هناك توجه واضح المعالم كما فعل المأمون عل سبيل العلوم المثال في دار الحكمة]. . وهذا القول جد صحيح فان واقعنا التأريخي العربي الاسلامي يشير الى ان في اكثر عصور انحطاطاً (في المجال السياسي العصر المملوكي) نرى ان الثقا أزدهرت دلالة على حيوية اللغة وتجددها وخصبها المولد للفك والثقافة، [ولولا الافضاء الفكري لعوامل سياسية، ولولا غل باب الاجتهاد لكنا في حال غير حالنا اليوم] وهي حال لا تنبئ بانفراج قريب على المثاقفة الواعية كما فعل السلف الصالح، المصاهره الواعية وحوار الحضارات. . . اذ كل ما نفعله مجر مزايدات وزخرف من القول/ مقالنا عن القريب وشخصية الأ العربية/ آفاق عربية، العدد ٢، شباط ١٩٨٥]. وا ملاحظاتي هنا بالتوكيد على ما فعله الاسكندر الكبير الذي اح بعض مناطق الشرق الأوسط، وكان يرافقه خلالها اقليدس صاحب كتاب (أصول الهندسة)، وقد أمكن لهذا الغازي ينهب من مكتبات بابل كل تراثها العلمي الرائع في الرياضيات فدرسه ونقله الى اليونان، وعنى بترجمة اقليدس، ومثلما بالتراث البابلي، فقد سرق مكتبات مملكة آشور. وفي الحر الصليبية جرى ما جرى في حين دمر المغول والتتار كل مقو الحضارة العربية والاسلامية في غمرة لهو الحكام والسلا وانغماسهم بالترف والاسراف وقصور الحريم بعيداً عن الناس. . . الخ.

٢ ـ الغريزة والعقل في الانسان/ المبحث الثاني، ص٤٠ بعدها.

يقول الكاتب رحمه الله [الانسان كائن اجتماعي مت من ناحيتين، الناحية السلوكية بفضل استخدامه العقل من البناء دون الغريزة. . . بينما ضعفت الغريزة عند الانسان و العقل محركاً ودافعاً للعمل. . .].

ان قول الفقيد لو أخذ على علاتة فهو صحيح لاشك ذلك لكن تحليل مفاهيم الكاتب تتجافى مع الأساس ال لنفي الغريزة عن الانسان أو ضعفها، ولا نختلف مع الكات الغريزة قاسم مشترك بين الانسان العاقل والكائنات الحي الجمادات، وان ميزة العقل هي التي خصت الانسان بالتك والاستخلاف في الأرض. وفي الكتاب العزيز ثم آيات الى أهمية العقل وعلاقة هذا العقل بالعلم والمعرفة واست الأرض واستغلال مواردها ومنافعها من الطيبات، وقد

مفردات قرآنية تخص الحواس مجازاً، لكنها تعني العقل حقيقة، فالعين، والأذن، واللسـان، والانف، والجلد ليست مراكـز القرارات، بل هي نهايات مطرافية لاتكاد تختلف عنها الصورة المستنسخة للنهايات الطرفية في الحاسوب الآلي (Terminal Cnds) الغاية منها عملية الادخال (In put) لا الاحساس، لان الاحساس مركزه في العقل وواسطته شبكة واسعة من الاعصاب الحسية التي تنقل الاوامر والايعازات وردود الافعال الموازنة للافعال، وهذه الايعازات والأوامر وردود الافعال تدعىٰ الاخراج (المخرجات Out p) وهي كما قلنا ممثلة عملياً في جهاز الحاسوب مدخلات ← عمليات = العقل ← مخرجات ← وما تبقىٰ يخزن في العقـل اللواعي ثم اللاواعي، أو في ذاكرة الحاسوب، وقد ركز القرآن علىٰ الجانب الغـريزي لانـه مقياس للفـطرة التي جبل عليهـا الانسـان، فالغـريزة أو العقـل الغريـزي متقـدم علىٰ العقـل المكتسب، ويمكن استحضـار ذلك من تقـديم القرآن لحاسـة السمع علىٰ البصر، والبصر علىٰ الفؤاد (العقل)، بدلالة النشاط الوظيفي للسمع المتقدم علىٰ وظـائف الحواس الأخـرىٰ، وعلىٰ وظيفة العقل، الذي يأخذ باكتساب المعرفة البسيطة من نطاقها الحسي (ما تنقله الحواس) وصولاً الىٰ المعرفة العلمية التطبيقية علىٰ أساس العلم التجريبي). . ويمكن أن نستشهد باقوال مفكر من رواد علماء العرب المسلمين؟

اذ يقول ابن الماوردي [وأعلم ان العقـل المكتسب لاينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه]، ويضيف [وقد ينفك العقـل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل كالأنوك (الاحمق) الذي لاتجد له فضيلة]

رأيت العقل عقلين   فمسموعٌ   ومطبوعٌ
مكتسب   فطري

ولا ينفع مسموعٌ   اذا لم يك   مطبوع
كما لاتنفعُ الشمسُ   وضوء العين. . ممنوعِ

أي ان العقل الغريزي الموروث ينبغي له من وجود عقل مكتسب مستـوحىٰ من المحيط أو البيئة، ليكـون معبراً عن خواصها وخائصها المتعددة وحاجاتها العـديدة، ومتـوافقاً مـع ديناميتها المتحركة، وبخلاف ذلك فان العقل الغريزي اذا ظل علىٰ حاله منفرداً، فلا يخرج عن القوىٰ المحركة للبهائم في الفعل ورد الفعل، أو ان اهمها علفها وسفادهـا الأمر الـذي يقتضي الموازنة بين العقلين في الخاص والعام ومصداق ذلك ان الغريزي يمثل كابحاً للمكتسب الجموح في الوقت الذي يشكل المكتسب سيـاقاً حـركياً منـظماً فمن دائـرة الانسيـاق النفسـي ـ العقـلي ـ الجثماني.

وكل من أخطأته في موالـده   غريزة العقل حاكي البهم في الحسب
وان يكُ العقل مولوداً فلست أرىٰ   ذا العقل مستغنياً عن حادث الأدب
اني رأيتهـما كـالمـاء مختلطاً   بالترب تظهر منه زهرة العشب

واتساقاً مع هذا الرأي (للماوردي/ أدب الدنيا والدين). [نقـلاً عن/ جمـال حسـين الألـوسي/ الاسس النفسيـة لأراء الماوردي التربوية/ ط١، مطبعة بغداد، بغداد ١٩٨٨، ص٣٢ وما بعدها] نستعين باراء كاتب معاصر هو الشيخ محمد المظفر في كتابه (المنطق، مطبعة حسام، بغداد ١٩٨٢، ص١٢ وما بعدها) [مثلنا ان الله تعالىٰ خلق الانسان مفطوراً على التفكير مستعـداً لتحصيل المعارف بما أعطي من قوة عاقلة مفكرة يمتاز بهـا عن العجماوات. . فاذا ولد الانسان يولد وهو خالي النفس من كل فكرة وعلم فعلي سوىٰ هذا الاستعداد الفطري، فاذا نشأ واصبح يسمـع وينظر ويـذوق ويشم ويلمس نراه يحس بمـا حولـه من الاشياء ويتأثر بها التأثر المناسب فتنفعل نفسه بها. . . وتصبح مشغولة بحالة جديدة نسميها (العلم) وهي العلمْ الحسي. . . وهذا أول درجات العلم، وهو رأس المال لجميع العلوم، أو هو بهذا مشترك في علمه الحسي مع سائر الحيـوانات] وهـذا رأي الاستاذ الدكتور أزهر السماك وجماعته في كتابه/ اصول البحث العلمي/ مطابع جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٢، ص١٢ ـ ١٨) ولاسيما ازاء تركيزه علىٰ ان المعرفة الحسية هي أصل العلوم التي نعـرفهـا اليـوم. . . ولنبسط الصـورة للضـرورة، فنعمـد الى الاستشهاد ببيت شعر للبحتري يصف ذئباً تعرض له في البادية فقيمة دلالات عميقة مرت علىٰ الناس مروراً كريماً، ولم يفصحوا المعنىٰ العلمي ـ الحسي بالاشارة الىٰ ان الضوء أسرّع من الصوت كحقيقة علمية أثبتت في عصرنا الراهن. . وقد يكون البحتري نفسه استشعرها حسياً، ولم يعها فكريا:

عوىٰ ثم أقعىٰ فارتجزت منهجه
↓ ↓
سماع   نظر
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعدُ
↓
المقارنة المماثلة ضوء/ عين ⟵⟶ صوت/ أذن

ويضيف المظفر [ثم ترقىٰ مدارك الطفل فيتصرف ذهنه في

صور المحسوسات المحفوظة عنده فينسب بعضها الى بعض، هذا أطول من ذلك وهذا ضوء، وتلك ظلمة، ويؤلف بعضها من بعض تأليفا قد لايكون له وجود في الخارج كتأليفه صور الاشياء التي يسمع بها ولا يراها . ويسمى هذا [العلم الخيالي]. . يحصل عليه الانسان بقوة الخيال، وقد تشاركه بعض الحيوانات]. [ثم يتوسع في ادراكه الى اكثر من المحسوسات فيدرك المعاني الجزئية التي لامادة لها ولا مقدار. مثل حب أبويه له، وعداوة مبغضيه. . .

وهذا هو (العلم الوهمي) يحصل عليه الانسان كغيره من الحيوانات بقوة (الوهم)، وهي (هذه القوة) موضع الافتراق بين الانسان والحيوان فيترك الحيوان يدير ادراكاته بالوهم فقط ويصرفها بما يستطيعه من هذه القوة والحول المحدود. . . ثم يذهب - الانسان - في طريقه متميزاً عن الحيوان بقوة العقل والتفكير التي لاحد لها ولانهاية فيدير بها دقة مدركاته الحسية والخيالية والوهمية، ويميز الصحيح منها عن الفاسد، وينتزع المعاني الكلية من الجزئيات التي ادركها فيتعقلها، ويقيس بعضها على بعض، وينتقل من معلوم الى آخر ويستنتج ويحكم ويتصرف ماشاءت له قدرته العقلية والفكرية وهذا هو (العلم)]. .

ولاشك فان العلم مستويات ودرجات، ويختلف بحسب اختلاف الفروق الفردية عند الافراد او اختلاف الاستعداد الفطري - الغريزي - من الذكاء والفطنة والنباهة وقوة الحافظة وسرعة الاستجابة. . .، ويقاس مفهوم العلم على انه [حضور صورة الشئ في العقل أو انطباعها في العقل].

والجدير بالاشارة قبل أن اختم ملاحظي التعقيبية ان التراث مسألة أساسية في وجدان الأمة، وحالة حسية في وعيها التأريخي وذاكرتها الاستطلاعية. . بيد أن المهم أن يفرق كيف نفيد من هذا التراث تنحلاً. رتحقيقاً، واستصفاء. .

فهل يكفي ان نقول اننا سبقنا أوربا الجاهلة بعلومنا وحضارتنا في العصور الأس[illegible]ة الزاهرة، ونحن اليوم نعيش عالة على أ[illegible] [illegible]قمح الى الش[illegible] والسر[illegible] [illegible] [illegible]ضنا العض[illegible] والنفسية والعملية به. . [illegible] رحم الله الرصافي اذ قال:

فشر العالمين ذوو خمول اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

لقد قرأت لعلماء الاجتماع العرب عبارات تمسد صداع الرأس وهي تشيد بتفوق العقل الخلدوني على (أوكست كونت) و (هنري سبنسر) و (دوركهايم) في علوم الاجتماع أو العمران البشري، لكنني لم أقرأ لعالم اجتماع عربي أنه أضاف جديداً لهذا العلم أو فند اراء مخطوءة، أو دحض نظرية قائمة سواء بالتعديل أو الحذف و الاضافة. . . وقس على علماء الطبيعيات والرياضيات والعلوم الانسانية في الادارة والاقتصاد والمدارس النقدية في الأدب. . الكل يعظم التراث وهذا حق وواجب مقدس، لكن هذا الكل ماذا أضاف الى التراث؟ وما أفاد منه؟ وما اسقط؟ وأين مواقع هذا الكل في عصر الابداع والابتكار وثورة العلوم والمعلومات والتقنيات باجيالها المعقدة. . . ؟؟.

لقد اجتهدت ما وسعني الجهد أن أبحث عن طريق يع[illegible] التليد، وعن جديد أصيل يضاف الى خزين السلف المؤثل بالأصالة فلم أجد الا أكواماً من كتب ونشرات وبحوث تجتـ[illegible] كتابات الآخرين، وتلوك ما أشبعه الاخرون لوكاً ومضغاً حتى ملوّه ولفظوه، ولم اجد باحثاً في أي مجال علمي، أو فكري أ[illegible] ثقافي أو أدبي يقول أنا ابن جلا وطلاع الثنايا. . فالجميع مجموعو[illegible] على الاقتباس المعيب حد السرقة، أو التجميع الشائن، الى درجة الفقر والارقاع العقلي والنفسي والافلاس الثقافي والحضاري وكلنا في الجهل مشرق. . يا سبحان الله!!!.

معذرة للقاريء العزيز من هذا الاطناب أو الاسترسال. فقد أردت به اتمام الفائدة وتحية الكاتب الفقيد، وترحماً على روح الطاهرة وتذكيراً بان من مات جسداً، لابد أن يبقى حياً بعلمه وفكره بيننا من خلال أحياء جهوده والتنويه بها، وإن كان هذ[illegible] الاحياء يحمل كل معاني الاختلاف. . فاختلاف الرأي لايفسد للود قضيته، والرائد لايكذب أهله وهذي

وهذي وأيم الله سنة حالنا ندوس على الاحياء دوماً تعت[illegible]
ونحترم الأموات ذكرى كأنما حضارتنا أن نكرم الحق مي[illegible]

مع خالص احترامي وتقديري لأسرة تحرير مجلة المورد التراثية الغراء. . وعلى الله قصد السبيل، وهو المستعان.

---

* التركة: أهم موضوعات الميراث لأنها أحد اركانه، جاء في شرح الترتيـ[illegible] [illegible]وري ط١، ص١٠ [أركان [illegible]ث، ووارث، وحق. والوار[illegible] [illegible]و التركة]. . والتركة تشمل الأموال [illegible]ـافع والحقوق عند بعض الفقهـ[illegible] كالشافعية والحنابلة والامامية والزيدية، ولاتشمل الا بعضها عند بعضهم الأ[illegible] كالحنفية، انظر: الشيخ محمد عبد الرحيم الكشاكي/ التركة وما يتعلق بها [illegible] الحقوق/ ط١، دار النذير للطباعة والنشر، المكان وسنة الطبعة غير مدونين ص٤٤-٤٥، ص٥٦ ص٧٣.

استدراك على (ببليوغرافيا عن الرحلات التي قام بها اصحابها الى العراق)

سلمان هادي طعمة

كربلاء ـ الجمهورية العراقيا

الأستاذ كوركيس عواد باحث حصيف له الفضل الأكبر على المفهرسين، افادنا بفهارسه الممتعة وبحوثه الشيقة التي نشرها في مجلات وصحف عراقية وعربية. وكان آخر ما استمتعنا بقراءته، بحثه القيم الذي نشره على صفحات مجلة (المورد) عدد خاص ـ ادب الرحلات الى العراق ـ المجلد الثامن عشر ـ العدد الرابع ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ص٢١٧ ـ ٢٣٥، ولدى اطلاعي على ما دبجه يراعه، خطرت لي بعض الملاحظات والاضافات وهي لاتقلل من اهمية بحثه ولاتثلم شيئاً من فضل استاذنا الفاضل، أدونها خدمة للبحث والباحثين وهي كالآتي:

١ ـ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ـ للعباس بن علي ابن نورالدين الحسيني الموسوي المكي المتوفى حدود سنة ١١٨٠هـ (جزءان) (النجف المط الحيدرية ١٩٦٧م).

٢ ـ خواطر في العراق ـ يوسف افندي غنيمة (المقتطف مج ٥٤ لسنة ١٩١٩م ومج ٥ ع لسنة ١٩١٩م.

٣ ـ يومان في كربلاء ـ مشكور الأسدي ـ مقال نشر في جريدة (البلد) بتاريخ ١٩٦٥/٧/٨م وهو مشاهدات وانطباعات وملاحظات عن المدينة المقدسة.

٤ ـ من بلد الى بلد ـ حسن محسن الأمين ـ الرحلة الى العراق ص ٤ ـ ١١٧ (بيروت ١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ).

٥ ـ الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ـ الشيخ فرج الى عمران القطيفي (توفي يوم ١٨ ربيع الاول ١٣٩٨هـ صدر من كتابه هذا (١٥) جزءاً وهو يضم بين دفتيه رحلا من القطيف (السعودية) كل عام الى العراق والاقط الاسلامية.

طبع الجزء الأول منه سنة ١٣٨٢هـ وطبع الجزء الأخـ (الخامس عشر) سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م في النجف. وكان زيارته للعراق قد شملت المدن التالية. البصرة ـ الحلة ـ كربلاء النجف ـ الكوفة ـ بغداد ـ الكاظمية ـ بلد ـ سامراء.

٦ ـ ورد في الصفحة ٢٣٤ اسم كتاب (صدى الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد) تأليف: الشيخ محمد السماوي وأود أن أشير الى أن هذه الأرجوزة هي ليست رحلة، وا هي تاريخ مدينة الكاظمية شعراً، وقد طبعت مع ثلاث مدن مقدسة اخرى هي: النجف، كربلاء، سامراء، وأفرد لكل مدينة اسماً خاصاً بها على طريقة السجع هي كالآتي:

١ ـ عنوان الشرف في وشي النجف ٢ ـ مجالي اللطف بأرض الطف

٣ ـ صدى الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد ٤ ـ وشايح السراء في شأن سامراء

هذه ملاحظات يسيرة اظن انها جزء من التراث الذي نصبو اليه، ونبحث فيه، آملاً أن تلقى من لدن استاذنا الجليل قبولاً حسناً في نفسه الكريمة، مع التقدير الوافر

أخبار التراث العربي

اعداد
اسامة ناصر النقشبندي
دار صدام للمخطوطات

● الغريب المصنف

لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م صدر منه الجزء الاول في تونس بتحقيق الاستاذ محمد المختار العبيدي عن بيت الحكمة بقرطاج (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) وقد اعتمد المحقق على ثلاث نسخ يعتقد انها اقدم واكمل النسخ والاكثر ضبطاً، واشار الى وجود عدة نسخ خطية للكتاب موزعة على بعض خزائن المخطوطات في العالم. ويقع هذا الجزء في ٤١٢ صفحة. وسيصدر الجزء الثاني قريباً.

والمعروف ان الدكتور رمضان عبدالتواب قد حقق الكتاب ضمن متطلبات دراسة الدكتوراه من جامعة ميونيخ الالمانية سنة ١٩٦٢. كما ان الشيخ محمد حسن آل ياسين قد نشر اربعة فصول من الكتاب في مجلة المجمع العلمي العراقي ٣٥/٣ لسنة ١٩٨٤ و ٣٦/١ لسنة ١٩٨٥.

● نظرية الخطوط المتوازنة في المصادر العربية:

(ما بين القرنين ٣ ـ ٨ للهجرة/ ٩ ـ ١٤ للميلاد).

تأليف الدكتورين ب. أ. روزنفيلد و أ. ب. يوسكوفيتش ترجمة وتعليق الدكتورين سامي شلهوب وكمال نجيب عبدالرحمن وهو كتاب يقع في تسعة عشر فصلاً مخصصاً لدراسة محاولات العلماء العرب في اثبات نظرية المتوازيات وتأثير هذه المحاولات على اوربا حتى القرن الثامن عشر للميلاد. وقد زود الكتاب باشكال هندسية توضيحية. ويقع في ٢٠٢ صفحة. وقد صدر عن معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في الكويت بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب.

وكان هذا الكتاب قد صدر باللغة الروسية سنة ١٩٨٣.

● المدخل الى المراجع العربية العامة:

تأليف الاستاذ عبدالجبار عبدالرحمن مدير المكتبة المركزية في جامعة البصرة.

رتبه المؤلف في خمسة ابواب وجعل كل باب في عدة فصول وختمه بملاحق عن المصادر العربية والاجنبية وقائمة بالمصطلحات وكشاف بالمؤلفين والكتب. يقع الكتاب في ٣٤٨ صفحة.

● التكملة في تأريخ الامارتين: البراكنة والترارزة.

لمحمد فال بن بابا العلوي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م

تحقيق الاستاذ احمد ولد الحسن.

صدر عن بيت الحكمة بقرطاج في تونس ضمن السلسلة التأريخية. وهذا الكتاب من النصوص المهمة في التأريخ الموريتاني، وضعه المؤلف تتمة لكتاب سيديا بابه الذي شرع في

تأليفه وأرخ للامارتين الصنهاجيتين التي حكمت موريتانيا قبل الاستعمار. وقد اعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية وزوده بكشافات للاعلام والقبائل والعشائر والامكنة والمعارك. يقع الكتاب في ١١٠ صفحة.

● **ملجأ الاضطراب في الفرائض.**
لابن الهائم المقدسي.
تحقيق الاستاذ خضير عباس المنشداوي ونجلاء قاسم الربيعي صدر عن مركز احياء التراث العلمي العربي في جامعة بغداد وقد اعتمد المحققان على نسخة خطية في دار صدام للمخطوطات ونسخة الاوقاف العامة ونسخة المكتبة القادرية ببغداد يقع الكتاب في ٥٦ صفحة.

● **اسماء رسول الله (ﷺ)**
لاحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.
تحقيق الاستاذ ماجد الذهبي. صدر عن مركز المخطوطات في جمعية احياء التراث العربي الاسلامي في الكويت. وقد اعتمد المحقق على نسخة خطية فريدة محفوظة في دار الكتب الظاهرية ويقع في (٥٠) صفحة.

● **تاريخ طب الاطفال عند العرب.**
تأليف الدكتور محمود الحاج قاسم محمد.
صدر عن مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد. ويقع في ٢٤٠ صفحة.

● **عجائب من عصور متفرقة:**
للاستاذ محمد ابراهيم الشيباني.
صدر عن مكتبة ابن تيمية في الكويت. ويتضمن مجموعة من القصص والحوادث والعبر واللطائف والطرائف انتقاها المؤلف وعلق عليها من جملة من الكتب التأريخية والبلدانية والادبية ويقع الكتاب في ٦٦ صفحة.

● **كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد.**
دراسة نقدية للاستاذ حسن صالح شهاب على كتاب ابن ماجد المذكور. صدر عن الجمعية الجغرافية الكويتية بجامعة الكويت. يقع الكتاب في ٩٦ صفحة.

● **اباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية:**
للدكتور حمد محمد العريان:
وهي دراسة بين المصادر القديمة والحديثة عن اباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية وما ورد في ذلك من الاخبار. وقد قدم الاستاذ محمد ابراهيم الشيباني للكتاب وتناول فيها ترجمة يزيد بن معاوية وراجع الكتاب.
زود المؤلف كتابه بكشافات للاعلام والآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة والبلدان والمدن والقبائل والمصطلحات العسكرية. يقع الكتاب في (٨٨) صفحة.

● **مستدرك الفهرس التأريخي للمؤلفات التونسية.**
تأليف الدكتور ابي القاسم محمد كرو.
وهي مجموعة ردود استدرك فيها المؤلف على ما تناوله الاب جان فونتان في كتابه (فهرس تأريخي للمؤلفات التونسية التي قامت مؤسسة بيت الحكمة بقرطاج باعداد طبعته العربية ونشرها وتمويلها وما تضمنه ذلك الكتاب من تحريف وتشويه للكثير من الحقائق التأريخية العلمية المتصلة مباشرة بتأريخ تونس الثقافي واعلامها وعصورها الاسلامية يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة.

● **الدرر المفاخر في اخبار العرب الاواخر:**
لمحمد بن حمد البسام التميمي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م
تحقيق الدكتوره رمزية محمد الاطرقجي.
ويتضمن احوال قبائل العرب في عصر المؤلف كتبه بايجاز ورتبه على ثمانية فصول حسب المواضيع فتكلم عن قبائل اليمن والحجاز وبلاد نجد وعمان والاحساء والعراق وحلب.
واعتمدت المحققة على نسخة مصورة محفوظة في دار صدام للمخطوطات عن نسخة فريدة محفوظة في المتحف البريطاني صدر الكتاب عن مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد. ويقع في (١٠٤) صفحات.

● **جمهرة الخطاطين البغداديين:**
الاستاذ وليد الاعظمي

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ويقع في جزئين ويتضمن الكتاب ستين واربعمائة ترجمة للخطاطين البغداديين منذ تأسيس بغداد حتى نهاية القرن الرابع عشر للهجرة العشرين للميلاد.

يقع الكتاب بجزئيه في (٨٠٠) صفحة وقد رجع المؤلف الى ١٤٩ مرجعاً مطبوعاً و ١٢ مرجعاً مخطوطاً وعدد من المجلات والجرائد.

● **المغني في البيطرة:**

للملك الاشراف عمر بن يوسف الغساني المتوفى سنة ٦٩٦هـ.

تحقيق الدكتوره رمزية محمد الاطرقجي.

اعتمدت المحققة على نسختين مخطوطتين في دار صدام للمخطوطات ببغداد وهنالك سبع نسخ خطية من الكتاب موزعة على خزائن المخطوطات في العالم.

صدر الكتاب عن مركز التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ويقع في ٢٢٤ صفحة.

● **رحلة اثرية الى اليمن:**

تأليف الدكتور احمد فخري.

يقع الكتاب في الاصل من ثلاثة اجزاء وهو حصيلة رحلة المؤلف الاثرية التي قام بها الى بلاد اليمن عام ١٩٤٧ الفه ونشره باللغة الانكليزية في مطلع الخمسينات من هذا القرن. وقد رأت وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية ترجمة الجزء الخاص بوصف الرحلة الاثرية واوكلت الى عضو اللجنة الاستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله والدكتور هنري رياض بترجمته وراجعه الدكتور عبدالحليم نورالدين ويحتوي هذا الجزء على مقدمه وثمانية فصول وعدد من النقوش اليمنية القديمة بالاضافة الى موجز عن تاريخ اليمن.

صدر الكتاب عن وزارة الاعلام والثقافة واليمنية (مشروع الكتاب) ويقع في (٢٤٦) صفحة.

● **ابن مقله خطاطاً واديباً وانساناً.**

مع تحقيق رسالته في الخط والقلم.

دراسة وتحقيق الاستاذ هلال ناجي. وقد اعتمد في تحقيقه ثلاث نسخ خطية بنسخة المكتبة التيمورية ونسخة اخرى من القاهرة ونسخة العطارين في تونس. وقد استغرقت الدراسة اربعة اخماس الكتاب.

صدر الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ويقع في ١٧٠ صفحة.

● **قطعة نادرة من كتاب الاوراق للصولي:**

تحقيق الاستاذ هلال ناجي

وتضم اخبار السنوات ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨ للهجرة وقد اعتمد المحقق عن نسخة خزانة الازهر الشريف التي كانت مملوكة لاسرة آل اباظة في مصر. ويتميز هذا الكتاب بانه من تأليف شاهد عيان وهو ابو بكر الصولي.

صدر الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ويقع في (٧٢) صفحة.

● **ديوان ابن وكيع التنيسي المتوفى سنة ٣٩٣هـ.**

تحقيق الاستاذ هلال ناجي وقد اعتمد في تحقيقه على نسخة مغربية خاصة. وكان الدكتور حسين نصار قد نشر سنة ١٩٥٢ مجموعة من شعر هذا الشاعر تضمنت ٦١٨ بيتاً جميعها من مصادر مختلفة. علماً ان الديوان الذي انجز تحقيقه الاستاذ هلال ناجي يتضمن (١٢٠٠) بيت ويطبع الآن في القاهرة.

● **اقباس الانام في تخريج احاديث الاحكام.**

تأليف الدكتور خالد رشيد الجميلي. خرج فيه المؤلف الاحاديث النبوية الشريفة الواردة في كتاب الاحكام السلطانية للماوردي وقد اعتمد على النسخ المطبوعة من الكتاب. وقد طبع هذا التأليف بهامش كتاب الاحكام السلطانية. وصدر عن المكتبة العالمية وطبع بمطابع دار الحرية ببغداد.

يقع الكتاب في (٣٧٠) صفحة.

● **اليواقيت في المواقيت في مدح الشيْ وذمه.**

لابي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة.

بتحقيق الاستاذ محمد جاسم الحديثي وقد اعتمد في تحقيقه على نسختين خطيتين احداهما مؤرخة سنة ٥٨٠ للهجرة بخط

مشرقي واخرى كتبت بخط مغربي من مخطوطات المكتبة الوطنية بتونس.

وقد زود المحقق الكتاب بكشافات للاعلام والامكنة والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والابيات والحكم والاقوال والامثال.

وصدر عن دار الشؤون الثقافية ببغداد ضمن سلسلة خزانة التراث واستغرق ٣٥٠ صفحة.

● **كشف القناع عن تضمين الصناع.**

لابي علي الحسن بن رحال المعداني المتوفى سنة ١١٤٠هـ **دراسة وتحقيق الاستاذ محمد ابو الاجفان التميمي. اعتمد المحقق على نسختين مطبوعتين وثلاث نسخ خطية. ووضع مقدمة تضمنت دراسة عن الكتاب واهميته وترجمة المؤلف ومكانته العلمية ونزعته الى الاجتهاد والاصلاح** صدر الكتاب عن بيت الحكمة بقرطاج (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات. وتقع في ١٥٦ صفحة.

● **تحريف وخلل في ترجمة القرآن الكريم.**

تأليف الاستاذ عزيز عارف. تناول فيه (١٢٠) نصاً قرآنياً كريماً ضمن ترجمة داود باللغة الانكليزية وقارنها مع خمس ترجمات، اربعة منها باللغة الانكليزية هي: ترجمة محمد علي ويوسف علي وحمد بكثل وآربري. وترجمة خامسة باللغة الفرنسية لبلاشير. واشار الى الاخطاء الموجودة في هذه الترجمات ونبه عليها مستعيناً بكتب التفسير المعتمدة. وهذا هو الجزء الاول ستتبعه اجزاء اخرى في مناقشة مثل هذه الترجمات وسيدفع الى الطبع قريباً.

● **الفيلسوف الآمدي.**

مع تحقيق كتاب المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين تحقيق وتقديم الاستاذ الدكتور عبد الامير الاعسم وقد زود الكتاب بفهرس للالفاظ الفلسفية وآخر للاعلام ويقع الكتاب في (٢٠٦) صفحات.

● **كتاب ضواري الطير.**

للغطريف ابن قدامة الغساني تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والاستاذ محمد نايف الدليمي. اعتمد المحققان على نسخة فريدة من مصورات معهد تأريخ العلوم العربية والاسلامية في فرانكفورد. وقد قدم الكتاب للطبع وسوف يزود بكشافات حضارية.

● **شعراء امويون ـ الجزء الخامس.**

انجز الدكتور نوري حمودي القيسي الجزء الخامس من كتاب شعراء اميون تناول فيه دراسة سبعة شعراء. وقدم للطبع في بيروت وسيصدر عن مكتبة دار النهضة ودار الكتاب العربي.

● **تلخيص القياس لارسطو.**

لابن الرشيد.

صدر بتحقيق وتقديم الاستاذ عبدالرحمن بدوي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ضمن السلسلة التراثية.

وقد اعتمد المحقق على نسخة خطية في المكتبة اللوزنتية بايطاليا. وهو تلخيص لكتاب القياس لارسطو طاليس في المنطق لابن رشد وقد وضع المحقق تصديراً عاماً للكتاب تحدث فيه عن القياس وخصائصه وعيوبه وارجاع كل اشكال البرهنة الى القياس ثم تحدث عن ترجمة كتاب القياس الى العربية وشروحه. يقع الكتاب في ٢٢٠ صفحة.

● **مجلة معهد المخطوطات العربية.**

صدر الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية. التي يرأس تحريرها الاستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم.

ويتضمن هذا الجزء مجموعة من البحوث والدراسات والنصوص المحققة وهي:

- من مخطوطات البيطرة والبيزرة بدار الكتب الوطنية بتونس لبعد الحفيظ منصور.
- مخطوطات كوركيس عواد في دار صدام للمخطوطات لاسامة ناصر النقشبندي
- مسألتان من كتاب الايمان لمحمد بن الحسن - صنعة ابن جني - تحقيق الدكتور محمد مهدي احمد.

- ذكر معاني ابنية الاسماء الموجودة في المفضل لابن مالك تحقيق الاستاذ عبدالله نبهان.
- وصف اشتيار العسل في بضعة نصوص من شعر هذيل للدكتور محمد بن سليمان السديس.
- سعد بن علي الحظيري الملقب (دلال الكتب) للدكتور ناظم رشيد.

مع متابعات نقدية: ساعات في شعر السانحات للدكتور مصطفى الحدري. تصحيح الاعلام اليمنية في هدية العارفين للاستاذ عبدالله محمد الحبشي.

● **التعليقات**

لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ.

انجز تحقيقه الاستاذ حسن مجيد العبيدي على نسخة دار صدام للمخطوطات ونسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد.

وقد قدم للطبع في دار الشؤون الثقافية.

● **مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس.**

لابن خاقان المتوفى سنة ٥٢٩هـ.

صدر بتحقيق هدى شوكة بهنام عن دار الغصون ببيروت وقد سبق للمحققة ان صدرت هذا النص على شكل اقسام في مجلة المورد للاعداد ٢، ٣ - ٤/ ١٩٨١، ١، ٢، ١٩٨٢/٣. والكتاب مزود بملحق للاعلام غير المذكورة في مخطوطة المطمح. كما صدر الكتاب نفسه بتحقيق د. علي شوابكة عام ١٩٨٣ عن مطبعة الرسالة.

● **الاقتضاب في شرح ادب الكتاب.**

لابن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١هـ.

صدر بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد في ثلاثة اقسام عن دار الشؤون الثقافية العامة، ببغداد، ١٩٩٠.

● **صفة جزيرة العرب.**

لابن يعقوب الهمداني

صدر بتحقيق محمد بن علي الاكوع عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٨٩.

● **ابو حاتم السجستاني الراوية:**

تأليف د. سعيد حاسم الزبيدي صدر عن دار الغصون ببيروت، ١٩٨٩.

● **ابن خالويه وجهده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصور ابن دريد.**

دراسة وتحقيق د. محمود جاسم محمد الدرويش صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٩٠.

● **رسالة الامثال البغدادية التي تجري بين العامة للقاضي ابي الحسن علي بن الفضل المؤيدي الطالقاني جمعها في سنة ٤٢١هـ.**

صدر بتحقيق وشرح المرحوم العميد المتقاعد عبدالرحمن التكريتي عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٩٠.

● **الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي.**

لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ

صدر بتحقيق د. محسن غياض عن دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٠.

● **خطب خالد بن صفوان التميمي واقواله واخباره جمع ودراسة وتحقيق د. يونس احمد السامرائي صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٩٠م.**

● **منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي تأليف د. محمد كاظم البكاء.**

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ١٩٨٩.

● **تقوم اليونسكو (المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم) بأعداد كتاب عن «العلم في الأسلام»**

وخصصت إحدى مجلداته عن «تاريخ الطب العربي الأسلامي». وتم إختيار طبيب الأطفال الأستاذ محمود الحاج قاسم محمد ومؤلف كتاب «تاريخ طب الأطفال عند العرب» بكتابة الفصل الخاص عن «تاريخ طب الأطفال عند العرب والمسلمين» وذكر الدكتور محمود الحاج قاسم بأنه قد كتب الفصل المذكور وقبل من قبل هيئة التحرير.

ندوات حول التراث العربي

اعداد
هدى شوكة بهنام

لمركز احياء التراث العلمي العربي نشاط واضح في مجال إقامة الندوات حول التراث العربي والعلمي منه خاصة؛ فقد عقد المركز خلال الموسم الدراسي الحالي الحلقات الدراسية التالية:

١ ـ العلوم العسكرية عند العرب: (للفترة من ٢٧ ـ ٢٨ كانون الاول ١٩٨٩).

جاءت بحوث هذه الندوة في نواح مختلفة تخص العلوم العسكرية وطبعت في ثلاثة مجلدات وهي:

المركبات الحربية ـ د. بهيجة خليل.
مصطلحات عسكرية عراقية ـ د. فاروق الراوي
اصناف المدن العسكرية الاسلامية عند المؤلفين العرب ـ د. طاهر العميد
ـ السيف العربي ـ د. صلاح العبيدي
العناصر العمارية العسكرية في العمارة العربية الاسلامية ـ سعدي ابراهيم
فصول من مباحث الاسطول في التراث العربي ـ د. حسين محفوظ
السفن والمراكب الحربية عند العرب ـ عبد الجبار السامرائي
السرعة والمباغتة في سياسة الردع للجيش العربي الاسلامي ـ د. شاكر محمود عبد المنعم
العوامل المؤثرة في مجرى الحروب عند العرب ـ د. رمزية الاطرقجي
صور من دور المرأة في الجيش العربي الاسلامي ـ فريال المختار
الخطوط الدفاعية في مدينة المنصور المدورة ـ د. عادل البكري
ملامح عن اصالة التصنيع العسكري ـ د. عماد الحفيظ
تحصينات المدن اليمنية في العصر الاسلامي ـ د. غازي رجب
سور المستعين ـ د. عبد العزيز حميد
التنظيمات العسكرية في ولاية البصرة ايام العثمانين ـ د. طارق الحمداني
اثر تحصين المدن العربية القديمة على فن التحصين العسكري الاوربي ـ د. حيدر كمونة.
دراسة في مخطوط المخزون جامع الفنون لابن اخي خزام ـ هدى شوكة بهنام
دراسة في كتاب مفيد العلوم ـ ناجي محفوظ
دراسة في كتاب الافادة والتبصير ـ سعدي ابراهيم
الانتصارات العربية على المسكوكات ـ د. ناهض عبد الرزاق

وقد تخلل الجلسات الدراسية مناقشات مهمة من قبل الحضور الذين كان من بينهم اساتذة من كلية الاركان العسكرية، فكانوا يبدون آراءهم ومقترحاتهم حول بعض المفاهيم العسكرية عند العرب ومدى استخدامها في الحروب في وقتنا الحاضر وخاصة حربنا العادلة ضد العدوان الايراني، وقد تبين ان الكثير من التحصينات والوسائل الدفاعية عند العرب وخاصة الحرب النفسية مستخدمة في الحروب الحالية.

وللبحوث رسوم واشكال توضح فكرة الكاتب.

٢ ـ اسهام العراقيين والعرب بتطوير الارقام: (٢ كانون الثاني ١٩٩٠) تضمنت هذه الحلقة الدراسية ستة بحوث هي:

ـ النظام الستيني عند العراقيين القدماء ـ د. جميل الملائكة.
ـ ترميز الرقم العربي في العصور الاسلامية ـ د. رشيد عبد الرزاق الصالحي
ـ الارقام العربية المشرقية والمغربية ـ د. عادل البكري
ـ تطور النظام العشري منذ القدم ـ سليم اسماعيل الغرابي

- رحلة الصفر مع الارقام - خالد احمد السامرائي
- الارقام بنظام الجمل - خضير عباس المنشداوي

وخرجت بنتائج مهمة عن مدى مساهمة العراقيين منذ العصر البابلي في مجال الرياضيات، إذ تبين من الكشوف الرياضية التي تعزى الى اليونانيين والهنود انها تعود في الاصل الى البابليين، فقد عرفوا الستين وحدة اساسية اضافة الى العشرة، وان اسم الارقام العربية قد ورد في الموسوعات وعرفت عن طريق السلف، وليس هناك ارقام اجنبية مستعملة في البلاد العربية بل ارقام عربية اصيلة ولكن المشرقية اقدم عهدا من المغربية وانحصر استعمالها في اقطار المشرق العربي، بينما تعمم استعمال الارقام المغربية في اوربا وجميع انحاء العالم وصار يطلق عليها اسم الارقام العربية او الارقام الغبارية تمييزا لها عن الارقام الرومانية التي كانت مستعملة في اوربا والتي هي ليست غبارية ولايمكن استعمالها في عمليات الحساب.

هذا والبحوث مزودة بجداول توضيحية للارقام ونظمها ورموزها.

٣ - الحمامات في المدينة العربية الاسلامية: (١٠/١/١٩٩٠)

جاءت بحوث هذه الندوة في محورين:

الاول (الصحة في الحمامات العربية) وقد تضمن الدراسات التالية:

الحمامات والتطهير في بلاد وادي الرافدين/ د. فاروق الراوي

- الشروط الصحية في الحمامات/ د. عادل البكري.
- الطهارة في الفقه/ د. حسين محفوظ.
- الحسبة على الحمامات/ نبيلة عبد المنعم.
- نبذة عن الحمامات في العصور الوسيطة/ سالم الألوسي.
- معدات التجميل في الحمامات العربية الاسلامية/ د. صلاح العبيدي.

الثاني (عمارة الحمامات) وقد تضمن الدراسات التالية:

- عمارة الحمامات في العراق/ د. وليد الجادر و د. عبدالاله فاضل.
- دراسة في عمارة الحمامات الاسلامية/ د. طلعت الياور.
- الحمام الاسلامي في مصر/ د. طاهر العميد
- اضواء على حمامات بغداد التراثية/ د. عبدالعزيز حميد
- زخرفة الحمامات بالفسيفساء/ د. ناض عبدالرزاق.
- الرسوم الجدارية في حمامات المدينة العربية/ رفاه جاسم حمادي.

وسبب وجود الحمامات ان اغلب الناس العامة لم يبنوا حمامات في بيوتهم بل اقتصرت على بيوت الموسرين لذلك وجدت الحمامات العامة التي عرفت منذ ايام العراقيين القدماء، وقد ابتكروا انظمة لتصريف المياه يمكن الاستفادة منها في وقتنا الحاضر. وكلما تقدمت حضارة الانسان القديم وتطورت اساليبها وادركت اهمية المياه وفوائدها ازداد اهتمام البناة ومخططي المدن القديمة والمشرفين على عمارتها بالحمام، وفي العصر الاسلامي افرد للحمامات مواضع خاصة في القصور والبيوت وفي خطط المدينة، وحرصوا على تصميم احواض الماء وتنوابه بطريقة خاصة تكفل ذلك، ونظمت الاحكام الفقهية الاسلامية العمل داخل الحمامات العامة، وخضعت لاشراف المحتسب خضوعا مباشرا يكفل استمرار عملها وفق القواعد والقيم الاسلامية.

فالحمامات تعد عنصرا اساسياً في المخطط العماري للبيت العراقي، وان النظافة تمثل ضرورة اساسية في الحياة اليومية للعراقي منذ القديم.

٤ - فن العمارة العربية قبل الاسلام واثرها بعد الاسلام: (٢٥/٢/١٩٩٠)

تضمنت بحوث هذه الندوة سبع دراسات وهي:

- القبو والأيوان/ د. واثق الصالحي
- عمارة البيت العراقي الاسلامي ذو الجناحين والفناء المكشوف/ د. غازي رجب
- الابنية الحجرية وتقنيتها في العمارة العربية/ رضا الهاشمي.
- علاقة العمارة العربية قبل الاسلام بالعمارة الاسلامية/ د. طاهر العميد.
- العمارة والرسوم الجدارية في شبه جزيرة العرب القديمة/ د. عبدالعزيز حميد
- مواد الانشاء الرئيسية في العمارة العراقية القديمة/ عادل عبد الله الدليمي
- تحصينات مدينة النجف (دراسة عمارية لاسوارها)/ سعدي ابراهيم الدراجي.

فالفن المعماري بكافة اوجهه: العمارة المدنية والدينية والعسكرية كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام، وتتميز بالتنوع والانتشار وتمتد جذورها الى فترات تاريخية مبكرة. فما عرف وظهر من عناصر معمارية في المواطن العربية الخالصة يعد عربيا قبل الاسلام، وما ظهر من تطور في العصر الاسلامي يعد ابتكارا عربيا اسلاميا خالصا ومصدرا مهما من مصادر نشأة العمارة الاسلامية، والمعماريون العرب كانت لهم المقدرة في التعامل الايجابي مع معطيات البيئة وضروراتها كاستخدام الحجر في العمارة والنحت وتطويعه للاغراض المختلفة، كذلك استخدام الطين والآجر والاخشاب كمواد انشائية للبناء في العمارة عبر العصور.

وكان من الآراء المطروحة خلال المناقشات ان دراسة فن العمارة لم تتطرق الى الفنون المظهرية الخارجية: فنون، طرز، نماذج، تصاميم وهي العلوم التي تطورت الآن، اذ لم نجد بحوثا متخصصة في هذا الجانب بل كانت هناك اشارات الى هذه الناحية من خلال البحوث الموجودة الينا، ولم تخلُ البحوث من الرسوم التوضيحية.

٥ ـ النواعير: (اقيمت هذه الندوة للفترة من ٣ ـ ٤/ آذار/ ١٩٩٠ بالتعاون مع جامعة الانبار، وتمت زيارة بعض النواعير التي لاتزال تعمل الى حد الآن.

وكانت البحوث المساهمة في هذه الدراسة هي:

ـ النواعير في التراث العربي/ د. عماد الحفيظ، د. ناطق جودي.

ـ نواعير الفرات شواهد تاريخية على اصالة حضارية/ د. صبري الهيتي.

ـ الناعور في رسوم المدرسة العربية في التصوير/ د. عبدالعزيز حميد.

ـ اساليب استخدام النواعير عند العرب/ د. عادل البكري.

ـ دراسة مقارنة لاستخدام النواعير والوسائط المختلفة لرفع الماء/ د. عماد الحفيظ، د. ناطق جودي.

ـ النظم الاقتصادية والاجتماعية الناعورية واداتها الوظيفي في اقليم اعالي الفرات/ د. سعدي السعدي.

ـ نواعير الفرات ونواعير العاصي (دراسة جغرافية مقارنة)/ د. صالح فليح الهيتي.

ـ دوالي هيت (دراسة ميدانية) عبدالرحمن الهيتي، حمدي نعمان.

ـ ديوان النواعير/ د. حسين محفوظ.

وقد لاقت البحوث تقويما جيدا لدى الحضور واثارت نقاشا كبيرا فالنواعير عرفت في وادي الرافدين حين عرف محور الحركة قبل حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد، ولدى نبوخذنصر حين استخدم الناعور المائي داخل الجنائن المعلقة بصورة غير مرئية من الخارج لرفع المياه الى هذه الجنائن التي كانت على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض.

ومن توصيات الندوة.

١ ـ تشكيل لجنة عليا من محافظة الانبار ورئاسة جامعة الانبار ومركز احياء التراث.

٢ ـ تشكيل مجلس محلي من اهل المنطقة.

٣ ـ اعادة محطة النواعير، وتعمل نواعير من المنيوم لاحياء الناعور الاول بصناعة حديثة للاستفادة من طريقة النواعير في السقي والمحافظة على المياه من التلوث.

٤ ـ الاستفادة من نواعير الالمنيوم لاغراض اخرى في احواض الاسماك وتوليد الطاقة الكهربائية.

ولكن ما جدوى عمل هذه النواعير في الوقت الحاضر الذي تطورت فيه الحياة والعصر ولم يعد بمقدور الفلاح الحالي ان يعتمد الناعور وحدهُ اساساً لسقاية مزروعاته، وقد رأى الحضور ان نقل عدد من النواعير الى بحيرات اصطناعية في مكان محدد يكون متحفا للري او الزراعة العراقي يعد اهم من الاعتماد على الناعور مباشرة في السقي، هذا وقد تخللت الندوة عرض بعض الرسوم والصور التوضيحية.

ندوة المورد

نظمت مجلة «المورد» لقاء مع الاساتذة المعنيين بالتراث العربي - مساء يوم ٥/٢/١٩٩٠ وقد حضرها عدد كبير من كتاب المجلة والمعنيين بالتراث وجرى فيها حوار صريح ومفتوح تخللته آراء ومقترحات وملاحظات كثيرة تهم المجلة وتخدمها وفيما يلي ملخص بمجمل ما دار في هذه الندوة :-

مقترحات وآراء :

١ - ان تعطى الاولوية في العرض والنقد للاصدارات التراثية الاحدث . . . نصوص محققة أو دراسات تخص التراث .

٢ - فتح باب جديد باسم (رسائل جامعية) عرض لابرز الرسائل الجامعية الخاصة بالتراث .

٣ - العناية بدراسات المستشرقين حول التراث العربي ترجمتها ونقدها .

٤ - تحاشي نشر النصوص المحققة الطويلة التي تستأثر باعداد كثيرة وتقديم النصوص القصيرة او مالا يزيد نشره في عددين في كل الاحوال .

٥ - الاعلان عن موضوع العدد الخاص في وقت مبكر ليتسنى لمن يشاء المشاركة المساهمة به اضافة الى التكليفات الخاصة .

٦ - محاولة استيعاب اكبر عدد ممكن من الباحثين وتحاشي محدودية الاسماء .

٧ - التوسع في باب العرض والنقد .

٨ - التأكيد على ضرورة اصدار فهرسة خاصة بالمجلة بدءاً من عددها الأول حتى الآن .

٩ - فهرسة ابجدية لاعداد السنة في العدد الرابع من السنة نفسها .

١٠ - التأكيد على ضرورة الاعتناء بالتراث العربي الاسلامي بمعناه الشامل من تاريخ وادب وعلوم وفلسفة واجتماع ولغة وضرورة التوزيع العادل للموضوعات التراثية المختلفة في كل عدد .

١١ - التدقيق في اختيار النصوص واعطاء الاولوية للنصوص الاهم بمعنى التي تكشف جوانب خفية وغنية من حياة الامة .

١٢ - العمل بقدر المستطاع : دراسة التراث والكتابة عنه بالاستفادة من تيارات النقد والنظريات المعاصرة في فهم النصوص وتأويلها وبمناهج تتناسب مع ماوصل اليه البحث العلمي المعاصر بما في ذلك الدراسات التي تتصدر النصوص المحققة .

١٣ - يحبذ نشر تحقيقات علمية جديدة لنصوص سبق نشرها ولكن دون المستوى العلمي للتحقيق، ناقصة او مشوهة .

١٤ - ضرورة متابعة المجلة للنشاطات الثقافية الخاصة بالتراث، كالمؤتمرات والندوات .

١٥ - ثبت محتويات العدد مع خلاصة لها باللغة الانكليزية ليتسنى للاجانب اخذ فكرة عن محتويات العدد، ويحبذ ان يقدم الباحث هذه الخلاصة لبحثه حسب مستطاعه .

١٦ - تحديد تعليمات النشر في المجلة وتثبيتها في صفحة محددة في العدد وذلك بهدف التجانس في منهجية كتابة البحوث .

١٧ - اخبار التراث تكون بابا ثابتا ودائمياً .

١٨ - عدم نشر أي نص محقق لم ترفق معه صور من مخطوطه .

٢٠ - اقتراح ان تصدر المجلة بغلاف له الشكل واللون والزخرفة نفسها بحيث يكون سمة او علامة ثابتة تميز المجلة عن غيرها .

٢١ - خط عناوين الموضوعات بما يتناسب والقيمة التراثية والجمالية للمجلة .

٢٢ - تثبيت عنوان المقال واسم الكاتب مكرراً على جميع الصفحات التي يستغرقها المقال .

٢٣ - كل بحث ينتهي بورقة مستقلة بحيث يمكن

استلاله من المجلة دون ان يؤثر على الموضوعات الاخرى.

٢٤ ـ ضرورة تحديد الصفحات التي تعطى لكل بحث او نص محقق لكي تستوعب المجلة اكبر عدد ممكن منها.

٢٥ ـ التأكيد على ضرورة توسيع الاشتراكات بالمجلة باكبر كمية ممكنة.

١٩ ـ تتوسيع دائرة الخبراء قدر المستطاع

التوزيع:

اكد المتدون على الخلل الفاضح في توزيع المجلة داخل العراق وخارجه وقد لاحظ الجميع ان المجلة لاتوزع في مناطق مهمة من بغداد ولاتصل الى بعض المحافظات اطلاقاً وما يصل منها الى محافظات اخرى دون الحاجة بكثير.

وبصدد الخارج هناك اقتراح بالاتفاق مع دور نشر لتقوم بالطبع والتوزيع بعد تزويدها برقوق الطبع (الافلام).

المستلات:

اقترح المتدون ان توفر المجلة مستلات من البحوث التي تنشرها لمن يشاء من الباحثين ويمكن استخلاص تكاليف هذه المستلات من مكافأة الكاتب وعلى نفقته اذا رغب ذلك.

الاعداد الخاصة:

هناك رأيان حول اصدار عدد خاص سنوي، بعضهم يرى ان مثل هذا العدد يحرم عددا آخر من الكتاب من فرصة النشر وتكون دائرة موضوعاته محدودة وضيقة مما يؤدي الى تضييق مبيعاته، وقد يفرض العدد الخاص مواداً ضعيفة وذلك يرى هذا الفريق انه يمكن الاستغناء عن العدد الخاص بـ:

أ ـ محاور متخصصة لاتستغرق اكثر من نصف حجم المجلة.

ب ـ او اصدار مواد العدد الخاص بكتاب مستقل سنوي او ملحق مستقل بالمجلة.

هذا ويرى فريق آخر اهمية تقليد المجلة في اصدار اعداد خاصة سنوية على ان تكون ذات موضوعات حيوية وشاملة ومستوعبة لاكبر عدد من المساهمين.

اعادة طبع الاعداد النافذة:

اقترح البعض ضرورة إعادة طبع الاعداد النافذة والمطلوبة وبكميات محددة وذلك لاهميتها وزيادة الطلب عليها.

ندوة سنوية:

اقتراح بأقامة ندوة سنوية في مطلع كل عام للتعرّف على ملاحظات، واقتراحات القراء والباحثين في التراث حول اعداد السنة المنتهية ومقترحاتهم حول خطة السنة الجديدة للمجلة.

* * *